



قصی کربلاء

علی نظری منفرد

قصة كربلاء

وبضمنه

قصة الانتقام

منشورات نصایح

□ نام کتاب:	قصه کربلاء □
□ مؤلف:	علی نظری منفرد □
□ ناشر:	نصایح □
□ نوبت چاپ:	الأولی □
□ تاریخ چاپ:	۱۴۲۶ □
□ تیراژ:	۱۵۰۰ □
□ چاپخانه:	قلم □
□ شابک:	۹۶۴ - ۷۸۸۳ - ۹۳ - ۵ □

مرکز پخش : قم - پاساژ قدس - طبقه اول - پ ۵۹ - تلفن: ۷۷۴۴۶۶۳ - ۲۵۱ - ۹۸ +

عراق - نجف الأشرف - سوق الحویش - همراه: ۰۷۸۰۱۰۰۳۵۷۲

قصة كربلاء

وبضمنه

قصة الانتقام

تأليف

حجة الاسلام والمسلمين علي نظري منفرد

مراجعة وتعريب

محمود البدرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شذرات من رسالته ﷺ إلى شيعته

- * «أما بعد، فاسألوا ربكم العافية، وعليكم بالدعة والوقار والسكينة والحياء، والتترّذ عما تنزّه عنه الصالحون منكم...
- * معاشر الشيعة، كونوا لنا زينا، ولا تكونوا علينا شيناً، قولوا للناس حسناً، واحفظوا ألسنتكم وكفّوها عن الفضول وقبيح القول.
- * أكثروا من الدعاء، فإن الله يُحبّ من عباده الذين يدعون، وقد وعد عباده المؤمنين الاستجابة...
- * وأكثروا من ذكر الله ما استطعتم في كلّ ساعةٍ من ساعات الليل والنهار، فإنّ الله أمر بكثرة الذكر له .
- * وعليكم بالمحافظة على الصلوات، والصلاة الوسطى، وقوموا له قانتين، كما أمر الله به المؤمنين في كتابه من قبلكم.
- * وعليكم بحبّ المساكين المسلمين، فإنّ من حقّهم وتكبرّ عليهم، فقد زلّ عن دين الله، والله له حاقرٌ ماقت...
- * إيّاكم والعظمة والكبر، فإنّ الكبر رداء الله، فمن نازع الله رداءه قصمه الله وأذله يوم القيامة.
- * إيّاكم أن يبغى بعضكم على بعض، فإنّها ليست من خصال الصالحين...
- * إيّاكم أن يحسد بعضكم بعضاً، فإنّ الكفر أصله الحسد.
- * إيّاكم أن تُعينوا على مسلمٍ مظلوم يدعو الله عليكم ويُستجاب له فيكم، فإنّ أبانا رسول الله يقول: إن دعوة المسلم المظلوم مستجابة...

بين يدي الكتاب

تعتبر واقعة الطف واحدة من أكبر الأحداث التاريخية وأشملها، وفيها اشارات وحوادث دقيقة، بحيث لا نجد لها إلا في الغزوات والحروب التي حدثت في عصر رسول الله ﷺ .

من باب المثال، نجد في المقاتل التي تحدّثت عن هذه النهضة العظيمة، الكثير من الرجز والأشعار الحماسية التي كان يرددّها الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه عندما كانوا يبرزون إلى القتال، وكذلك نرى الخطب الرنانة والأناشيد التي قلّ نظيرها في الحروب والغزوات الأخرى، وكذلك نجد أسماء اصحاب الإمام الحسين عليه السلام وأسماء القتلة من جيش ابن زياد، وترتيب شهادتهم، أو الكلمات التي تحدثوا بها في محضر الإمام أو كلمات الإمام عليه السلام التي كان ينطق بها عند استشهادهم وعلى جثثهم الشريفة، أو خطب أهل البيت عليه السلام التي كانوا ينشأونها في مسيرتهم سبايا من كربلاء إلى دمشق ومن ثمّ إلى المدينة .

هذه الخصائص التي قلّ نظيرها ، نجدها اجتمعت في واقعة عاشوراء، وبالتالي تحكي عن اهتمام الذين دونوا وكتبوا عن هذه الواقعة المأساوية .

من جهة أخرى، نرى أنّ الذين كتبوا ودوّنوا هذه الحادثة التاريخية، وبالرغم من مرور قرون عديدة على وقوع المأساة، فقد بقيت هذه الحادثة حيّة وطريّة ولم تفقد الدروس والعبر التي حوتها - بالرغم من اختلاف الطرق والأساليب وتفاوتها - والسبب في ذلك هو أنّ الذين دونوا لواقعة الطف العظيمة نظروا إليها من زوايا مختلفة، ونحن هنا نذكر بعض هذه الأساليب والطرق التي تناولها هؤلاء، وفي نفس الوقت نؤكد باننا لا نريد في هذه المقدمة المقتضبة تأييد أسلوب معين من هذه الأساليب أو نقده، مع تقديرنا الكامل لكلّ من دوّن لهذه الواقعة بأي أسلوب كان،

لأنّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام لها أبعاد مختلفة، ومن الطبيعي أن كلّ واحد من الذين كتبوا لهذه الحادثة تناول بعداً معيناً منها بالشرح والتحقيق. ولكي نقارن بين ما كتبناه في هذا الكتاب وبين ما ذكره الآخرون في آثارهم تكفي نظرة سريعة إلى تلك الآثار لكي نعرف أوجه التشابه والاختلاف في الأسلوب التي طرحت فيه هذه الحادثة.

١ - دوّن البعض حادثة كربلاء ورتبها باعتبارها حادثة تاريخية كبقية الحوادث، وقد دونها البعض بصورة مفصلة مثل «تاريخ الطبري» و «الكامل في التاريخ»، ونقلها البعض بصورة مختصرة جداً مثل «تاريخ اليعقوبي» و «مروج الذهب»، فيما نقلها البعض بصورة غير مفصلة ولا مقتضبة جداً ك «الارشاد» للشيخ المفيد، و «مثير الأحران» لابن نما و «الملهوف» للسيد ابن طاووس.

٢ - هناك بعض المؤرخين لم يدوّنوا مقتل بصورة مباشرة، ولكنهم ذكروها ضمن حياة الامام الحسين عليه السلام وفضائله مناقبه، كالمجلسي في «بحار الأنوار» والبحراني في «العوالم» وعبدالله شبر في «جلاء العيون»، والأربلي في «كشف الغمّة»، وابن شهر آشوب في «المناقب».

٣ - قسم آخر من المؤرخين نظروا إلى ثورة عاشوراء نظرة تحليلية، حيث كتبوا على دروس الشجاعة والصبر والتضحية والايثار والوفاء والايمان والاخلاص وحبّ الله وغير هذه الدروس التي يمكن استخلاصها من واقعة عاشوراء، ومن هذه الكتب «سمو الذات» للعلايلي و «حياة الامام الحسين» للقرشي وغيرها.

٤ - وقسم آخر من الكتاب اعتبروا واقعة عاشوراء نهضة ثورية، ودوّنوا الواقعة من هذا الباب، ومن هذه الكتب التي جمعت الاحداث الحماسية في هذه الواقعة وذكروا ما يتعلّق بها هو كتاب «الملحمة الحسينية» للشهيد المطهري.

٥ - قسم آخر من المؤلفين أخذوا يبحثون عن الأسباب التي دعت الامام الحسين عليه السلام للنهوض بوجه بني أميّة، وأفاضوا في ذكر العلل التي دعت الامام

الحسين للثورة .

النقاط السابقة التي تم ذكرها هي خلاصة لما دوّن عن الامام الحسين عليه السلام في الكتب والمقاتل المختلفة التي ألّفت حول واقعة عاشوراء .

اسلوب البحث

إنّ المسألة المهمة التي اهتمنا بها في تدوين هذا الكتاب هي حركة الإمام وأهل بيته عليه السلام وأصحابه، هذه الحركة التي بدأت من المدينة وختمت بالمدينة كذلك، وقد تناولنا هذه الحركة في خمسة أسفار هي :

السفر الأوّل : الحركة من المدينة إلى مكّة، والهدف منها الامتناع عن بيعة يزيد، والاتجاه إلى مكان مناسب لكي يرسل الإمام عليه السلام البلاغ إلى مسلمي العالم لرفض بيعة يزيد وعدم لياقته لتولي خلافة المسلمين، وكان ذلك من خلال خطاباته الثورية ورسائله إلى شيعته في الكوفة والبصرة .

السفر الثاني : الحركة من مكّة إلى العراق، والتي كان ظاهرها الاستجابة لدعوة أهل الكوفة الذين كتبوا المئات من الرسائل للإمام الحسين وبعثوا العديد من الاشخاص لدعوة الامام الحسين عليه السلام للقدوم إليهم، وفي الواقع إنّ هذه الحركة من قبل الامام الحسين عليه السلام هي لاداء رسالته العظيمة التي كان يحملها، وكانت هذه النهضة العظيمة في طريق سعادة ومعرفة وتوعية الأمة بالواقع الفاسد ومحاولة القضاء على هذا الواقع، ويتبيّن ذلك من خلال العديد من الكلمات التي كان يرّددها الامام الحسين عليه السلام ويذكر من خلالها السبب الحقيقي لهضته، فلقد بيّن فلسفة نهضته بقوله عليه السلام : «... إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مُفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر...»^(١). وكانت نهاية هذا الطريق الذي اختاره الحسين عليه السلام هي الشهادة،

وكان عليه السلام يعلم جيداً بهذه النهاية، فلقد قال عليه السلام: قال لي رسول الله ﷺ: «شاء الله أن يراك قتيلاً»، وقال كذلك: «أمرني رسول الله ﷺ بأمر وأنا ماضٍ فيه».

السفر الثالث: حركة أهل البيت عليه السلام إلى الشام وحملهم بلاغ الامام الحسين عليه السلام.

السفر الرابع: الحركة من الشام إلى كربلاء وإقامة مراسم العزاء والمأتم على الإمام الحسين عليه السلام بجوار قبره الشريف وقبور أهل بيته وأصحابه.

السفر الخامس: العودة إلى المدينة.

والخلاصة فقد تمّ تدوين هذا الكتاب على ضوء هذه الأسفار، لأنّه قبل وبعد وبين هذه الأسفار هناك العديد من الحوادث، وقد قمنا بتقسيم الجزء الأول من الكتاب إلى عشرة فصول، وخلال الفصول العشرة تلك، قمنا بنقل أغلب الحوادث التي حدثت في تلك المرحلة.

خصائص هذا البحث

- ١ - ترتيب الكتاب وفق حركة الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى المدينة.
- ٢ - ذكر الأسماء والمطالب المتعلقة بالمنازل التي مرّ منها الإمام الحسين عليه السلام في حركته من مكّة إلى كربلاء، وذكر لقاءات الإمام مع بعض الأفراد في تلك المنازل.
- ٣ - احصاء وذكر أسماء شهداء كربلاء والذين تعدوا الاثنان والسبعون شهيداً.
- ٤ - وضع ترجمة لكل واحد من أصحاب الإمام عليه السلام وذكر ذلك في المتن أو الحاشية.

٥ - ترجمة العديد من الأشخاص الذين ذكروا في هذه الواقعة.

٦ - ذكر أسماء الأشخاص الذين قدموا مع الإمام عليه السلام إلى كربلاء ولكنهم لم يستشهدوا لأسباب مختلفة.

٧ - احصاء أسماء النساء والأطفال الذين أُسروا بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

٨ - ذكر أسماء المنازل التي مرّ بها السبايا في مسيرهم إلى الشام.

٩ - ذكر العديد من الروايات والأحاديث التي تحدّثت عن شهادة الإمام الحسين عليه السلام والأحداث التي حدثت بعدها .
والجدير ذكره هنا بأنّ الأمور الآتفة الذكر قد ورد ذكرها في المقاتل المختلفة بصورة متفرقة، ويمتاز كتابنا هذا بترتيبها بهذه الصورة .

اسم الكتاب

من الضروري الانتباه هنا إلى أنّ اسم الكتاب قد استوحيناه من القرآن الكريم، لأنّ الله تعالى عبر في القرآن عن الأحداث والوقائع بـ «القصّة»، فهو يتحدّث عن أصحاب الكهف بقوله: ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾^(١).

وكذلك عندما يتحدّث القرآن عن حياة الأنبياء عليهم السلام فيعبر عنها بـ «القصص» كما في قوله تعالى في سورة غافر: ﴿ولقد أرسلنا رُسلًا من قبلك منهم من قصصنا عليك﴾^(٢)، وقوله في سورة النساء: ﴿ورسلًا قد قصصنا عليك من قبل﴾^(٣)، وكذلك قال في سورة هود: ﴿وكلّا نقص عليك من أنباء الرسل ما تُثبت به فؤادك﴾^(٤).

وكذلك نجده جلّ شأنه طلب من رسوله الكريم ﷺ، ذكر القصص للناس كما في قوله: ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكّرون﴾ .

كما ذكر «القصّة» في أحداث أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿ذلك من أنباء

(١) الكهف: ١٣ .

(٢) غافر: ٧٨ .

(٣) النساء: ١٦٤ .

(٤) هود: ١٢٠ .

القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد^(١) و ﴿ كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق ﴾^(٢).

على كل حال فإن معنى «القصة» هو تتبع الأثر^(٣)، وعندما نعود إلى الأحداث التاريخية الماضية نجد أن حادثة كربلاء واستشهاد الحسين عليه السلام تعتبر من أكبر الوقائع والأحداث التي حدثت في التاريخ الاسلامي، وكما هو المعروف ان الحديث عن قصة معينة في القرآن الكريم ليس الهدف منه سرد أحداث القصة وحسب، بل هو دعوة للتفكير والحركة والعبرة والوعى الذي يريده الله من عباده .

وكذلك سردنا هنا لقصة كربلاء، هي دعوة للعبرة والوعى من هذا الحدث التاريخي الهام، ومعرفة أبعاد الحادثة المختلفة، وبالتالي الاهتداء وهداية الأمة بسيرة الحسين عليه السلام .

ملاحظة ضرورية

نلفت انتباه قارئنا العزيز بأننا قد اعتمدنا في سردنا لأحداث قصة كربلاء على مصادر عديدة معتبرة، وقد ذكرناها في محلّها، ونظراً لتنوع المصادر واختلافها في سرد بعض أحداث القصة فقد يجد القارئ بعض الاختلاف في الكتاب مع مصادر أخرى، وكما قلنا أن سبب ذلك يعود لاختلاف المصادر فيما بينها، ولكنّا في كتابنا هذا حاولنا ترتيب الحدث بشكل لا يختلف مع عموم المصادر المذكورة، بل قد نقل في بعض الأحيان عبارتين مختلفتين لحادثة واحدة، والسبب هو الحفاظ على أمانة النقل من المصدر .

علي نظري منفرد

(١) هود: ١٠٠ .

(٢) طه: ٩٩ .

(٣) مفردات الراغب: ٤١٩ .

المُفَرِّدَةُ

من أبرز الأفراد الذين أثروا في المسيرة الانسانية على طول التاريخ وساهموا في بناء الفكر الانساني الرفيع، وحققوا القيم الفردية والاجتماعية، هو سيّد الشهداء أبي عبدالله الحسين عليه السلام.

لقد أزاح الحسين عليه السلام بنور هدايته ذلك الظلام الدامس الذي كان يحيط بحركة المجتمع المعنوية والتكاملية، وكانت نهضته المباركة ايذاناً ببدء طلوع فجر الهداية أمام قلوب الباحثين عن طريق السعادة.

لقد علّم الحسين عليه السلام أبناء الأمة العديد من الدروس، باعتباره المعلم الحقيقي لتحقيق رسالة جدّة الرسول الأكرم ﷺ في جهاد ومقاومة مظاهر الفساد والقضاء على الظلم والجور وإقامة حكومة الايمان والعدل.

لم يبحث الحسين عليه السلام في نهضته تلك عن موقع سياسي أو جاه معين أو منافع مادية ودنيوية، فالشيء الوحيد الذي كان يفكر به الامام الحسين في ثورته هو اخراج الضالين من الضلالة إلى صراط الهداية^(١).

كان قيامه عليه السلام لاجل هداية الأمة الاسلامية إلى الصلاح والفلاح، واقامة حكم الله من خلال اجراء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع الاسلامي، ولهذا نجده يصرّح ويقول: «... إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مُفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ، أريد أن آمر بالمعروف

(١) «...وَبَدَلَ مُهْجَتَهُ فِيكَ لِيَسْتَنْقِذَ عِبَادَكَ مِنَ الْجَهَالَةِ، وَحَيْرَةِ الضَّلَالَةِ...»، مصباح المتهجد: ٥٥١ (زيارة الأربعين).

وأنهى عن المنكر...» .

إنّ قدسية هدفه ﷺ ونيته الخالصة، هما السرّ الحقيقي وراء خلود ذكره واسمه ﷺ عند الأمم والشعوب، ولم ينسه الناس أبداً لأنّه كان أسوة لجميع الخيّرين .

الحسين ﷺ في هذا المقطع الحساس من التاريخ الاسلامي لم يتحمّل ما تعرض له الاصول المسلّمة الاسلامية حالة الانحراف والفساد التي أصابت الأمة الاسلامية من خلال انتشار البدع ورواج الفساد والانحراف .

نعم لم يتحمّل الامام ذلك لأنّه يعتبر أحد القادة الربانيين الذين يجب عليهم مواجهة العناصر المنحرفة لبني أميّة الجائرين، لقد كان يشعر بالمسؤولية الملقة على عاتقه، لذا بذل كلّ طاقته للوقوف بوجه ظلم وطغيان بني أميّة، خصوصاً أنّ من بدأ هذه النهضة ضد هذا الانحراف الأموي هما أبيه علي وأخيه الحسن ﷺ في سنوات صعبة وطويلة .

يقول عنه ابن أبي الحديد: سيّد أهل الإياء، الذي علّم الناس الحميّة والموت تحت ظلال السيوف، اختياراً له على الدنيّة، أبو عبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، عُرض عليه الأمان وأصحابه، فأنف من الذلّ، وخاف من ابن زياد أن يناله بنوعٍ من الهوان، إن لم يقتله، فاختر الموت على ذلك. (١)

في هذه المقدّمة نوّد أن نذكر بعض الأمور التي تتعلق بهذه الشخصية التي قلّ مثيلها في التاريخ، والتي لا زالت في قلوب محبّيها بالرغم من مرور هذه القرون العديدة يستلهمون منها معاني العزّة والحياة، ويتعلمون معنى رسالة الدم الذي ارسلها الامام الحسين ﷺ لاهياء الاسلام والقرآن بعد أن حاول الأعداء من

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ٢٤٩ .

طمسهما، وذكر ابعاد تضحيته وايشاره ﷺ التي حيّرت العالمين في الأرض، وملائكة الله في السماء.^(١)

* * *

عن أمّ الفضل بنت الحارث^(٢) زوجة العباس بن عبد المطلب : أنّها دخلت على رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله أتني رأيت حلماً الليلة ، قال : وما هو ؟ قالت : أنّه شديد . قال : وما هو ؟ قالت : رأيت كأنّه قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري !

فقال رسول الله ﷺ : رأيت خيراً ، تلد فاطمة - إن شاء الله - غلاماً فيكون في حجرك .

فولدت فاطمة الحسين فكان في حجري فدخلت يوماً إلى رسول الله ﷺ فوضعت في حجره ، ثم حانت منّي التفاتة ، فإذا عينا رسول الله ﷺ تهريقان من الدموع !

قالت : فقلت : يا نبيّ الله بأبي أنت وأمي ما لك ؟ قال : أتاني جبرئيل عليه الصلاة والسلام فأخبرني أنّ أمّتي ستقتل ابني هذا .

فقلت : هذا ؟!

فقال : نعم ، وأتاني من تربته حمراء .^(٣)

(١) «قد عجبت من صبرك ملائكة السموات» (زيارة الناحية المقدسة) .

(٢) لبابة بنت الحارث الهلالية، الشهيرة بأمّ الفضل، زوجة العباس بن عبد المطلب، ولدت من العباس سبعة، أسلمت بمكة بعد إسلام خديجة، وكان رسول الله ﷺ يزورها ويقيم في بيتها، توفيت نحو ٣٠ هـ. انظر: الإصابة: ترجمة رقم ٩٤٢ و ١٤٤٨، الجمع بين الصحيحين: ٦١٢، الأعلام ٥: ٢٣٩ .

(٣) مستدرک الصحيحين ٣: ١٢٧، دلائل النبوة ١: ٢١٣، الصواعق المحرقة: ١١٥، الخصائص الكبرى

٢: ١٢٥، الفصول المهمة ١٥٤، كنز العمال ٦: ٢٢٣ .

رسول الله ﷺ وولادة الحسين ﷺ

عن أسماء بنت عميس : لما ولد الحسين جاءني النبي ﷺ فقال : يا أسماء هاتي ابني فدفعته إليه في خرقة بيضاء ، فأذن في أذنه اليمنى ، وأقام في اليسرى ، ثم وضعه في حجره وبكى .

قالت أسماء : فقلت : فذاك أبي وأمي ممّ بكأوك ؟ !

قال : على ابني هذا .

قلت : أنه ولد الساعة !

قال : يا أسماء تقتله الفئة الباغية لا أنالهم الله شفاعتي .

ثم قال : يا أسماء لا تخبري فاطمة بهذا ، فأنها قريبة عهد بولادته ...^(١)

مراسم الولادة والتسمية

عندما ولد الإمام الحسين، أخذه رسول الله ﷺ ، فأذن في أذنه اليمنى ، وأقام في اليسرى ، ثم سمّاه الحسين ﷺ .^(٢)

يقول المؤرخون: ان العرب في زمن الجاهلية لم يكونوا يعرفوا اسم الحسن والحسين، وإن هذين الاسمين أوحى بهما الله تعالى إلى رسوله الكريم لكي يطلقهما

الخصائص الكبرى ٢ : ١٢٥ ، الفصول المهمة ١٥٤ ، كنز العمال ٦ : ٢٢٣ .

(١) ذخائر العقبى : ١١٩ ، مقتل الحسين للخوارزمي ١ : ٨٧ ، الفصول المهمة لابن الصبّاغ : ١٥٤ ، الخصائص الكبرى للسيوطي ٢ : ١٢٥ .

وذكر الشيخ الصدوق في الأمالي (مجلس ٦٨ ح ٥) : ان النبي ﷺ أعطى الحسين ﷺ بعد ولادته الى عمته صفية بنت عبد المطلب وقال : لعن الله فئة تقتلك يا بني - قالها ثلاثاً - ، فقالت صفية: فذاك أبي وأمي من يقتله؟ فقال: «بقية الفئة الباغية من بني أمية لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة». والظاهر كلمة «بقية» تصحيف والصحيح: «تقتله» .

(٢) كشف الغمّة ٢ : ٣ و ٤ .

على أبناء ابنته فاطمة عليها السلام.^(١)

وقال السيوطي: الحسن والحسين اسمين من أسماء أهل الجنة، ولم يطلقهما العرب على أولادهما قبل ولادة الحسن والحسين.^(٢)

فلما كان يوم سابعه عقّ عنه بكشين أملحين، وأعطى القابلة فخذاً، وحلق رأسه، وتصدّق بوزن الشعر ورقاً، وطلّى رأسه بالخلوق^(٣).^(٤)

ملاحه عليه السلام

وبدت في ملامح الحسين عليه السلام ملامح جدّه الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله فكان يحاكيه في أوصافه، كما كان يحاكيه في أخلاقه التي امتاز بها على سائر النبيّين .

ووصفه محمد بن الضحاك فقال: «كان جسد الحسين يشبه جسد رسول الله صلّى الله عليه وآله»؛ وقيل: إنّه كان يشبه النبي صلّى الله عليه وآله ما بين سرته إلى قدميه^(٥).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من سرّه أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله صلّى الله عليه وآله ما بين عنقه وثرغره فليُنظر إلى الحسن، ومن سرّه أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله صلّى الله عليه وآله ما بين عنقه إلى كعبه خلقاً ولوناً فليُنظر إلى الحسين بن علي»^(٦).

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لقد أعطيت الحسن حلمي وشمائلي، وأعطيت

(١) أسد الغابة ٢: ١١.

(٢) تاريخ الخلفاء: ١٨٨.

(٣) الخلق: طيب معروف مركّب يتّخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب وتغلب عليه الحمرة والصفرة.

(٤) بحار الأنوار ٤٣: ٢٣٩.

(٥) حياة الامام الحسين للقرشي ١: ٣٦.

(٦) حياة الامام الحسين ١: ٣٦ نقلاً عن المعجم الكبير للطبراني.

المحن والخطوب التي لا يطيقها أي كائن حي من بني الانسان.^(١)
قال الحسن البصري: كان الحسين سيّداً، زاهداً، ورعاً، صالحاً، ناصحاً،
حسن الخلق.

والحقيقة أنّ صفات الإمام الحسين عليه السلام كثيرة، منها:

١- شمائل الحسين عليه السلام في القرآن:

في القرآن الكريم - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - العديد
من الآيات القرآنية التي تحدّثت بصراحة أو بإشارة عن أهل بيت الرسول ﷺ ومن
هذه الآيات الناطقة بفضلهم:

١- آية المودة: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرِفْ
حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾^(٢).

لقد فرض الله على المسلمين مودة أهل البيت عليه السلام، وقد ذهب جمهور
المسلمين إلى أنّ المراد بالقرى هم علي وفاطمة وابناهما الحسن والحسين، وان
اقتراف الحسنة إنّما هي في مودّتهم ومحبتهم.

قال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية قلت: يا رسول الله، من هم قرباك الواجب
علينا محبتهم.

فقال صلوات الله عليه: علي وفاطمة وولديهما.^(٣)

(١) حياة الإمام الحسين ١: ٤٣.

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) فقد روى الجمهور أنّ هذه الآية نزلت في قرى النبي ﷺ أمير المؤمنين وفاطمة والحسن
والحسين عليهم السلام.

راجع: شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ٢: ١٨٩-٢١١ ح ٨٢٢-٨٤٤، الصواعق =

الحسين شجاعتي وسخاوتي .

فقال فاطمة عليها السلام: يا رسول الله، لقد رضينا بعطائك ^(١).

ووصفه بعض الشهداء من أصحابه في رجز كان نشيداً له في يوم الطف يقول:

له طلعة مثل شمس الضحى له غرّة مثل بدر منير

شخصيته عليه السلام

تلاحظ شخصية كلّ انسان من خلال الصفات الخاصّة التي يتمتّع بها، ويمثّل الايمان، الجهاد، الايثار، الاستقامة، العفاف، الاخلاص، الزهد، والتقوى أهم هذه الصفات .

وقد يمتاز البعض بقسم من هذه الصفات، فيما يمتاز بعض آخر بقسم معين آخر من هذه الصفات، ومن غير الممكن تحقق هذه الصفات مجتمعة في شخصية غير معصومة .

وهذه الصفات وغيرها اجتمعت في شخصية الإمام الحسين عليه السلام، فلقد امتاز الامام بكلّ الفضائل والكمالات الأخلاقية .

لقد توفّرت في سبط الرسول صلى الله عليه وآله وريحانته الإمام الحسين عليه السلام جميع العناصر التربوية الفدّة التي لم يظفر بها غيره، فأخذ بجوهرها ولبابها وقد أعدته لقيادة الأمة، وتحمل رسالة الاسلام بجميع أبعادها ومكوناتها، كما أمدته بقوى روحية لا حدّ لها من الايمان العميق بالله، والخلود إلى الصبر على ما انتابه من

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٧: ١١٨ .

وروى جابر بن عبدالله قال : جاء اعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد اعرض عليّ الاسلام ، فقال ﷺ : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .

قال الاعرابي : تسألني عليه أجراً ؟

قال ﷺ : لا ، إلا المودة في القربى .

الاعرابي : قرباي أم قرباك ؟

الرسول ﷺ : قرباي .

الاعرابي : هات أبايك ، فعلى من لا يحبك ، ولا يحبّ قرباك لعنة الله .

قال ﷺ : آمين .^(١)

والمودة - كما هو معلوم - أكبر من الحب .

يقول الرسول الأكرم ﷺ يقول : «يا عليّ أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة ، من أحبك فقد أحبني ، ومن أبغضك فقد أبغضني ، وحبيبي حبيب الله ، وبغضك بغض الله ، والويل لمن أبغضك»^(٢) .

وقال كذلك : «من مات على حبّ آل محمد مات شهيداً ، ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات مغفوراً له ، ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات تائباً ، ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان ، ألا ومن مات على

= المحرقة لابن حجر الشافعي : ١٦٩ ، كفاية الطالب للكنجي الشافعي : ٩١ و ٩٣ و ٣١٣ ط الفارابي و ٣١ و ٣٢ و ١٧٥ و ١٧٨ ط الغري ، التفسير الكبير للرازي ٢٧ : ١٦٦ ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : ١٠٦ و ١٩٤ و ٢٦١ ط إسلامبول و ١٢٣ و ٢٢٩ و ٣١١ ط الحيدرية ، فرائد السمطين ١ : ٢٠ و ج ١٣ : ٢ ح ٣٥٩ ، إحقاق الحق للتستري ٣ : ٢ - ٢٢ .

(١) حلية الأولياء ٣ : ٢٠١ .

(٢) المستدرک للحاكم ٣ : ١٣٨ ح ٤٦٤٠ (قال : حديث صحيح على شرط الشيخين) .

حب آل محمد بشّره ملك الموت بالجنة...»^(١).

٢ - آية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٢).

روى محب الدين الطبري في ذخائر العقبى، عن عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله ﷺ قال نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ في بيت أم سلمة رضي الله عنها فدعى النبي ﷺ فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

قالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟

قال: «أنت على مكانك وأنت على خير»^(٣).

وقد أكد النبي صلوات الله عليه بذلك اختصاص الآية بأهل بيته، ونفاها عن

(١) تفسير الكشاف للزمخشري ٣: ٤٦٧، تفسير الفخر الرازي ٢٧: ١٦٦.

أقول: قال الإمام الشافعي:

يا أهل بيت رسول الله حبّكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الفضل أنكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

فإذا كانت محبتهم نزل بها القرآن وجعلها فرض على أهل القبلة كافة كما اعترف بذلك الإمام الشافعي، وإذا كانت مودّتهم هي أجر الرسالة المحمدية كما نطق صريح البيان، وإذا كانت مودّتهم عبادة يتقرّب بها إلى الله، فما بال «البعض» لا يقيمون لأهل البيت وزناً ولا ينزلونهم إلا دون منزلة الصحابة. [البدر]

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) ومن المصادر التي ذكرت ذلك، راجع: صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ ٤: ١٨٨٣ ح ٦١، سنن الترمذي ٥: ٣٢٧ ح ٣٢٥، المستدرک للحاكم ٣: ١٣٣، شواهد التنزيل للحسكاني ٢: ١٨ - ١٣٩ ح ٦٣٨ - ٧٧٤، أسباب النزول للواحدي: ٢٠٣، أسد الغابة ٥: ٥٢١، فرائد السمطين ٢: ٩ ح ٣٥٦، وغيرها الكثير من المصادر المعتمدة عند الجمهور.

غيرهم ارشاداً للأمة وإلزاماً لها باتباعهم وتسليم قيادتها لهم .

٣- آية المباهلة: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١).

ومن جملة الآيات التي ذكرت فضائل وعظمة شخصية سيّد الشهداء عليه السلام هي آية المباهلة، والتي رويت باتفاق المسلمين .

فقد أجمع الجمهور^(٢) على أن هذه الآية الشريفة نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وأُمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام وذلك لما أراد المباهلة مع نصارى نجران.^(٣)

إن آية المباهلة تبين بوضوح عظمة وجلالة ومقام الإمام الحسين عليه السلام وقربه من الله .

٢- شمائِل الحسين عليه السلام في الروايات

في السنة النبوية كوكبة ضخمة من الأحاديث نطق بها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله

(١) آل عمران : ٦١ .

(٢) وقد أخرجت كتبهم وتفسيرهم العديد من الروايات التي تؤكد ذلك منها:

١- «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة».

٢- «حسين مني وأنا منه أحب الله من أحب حسيناً».

٣- «من أحب الحسن والحسين فقد أحبّني ومن أبغضهما فقد أبغضني» . (طبقات ابن

سعد، ترجمة الإمام الحسين: ٢٦ - ٢٨) .

(٣) راجع: شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ١ : ١٥٥ - ١٦٦ ح ١٦٨ - ١٧٦ ،

المستدرك للحاكم : ٣ : ١٥٠ ، أسباب النزول للواحدي : ٥٨ - ٥٩ ، صحيح مسلم ٤ : ١٨٧١ ح

٣٢ ، سنن الترمذي ٥ : ٢١٠ ح ٢٩٩٩ ، إحقاق الحق للتستري ٣ : ٤٦ - ٦٢ .

أبرزت معالم شخصية الإمام الحسين عليه السلام وحددت أبعاد فضله على سائر المسلمين... وقد تضافرت النصوص بذلك، وتواترت وهي على طوائف بعضها ورد في أهل البيت عليهم السلام مما هو شامل للإمام الحسين قطعاً، وبعضها الآخر ورد فيه وفي أخيه الحسن عليه السلام، وطائفة ثالثة وردت فيه خاصة، وإليك - قارئنا العزيز - هذا الغيض من الفيض ^(١):

- ١ - لا يؤمن عبد لله حتى أكون أحب إليه من نفسه، وتكون عترتي أحب إليه من عترته، ويكون أهلي أحب إليه من أهله.
- ٢ - من أحببني وأحب هذين (الحسن والحسين) وأباهما وأُمَّهما كان معي في درجتي يوم القيامة.
- ٣ - شفاعتي لأُمّتي من أحب أهل بيتي وهم شيعتي.
- ٤ - يرد الحوض أهل بيتي ومن أحبهم من أُمّتي كهاتين.
- ٥ - أدّبوا أولادكم على ثلاث: حب نبيكم، وحب أهل بيتي، وعلى قراءة القرآن.

- ٦ - من أحب هذا فقد أحببني - يعني الحسين عليه السلام -.
- ٧ - أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين مجتمعون ومن أحببنا.
- ٨ - اللهم أني أحبه فاحبه، وأحب من يحبه - قاله للحسن -.
- ٩ - من أحببهما فقد أحببني، ومن أبغضهما فقد أبغضني - قالها للحسين -.

(١) للاطلاع أكثر انظر: صحيح البخاري، كتاب الأدب، صحيح الترمذي ٢: ٣١٩، سنن ابن ماجه ١: ٥٢، المستدرک للحاکم ٣: ١٤٩، أسد الغابة ٥: ٥٢٣، مسند أحمد ٢: ٤٤٢، فضائل الخمسة من الصحاح الستة ٣: ١٨٣، تاريخ بغداد ٧: ٣٦، كنز العمال ٦: ١١٦، الصواعق المحرقة ١١١، مجمع الزوائد ٩: ١٦٣، سير أعلام النبلاء ٢: ١٨٩.

- ١٠ - اللهم أني أحبهما فأحبهما ، وأحب من يحبهما - قالها للحسين - .
- ١١ - من أحبّني فليحبّ هذين - قالها للحسين - .
- ١٢ - الله مولاي أولى بي من نفسي لا أمر لي معه ، وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم لا أمر لهم معي ، ومن كنت مولاه أولى به من نفسه لا أمر له معي ، فعلي مولاه ، أولى به من نفسه لا أمر له معه .
- ١٣ - من أحبّ علياً فقد أحبّني ، ومن أحبّني فقد أحبّ الله .
- ١٤ - لا يحبّنا أهل البيت إلّا مؤمن تقي .
- ١٥ - إنّ مثل أهل بيتي فيكم كمثّل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق .
- ١٦ - إنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل من دخله غفر له .
- ١٧ - من فارقني فقد فارق الله ، ومن فارقك يا علي فقد فارقني .
- ١٨ - يا علي من أحبّك فقد أحبّني ، ومن أبغضك فقد أبغضني .
- ١٩ - لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره ما عمل به ، وعن ماله ممّا اكتسبه وفيما أنفقّه ، وعن حبّنا أهل البيت ...
- ٢٠ - أيّها الناس ، من أحبّ علياً فقد أحبّني ، ومن أحبّني فقد أحبّ الله ، ومن أبغض علياً فقد أبغضني ، ومن أبغضني فقد أبغض الله .
- ٢١ - من أحبّ هؤلاء فقد أحبّني ، ومن أبغضهم فقد أبغضني - يعني علياً وفاطمة والحسين - .
- ٢٢ - أني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض .

٢٣ - اللهم أني أحبهما فأحبهما ، ومن أحبهما فقد أحببني - الحسين - .
 ٢٤ - أني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا ؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي .

٢٥ - لا يحبك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق - قاله لعلي - .
 ٢٦ - ألا إن علي بن أبي طالب من نسبي ، من أحبه فقد أحببني ، ومن أبغضه فقد أبغضني .

٢٧ - آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ : اخلفوني في أهل بيتي .
 ٢٨ - أوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب .
 ٢٩ - أن علياً راية الهدى ، وإمام أوليائي ، ونور من أطاعني .
 ٣٠ - حسين مني وأنا من حسين ، أحب الله من أحب حسيناً .
 ٣١ - من أراد التوسل إليّ ، وأن يكون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة ، فليصل أهل بيتي ويدخل السرور عليهم .

٣٢ - لا يؤمن رجل حتى يحب أهل بيتي بحبي ، فقال له عمر بن الخطاب : وما علامة حب أهل بيتك ؟ قال : حب هؤلاء . وضرب بيده على علي .

٣٣ - محبك محبي ، ومبغضك مبغضي ، ومبغضي مبغض الله - قاله لعلي - .
 ٣٤ - انزلوا آل محمد منزلة الرأس من الجسد ، وبمنزلة العينين من الرأس .
 ٣٥ - والذي نفسي بيده لا يدخل قلب امرئ الايمان حتى يحبهم الله ولقرايتي .

٣٦ - أيها الناس : أوصيكم بحب ذي قرنيها : أخي وابن عمي علي بن أبي طالب ، فإنه لا يحبه إلا مؤمن ، ولا يبغضه إلا منافق .

٣٧ - ما بال رجال يؤذوني في أهل بيتي ، والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد

حتى يحبّتي ، ولا يحبني حتى يحبّ فيّ ذويّ .

٣٨ - أهل بيتي أمان لأهل الأرض ، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض .

٣٩ - من أراد أن ينظر إلى سيّد شباب أهل الجنّة فليُنظر إلى الحسين بن عليّ .

٤٠ - هذا - يعني الحسين - إمام ابن إمام أخو إمام ، أبو أئمة تسعة .

فهذه الأربعين في حبّ أهل بيت سيّد المرسلين ، ما هي إلا قطرة من بحر ممّا زخرت به كتب الحديث عند أهل السنّة ، فقد رواها أبو هريرة وعمر وأبو بكر وعبدالله بن عمر وعائشة وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس وأمّ سلمة وسعد بن أبي وقاص وسلمان الفارسي وعمّار بن ياسر وزيد بن أرقم وأنس بن مالك وغيرهم من الصحابة .

وحوتها كتب البخاري ومسلم والترمذي وأحمد ومالك وابن ماجّة والنسائي والدارقطني والحاكم النيسابوري وابن حجر وابن الجوزي والطبراني والطبري وابن الأثير وغيرها من الكتب التي تعدّ بالمئات ، وهي جميعها أوسمة شرف ومجد قلّده بها ، اشعاراً منه بأنّ ظله ، وحقيقته ستمثل في هذا الطفل ، وسيكون صورة فذة لانسانيته العليا ، وأسراره العظمى .

القسم الأول

من المدينة إلى المدينة

قال الإمام الحسين عليه السلام :

انّي لا أرى الموت إلاّ سعادة
والحياة مع الظالمين إلاّ برما

الفصل الأول في المدينة

تبرّم شيعة العراق من معاوية

قال أربابُ السير والتاريخ: لما تنازل الحسنُ بن عليٍّ عليه السلام إلى معاوية بالخلافة في النصف من جمادى الأولى سنة ٤١ للهجرة، وتمّ الصلح بينهما على شروطٍ كثيرة، كان من بينها العمل بكتاب الله وسُنّة نبيه، وإرجاع الخلافة إلى الحسن عليه السلام - من بعده - وإن حدث به حدثٌ فإلى أخيه الحسين عليه السلام، وترك سبَّ عليٍّ عليه السلام وإعطاء الأمان العام لشيعة عليٍّ عليه السلام في جميع الأصقاع، وإيصال كل حق إلى صاحبه.

ولكنّ معاوية لم يلتزم بكل شرطٍ من تلكم الشروط التي اعطاها إلى الحسن عليه السلام وأشهدَ عليها من حضر مجلس الصلح من وجوه الصحابة والتابعين، فقد خطب الناس بعد ذلك في (النخيلة)^(١) أو في جامع الكوفة فكان مما قال:

«ألا وإن كلّ شرطٍ شرطته للحسن بن علي فتحته قدمي هاتين ولا أفي له بشيءٍ منها».

ثم أخذ معاوية - وهو على المنبر - ينالُ من عليٍّ والحسن عليه السلام غير مستأثمٍ ولا متُحرّجٍ.^(٢)

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ١٦، والنخيلة موضع قرب الكوفة.

(٢) قال المفيد في الارشاد (باب الامام الحسن): «ثم سار - أي معاوية - حتى دخل الكوفة، فأقام بها أياماً، فلما استتمت البيعة له من أهلها، صعد المنبر، فخطب الناس وذكر أمير المؤمنين عليه السلام ونال منه ونال من الحسن عليه السلام ما نال، وكان الحسن والحسين عليه السلام حاضرين، =

وأخذ - بعد ذلك - في نقض جميع الشروط، فغَيَّرَ أحكام الله وعبث بكتاب الله وسنة نبيه - حسب هواه - وطارَدَ الشيعة في كل صُقْعٍ وبلادٍ وأمر بهدم دُورهم، وتسيب عوائلهم، وقتل الوجهاء منهم وأهل الإيمان والصلاح من الصحابة والتابعين أمثال رُشيد الهجري^(١) وعمر بن الحَمِقِ الخُزاعي^(٢) وجُويرة بن مُسهر العبدي^(٣) وعبد الله بن يحيى الحضرمي وأصحابه^(٤) وحجر بن عدي الكندي^(٥) وأصحابه واخوانهم من وجهاء الشيعة في العراق.

قالوا: لما كان ذلك كله من معاوية استشاطت نفوس الشيعة في كل مكان

= فقام الحسين عليه السلام ليرد عليه، فأخذ بيده الحسن عليه السلام وأجلسه، ثم قام فقال: أيها الذاكر علياً، أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة وأمك هند، وجدّي رسول الله وجدك حرب، وجدتي خديجة وجدتك فتيلة، فلعن الله أحمِلنا ذكراً والأمننا حسباً وشرفاً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً...». ومثله في كشف الغمّة ٢: ١٦٩.

(١) من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام المخلصين، قتله زياد بأمر معاوية لتشييعه، فقطع لسانه وصلبه.

(٢) طعنه عبد الرحمن بن عبد الله الثقفي حاكم الموصل بامر معاوية تسع طعنات، فمات في الأولى أو الثانية، ثم احتز رأسه وبعثه الى معاوية، فأمر معاوية أن يطاف به في الشام وغيره، فكان أول رأس طيف به في الاسلام. انظر: الاستيعاب ٢: ٥١٧.

(٣) أمر معاوية ففُطعت يده ورجله وصُلِب على جذع قصير.

(٤) ذكر المجلسي في بحاره (١٠: ١٠٢): أنهم تركوا الكوفة بعد مقتل علي عليه السلام وبنوا لهم صومعة خارج الكوفة يتعبدون فيها، فلما علم معاوية بجزعهم وحزنهم على قتل علي عليه السلام أمر باحضارهم عنده، فلما حضروا بين يديه، أمر بقتلهم جهراً....

(٥) حجر بن عدي من فضلاء الصحابة، وشيخ قبيلة كندة، شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام الجمل وصفين والنهروان، سكن الكوفة بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، استشهد صبراً في مرج عذراء سنة ٥١ هـ بأمر معاوية.

روى أحمد: قال يحيى بن سليمان: هل تعلم ان حجر بن عدي مستجاب الدعاء؟ قلت: نعم، وهو من أفضل أصحاب النبي ﷺ. «الاستيعاب ١: ٣٢٩».

فأخذت تحاول الانتفاضة عليه من جديد، وتركزت موجة السخط أكثر في غالبية أهل العراق، خصوصاً بعد ملاحقة الكثير من زعمائهم من قبل السلطة الأموية الغاشمة، فهناك عقد الشيعة أول اجتماعٍ خطير في الكوفة حضره عامة الزعماء وأولي الرأي منهم، ونظّموا مذكرة شفوية خطيرة استعرضوا فيها الجرائم التي ارتكبتها معاوية وعدم التزامه ببنود المصالحة بينه وبين الحسن بن علي عليه السلام، وبعثوا بتلك المذكرة الشفوية على لسان وفدٍ محترم مؤلف من عليّة القوم إلى المدينة، لمواجهة الامام الحسن أولاً يطلبون منه الانتفاضة في وجه معاوية ومعاودة الكرّة، ونقض البيعة لعدم وفائه بشروط التنازل. فان امتنع الحسن من قبول طلبهم، فيواجهون بذلك الامام الحسين عليه السلام لعله يستجيب هو الآخر لطلبهم لما تلمّسوه منه شدة السخط والغضب على انحرافات معاوية وتصرفاته المعادية.

وخرج الوفد من الكوفة يجذّ السير حتى دخل المدينة، فتوجّهوا بالطلب إلى الإمام الحسن عليه السلام فلم يجدوا عنده جواباً شافياً لغيلهم فجاءوا إلى الإمام الحسين عليه السلام يطلبون منه التوسّط إلى أخيه الحسن عليه السلام في معاودة الكرّة، أو أن يقوم هو نفسه بذلك الأمر.

فأجابهم الحسين عليه السلام يقول: «قد كان صلحٌ وكانت بيعَةٌ كنتُ لها كارهاً، فانتظروا ما دام هذا الرجلُ (يعني معاوية) حيّاً، فإن يهلك نظرنا ونظرتهم» فانصرف الوفد راجعاً بهذا الجواب من الحسين عليه السلام إلى شيعة العراق.

قال البلاذري: فلم يكن شيء أحبّ إلى الشيعة من هلاك معاوية.^(١)

ولم تنقطع المواصلّة والمكاتبة بين شيعة العراق وبين الإمام الحسين عليه السلام فيما يخصّ الكرّة إلى مناجزة معاوية، ولكنهم ما كانوا يتلقون منه - في خلال تلك المدة - إلا الأمر بالصبر والتريث وانتظار الفرج.

(١) أنساب الأشراف ٣: ١٦١.

تحرك الشيعة بعد وفاة الحسن عليه السلام

فما إن توفي الحسن بن علي عليه السلام في اليوم السابع من شهر صفر سنة ٥٠ من الهجرة على أثر السم الذي دسّه إليه معاوية على يد زوجته جُعيدة بنت الأشعث، إلا وتحركت الشيعة في العراق من جديد، وعقدوا الاجتماعات المتواصلة في الكوفة، وكتبوا إلى الحسين عليه السلام كتاباً مزجوا فيه التعزية بوفاة أخيه الحسن عليه السلام واستنهاض في خلع بيعة معاوية ومناجزته جاء فيه:

«أما بعد فقد بلغنا وفاة الحسن بن علي، فسلاماً عليه يوم وُلد ويوم يموت ويوم يُبعث حيّاً، غفر الله ذنبه، وتقبل حسناته وألحقه بنبيه محمد ﷺ، وضاعف لك الأجر في المصاب فيه، وحرّ لك المصيبة من بعده، فعند الله تحتسبه، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ما أعظم ما أصيبت به هذه الأمة عامةً، وأنت وهذه الشيعة خاصة بهلاك ابن الوصي وابن بنت النبي، علّم الهدى، ونور البلاد المرجوّ لإقامة الدين، وإعادة سيرة الصالحين، فاصبر - رحمك الله - على ما أصابك، إنّ ذلك من عزّ الأمور، فإنّ فيك خلفاً ممن كان قبلك، وإنّ الله يُؤتي رُشده من يهتدي بهديك، ونحن شيعتك، المصابة بمصيبتك، المحزونة بحزنك، المسرورة بسرورك، السائرة بسيرتك، المنتظرة لأمرك، شرح الله صدرك، ورفع ذكرك، وأعظم أجرك، وغفر ذنبك، وردّ عليك حقك والسلام»^(١).

ولما قرأ الحسين عليه السلام كتابهم، كتب إليهم كتاباً جاء فيه:

«إني لأرجو أن يكون رأي أخي في المواقعة ورأيي في جهاد الظلمة رُشداً وسداداً، فالصقوا في الأرض واخفوا الشخص، والتمسوا الهدى - مادام ابنُ هندٍ

(١) تاريخ يعقوبي ٢: ٢٠٣، واكتفى البلاذري في أنساب الأشراف بذكر الفقرات الأخيرة من الكتاب.

حيّاً - فان يحدث به حدث - وأنا حي - يأتكم رأيي إن شاء الله»^(١).

ولكن الشيعة في العراق - خصوصاً أهل الكوفة - لم يتركوا المواصلات وإرسال الوفود والرسائل المتوالية إلى الحسين عليه السلام وهو يجيبهم بالصبر والترثيث وانتظار الفرج بموت معاوية.

فكان جوابه على آخر كتاب لهم سيّروه مع محمد بن بشر الهمداني وسفيان بن ليلى الهمداني - وهما على رأس وفد كبير من أهل الكوفة، جاء فيه - :
«ليكن كلّ امرئٍ منكم حليماً من أحلاس بيته مادام هذا الرجل (يعني معاوية) حيّاً، فان يهلك - وأنتم أحياء - رجونا أن يخير الله لنا، ويؤتينا رشدنا ولا يكلنا إلى أنفسنا، فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون».

وبعد ذلك بقليل قدم عليه المسيّب بن نجبة على رأس وفدٍ من الكوفة، يطالبون بخلع بيعة معاوية، وقالوا - فيما قالوا له - متأثرين:

«قد علمنا رأيك ورأي أخيك من قبل» فأجابهم الحسين عليه السلام:

«اني لأرجو أن يعطي الله أخي على نبيّته، وأن يعطيني على نيتي في حبي جهادَ الظالمين»^(٢).

وكانت هذه الوفود والرسائل بين الحسين عليه السلام وشيعته في العراق مكشوفة أمام أعوان السلطة الأموية، فرفعوا الأمر إلى معاوية. وممن كتب إلى معاوية في ذلك مروان بن الحكم - عامله على المدينة - ومما جاء في كتابه:

«أما بعد، فان عمرو بن عثمان ذكر أن رجلاً من أهل العراق ووجوه أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين بن علي، وأنه لا يؤمن وثوبه، وقد بحثت عن ذلك،

(١) إرشاد المفيد ٢: ٢٣٢، أنساب الأشراف ٣: ١٥٢، مناقب ابن شهر آشوب ٤: ٨٧.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٢٠: ٣٤٠.

فبلغني أنه لا يريد الخلافة يومه هذا، فاكتب إليّ برأيك والسلام». وكتب مروان إلى معاوية بعد ذلك كتاباً آخر، جاء فيه: «أما بعد فقد كثر اختلاف الناس إلى حسين، والله إني لأرى لكم منه يوماً عصبياً»^(١).

فأجابه معاوية عن كتابيه بكتاب جاء فيه: «أما بعد، فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه من أمر الحسين، فإياك أن تُعرض للحسين في شيء، واترك حسيناً ما تركك، فإننا لا نريد أن نُعرض له بشيء ما وفي بيعتنا ولم ينازعنا سلطاننا، فاكُنْ عليه مالم يُد لك صفحته والسلام»^(٢).

شهادة حجر بن عدي الكندي

في هذا الخصوص بدأ عملاء معاوية بتطبيق أوامره التي أصدرها بتضييق الخناق على شيعة أمير المؤمنين عليه السلام خصوصاً شيعة الكوفة، وبدأوا باختلاق الأعذار الواهية للايقاع ببعض الوجوه المعروفة من رجال الشيعة، ومن هؤلاء الشيعة المخلصين والمعروفين هو حجر بن عدي الكندي، حيث قام زياد بن أبيه مع بعض اتباعه الاوفياء باعتقال حجر وإرساله الى دمشق، وبأوامر معاوية تم قتل حجر بن عدي رحمه الله صبراً في مرج عذراء^(٣). وقد دون مؤرخي الشيعة والسنة هذه الحادثة في كتبهم^(٤).

(١) الامامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٧٩، رجال الكشي: ٤٨.

(٢) العقد الفريد ٢: ١٦.

(٣) قرية تقع قرب دمشق، قتل فيها حجر بن عدي ودفن فيها حيث لا يزال قبره يزار هناك. «معجم البلدان ٤: ٩١».

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٣٠، الكامل لابن الاثير ٣: ٤٧٢.

انتقاد معاوية

لقد اثرت شهادة حجر بن عدي تأثيراً كبيراً على الوضع النفسي للمسلمين، وأحدثت نفوراً كبيراً في المجتمع الاسلامي من هذه التصرفات المشينة التي يقوم بها بني أمية، الى الحد الذي دفع عائشة أن تقول الى معاوية عندما التقت به وهي في طريقها الى الحج: يا معاوية، أقتلت حجراً واصحابه، فأين عزب حلمك عنهم؟ أما إني سمعت رسول الله يقول: يُقتل بمرج عذراء نفر يغضب لهم أهل السموات.

قال: لم يحضرني رجل رشيد يا أم المؤمنين (١).

على كل حال، فإن جريمة معاوية هذه بحق حجر وانعكاساتها الواسعة على أفكار الناس، ولدت انزجاراً في المجتمع من سلطة معاوية والامويين، بل تعتبر شهادة حجر أحد الاسباب التي دعت الامام الحسين عليه السلام للثورة ضد الأمويين.

يقول ابن الأثير في ذكره لحوادث سنة ٥١: في هذه السنة، قتل حجر بن عدي وأصحابه (٢).

وعندما التقى معاوية بالامام الحسين عليه السلام قال له: يا أبا عبدالله! علمت أننا قتلنا شيعة أبيك، فحنطناهم، وكفناهم، وصلينا عليهم ودفناهم!
فقال الحسين عليه السلام: حجرك، ورب الكعبة، لكننا والله إن قتلنا شيعة ما كفناهم، ولا حنطناهم، ولا صلينا عليهم ولا دفناهم (٣).

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٣١.

(٢) الكامل في التاريخ ٣: ٤٧٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٣١.

استشهاد عمرو بن الحمق الخزاعي

بعد استشهاد حجر بن عدي، عمد معاوية على اعتقال عمرو بن الحمق - وهو من أصحاب رسول الله ﷺ ومن المخلصين لعلي عليه السلام ومن أصحاب حجر بن عدي - وبعد اعتقاله جرى قتله بصورة بشعة قرب الموصل، حيث فصل رأسه عن جسده الشريف، ونصب رأسه على رمح، وطيف به من أجل انزال الرعب في قلوب الناس، فكان أول رأس طيف به في الاسلام، ثم نقل رأسه الى معاوية، الذي كان قد حبس زوجة عمرو بدمشق، فلما أتى رأس عمرو بعث به، فوضع في حجرها، فقالت للرسول: ابلغ معاوية ما أقول: طالبه الله بدمه، وعجل له الويل من نومه، فلقد أتى أمراً فرياً، وقتل براً نقياً، وكان - معاوية - أول من حبس النساء بجرائر الرجال^(١).

ان شهادة هذا الصحابي الكبير ساهمت - كما ساهمت قبلها شهادة حجر بن عدي - في زيادة تحريك الناس ضد الحكم الأموي .

مكر معاوية

واحدة أخرى من الأعمال القبيحة التي قام بها معاوية هي إلحاق زياد بن أبيه - وهو مجهول الأب - بأبي سفيان، أي ادّعاء ان زياد أخيه^(٢)، وهذا العمل هو

(١) تاريخ يعقوبي ٢ : ٢٣٢ .

(٢) أقول : قال ابن عبد ربّه في العقد الفريد (٣ : ٣)، وابن عسّاكر في تاريخه (٥ : ٤٠٩) وابن الأثير في تاريخه (٣ : ١٩١)، وغيرها من كتب التاريخ: «أنّ أبا سفيان خرج يوماً إلى الطائف فنزل على خمار يقال له: أبو مريم السلولي، فقال أبو سفيان لأبي مريم - بعد أن شرب عنده -: قد اشتدّت بي العزوبة، فالتمس لي بغياً؟ فقال له: هل لك في جارية الحارث بن كلة (سمية امرأة عبيد)؟ فقال: هاتها، على طول ثدييها وريح ابطها، فجاء بها إليه، فوقع بها، فولدت زياداً، فادّعاء معاوية» .

وكان قبل ذلك يُدعى: زياد بن عبيد أو ابن سمية أو ابن أبيه. وأخيراً حضر زياد بين يدي =

مخالفة صريحة للأحكام الاسلامية، وقد وصف ابن الاثير هذا العمل من معاوية بأنه أول حركة علنية لمحو الأحكام الاسلامية وذلك لأن رسول الله ﷺ قال: «الولد للفراس وللعاهر الحجر»^{(١) (٢)}

تغيير شكل الحكومة

في سنة ٥٦ هجرية وبدستور صادر من معاوية أعلن فيه البيعة لولده يزيد وتعيينه ولي للعهد^(٣)، وعلى هذا الاساس فقد تمّ تغيير شكل الخلافة والحكومة الى الشكل الملكي والوراثي، وهو الشكل الذي لم يقم به أي خليفة قبل معاوية، بل سنّه هو واستمر من بعده .

عندما علم عبد الرحمن بن أبي بكر^(٤) خبر بيعة الناس ليزيد بن معاوية قال لمراون بن الحكم والي معاوية على المدينة: ما الخيار اردتما لأمة محمد، ولكنكم

= معاوية في الشام - بعد أن كان متمرداً عليه في فارس - فرحّب به معاوية، وأمر أخته جويرة بنت أبي سفيان أن تستدعيه، فلما حضر عندها كشفت عن شعرها بين يديه، وقالت له: أنت أخي، أخبرني بذلك أبو مريم! [البدر]

(١) بهذا النصّ ورد ذكر الحديث النبوي المشهور في عامة كتب الحديث والصّاح من الفريقين، ولقد جاء ذكره من طريق أبي هريرة في الصّاح الستّة: في صحيح البخاري ٢: ١٩٩ في الفرائض، وفي صحيح مسلم ١: ٤٧١ في الرضاع، وفي صحيح الترمذي ١: ١٥٠، وفي سنن النسائي ٢: ١١٠، وفي سنن أبي داود ١: ٣١٠، وفي سنن البيهقي ٧: ٤٠٢ .
كما جاء ذكره من طريق عائشة في الكتب المذكورة باستثناء الترمذي .
(٢) الكامل لابن الاثير ٣: ٤٤٤ .

(٣) الكامل لابن الاثير ٣: ٥٣، واليعقوبي في تاريخه ٢: ٢٢٨ ذكر ان معاوية بايع لولده يزيد بعد وفاة الحسن ﷺ وبدون ذكر في أي سنة تمّ ذلك .

(٤) وهو ابن أبي بكر وأمه أم رومان، وهو اخو عائشة من الأبوين، وقد كان عبد الرحمن في غزوتي بدر وأحد من المشركين، ثمّ اعتنق الاسلام، وقد وقف في حرب الجمل مع اخته عائشة . انظر ترجمته في الاستيعاب ٢: ٨٢٦ .

تريدون أن تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل^(١).
وهذا الاقتراح (جعل الخلافة بالوراثة) ابتداء المغيرة بن شعبة^(٢) والي معاوية
على الكوفة عندما اقترحه على معاوية، وذلك لأن معاوية كان يفكر بعزله فاقترح
عليه تعيين ولده يزيد خليفة له .

يقول ابن الأثير بهذا الخصوص :

وفي هذه السنة بايع الناس يزيد بن معاوية بولاية عهد أبيه .
وكان ابتداء ذلك وأوله من المغيرة بن شعبة، فإن معاوية أراد أن يعزله عن
الكوفة ويستعمل عوضه سعيد بن العاص، فبلغه ذلك فقال: الرأي أن أشخص إلى
معاوية فأستعطيه ليظهر للناس كراحتي للولاية، فسار إلى معاوية وقال لأصحابه
حين وصل إليه: إن لم أكسبكم الآن ولاية وإمارة لا أفعل ذلك أبداً، ومضى حتى
دخل على يزيد وقال له: إنه قد ذهب أعيان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم،
وكبراء قريش، وإنما بقي أبناؤهم، وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأياً، وأعلمهم
بالسنة والسياسة، ولا أدري ما يمنع أمير المؤمنين أن يعقد لك البيعة .

قال: أوترى ذلك يتم ؟

قال: نعم .

فدخل يزيد على أبيه وأخبره بما قال المغيرة، فأحضر المغيرة وقال له ما
يقول يزيد .

فقال: يا أمير المؤمنين، قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد
عثمان، وفي يزيد منك خلف، فأعقد له فإن حدث بك حادث كان كهفاً .

(١) الكامل لابن الأثير ٣: ٥٠٦ .

(٢) انظر ترجمته في الاستيعاب ٤: ١٤٤٦ .

قال: ومَن لي بهذا؟

قال: أكفيك أهل الكوفة، ويكفيك زياد أهل البصرة، وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك.

قال: فارجع إلى عملك وتحذث مع من تثق إليه في ذلك وترى ونرى، فودّعه ورجع إلى أصحابه، فقالوا: مَهْ؟

قال: لقد وضعت رجل معاوية في غرز بعيد الغاية على أمة محمد، وفتقت عليهم فتقاً لا يُرتق أبداً، وتمثل:

بمثل شاهدي النجوى وغالى بي الأعداء والخصم الغضابا^(١)

رسالة معاوية إلى الإمام الحسين عليه السلام

وكتب معاوية على أثر ذلك كتاباً إلى الحسين جاء فيه:

«أما بعد، فقد انتهت إليّ أمورٌ عنك إن كانت حقاً فاني أرغب بك عنها، ولعمري الله إنَّ مَنْ أعطى الله عهده وميثاقه لجدير بالوفاء، وإن أحق الناس بالوفاء من كان مثلك في خطرِكَ وشرفِكَ ومنزلتِكَ التي أنزلَكَ الله بها، ونفسكَ فاذكر، وبعهد الله أوف، فإنكَ متى تُنكرني أنكركَ، ومتى تُكذبنني أكذكَ، فاتق شق عصا هذه الأمة وأن يردهم الله على يديكَ في فتنة، فقد عرفت الناس وبلوتهم، فانظر لنفسكَ ولدينكَ ولأمة محمد ﷺ ولا يستخفّنكَ الناس والذين لا يعلمون»^(٢).

رسالة الامام الحسين عليه السلام الى معاوية

فلما وصل الكتاب إلى الحسين عليه السلام كتب إلى معاوية كتاباً جاء فيه:

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٥٠٣ - ٥٠٤.

(٢) انساب الاشراف ٣: ١٥٣.

«... أما بعد، فقد بلغني كتابك تذكر فيه: أنه قد انتهت إليك عني أمور أنت لي عنها راغب، وأنا بغيرها عندك جديرٌ.

فان الحسنات لا يهدي لها ولا يُسدّد إليها إلا الله تعالى، وأما ما ذكرت: أنه رُقي إليك عني، فإنه إنما رقاها إليك الملائقون^(١) المشاؤون بالنائمات المفرقون بين الجمع، وكذب الساعون الواشون^(٢) ما أريد لك حرباً، ولا عليك خلافاً، وأيم الله إنني لأخاف الله - عزّ ذكره - في ترك ذلك منك.

وما أظن الله راضياً عني بتركه، ولا عاذري بدون الاعتذار إليه فيك وفي أوليائك القاسطين الملحدين حزب الظلمة، وأولياء الشياطين.

ألسن القاتل حجر بن عدي أخا كندة وأصحابه المصلين الصالحين العابدين، الذين كانوا يُنكرون الظلم، ويستعظمون البدع، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤثرون حكم الكتاب، ولا يخافون في الله لومة لائم، فقتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة: لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، ولا باحنة تجدها في نفسك.

أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله ﷺ العبد الصالح، الذي أبلته العبادة، فنحل جسمه، واصفرّ لونه، فقتلته بعد ما أمنتته، وأعطيته من عهد الله ومواثيقه ماله أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل، ثم قتله جرأة على ربك، واستخفافاً بذلك العهد.

(١) الملائقون - بالتشديد - مبالغة من (ماتق) اسم فاعل من (ملق) وهو التذلل والتخضع، والتبذل باللسان بما ليس في القلب.

والمشاؤون - مبالغة - من المشي: كناية عن النمام، وهو ناقل الكلام من قوم إلى قوم على وجه السعاية والافساد.

(٢) كناية عن النمامين الذين يسعون للتخريب بين الناس.

أولست المدعي (زياد بن سميّة) المولود على فراش عبيد بن ثقيف، فزعمت أنه ابنُ أبيك وقد قال رسول الله ﷺ: «الولدُ للفراش وللعاهر الحجر» فتركت سنة رسول الله ﷺ تعمداً، واتّبعْتَ هواك بغير هدىً من الله، ثم سلّطته على أهل العراق، يقتل المسلمين ويقطع أيديهم وأرجلهم، ويسمل أعينهم ويصليهم على جذوع النخل، كأنك لستَ من هذه الأمة، وليسوا منك.

أولست صاحب (الحضرميين)^(١) الذين كتب اليك فيهم (ابنُ سميّة): أنهم على دين علي ورأيه، فكتبْتَ اليه: أن اقتل مَنْ كان على دين علي ورأيه.

فقتلهم ومثّل بهم بأمرك، ودينُ علي هو دينُ ابن عمّه محمد ﷺ، وهو الذي كان يضرب عليه أباك ويضربُك، وبه جلست مجلسك الذي أنتَ فيه، ولولا ذلك لكان أفضل شرفك وشرف أبيك تجشّمُ الرحلتين: رحلة الشتاء والصيف اللتين بنا من الله عليكم فوضعها عنكم.

وقلتَ - فيما قلتَ -: «أنظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد ﷺ واتّق شق عصا هذه الأمة وأن تردّهم إلى فتنة».

وأتّي لا أعلم فتنةً أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها، ولا أعظم نظراً لنفسي ولديني ولأمة جدي محمد ﷺ أفضلَ من جهادك، فان فعلته فهو قربة إلى الله عزّ وجلّ. وإن تركته فاستغفر الله لديني، وأسأله توفيقه لإرشاد أمري.

وقلتَ - فيما قلتَ -: «إني أنكرتك تنكرني، وإن أكذك تكذني».

وهل رأيك إلا كيدُ الصالحين منذ خُلقتَ - فكذني - يا معاوية ما بدا لك - إن

(١) لعلّه يقصد: شريك بن شداد الحضرمي وعبدالله بن يحيى الحضرمي وأصحابهما الذين قتلوا على الولاية لعلي عليه السلام والبراءة من أعدائه، كما هو معروف لدى عامة المؤرخين. [البدر]

شئت، فأنّي أرجو أن لا يضرّني كيّدك فيّ، وأن لا يكون عليّ أحد أضرّ منه عليّ نفسك عليّ، لأنك قد ركبت جهلك، وتحرّصت على نقض عهدك، ولعمري ما وفيت بشرط عليّ أنك تكيد فتوقّظ عدوّك وتُويقُ نفسك. ولقد نقضتَ عهدك بقتلك هؤلاء النفر الذين قتلتهم، ومثّلت بهم بعد الصّلاح والأيمان والعهود والمواثيق فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا أو قتلوا، ولم تفعل ذلك بهم إلّا لذكرهم فضلنا، وتعظيمهم حقنا، ما به شرّفت وعُرفت، فقتلتهم مخافة أمرٍ لعلّك لو لم تقتلهم مُتّ قبل أن يفعلوا، أو ماتوا قبل أن يُدركوا.

فابشر - يا معاوية - بالقصاص، واستعدّ للحساب، وأعلم أن الله تعالى كتباً لا يُغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلّا أحصاها.

وليس الله - تبارك وتعالى - بناسٍ أخذك بالظنّة، وقتلك أولياءه بالتهمة، ونفيك إياهم من دار الهجرة إلى دار الغربة والوحشة.

وأخذك الناس ببيعة ابنك، الغلام الحدث، يشرب الشراب، ويلعبُ بالكلاب، لا أعلمك، إلّا وقد خسرت نفسك، وتبرّت^(١) دينك، وغششت رعيّتك، وأخونت أمانتك، وسمعت مقالة السفية الجاهل، وأخفت التقيّ الورع الحليم والسلام.

فلما قرأ معاوية الكتاب قال: «لقد كان في نفسه ضبّ ما كنتُ أشعرُ به»^(٢).

(١) تبره تنبيراً - بتشديد الباء - : أهلكه ودمّره، والمعنى أهلكت دينك .

(٢) الضب - بالفتح - : الورم في الصدر والحقد الدفين، يقال في المثل: في قلبه ضب، أي غل داخل، كالضب المعن في حجره، والضبّ: هو الحيوان البري الكامن في حجره ولا يهتدي إذا خرج، وفي كتاب (سير أعلام النبلاء ٣: ١٩٨): وقال معاوية بعد أن وصله الكتاب «أن أثرتنا بأبي عبد الله إلّا اسداً». [البدر]

فقال له ابنه يزيد وعبد الله بن عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين أجبه جواباً شديداً تُصغّر اليه نفسه، وتذكره أباه بأسوأ فعله وآثاره.

فقال معاوية: «أخطأتما، أرايتما لو أنني أردت أن أعيب علياً محقاً ما عسيت أن أقول فيه، ومثلي لا يحسن به أن يعيب بالباطل، وما لا يُعرف، ومتى عبت رجلاً بما لا يعرف الناس لم يُحفل به، ولم يره الناس شيئاً، وكذبوه. وما عسيتُ أن أعيب حسيناً، وما أرى للعيب فيه موضعاً. إلا أنني قد أردتُ أن أكتب إليه، وأتوَعّده وأتهدّده، ثم رأيت أن لا أفعل». فلم يكتب معاوية شيئاً.^(١)

قال البلاذري يصف كتاب الإمام الحسين عليه السلام : فكتب إليه الحسين كتاباً غليظاً يعدّد عليه فيه ما فعل في أمر زياد، وفي قتل حجر، ويقول له: إنك قد فتنت بكيد الصالحين منذ خلقت؟ فكذني ما بدا لك !

وكان آخر الكتاب: والسلام على من اتبع الهدى.^(٢)

الاجتماع في مكة

ولمّا رأى سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام تلك الإندفاع المسعورة من معاوية في سبيل تدعيم البيعة لولده يزيد، خرج إلى مكة - قبل موت معاوية بستين - فعقد في بيت الله مؤتمراً حاشداً ممن شهد الموسم من وجوه المهاجرين والأنصار والتابعين وعامة المسلمين، واستعرض فيه جميع المحن والخطوب التي المّت بالاسلام من جرّاء التصرفات المنحرفة والتعسفّات الغاشمة من معاوية وبطانته.

(١) الامامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٥٥.

(٢) أنساب الأشراف ٣: ١٥٣.

قال (سليم بن قيس الهلالي)^(١) في كتابه:

«لما كان قبل موت معاوية بسنتين، حجَّ الحسين بن علي عليه السلام وابن عباس وعبد الله بن جعفر، فجمع الحسين عليه السلام بني هاشم: رجالهم ونساءهم ومواليهم وشيعتهم من حج منهم ومن الانصار ممن يعرفه الحسين عليه السلام وأهل بيته، ثم لم يترك أحداً حج ذلك العام من أصحاب رسول الله ﷺ ومن التابعين من الأنصار المعروفين بالصلاح والنسك إلا جمعهم، واجتمع عليه بـ (منى) أكثر من (سبعمئة رجل) وهو في (سراجه) عامتهم من التابعين، ونحو من مائتي رجل من أصحاب النبي ﷺ.

فقام عليه السلام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أما بعد، فإن هذا الطاغية - يعني معاوية - قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم. واني أريد أن أسألكم عن شيء، فإن صدقت فصدقوني، وإن كذبت فكذبوني، اسمعوا مقالتي وكتبوا قولي، ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم، فمن اتتمتوه من الناس ووثقتم به فادعوه إلى ما تعلمون من حقنا، فاني أتخوف أن يُدرس هذا الحق ويغلب: ﴿والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾.

وما ترك شيئاً مما أنزل الله فيهم من القرآن إلا تلاه وفسره، ولا شيئاً مما قاله رسول الله ﷺ في أبيه وأخيه وأمه وفي نفسه وأهل بيته إلا رواه. وكل ذلك يقول الصحابة: «اللهم نعم قد سمعنا وشهدنا». ويقول التابعون: «اللهم نعم قد حدثنا من صدقه وثأمنه من الصحابة».

فقال: أنشدكم بالله إلا حدثتم به من تثقون به وبدينه»^(٢).

(١) من التابعين ومن أصحاب أمير المؤمنين والحسن والحسين وعلي بن الحسين عليه السلام

(٢) كتاب سليم بن قيس: ٢٠٦.

الوفود عند معاوية

من أجل أن ينفذ معاوية اقتراح المغيرة بن شعبة بتنصيب يزيد ولياً للعهد عمل الى تهئية الرأي العام لهذه المسألة، حيث قام باستقبال الهيئات والاشخاص المعروفين في الشام والتي بدأ منها دعوته لبيعة يزيد بالخلافة من بعده .

قال المؤرخون: وكان معاوية قد كتب إلى عماله بتقريظ يزيد ووصفه وطلب منهم إيفاء الوفود. فكان فيمن أتاه من المدينة محمد بن عمرو بن حزم على رأس وفدٍ وممن أتاه من البصرة الأحنف بن قيس على رأس وفدٍ، فكان مما قاله محمد بن عمرو لمعاوية: إن كل راعٍ مسؤول عن رعيته فانظر من تولي أمر أمة محمد ﷺ، وأمر معاوية الأحنف بن قيس أن يدخل على يزيد، فدخل عليه فلما خرج من عنده، قال له معاوية: كيف رأيت ابن أخيك؟ قال: رأيت شاباً ونشاطاً وجلدأً ومزاحاً.

ثم إن معاوية قال للضحاك بن قيس الفهري^(١) لما اجتمع الوفود عنده : إني متكلم فاذا سكت فكن أنت الذي تدعو الي بيعة يزيد وتحثني عليها. فلما جلس معاوية للناس تكلم، فعظم أمر الإسلام وحرمة الخلافة وحققها، وما أمر الله تعالى به من طاعة ولاة الأمر ثم ذكر يزيد وفضله وعلمه بالسياسة وعرض ببيعته.

فعارضه الضحاك - فحمد الله وأثنى عليه - ثم قال: «يا أمير المؤمنين، إنه لا بد للناس من والٍ بعدك، وقد بلونا الجماعة والإلفة فوجدناهما أحقن للدماء، وأصلح للدهماء وآمن للسيل، وخيراً في العافية، والأيام عوج رواجع، والله كل يوم في شأن. ويزيد ابن أمير المؤمنين في حسن هديه وقصد سيرته على ما علمت، وهو من أفضلنا علماً وحلماً وابعدنا رأياً، فولّه عهدك، واجعله لنا علماً بعدك،

(١) تجد ترجمته في الاستيعاب ٢: ٧٧٤.

ومفرعاً نلجأ إليه، ونسكن إلى ظله».

وتكلّم عمرو بن سعيد الأشدق بنحو من ذلك الكلام.

ثم قام يزيد بن المقنّع العذري فقال: هذا أمير المؤمنين (وأشار إلى معاوية) فان هلك فهذا (وأشار إلى يزيد) ومن أبي فهذا (وأشار إلى سيفه) فقال معاوية. إجلس فانت سيّد الخطباء.

الاحنف بن قيس^(١)

وتكلّم من حضر من الوفود ، فقال معاوية للأحنف بن قيس: ما تقول: يا أبا بحر ؟

فقال: نخافكم إن صدقنا، ونخاف الله إن كذبنا وأنت يا أمير المؤمنين أعلم بيزيد في ليلة ونهاره وسرّه وعلايته، ومدخله ومخرجه، فإن كنت تعلمه الله تعالى ولهذه الأمة رضى فلا تشاور فيه، وإن كنت تعلم منه غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة وإنما علينا أن نقول: سمعنا وأطعنا .

قالوا: وكان معاوية يعطي المقارب ويداري المباعد ويلطف به، حتى استوثق به أكثر الناس وبإيعوه. فلما بايعه أهل العراق والشام سار إلى الحجاز.^(٢)

رسالة معاوية الى حاكم المدينة

قال ابن قتيبة: ثم لم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن عليه السلام إلا يسيراً حتى بايع يزيد بالشام، وكتب ببيعته إلى الآفاق، وكان عامله على المدينة - يومئذٍ - مروان بن الحكم.

(١) انظر ترجمته في الكنى والألقاب ٢: ١٢ .

(٢) الكامل في التاريخ ٣: ٥٠٨، مروج الذهب ٣: ٢٧ باختلاف يسير .

فكتب إليه معاوية يذكر الذي قضى الله به على لسانه من بيعة يزيد، ويأمره أن يجمع من قبله من قريش وغيرهم من أهل المدينة، ثم يبايعوا ليزيد. فلما قرأ مروان كتاب معاوية قام وجمع الناس عنده، ودعاهم إلى بيعة يزيد كما أمره معاوية، وكان مما قاله: «ان هذه طريقة أبا بكر»^(١) فأنكر عليه عامة الحاضرين. وكان في طليعة المعارضين: الحسين بن علي عليه السلام وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير.

وكتب مروان إلى معاوية كتاباً أخبره فيه بامتناع الجماعة من قبول البيعة. وكان فيما كتب إليه: «إن قومك قد أبوا إجابتك إلى بيعتك ابنك، فارأ رأيك»^(٢).

فلما بلغ معاوية كتاب مروان عرف أن ذلك من قبله، فكتب إليه يأمره باعتزال عمله، وأنه قد ولى بدله سعيد بن العاص... ثم كتب معاوية إلى سعيد بن العاص يدعوه إلى أخذ البيعة من أهل المدينة، ويكتب له بجلية الأمر.

فلما أتى سعيد بن العاص كتاب معاوية قام بدوره بدعوة الناس إلى أخذ البيعة ليزيد، وأظهر الشدة والغلظة، وسطاً بكل من أبطأ عن ذلك. فتباطأ الناس إلا اليسير منهم عن الإجابة، وكان بنو هاشم عامة وخصوصاً ابن الزبير من أشد الناس إنكاراً لذلك ورداً له. فكتب سعيد بن العاص إلى معاوية كتاباً جاء فيه:

(١) العقد الفريد ٤: ١٦٢.

(٢) الكامل في التاريخ ٣: ٥٠٨.

«أما بعد، فانك أمرتني أن أدعو الناس لبيعة يزيد بن أمير المؤمنين، وأن أكتب اليك بمن سارع ممن أبطأ، وإني أخبرك: أن الناس عن ذلك بطاء، لا سيما أهل البيت من بني هاشم، فانه لم يُجبنني منهم أحد، وبلغني عنهم ما أكره. وأما الذي جاهر بعداوته وإبائه لهذا الأمر فعبد الله بن الزبير، ولست أقوى عليهم إلا بالخیل والرجال، أو تقدم بنفسك، فترى رأيك في ذلك والسلام».

قال ابن قتيبة: فكتب معاوية إلى عبد الله بن العباس، وإلى عبد الله بن الزبير، وإلى عبد الله بن جعفر، وإلى الحسين بن علي - رضي الله عنهم - كتباً، وأمر سعيد بن العاص أن يوصلها إليهم، ويبعث بجواباتها. ثم كتب إلى سعيد بن العاص كتاباً جاء فيه:

«أما بعد، فقد أتاني كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه من إبطاء الناس عن البيعة، ولا سيما بني هاشم، وما ذكر ابن الزبير، وقد كتب إلى رؤسائهم كتباً فسلمها إليهم، وتجز جواباتها، وبعث بها إلي حتى أرى في ذلك رأيي، ولتشد عزيمة، وتصلب شكيمة، وتحسن نيتك، وعليك بالرفق، وإياك والخرق، فان الرفق رُشد، والخرق نكد.

وانظر حسناً خاصةً، فلا يناله منك مكروه، فان له قرابةً وحققاً عظيماً، لا يُنكره مسلم ولا مسلمةً، وهو ليث عرين، ولست آمنك، إن شاورته أن لا تقوى عليه.

فأما من يرد مع السباع إذا وردت، ويكنس إذا كنست، فذلك عبد الله بن الزبير، فاحذره أشد الحذر، ولا قوة إلا بالله، وأنا قادم عليك إن شاء الله والسلام».

رحلة معاوية الأولى إلى المدينة لأخذ البيعة

بعد ان اطمأن معاوية من بيعة أهل الشام والعراق ليزيد، قرر السفر الى

المدينة لأخذ البيعة ليزيد، نظراً لاستنكار العديد من أهالي المدينة لبيعة يزيد .

قال ابن قتيبة: ان معاوية قدم المدينة حاجاً. فخرج اليه الناس يتلقونه ما بين راكب وماش، وخرج النساء والصبيان، فلقيه النساء على حال طاقتهن... وفاوض العامة بمحادثته، وتآلفهم جهده مقاربةً ومصانعةً ليستميلهم إلى ما دخل فيه الناس، حتى قال في بعض ما يجتلبهم به: «أهل المدينة، ما زلت أطوي الحزن من وعثاء السفر بالحب لمطالعتكم، حتى انطوى البعيد ولان الخشن، وحق لجار رسول الله ﷺ أن يتاق إليه».

فردّ عليه القوم: «بنفسك ودارك ومهاجرك، أما إن لك منهم كاشفاق الحميم البرّ والحفيّ المتعاهد».

حتى إذا كان بالجرف لقيه الحسين بن علي وعبد الله بن العباس. فقال معاوية: مرحباً بابن بنت رسول الله وابن صنو أخيه. ثم انحرف إلى الناس فقال:

هذان شيخان بني عبد مناف. وأقبل عليهما بوجهه وحديثه فرحّب وقرب، وجعل يواجه هذا - مرّة - ويضاحك هذا - أخرى - حتى ورد المدينة، فلما خالطها لقيته المشاة والنساء والصبيان يسلمون عليه، ويسايرونه إلى أن نزل. فانصرفا عنه فمال الحسين إلى منزله، ومضى عبد الله بن العباس إلى المسجد، فدخله...

معاوية يجتمع بالمعارضين للبيعة

قال ابن قتيبة: ثم مضى معاوية حتى أتى منزله فأرسل إلى الحسين بن علي. فخلا به، فقال له:

«يا ابن أخي قد استوثق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت

تقودهم، يا ابن أخي، فما إربك إلى الخلاف».

قال الحسين: «أرسل إليهم، فإن بايعوك كنتُ رجلاً منهم، وإلا لم تكن عجلت عليّ بأمر». قال: وتفضل؟

قال: نعم، فأخذ عليه أن لا يخبر بحديثهما أحداً...

ثم أرسل معاوية بعده إلى ابن الزبير، فخلاً به، فقال له:

«قد استوثق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم يا ابن أخي فما إربك إلى الخلاف».

قال: فأرسل إليهم، فإن بايعوك كنتُ رجلاً منهم، وإلا لم تكن عجلت عليّ بأمر».

قال: وتفضل؟ قال: نعم، فأخذ عليه أن لا يخبر بحديثهما أحداً.

وأرسل بعده إلى ابن عمر، فأتاه وخلاً به، فكلمه بكلام هو ألين من كلام صاحبيه، وقال: اني كرهت أن أدع أمة محمد بعدي كالضأن لا راعي لها، وقد استوثق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم، فما إربك إلى الخلاف؟

قال ابن عمر: هل لك في أمرٍ تحقن به الدماء، وتدرك به حاجتك؟

فقال معاوية: وددتُ ذلك.

فقال ابن عمر: تُبرز سريرك، ثم أجيء فأبايعك على أني أدخل بعدك فيما اجتمعت عليه الأمة، فوالله لو أن الأمة اجتمعت بعدك على عبد حبشي لدخلت فيما تدمخل فيه الأمة.

قال: وتفضل؟ قال: نعم، ثم خرج ابن عمر وأتى منزله فأطبق بابه.

وأرسل معاوية بعد ذلك إلى عبد الرحمان بن أبي بكر، فخلا به فقال له: «بأي يدٍ أو رجل تقدم على معصيتي؟»

فقال عبد الرحمان: أرجو أن يكون ذلك خيراً لي.

فقال معاوية: والله هممتُ أن أقتلك.

فقال عبد الرحمان: لو فعلت لأتبعك الله في الدنيا لعنة، ولأدخلك في الآخرة النار. ثم خرج من عنده.

قال ابن قتيبة: وبقي معاوية يومه ذلك يُعطي الخواص ويعصي مذمة الناس.

معاوية يدعو الحسين وابن عباس للاجتماع

فلما كان صبيحة اليوم الثاني، أمر بفراش فوضع له وسوّيت مقاعد الخاصة حوله وتلقاه من أهله. ثم خرج وعليه حلّة يمانية وعمامة دكناء، وقد أسبل طرفيها بين كتفيه، وقد تغلّى وتعطر فقعد على سريره، وأجلس كتابه منه بحيث يسمعون ما يأمر به، وأمر حاجبه أن لا يأذن لأحد من الناس، وإن قرب.

ثم أرسل إلى الحسين بن علي، وعبد الله بن عباس، فسبق ابنُ عباس فلما دخل وسلّم أقعده في الفراش عن يساره، فحادثه - ملياً - ثم قال:

«يا ابن عباس، لقد قرّر الله حظكم من مجاورة هذا الشريف ودار الرسول».

فقال ابن عباس: «نعم أصلح الله أمير المؤمنين، وحظنا من القناعة بالبعض، والتجافي عن الكل أوفر».

فجعل معاوية يحدثه ويحيد به عن طريق المجاورة، ويعدل إلى ذكر الأعمار على اختلاف الغرائز والطبائع، حتى أقبل الحسين بن علي عليه السلام، فلما رآه معاوية جمع له وسادةً كانت عن يمينه.

فدخل الحسين وسلّم، فأشار إليه، فأجلسه عن يمينه مكان الوسادة.
فسأله معاوية عن حال بني أخيه الحسن، وأسنانهم، فأخبره وسكت. فابتدأ
معاوية فقال:

«أما بعد، فالحمد لله وليّ النعم، ومُنزّل النقم، وأشهد أن لا إله إلا الله المتعالي
عمّا يقول الملحدون علوّاً كبيراً، وأن محمداً عبده المختص، المبعوث إلى الجنّ
والانس كافة، ليُنذرهم بقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من
حكيم حميد. فأدى عن الله، وصدع بأمره وصبر على الأذى في جنبه، حتى أوضح
دين الله، وأعزّ أوليائه، وقمع المشركين، وظهر أمر الله، وهم كارهون. فمضى -
صلوات الله عليه - وقد ترك من الدنيا ما بُذل له، واختار منها الترك لما سُخّر له:
زهادةً واختياراً لله واقتداراً على الصبر، بغياً لما يدوم ويبقى. ثم خلفه رجلان
محفوظان وثالث مشكوك، وبين ذلك خوضٌ طوّل ما عالجناه مشاهدةً ومكافحةً
ومعاينةً وسماعاً، وما علم منه فوق ما تعلمان.

وقد كان من أمر (يزيد) ما سبّقم إليه وإلى تجويزه، وقد علم الله ما أحاول به
في أمر الرعية: من سدّ الخلل ولمّ الصدع بولاية يزيد، وفيكما فضلُ القرابة وحظوةُ
العلم، وكمال المروءة، وقد أصبّت من ذلك عند يزيد على المناظرة والمقابلة ما
أعياني مثله عندكما وعند غيركما، مع علمه بالسنة وقراءة القرآن والحلم الذي
يرجح بالصمّ الصلاب، وقد علمتُما أن الرسول المحفوظ بعصمة الرسالة قدّم
على الصديق والفاروق ودونهما من أكابر الصحابة وأوائل المهاجرين - يوم غزوة
السلasil - من لم يقارب القوم، ولم يعاندهم بمرتبة في قرابة موصولة ولا سُنّة
مذكورة، فقادهم الرجل بأمره، وجمع بهم صلاتهم، وحفظ عليهم فيأهم، وقال ولم
يقل معه، وفي رسول الله أسوة حسنة.

فمهلاً - بني عبد المطلب - فأنا وأنتم شعباً نفع وجد، وما زلت أرجو الإنصاف في اجتماعكما، فما يقول القائل إلا بفضل قولكما، فُردّا على ذي رحمٍ مستعتب ما يحمد به البصيرة في عتابكما، وأستغفر الله لي ولكما».

قال ابن قتيبة: فتيسر ابنُ عباس للكلام، ونصب يده للمخاطبة، فأشار إليه الحسين، وقال: على رسلك، فأنا المراد، ونصيب في التهمة أوفر، فأمسك ابنُ عباس.

الحسين يجيب على كلام معاوية

فقام الحسين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على الرسول ﷺ ثم قال: «أما بعد يا معاوية، فلن يؤدي القائل - وإن أطنب في صفة الرسول - جميع جُزءٍ وقد فهمتُ ما لبستَ به الخلف بعد رسول الله من إيجاز الصفة، والتنكب عن استبلاغ النعت.

وهيئات هيهات يا معاوية، فضح الصبحُ فحمة الدجى، وبهرت الشمسُ أنوار السُرج، ولقد فضلتُ حتى أفرطت، واستأثرت حتى اجحفت، ومنعت حتى بخلت، وجُرت حتى جاوزت، ما بذلت لذي حقٍ من أتمَّ حقه بنصيبٍ حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر. ونصيبه الأكمل.

وفهمتُ ما ذكرته عن (يزيد) من اكتماله وسياسته لأمة محمد ﷺ تريد أن تُوهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً أو تنعت غائباً، أو تخبر عما كان مما احتويه بعلمٍ خاص. وقد دلَّ يزيد من نفسه على موقع رأيه. فخذ ليزيد فيما أخذ به: من استقرائه الكلاب المهارشة عند التهاوش، والحمام السبق لأترابهن، والقينات ذوات المعازف وضرب الملاهي، تجده باصراً، ودع عنك ما تحاول، فما

أغناك أن تلقى الله من وزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقية، فوالله ما برحت تقدح باطلاً في جور وحقاً في ظلم، حتى ملأت الأسقية، وما بينك وبين الموت إلا غمضة، فتقدم على عملٍ محفوظ في يومٍ مشهود: «ولات حين مناص».

ورأيئك عرّضت بنا بعد هذا الأمر، ومنعتنا عن آباءنا: تراثاً - لعمرُ الله - أورثنا الرسول ﷺ ولادةً، وجئت لنا بها ما حججتم به القائم عند موت الرسول، فأدعن للحجة بذلك، وردّه الايمانُ إلى النصف، فركبتم الأعاليل وفعلتم الأفاعيل، وقلتم: (كان ويكون) حتى أتاك الأمر - يا معاوية - من طريق كان قصدها لغيرك، فهناك، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله ﷺ وتأميره له ولعمرو بن العاص - يؤمئذٍ - فضيلةً بصحبة الرسول وبيعته له، وما صار لعمرو - يؤمئذٍ - حتى أنف القوم إمرته، وكرهوا تقديمه، وعدّوا عليه أفعاله، فقال ﷺ: «لا جرم يا معشر المهاجرين لا يعمل عليكم بعد اليوم غيري».

فكيف تحتج بالمنسوخ من فعل الرسول ﷺ في أوكد الأحوال وأولاها بالمجتمع عليه من الصواب؟ أم كيف صاحبت بصاحبٍ تابعاً، وحوالك من لا يؤمن في صحبته، ولا يُعتمد في دينه وقرابته وتتخطاهم إلى مُسرفٍ مفتون، تريد أن تلبس الناس شبهةً يسعد بها الباقي دنياه، وتشقى بها في آخرتك، ان هذا لهو الخسران المبين وأستغفر الله لي ولكم».

قال ابن قتيبة: فنظر معاوية إلى ابن عباس فقال:

ما هذا يا ابن عباس؟ ولما عندك أدهى وأمر.

فقال ابن عباس: لعمرُ الله، إنها لذرية الرسول، وأحدُ أصحاب الكساء، ومن البيت المطهر، فاله عمّا تريد، فان لك في الناس مقنعاً حتى يحكم الله بأمره، وهو

خير الحاكمين.

فقال معاوية: عودُ الحلم التحلّم، وخيره التحلّم عن الأهل انصرفاً في حفظ الله.

لقاء معاوية بعائشة

وخطب معاوية بالمدينة فذكر يزيد فمدحه وقال: مَنْ أَحَقُّ مِنْهُ بالخلافة في فضله وعقله وموضعه؟ وما أظن قوماً بمنتهين حتى تصيبهم بوائق تجتث أصولهم، وقد أُنذرت إن أغت النذر، ثم أنشد متمثلاً:

قد كنت حذرتك آل المصطلق وقلت يا عمرو أطعني وانطلق
أنك ان كلفنتي ما لم أطق ساء لك ما سرّك مني من خلق
دونك ما استسقيته فاحسن وذق

بعد هذه الأحداث المتلاحقة قرر معاوية لقاء عائشة، فدخل عليها، وقد بلغها أنّه ذكر الحسين واصحابه فقال: لأقتلنهم إن لم يبايعوا، فشكاهم إليها، فوعظته وقالت له: بلغني أنّك تهتددهم بالقتل، فقال: يا أمّ المؤمنين، هم أعزّ من ذلك، ولكنّي بايعت ليزيد وبايعه غيرهم، أفترين أن أنقض بيعه قد تمت؟ قالت: فافرق بهم فإنّهم يصيرون إلى ما تحبّ إن شاء الله.

قال: أفعل، وكان في قولها له: ما يؤمنك أن أقعد لك رجلاً يقتلك، وقد فعلت بأخي ما فعلت؟ - تعني أخاها محمداً - .

فقال لها: كلّا يا أمّ المؤمنين، إني في بيت أمن .

قالت: أجل. (١)

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٥٠٨ - ٥٠٩.

معاوية يبائع ليزيد قهراً

ثم أمرهم بالانصراف، واحتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يخرج ثم خرج في اليوم الرابع، وأمر المنادي أن ينادي في الناس (أن يجتمعوا لأمر جامع) فاجتمع الناس في المسجد، وقعد هؤلاء حول المنبر.

فحمد الله واثنى عليه، ثم ذكر فضل يزيد وقراءته للقرآن، ثم قال:

«يا أهل المدينة، لقد هممت ببيعة يزيد، وما تركت قرية ولا مدرة إلا بعثت إليها بيعته، فبايع الناس جميعاً وسلّموا، وأخرت المدينة بيعته، وقلت بيضته وأصله ومن لا أخافهم عليه، وكان الذين أبوا البيعة منهم من كان أجدر أن يصله، والله لو علمت مكان أحدٍ هو خير للمسلمين من يزيد لبايعت له».

مشادة الحسين لمعاوية في البيعة

فقام الحسين عليه السلام وقال: «والله، لقد تركت من هو خيرٌ منه أباً وأماً ونفساً».

فقال معاوية: كأنك تُريد نفسك؟

فقال الحسين: نعم أصلحك الله.

فقال معاوية: إذا أخبرك، أما قولك: خيرٌ منه أماً فلعمري أمك خير من أمه، ولو لم يكن إلا أنها امرأة من قريش لكان لنساء قريش أفضلهن، فكيف، وهي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ ثم فاطمة في دينها وسابقتها، فأُمُّك - لعمر الله - خيرٌ من أمه. وأما أبوك فقد حاكم أباه إلى الله، فقضي لأبيه على أبيك.

فقال الحسين: حسبك جهلك، آثرت العاجل على الآجل.

فقال معاوية: وأما ما ذكرت من أنك خير من يزيد نفساً، فيزيد - والله - خير

لأمة محمد صلى الله عليه وآله منك.

فقال الحسين: «هذا هو الإفك والزور، يزيد شارب الخمر ومشتري اللهو خيرٌ مِنِّي؟»

فقال معاوية: مهلاً عن شتم ابن عمك، فإنك لو ذكرت عنده بسوء لم يشتمك. ثم التفت معاوية إلى الناس، وقال:

«أيها الناس، قد علمتم أن رسول الله ﷺ قبض ولم يستخلف أحداً، فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر، وكانت بيعته بيعة هدى، فعمل بكتاب الله، وسنة نبيه. فلما حضرته الوفاة رأى أن يستخلف عمر، فعمل عمر بكتاب الله وسنة نبيه. فلما حضرته الوفاة رأى أن يجعلها شورى بين ستة نفر، أختارهم من المسلمين فصنع أبو بكر مالم يصنعه رسول الله، وصنع عمر مالم يصنعه أبو بكر، كل ذلك يصنعونه نظراً للمسلمين، فلذلك رأيت أن أبايع ليزيد لما وقع لاناس فيه من الاختلاف ونظراً لهم بعين الانصاف»^(١).

الرحلة الثانية لمعاوية لأخذ البيعة من أهل المدينة

وقال ابن الأثير في الكامل «... فلما بايعه أهل العراق والشام سار إلى الحجاز في ألف فارس... فلما دنا من المدينة لقيه الحسين بن علي أول الناس فلما نظر إليه قال: «لا مرحباً ولا أهلاً، بدنةً يترقرق دُمها والله مُهريقُ».

قال الحسين: مهلاً، فإني - والله - لستُ بأهلٍ لهذه المقالة.

قال معاوية: بلى ولشَرِّ منها.

ثم لقيه ابن الزبير، فقال له: لا أهلاً ولا مرحباً (خبُّ ضَبِّ تلعة) يدخل رأسه ويضرب بذنبه، ويوشك - والله أن يؤخذ - بذنبه ويدق ظهره، نحياه عني.

(١) الامامة والسياسة ١: ١٨٢ - ١٩٩.

فضرب وجه راحلته.

ثم لقيه عبد الرحمان بن أبي بكر فقال له معاوية: لا أهلاً ولا مرحباً، شيخٌ قد خرف وذهب عقله، ثم أمر فضرب وجه راحلته.

ثم فعل بابتن عمر نحو ذلك. فاقبلوا معه لا يلتفت اليهم حتى دخل المدينة، فحضرُوا بابَه، فلم يؤذن لهم - على منازلهم - ولم يروا منه ما يحبون، فخرجوا إلى مكة، فأقاموا بها.

وخطب معاوية بالمدينة، فذكر (يزيد) فمدحه وقال:

«من أحق منه بالخلافة في فضله وعقله وموضعه، وما أظن قوماً بمنتهين حتى تُصيهم بوائق تجتث أصولهم، وقد أُنذرتُ أن أغت النذر» ثم أنشد متمثلاً:

قد كنتُ حذرتُك آل المصطلق وقلت: يا عمرو أطعني وانطلق
إنك ان كلفتني مالم اطق ساءك ما سرَّك مني من خُلُق
دوئك ما استسقيته فاحس ودُق

سفر معاوية الى مكة والتهديد بقتل مخالفه

قال ابن الاثير - بعد ذلك - : ومكث معاوية بالمدينة ما شاء الله، ثم خرج إلى مكة، فلقه الناس، فقال أولئك نفر تلتقاه، فلعله قدم ندم على ما كان منه، فلقوه ببطن مر^(١).

ثم إن معاوية أرسل إلى الحسين بن علي عليه السلام وعبد الرحمن بن أبي بكر، وإلى عبد الله بن عمر، وإلى عبد الله بن الزبير، فجلسوا عنده.

(١) بطن مر - بفتح أوله - : ويقال له (مر الظهران)، موضع قريب من حدود مكة، على مرحلة منها.

فقال بعض اولئك نفر لبعض: لا تخذعوا، فما صنع بكم هذا لحبكم، وما صنعه إلا لما يريد، فأعدّوا له جواباً. واتفقوا على أن يكون المخاطب له ابنُ الزبير. فأحضرهم معاوية، وقال: «قد علمتم سيرتي فيكم وصلّتي لأرحامكم وحملتي ما كان منكم، ويزيد أخوكم وابن عمكم، وأردت أن تقدموه باسم الخلافة، وتكونوا انتم تعزلون وتؤمّرون وتُجْبُون المال وتُقَسِّمونه لا يُعارضكم في شيء من ذلك». فسكتوا، فقال: ألا تُجيبون؟ - مرتين - ...

ثمّ التفت معاوية إلى عبد الله بن عمر، وقال: «يا عبد الله بن عمر، قد كنت تُحدثنا أنك لا تحب أن تبيت ليلة وليس في عنقك بيعة جماعة وان لك الدنيا وما فيها. واني أحذرك أن تشق عصا المسلمين وتسعى في تفريق ملاءهم، وأن تسفك دماءهم. وإن أمر (يزيد) قد كان قضاءً من القضاء، وليس للعباد خيرة من أمرهم، وقد وكّد الناس بيعتهم في أعناقهم، واعطوا على ذلك عهودهم ومواثيقهم» ثم سكت.

فتكلّم عبد الله بن عمر، وقال: «أما بعد، يا معاوية، لقد كان قبلك خلفاء، وكان لهم بنون، ليس ابنك بخيرٍ من أبنائهم، فلم يروا في أبنائهم ما رأيت في ابنك، فلم يُحابوا في هذا الأمر أحداً، ولكن اختاروا لهذه الأمة حيث علموهم. وان تُحذّرني أن أشق عصا المسلمين، وأفرق ملاءهم وأسفك دماءهم، ولم أكن لأفعل ذلك ان شاء الله. ولكن ان استقام فسأدخل في صالح ما تدخل فيه أمة محمد ﷺ».

فقال معاوية: يرحمك الله، ليس عندك خلاف.

ثم تكلّم معاوية مع عبد الرحمان بن أبي بكر بمثل ما تكلّم مع ابن عمر. فقال له عبد الرحمان: إنك - والله لوددنا أن نكلّك إلى الله فيما جسرت عليه

من أمر يزيد. والذي نفسي بيده، لتجعلنّها شورى أو لأعيدها جذعة^(١). ثم قام ليخرج، فتعلّق معاوية بطرف رداءه، وقال:

«على رسلك، اللهم اكفنيه بما شئت، لا تظهرنّ لأهل الشام، فاني أخشى عليك منك».

ثم تكلم معاوية مع ابن الزبير بمثل ما تكلم مع صاحبيه، ثم قال له: «أنت ثعلب رؤاغ، كلما خرجت من جحرٍ انجحرت في آخر، أنت ألبت هذين الرجلين، وأخرجتهما إلى ما خرجا إليه».

فقال ابن الزبير: أتريد أن نباع ليزيد؟ رأيت: إن بايعناه أيكما نطيع؟ ان كنت مللت الخلافة فاخرج منها وباع ليزيد، فنحن نبايعه.

وكثر الكلام بينهما حتى قال له معاوية - في بعض كلامه -: «والله ما أراك إلا قاتلاً نفسك ولكأني بك قد تخبّطت في الحباله».

معاوية يهدد المعارضين

ثم قال معاوية - بعد كلام طويل دار بينه وبين ابن الزبير -: «إني قد أحببت أن أتقدم اليكم: أنه قد أعذر من أنذر، إني كنتُ أخطب فيكم، فيقوم إليّ القائم منكم فيكذبني على رؤوس الناس، فأحمل ذلك وأصفح.

وإني قائمٌ بمقالة، فأقسم بالله لئن ردّ عليّ أحدكم كلمةً في مقامي هذا، لا ترجع إليه كلمةً غيرها حتى يسبقها السيف إلى راسه، فلا يُبقين رجل إلا على نفسه».

(١) الجذعة - بالتحريك -: أنثى جذع - بفتحيتين - وهي من البهائم ما قبل الثني، يقصد بقوله هذا إلى إعادة الأمر جديداً كما بدا من حيث الخلافة وأهليتها .

ثم دعا صاحب حرسه بحضرتهم، فقال: أقم على رأس كل رجل من هؤلاء رجلين ومع كل واحد سيف، فان ذهب رجلٌ منهم يرد عليّ كلمةً بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفهما.

ثم خرج وخرجوا معه، حتى رقى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم، لا يُبْتَز أمرٌ دونهم، ولا يُفْضَى إلّا عن مشورتهم، وإنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد، فبايعوا على اسم الله». فبايع الناس، وكانوا يتربصون ببيعة هؤلاء النفر.

ثم ركب معاوية رواحله، وانصرف إلى المدينة، فلقي الناس أولئك النفر، فقالوا لهم: زعمتم أنكم لا تبايعون، فلم رضيتم وأعطيتُم وبايعتم؟ قالوا: والله، ما فعلنا.

فقالوا: ما منعكم أن تردّوا على الرجل؟

قالوا: كادنا وخفنا القتل.

قال ابن الاثير: وبايعه أهل المدينة، ثم انصرف إلى الشام، وجفا بني هاشم.

فأتاه ابن عباس: فقال له: ما بالك جفوتنا؟

قال: إن صاحبكم لم يُبايع ليزيد، فلم تتكروا ذلك عليه.

فقال: يا معاوية، إني لخليق أن أنحاز إلى بعض السواحل فأقيم به، ثم انطلق بما تعلم حتى أدع الناس كلهم خوارج عليك.

قال: يا أبا العباس، تُعطون وتُرضون وتُرادون.

أهل الكوفة يكتابون الحسين في حياة معاوية

قال أرباب التاريخ: ولما علم أهل الكوفة بموقف الحسين عليه السلام من امتناعه من البيعة ليزيد ومشادته لمعاوية في ذلك الأمر، عاودوا الكرة وأخذوا يكتابونه

ويستنجدون به في خلع بيعة معاوية ومحاربته لانتفاذ الأمة من ظلمه وطغيانه.

وممن كتب إلى الحسين عليه السلام في ذلك: جعدة بن هُبيرة بن أبي وهب^(١)، وكان من أخلص الشيعة للحسين عليه السلام، ومما جاء في كتابه:

«أما بعد فإن من قبلنا من شيعتك، متطلعة أنفسهم اليك، لا يعدلون بك أحداً، وقد كانوا عرفوا رأي الحسن أخيك في الحرب، وعرفوك باللين لأوليائك، والغلظة على أعدائك والشدة في أمر الله، فإن كنت تحب أن تطلب هذا الأمر فاقدم علينا، فقد وطنّا أنفسنا على الموت معك والسلام».

فأجابه الحسين عليه السلام بكتاب عمّمه إلى جميع أهل الكوفة، جاء فيه - بعد البسملة والثناء:

«أما أخي فاني أرجو أن يكون الله قد وفقه وسدّده، وأما أنا، فليس رأيي - اليوم - ذاك فالصقوا - رحمكم الله - بالأرض، واكننوا في البيوت، واحترسوا من الظن، مادام معاوية حيّاً، فإن يحدث الله به حدثاً - وأنا حيّ - كتبتُ اليكم برأيي والسلام»^(٢).

الخدري يواجه الحسين برأيه

قالوا: ولما علم أبو سعيد الخدري بمكاتبة أهل الكوفة إلى الحسين عليه السلام يستقدمونه إلى العراق، ويطلبون منه مناجزة معاوية وخلع بيعته، خفّ إليه

(١) جعدة بن هُبيرة، ابن أخت الإمام علي عليه السلام، أمّه أمّ هاني بنت أبي طالب، ولد في حياة الرسول صلى الله عليه وآله، ولكنه ليس من الصحابة، سكن الكوفة، وعدّه ابن مندّة وأبي نعيم وابن الأثير من الصحابة، ووثقّه ابن حجر في التهذيب، قاتل مع علي عليه السلام في صفين. (تنقيح المقال ١: ٢١١).

(٢) الأخبار الطوال للدينوري: ٢٠٣.

لنصيحته، فكان مما قال له:

«يا أبا عبد الله، أنا لك ناصح، واني عليكم مشفق، وقد بلغني: إنه قد كاتبك قومٌ من شيعتكم بالكوفة يدعونكم إلى الخروج إليهم، فلا تخرج إليهم، فاني سمعت أباك يقول بالكوفة: «والله لقد مللتهم وأبغضتهم وملوني وأبغضوني، وما يكون منهم وفاء قط - ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخيبي، والله ما لهم ثبات ولا عزم على أمر، ولا صبر على السيف»^(١).

وليس من شك في أنّ ابا سعيد الخدري كان من ألع أصحاب الإمام أمير المؤمنين وأكثرهم اخلاصاً وولاءً لأهل البيت، وقد دفعه حرصه على الإمام الحسين، وخوفه عليه من معاوية أن يقوم بالنصيحة له في عدم خروجه على معاوية، ولم تذكر المصادر التي بأيدينا جواب الإمام الحسين له .

هلاک معاوية ووصيته ليزيد

قالوا: عندما بدأ المرض يدب في جسم معاوية وأخذ جسمه يهزل من المرض، ذهب معاوية يوماً الى الحمام، وعند شاهد آثار المرض والضعف بادية على جسمه أنشد قائلاً:

أرى الليالي أسرع في نقضي أخذن بعضي وتركن بعضي
وعندما اشتد عليه المرض، وبدأ شبح الموت يطارده أنشد يوماً قائلاً:
فيا ليتني لم أعن في الملك ساعة ولم أك في اللذات أعشى النواظر
وكننت لذي طمرين عاش ببغلة^(٢) من الدهر حتى زار أهل المقابر^(٢)

(١) البداية والنهاية ٨: ١٦١ .

(٢) مروج الذهب ٣: ٤٩، البداية والنهاية ٨: ١٥١ .

قال ابن خالد: جلست في يوم الجمعة مع ميثم التمار^(١) في سفينة، حيث هبت ريح عاصفة، فقام ميثم ونظر إلى الريح وقال: اوقفوا السفينة، والقوا اشرعتها، فهذه الريح تحمل معها البلاء، وهذا البلاء انّ معاوية في هذه اللحظة قد مات .
وبعد مرور سبعة أيام على هذه الحادثة، جاء الرسول من الشام ليخبر الناس بموت معاوية يوم الجمعة، وانّ البيعة قد تمتّ ليزيد.^(٢)

رسالة معاوية الى يزيد

ولما حضرت معاوية الوفاة - وذلك في شهر رجب سنة ستين من الهجرة - وكان يزيد خارج دمشق، دعا معاوية الضحّاك بن قيس الفهري - وكان صاحب شرطته - ومسلم بن عقبة المرّي، فقال: أبلغا يزيد عني وقولا له:
«... أنظر أهل الحجاز، فانهم أصلك وفرعك، فأكرم من قدم عليك منهم، وتعاهد من غاب. وانظر أهل العراق فان سألوك أن تعزل عنهم كلّ يوم عاملاً فافعل، فان عزل عامل واحد أحب إليّ من أن تُشهر عليك مائة ألف سيف، ولا تدري على من تكون الدائرة. وانظر أهل الشام، فليكونوا بطانتك وعيبتك، فاجعلهم الشعار دون الدثار، فان نابك شيء من عدوك فانتصر بهم، فاذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم، فانهم أن قاموا بغير بلادهم تغيّرت أخلاقهم.

(١) كان ميثم التمار من خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ومن حواريه، وقد تلقى علوماً جمّة من أمير المؤمنين، وهو من الزهاد والعباد، ولقد كان عبد فاشتره أمير المؤمنين واعتقه، اعتقله ابن زياد وألقاه في السجن مع المختار، وقد أخبر ميثم المختار بأنّه الذي سيأخذ بثأر الحسين ويقتل عبيدالله بن زياد، وقد قتل صبراً على يد عبيدالله بن زياد بعد أن قتله أمام منزل عمرو بن حريث قبل قدوم الامام الحسين عليه السلام بعشرة أيام، وقصة شهادته معروفة. انظر نفس المهموم: ١٢٦.

(٢) جلاء العيون لعبدالله شبر ٢: ١٠٤.

واني لست أخاف عليك أن ينازعك هذا الأمر إلا ثلاثة نفر من قريش:
الحسين بن علي وعبد الله بن عمر، عبد الله بن الزبير.

فأما ابن عمر، فإنه رجل قد وقذته العبادة فاذا لم يبق أحدٌ غيره بايعك.

وأما الحسين بن علي، فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يُخرجوه، فإن خرج
عليك فظفرت به، فاصفح عنه، فإن له رحماً مأساةً، وحقاً عظيماً، وقرابة من
محمد ﷺ...

وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد ويراوغك مراوغة الثعلب فإن أمكنته فرصةً
وثب، فذاك ابن الزبير، فإن هو فعلها بك وظفرت به فقطعه إرباً إرباً، واحقن دماء
قومك ما استطعت»^(١).

(١) راجع هذه الوصية - باختلاف بسيط في بعض فقراتها - في: تاريخ الطبري ٥: ٢٤١،
الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٤ أول حوادث سنة ٦٠، العقد الفريد ٤: ٣٧٢، مناقب ابن
شهر آشوب ٤: ٨٨.

أقول: من خلال سيرة معاوية وتاريخه الأسود مع أهل البيت ﷺ يتبين لنا كذب هذه
الوصية وأنها من الموضوعات (كما يرى ذلك بعض المؤرخين)، وقد وضعت هذه الوصية
لاظهار معاوية بأنه ذلك الخليفة العادل والصحابي الحليم الذي يأمر ولده بالاحسان الشامل
إلى المسلمين وأنه غير مسؤول عن تصرفاته، ومن الأدلة على وضع هذه الوصية ما يلي:

١ - روى المؤرخون أن معاوية أوصى يزيد بخلاف ذلك عندما قال له: أن لك من أهل
المدينة يوماً فإن فعلوها فارمهم بمسلم بن عقبة فإنه رجل قد عرفنا نصيحته (تاريخ خليفة
خياط ١: ٢٣٨). والمعروف عن مسلم بن عقبة بأن جزار المدينة الذي أباحها ثلاثة أيام
بلياليها، وفعل الأفاعيل بأهلها وجلهم من الصحابة والتابعين والقراء.

٢ - أنه أوصاه برعاية عواطف العراقيين، والاستجابة لهم إذا سألوه في كل يوم عزل من
ولاه عليهم، وهذا يتنافى مع ما ذكره المؤرخون أنه عهد بولاية العراق إلى عبيد الله بن زياد
الذي أذاق أهل العراق الأمرين، وأغرقه بدماء الأبرياء.

أضف إلى ذلك قول سرجون الرومي ليزيد عندما استشاره الأخير في من يؤليه الكوفة - =

قال أرباب التاريخ: ولما مات معاوية، خرج الضحّاك بن قيس من عنده، وهو لا يكلم أحداً، وأكفان معاوية على يده تلوح، وجاء حتى دخل المسجد الجامع، فاجتمع الناس حوله، فصعد المنبر، وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أيها الناس، إن معاوية بن أبي سفيان كان عود العرب، وحدّ العرب^(١)، قطع الله عزّ وجلّ به الفتنة، وملّكه على العباد، وفتح به البلاد، ألا إنه قد ذاق الموت، وهذه أكفائه، فنحن مُدرجوه فيها، ومُدخلوه قبره، ومُخلّون بينه وبين عمله، ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة، فمن كان منكم يريد أن يشهده فليحضر عند الأولي» وصلى عليه الضحّاك لغيبة يزيد.

= بدل النعمان - فأشار عليه سرجون بعبيد الله بن زياد، فقال يزيد: أنّه لا خير عنده، فقال سرجون: لو كان معاوية حياً وأشار عليك به أكنت توليه؟ قال: نعم.

فقال: هذا عهد معاوية إليه بخاتمه ولم يمنعي أن أعلمك به إلّا معرفتي بيفضك له فأنفذه إليه.

٣- أنّه جاء في هذه الوصية أنّه يتخوّف عليه من عبد الله بن عمر وقد وصفه بأنّه قد وقذته العبادة، وإذا كان كذلك فهو بطبيعة الحال منصرف عن السلطة والمنازعات السياسية فما معنى التخوّف منه؟

٤- وجاء في هذه الوصية كذلك أنّه يتخوّف عليه من عبد الرحمن بن أبي بكر، وقد ذكر المؤرخون أنّه توفي في حياة معاوية.

٥- أنّه أوصاه برعاية الحسين عليه السلام وإنّ له رحماً ماسة وحقاً عظيماً وقاربة من رسول الله ﷺ، ومن المؤكد أنّ معاوية بالذات لم يرع أي جانب من جوانب القرابة من رسول الله، فقد أمر بسبّ أمير المؤمنين عليه السلام من على المنابر، وأنّه لم يتردد من اغتيال الإمام الحسن عليه السلام حتى بعد أن صالحه، ومن بعدها قتله بالسّم الذي دسّه إليه بواسطه زوجته فكيف يوصي ولده بالعفو عن الحسين إن ظفر به! [البدر]

(١) العود - بالفتح فالسكون - : الفحل من الابل والشاة، ويكنى به عن كبير القوم، والحد: الفاصل بين شيئين والبأس.

ثم بعث البريد إلى يزيد - وهو بحوارين - يخبره بوجع معاوية^(١).

فقال يزيد في ذلك:

جاء البريدُ بقرطاسٍ يخبُّ به	فأوجس القلبُ من قرطاسه فزعا
قلنا لك الويل ماذا في كتابكم	قالوا الخليفة أمسى مشبثاً وجعاً
فمادت الأرض أو كادت تميدُ بنا	كأنَّ أغبر من أركانها انقطعا
مَنْ لم تزل نفسه توفي على شرفٍ	توشك مقاليدُ تلك النفس أن تقعا
لما انتهينا وبابُ الدار منصفقُ	وصوتُ (رملة) ريع القلب فانصدعا
ثم ارعوى القلب شيئاً بعد طيرته	والنفسُ تعلم أن قد أثبتت جزعا
أودى ابنُ هندٍ وأودى المجدُ يتبعهُ	كانا جميعاً فماتا قاطنين معا ^(٢)

(١) أقول: هكذا في عامة كتب التاريخ، ولكن في مقتل الخوارزمي (ج ١ الفصل التاسع)

يذكر: أنه كتب إلى يزيد كتاباً يخبره بموت معاوية، ونص الكتاب - كما ذكره - هكذا:

«الحمد لله الذي لبس رداء البقاء، وكتب على عباده الفناء، فقال - عز وجل - ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾» .

لعبد الله يزيد أمير المؤمنين، من الضحاك بن قيس. أما بعد: فكتابي إلى أمير المؤمنين كتاب تهنئة ومصيبة، فأما التهنة فالخلافة التي جاءتك عفواً، وأما المصيبة فموت أمير المؤمنين معاوية، فإنا لله وأنا إليه راجعون، فإذا قرأت كتابي هذا فالعجل العجل لتأخذ الناس ببيعة أخرى جديدة» .

ثم كتب أسفل الكتاب هذين البيتين:

مضى ابن أبي سفيان فرداً لشأنه	وخلفت فانظر بعد كيف تصنع
أقمنا على المنهاج واركب محجة	سداداً فأنت المرتجى حين نفزع

فلما ورد الكتاب على يزيد وقرأه، وثب باكياً، وأمر بأسراج دوابه، وسار يريد دمشق، فصار

إليها بعد ثلاثة أيام من مدفن معاوية... (البدرى)

(٢) العقد الفريد ٤: ١٦٤، تاريخ الطبري ٥: ٣٢٨، الكامل لابن الأثير ٣: ٢٦١.

يزيد يتولى الخلافة ويخطب في الناس

قالوا: ثم قدم يزيد من يومه ذلك، فوصل (دمشق) بعد دفن أبيه بثلاثة أيام. وخرج الضحّاك في جماعة لاستقباله وهم يبكون فلما وافاهم يزيد أخذ يبكي معهم، فجاء به الضحّاك - أولاً - إلى قبر أبيه، فصلّى عند القبر، ثم دخل البلد، وقام خطيباً في الناس فقال:

«أيّها الناس كان معاوية من عباد الله، أنعم الله عليه، ثم قبضه اليه، وهو خير ممن كان بعده، ودون من كان قبله، ولا أزكيه على الله عزّ وجلّ، فانه أعلم به منّي، إن عفا عنه فبرحمته، وإن عاقبه فبذنبه. وقد وليت هذا الأمر من بعده، ولست أقصر عن طلب حق، ولا أعذر عن تفريط باطل، وإذا أراد الله شيئاً كان، ولقد كان معاوية يغزو بكم في البحر، وإني لست حاملاً أحداً من المسلمين في البحر، وكان يُشتيكم بأرض الروم، ولست مشتكياً أحداً بأرض الروم، وكان يُخرج عطاءكم أثلاثاً وأنا أجمعه لكم كلّ»^(١).

واعتلى يزيد - أخيراً - منصة الخلافة والسلطنة، وأمّه هي ميسون بنت بحدل الكلبي^(٢).

تعزية الناس ليزيد بوفاة معاوية

لم يقدّم أحدٌ على تعزيته حتى دخل عليه عبد الله بن همام السلولي، فقال:
إصبر يزيدُ فقد فارقت داميةً واذكر حباء الذي بالملك حاباكَا

(١) البداية والنهاية ٨: ١٤٣.

(٢) وهي من قبيلة بني كلب التي كانت تعتنق المسيحية قبل الاسلام، وقد أخذ يزيد عادات النصارى نظراً لانتساب أمّه الى هذه القبيلة، بل ان العديد من معلّميه كانوا من النصارى.

انظر: تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٤١.

لا رزء أعظم في الاقوام قد علموا مما رُزئت ولا عُقبى كعقباكا
 اصبحت راعي أهل الأرض كلهم فأنت تسرعاهم والله يرعاكا
 فانفتح بذلك للخطباء، فقال له رجل من ثقيف: السلام عليك يا أمير المؤمنين
 ورحمة الله وبركاته، إنك قد فُجعت بخير الأباء، وأعطيت جميع الأشياء، فاصبر
 على الرزية، واحمد الله على حسن العطية، فلا أحد أعطى كما أعطيت ولا رُزىء
 كما رُزئت»^(١).

رؤيا يزيد

ثم دخل يزيد داره، ولم يخرج إلى الناس ثلاثة أيام.
 وخرج بعد ذلك - وقد تعمم بعمّة سوداء، وتقلّد بسيف، وخطب في أهل
 الشام خطاباً أعلن فيه سياسة حكمه، فقال:
 «يا أهل الشام فإنّ الخير لم يزل فيكم، وستكون بيني وبين أهل العراق
 ملحمة وحرب شديد، وقد رأيت في منامي قبل ثلاثة أيام كأنّ نهراً يجري بيني
 وبينهم دماً عبيطاً، وجعلتُ أجهد في منامي أن أجوز في ذلك النهر فلم أقدر
 على ذلك، حتى جاءني عبيد الله بن زياد، فجازاه بين يدي وأنا أنظر اليه»^(٢).
 فعندما سمع أهل الشام خطاب يزيد كاملاً قالوا له: «يا أمير المؤمنين إمض
 بنا حيث شئت، وأقدم بنا على من أحببت، فنحن بين يديك، معك سيوفنا التي

(١) العقد الفريد ٤: ٣٧٤، البيان والتبيين للجاحظ ٣: ١٠٩، الكامل للمبرد ٣: ٣٠٠.

(٢) الظاهر ان هذا الحلم من اختراعات يزيد كذلك، فهو يعلم بشجاعة أهل العراق واخلاصهم
 للامام علي عليه السلام وأنهم سوف لا يبايعونه بسهولة كأهل الشام فافتعل هذا الحلم ليمهد الأرضية
 لحربهم والقضاء على شيعة أمير المؤمنين هناك.

عرفها أهل العراق في صفين»، فجزاهم يزيدٌ خيراً، وفرّق فيهم أموالاً كثيرة».

ثم كتب يزيد الى العمال يخبرهم بهلاك أبيه وأقرهم على عملهم وضّمّ العراقيين (البصرة والكوفة) إلى عبيدالله بن زياد بعد أن أشار عليه بذلك سرجون مولى معاوية .

لم أدر أين رجال المسلمين مضوا	وكيف صار يزيد بينهم ملكا
وقد تحكّم بالإيمان طاغية	يُمسي ويُصبح بالفحشاء منهمكا
بل كيف يسلم من شركٍ ووالده	مانزّهت حملة هند عن الشركا
لئن جرت لفظة التوحيد في فمه	فسيغه بسوى التوحيد ما فتكا
قد أصبح الدين منه شاكياً سقماً	وما إلى أحدٍ غير الحسين شكا
فما رأى السبط للدين الحنيف شفاً	إلا إذا دُمه في نصره سفكا
وما سمعنا عليلاً لا علاج له	إلا بنفس مُداويه إذا هلكا
وصان ستر الهدى عن كل خائنة	سترُ القواطم يوم الطف إذ هُتكا
بقتله فاح للإسلام طيبٌ هدي	فكلّمَا ذكرته المسلمون ذكا
نفسى الفداء لفادٍ شرعٌ والده	بنفسه وبأهليه وما ملكا
قد آثر الدين أن يُحمى فقحّمها	حيث استقام القنا الخطي واشتبكا
في فتية كصقور الجوّ تحملها	أمثالها تنقضُ الأشرار والشبكا
الصائدون سباع الصيد إن عندت	وما سوى سُمرهم مدّوا لها شركا
ضاق الفضاء على حربٍ بحربهم	حتى رأوا كل ربح ضيقاً ضنكا
يا ويح دهرٍ جنى بالطف بين بني	محمّد وبني سفيان معتركا
حاشا بني أحمدٍ، ما القوم كفؤهم	شجاعةً لا ولا جوداً ولا نُسكا

شلّ الآله يدي شمر غداة على صدر ابن فاطمة بالسيف قد بركا
 فكان ما طبّق الأدوار قاطبةً من يومه للتلاقي مأتماً وبُكا
 في كلّ عام لنا بالعشر واعيةً تُطبّق الدُور والأرجاء والسككا
 وكلّ مسلمة ترمي بزيتها حتى السماء رمت عن وجهها الحُبكا
 فان تجد ضاحكاً منّا فلا عجبُ فرئنا بسُوم المغبون أو ضحكا
 يا ميتاً ترك الأبواب حائرةً وبالعراء ثلاثاً جسمه تُركا
 تأتي الوحوش له ليلاً مُسلمةً والقوم تُجري نهاراً فوقه الرمكا
 لم ينقطع - قط - من إرسال حكمته حتى بها رأسه فوق السنان حكى
 وآلهفته لزين العابدين لقي من طول علته والسقم قد نُهكا
 كانت عيادته منهم سياطهم وفي كعوب القنا قالوا البقاء لكا
 جرّوه فانتهبوا النطع المعدّله وأوطؤوا جسمه السعدان والحسكا^(١)

رسالة يزيد إلى الوليد واليه على المدينة

ذكر أرباب السير والتاريخ: إنه لما هلك معاوية بن أبي سفيان منتصف رجب
 سنة ستين للهجرة، وتخلّف بعده يزيد، كان الوالي على المدينة - في ذلك الوقت -
 الوليد بن عتبة بن أبي سفيان.

فكتب اليه يزيد كتاباً مع مولى له يُقال له: (ابن أبي زُرَيْق) يأمره فيه بأخذ
 البيعة على أهلها كافة.

(١) من قصيدة عصماء للشاعر العلوي السيد جعفر الحلّي المتولّد في الحلة سنة ١٢٧٧ هـ
 والمتوفى في النجف الأشرف سنة ١٣١٥، ومطلعها:

الله أي دم في كربلا سفكا لم يجر في الأرض حتى أوقف الفلكا

وكتب في طيه صحيفةً صغيرة - كأنها أذنُ فارة - جاء فيها: «أما بعد، فخذ الحسين بن علي وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمان بن أبي بكر^(١)، وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليس فيه رخصة، فمن يأبى عليك منهم فاضرب عنقه، وابعث إليّ برأسه والسلام»^(٢).

فخرج ابن أبي زريق بالكتاب من الشام - وكان معه عبد الله بن أبي سرح - يجد السير حتى انتهى إلى (يثرب) ودخل على الوليد، وسلّمه الكتاب.^(٣)
فلما قرأ الوليد الكتاب بعث إلى مروان بن الحكم ليلاً، فأحضره عنده، وقرأ عليه كتاب يزيد، ونعى إليه معاوية، واستشاره في أخذ البيعة من هؤلاء النفر.^(٤)

فقال له مروان: «الرأي أن تحضرهم في هذه الساعة، وتأخذ منهم البيعة».

(١) ذكر المحدث القمي في نفس المهموم: ٦٦ بأن ذكر اسم عبدالرحمن بن أبي بكر في الرسالة غير صحيح لأنه توفي في زمن معاوية، ولذا لم يذكره البلاذري صاحب أنساب الأشراف (٣: ١٥٥) كذلك.

أقول: وكذلك في تاريخي الطبري وابن الأثير - بحوادث سنة ٦١ هـ - وكذلك نهاية الأرب للنويري ٢٠: ٣٧٧، حيث لم يرد ذكر عبدالرحمن بن أبي بكر في الكتاب، ولا للجملة الأخيرة منه، أما اليعقوبي في تاريخه (٢: ٢١٥) فلم يذكر غير الحسين عليه السلام وعبد الله ابن الزبير. والظاهر: أن ابن أبي بكر لا دور له في القصة، فقد كان متوفياً - على الأصح - قبل هذا التاريخ. [البدرى].

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٤١، مناقب ابن شهر آشوب ٤: ٨٨.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ١: ٢٦٩، تاريخ خليفة خياط ١: ٢٢٢.

(٤) في الملهوف لابن طاووس (ص ١٠): «أن الوليد لما وصله كتاب يزيد جزع وفزع، وأخذ يقول في نفسه: أنا لله وأنا إليه راجعون، يا ويح الوليد مما أدخله في هذه الامارة، مالي وللحسين بن فاطمة!». .

الوليد يطلب الحسين وأصحابه

فوجه الوليد في طلبهم - في غلس من الليل - وكانوا مجتمعين في حرم الرسول ﷺ فذعر ابن الزبير لهذه المفاجأة، والتفت إلى الحسين ﷺ قائلاً: «ما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها؟»

فقال الحسين ﷺ: «أظن أن معاوية قد مات ولم نطلب إلا لبيعة يزيد، فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشوا في الناس الخير».

قال ابن الزبير: وأنا ما أظن غير ذلك، فكيف نصنع؟

فقال عبد الرحمان بن أبي بكر وعبد الله بن عمر: ندخل دورنا ونغلق أبوابنا. وقال ابن الزبير: والله، ما أباع يزيد أبداً.

فقال الحسين ﷺ: «أنا لا بد لي من الدخول على الوليد في هذه الساعة لأنظر ما يقول».

قال له ابن الزبير: فاني أخاف عليك اذا دخلت عليه.

قال الحسين: «لا آتية إلا وأنا قادر على الامتناع، أجمع فتيتي الساعة، ثم أمشي إليه وأجلسهم على الباب وأدخل عليه»^(١).

فدعا ثلاثين نفرًا من مواليه وغلمانه، وأمرهم بحمل السلاح وقال لهم: «إن الوليد قد استدعاني في هذا الوقت، ولست آمن من أن يكلفني أمراً لا أجيبه إليه، وهو غير مأمون، فكونوا معي فاذا دخلت عليه فاجلسوا على الباب، فاذا دعوتكم أو سمعتم صوتي قد علا، فادخلوا عليّ بأجمعكم لتمنعوه عني»^(٢).

(١) الكامل لابن الأثير ٣: ٢٦٤.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٤: ٨٨.

الحسين يدخل على الوليد

فصار الحسين عليه السلام إلى الوليد، ودخل عليه - في تلك الساعة من الليل - فوجد عنده مروان بن الحكم .

فأقرأه الوليد الكتاب، ونعى إليه معاوية، فاسترجع الحسين عليه السلام ثم دعاه - كما أمره يزيد - لأخذ البيعة منه.

فقال الحسين عليه السلام : إني لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سرّاً، حتى أبايعه جهراً، فإذا خرجت إلى الناس غداً ودعوتهم للبيعة ودعوتنا معهم كان الأمر واحداً. فقال الوليد: أجل.

قال الحسين عليه السلام : فتصبح وترى رأيك في ذلك.

فقال الوليد - وكان يحبّ العافية - : إنصرف على اسم الله راشداً، حتى تأتينا مع جماعة الناس.

فالتفت مروان إلى الوليد، وقال: «أيها الأمير، لئن فارقك الساعة ولم يُبايع، لا قدرت منه على مثلها أبداً، حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، إحبس الرجل، ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه».

فوثب الحسين - عند ذلك - وقال: أنت - يا ابن الزرقاء - تقتلني أم هو؟ كذبت - والله - وأثمت .

ثم أقبل عليه السلام على الوليد، فقال: «أيها الأمير، إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الرحمة، بنا فتح الله، وبنا ختم الله ويزيد رجل فاسق فاجر، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق والفجور، ومثلي لا

يُبايع مثله ولكن نُصبح وتُصبحون، وتُنظر وتُنظرون، أَيْنَا أحق بالبيعة والخلافة»^(١).

الحسين يخرج من مجلس الوليد

ثم خرج يمشي ومعه مواله حتى أتى منزله.

فقال مروان للوليد: «عصيتني لا والله، لا يُمكنك مثلها من نفسه أبداً».

فقال له الوليد: «ويح غيرك يا مروان، إنك قد اخترت لي التي فيها هلاك ديني ودنياي، والله ما أحبُّ أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها، وأنِّي قتلت حسيناً، يا سبحان الله! أأقتل الحسين ان قال: لا أبايع؟ والله إنني لأظنُّ أن امرأ يُحاسب بدم الحسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة».

قال مروان: فان كان هذا رأيك فقد أصبت فيما صنعت . (يقول هذا وهو غيرُ حامدٍ له على رأيه).

قال الراوي: «وأقام الحسين في منزله تلك الليلة، وهي ليلة السبت لثلاثٍ بقين من رجب سنة ستين من الهجرة. واشتغل الوليد بن عتبة بمراسلة ابن الزبير في البيعة ليزيد وامتناعه عليهم، وخرج ابن الزبير من ليلته عن المدينة متوجهاً إلى مكة، فلما أصبح الوليد سرَّح في أثره الرجاء، فطلبوه فلم يُدركوه، فرجعوا.

فلما كان آخرُ نهار يوم السبت بعث الرجال إلى الحسين ﷺ ليحضر فيبايع الوليد ليزيد بن معاوية. فقال لهم الحسين: أصبحوا ثم ترون ونرى، فكفُّوا تلك الليلة عنه ولم يُلحِّوا عليه...»^(٢).

(١) الملهوف: ١٠ .

(٢) الفتوح ٥: ١٨ .

الحسين يلتقي بمروان

قالوا: فلما أصبح الحسين خرج من منزله يستمع الأخبار، فلقيه مروان بن الحكم، فقال له: يا أبا عبد الله، إني لك ناصح، فأطعني تُرشد.

فقال الحسين: وما ذاك، قل حتى اسمع؟

قال مروان: اني أمرك ببيعة يزيد، فانه خير لك في دينك ودنياك.

فقال الحسين: إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام اذ قد بُليت الأمة براع مثل يزيد، ولقد سمعتُ جدي رسول الله ﷺ يقول: ان الخلافة محرمة على آل أبي سفيان فاذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه، ولقد رآه أهل المدينة على منبر رسول الله ﷺ فلم يفعلوا به ما أمروا، فابتلاههم الله بابنه يزيد»^(١).

وطال الحديث بينه وبين مروان حتى انصرف مروان وهو غضبان. فمضى ودخل على الوليد، فأخبره بما جرى بينه وبين الحسين.^(٢)

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ١: ١٨٥.

(٢) أقول: ومن الحديث الذي طال بينهما: أن قال له الحسين ﷺ: ويحك يا مروان، أتأمرني ببيعة يزيد، وهو رجل فاسق، لقد قلت شططاً من القول وزلاً، ولا أومك فأنك اللعين الذي لعنك رسول الله وأنت في صلب أبيك الحكم ابن العاص، ومن لعنه رسول الله، فلا يُنكر منه أن يدعو لبيعة يزيد.

فقال مروان للحسين: والله لا تفارقني حتى تباع يزيد صاغراً فأنكم آل أبي تراب قد ملئتم شحناً، وأشرتُم بغض آل أبي سفيان، وحقيق عليهم أن يبغضوكم.

فقال الحسين: إليك عني فأنك رجس، وأنّي من أهل بيت الطهارة، قد أنزل الله فينا: ﴿أَنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. فنكس مروان رأسه ولم ينطق بشيء، ثم قال له الحسين: ابشر يا ابن الزرقاء بكل ما تكره من رسول الله يوم تقدم على ربك، فيسألك جدي عن حقي وحق يزيد... عن مقتل الخوارزمي ١: ١٨٥. [البديري]

الحسين يودع قبر جدّه رسول الله

قالوا: وخرج الحسين - بعد هذه الحادثة - بليلة من منزله إلى قبر جدّه رسول الله، فأهوى على القبر، وهو يقول:

«السلام عليك يا جدّه، أنا الحسين بن فاطمة، فرخك وابن فرختك، وسبطك الذي خلقتني في أمّتك، فاشهد عليهم يا نبي الله أنّهم قد خذلوني وضيعوني، ولم يحفظوني، وهذه شكواي إليك حتى ألقاك».

ثم صفّ قدميه، فلم يزل راکعاً وساجداً حتى الصباح.

وأرسل الوليد إلى منزل الحسين تلك الليلة ليتعرّف خبره، وحيث لم يُصبه في منزله اعقد أنّه خارج المدينة، فحمد الله على عدم ابتلائه بدمه، ورجع الحسين إلى منزله عند الصباح.

ولما كانت الليلة الثانية جاء الحسين أيضاً إلى قبر رسول الله ﷺ فصلى عند القبر ركعتين، ثم قال:

«اللهم إنّ هذا قبر نبيك محمد، وأنا ابن بنت نبيك، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم، إني أحبّ المعروف وأكره المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحقّ القبر ومن فيه إلّا اخترت لي ما هو لك رضاء ولرسولك رضاء».

وجعل يبكي حتى إذا كان قريب الصبح وضع راسه على القبر، فأغفى، فإذا هو برسول الله ﷺ قد أقبل في كتيبة من الملائكة عن يمينه وشماله وبين يديه، فضمّ الحسين إلى صدره، وقبّل ما بين عينيه وقال:

«حبيبي يا حسين، كآني أراك عن قريبٍ مرّلاً بدمائك مذبحاً بأرض كرب وبلاء من عصابة من أمتي، وأنّ مع ذلك عطشانٌ لا تُسقى، وظمآن لا تُروى، وهم

مع ذلك يرجون شفاعتي يوم القيامة، وما لهم عند الله من خلاق. حبيبي يا حسين، إنَّ أباك وأمك وأخاك قدموا عليّ، وهم مشتاقون إليك، وإنَّ لك في الجنان لدرجاتٍ لن تنالها إلّا بالشهادة».

فجعل الحسين عليه السلام في منامه ينظر إلى جدّه، ويتضرّع اليه ويقول:

«يا جدّاه، لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا، فخذني إليك وأدخلني معك في قبرك».

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا بُني لا بدّ لك من الرجوع إلى الدنيا حتى تُرزق الشهادة وما قد كتبَ الله لك فيها من الثواب العظيم، فانك وأباك وأخاك وعمّك وأبيك تُحشرون يوم القيامة في زُمرَةٍ واحدة حتى تدخلوا الجنة».

فانتبه الحسين من نومه فزعاً مرعوباً، وقصّ رؤياه على أهل بيته وبني عبد المطلب، فلم يكن في ذلك اليوم - لا في شرق الأرض ولا في غربها - قومٌ أشدّ غمّاً من أهل بيت رسول الله ولا أكثر باكيةً وباكيةً منهم.^(١)

الحسين يودّع قبر أمه وأخيه

قال بعض أرباب المقاتل: وتوجّه الحسين عليه السلام بعد ذلك إلى قبر أمّه فاطمة الزهراء عليها السلام في جوف الليل فصلّى عند قبرها وودّعها. ثم قام من قبرها وصار إلى قبر أخيه الحسن بن علي عليه السلام فصلّى عنده، وودّعه حتى إذا كان قريب الصبح عاد إلى منزله.^(٢)

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ١: ١٨٧.

(٢) الفتوح ٥: ٢٩.

الحسين مع أخيه ابن الحنفية

ودخل عليه أخوه محمد بن الحنفية^(١) حين علم أنه عازم على الخروج من المدينة، وقال له:

«يا أخي، أنت أحب الناس إليّ، وأعزّهم عليّ، ولست أدخر النصيحة لأحدٍ من الخلق إلّا لك، وليس أحدٌ أحقّ بها منك، لأنك مزاج مائي ونفسي وروحي وبصري وكبيرُ أهل بيتي، ومن وجبت طاعته في عنقي، لأن الله قد شرفك عليّ، وجعلك من سادات أهل الجنة.

تنحّ بيعتك عن يزيد وعن الأمصار ما استطعت، ثمّ ابعث رُسلك إلى الناس، وادعهم إلى نفسك، فان بايعوك حمدت الله على ذلك، وان اجتمعوا على غيرك لم يُنقص الله بذلك دينك ولا عقلك، ولا تذهب مروءتك ولا فضلك.

إنّي أخاف عليك أن تدخل مصرّاً من هذه الأمصار، فيختلف الناس فيما بينهم: فطائفةٌ معك، أخرى عليك، فيقتتلون، فتكون لأول الأُسنة عرضاً فاذا خبيرُ هذه الأُمّة كلّها نفساً وأباً وأماً، أضيعها دماً وأذلّها أهلاً».

قال الحسين: فأين أنزل يا أخي؟

قال: تنزل مكة، فان اطمأنت بك الدار فذاك، وان تكن الأخرى خرجت إلى

(١) هو محمد بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وأمّه خولة بنت جعفر بن قيس، وهو من سبي بني حنيفة، تزوج بها علي بعد وفاة فاطمة عليها السلام، فولدت له محمداً، واشتهر بالانتساب إلى أمّه للتمييز، ولد بالمدينة سنة ٢١ هـ، وتوفي فيها سنة ٨١ هـ. كان آية في العلم والكرم والشجاعة، ومواقفه في الشجاعة معروفة في الجمل وصفين حيث كان يحمل اللواء الأعظم بين يدي أبيه أمير المؤمنين عليه السلام.

أمّا سبب تخلفه عن الذهاب مع أخيه الحسين عليه السلام فإنّه كان مريضاً - كما قيل - أو لأنّ الحسين عليه السلام رخصه في البقاء في المدينة ليكون له عيناً - كما ورد ذلك في نص وصيته له عليه السلام. انظر: مناقب ابن شهر آشوب ٤: ٨٨.

بلاد اليمن، فانهم أنصار جدك وأبيك، وهم أراءف الناس وأرقهم قلوباً، وأوسع الناس بلاداً. فان اطمأنت بك الدار، وإلا لحقت بالزّمال وشعوب الجبال، وجُزّت من بلدٍ إلى بلد، حتى تنظر ما يؤول إليه أمرُ الناس، ويحكم الله وهو خير الحاكمين، فانك أصوبُ ما تكون رأياً وأحزمُ عملاً حين تستقبل الأمور استقبالاً، ولا تكون الأمور أبداً أشكلَ عليك منها حين تستدبرها استدباراً».

فقال الحسين: يا أخي، لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى، لما بايعتُ يزيد بن معاوية.

فقطع محمد بن الحنفية كلامه، وبكى، وبكى الحسين عليه السلام معه ساعة، ثم قال له:

يا أخي، جزاك الله عني خيراً، فقد نصحت وأشفقت وأشرت بالصواب، وأرجو أن يكون رأيك سديداً موقفاً إن شاء الله.

وأنا عازم على الخروج إلى مكة، وقد تهيأتُ لذلك أنا واخوتي وبنو أخي وشيعتي، أمرهم أمري ورأيهم رأيي.

وأما أنت - يا أخي - فلا عليك أن تُقيم في المدينة، فتكون لي عيناً عليهم لا تُخفي عليّ شيئاً من أمورهم.^(١)

وصية الحسين لأخيه محمد

ثم دعا الحسين عليه السلام بدواةٍ وبياض، وكتب وصيةً لأخيه محمد قال فيها:

«باسم الله الرحمان الرحيم، هذا ما أوصى به الحسين بن علي ابن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية: أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، جاء بالحق من عنده، وأن الجنة حق والنار

(١) تاريخ الطبري ٥: ٣٤٢، الكامل لابن الأثير ٣: ٢٦٥، نهاية الارب ٢٠: ٣٨١.

حق، وإن الساعة آتية لا ريب فيها، والله الله يبعث من في القبور.
وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مُفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب
الإصلاح في أمة جدي محمد ﷺ وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق
فإنه أولى بالحق، ومن رد عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق،
وهو خير الحاكمين.

وهذه وصيتي اليك - يا أخي - وما توفيقني إلا بالله عليه توكلتُ، وإليه أنيبُ».
ثم طوى الكتاب وختمه بخاتمه الشريف، ودفعه إلى أخيه محمد وودّعه
محمد، وخرج باكياً حزيناً.^(١)

الهاشميات يبكين الحسين

قالوا: وأقبلت نساء بني عبد المطلب لما بلغهن: أن الحسين يُريد الشخوص
من المدينة، واجتمعن للنياحة والبكاء، حتى مشى فيهم الحسين، وقال: أنشدكن الله
أن تُبدين هذا الأمر معصيةً لله ولرسوله.

قُلن: فلن نستبقي النياحة والبكاء؟ فهو - عندنا - كيوم مات فيه رسول الله
علي وفاطمة والحسن - صلوات الله عليهم -، جعلنا الله فداك، يا حبيب الأبرار من
أهل القبور.

وأقبلت عليه بعض عَمَّاته، وهي تبكي وتقول: أشهد الله يا حسين، لقد
سمعتُ البارحة هاتفاً يقول:

وإن قَتيلَ الطفِّ من آلِ هاشمٍ أذلَّ رَقاباً من قُريشٍ فذَلَّتْ^(٢)

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٤: ٨٨، مقتل العوالم: ٥٤.

(٢) أقول: في المصدر نفسه ذكر هذا البيت من نوح الجن، وأضاف له بيتاً آخر وهو:

حبيب رسول الله لم يك فاحشاً أبانت مصيبتك الأنوف وجلّت =

فصبرها الحسين عليه السلام وعرفها أنّه أمر جار وقضاء محتوم ^(١).

دخول جملة من الرجال عليه للاشارة

قالوا: ودخل عليه جملة من الرجال: الهاشميين وغيرهم، وأشار عليه بعضهم بالمسالمة والصلح مع يزيد بن معاوية، وحذّره من القتل والقتال ^(٢).

=
ورود ذكر هذا البيت ضمن أبيات أربعة أو خمسة أو أكثر في كثير من المصادر التاريخية والأدبية المعتبرة، كشرح ديوان الحماسة لأبي تمام ٣: ١٤، ومروج الذهب للمسعودي ٢: ٩٢، ومناقب ابن شهر آشوب ٢: ٢٨٨، وتذكرة الخواص لابن الجوزي: ١٢٤، ومقالات الاسلاميين للأشعري ١: ١٤٢، والكامل لابن الأثير ٤: ٣٧، والأبيات هكذا - مع الاختلاف البسيط - :

مررت على أبيات آل محمّد	فلم أرها أمثالها حين حلّت
فلا يبعد الله الديار وأهلها	وإن أصبحت منهم برغمي تخلّت
وإنّ قتيل الطفّ من آل هاشم	أذلّ رقاب المسلمين فذلّت
وكانوا غيائاً ثم أضحوا رزية	ألا عظمت تلك الرزايا وجلّت
ألم تر أن الشمس أضحت مريضة	لقتل حسين والبلاد اقشعرت
وقد أعولت تبكي السماء لفقده	وأنجمها ناحت عليه وصلّت

وقد أنشد هذه الأبيات أبو تمام في الحماسة ، والمبرد في الكامل لسليمان بن قتّة ، ونسبها ابن الأثير في آخر وقعة الطفّ من كامله إلى التيمي تيم مرّة قال : وكان منقطعاً إلى بني هاشم ، والظاهر أنّه أراد سليمان بن قتّة لأنّه تيمي بالولاء .

وقال الخطيب التبريزي في شرح الحماسة : رواها البرقي لأبي زميج الخزاعي ، وأوردها ابن عبد البر في ترجمة الحسين من الاستيعاب ، فنسبها إلى سليمان بن قتّة الخزاعي ، وقيل : أنّها لأبي الزميج الخزاعي . [البدر]

(١) مقتل الحسين للمقرم: ١٣٧ .

(٢) أقول : فمن أولئك نفر عمر الأطراف بن أمير المؤمنين عليه السلام وهو شقيق العباس الأصغر، وأمه الصهباء «أمّ حبيب بن عبّاد بن ربيعة» من بني تغلب، توفي في المدينة بعد واقعة الطفّ بستّ سنين .

إبائؤه عن الصلح والمسالمة

ولكن أبيّ الضيم، وسيد أهل الإياء، الذي علّم الناس الحميّة، والموت تحت طلال الأسنة، إختياراً على الدنيّة، كيف ترضى نفسه - التي هي نفس أبيه - الإنقياد والمسالمة لابن آكلة الأكباد، اللعين بن اللعين على لسان رسول رب العالمين.

وكيف يستسلم إلى الدنيّة - وهو القائل: «موت في عزّ خير من حياة في ذل» وهو القائل - يوم الطف حين عُرض عليه النزول على حكم يزيد وابن زياد - : «ألا وإنّ الدعيّ بن الدعيّ قد ركز بين اثنتين: بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حميّة ونفوس أبيّة من أن تؤثر طاعة اللثام على مصارع الكرام».

طمعت أن تسومه القومُ ضيماً وأبى الله والحسامُ الصنيعُ
كيف يلوي على الدنيّة جيداً لسوى الله ما لواه الخضوعُ
فأبى أن يعيش إلّا عزيزاً أو تجلّى الكفاح وهو صريعُ
فتلقّى الجموعَ فرداً ولكن كلّ عضوٍ في الروع منه جُموع^(١)

= فقد دخل على أخيه الحسين (عليه السلام) - حينما بلغه خروجه من المدينة - وقال له: جعلت فداك - يا أبا عبدالله - حدّثني أخوك أبو محمد الحسن عن أبيه (عليه السلام) صمّ سكت، وسبقته الدمة، فبادره الحسين وقال: حدّثك أنّي مقتول؟
قال عمر: حُوشيت - يا ابن رسول الله - .
قال الحسين: سألتك بحقّ أبيك: بقتلي أخبرك؟
قال عمر: نعم، فلولا ناوأت وبايعت.

فقال الحسين (عليه السلام): حدّثني أبي: إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخبره بقتله وقتلي، وأنّ تربتي تكون بقرب تربته، فظنّ أنّك علمت ما لم أعلمه؟ وإنّي لا أعطي الدنيّة من نفسي أبداً، ولتلقين فاطمة اباه شاكية ما لقيت ذريّتها من أمته، ولا يدخل الجنّة أحدٌ أذاها في ذريّتها.

انظر: الملهوف لابن طاووس: ١٢. [البدر]

(١) من قصيدة في رثاء الحسين (عليه السلام) لشاعر أهل البيت الأديب السيد حيدر الحلبي. وقصيدته =

أخبار من الشهادة

١ - قال عبدالله بن عباس : لقيت الحسين بن علي وهو يخرج إلى العراق ، فقلت له : يا بن رسول الله لا تخرج .

قال : فقال لي : يا بن عباس ، أما علمت أنّ منيّي من هناك ، وأنّ مصارع أصحابي هناك ؟

فقلت له : فأنّى لك ذلك ؟

قال : بسرّ سرّ لي وعلم أعطيته .^(١)

٢ - قال البيهقي في تاريخه : أنّ الرسول الأكرم ﷺ قال للحسين ﷺ : «إنّ لك في الجنة درجة لا تتأهلها إلا بالشهادة» .

وان البقعة التي يدفن فيها خير البقاع بعد بيت مكة والمدينة وبيت المقدس ، وما من نبي إلا زارها ، وقد بكى عليها ، ولها في كلّ يوم زيارة من الملائكة بالتسليم .^(٢)

٣ - قال المرحوم العلامة المجلسي : عندما عزم الحسين ﷺ على الحركة من المدينة دخلت عليه أم سلمة - وهي باكية - فقالت له :

يا حسين لا تُحزنني بخروجك إلى العراق ، فاني سمعتُ جدّك رسول الله ﷺ يقول : «يُقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرضٍ يقال لها كربلاء» وعندي تربة في (قارورة) دفعها إليّ النبيّ .

= هذه مذكورة في ديوانه «الدر اليتيم» والذي يحتوي على قصائد في المدح والثناء منها عشرين قصيدة في رثاء الإمام الحسين ﷺ .

(١) دلائل الامامة : ٧٤ ، اثبات الهداة ٥ : ٢٠٥ ح ٦٦ .

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي : ١٧٠ .

فقال لها الحسين: يا أمّاه، وأنا - والله - أعرف ذلك، وأعلم أنني مقتولٌ مذبحٌ ظلماً وعدواناً، وقد شاء الله أن يرى حُرْمِي ورهْطِي ونسائي مُشَرَّدِين، وأطفالي مذبحين مأسورين مقيدّين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا مُعيناً.

قالت أم سلمة: واعجباه، فأنت تذهب وأنت مقتول؟

قال الحسين: يا أمّاه، ان لم أذهب اليوم ذهبْتُ غداً، وإن لم أذهب في غدٍ ذهبْتُ بعد غدٍ، وما من الموت - والله - بَدْءٍ. وإني لأعرف اليوم الذي أُقتلُ فيه. والساعة التي أُقتلُ فيها، والحفرة التي أدفنُ فيها، كما أعرفك وأنظر إليها كما أنظر إليك، وإن أحببت - يا أمّاه - أن أريك مضجعي، ومكان أصحابي؟

فطلبت منه ذلك. فأراها ما طلبت، ثم أعطاهَا من تلك التربة، وأمرها أن تحتفظ بها في (قارورة) مع (قارورة) جدّه رسول الله، فاذا رأتهما تفوران دماً تيقنت قتله.

وفي اليوم العاشر من المحرّم بعد الظهر بساعة، نظرت أم سلمة إلى القارورتين فاذا هما تفوران دماً.

٤ - روي: أنّه عندما وصل الحسين عليه السلام إلى كربلاء سأل عن اسم المكان، فقيل له: أنّه وادي كربلاء، قال: «هذا موضعُ كربٍ وبلاءٍ» إنزلوا هاهنا محطّ رجالنا، ومناخ ركابنا، ومقتل رجالنا، ومسفك دمائنا، وهنا محلّ قبورنا، بهذا حدّثني جدي رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولقد وقف أبي حينما ذهب إلى صفين في هذا المكان وقال: هاهنا مناخ ركابهم، وهاهنا موضع رحالهم، وهاهنا مهراق دمائهم، فتية من آل محمد يقتلون

بهذه العرصة، تبكي عليهم السماء والأرض.^(١)

٥ - قال الامام في جوابه لعبدالله بن الزبير: والله لأن أقتل خارجاً منها بشبر أحب إليّ من أن أقتل فيها، ولأن أقتل خارجاً منها بشبرين أحب إلي من أن أقتل خارجاً منها بشبر.^(٢)

٦ - روي أكثر من مرة أنّ الحسين عليه السلام قال: وأيم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا بي حاجتهم، والله ليعتدنّ علي كما اعتدت اليهود في السبت.^(٣)

٧ - وعن عمارة بن زيد، قال: حدّثنا ابراهيم بن سعد قال: أخبرني أنّه كان مع زهير بن القين حين صحب الحسين عليه السلام فقال له: يا زهير، اعلم أنّ هاهنا مشهدي، ويَحْمِل هذا من جسدي - يعني رأسه - زحر بن قيس، فيدخل به على يزيد يرجوا نواله، فلا يعطيه شيئاً.^(٤)

(١) الأخبار الطوال: ٢٥٣.

(٢) الكامل في التاريخ ٤: ٣٨.

(٣) الكامل في التاريخ ٤: ٣٩.

(٤) دلائل الامامة: ٧٥.

الفصل الثاني من المدينة إلى مكة

خروج الحسين عليه السلام إلى مكة

كان خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب سنة ستين من الهجرة، ودخل مكة ليلة الجمعة لثلاث مضي من شعبان، وبعد أن أقام أربعة أشهر وخمسة أيام في مكة المعظمة (من أول شعبان إلى أواخر ذي القعدة) وفي يوم الثلاثاء^(١) الثامن من ذي الحجة والذي صادف يوم التروية (وهو نفس اليوم الذي أعلن فيه مسلم بن عقيل حركته في الكوفة)، تحرك الحسين من مكة باتجاه العراق.^(٢)

ولزم الطريق الأعظم، فقليل له: لو تنكبت الطريق - كما فعل ابن الزبير كيلاً يلحقك الطلب - ؟

قال: لا والله، لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاضٍ.

وكانت حركة الحسين عليه السلام لما بلغه خبر مفاده أن يزيد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص في عسكر وأمره على الحاج وولاه أمر الموسم وأوصاه بالفتك بالحسين

(١) ذكر السيد ابن طاووس أن خروج الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق كان يوم الثلاثاء الثالث من ذي الحجة. (الملهوف: ٢٥).

وذكر السيوطي أن خروج الإمام الحسين من مكة إلى العراق - وبدون أن يعين يوماً لذلك - كان في العاشرة من ذي الحجة (تاريخ الخلفاء: ٢٠٧).

(٢) أنساب الأشراف ٣: ١٦٠.

أيّما وجده، ومن جهة أخرى علم الحسين عليه السلام أنّ أكثر من ثلاثين ألف نفر من عملاء يزيد جاءوا لقتله، فعزم على الخروج من مكة.

إضافة الى ذلك هناك مسألة مهمة وهي أنّ أهل الحجاز كانوا أعداء لأهل البيت عليهم السلام الى درجة يقول فيهم الامام الرابع زين العابدين عليه السلام: «ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يُحبّتنا»^(١).

وخرج الحسين عليه السلام هو وبنوه وإخوته وبنو أخيه وجُلّ أهل بيته إلّا محمّد ابن الحنفية، وعبد الله بن جعفر، وعمر الأطفرف، وعبد الله بن عباس، فخرج - وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿فخرج منها خائفاً يترقبُ قال ربّي نجّني من القوم الظالمين﴾^(٢).^(٣)

مثل ابن فاطمة يبيت مشرداً	ويزيد في لذاته متنعم
ويضيّق الدنيا على ابن محمد	حتى تفاذفه الفضاء الأعظم
خرج الحسين من المدينة خائفاً	كخروج موسى خائفاً يتكتم
وقد انجلى عن مكة وهو ابنها	وبه تشرفت الحطيم وزمزم
لم يدر أين يُريح بدن ركابه	فكأنما المأوى عليه مُحرم
فمشّت تؤم به العراق نجائب	مثل النعم به تخب وترسم
مثل ابن فاطمة يبيت مشرداً	ويزيد في لذاته مُتنعم
ويضيّق الدنيا على ابن محمّد	حتى تفاذفه الفضاء الأعظم ^(٤)

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ١٠٤.

(٢) القصص: ٢١.

(٣) الارشاد للشيخ المفيد ٢: ٣٤.

(٤) من قصيدة عصماء للعلامة السيد جعفر الحلي مطلعها:

وجه الصباح عليّ ليل مظلم وربيع أيامي عليّ محرم

لقاءات الحسين عليه السلام في الطريق

ولقيه عند خروجه من المدينة في موضع يقال له (الشريفة) عبد الله بن مطيع العدوي^(١)، فقال له: جُلعتُ فداك أين تُريد؟

قال الحسين: أما الآن، فمكة، وأما بعد ذلك فاستخير الله تعالى في أمري.

قال عبد الله: خار الله لك، وجعلنا فداك، فاذا أتيت (مكة) فإياك أن تقرب من الكوفة، فانها بلدة مشؤومة، قتل فيها أبوك، وخُذل أخوك، واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه، فألزم الحرم، فأنت سيّد العرب، لا يعدل بك أهل الحجاز أحداً، ويتداعى إليك الناس من كل جانب، ولا تُفارق الحرم - فداك عمي وخالي - فوالله لئن هلكت لُنسترقنّ بعدك»^(٢).

فشكره الامام عليه السلام ودعا له بخير وودّعه.

بأبي وببي من هم أجل عصابة
سارت تؤم بها العلى سرواتها
عطري الثياب سروا فقل في روضة
غب السحاب سرت بها نسماؤها
ركب حجازيون عرقت العلى
فيهم ومسك ثنائهم شاماتها
ومطوحين ولا غناء لهم سوى
هزج التلاوة رُتلت آياتها

(١) ذكر ابن الأثير في تاريخه أنّ لقاء الإمام الحسين بابن مطيع كان في طريقه من الى مكة، ولكن بعض المؤرخين كالشيخ المفيد في تاريخه قال: بأنّ هذا اللقاء تمّ في الطريق بين مكة والعراق.

واحتمل البعض أنّ يكون هناك لقاء بين شخصين مختلفين: اللقاء الأول بين الامام الحسين عليه السلام وعبد الله بن مطيع في طريقه من المدينة الى مكة، والثاني بين الامام الحسين عليه السلام وعبد الله بن أبي مطيع في الطريق بين مكة والعراق. (انظر: الإمام الحسين وأصحابه: ١٦٣).

(٢) الكامل في التاريخ ٤: ١٩.

وإلى اللقاء تشوّقاً أعطافها
 خفّت بهم نحو المنايا همّة
 وبِعزمها من مثل ما بأكفها
 فكأنّ من عزماتها أسيافها
 وملوك بأسٍ في الحروب قبائها
 يسطون في الجَمّ الغفير ضياغماً
 حتى إذا نزلوا العراق فأشرقت
 ضربوا الخيام بكربلا وعليهم
 وأتت بنو حربٍ تروم ودون ما
 رامت بأن تعنو لها سفهاً وهل
 وتسومها: إما الخضوع أو الردى
 وتقحّموا ليلَ الحروب فأشرقت
 وبدت علوجُ أمية فتعرّضت
 تعدو لها فتميتها رُعباً وذي
 فتخرّ بعد قلوبها إذ قانها
 وبأسرتي من آل أحمد فتيةً
 يتضاحكون إلى المنون كأنّ في
 وترى الصهيل مع الصليل كأنه
 وكأنما سمرُ الرّماح معاطف
 وكأنما بيضُ الطّبي بيضُ الدّمي
 وكأنما حُمُرُ النّصُول أناملُ
 ومذ الوغى شبّت لظى وتقاغست

مهزوزةً فكأنّها قنوائها
 ثقلت على جيش العدى وطائها
 قطع الحديد تأجّجت هلباتها
 طُبعَت ومن أسيافها عزماتها
 قَبّ البطون ودسّتها صهواتها
 لكئّما شجرُ القنا أجماثها
 أكنافها وزهت بهم عرصاتها
 قد خيّمَت ببلائها كرباها
 رامت تخرّ من السما طبقاتها
 تعنو لشرّ عبيدها ساداتها
 عزاءً وهل غير الإياء وأباتها
 بوجوههم وسيوفهم ظلّماها
 للأسد في يوم الهياج شياها
 يوم اللقا بعداتها عاداتها
 وتفرّ قبل جسومها هاماتها
 صينت بذل نفوسها فتياها
 راحاتها قد أترعت راحاتها
 فيهم قيان رُجعت نغماتها
 فتمايلت لعناقها قاماتها
 ضمت لِمى رشقاتها شفرائها
 قد خضّبتها (عندما) كاساتها
 دون الشدائد نُكّصاً شدّاتها

قد أنبتت شجر القنا حافاتها
 نيرانها لجنانهم جناتها
 ولها الفوارس سجّد هاماتها
 وجرى القضاء فنكست راياتها
 من صمّ شاهقة الذرى هضباتها
 لكن تزيد طلاقة قسماتها
 فهوت عليه طغامها وطغاتها
 حرب جيوش أمية حملاتها
 ديست على اشبالها غاباتها
 للسانه ولسانه كلساتها
 طعن السنان فلم تفتت عتاتها
 سلك القنا لقلوبهم حباتها
 ظمأ تطاير شعله قطعاتها
 صمّ الصفا ذابت عليه صفاتها
 ماء لعلّ قلبه قطراتها
 لك والعدى بك أنجحت طلباتها
 للناس بعدك نيلها وفراقها
 وبرأسك السامي تُشال قناتها
 وجسومكم فوق الثرى حلباتها
 تدعو وعنّها اليوم أين سراتها
 صرعى وتلك على القنا هاماتها
 للحشر تنشر فخرهم حسناتها

وغدت تعوم من الحديد بلجة
 خلعوا لها جُنن الدروع ولاح من
 بأكفّها عُوج الأسنة ركع
 حتى اذا وافت حقوق وفائها
 وهوت كما انهالت على وجه الثرى
 وغدت تُقسّم بالطبى أشلاؤها
 ثم انتنى ثقل النبوة مفرداً
 غير ان يحمل عزمة حملت إلى
 يحمي مخيمه قل: أسد الثرى
 خطب العدى فوق العوادي خطبة
 وعظ اللسان ومذعتوا عن أمره
 نشر الرؤوس بسيفه ونظمن في
 يروي الثرى بدمائهم وحشاه من
 لو قُلبت من فوق غلّة قلبه
 تبكي السماء له دماً أفلا بكت
 وآحرّ قلبي يا ابن بنت محمد
 منعك من نيل الفرات فلا هنا
 وعلى الثنايا منك يلعب عودها
 وبهم تروح الغاديات وتغتدي
 ونساؤكم أسرى سرت بسرّاتكم
 هاتيك في حرّ الهجير جسومها
 بأبي وبى من هم محاسن في الثرى

أقوت معالمُ أنسهم والوحشُ كم
يا هل ترى مُضراً درت ما قد رأت
خفرت لها أبناؤُ حربٍ ذمّةً
جارت على تلك المنيعات التي
حتى غدت بين الأراذل مغنماً
فلضربها أعضاؤها، ولسلبها
وثواكلٍ لما دُفعن عن البكا
زفرائها لو لم تكن مشفوعةً
وعلى الأيائق من بنات محمّدٍ
أبدى العدو لها وجوهاً لم يبن
ومروعةٍ في السبي تشكو بثها
أحمة دين الله كيف بناتكم
تطوي الفلاة بها وما ضاقت على
وخيائكم تلك التي أوتادها
بالنار اضرمها العدو وأنتم
فرّت تعادى في الفلاة نوائحاً
حتى اذا وقفت جُشثٍ لكم
قدحت لكم زند العتاب فلم تجد
وسرث على حالٍ يحقّ لشجوها
حنّت ولولا زجرٌ (زجرٍ) ما حدّت
يا لوعةً قعدت وقامت في الحشا

راحت ومن أسيافهم أقوائها
في كربلا أبناؤها وبنائها
هُتكت لها ما بينهم خفرائها
تهوى النجوم لو أنها جارائها
تنتاشها أجلاؤها وجفائها
أبرادها، ولنهبها وجفائها
والنوح ردّدت الشجى لهوائها
بالدمع أضرمت السما جذوائها
في الشمس تُصلي حرّها أخوائها
حتى لأنفاس الصبا صفحاتها
فتجأب ضرباً بالسيّاط شكائها
ساروا بها والشامتون حُمائها
حربٍ بشعث خيولكم فلوائها
شُهبُ السماء وعرشها دارائها
أربائها، وحريركم ربّائها
حسرى تُقطّع قلبها حسرائها
طالت عليها للطّبي وقفائها
غيرَ السياط لجنبها هفوائها
الأفلاك لو وقفت لها حركاتها
أضعائها بسوى الحنين خدائها
خرساء تنطق بالشجى نفثاتها^(١)

(١) القصيدة للإمام المجاهد محمد الحسين آل كاشف الغطاء .

الفصل الثالث

في مكة

فلم يجد بُدّاً من الخروج	خوفاً من الطغام والعلوج
فسار ظاعناً من المدينة	لكي يصون نفسه ودينه
بأي شرع سبط طه يُخرجُ	يفرّ من دياره ويُزعجُ
وطيبةً طابت بهم أرجاؤها	وشرفت بجذهم بطحاؤها
قد أخرجوه من جوار جدّه	مشرّداً بأهله ووُلده
إلى حمى الله التجا ليحتمي	وهو أمانُ مكة والحرم
ما البيئُ ما الكعبةُ ما أركائه	هُم قبلَةُ البيت وهم أمائه
ما الركنُ ما الحطيمُ ما لمشاعرُ	هم لها دون الورى أرواح ^(١)

دخول الحسين مكة

وأخذ الحسين عليه السلام يجد السير حتى إذا تراءت له جبال مكة، أخذ يقرأ قوله تعالى: ﴿ولما توجه تلقاء مدين قال: عسى ربّي أن يهديني سواء السبيل﴾^(٢).

وكان دخوله مكة ليلة الجمعة - أو يومها - لثلاثٍ مضين من شعبان^(٣)، فنزل في دار العباس بن عبد المطلب ؛ وقيل: في شعب علي^(٤).

(١) من «المقبولة الحسينية» للحجّة الشيخ هادي النجفي .

(٢) الفتوح ٥: ٣٧ .

(٣) الملهوف: ١٣ .

(٤) الأخبار الطوال: ٢٠٩ .

فأقام بمكة شعبان وشهر رمضان وشوالاً وذا القعدة^(١) وثمان ليالٍ من ذي الحجة^(٢).

أقبال الناس على الحسين في مكة

وأقبل أهل مكة ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق يختلفون إليه ويغدون عليه وعبدالله بن الزبير بها ملازم جانب الكعبة يصلّي عندها ويطوف، ويأتي الحسين في من يأتيه اليومين المتواليين ويأتيه بين كل يومين مرةً، ولا يزال يشير على الحسين بالرأي وبالخروج إلى العراق وكان ثقیلاً عليه دخول الحسين مكة، لكونه أجل منه، وأطوع للناس، فلا يبايع له ما دام الحسين فيها.

والهدف من تظاهر عبدالله بن الزبير بالعبادة من أجل خداع الآخرين للايمان به، وقد قال في شأنه أمير المؤمنين عليه السلام: «ينصب حباله الدين لاصطفاء الدنيا».

وبدون أي تردد نقول: إنّ عبدالله بن الزبير لم يكن في ثورته ضد الحكم الأموي يملك أي هدف الهي، بل كان يهدف الى السيطرة على مقاليد السلطة وتصبح الأمور بين يديه، وهذه الحقيقة لم تخفى حتى على عبدالله بن عمر عندما أصرت عليه زوجته ببيعة عبدالله بن الزبير وطلبت منه النظر الى عبادة وتقوى ابن الزبير، ولكنه أجابها: «أما رأيت بغلات معاوية التي كان يحج عليها الشهباء؟ فان ابن الزبير ما يريد غيرهن»^(٣).

(١) الملهورف: ١٣.

(٢) فقد خرج عليه السلام من مكة يوم التروية الثامن من ذي الحجة باجماع المؤرخين من الفريقين - لو استثنينا بعض الشذوذ القائل بأنّه يوم الناس أو العاشر منه - .

(٣) حياة الامام الحسين ٢: ٣١٠.

زيارة قبر خديجة عليها السلام

لما أقام الإمام عليه السلام في مكة خرج في بعض الأيام الى زيارة قبر جدته خديجة فصلّى هناك وابتهل الى الله كثيراً^(١).

الحسين يكتب إلى أشرف البصرة

وكتب عليه السلام من مكة إلى جماعة من أشرف البصرة ورؤساء الأخماس^(٢) مع مولى له، اسمه سليمان^(٣)، وكنيته (أبو رزين).

قال الطبري: كتب الحسين عليه السلام إلى رؤساء الأخماس بالبصرة وإلى الأشرف فيها، فجاء الكتاب بنسخة واحدة :

«باسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي بن أبي طالب، أما بعد، فإنّ الله اصطفى محمداً من جميع خلقه، وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه اليه مكرماً، وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به، وكنا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته، وأحق الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك فرضينا وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنّا أحقّ بذلك الحق المستحق علينا ممّن تولاه.

وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، فإنّ السنة قد أميتت، وإنّ البدعة قد أحييت، وإن تسمعوا قولي، وتطيعوا

(١) الخصائص الحسينية : ٣٥.

(٢) الأخماس: جمع خميس، وهو الجيش، لتألفه من خمس فرق، الجناحين والقلب، والمقدمة، والمؤخرة.

(٣) سليمان بن رزين من موالى الامام الحسين عليه السلام، أرسله بكتب الى رؤساء الأخماس بالبصرة حين كان بمكة. (إبصار العين : ٩٤).

أمرني أهدكم إلى سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»^(١).

ومنّ كتب إليه الحسين عليه السلام من أهل البصرة: مالك بن مسمع البكري، وقيس بن الهيثم، وعمرو بن عبيد^(٢) بن معمر، والأحنف بن قيس سيّد بني تميم، والمنذر بن الجارود العبدي، ويزيد بن مسعود النهشلي.

فأخذ الرسول كتاب الحسين عليه السلام وجعل يجدّ السير من مكّة إلى أن وصل إلى البصرة فسلم صورة الكتب إلى أصحابها.

رد فعل المنذر بن الجارود^(٣)

كان رد فعل المنذر بن الجارود العبدي هو ان جاء بالكتاب والرسول إلى ابن زياد، وكان يومئذ والياً على البصرة - وكان ابن زياد صهر المنذر على ابنته (بحريّة) فخاف أن يكون الكتاب دسيساً من قبل عبيد الله. فأخذ ابن زياد الرسول - بعد أن أقرأه الكتاب - فقتله، وصلبه عشية اليوم الذي غادر في صبيحتها البصرة إلى الكوفة بأمر من يزيد بن معاوية.

جواب الأحنف بن قيس

وأما الأحنف بن قيس - زعيم بني تميم - فكتب إلى الحسين عليه السلام :

«أما بعد، فاصبر، إنّ وعد الله حق، ولا يستخفّنك الذين لا يؤقنون»^(٤).^(٥)

(١) تاريخ الطبري ٣: ٢٨٠، إصار العين: ٩٥، حياة الامام الحسين ٢: ٣٢٢.

(٢) في الكامل: عمر بن عبد الله، وفي مصادر أخرى عمرو بن عبد الله.

(٣) كان أبيه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد نصبه الامام علي عليه السلام على بعض النواحي، ولم يذكر بحقه مدح ولا ذم، وقد ضعّفه علماء الرجال. (تنقيح المقال ٣: ٢٤٨).

(٤) اقتباس من سورة الروم: ٦٠.

رد يزيد بن مسعود النهشلي

وأما يزيد بن مسعود النهشلي، فإنه لما جاءه كتاب الحسين عليه السلام جمع بني تميم وبني حنظلة وبني سعد في مؤتمرٍ واحدٍ، فلما حضروا خطبهم، فقال:

«يا بني تميم، كيف ترون موضعي فيكم، وحسبي منكم؟

فقالوا: بخ، بخ، أنت والله فقرة الظهر، ورأس الفخر، حللت في الشرف وسطاً، وتقدمت فيه فُرطاً.

قال: فاني قد جمعتكم لأمرٍ أريد أن أشاوركم فيه، واستعين بكم عليه.

فقالوا: إنا - والله - نمنحك النصيحة، ونحمد لك الرأي، فقل حتى نسمع؟

فقال: إن معاوية قد مات، فأهون به - والله - هالكاً ومفقوداً، ألا وإنه قد انكسر باب الجور والاثم وتضعضت أركان الظلم، وقد كان أحدث بيعاً عقد بها أمراً ظن أنه قد أحكمه، وهيهات الذي أراد، اجتهد - والله - ففشل، وشاور فخذل. وقد قام من بعده يزيد شاربُ الخمر، ورأس الفجور، يدعي الخلافة على المسلمين ويتأمر عليهم، ومع قصر حلم، وقلة علم، لا يعرف من الحق موطأ قدميه فأقسم بالله قسماً مبروراً، لجهاده على الدين أفضل من جهاد المشركين.

وهذا الحسين بن علي وابن رسول الله ذو الشرف الأصيل، والرأي الأثيل، له فضل لا يُوصف، وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر، لسابقته وسنّه وقدمه وقربته، يعطف على الصغير ويحسن إلى الكبير، فأكرم به راعي رعية، وإمام قومٍ وجبت لله به الحجة، وبلغت به الموعظة، فلا تعشوا عن نور الحق، ولا تسكعوا في هدة الباطل. وقد كان صخر بن قيس انخذل بكم يوم الجمل، فاغسلوا بخروجكم إلى ابن رسول الله ونصرته، فوالله، لا يقصّر أحدٌ عن نصرته إلا أورثه الله الذل في ولده،

والقلة في عشيرته.

وها أنا ذا قد لبستُ للحرب لامتها، وأدّرتُ لها بدرعها، مَنْ لم يقتل يمت، ومن يهرب لم يفت، فأحسنوا - رحمكم الله - ردّ الجواب».

فتكلّمت بنو حنظلة، فقالوا: يا أبا خالد، نحن نبلُ كنانتك وفُرسانُ عشيرتك، إن رميت بنا أصبت، وإن غزوت بنا فتحت، لا تخوض - والله - غمرةً إلّا خُصناها، ولا تلقى - والله - شدةً إلّا لقيناها، نصركُ باسيافنا، ونقيك بأبداننا إذا شئت.

وتكلّمت بنو عامر بن تميم، فقالوا: يا أبا خالد، نحن بنو أبيك وحلفاؤك، ولا نرضى إن غضبت، ولا نقطن إن ضعنت والأمر إليك، فادعنا نجبك، ومُرنا نطعك، والأمر لك إذا شئت.

وتكلّمت بنو سعد بن زيد، فقالوا: يا أبا خالد، إن أبغض الأشياء إلينا خلاؤك، والخروجُ عن رأيك، وقد كان صخرُ بن قيس أمرنا بترك القتال (يوم الجمل) فحمدنا أمرنا، وبقي عزّنا فينا، فأمهلنا نراجع المشورة، ونأتيك برأينا».

فقال ابن مسعود: والله، يا بني سعد، لئن فعلتموها لا رفع الله السيف عنكم أبداً، ولا زال سيفُكم فيكم.

ثم كتب إلى الحسين عليه السلام كتاباً مع الحجاج بن بدر السعدي، وكان - هذا الآخر - قد تهيأ للمسير إلى الحسين، جاء فيه:

«باسم الله الرحمان الرحيم، أما بعدُ، فقد وصل إليّ كتابك وفهمتُ ما ندبتني إليه ودعوتني له من الأخذ بحظي من طاعتك والفوز بنصبي من نُصرتك، وإنّ الله لم يُخل الأرض - قط - من عامل عليها بخير، أو دليل على سبيل نجاة، وأنتم حجة الله على خلقه، ووديعته في أرضه، تفرّعتم من زيتونة أحمديّة، هو اصلها، وأنتم فرعها، فاقدّم سعدت باسعد طائر، فقد ذلعلتُ لك أعناق بني تميم، وتركههم أشدّ تنابعا في طاعتك من الإبل الظماء لورود الماء يوم خمسهّا، وقد ذلّلتُ لك رقاب بني سعد،

و«غسلتُ درن صدورها بماء سحابة مُزِنٍ حين استهلَّ برُقُها فلمع».

فلما قرأ الحسين الكتاب، قال:

«مالك، آمَنك الله يوم الخوف وأعزَّك وأرواك يوم العطش الأكبر»^(١).

ويظهر من كلام الحسين - هذا - : أن كتاب ابن مسعود وصله وهو في ساحة كربلاء، وبأَمْس الحاجة إلى من ينصره ويدبّ عن حريمه.

قالوا: ولما تجهَّز ابن مسعود للخروج إلى الحسين عليه السلام بلغه قتله قبل أن يسير، فخرج من انقطاعه عنه، وكثر أسفه عليه.

وبقي الحجاج الذي جاء بالكتاب مع الحسين عليه السلام حتى قُتل بين يديه^(٢).

يزيد بن نبيط^(٣)

عندما وصلت كلمات الامام الحسين عليه السلام الى البصرة انتدب لنصرة الحسين عليه السلام منهم - أهل البصرة - خمسة نفر، وهم: يزيد بن نبيط العبدي، وابناه: عبد الله وعبيد الله وصحبه مولاة عامر، وسيف بن مالك، والأدهم بن أمية، وقد اجتمع هؤلاء لتدارس الأوضاع في منزل مارية بنت سعد^(٤) لأن دارها كانت محل

(١) الملهوف: ١٨، مثير الأحران: ١٣.

(٢) اللهوف لابن طاووس: ١٨، ومثير الأحران لابن نما: ١٣.

(٣) هكذا اسمه في أغلب المصادر، ولكن في بعض المصادر الأخرى مثل ابصار العين (١١٠) ورد باسم يزيد بن نبيط، وذكره ابن الأثير في تاريخه باسم يزيد بن نبيط.

(٤) ذكر المامقاني في رجاله: أن اسم أبيها هو منقذ أو سعيد لذا قال: «مارية بنت منقذ أو سعيد العبدية» كانت امرأة شجاعة ومتقية من شيعة البصرة، وكانت دارها من منتديات الشيعة وفيها تذاق فضائل أهل البيت عليه السلام وتشر مآثرهم، وفي أيام ثورة الحسين، استجاب لدعوته بعض من كان يتردد على دارها والتحقوا به. (تنقيح المقال ٣: ٨٣، حياة الإمام الحسين ٢: ٣٢٨).

كذلك أشار ابن الأثير في تاريخه ٤: ٢١ إلى أن مارية من قبيلة عبد القيس وتعدّ من =

اجتماعات الشيعة والسائرين على نهج الامام عليه السلام.^(١)

وهؤلاء خفوا بالخروج قبل أن يتجهز ابن مسعود، فأخذوا يجدون السير حتى وافوا الحسين بمكة، وضموا رجالهم إلى رحله حتى وردوا كربلاء، وقتلوا معه بأجمعهم في مكان واحد.

كان يزيد بن نبيط من قبيلة عبد القيس، وكان أول العازمين على الخروج إلى نصرته الحسين عليه السلام، وكان له بنون عشرة، فقال: أيكم يخرج معي؟ فانتدب معه ابنان له: عبدالله وعبيدالله، فقال لأصحابه في بيت تلك المرأة: إني قد أزمعت على الخروج، وأنا خارج، فقالوا له: إنا نخاف عليك أصحاب ابن زياد، فقال: إني - والله - لو قد استوت أخفافها بالجدد لهان على طلب من طلبني، وسلوكوا طرقاً أخرى غير المعروفة - بسبب اغلاق الطرق الرئيسية - حتى التحقوا بالامام وهو بمكة. وفي يوم الطف قتل ابنه عبدالله وعبيدالله في الحملة الاولى وقتل هو في النزال الفردي^(٢).

الحسين يكتب من مكة إلى بني هاشم

ولما نزل الحسين عليه السلام مكة كتب كتاباً موجزاً إلى أخيه محمد بن الحنفية وعموم بني هاشم الذين هم بالمدينة، جاء فيه :

«أما بعد، فإنه من لحق بي منكم استشهد، ومن لم يلحق بي لم يبلغ الفتح والسلام»^(٣).

= الاتباع الصادقين للامام الحسين عليه السلام.

(١) الكامل في التاريخ ٤: ٢١، تاريخ الطبري ٥: ٣٥٤.

(٢) نفس المهموم: ٩٢ نقلاً عن الطبري ٥: ٣٥٤.

(٣) كامل الزيارات: ٧٥.

يزيد يراسل ابن عباس في شأن الحسين وجواب ابن عباس له^(١)

وكتب والي مكة - يومئذ - عمرو بن سعيد الأشدق إلى يزيد بن معاوية بنزول الحسين وأبنائه وأهل بيته (مكة) واجتماع الناس اليه والتفافهم حوله، وأن في ذلك الخطر على خلافته، فاضطرب يزيد حينما وصله الكتاب، وكتب - على الفور - إلى عبد الله بن عباس كتاباً جاء فيه :

«أما بعد، فإن ابن عمك حسيناً وعدوّ الله ابن الزبير التويا بيعتي ولحقا بمكة، مرصدين للفتنة، معرّضين، أنفسهما للهلكة.

فأما ابن الزبير، فانه صريع الفناء، وقتيل الأعداء غداً.

وأما الحسين، فقد أحببتُ الإعذار اليكم - أهل البيت - ممّا كان منه، وقد بلغني أنّ رجالاً من شيعة من أهل العراق يكاتبونه ويكاتبهم، ويمنّونه الخلافة. ويمنّهم الإمرة، وقد تعلمون ما بيني وبينكم من الوصلة وعظيم الحرمة، ونتائج الأرحام، وقد قطع ذلك الحسين وبتر.

وأنت زعيم أهل بيتك، وسيد بلادك، فالقه فارده عن السعي في الفتنة، فان قبل منك وأتاب فله عندي الأمانة والكرامة الواسعة...» ، وكتب في أسفل الكتاب هذه الأبيات:

يا أيها الراكب الغادي مطيّه	على عذافرة في سيرها قُحْم
أبلغ قريشاً على نأي المزار بها	بيني وبين حسين الله والرحم
وموقفُ بفناء البيت أنشدّه	عهدُ الآله وما تُوفي به الذم
هنيئُم قومكم فخراً بأمكم	أم لعمرى حصان عفة كرم
هي التي لا يُداني فضلها أحدٌ	بنت الرسول وكلّ الناس قد علموا

(١) أقول: لم تذكر هذه الرسالة في أصل الكتاب، وأضفناها للمناسبة. [البدي]

وفضلها لكم فضل وغيركم من قومكم لهم في فضلها قسم
 إنني لأعلم أو ظناً كعالمه والظن يصدق أحياناً فينتظم
 أن سوف يترككم ما تدعون به قتلى تهاداكم العقبان والرخم^(١)
 يا قومنا لا تشبوا الحرب إن سكنت وأمسكوا بحبال السلم واعتصموا
 قد غرت الحرب من قد كان قبلكم من القرون بادت بها الأمم
 فأنصفوا قومكم لا تهلكوا بذخاً فرب ذي بذخ زلت به القدم

فأجابه ابن عباس بكتاب جاء فيه:

«أما بعد، فقد ورد كتابك تذكر فيه لحاق الحسين وابن الزبير بمكة. فأما ابن الزبير فرجل منقطع عنا برأيه وهواه، يكاتمنا - مع ذلك - أضغاناً يُسرّها في صدره، يُوري علينا وري الزناد، لا فكّ الله أسيرها، فاره في أمره ما أنت رآء.

وأما الحسين، فانه لما نزل مكة، وترك حرم جدّه ومنازل آبائه سأله عن مقدمه، فأخبرني أنّ عملاً لك بالمدينة أساءوا إليه، وعجلوا عليه بالكلام الفاحش، فأقبل إلى حرم الله مستجيراً به، وسألقاه فيما أشرت إليه، ولن أدع النصيحة فيما يجمع الله به الكلمة، ويُطفئ به النائرة، ويخمد به الفتنة، ويحقن به دماء الأمة.

فاتق الله في السرّ والعلانية، ولا تبيتنّ ليلة، وأنت تُريد لمسلم غائلةً، ولا ترصده بمظلمة، ولا تحفر له مهراً^(٢) فكم من حافر لغيره حفراً وقع فيه، وكم من مؤمل أملأ لم يؤت أمله. وخذ حظك من تلاوة القرآن، ونشر السنّة، وعليك بالصيام والقيام، لا تشغلك عنهما ملاهي الدنيا وأباطيلها، فإنّ كلّ ما اشتغلت به عن الله يضرّ

(١) العقبان - بالكسر - : جمع «عقاب» - بالضم - وهو من جوارح الطيور تسميها العرب بالكواسر، والرخم - بفتحتين - : طائر أبقع يشبه النسر في الخلقة وواحد «رخمة» بفتحتين .

(٢) المهرة - بالكسر - : الحفرة الواسعة .

ويفنى، وكل ما اشتغلت به من اسباب الآخرة ينفع ويبقى والسلام»^(١).

شبيعة الكوفة يكاتبون الحسين

قال بعض المؤرخين : ولما بلغ أهل الكوفة نزول الحسين بمكة وامتناعه عن البيعة ليزيد، اجتمعت الشيعة في دار سليمان بن صرد الخزاعي^(٢) وكان من زعماء الشيعة في الكوفة، وقد تشاور مع بعض زعماء الشيعة لكي يرأسوا الحسين عليه السلام ويطلبوا منه القدوم الى الكوفة، وقد حمل رسالة هؤلاء الى الامام الحسين عليه السلام كلاً من عبدالله بن مسمع^(٣)، وعبدالله بن وال^(٤)، حيث وصلوا الى الامام الحسين في

(١) تذكرة الخواص: ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٢) اسمه في الجاهلية «يسار» وسماه رسول الله ﷺ باسم «سليمان» وكنيته أبو مطرف، كان من صحابة النبي، وقاتل في صفين وغيرها إلى جانب أمير المؤمنين، وهو من أوائل من سكن الكوفة من المسلمين، كان من وجهاء الشيعة فيها، وله مكانة جلييلة عندهم، قاد ثورة التوابين التي انطلقت من الكوفة للمطالبة بدم الحسين.

بعد موت معاوية كان من جملة من كتب إلى الحسين يدعوه للقدوم إلى الكوفة، وقف إلى جانب مسلم بن عقيل عند وثوبه فيها، لكن ابن زياد ألقاه في السجن؛ ولهذا لم يحظ بالمشاركة في معركة الطف.

وبعد واقعة كربلاء، حين استشعر أهل الكوفة الندم لنكولهم عن نصره الحسين، اضطلع هو بقيادة ثورة التوابين الذين أعلنوا ثورتهم عام ٦٥ للهجرة، وكان شعارهم «يا لثارات الحسين»، حيث اشتبكوا مع جيش ابن زياد في موضع يقال له «عين الورد» واستشهد في هذه المعركة هو وعدة من أصحابه؛ وقيل: أنه استشهد اثناء الاشتباك مع القوات التي كانت موفدة من الشام إلى الحجاز. كان عمر سليمان بن صرد عند استشهاده ٩٣ سنة، وبعد استشهاده أرسلوا رأسه إلى مروان بن الحكم في الشام، انظر: بحار الأنوار ٤٥: ٣٥٨.

(٣) عبدالله بن مسمع الهمداني السبيعي من قادة ثورة التوابين. (ابصار العين: ١٤).

(٤) عبدالله بن وال، من أشرف الكوفة، ومن جملة فقهاءها وعبادها، ومن التوابين الذين اشتركوا في معركة «عين الورد» واستشهد فيها. (نفس المهموم: ٥٦٩).

العاشر من محرم الحرام سنة ٦٠ هـ.

وبعد يومين من تسريحهم بالكتاب أنفذوا قيس بن مسهر الصيداوي^(١) وعبدالله وعبدالرحمن ابني شداد الأرحبي، ومعهم نحو مائة وخمسين صحيفة من الرجل والاثنين والأربعة.

ثم لبثوا يومين آخرين وسرّحوا إليه عليه السلام هاني بن هاني السبيعي^(٢) وسعيد بن عبدالله الحنفي^(٣). وقد بلغ أخيراً عدد الرسائل التي وصلت إلى الامام الحسين من أهل الكوفة أكثر من اثني عشرة ألف رسالة^(٤).

(١) كان قيس من شجعان الكوفة ومن وجهاء قبيلة بني أسد، وأحد مبعوثي الكوفة إلى الإمام الحسين سار مع مسلم بن عقيل من مكة إلى الكوفة، وبعد مدة حمل كتاب مسلم وسار به إلى الحسين بمكة يخبره بمبايعة أهل الكوفة له.

ولما وافى الإمام الحسين الحاجز من بطن ذي الرمة، كتب كتاباً لشييعته من أهل الكوفة يعلمهم بالقدوم اليهم، ودفع الكتاب إلى البطل الفذ قيس بن مسهر الصيداوي، حتى انتهى إلى القادسية فاستولت عليه مفرزة من الشرطة أقيمت هناك وعلى رأسها الحصين بن نمير وهو من قادة جيش الكوفة، وأسرع قيس إلى الكتاب فخرقه لئلا تطلع الشرطة على ما فيه، وأرسل مخفوراً إلى عبيدالله بن زياد، الذي لم ينجح في الحصول على الأسماء الواردة الكتاب. ولما تناهى خبر استشهاد الإمام الحسين استعبر باكياً وقال: «اللهم اجعل لنا ولشييعتنا منزلاً كريماً عندك، واجمع بيننا وإياهم في مستقر رحمتك». انظر: الارشاد للمفيد: ٢٢٠، حياة الإمام الحسين ٣: ٦٢.

(٢) هاني بن هاني، الهمداني الكوفي، روى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وهنه أبو إسحاق السبيعي، ولم ينفته كل من ترجمه بالسبيعي، والسبيعي بطن من بطون همدان. أنظر: تهذيب التهذيب ١١: ٢٢ - ٢٣.

(٣) وروي كذلك باسم سعد، وهو من بني حنيفة بن لجيم من بكر بن وائل، وهو أحد الرسل الذين حملوا رسائل الكوفيين إلى الحسين ٧، من أعظم الثوار تحمّساً. انظر: تاريخ الطبري ٥: ٤١٩، مقتل الحسين للخوارزمي ١: ١٩٥.

(٤) يتضح من خلال ذلك، أي كثرة عدد الرسائل المرسلة للإمام الحسين عليه السلام والتي بلغت كما =

ومن الاشخاص المعروفين الذين كتبوا الرسائل الى الامام الحسين عليه السلام وذهب بعضهم اليه مثل حبيب بن مظاهر، مسلم بن عوسجة^(١)، سليمان بن صرد، رفاعه بن شداد، المسيّب بن نجبة، شيب بن ربعي، حجار بن أبجر، يزيد بن حارث بن رويم، عروة بن قيس، عمرو بن الحجاج، ومحمد بن عمير^(٢).
فقد قام سليمان في أصحابه خطيباً، وقال:

= ذكرنا أكثر من اثنتي عشرة ألف رسالة في ظرف خمسة أيام، وكذلك مدى الخطر الذي كان يتعرض له حاملي تلك الرسائل في طريقهم من الكوفة الى مكة، نقول: يتضح من كل ذلك مدى الظلم الذي كان يعاني منه شيعة أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة من قبل الحكم الأموي. وأن عدم بيعة أهالي الكوفة ليزيد ودعوتهم للإمام الحسين عليه السلام يعتبر حجة عليه للقدوم.
(١) مسلم بن عوسجة الأسدي، من أبطال العرب في صدر الاسلام، أول شهيد من أنصار الحسين بعد قتلى الحملة الأولى، كان شيخاً كبير السن، وشخصية أسدية كبرى، وإحدى الشخصيات البارزة في الكوفة. وكان صحابياً ممن رأى رسول الله ﷺ وروى عنه، كان رجلاً شجاعاً وجريئاً شارك في الكثير من حروب المسلمين، وشهد مع علي عليه السلام كل غزواته.

كان في الكوفة يأخذ البيعة من الناس للحسين بن علي عليه السلام، وقد جعله مسلم بن عقيل حين ثار بالكوفة على رأس طائفة من مذحج وأسد، وكان ينهض بجمع المال والسلاح والأنصار.

وفي ليلة عاشوراء لما أوعز الإمام الحسين ان يتخذوا ظلام الليل جملًا وينصرفوا وقف مسلم بن عوسجة موقفًا جريئًا وقام متكلمًا وقال: «والله لو علمت أنني أُقتل ثم أُحْيى ثم أُحرق ثم أُذرى، يُفعل بي ذلك سبعين مرة ما تركتك فكيف وأتأها قتلًا واحدة ثم الكرامة إلى الأبد».

انظر ترجمته في: رجال الشيخ: ٨٠، تاريخ الطبري ٥: ٤٣٥، بحار الأنوار ٤٥: ٦٩، الأخبار الطوال: ٢٤٩، أنصار الحسين: ١٠٨، تسمية من قتل مع الحسين: ٥٢ وفيه: مسلم بن عوسجة السعدي من بني سعد بن ثعلبة، قتله مسلم بن عبد الله وعبيد الله بن أبي خشكارة.
(٢) إِبصار العين: ٢.

«إنّ معاوية قد هلك، وإنّ حسيناً قد تقبّض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فان كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدوا وعدّوه، فأكتبوا إليه، وإن خفتم الوهن والفسل، فلا تغرّوا الرجل من نفسه».

فقالوا بأجمعهم: لا بل نقاتل عدّوه، ونقتل أنفسنا دونه.

قال: فاكتبوا إليه. فكتبوا إليه في أواخر شعبان كتاباً جاء فيه:

«باسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي من سليمان بن صرد، والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد، وحبيب بن مظاهر، وعبد الله بن وال، وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة:

سلام عليك، أما بعد، فإنّا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو... أما بعد، فالحمد لله الذي قصم عدوك وعدوّ أهلك الجبار العنيد الغشوم الظلوم الذي انتزى على هذه الأمة، فابتزّها أمرها، وغصبها فيأها، وتأمّر عليها بغير رضا منها، ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دُولَةً بين جبابرتها وعُتاقها، فبعداً له كما بعدت ثمود.

ثم إنّّه ليس علينا إمامٌ غيرك، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ، والنّعمان بن بشير في (قصر الإمارة) ولسنا نجتمع معه في جُمعة ولا جماعة، ولا نخرج معه في عيد، ولو قد بلغنا أنك أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

وسيّروا الكتاب مع عبد الله بن سبيع الهمداني وعبد الله بن وال التيمي، وأمروهما بالنجاء، فخرجا حتى قدما على الحسين عليه السلام بمكة لعشر خلون من شهر رمضان^(١).

(١) تاريخ الطبري ٥: ٣٥٢، الفتوح ٥: ٤٤، ارشاد المفيد: ٢٠٩، وفيه «سمّع الهمداني» بدل «سبيح الهمداني».

ولبثوا يومين أو ثلاثاً بعد تسريحهم الكتاب، ثم أنفذوا جماعةً منهم : قيس ابن مُسهر الصيداوي، وعبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي، وعمارة بن عبد الله السلولي إلى الحسين عليه السلام ومعهم نحو من (مائة وخمسين صحيفة) من الرجل والاثنتين والثلاثة والأربعة، يسألونه فيها القدوم عليهم.^(١)

وآخر كتاب ورد عليه مع هانئ بن هانئ السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي، وفيه:

«باسم الله الرحمن الرحيم، إلى الحسين بن علي من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين، أما بعد، فإنّ الناس ينتظرونك ولا رأي لهم في غيرك، فالعجل العجل يا ابن رسول الله، فقد اخضر الجنب، وأينعت الأثمار، وأعشبت الأرض، وأورقت الأشجار، فأقدم إذا شئت - فإنّما تقدم على جُنْدٍ لك مُجَنَّد، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، وعلى أبيك من قبل».

فقال الحسين لهاني وسعيد: خبراني: مَنْ اجتمع على هذا الكتاب؟ فقالا: يا ابن رسول الله، اجتمع عليه شُبَّ بنُ ربعي، وحجار بن أبجر، ويزيد ابن الحارث، ويزيد بن رويم، وعروة بن قيس، وعمر بن الحجاج، ومحمد بن عطار.

وأخيراً فإنّ الذي نستوحيه من هذه الرسائل الكثيرة هو :

١ - اظهر الفرح والسرور بهلاك معاوية .

٢ - عدم صلاحية يزيد للخلافة والحكومة .

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٤: ٩٠، تاريخ الطبري ٥: ٣٥٢، أنساب الأشراف ٣: ١٥٨، إرشاد المفيد: ٢٠٩، تذكرة الخواص: ٢٤٤، وفي بعض هذه المصادر المذكورة ورد بدل «عبد الرحمن الأرحبي»: «عبد الله وعبد الرحمن ابنا شداد الأرحبي» .

٣ - دعوة الامام الحسين عليه السلام للقدوم الى الكوفة .

٤ - تعهّد أهالي الكوفة بنصرة الحسين عليه السلام والسير في طريقه .

رسالة الامام الحسين عليه السلام الى أهل الكوفة

لقد توافدت على الامام الحسين عليه السلام - كما ذكرنا - كتبُ أهل الكوفة، وتكاثرت، حتى ورد عليه في يوم واحد (ستمائة كتاب)، واجتمع عنده في نوبٍ متفرقة (اثنا عشر ألف كتاب) وهو - مع ذلك - يتأني ولا يجيبهم.

وكانت رسالة الامام الحسين عليه السلام الى هذا العدد الهائل من الرسائل التي وصلته تقول :

من الحسين بن علي الى الملاء من المؤمنين والمسلمين :

أما بعد: فان هائناً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم: «إنه ليس علينا إمام فاقبل لعلّ الله يجمعنا بك على الحقّ والهدى».

واني باعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل.

فان كتب إليّ أنّه قد اجتمع رأي ملئكم، وذوي الحجي والفضل منكم على ما قدمت به رسلكم، وقرأت في كتبكم، فأنّي أقدم إليكم وشيكاً ان شاء الله تعالى». وكتب في آخر رسالته :

«فلعمرى ما الإمام إلّا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذات الله، والسلام»^(١).

(١) الارشاد للشيخ المفيد ٢: ٣٨، تاريخ الطبري ٦: ١٩٨.

سفر مسلم بن عقيل الى الكوفة

فعندها قام الحسين عليه السلام ودخل البيت، وصلى ركعتين بين الركن والمقام، وسأل الله الخيرة في ذلك، ثم طلب مسلم بن عقيل، وأطلععه على الحال وقال له: «أني موجهك إلى أهل الكوفة وسيقضي الله من أمرك ما يحب ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء، فامض ببركة الله وعونه، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها وادعُ الناس إلى طاعتي، فإن رأيتهم مجتمعين على بيعتي فعجل عليّ الخبر حتى أعمل على حسب ذلك إن شاء الله تعالى». ثم عانقه الحسين وودّعه وبكى جميعاً.

وأمره بالمسير إلى أهل الكوفة، وكتب معه جواب كتبهم يعدمهم بالقبول، وبعث معه قيس بن مسهر الصيداوي وعمارة بن عبد الله السلولي، وعبد الله وعبد الرحمن ابني شداد الأرحبي، وأمره بالتقوى وكنمان أمره واللفظ، فان رأى الناس مجتمعين مستوثقين عجل إليه بذلك.

فسار مسلم بالكتاب مع أصحابه الثلاثة مغادراً مكة ليلة النصف من شهر رمضان وعرج في طريقه على المدينة، فصلى في مسجد رسول الله، وودّع من أحبّ من أهله وأصحابه، واستأجر دليلين من قيس، فأقبلا يتنكبان به الطريق، فضلاً وجاراً عن القصد، فأصابهما عطش شديد، فعجزا عن السير فأوماً له إلى سنن الطريق بعد أن لاح لهما ذلك، فسلك مسلم وأصحابه ذلك السنن، ومات الدليلان عطشاً.^(١)

رسالة مسلم الى الامام عليه السلام

وكتب مسلم وهو في طريقه رسالة الى الامام الحسين عليه السلام مع رسول

(١) الارشاد للمفيد ٢: ٣٩، الأخبار الطوال: ٢٣٢، مقتل الحسين للخوارزمي ١: ١٩٦.

استأجره من أهل ذلك المكان (قرب الماء) قال فيها :

أما بعد: فإني أقبلت من المدينة مع دليلين لي فجازا^(١) عن الطريق فضلاً واشتدَّ علينا العطش فلم يلبثا أن ماتا، وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء فلم نَنجُ إلا بحُشاشة أنفسنا، وذلك الماء بمكانٍ يُدعى المضيق من بطن الخبت^(٢)، وقد تطيّرت من وجهي هذا، فإن رأيت أعفيتني منه وبعثت غيري، والسلام .

فكتب إليه الحسين عليه السلام :

«أما بعد، فقد خشيت أن لا يكون حملك على الكتاب إلي في الاستعفاء من الوجه الذي وجَّهتك له إلا الجُبْن، فامض بوجهك الذي وجَّهتك له والسلام...»^(٣).

فلما قرأ مسلم الكتاب قال: أما هذا فلست أتخوّفه على نفسي .

ثم سار مسلم فأقبل حتى مرَّ بماء لطيفٍ فنزل به ثم ارتحل منه، فإذا رجل يرمي حين الصيد، فنظر إليه وقد رمى ظبياً حين أشرف له فصرعه، فقال مسلم: نقتل عدونا إن شاء الله، ثم أقبل حتى دخل الكوفة^(٤).^(٥)

(١) جازا عن الطريق: أي تركاه خلفهما .

(٢) هكذا ذكره المفيد في ارشاده، وسمّاه البعض بـ«بطن الخبيت» أو «مضيق الخبت» كما في تاريخ ابن الاثير (٤: ٢١) .

والخبت: ماء لقبيلة كلب . «معجم البلدان ٢: ٣٤٣» .

(٣) الارشاد للمفيد ٢: ٤٠، وفي الحقائق الوردية (١: ١١٧): خرج مسلم من مكة حتى أتى المدينة وأخذ منها دليلين، فمرا به في البرية فأصابهما عطش فمات أحد الدليلين، فكتب مسلم إلى الحسين يستعفيه، فكتب إليه الحسين أن امض إلى الكوفة .

(٤) الارشاد للمفيد ٢: ٤٠ .

(٥) يشكك بعض المحققين بأصل هذه الرسائل المتبادلة بين الامام الحسين ومسلم بن عقيل، =

وعلى كل حال فقد خرج مسلم من مكة يوم الخامس عشر من شهر رمضان المبارك، ودخل الكوفة لخمس خلون من شوال^(١).

= ويعتقدون بأنها من الموضوعات، ولا نصيب لها من الصحة، وذلك بأدلة يسوقونها في هذا المجال منها:

١- أن مضيق الخبت الذي بعث منه مسلم رسالته إلى الإمام يقع ما بين مكة والمدينة حسب ما نص عليه الحموي (معجم البلدان ٢: ٣٤٣) في حين أن الرواية تنص على أنه استأجر الدليلين من يثرب، وخرجوا إلى العراق فضلوا عن الطريق، ومات الدليلان، ومن الطبيعي أن هذه الحادثة وقعت ما بين المدينة والعراق ولم تقع ما بين مكة والمدينة.

٢- أنه لو كان هناك مكان يُدعى بهذا الاسم يقع ما بين يثرب والعراق لم يذكره الحموي فإن السفر منه إلى مكة ذهاباً وإياباً يستوعب زماناً يزيد على عشرة أيام في حين أن سفر مسلم من مكة إلى العراق قد حدده المؤرخون فقالوا: أنه سافر من مكة في اليوم الخامس عشر من رمضان، وقدم إلى الكوفة في اليوم الخامس من شوال فيكون مجموع سفره عشرين يوماً، وهي أسرع مدة يقطعها المسافر من مكة إلى المدينة فإن المسافة بينهما تزيد على ألف وستمائة كيلو متر، وإذا استثنينا من هذه المدة سفر رسول مسلم من ذلك المكان ورجوعه إليه، فإن مدة سفره من مكة إلى الكوفة تكون أقل من عشرة أيام ويستحيل عادة قطع تلك المسافة بهذه الفترة من الزمن.

٣- أن الإمام اتهم مسلماً - في رسالته - بالجبن، وهو يناقض توثيقه له من أنه ثقته وكبير أهل بيته، والمبرز بالفضل عليهم، ومع اتصافه بهذه الصفات كيف يتهمه بالجبن؟

٤- أن اتهام مسلم بالجبن يتناقض مع سيرته، فقد أبدى هذا البطل العظيم من البسالة والشجاعة النادرة ما يبهر العقول فإنه حينما انقلبت عليه جموع أهل الكوفة قابلهما وحده من دون أن يعينه أو يقف إلى جنبه أي أحد، وقد أشاع في تلك الجيوش المكثفة القتل مما ملأ قلوبهم ذعراً وخوفاً ولما جيء به أسيراً إلى ابن زياد لم يظهر عليه أي ذل أو انكسار، ويقول فيه البلاذري (أنساب الأشراف ج ١) أنه أشجع بني عقيل وأرجلهم، بل هو أشجع هاشمي عرفه التاريخ بعد أئمة أهل البيت (عليه السلام).

أن هذا الحديث من المقتريات الذي وضع للحط من قيمة هذا القائد العظيم الذي هو من مفاخر الأمة العربية والإسلامية. انظر: حياة الامام الحسين (عليه السلام) ٢: ٣٤٣ - ٣٤٤.

(١) تاريخ الطبري ٦: ١٩٩.

مسلم في بيت المختار

وسار مسلم يطوي البيداء حتى دخل الكوفة، فاختار النزول في بيت المختار الثقفي^(١).

كان المختار بن ابي عبيدة الثقفي يعرف بين أبناء قبيلته بالشرف، وصاحب همة عالية وازادة قوية في الوقوف بوجه أعداء أهل البيت عليهم السلام، وكان يمتاز بعقل وافر ورأي صائب، وشخصية قاطعة ضد الأعداء ومتعلقة بأهل البيت عليهم السلام، يمتاز بمكارم الأخلاق والملكات والفضائل الانسانية، أنه في السر والعلن من المخلصين لأهل البيت عليهم السلام.

إن السبب الذي دعا مسلم للقدوم الى دار المختار الثقفي هو أن المختار كان يعدّ من أشهر أعلام الشيعة وأحد سيوفهم في الكوفة، وإن مسلم كان يطمئن إليه وإلى اخلاصه ووفائه للامام الحسين عليه السلام، اضافة الى ذلك ان المختار كان صهر النعمان بن بشير - والي الكوفة يومئذ - وسوف لا يتعرض الى مسلم ما دام في منزل المختار، لذا فانتخاب مسلم لبيت المختار دلالة الى ما يتمتع به هذا الشخص العظيم من ذكاء وفطنة بالواقع الاجتماعي^(٢).

وأقبلت الشيعة تختلف إليه من كل مكان، فكلما اجتمع اليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب الحسين، فيبكون ويعدونه من أنفسهم النصرة حتى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً^(٣).

(١) هكذا عند عامة المؤرخين - وهو الاصح - وإن قيل: انه اول ما نزل في بيت هاني بن عروة، وقيل: في بيت مسلم بن عوسجة، ولكنهما قولان خاليان عن التحقيق، ولعلّ مسلماً أنما اختار النزول في بيت المختار، لأنه كان صهراً للنعمان بن بشير - والي الكوفة يومئذ - على ابنته، وذلك مما يوجب الاطمئنان وغضّ النظر عن تحركاته - على الاقل -.

(٢) حياة الامام الحسين ٢: ٣٤٥.

(٣) المهلوف: ١٦.

ثم قام عابس بن شبيب الشاكري خطيباً بعد أن سمع رسالة الحسين عليه السلام وقال: أني لا أخبرك عن الناس ولا أعلم ما في نفوسهم ولا أغرك بهم والله أني أحدثك عما أنا موطن عليه نفسي والله لأجيينكم إذا دعوتهم ولاقاتلن معكم عدوكم ولأضرين بسيفي دونكم حتى ألقى الله لا أريد بذلك إلا ما عند الله .

وقد صدق عابس ما عاهد عليه الله ، فلم يخن ضميره ففدى بنفسه ريحانة رسول الله ﷺ واستشهد بين يديه في كربلاء .

وأنبرى حبيب بن مظاهر فخاطب عابساً قائلاً له :

رحمك الله ، فقد قضيت ما في نفسك بواجز من قولك ، وأنا والله الذي لا إله إلا هو على مثل ما أنت عليه .

وقال سعيد بن عبدالله الحنفي مثل قولهما^(١).

وقد صدق هؤلاء الأبطال ما عاهدوا به امامهم الحسين عليه السلام ، فقد بذلوا أرواحهم بسخاء إلى الامام الحسين ، واستشهدوا بين يديه في كربلاء .

ماذا حدث في بيعة مسلم ؟

بعد هذه الكلمات المثيرة ، أثالت الشيعة على مسلم تباعه للامام الحسين ، وكانت صيغة البيعة كما يلي :

١ - الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله .

= وقد ذكر بعض المؤرخين (كالمفيد في ارشاده ٢: ٤١) عدد الذين بايعوا مسلم بلغ ثمانية عشر ألفاً، بينما ذكر آخرون أن عدد الذين بايعوا مسلم ناهز الثمانية وعشرون ألف شخص (نفس المهموم: ٩٥)، فيما قال بعضهم أن العدد تجاوز الثلاثين ألف مبايع (حياة الامام الحسين ٢: ٣٤٧ نقلاً عن تاريخ أبي الفداء ودائرة المعارف لفريد وجدي) .
(١) تاريخ الطبري ٦: ١٩٩ .

- ٢ - جهاد الظالمين .
- ٣ - الدفاع عن المستضعفين واعطاء المحرومين .
- ٤ - تقسيم الغنائم بين المسلمين بالسوية .
- ٥ - ردّ المظالم إلى أهلها .
- ٦ - نصرة أهل البيت عليهم السلام ، والمسالمة لمن سالموا، والمحاربة لمن حاربوا.^(١)

مسلم يكتب إلى الحسين باجتماع الناس لبيعته

فعند ذلك كتب مسلم كتاباً إلى الحسين عليه السلام قبل مقتله بسبع وعشرين ليلة جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن الرائد لا يكذب أهله وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجل الإقبال حين يأتيك كتابي والسلام»^(٢)، وسرّح الكتاب مع عابس بن أبي شبيب الشاكري، فأدرك الرسول الحسين - وهو بمكة فسلمه الكتاب، وبقي معه حتى استشهد بين يديه في كربلاء.^(٣)

خطاب والي الكوفة

من جهة أخرى لما بلغ النعمان بن بشير - والي الكوفة من قبل يزيد - دخول مسلم الكوفة واتساع أمره خطب الناس في قصر الإمارة فقال:

«أما بعد، فاتقوا الله - عباد الله - ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فإنّ فيهما

(١) حياة الامام الحسين ٢: ٣٤٥.

(٢) البداية والنهاية ٨: ١٦٣، بحار الأنوار ٤٤: ٣٣٦.

(٣) مثير الأحزان: ٣٢.

تهلك الرجال وتُسفك الدماء، وتُغصب الأموال.

إني لا أقاتل من لم يُقاتلني، ولا أثب على مَنْ لا يثب عليّ، ولا أنبئه نائمكم، ولا أشاتمكم، ولا أتحرش بكم، ولا آخذ بالقرن، ولا الظنّة ولا التهمة، ولكنكم إن أبديتُم صفحتكم لي ونكتُم بيعتكم وخالفتم إمامكم، فوالله الذي لا إله غيره لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمُه في يدي، ولو لم يكن لي منكم ناصر. أما أني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممّن يُرديه الباطل»^(١).

فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمي حليف بني أميّة فقال: «إنه لا يُصلح ما ترى إلّا الغشم إن هذا الذي أنت عليه فيما بينك وبين عدوك رأي المستضعفين».

فقال النعمان: «لئن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحب إليّ من أن أكون من الأعزّين في معصية الله». ثم نزل عن المنبر.

فساء ذلك من له هوى في بني أميّة كعبد الله بن مسلم الحضرمي، ومحمد بن الأشعث، وعمارة بن الوليد بن عقبة، وعمر بن سعد، وأضرابهم.

فكتبوا إلى يزيد يخبرونه باتّساع أمر مسلم، وانثيال الناس للبيعة على يده، وضعف النعمان بن بشير أو تضاعفه، ويستثيرونه أن يبعث بدل النعمان رجلاً قوياً يُنفذ أمره، ويعمل على ما يريد.^(٢)

(١) الكامل لابن الأثير ٤: ٢٢.

(٢) ونصّ كتاب عبد الله بن مسلم إلى يزيد: «أما بعد، فإنّ مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة، وبايعته الشيعة للحسين بن علي بن أبي طالب، فإن يكنّ لك في الكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوك، فإن النعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو يتضعف». ثم كتب إليه عمارة بن عقبة وعمر بن سعد مثل ذلك. انظر: ارشاد المفيد:

سرجون مولى معاوية

فلما اجتمعت كتب هؤلاء النفر عند يزيد، دعا سرجون الرومي^(١) فأقرأه الكتب واستشاره في من يؤليه الكوفة - بدل النعمان - وكان يزيد عاتباً على ابن زياد فأشار عليه (سرجون) بعبيد الله بن زياد.. فقال يزيد: أنه لا خير عنده، فقال سرجون: لو كان معاوية حياً وأشار عليك به أكنت توليه؟
قال: نعم .

فقال: هذا عهد معاوية إليه بخاتمه ولم يمنعني أن أعلمك به إلا معرفتي بيفضك له فأنفذه إليه.
فأخذ يزيد برأيه، وضم الكوفة إلى البصرة له، وكتب إليه بعده مع مسلم بن عمرو الباهلي^(٢).

رسالة يزيد الى عبيدالله

وكتب يزيد رسالة الى عبيدالله بن زياد جاء فيها: أما بعد، فإن الممدوح مسبوب يوماً، وإن المسبوب يوماً ممدوح وقد سمي بك الى غاية أنت فيها كما قال الأول :

رفعت وجاوزت السحاب وفوقه فمالك إلا مرقب الشمس مقعد^(٣)

(١) سرجون بن منصور، من نصارى الشام، استخدمه معاوية في مصالح الدولة وكان أبوه منصور بن سرجون بن منصور على المال في الشام من عهد هرقل قبل الفتح ساعد المسلمين على قتال الروم ، وكانت له خدمة في الدولة وكان عمر بن الخطاب يمنع من خدمة النصارى إلا اذا أسلموا. (الاسلام والحضارة الغربية ٢: ١٥٨).

(٢) مسلم بن عمرو الباهلي أبو قتيبة، وعتيبة أبو مسلم، ومسلم أبو عبدالله صاحب الكتاب المعروف «الامامة والسياسة». (نفس المهموم: ٨٧).

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ٤: ٨٢.

وأمره بالاستعجال على الشخوص الى الكوفة ليطلب ابن عقيل فيوثقه أو يقتله أو ينفيه.^(١)

فلما ورد كتاب يزيد وعهده إلى عبيد الله وقرأهما، أمر بالجهاز، وتهياً للمسير إلى الكوفة - في الليلة التي وصل فيها رسول الحسين إلى أهل الكوفة قيس بن مسهر الصيداوي - وجمع الناس وخطبهم، وهددهم في خطابه معلناً عن سفره إلى الكوفة.

خطبة عبيد الله بن زياد في البصرة

عندما وصلت رسالة يزيد إلى عبيد الله بن زياد وعرف ما بها أمر بالقاء القبض على حامل رسالة الامام الحسين عليه السلام إلى أشراف البصرة وقطع رأسه، ثم توجه ابن زياد إلى مسجد المدينة وارتقى المنبر وخطب خطاباً قاسياً جاء فيه:

«ان أمير المؤمنين يزيد ولأني الكوفة، وأنا غاد إليها الغداة، فوالله إني ما تقرن بي الصعبة، ولا يقعق لي بالشنان، واني لنكل لمن عاداني، وسم لمن حاربني، انصف القارة من رامها .

يا أهل البصرة، قد استخلفت عليكم عثمان بن زياد بن أبي سفيان، وإياكم والخلاف والارجاف فوالله الذي لا إله غيره لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلنه وعرينه^(٢) ووليه، ولأخذن الأدنى بالأقصى حتى تسمعوا لي، ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق... أنا ابن زياد اشبهه بين من وطأ الحصى، ولم ينتزعني

(١) تاريخ الطبري ٦: ١٩٩ .

(٢) العرين : الجماعة .

شبه خال ولا ابن عم»^(١).

نعم، فهذا هو عبيد الله، فهو يأخذ البريء بالسقيم، والمقبل بالمدير، والأدنى بالأقصى، ويقتل على الظنة والتهمة كما كان يفعل أبوه زياد الذي اشاع القتل في ربوع العراق.

ابن زياد يتوجه إلى الكوفة

وتعجّل ابن زياد السفر إلى الكوفة في صباح تلك الليلة وصحب معه مسلم ابن عمرو الباهلي، والمنذر بن الجارود العبدى وشريك بن الأعور الحارثي^(٢) وعبد الله بن الحارث بن نوفل، وحشمه وغلماؤه وجماعة آخرين انتخبهم من أهل البصرة (حوالي خمسمائة شخصاً)، فجذّ في السير وكان لا يلوي على أحد يسقط من أصحابه، حتى انّ شريك الأعور وعبد الله بن الحارث سقطا رجاء أن يتأخر ابن زياد من أجلهم فلم يلتفت ابن زياد مخافة أن يسبقه الحسين إلى الكوفة، ولما ورد «القادسية» سقط مولاه «مهران» فقال له ابن زياد: ان أمسكت على هذا الحال فتنظر القصر فلك مائة ألف، قال: والله لا أستطيع، فتركه عبيد الله ولبس ثياباً يمانية وعمامة سوداء وانحدر وحده وكلّما مرّ «بالمحارس» ظنّوا أنّه الحسين ﷺ، فلم يزل يسير حتى اذا بلغ قريباً من الكوفة نزل ولبس ثياباً بيضاً ودعا بعمامة سوداء فاعتجر بها مثلثاً ثم تقلّد سيفه، وتوشّح قوسه، وتكبّ كنانته، وأخذ بيده قضيباً، واستوى على بغلة له شهباء وركب أصحابه.

(١) تاريخ الطبري ٦: ٢٠٠.

(٢) كان شريك من خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام واشترك معه في الجمل وصفين، وكان ابن زياد يحبّه كثيراً، صاحب المناقب اطلق عليه الهمداني فيما اطلق عليه آخرون الحارثي. (تنقيح المقال ٢: ٨٤).

دخول ابن زياد الكوفة

وسار ابن زياد حتى دخل الكوفة من طريق البادية - ظهر النجف - وذلك في ليلة مُمقمة، والناس يتوقعون قدوم الحسين، فجعلوا ينظرون إليه وإلى أصحابه، وهو يسلم عليهم، وهم لا يشكون في أنه الحسين بن علي، فأخذ لا يمر على جماعة من الناس إلا سلّموا عليه، وقالوا: مرحباً بك يا ابن رسول الله، قدمت خير مقدم، فرأى من تبشيرهم بالحسين ما ساءه.

فعند ذلك صاح مسلم بن عمرو الباهلي بالناس: «تأخروا ليس هذا من تظنون، هذا الأمير عبيد الله بن زياد» فتفرق الناس عنه إلا بضعة عشر رجلاً جاءوا معه حتى قربوا من قصر الإمارة^(١) - وقد تحصّن فيه النعمان بن بشير - وهو الآخر يظن أن الحسين بن علي عليه السلام قد أقبل فقال: «أنشدك الله إلا تنحيت، والله ما أنا بمسلم إليك أماتي ومالي في قتالك من إرب».

فدنا منه عبيد الله، وقال له: «افتح لا فتحت فقد طال ليّلك» فسمع صوته جماعة من خلفه، فصاحوا: «انه ابن مرجانة وربّ الكعبة»^(٢).

ففتح له النعمان باب القصر، فدخله ابن زياد، وضرب الباب في وجوه الناس، وعزل النعمان عن منصبه وتولّى هو ولاية الكوفة وتفرّق الناس.^(٣)

خطبة ابن زياد في الكوفة

ثم أمر ابن زياد ان ينادي في الناس: «الصلاة جامعة» فلما اجتمع الناس

(١) وهو من البناء الاسلامي القديم بناه سعد بن أبي وقاص .

(٢) كانت أمّه (مرجانة) مجوسية او سببية من اهل اصفهان، كما عليه ابن كثير في البداية والنهاية (ج : ٨) والعيني في عمدة القارىء . (ج : ٧) وغيرهما .

(٣) الارشاد للمفيد ٢ : ٤٤ .

خرج إليهم فخطبهم، فقال: «أما بعد فإن أمير المؤمنين - أصلحه الله - ولأني مصركم وثغركم وفيأكم، وأمرني بانصاف مظلومكم، وإعطاء محرومكم وبإلحسان إلي سامعكم ومطيعكم، وبالشدة على مريبكم وعاصيكم، وأنا متبع فيكم أمره، ومنقذ فيكم عهده، فأنا لمحسنكم كالوالد البرّ ولمطيعكم كالأخ الشفيق، وسيوفي وسوطي على من ترك أمري، وخالف عهدي فليبق امرؤ على نفسه، الصدق يُنبئ عنك لا الوعيد»^(١).

رعب وتهديد

على أي حال فإنّ الناس حينما علموا أنّ ابن زياد جفلوا وخفوا مسرعين إلى دورهم وهم يتحدّثون عمّا عانوه من الظلم والجور أيام أبيه وقد أوجسوا من عبيد الله الشر، وخيّم عليهم الذعر والخوف. وفعلاً فقد نشر ابن زياد الارهاب واذاع الخوف بين أهل الكوفة.

يقول بعض المؤرخين: إنّ ابن زياد بعد قدومه إلى الكوفة صال وجال، وأرعد وأبرق، وأمسك جماعة من أهل الكوفة فقتلهم في الساعة^(٢)، وقد عمد إلى ذلك لأمّة الأعصاب، وصرف الناس عن الثورة.

وروي كذلك أنّ ابن زياد خطب يوماً فقال: «أما بعد، فإنّه لا يصلح هذا الأمر إلّا في شدة من غير عنف، ولين من غير ضعف، وأن آخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، والولي بالولي».

فانبرى له رجل من أهل الكوفة يقال له أسد بن عبدالله المري فردّ عليه:

(١) اعلام الوری: ٢٢٢.

(٢) الفصول المهمة: ١٩٧، وسيلة المآل: ١٨٦.

«أيها الأمير، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ولا تزر وازرةٌ وزراً أخرى﴾، أما المرء بجده والسيف بجده، والفرس بشده، وعليك أن تقول، وعلينا أن نسمع، فلا تقدم فينا السيئة قبل الحسنة».

وافحم ابن زياد فنزل عن المنبر ودخل قصر الامارة^(١).

وروي أنّ هذا الرجل كان مسلم بن عقيل عليه السلام^(٢).

جواسيس ابن زياد

طلب عبيد الله بن زياد من جواسيسه من العُرفاء^(٣) وقال لهم: «أكتبوا إلى العرفاء ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين، ومن فيكم من الحرورية، - أي الخوارج - وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق، فمن كتبهم لنا فقد برىء، ومن لم يكتب لنا أحداً فليضمن لنا ما في عرافته أن لا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغي علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة، وحلال لنا ماله وسفك دمه، وأيما عريف وُجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صُلب على باب داره، وألغيت تلك العرافة من العطاء، وسيّر إلى موضع بعمان الزارة»^(٤).

مسلم في دار هاني

ولما بلغ مسلم بن عقيل تهديد ابن زياد وتوعده الناس بالقتل والتنكيل خرج

(١) الفتوح ٥: ٦٧.

(٢) مثير الأحزان: ٣٠.

(٣) العرفاء: جمع عريف، وهم الأفراد الذين يرفعون التقارير عن المخالفين إلى الحكومة. (مجمع البحرين - عرف).

(٤) الكامل في التاريخ ٤: ٢٤، الارشاد للمفيد ٢: ٤٥.

ليلاً من دار المختار، حتى جاء إلى دار هانيء بن عروة المرادي فسأله الاستجارة والنزول عنده، فقال له هاني: انزل على بركة الله، فقد وجب عليّ ذمامك.

فأدخله داره، وجعلت الشيعة تختلف إلى دار هاني بن عروة، ويباعون الحسين سرّاً، ومسلم بن عقيل يكتب اسماءهم، ويأخذ عليهم العهود: أنهم لا ينكثون ولا يغدرون، حتى بايعه ما ينيف على عشرين ألفاً.

شريك بن الأعور في الكوفة

ذكرنا سابقاً، أنّ شريكاً قدم مع ابن زياد إلى الكوفة، ولكنه تركه في وسط الطريق لمرضه ووصل الكوفة بعده، فنزل مع مسلم بن عقيل في دار هاني بن عروة لصلات كانت بينهما من حيث العشيرة والصحبة، وكان هاني من أعظم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام بالبصرة، شهد الجمل وصفين مع علي عليه السلام.

وتزايد مرضه في الكوفة، فعلم بذلك ابن زياد، فأرسل إليه أن سيعوده في دار هاني، وقبل مجيء ابن زياد تواطأ شريك مع مسلم أن يقتال ابن زياد عند مجيئه.

ابن زياد يعود شريكاً في دار هاني

فلما كان من العشيّ أقبل ابن زياد لعيادة شريك، فقام مسلم ليدخل، وقال له شريك: لا يفوتك إذا جلس، ولكن هائناً اعترضه قائلاً: «إني لا أحب أن يقتل في داري».

فجاء عبيد الله بن زياد، ولما استقر به المجلس أخذ يسأل شريكاً عن مرضه، وأطال سؤاله، وشريك يجيبه بحمد الله، وهو يُدير نظره إلى مسلم ويشير إليه بالخروج، ومسلم لم يلتفت إليه، فلما طال انتظاره أخذ يقول:

ما تنظرون بسلمي لا تحيوها حيوا سليمي وحيوا من يحييها

هل شربة عذبة أسقى على ظمأ ولو تلفت وكانت منيتي فيها
وان خشيت من سلمى مُراقبةً فلست تأمن يوماً من دواهيها
فقال ابن زياد: ما شأنه، أترونه يهجر؟
فقال له هانيء: نعم - أصلحك الله ما زال هذا ديدنه قبيل الصبح حتى ساعته
هذه. ثم قام ابن زياد فانصرف.

مهران مولى عبيدالله

وقد فطن مهران مولى عبيدالله - وكان ذكياً - إلى ما دبّر لسيدّه، فغمره ونهض
به سريعاً، فقال له شريك: أيّها الأمير إني أريد أن أوصي إليك، فقال له ابن زياد:
أتبي أعود إليك والتفت مهران وهو مذعور إلى ابن زياد، فقال له: «إنّه أراد قتلك» .
فبهر ابن زياد وقال: كيف مع اكرامي له؟! وفي بيت هانيء ويد أبي عنده! (١)

سبب انصراف مسلم عن قتل ابن زياد

خرج مسلم من دار هانيء، فقال له شريك: ما منعك من قتله؟
قال: خصلتان: أما إحداهما، فكراهة هانيء أن يُقتل في داره، وأما الأخرى.
فحديثٌ حدّثنيّه الناس عن النبي ﷺ: «إن الإيمان قيد الفتك ولا يفتك مؤمن» .
فقال هانيء: أما والله، لو قتلت لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً غادراً، ولكن كرهتُ
أن يُقتل في داري.

ونقل البعض الآخر: بأنّ مسلم قال ردّاً على سؤال شريك:
خلتان: الأولى: حديث علي عليه السلام عن رسول الله ﷺ: «أن الإيمان قيد الفتك

فلا يفتك مؤمن».

والثانية: امرأة هانيء فأنّها تعلقت بي وأقسمت عليّ بالله أن لا أفعل هذا في دارها وبكت في وجهي .

فقال هاني: يا ويلها قتلتنني وقتلت نفسها والذي فرّت منه وقعت فيه.^(١)

وفاة شريك بن الأعور

كتب بعض المؤرخين: ولبت شريك بعد ذلك ثلاثاً، ثم مات، فصلّي عليه ابن زياد، فلما علم بعد ذلك: أنه هو الذي كان يُحرّض مسلماً على قتله قال: «والله لا أصلي على جنازة عراقي أبداً، ولولا أن قبر زياد^(٢) فيهم لنبشتُ شريكاً».

وكتب آخرون: ان ابن زياد عندما ترك شريكاً وعاد الى دار الامارة، تقدم منه شخص يدعى مالك بن يربوع التميمي واعطاه رسالة وجدوها عند عبدالله بن يقطر وهي مرسلة من مسلم الى الامام الحسين عليه السلام يقول فيها: انّ بعض أهل الكوفة اعلنوا البيعة لك، فالعجل العجل، لأن الناس في شوق اليك وليس لديهم رغبة بيزيد.

فأمر عبيد الله بابن يقطر، فألقي من أعلى القصر فتكسّرت عظامه فمات رحمه الله^(٣).

(١) مثير الأحزان : ١٤ .

(٢) زياد بن أبيه (أبو عبيدالله)، مدفون في «الثوية» وهو مكان قرب الكوفة، ودفن فيه كذلك المغيرة وأبو موسى الأشعري، وقيل: بأنّ هذا المكان كان سجناً للنعمان .

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ٤: ٩٣ .

معقل، جاسوس عبيدالله

وأخذت الشيعة بعد ذلك تختلف إلى دار هاني بتكتم من ابن زياد واستخفاء، فأراد ابن زياد التطلع على مسلم ومركز قيادته وجليّة أمره، فدعا مولاّه (معقلاً)^(١) - وكان ذكياً - وأعطاه مبلغ ثلاثة آلاف درهم، وأمره بالتجسس على مسلم والتماس أصحابه وإعطائهم الأموال ليطمئنوا به، ولم يكتموا شيئاً من أخبارهم.

فمضى (معقل) لتحقيق مهمته، فأقبل ودخل المسجد فرأى مسلم بن عوسجة يصلي فيه، فسأل عنه، فقيل له: هذا يبايع للحسين بن علي عليه السلام فجاء وجلس إلى جنبه حتى اذا فرغ من صلاته، سلّم عليه وأظهر له: أنه رجل من أهل الشام، وأنه مولى لذي الكلاع الحميري، وممن أنعم الله عليه بحب أهل البيت عليهم السلام وحب من أحبهم، وتباكى له، وقال له: إنّ عنده ثلاثة آلاف درهم يريد بها لقاء رجل من أهل البيت بلغه أنه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ومما قال له: «إني أتيتك لتقبض هذا المال مني وتدخلني على صاحبك فأبايعه، فإني أخ من إخوانك وثقة عليك وإن شئت أخذت بيعتي له قبل لقائه».

فقال له مسلم بن عوسجة: أحمد الله على لقاءك إياي، فقد سرّني ذلك لتتال الذي تحبّ، ولينصر الله بك أهل بيت نبيّه، ولقد ساءني معرفة الناس إياي بهذا الأمر قبل أن يتمّ، مخافة هذا الطاغية وسطوته.

قال له (معقل): لا يكون إلّا خيراً، خذ البيعة عليّ.

فأخذ مسلم بيعته قبل أن يبرح، وأخذ عليه الموائيق المغلظة ليناصح وليكتمن. فأعطاه (معقل) من ذلك ما رضى به. ووعدته مسلم بأخذ الإذن له بعد

(١) ذكر ابن نما في مثير الأحزان: ٣٢، أنّ معقلاً كان من أهل حمص، وقد جاء من أجل جمع المال.

يومين أو ثلاثة ، فانصرف (معقل) وأخذ يختلف مع الناس في هذه المدة حتى أخذ له الإذن بالدخول على مسلم بن عقيل في دار هاني بن عروة، فدخل عليه وباع للحسين عليه السلام على يده وذلك بعد موت شريك الهمداني. وأمر مسلم أبا ثمامة الصائدي بقبض المال منه - وكان قد عيّنه مسلم لقبض الأموال من الناس وتجهيزهم بما يحتاجونه من السلاح والعتاد - .

وظلّ (معقل) بعد ذلك يختلف إلى دار هاني كلّ صباح ومساء فهو أول داخل وآخر خارج، فينطلق بجميع الأخبار والأسرار فيقرّها في أذن ابن زياد.^(١)

مؤامرة على هاني بن عروة

وكان هاني بن عروة يغدو ويروح إلى مجلس ابن زياد قبل نزول مسلم عنده، فلما نزل به مسلم انقطع عن الحضور وتمارض.

فسأل عنه زياد، فقيل: هو شاكٍ، فقال: لو علمتُ بمرضه لعدتُه.

ودعا محمد بن الأشعث^(٢) واسماء بن خارجة الفزاري وعمرو بن الحجاج الزبيدي^(٣)، فقال لهم: أخبروني ما يمنع هاني بن عروة من إتياننا؟

(١) مقتل الحسين للمقرم: ١٥٣ .

(٢) أبيه الأشعث بن قيس من قبيلة كندة، وقد زوجه أبو بكر اخته أم فروة، وقد لعنه أمير المؤمنين عليه السلام .

قال ابن أبي الحديد: إن كل فساد واضطراب حدث في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام كان سببه الأشعث بن قيس .

وروى الكليني عن الامام الصادق عليه السلام: ان الأشعث بن قيس شريك في دم علي بن أبي طالب، وابنته جعدة هي التي سمّت الامام الحسن عليه السلام، وابنه محمد شريك في دم الحسين عليه السلام . انظر: الكنى والألقاب ٢: ٣٤ .

(٣) رئيس قبيلة «زبيد»، وكان صاحب عزّة ومقام في عشيرته، وكان من الذين كتبوا الى =

قالوا: ما ندري - أصلحك الله - ، وقد قيل: إنه يشككي.

قال: قد بلغني أنه بريء وأنه يجلس على باب داره، فألقوه فمروه أن لا يدع ما عليه من حقنا، فإني لا أحب أن يفسد عندي مثله من أشرف العرب.

اعتقال هاني بن عروة

فأتوا حتى وقفوا عشيّة - وهو جالس على باب داره - فقالوا له: ما يمنعك من لقاء الأمير؟ فانه قد ذكرك، وقال: لو أعلم أنه شاكٍ لعدته.

فقال لهم: الشكوى تمنعني .

فقالوا له: قد بلغه أنك تجلس كلّ عشيّة على باب دارك، وقد استبطأك، والإبطاء والجفاء لا يحتمله السلطان. ونحن نقسم عليك ألا ما ركبت معنا.

فعند ذلك استجاب لهم - على كُرهٍ - فدعا بشيابه فلبسها، ثم دعا ببلغته فركبها، وجاء معهم، حتى إذا دنا من القصر كأنّ نفسه أحسّت ببعض الذي كان فقال لحسان بن أسماء بن خارجة: يا ابن الأخ، إني - والله - لهذا الرجل لخائف، فما ترى؟

قال: أي عمّ، والله ما أتخوّف عليك شيئاً، ولم تعجل على نفسك سبيلاً - وأنت بريء؟ - ولم يكن حسان يعلم لأي شيء بعث إليه ابن زياد.

ثم دخل القوم على ابن زياد - ومعهم هاني - فلما طلع قال عبيد الله: «أتتك

= الامام الحسين يدعو للقدوم الى الكوفة، ولكنه اشترك مع ابن زياد في قتال الحسين (عليه السلام)، فقد وكله عمر بن سعد مع خمسمائة نفر بحراسة شريعة الفرات حتى لا يشرب منها الحسين وجيشه الماء. اخته هي «روعة» زوجة هاني بن عروة وأم يحيى بن هاني. مقتل الحسين للمقرم: ١٥٥.

وهمدان. وما زال الناس يتواثبون حتى المساء، وأقبلوا نحو القصر، فضاق بعبيد الله ابن زياد أمره، وتحصّن في القصر. وغلّق الأبواب، وأقتل اصحابه وأصحاب مسلم ساعة. وكان أكثر عمل ابن زياد أن يُمسك باب القصر، وليس معه إلا ثلاثون رجلاً من الشرطة وعشرون رجلاً من أشراف الناس وأهل بيته وخاصته ومواليه.

وأخذ جيش مسلم عليه السلام بالتزايد، حتى أحاطوا بالقصر، وارتفعت أصواتهم بشتم ابن زياد وقذفه بالحجارة، فجعل من في القصر يُشرفون على حشود الناس، فتهوّلهم كثرتهم، وينظرون إليهم - وهم يرمونهم بالحجارة ويلعنون آل زياد وبني أميّة - .

فعند ذلك دعا ابن زياد كثير بن شهاب الحارثي وأمره أن يخرج في من أطاعه من مذحج، فيسير في الكوفة، ويُخذّل الناس عن ابن عقيل، ويخوّفهم الحرب، ويحدّثهم عقوبة السلطان. وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج في من أطاعه من كندة وحضر موت فيرفع راية أمانٍ لمن جاءه من الناس، وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الذهلي، وشبث بن ربعي التميمي، وحجّار بن أبجر العجلي، وشمر بن ذي الجوش العامري، وحبس باقي الناس عنده استئناساً إليهم، لقلّة عدد من معه من الناس.

خطة ابن زياد لكسر الحصار

لكي يكسر عبيد الله بن زياد هذا الحصار المضروب حول القصر، استخدم الحيلة والخديعة، فخرج كثير بن شهاب يُخذّل الناس عن مسلم، وجعل محمد بن الأشعث وشبث بن ربعي والقعقاع يردّون الناس عن اللحقوق بمسلم ويخوّفونهم السلطان، حتى اجتمع إليهم عددٌ كثير من قومهم وغيرهم، فصاروا إلى ابن زياد، ودخل القوم معهم. وأقام الناس مع ابن عقيل يكبرون ويتواثبون حتى المساء - وأمرهم شديد..

بخائنٍ رجلاه»^(١) فلما دنا من ابن زياد وعنده شريح القاضي - التفت نحوه وأنشد:

أريد حياته ويُريدُ قتلي عذيرُك من خليلك من مراد^(٢)

فقال له هاني: وما ذاك - أيها الأمير - ؟

فقال ابن زياد: إيه يا هاني بن عروة؟ ما هذه الأمور التي تربص في دارك
لأمير المؤمنين وعامة المسلمين، جئت بمسلم بن عقيل، فأدخلته دارك، وجمعت له
السلاح والرجال في الدور حولك وظننت أن ذلك يخفى عليّ؟
فقال هاني: ما فعلت ذلك، وما مسلمٌ عندي.

قال ابن زياد: بلى قد فعلت - وطال النزاع بينهما - .

فدعا ابن زياد (معقلاً) ذلك العين، فجاء حتى وقف بين يديه، فقال له ابن
زياد: أتعرف هذا؟

قال: نعم. فعلم هاني - عند ذلك - أنه كان عيناً عليهم، وأنه قد أتاه بأخبارهم،
فأسقط في يده ساعةً، ثم إن نفسه راجعته فقال له: «اسمع مني وصدق مقالتي فوالله
لا أكذبك، والله الذي لا اله غيره، ما دعوته إلى منزلي، ولا علمتُ بشيء من أمره،
حتى رأيته جالساً على بابي، يسألني النزول عليّ، فاستحييتُ من ردّه ودخلني من
ذلك ذمام، فأدخلته داري وضيّفته وآويته، وقد كان من أمره ما بلغك فان شئت
أعطيتك الآن، موثقاً تطمئن إليه أن لا أبغيك سوءً ولا غائلةً ولا تينك حتى أضع يدي
في يدك...».

(١) أقول: في مجمع الامثال للميداني: بانه كلام قاله الحرث بن جبلة الغساني لما ظفر
بالحرث بن عفيف العبدي حين هجاه، وقيل: ان قائله عبيد بن الأبرص الاسدي، إذ مرّ
بالنعمان بن المنذر في يوم بؤسه، فقال له النعمان: ما جاء بك يا عبيد؟ قال: أئتتك بخائن
رجلاه. [البدر]

(٢) البيت من قصيدة لعمر بن معدي كرب الزبيدي قالها في ابني اخته، وكانا متباعدين.

فقال له ابن زياد: لا والله، لا تفارقني أبداً حتى تأتيني به.
 فقال هاني: لا والله، لا أجيئك به أبداً، أجيئك بضيبي حتى تقتله؟
 قال ابن زياد: والله لتأتيني به .
 قال هاني: والله لا آتيك به.

هاني ومسلم بن عمرو الباهلي

فلما كثر الكلام بينهما قام مسلم بن عمرو الباهلي، فقال: أصلح الله الأمير، خلّني وإيّاه حتى أكلمه. فقام فخلاً بهاني في ناحية - وهما بحيث يراهما ابن زياد ويسمع كلامهما إذا رفعاً أصواتهما -

فقال له مسلم: يا هاني، أنشدك الله أن لا تقتل نفسك، وأن تدخل البلاء على قومك وعشيرتك، فوالله، إنّي لأنفس بك عن القتل. ان هذا الرجل (ويعني مسلم بن عقيل) ابن عمّ القوم، وليسوا قاتليه ولا ضائريه، فادفعه إليه، فليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة، إنما تدفعه إلى السلطان.

فقال هاني: بلى والله، إن عليّ في ذلك الخزي والعار، أنا أدفع جاري وضيبي ورسول ابن رسول الله، وأنا حي صحيح أسمع وأرى، شديد الساعدين، كثير الأعوان، والله لو لم أكن إلا واحداً، ليس لي ناصر، لم أدفعه حتى أموت دونه.

فأخذ مسلم يناشده وهو يقول: والله لا أدفعه إليه أبداً فسمعه ابن زياد، فقال: أدنوه منّي، فأدنوه منه.

فقال: والله، لتأتيني به أو لأضربن عنقك.

قال هاني: إذا - والله - تكثر البارقة حول دارك. - وهو يظن أن عشيرته سيمنعونه - .

فقال ابن زياد: وآلهفاه عليك، أبا البارقة تُخوّفني؟

ابن زياد يضرب هاني ويأمر بحبسه

ثم قال: أدنوه منّي؟ فأدنوه منه، فاستعرض وجهه بالقضيب. فلم يزل يضرب به أنفه، وجبينه وخديّه، حتى كسر أنفه، وسيل الدماء على ثيابه، ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته حتى كسر القضيب. فضرب هاني بيده على قائم سيف شرطيّ كان إلى جانبه، فجاذبه الرجل، وامتنع عليه.

فصاح ابن زياد به: أحروري^(١) ساير اليوم، أحللت بنفسك قد حلّ لنا دمك، خذوه، فألقوه في بيت من بيوت الدار وأغلقوا عليه بابه، واجعلوا عليه حرساً. ففعل به ذلك وهو يستغيث بقومه وعشيرته.

فقام إليه حسان بن أسماء^(٢) فقال: أرسل غدر ساير اليوم، أمرتنا أن نجئك بالرجل، حتى إذا جئناك به، هشمّت أنفه ووجهه، وسيلت دماءه على لحيته وزعمت أنك تقتله؟

فقال له عبيد الله: وإنك لها هنا؟ فأمر به، فلهز وتعتع، وأجلس ناحية . فقال محمد بن الأشعث: قد رضينا بما رأى الأمير، لنا كان أم علينا، إنّما الأمير مؤدّب.

جموع مذحج تطوّق القصر

قالوا: وبلغ عمرو بن الحجاج: أن هائناً قد قُتل فأقبل في «مذحج» حتى أحاط بالقصر - ومعه جمعٌ عظيم - وأخذ ينادي:

(١) الحروري نسبة الى الحرورية، وهي فرقة من الخوارج كانت من المنقوم عليها يومئذ .
(٢) وفي نهاية الارب للتويزي - بالمصدر الآنف - ككثير من كتب التأريخ (اسماء بن خارجة) بدل (حسان) ولعلّه الأصح .

أنا عمرو بن الحجاج، وهذه فرسان مذحج ووجوهها لم تخلع طاعة ولم تفارق جماعة، وقد بلغهم أن صاحبهم قُتل، فأعظموا ذلك.

فقبل لعبيد الله: هذه مذحج بالباب.

فقال لشريح القاضي: أدخل على صاحبهم، فانظر اليه، ثم اخرج فأعلمهم أنه حي لم يقتل، وأنت قد رأيته.

فدخل شريح على هاني، فلما رآه هاني أخذ ينادي: يا الله وللمسلمين أهلكت عشيرتي، فأين أهل الدين، وأين أهل المصر، ايدخلوني وعدوهم وابن عدوهم؟ فبينا هو كذلك إذ سمع الضجة على الباب، فقال: يا شريح، إنني لأظنها اصوات مذحج وشيعتي من المسلمين، إنه ان دخل عليّ عشرة نفر منهم أنقذوني. فلم يلتفت اليه شريح، وخرج إلى القوم وأخبرهم أن صاحبهم لم يُقتل وأن الذي بلغه من قتله باطل.

فقال عمرو وأصحابه: فأما إذا لم يُقتل فالحمد لله. ثم انصرفوا.

استخبار مسلم بمصير هاني

قالوا: وجاء عبد الله بن حازم إلى مسلم بن عقيل، فأخبره بقصة هاني، وما جرى عليه من ابن زياد، فأمر مسلم أن ينادي في أصحابه - وقد ملأ بهم الدور حوله فكانوا أربعة آلاف رجل - : «يا منصور أمت».

فتنادى أهل الكوفة، واجتمعوا عليه، وتداعى الناس من عموم أطراف المدينة، حتى امتلأ المسجد والسوق بالناس.

مسلم يعبىء الجيوش ويطوق قصر الامارة

فعند ذلك عقد مسلم لرؤوس الأرباع: كندة ومذحج وتميم وأسد ومضر

فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم اليه، ثم قال لهم: أشرفوا على الناس، فمَنُوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، وخَوَّفُوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة، وأعلموهم وصُول الجنود من الشام إليهم.

ففعَلَ هؤلاء ما أمرهم ابن زياد، فتكَلَّمَ كثيرُ بن شهاب أول النهار حتى كادت الشمس أن تجب، فقال: «أيُّها الناس، إلحقوا بأهاليكم، ولا تعجلوا الشرَّ، ولا تُعرِّضوا أنفسكم للقتل، فإنَّ هذه جنودُ أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت من الشام، وقد أعطى الله الأمير عهداً لئن أنتم أقمتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيَّتكم أن يحرم ذريتكم العطاء، ويفرِّق مقاتلتكم في مغازي أهل الشام وأن يأخذ البريء منكم بالسيف، والشاهد بالغائب حتى لا يبقى له فيكم بقية من أهل المعصية إلا أذاقها وبال ما جرَّت أيديها».

وتكَلَّمَ الأشراف بنحوٍ من هذا الكلام.

تخاذل أهالي الكوفة

فجعل الناس يتفرَّقون ويتخاذلون عن مسلم بن عقيل، ويقول بعضهم لبعض: «ما نصنع بتعجيل الفتنة، وغداً تأتينا جموع أهل الشام، فينبغي أن نقعد في منازلنا، وندع هؤلاء القوم حتى يصلح الله ذات بينهم».

وكانت المرأة تأتي ابنها أو أخاها فتقول له: «انصرف، الناس يكفونك». ويجيء الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول له: «غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشر، انصرف» فيذهب به إلى منزله.

وقد وصفهم الأحنف بن قيس بالمومسة تريد كلَّ يوم بعلاً^(١).

(١) أنساب الأشراف ٥: ٣٣٨.

اعتقال الناس

بعد ان استطاع كثير بن شهاب تفرقة الناس عن مسلم عمل على اعتقال الشخصيات المهمة الموالية لمسلم بن عقيل .

يقول المؤرخون في هذه المسألة: اعتقل عبيدالله جميع الموالين للأمير المؤمنين (عليه السلام)، وكل من كتب رسالة الى الحسين (عليه السلام)، من أمثال سليمان بن صرد الخزاعي، وابراهيم بن مالك الأشتر وابن صفوان ويحيى بن عوف وصعصعة بن صوحان العبدي، وبقي هؤلاء بالسجن الى هلاك يزيد حيث اخرجتم الجماهير بعد ذلك لتبدأ ثورتهم الدامية من جديد .

بداية غربة وحيرة مسلم

وهكذا تفرّق أهل الكوفة حتى أمسى مسلم بن عقيل، وصلى المغرب وما معه إلا ثلاثون نفساً في المسجد، فلما رأى أنه قد أمسى وليس معه إلا أولئك نفر خرج متوجهاً نحو أبواب كندة، فلما بلغ الأبواب لم يبق معه منهم إلا عشرة، ثم خرج من الباب، وإذا ليس معه انسان يدلّه على الطريق ولا على منزله ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدوّ، فمضى على وجهه يتلذّد في أزقة الكوفة لا يدري اين يذهب .

وفي هذا الوقت سمع صوت رجل يتاديه في هذا الليل الحالك: مولاي، في هذا الوقت من الليل، اين تقصد؟ وأين تريد الرحيل؟

لقد كان سعيد بن الأحنف .

قال مسلم: ابحت عن مكان آمن ابقى به الى ان يجتمع حولي من بايعني واعود لقتال ابن زياد .

ادرك حينها سعيد بن الأحنف عمق الفاجعة، وكان يردد بين نفسه وهو حزين: حاشا وكلا، أبواب الكوفة مغلقة، والجواسيس يملأون الطرقات، ثم قال لمسلم: لنذهب الى دار محمد بن كثير فقد تجد هناك مكاناً آمناً .

تبع مسلم سعيد بن الأحنف الى دار محمد بن كثير، وعندما رآه محمد وقع على قدميه يقبلهما ثم حمد الله وأثنى عليه ووضعه في مكان لا يراه فيه أحد .

الصعوبات التي واجهت محمد بن كثير^(١)

وقد أخبر جواسيس عبيد الله بن زياد الذين كانوا يراقبون مسلم بن عقيل ابن زياد بهذه الحادثة فأرسل ابن زياد ابنه خالد بمحاصرة منزل محمد بن كثير ليلاً واقتحامه ومن ثم اعتقال مسلم ومحمد بن كثير وارسالهما إلى دار الامارة، ولكن عندما ذهب خالد إلى منزل محمد بن كثير لم يجد مسلماً فيه، فاعتقل محمد بن كثير وابنه وارسلهم إلى دار الامارة .

وعندما علم سليمان بن صرد الخزاعي وأبي عبيدة الثقفي والورقاء بن عازب باعتقال محمد بن كثير وابنه قرروا جمع الموالين ومهاجمة قصر الامارة، وانقاذ محمد بن كثير وابنه من يد ابن زياد، ومن ثم يخرجون من الكوفة للقاء الإمام الحسين عليه السلام والانضمام إلى جيشه .

وفي الصباح أمر ابن زياد بجلب محمد بن كثير وابنه، حيث شتمه وهددته وطلب منه اخباره بمكان بمسلم، ولما لم يستجيب ابن كثير لابن زياد طلبه ألقى عليه دواة الكتابة وشجّ جبهته، ومدّ ابن كثير يده إلى سيفه ولكن أشرف الكوفة

(١) قصة ذهب مسلم الى دار محمد بن كثير لم تذكر في الكتب المعتمدة، ولكن المرحوم سيهر صاحب «ناسخ التواريخ» نقل هذه الحادثة، ونحن نختصرها هنا .

حاصروه وحالوا بينه وبين ابن زياد، وفي تلك الحال جاء معقل وألقى بنفسه على ابن كثير، فاتقاه ابن كثير بسيفه وقتل معقل.

عندما رأى ابن زياد ما جرى أمامه أمر غلمانه بمهاجمة ابن كثير، وقد كان ابن كثير مستعداً للقتال، ولكنه في تلك الحال عثرت قدمه فسقط ارضاً وانهاه عليه غلمان ابن زياد بسيوفهم فقتلوه، وبعدها هجموا على ابنه والذي كان فتى شجاعاً، حيث قابلهم بشجاعة منقطعة النظير واستشهد بعدها لكثرة المهاجمين.

وعندما وصل الخبر إلى مسلم وما جرى لمحمد بن كثير خرج منه (١).

مسلم في دار طوعة

خرج مسلم من دار محمد بن كثير، وذهب يبحث عن مكان آمن، فذهب إلى دور بني جبلة، من كندة. فمضى حتى انتهى إلى باب امرأة يقال لها (طوعة) - أم ولد كانت للأشعث بن قيس، فأعتقها فتزوجها أسيد الحضرمي فولدت له بلالاً - وكان بلال هذا - قد خرج مع الناس وأمه قائمة على الباب تنظره -.

فسلم عليها ابن عقيل، فردّت عليه.

فاستسقاها ماءً، فسقته وجلس على الباب.

فأدخلت الإناء، ثم خرجت ورأته جالساً على الباب.

فقال: يا عبد الله، ألم تشرب؟

قال: بلى. قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكت، ثم أعادت عليه مثل ذلك،

فسكت.

فقال له في الثالثة: سبحان الله يا عبد الله، قم عافاك الله إلى أهلك، فانه لا

(١) ناسخ التواريخ ٢: ٧٨.

يصلح لك الجلوس على باب داري، ولا أحله لك.
 فقام وقال: يا أمة الله، مالي في هذا المصر أهلاً ولا عشيرة، فهل لك إلى أجر
 ومعروف، ولعلي مكافئك به بعد اليوم؟
 فقالت: يا عبد الله وما ذاك؟
 قال: أنا مسلم بن عقيل، كذّبي هؤلاء القوم وغزوني وأخرجوني من دباري
 ثم خذلوني، ولم ينصروني، وتركوني وحيداً.
 قالت: أنت مسلم؟
 قال: نعم .
 قالت: أدخل، فأدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه. وفرشت له،
 وعرضت عليه العشاء فلم يتعش.

خطبة عبيد الله في مسجد الكوفة

لما تفرق الناس عن مسلم وسكن لغطهم ولم يسمع ابن زياد أصوات
 الرجال أمر من معه في القصر أن يشرفوا على ظلال المسجد لينظروا هل كموا
 فيها، فكانوا يدلون بالقناديل ويشعلون النار في القصب ويدلون بالحبال إلى أن
 تصل إلى صحن الجامع فلم يروا أحداً فأعلموا ابن زياد وأمر مناديه أن ينادي في
 الناس ليجتمعوا في المسجد، ولما امتلأ المسجد بهم رقى المنبر وقال: ان ابن عقيل
 قد أتى ما قد علمتم من الخلاف والشقاق فبرأت الذمة من رجل وجدناه في داره
 ومن جاء به فله ديتة فاتقوا الله عباد الله والزموا طاعتكم وبيعتمكم ولا تجعلوا على
 أنفسكم سبيلاً.^(١)

صدور أوامر جديدة

بعد أن خرج عبيدالله بن زياد من المسجد ودخل دار الامارة أمر صاحب شرطته الحصين بن نمير أن يفتش الدور والسكك بواسطة العملاء والجواسيس بحثاً عن مسلم، وحذره بالفتك به أن أفلت مسلم وخرج من الكوفة.^(١)

فوضع الحصين الحرس على أفواه السكك وتبع الأشراف الناهضين مع مسلم فقبض على عبد الأعلى بن يزيد الكلبي وعمارة بن صلخب الازدي فحبسهما ثم قتلها، ولم يكتف بذلك بل عمد الى اعتقال بعض وجوه الكوفة التي لا يبدو أن لها علاقة بتحريك مسلم وفيهم الأصبغ بن نباتة والحارث الأعور الهمداني . من جهة أخرى كان المختار الثقفي عند خروج مسلم في قرية تدعى (لقفا)^(٢)، فجاء بمواليه يحمل راية خضراء ويحمل عبدالله بن الحارث راية حمراء وركز المختار رايته على باب عمرو بن حريث^(٣) وقال: اردت أن أمنع عمراً ووضع لهما قتل مسلم وهاني واشير عليهما بالدخول تحت راية الأمان عند عمرو بن حريث ففعلا وشهد لهما ابن حريث باجتماعهما ابن عقيل، فأمر ابن زياد بحبسهما بعد أن شتم المختار واستعرض وجهه بالقضيب فشتر عينه ، وبقي في السجن الى أن قتل الحسين عليه السلام.^(٤)

(١) تاريخ الطبري ٦: ٢٠٩ و ٢١٠.

(٢) ذكر المرحوم المقرّم نقلاً عن أنساب الأشراف للبلاذري ٥: ٢١٤، أن اسم القرية هو «الخطوانية» وهي ناحية في بابل

(٣) عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبدالله المخزومي، روى عن أبي بكر وابن مسعود، وروى عنه ابنه جعفر والحسن العرني والمغيرة بن سبيع وغيرهم، كانت داره مأوى لأعداء أهل البيت، ولي الكوفة لزياد بن أبيه ولابنه عبيدالله، مات سنة ٨٥ هـ. انظر: سير اعلام النبلاء ٣: ٤١٧ - ٤١٩، الأعلام ٥: ٧٦.

(٤) أنساب الأشراف ٥: ٢١٥.

رؤيا مسلم

ذكرنا سابقاً أنّ مسلم بن عقيل انتهى به المطاف الى دار طوعة، وقد استقر مسلم في احدى زوايا البيت، وقضى ليلته تلك بالعبادة والطاعة، كانت هذه الليلة أطول ليلة مرّت على مسلم ﷺ يرقب آناءها ويعدد دقائقها وثوانها، ينظر بعين البصيرة إلى زوايا البيت وهو يعلم أنّه مأتي لا محالة، ولكن كيف يؤتى ومن اين يتوقع الهجوم عليه؟ وكيف يدافع ولا يبصر إلا ناحية واحدة شدّ إليها الرجال منذ خرج من المدينة بأمر السبط الشهيد، ألا وهي أظهار الدعوة إلى حكم الكتاب المجيد وسنة الرسول وانقاذ الأمة من مخالب الضلال وتعريفها سبيل الرشده من الغي، ومما زاد في طمأنينته رؤياه عمّه أمير المؤمنين في المنام يقول له: أنت معي غدر العجل العجل .

فعرفت نفسه المطمئنة الملهمة في صباح هذه الليلة اللقاء والفناء الذي فيه البقاء الأبدي فلم تبعثه الحالة إلا إلى النشاط والبسالة والوثوق بازوف الوعد، فلما انفلق عمود الفجر وانفتل من صلاته ودعائه ونوافله - التي لم يتركها طوال الليل - تأهب لمجاهدة من مرقّ عن الدين، وأعرض عن وصايا النبي في أهله وذويه وقال لطوعة: قد أدبت ما عليك من البر والاحسان، وأخذت نصيبك من شفاعة رسول الله وقصّ عليها الرؤيا. ^(١)

بلال بن طوعة

وفي الوقت الذي كان فيه مسلم في منزل طوعة ، جاء ابنها، فرآها تكثرل الدخول في البيت الذي فيه مسلم والخروج منه. فقال: والله ليريني كثرة دخولك

(١) نفس المهموم ١٠٩، الشهيد مسلم: ٩٦.

هذا البيت منذ الليلة وخروجك منه، إن لك لشأنًا...

قالت: يا بني، أله عن هذا؟

قال: والله لتخبريني. وألح عليها.

قالت: يا بني لا تخبرن أحداً من الناس بشيء مما أخبرك به. وأخذت عليه الأيمان المغلظة، فحلف لها.

فأخبرته، فاضطجع على فراشه، وسكت.

فلما أصبح (بلال) غدا إلى عبد الرحمان بن محمد بن الأشعث فأخبره
بمكان مسلم بن عقيل عند أمه، فأقبل عبد الرحمان حتى أتى أباه - وهو عند ابن
زياد - فسأره، فقال له ابن زياد: ما قال لك؟

قال: أخبرني: أن ابن عقيل في دارٍ من دُورنا.

فقال ابن زياد: قُم فأتني به الساعة، ولك ما بذلت من الجائزة الكبرى والحظ
الأوفى. ثم بعث معه عمرو بن عبيد الله بن العباس السلمي في سبعين رجلاً من
قيس حتى أتوا الدار التي فيها مسلم.

مسلم في ميدان الحرب

فلما سمع مسلم وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال عرف أنه قد أتى،
فالتفت إلى (طوعة) وقال لها: «رحمك الله وجزاك خيراً».

وخرج اليهم بسيفه، واقتحموا عليه الدار، فشَدَّ عليهم يضربهم بسيفه
حتى أخرجهم من الدار، ثم عادوا إليه، فشَدَّ عليهم كذلك، وهو يقول:

هو الموت فاصنع ويك ما أنت صانع فأنت بكأس الموت لا شك جارِع

وصبراً لأمر الله جل جلاله فحكم قضاء الله في الخلق ذائع
فجعل يحصد فيهم - وقد ازدحموا عليه - حتى ضجّت الجموع من كثرة من
قتل منهم، فقد قيل: إنه قتل واحداً وأربعين رجلاً غير المجرّوحين.
وكان من قوّته أن يأخذ الرجل بيده، ويرمي به فوق البيت.

واختلف هو وبكير بن حمران الأحمرى^(١) بضربتين، فضرب بكير فم مسلم
فقطع شفته العليا واسرع السيف في السفلى وفُصلت له نتيّاه، وضرب مسلم رأس
بكير ضربة منكّرة، وثناؤه بأخرى على حبل العاتق كادت تطلع إلى جوفه.

فلما رأوا ذلك منه أشرفوا عليه من فوق البيوت، وجعلوا يرمونه بالحجارة
ويُلهبون النار في أطنان القصب ثم يُلْقونها عليه من فوق السطوح.

فلما رأى ذلك منهم خرج اليهم مصلاً سيفه في السكّة، وجعل يقاتلهم مقاتلة
الأبطال وهو يرتجز ويقول:

أَقْسَمْتُ لَا أَقْتُلُ إِلَّا خُرّاً	وإن رأيتُ الموتَ شيئاً نُكِرَا
أَخَافُ أَنْ أَكْذِبَ أَوْ أَغُرّاً	كُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا مُلَاقٍ شَرّاً
وَيَخْلُطُ الْبَارِدُ سُخْنًا مُرّاً	رَدَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ فَاسْتَقَرّاً
اضْرِبْكُمْ وَلَا أَخَافُ ضَرّاً	ضَرَبَ غَلَامٌ قَطُّ لَمْ يَفْرَا ^(٢)

فقال له محمد بن الأشعث: إنك لا تُكذب ولا تُغر ولا تُخدع ان القوم بنو
عمّك، وليسوا بقاتليك ولا ضائريك.

فلم يعبأ ابن عقال بكلامه، فكّر عليهم حتى قتل منهم مقتلة عظيمة.

(١) بكير (بكر) بن حمران الأحمرى، خبيث ملعون، قاتل مسلم بن عقال. انظر: مستدركات
علم الرجال ٢: ٥٠.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٤: ٩٣.

ابن الأشعث يستمدّ القوة من ابن زياد

وطلب ابنُ الأشعث من ابن زياد أن يُعده بالخيل والرجال.

فمده ابن زياد بما يريد، وأرسل إليه يقول: «إنا بعثناك إلى رجل واحد لتأتينا به، فثلم في أصحابك هذه الثلثة العظيمة، فكيف إذا أرسلناك إلى غيره» - يعني بذلك الحسين بن علي عليه السلام .

فأجابه ابن الأشعث: «أيها الأمير أظن أنك بعثني إلى بقال من بقالي الكوفة، أو جرمقاني من جرامقة الحيرة، أولم تعلم أنك بعثني إلى أسدٍ ضرغام وسيفٍ حسام في كف بطلٍ هُمام من آل خير الأنام».

فأرسل إليه ابنُ زياد: أن أعطه الأمان، فانك لا تقدر عليه إلّا به.

يحتالون على مسلم باعطائه الامان

فدنا منه ابن الأشعث وقال: يا ابن عقيل لك الأمان لا تقتل نفسك، وأنت في ذمتي.

فقال مسلم: أوسر وبي طاقة؟ لا والله لا يكون ذلك أبداً وأي أمانٍ للغدرة الفجرة.

ثم حمل على ابن الأشعث، فهرب منه، ثم رجع إلى موضعه وهو يقول: «اللهم إنّ العطش قد بلغ منّي». فلم يجتريء أحدٌ أن يسقيه الماء ويدنو منه. فصاح ابن الأشعث بأصحابه: إنّ هذا لهو العار والشنار أن تجزعوا من رجل واد هذا الجزع، احملوا عليه بأجمعكم حملةً واحدة. فحملوا عليه من كل جانب - وقد أثختته الجراحات وأعياه نزفُ الدم -

واشتدَّ به العطش، وضعف عن القتال، فتساند إلى جنب دارٍ من تلك الدور، فطعنه لعينٌ من القوم من خلفه، فسقط إلى الأرض صريعاً، فأسره القوم.

مسلم يقع أسيراً في أيدي القوم

وقيل: إن محمد بن الأشعث لما أعطاه الأمان - أولاً - أعاد عليه القول - ثانياً - : «لك الأمان» فقال مسلم للقوم الذين معه: لي الأمان؟ قالوا: بلى، الا عبيد الله بن العباس السلمي، فانه قال: لا ناقة لي في هذا ولا جمل. وتنحى.

فقال مسلم: أما لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي في أيديكم. وأتي ببغلةٍ فحمل عليها، واجتمعوا حوله، وانتزعوا سيفه فكأنه عند ذلك أيس من نفسه، فدمعت عيناه، ثم قال: هذا أول الغدر. فقال له محمد بن الأشعث: اني لأرجو أن لا يكون عليك بأس.

قال مسلم: ما هو إلا الرجاء، فأين أمانكم؟ إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم بكى. فقال له عبيد الله بن العباس السلمي: إن الذي يطلب مثل الذي طلبت لا يبكي إذا نزل به مثل الذي نزل بك.

فقال مسلم: والله إنني ما لنفسي بكيت، ولا لها من القتل أرثي، وان كنتُ لم أحب لها طرفه عين تلفاً، ولكن أبكي لأهلي المقبلين عليكم، أبكي للحسين وآل الحسين.

قالوا: ولما أركب على البغلة ونزع منه السيف، استرجع وقال: هذا أول الغدر، وأيس من نفسه، وعلم أن لا أمان له من القوم.

فالتفت إلى محمد بن الأشعث، وقال له: «إني لأظنك ستعجز عن أمانني،

أفتستطيع أن تبعث رجلاً عن لساني يُبلّغ حسيناً فاني لا أراه إلا قد خرج إلى قبلكم هو وأهل بيته، فيقول له: إنّ مسلماً بعثني إليك وهو أسير في أيدي القوم، يذهبون به إلى القتل فارجع بأهلك، ولا يغرنك أهل الكوفة، فإنّهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنّى فراقهم بالموت أو القتل، وإنّ أهل الكوفة قد كذبوني فكتبْتُ إليك، وليس لمكذوب رأي».

فقال له محمد بن الأشعث: والله لأفعلنّ، ولأعلمنّ ابن زياد أنّي قد أمنتك. ودعا بأياس الطائي، وكتب معه إلى الحسين ما قاله مسلم وما أمر به عن لسانه، وأعطاه زاداً وراحلة فسيّره إلى جهة المدينة. فاستقبل الرسول الحسين عليه السلام (بزبالة) فسلمه الكتاب وأخبره الخبر.

ثم جيء بمسلم بن عقيل إلى باب قصر الإمارة - وقد أخذ العطش منه مأخذاً شديداً - وعلى الباب جماعةٌ جلوسٌ ينتظرون الإذن للدخول على ابن زياد، كعمارة بن عقبة، وعمرو بن حريث، ومسلم بن عمرو الباهلي وكثير بن شهاب وغيرهم.

مسلم بن عمرو الباهلي

فالتفت مسلم إلى باب القصر، فاذا عليه قُلّة ماءٍ مبرّدة.

فقال: اسقوني من هذا الماء؟

فقال له مسلم بن عمرو الباهلي: أتراها ما أبردها؟ لا والله لا تذوق منها قطرةً أبداً حتى تذوق الحميم في نار جهنم.

قال له ابن عقيل: ويحك من أنت؟

قال: أنا من عرف الحق إذا أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيته، أنا مسلم بن عمرو الباهلي.

فقال له ابن عقيل: لأمك الثكل، ما أجفاك وأفظك وأقسى قبلك وأغلظك، أنت - يا ابن باهلة - أولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني.

وتساند إلى حائط القصر، وبعث عمرو بن حريث غلاماً له يدعى (سليماً) فجاءه بقلّة ماء مبرّدة، عليها منديل ومعه قدح، فصبّ فيه الماء ثم ناوله لمسلم ليشرب، فأخذ مسلم كلّما أراد أن يشرب امتلأ القدح دماً، فيمتنع من الشرب، يفعل ذلك مرتين أو ثلاثاً، فلما ذهب في الثالثة ليشرب سقطت ثنيّاه في القدح، فقال: «الحمد لله، لو كان من الرزق المقسوم لشربته».

مسلم في مجلس ابن زياد

ثم أدخل على ابن زياد، فلم يُسلم عليه بالإمرة.

فقال له الحرس: ألا تُسلم على الأمير؟

فقال له مسلم: أسكت - ويحك - ما هو لي بأمر فأسلم عليه.

فقال ابن زياد: لا عليك، سلّمت أم لم تُسلم فانك مقتول.

فقال مسلم: إن قتلتي فقد قتل من هو شرُّ منك من هو خيرٌ مني.

ثم التفت محمد بن الأشعث إلى ابن زياد فقال: «يا أمير إني قد أمتته».

فقال له ابن زياد: وما أنتَ وذاك!! كأننا إذ أرسلناك لتؤمنه إنما أرسلناك لتأتينا به. فسكت ابنُ الأشعث.

ثم قال ابن زياد: يا عاق يا شاق، خرجت على إمامك وشققت عصا المسلمين، وألحقت الفتنة.

فقال مسلم: كذبت يا ابن زياد -، إنما شقّ عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد، وأمّا الفتنة فانما ألحقتها أنت وأبوك زياد بن عبيد - عبد بني علاج من ثقيف - وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يدي شرّ بريته.

فقال له ابن زياد: مَتَّكَ نَفْسَكَ أَمراً حال الله دونه وجعله لأهله.

فقال مسلم: وَمَنْ - يا ابن مرجانة - أهله؟

فقال ابن زياد: أهله يزيد بن معاوية.

قال مسلم: الحمد لله رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم.

فقال ابن زياد: أَتَظُنُّ أَنَّ لَكَ فِي الْأَمْرِ شَيْئاً؟

فقال مسلم: والله ما هو الظن، ولكنه اليقين.

وصية مسلم

عندما رأى مسلم بن عقيل ان ابن زياد مصمم على قتله قال له : ان كنت عزمتم على قتلي فدعني أوصي إلى بعض قومي؟

قال: أوص إلى مَنْ أَحْبَبْتَ، فنظر مسلم إلى جلساء عبيد الله - وفيهم عمر بن

سعد -

فقال : يا عمر، ان بيني وبينك قرابة ولي اليك حاجة - وهي سرّ - فامتنع ابن سعد أن يسمعها من مسلم.

فقال له ابن زياد: لِمَ تَمْتَنِعُ أَنْ تَنْظُرَ فِي حَاجَةِ ابْنِ عَمِّكَ؟

فقام معه وجلس حيث ينظر اليهما ابن زياد.

فقال له مسلم: «إِنَّ عَلِيَّ دِيناً اسْتَدْنْتُهُ مِنْذُ قَدِمْتُ الْكُوفَةَ (سبعمائة درهم) فبع

سيفي ودرعي واقضها عني، واذا قتلت فاستوهب جثتي من ابن زياد فوارها.

وابعث إلى الحسين مَنْ يَرُدُّهُ، فاني قد كتبتُ إليه أعلمه أن الناس معه، ولا أراه

إِلَّا مُقْبِلًا».

فقال ابن سعد لابن زياد: أَتَدْرِي - أَيُّهَا الْأَمِيرُ - مَا قَالَ لِي؟ إِنَّهُ قَالَ لِي: كَذَا

وَكَذَا.

فقال ابن زياد: «لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن». أما ماله فهو له، ولسنا نمنع أن تصنع فيه ما أحبّ، وأما جثته فانا لن نشفعك فيها، ولسنا نبالي اذا قتلناه ما صنّع بها. وأما حسين فانه ان لم يُردنا لم نُرده، وان أرادنا لم نكف عنه.

شهادة مسلم

ثم التفت ابن زياد إلى مسلم، فقال: إيه يا ابن عقيل، أتيت الناس وأمرهم جمع، كلمتهم وحدة، فشئت بينهم، وفرقت كلمتهم، وحملت بعضهم على بعض. قال مسلم: كلاً لستُ أتيت، ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالمعروف وننهي عن المنكر، ونعمل فيهم بالعدل، وندعو إلى حكم الكتاب».

فقال له ابن زياد: وما أنت وذاك، أو لم تكن تعمل فيهم بالعدل؟ قال مسلم: ان الله ليعلم أنك غير صادق، وأنت لتقتل على التهمة وسوء الظنة. وجرى بينهما كلامٌ وجدال مما أغضب ابن زياد، فجعل يشتمه ويشتمه علياً وعقيلاً والحسن والحسين.

فقال مسلم: أنت وأبوك أحق بالشتيم من هؤلاء، فأقض ما أنت قاضٍ - يا عدو الله - .

ثم قال ابن زياد: أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف؟ فدعي (بكير بن حمران الاحمري) فقال: اصعد واضرب عنقه، وأتبع راسه جسده.

قالوا: فصعدوا به إلى أعلى القصر - ومسلمٌ يكبر الله ويستغفره، ويصلي على نبيه ويقول: «اللَّهُمَّ أَحْكَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ غَرَوْنَا وَخَذَلُونَا» وأشرفوا به على موضع

الحذائين وضربت عنقه، فأهوى رأسه إلى الأرض، وأتبع جسده رأسه فتكسرت عظامه.

سل ما جرى جُملاً ودع تفصيله فقليله لم يُحصه التفصيلُ
قتلوه ثم رموه من أعلى البنا وعلى الثرى سحْبُوه وهو قتيل
ربطوا برجليه الحبال ومثلوا فيه، فليت اصابني التمثيل
بعد شهادة مسلم بن عقيل وفي اليوم الثامن من ذي الحجة سنة ٦٠ للهجرة،
اعطى ابن زياد الأوامر إلى مواراة جسد مسلم القبر، ويرسل رأسه الشريف إلى
الشام، وبهذا كان مسلم أول شهيد من بني هاشم سقط في واقعة كربلاء

شهادة هاني بن عروة

ثم أمر ابن زياد بعد قتل مسلم بن عقيل - باخراج هاني بن عروة من الحبس
وقتلَه فاخرج إلى موضع من السوق كان تباع فيه الغنم - وهو مكتوف اليدين -
فجعل ينادي: وآمذحجاه^(١)!! ولا مذحج لي اليوم، يا مذحجاه! يا مذحجاه! وأين
مذحج؟ فلما رأى أن أحداً لا ينصره نزع يده من الكتاف وجعل يقول: أما من عصاً
أو سكين أو حجر يدافع به الرجل عن نفسه؟

فوثبوا إليه وشدّوا وثاقه، وقالوا له: أمدد عنقك، فقال: ما أنا بها سخي وما أنا
بمعينكم على نفسي.

فانبرى إليه مولى تركي لعبيد الله بن زياد يقال له (رُشيد التركي) فضربه
بالسيف ضربة لم يصنع بها شيئاً.

(١) مذحج - بالفتح - قبيلة هاني، وهي على وزن مسجد. (تنقيح المقال ٣: ١٩٨)، وقرأها ابن
خلكان بالضم وهذا شاذ.

فقال هاني: «إلى الله المعاد والمنقلب، اللهم إلى رحمتك ورضوانك، اللهم اجعل هذا اليوم كفارة لذنوبي فإني إنما غضبت لابن بنت نبيك محمد ﷺ». ثم ضربه ضربة أخرى فقتله عليه الرحمة ، وكان عمره يوم استشهد ٩٩ سنة.

وفي مسلم وهاني يقول عبدالله بن زبير الأسدي^(١):

فان كنت لا تدرين ما الموت فانظري إلى هانيء في السوق وابن عقيل
إلى بطلٍ قد هشَّم السيف وجهه وآخر يهوي من طمار، قتيل
أصابهما أمر اللعين فأصبحا أحاديث من يسري بكل سبيل
ترى جسداً قد غيّر الموت لونه ونضح دم قد سال كل مسيل
فتى كان أحيى من فتاة حية وأقطع من ذي شفرتين صقيل^(٢)

رسالة ابن زياد إلى يزيد

وطلب ابن زياد من كاتبه عمرو بن نافع بكتابة ما جرى لمسلم وهاني إلى يزيد فكتب عمرو بن نافع رسالة طويلة يشرح فيها الأحداث ليزيد، وعندما نظر ابن زياد إلى الرسالة قال: لماذا هذا التفصيل في الرسالة؟ اكتب:

أما بعد: فالحمد لله الذي أخذ لأمر المؤمنين بحقه وكفاه مؤنة عدوه، أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هاني بن عروة المرادي وأني

(١) زبير - بفتح الزاي المعجمة كحبيب - ، وعبدالله بن زبير الأسدي بن الأعشى، واسمه قيس بن بجرة بن قيس بن منقذ بن طريف بن عمرو بن قعين الأسدي، من بني أسد بن خزيمه، وكان يتشيع. انظر: أدب الطف ١: ١٤٣.

(٢) الكامل لابن الأثير ٤: ٣٦، مقتل الخواري ١: ٢١٤.

جعلت عليهما العيون ودسست إليهما الرجال وكدتهما حتى استخرجتهما وأمكن الله منهما فضربت أعناقهما وبعثت إليك برأسيهما مع هاني بن أبي حية الوادعي الهمداني والزيبر بن الأروح التميمي، وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة، فليسا لهما أمير المؤمنين عمّا أحب فإنّ عندهما علماً وصدقاً وفهما وورعاً والسلام.

ثم أمر ابن زياد بجثتي مسلم وهاني، فصلبتا بالكناسة منكوستين بعد أن سحبوهما بالحبال من أرجلهما في الأسواق طوال ذلك النهار.^(١)
وبعث ابن زياد بعد ذلك برأسيهما إلى يزيد بن معاوية، فنصبهما يزيد في درجٍ من دمشق.^(٢)

جواب يزيد

وكتب يزيد الى ابن زياد قائلاً :

أما بعد: فأنك لم تعد أن كنت كما أحب عملت عمل الحازم وصلت صولة الشجاع الرابط الجأش، فقد أغنيت وكفيت وصدقت ظنّي بك ورأيي فيك، وقد دعوت رسوليك فسألتهما وناجيتهما فوجدتهما في رأيهما وفضلهما كما ذكرت فاستوص بهما خيراً، وإنّه قد بلغني أنّ الحسين بن علي قد توجه نحو العراق، فضع المناظر والمسالح واحترس على الظن وخذ على التهمة، وهذا الحسين قد ابتلي به زمانك من بين الأزمان، وبلاذك من بين البلدان وابتليت به من بين العمال وعندها تعتق أو تعود عبداً كما تعبد العبيد، فأما أن تحاربه أو تحمله إليّ.^(٣)

(١) المنتخب: ٣٠١.

(٢) تاريخ أبي الفداء ١: ١٩٠، البداية والنهاية ٨: ١٥٧.

(٣) تاريخ الطبري ٦: ٢١٤، تاريخ ابن عساكر ٤: ٣٣٢، مقتل الخوارزمي ١: ٢١٥.

خلاصة حول عائلة مسلم بن عقيل عليه السلام

تزوج مسلم عليه السلام من رقية بنت أمير المؤمنين عليه السلام، فولدت له عبدالله وعلياً^(١)، ومحمد من أم ولد، وأمّا مسلم وعبد العزيز لم يعين ابن قتيبة أمهما، وله بنت اسمها حميدة أمها أم كلثوم الصغرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام، وحيث لا يصح الجمع بين الاختين فلا بدّ من فراق أحدهما أو موتها وتزوج حميدة ابن عمّها وابن خالتها عبدالله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب وأمّه زينب الصغرى بنت أمير المؤمنين وكان شيخاً جليلاً محدثاً فقيهاً عدّه الشيخ الطوسي من رجال الإمام الصادق عليه السلام وجزم الترمذي بصدقه ووثاقته وخرّج حديثه في جامعه كما احتجّ به أحمد بن حنبل والبخاري وأبو داود وابن ماجه والقزويني، مات سنة ١٤٢ هـ، وولدت حميدة محمداً أعقب من خمسة القاسم وعقيل وعلي وظاهر وإبراهيم.

فأولاد مسلم الذكور خمسة عبدالله ومحمد استشهدا يوم الطف، واثنان قتلا بالكوفة، ولم تقف على شيء من أمر الخامس^(٢).

خطبة الحسين عليه السلام في مكة

وقبل أن يخرج الامام الحسين عليه السلام قام خطيباً في الناس - بعد أن صلى بين الركن والمقام ركعتين - فقال:

«الحمد لله، وما شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على رسوله. خُطّ الموت على وُلد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرعُ أنا لاقيه. كأنني بأوصالي تُقطّعها

(١) المعارف: ٨٨.

(٢) الشهيد مسلم للمقرّم: ١٨٦.

عُسلان الفلوات بين النواويس^(١) وكربلاء، فيملأن منّي أكراشاً جُوفاً، وأجربة سُبغاً، لا محيص عن يوم خُطّ بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفّي لنا أجور الصّابرين، لن تشذّ عن رسول الله، لحمته، بل هي مجموعة له في حضيرة القدس، تقرّ بهم عينه، ويُنجز لهم وعده.

ألا ومَن كان باذلاً فينا مهجته ، وموطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإنّي راحلٌ مصحّباً إن شاء الله تعالى». ^(٢)

حفظ قداسة الحرم

قال العقيصي: وأتى ابن الزبير الى الحسين عليه السلام ، فحدّثه ساعةً، ثمّ قال: ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم وكفّنا عنهم، ونحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الأمر دونهم، خبرني ما تريد أن تصنع؟

فقال الحسين عليه السلام: والله لقد حدّثت نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتب إليّ شيعتي بها وأشرف أهلها، واستخير الله.

فقال له ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت بها.

ثم خشي أن يتهمه، فقال: أما أنّك لو أقمت بالحجاز، ثم أردت هذا الأمر ها هنا لما خالفنا عليك وساعدناك وبايعناك ونصحنا لك.

(١) النواويس جمع «ناووس»، وهو مقبرة النصارى، أو الحجر المنقوش الذي يوضع فيه الميت. (معجم لاروس، كلمة ناووس)، والمراد هنا قرية قديمة قرب كربلاء كانت فيما مضى يسكنها المسيحيون. (ابصار العين للسماوي: ١٧).

وقيل كذلك: هي قرية بني رياح قبيلة الحر بن يزيد الرياحي، وفيها دفن الحر كذلك. (الامام الحسين وأصحابه).

(٢) مقتل الخوارزمي ١: ١٨٦.

فقال له الحسين عليه السلام: إِنَّ أَبِي حَدَّثَنِي أَنَّ لَهَا كِبْشاً بِهِ تُسْتَحَلُّ حَرَمُهَا فَمَا أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ ذَلِكَ الْكِبْشَ.

قال ابن الزبير: فأقم إن شئت، وتولّيني أنا الأمر فطُطاع، ولا تُعصي.
قال الحسين عليه السلام: ولا أريد هذا أيضاً.

ثم إنهما أخفياً كلامهما، فالتفت الحسين إلى من هناك، فقال: أتدرون ما يقول؟

قالوا: لا ندري، جُعِلنا الله فداك .

قال: إنه يقول: أقم في هذا المسجد أجمع لك الناس.

ثم قال له الحسين: والله لئن أقتل خارجاً منها بشيرٍ أحب إليّ من أن أقتل فيها، ولئن أقتل خارجاً منها بشيرين أحب إليّ من أن أقتل خارجاً منها بشير، وأيم الله لو كنتُ في جحر هامةٍ من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا بي حاجتهم، والله ليعتدون عليّ كما اعتدت اليهود في السبت.

فقام ابن الزبير، فخرج من عنده، فقال الحسين: إِنَّ هَذَا لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ أَخْرَجَ مِنَ الْحِجَازِ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ النَّاسَ لَا يَعْدِلُونَهُ بِي فَوَدَّ أَنْ يَخْرُجَتْ حَتَّى يَخْلُوَ لَهُ.^(١)

وجاء في رواية أخرى أنّ عبد الله بن الزبير قال للإمام الحسين عليه السلام: اذهب إلى مكة وتحصّن بالحرم.

فقال له الإمام عليه السلام: هذا العمل غير صالح، ولا أجوزهُ لنفسي، وإذا أنا قتلت

في تل أعفر^(١) أحب إلي أن أقتل في مكة^(٢).

لماذا انتخب الامام العراق والكوفة بالذات ؟

هناك عدة أسباب دعت الامام عليه السلام لانتخاب الكوفة نشير هنا الى بعضها :

أولاً : ان العراق في ذلك العصر كان قلب الدولة الاسلامية وموطن المال والرجال، وقد انشأت فيه الكوفة حامية الجيوش الاسلامية وقد لعبت دوراً خطيراً في حركة الفتح الاسلامي، فقد شاركت في فتح رامهرمز والسوس وتستر ونهاوند، وكان عمر بن الخطاب يستنجد بها، فقد كتب إلى واليه سعد بن أبي وقاص: «ان ابعث الى الأهواز بعثاً كفيفاً مع النعمان بن مقرن» وكثيراً ما تمر في أخبار الفتوح الاسلامية هذه العبارة «وأمدهم عمر بأهل الكوفة» وكان عمر يثني عليهم ويقول: «جزى الله أهل الكوفة خيراً يكفون حوزتهم، ويمدون أهل الامصار» وقال فيهم رجل من أهل الشام: «انكم كنز الاسلام ان استمدكم أهل البصرة أمددتموهم، وان استمدكم أهل الشام أمددتموهم»^(٣).

ومضافاً الى ان العراق كان قاعدة حرية فانه قد اشتهر منذ القدم بثرائه «فهو قلب الأرض، وخزانة الملك الأعظم، وما قد خص الله جل وعلا به أهل الكوفة من عمل الوشي والخز، وغير ذلك من انواع الفواكه والتمور»^(٤) وكان الأمويون قد

(١) الأعفر: الرمل الأحمر، وكتيب أعفر: ذو لونين، الحمرة والبياض، والظاهر أنه يقال لكربلاء وصفاً لا علماً. «الحسين وأصحابه: ٢٠٥».

(٢) كامل الزيارات: ٧٢.

(٣) الطبقات الكبرى ٦ : ٨٥.

(٤) مختصر كتاب البلدان للهمداني : ٥٢.

اتخذوه مورداً مهماً لبيت المال في دمشق^(١) وقد بلغت جباية معاوية للكوفة وسوادها خمسين ألف ألف درهم^(٢).

وبلغ خراج البطائح^(٣) خمسة آلاف ألف درهم^(٤).

لقد كان العراق قلب الدولة الإسلامية النابض وقد بز سائر الامصار في ميادين السياسة والاقتصاد والاجتماع، وقد تهافت عليه جميع الثائرين^(٥) ليتخذوه منطلقاً لاهدافهم السياسية ... ان الكوفة كانت البلد الوحيد في الأقطار الإسلامية التي تفقه قيم الاحداث ومغزى التيارات السياسية فقد ساد فيها الوعي الاجتماعي الى حد كبير وقد كان الكوفيون يفرضون آرائهم على حكامهم، واذا لم يحققوا رغباتهم سلوا في وجوههم السيوف وثاروا عليهم.

وعلى أي حال فقد اختار الامام الهجرة الى الكوفة باعتبارها مركز القوة في العالم الإسلامي.

يقول عبد المتعال الصعيدي:

«ولم يخطيء الامام الحسين حينما ازمع على الهجرة الى العراق لأنه المركز الصالح لقيام حكم عام يجمع أمر المسلمين، ولهذا اختاره من قبله وقد حققت الأيام للعراق هذا الحكم فقامت به الدولة العباسية التي حكمت

(١) فتوح البلدان : ٢٩٣ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٥٨ .

(٣) البطائح : أرض واسعة تقع ما بين واسط والبصرة، كانت قرى متصلة وارضاً واسعة سجم البلدان ١ / ٦٦٦ .

(٤) الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر : ٢٤٠ .

(٥) العراق في ظل الحكم الأموي : ٩ .

المسلمين نحو خمسمائة سنة»^(١).

ثانياً : ان الكوفة كانت مهذاً للشيعة وموطناً من مواطن العلويين وقد اعلنت اخلاصها لأهل البيت في كثير من المواقف، فقد اندفعت جموع الثائرين تحت قيادة مالك الاشتر النخعي أحد اعلام الشيعة، الى يثرب فحاصروا عثمان واجهزوا عليه، وقاموا بترشيح الامام للخلافة، وقد غرست بذرة التشيع في الكوفة منذ خلافة عمر، فقد كان من ولاتها عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود، فأخذوا يشيعان في اوساطها مآثر الامام وفضائله، وما أثر عن النبي ﷺ في حقه حتى تغدوا على حبه والولاء له، وقد خاض الكوفيون حرب الجمل وصفين مع الامام وكانوا يقولون له: سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت فنحن حزبك وانصارك نعادي من عاداك، ونشايح من أناب اليك واطاعك^(٢)، وكان الامام أمير المؤمنين يثني عليهم ثناءً عاطراً فيرى أنهم أنصاره وأعوانه المخلصون له يقول لهم: «يا أهل الكوفة أنتم اخواني وأنصاري وأعواني على الحق ومجيبى الى جهاد المحليين، بكم أضرب المدبر، وارجو اتمام طاعة المقبل»^(٣)، ويقول ﷺ : «الكوفة كنز الايمان، وجمجمة الاسلام، وسيف الله ورمحه يضعه حيث يشاء»^(٤).

وقد خاض العراق أعنف المعارك وأشدّها ضراوة من أجل أهل البيت فانتقم من قتلهم وأخذ بثأرهم على يد الثائر العظيم المختار بن أبي عبيدة الثقفي، لقد كان اختيار للامام للهجرة الى الكوفة ناشئاً عما عرف به أهل هذه المدينة من الولاء العميق لأهل البيت .

(١) مجلة الفري السنة التاسعة العدد ١١ - ١٤ : ١٠٨ .

(٢) الامامة والسياسة ١ : ٢٣١ .

(٣) الامامة والسياسة ١ : ٢٣٠ .

(٤) مختصر البلدان لابن الفقيه : ١٦٣ .

ثالثاً : ان الكوفة كانت المقر الرئيسي لمعارضة الحكم الأموي، فقد كان الكوفيون طوال فترة حكم الأمويين لم يكفوا عن معارضتهم، ويتمنون زوال دولتهم، ويعزوا «فلهوزن» سبب بغض الكوفيون للأمويين الى أن الخلافة قد انتقلت من الكوفة الى دمشق، وانهم - بعد أن كانوا أصحاب الدولة - أصبحت مدينتهم مجرد ولاية في الدولة الجديدة وان دخلهم من خراج الأرض التي فتحوها قد فقده، ولم يعد أمامهم إلا أن يقنعوا بالفتات الذي يتساقط عليهم من موائد سادتهم الأمويين، ولكنهم - مع الأسف - لم يشعروا بهذه المرارة إلا بعد فوات الأوان، ومن هنا لم يكن من الغريب أن يروا في حكم أهل الشام نيراً ثقيلاً على رقابهم يتربصون به الفرصة الملائمة ليتخلصوا منه، ويلقوه بعيداً عنهم».

ومما زاد في نقمة الكوفيين على الأمويين أن معاوية ولى عليهم شذاذ الآفاق كالمغيرة بن شعبة وزباد بن أبيه فأشاعوا فيهم الظلم والجور، واخرجوهم من الدعة والاستقرار، وبالفوا في حرمانهم الاقتصادي، واتبعوا فيهم سياسة التجويع والحرمان.... وظلّت الكوفة مركزاً للمؤامرات على حكم الأمويين، ولم يثنهم عن ذلك ما عانوه من التعذيب والقتل والبطش على أيدي الولاة.

لقد كانت هجرة الامام الى الكوفة واختيارها مقراً للثورة باعتبارها البلد الوحيد المعادي للأمويين، وقد وصل الحماس فيها ضد الأمويين ذروته بعد هلاك معاوية.

رابعاً : ان الامام الحسين انما اختار الهجرة للعراق للدعوات الملحة والاصرار البالغ من الأغلبية الساحقة من أهل الكوفة للقدوم حتى في زمن معاوية، فقد توافدت عليه كتبهم، وهي تحثه على المسير إليهم، وتحمله المسؤولية أمام الله والأمة إن تأخر عن اجابتهم لا سيما بعد أن كتب إليه سفيره مسلم بن عقيل يخبره

باجتماع الناس على بيعته وتطلّعهم إلى قدومه ويحثه على السفر إليهم فلم ير ﷺ بداً من اجابتهم .

يقول الدكتور محمد حلمي: «انه لم يخرج الحسين من الحجاز في اتجاه الكوفة استجابة للدعوات التي وصلته من أهلها طالبة إليه القدوم عليهم ليتزعم ثورتهم على خلافة يزيد...لم يخرج الحسين إلا بعد أن اختبر استعداد الكوفيين للقيام بهذه الثورة وذلك بارسال ممثل له، ليتعرف على مدى هذا الاستعداد وذهب مسلم بن عقيل بن أبي طالب في هذه المهمة، ونجح في فترة قصيرة في قيادة اثني عشر ألفاً في ثورة عارمة بايعت الحسين، ونزعت بيعة يزيد، وكتب مسلم بهذا الى الحسين الذي قرر الخروج لقيادة الحركة بنفسه، وبهذا لم يكن الحسين متسرعاً في خروجه، ولا مندفعاً، فقد أتمه الكتب، وأراد أن يطمئن على مدى جديتها، فاطمأن بخروج هؤلاء الآلاف في الفترة القصيرة التي نشط فيها مثله»^(١).

خامساً : ان الامام الحسين لو نزع الى قطر آخر غير الكوفة فان الجبش الأموي لا بد أن يلاحقه، ولا بد أن يستشهد فينتجه له اللوم والتقريع ويقال له: لماذا لم تنجبه الى العراق البلد الذي يضم أنصارك وشيعتك، وقد بعث إليك أهله آلاف الرسائل تحثك على القدوم إليهم، فماذا يكون حينئذ جوابه لو سار إلى قطر آخر ولاحقته جيوش الأمويين ؟

هذه بعض الأسباب التي حفزت الامام إلى اختيار الهجرة إلى الكوفة ليجعلها مقراً لثورته.^(٢)

(١) الخلافة والدولة في العصر الأموي : ١١٥ - ١١٦ .

(٢) حياة الامام الحسين ٣ : ١١ - ١٥ .

الاعراض عن الحجاز

بقي هنا شيء وهو ان الامام لماذا لم يبق بالحجاز ويتخذة منطلقاً للثورة، ولعل السبب في رفضه لذلك يعود إلى ما يلي:

أ - ان البيئة الحجازية كانت تتصف بقلّة الموارد الاقتصادية فقد اشاع معاوية فيها الفقر والبؤس. ومن الطبيعي أن الثورة تحتاج إلى دعم مالي كبير، ومع انعدام المال في الحجاز كيف يفجر الامام ثورته فيه.

ب - انعدام الوعي السياسي في الحجاز فقد انصرفت الأكثرية الساحقة فيه عن الشؤون السياسية في حين أن العراق كان مشعل الوعي السياسي في البلاد العربية.

ج - ان الحجاز كان لا يصلح لأن يكون مركزاً للثورة فقد أصبح مهدداً بالغزو من الجيوش الأموية. فقد بعث يزيد بجيش مكثف لقتال ابن الزبير بقيادة أخيه عمرو بن الزبير.

د - ان الحجاز لم تكن فيه حامية عسكرية حتى يلجأ إليها الامام لتقوم بالذب والدفاع عنه.

هـ - ان الأغلبية الساحقة في الحجاز كانت تحقد على أهل البيت (عليه السلام)، وكانت ميولها مع بني أمية، يقول أبو جعفر الاسكافي.

«أما أهل مكة فكلهم كانوا يبغضون علياً، وكانت قریش كلها على خلافه، وكان الجمهور مع بني أمية»^(١) ويقول الامام علي بن الحسين (عليه السلام): «ما بمكة

والمدينة عشرون رجلاً يحبنا»^(١) ومع شيوع الكراهية في الحجاز لأهل البيت عليهم السلام كيف يتخذهم الامام قرأ له؟.. لقد نزع الامام من الحجاز برأى ومسمع من جميع الحجازيين فلم يخفوا معه، ولم يتبعه أحد منهم سوى اهل بيته، للقيام بنصرته والذب عنه.^(٢)

الامام عليه السلام ومحمد بن الحنفية

روى محمد بن داود القمي عن الامام الصادق عليه السلام : إنَّ محمد بن الحنفية لما بلغه أن أخاه الحسين عازم على الخروج من مكة إلى العراق، كان بين يديه طستٌ فيه ماء وهو يتوضأ، فجعل يبكي بكاءً شديداً حتى سُمع وكفَّ دموعه في الطست مثل المطر. ثم إنه صَلَّى المغرب، وصار إلى أخيه الحسين في الليلة التي أراد الحسين الخروج في صبيحتها من مكة.

فقال له: يا أخي، أن أهل الكوفة مَنْ قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفتُ أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيتَ أن تُقيم، فأتك أعزَّ من في الحرم وأمنه.

فقال الحسين: يا أخي، قد خفتُ أن يفتالني يزيدُ بن معاوية في الحرم، فأكون الذي تُستباح به حرمةُ هذا البيت.

قال ابن الحنفية: فان خفت ذلك فصر إلى اليمن أو بعض نواحي البر، فإنك أمنع الناس به، ولا يقدر عليك أحد. فقال الحسين: أنظر فيما قلت.

(١) شرح النهج ٤: ١٠٤.

(٢) حياة الامام الحسين ٣: ١٥ - ١٦.

فلما كان وقتُ السحر ارتحل الحسين عليه السلام فبلغ ذلك ابن الحنفية فأتاه، فأخذ بزمام ناقته، وقد ركبها، فقال له:

يا أخي، ألم تُعدي النظر فيما سألتك؟

قال الحسين: بلى.

قال ابنُ الحنفية: فما حداك على الخروج عاجلاً؟

قال: أتاني رسول الله ﷺ بعدما فارقتك، فقال: يا حسين أخرج، فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً.

فقال ابنُ الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النسوة معك، وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟

فقال الحسين: شاء الله أن يراهنَّ سبايا.

ثم سلّم عليه ابنُ الحنفية ومضى.^(١)

الامام الحسين عليه السلام وعمر بن عبد الرحمن

وجاء عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي إلى الحسين عليه السلام لما علم بعزمه على الخروج إلى العراق، فقال له:

إنِّي أتيتك - يا ابن عمّ - لحاجةٍ أريد ذكرها نصيحة لك، فإن كنت ترى أنك تستصحبني قلّتها، وأديت ما علي من الحق، وإلا كففت عما أريد أن أقول؟

فقال الحسين: قل، فوالله، ما استغشك، وما أظنك بشيء من الهوى.

قال: قد بلغني أنك تريد العراق، وإنني مُشفقٌ عليك من مسيرك: إنك تأتي بلداً

فيه عمّاله وأمرأؤه، ومعهم بيوت الأموال، وإنّما الناس عبيد الدينار والدرهم، فلا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره، ومن أنت أحبّ إليه ممّن يقاتلك معه.

فقال له الحسين عليه السلام: جزاك الله خيراً - يا ابن عم - فقد علمت أنك مشيت بنصح، وتكلمت بعقل، ومهما يقض من أمرٍ يكن، أخذت برأيك أو تركته، فأنت عندي أحمد مشير وأنصح ناصح.^(١)

المسور بن مخرمة^(٢)

عندما سمع المسور بن مخرمة أنّ الامام عزم على الخروج الى العراق ذعر وكتب رسالة الى الامام جاء فيها: إياك أن تغتر بكتب أهل العراق، ويقول له ابن الزبير: الحق بهم فإنهم ناصروك، اياك أن تبرح الحرم، فإنهم - أي أهل العراق - إنّ كانت لهم بك حاجة فسيضربون آباط الابل حتى يوافوك، فتخرج إليهم في قوة وعدة.

ولمّا قرأ الإمام رسالته أثنى على عواطفه وقال لرسوله: «استخير الله في ذلك».^(٣)

عبدالله بن عباس

وجاءه عبد الله بن عباس، فأشار عليه بالإمساك عن المسير إلى العراق، وقال

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٩٤، تاريخ الطبري ٥: ٣٨٢، الكامل لابن الأثير ٣: ٢٨٥.

(٢) المسور بن مخرمة بن نوفل القرشي الزهري، ولد بعد الهجرة بسنتين، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وكان من أهل الفضل والدين، كان مع ابن الزبير، فلما كان حصار مكة أصابه حجر من حجارة المنجنيق فتوفي. انظر الإصابة ٣: ٤٠٠.

(٣) ترجمة الامام الحسين من طبقات ابن سعد: ٥٨، تاريخ ابن عساكر ١٣: ٦٩.

له - فيما قال - :

جُلتُ فذاك - يا ابن عم - إنَّ الناس قد أرجفوا بأنَّك سائر إلى العراق، فبيِّن لي: ما أنت صانع؟

فقال له الحسين: قد أزمعتُ السير في أحد أيامي هذه إن شاء الله تعالى.
فقال له ابن عباس: إني أُعِيذك بالله من ذلك: أَسِير إلى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم؟

فإن كانوا فعلوا ذلك فسر إليهم، ففي مسيرك إليهم لله - لعمرى - الرشاد والسداد، وإن كانوا إِمَّا دعوك إليهم، وأميرهم عليهم قاهرٌ لهم وعمَّالُه تجبي بلادهم، فإمَّا دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك، وأن يستنفروا إليك، فيكونوا أشدَّ الناس عليك.

فردَّه الحسين عليه السلام ردَّ رحمةٍ وحنان، وقال له: «فاني استخير الله وأنظر ما يكون».

فخرج ابن عباس من عنده .

وجاء ابن عباس إلى الحسين عليه السلام، مرَّة أخرى بعد خروج ابن الزبير منه، وقال له فيما قال:

يا ابن عم، إني أتصَبَّر ولا أصبر، إني أتخوِّف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال، إنَّ العراق قومٌ غُدُر فلا تربَّتْهم، أقم في هذا البلد، فإنَّك سيِّد أهل الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك - كما زعموا - فاكتب إليهم، فلينفوا عاملهم وعدوهم، ثم اقدم عليهم. فإن أبيت إلا أن تخرج، فسر إلى اليمن، فإنَّ بها حصوناً وشعاباً، وهي أرض عريضة طويلة، ولأبيك بها شيعة فنكتب إلى الناس، وتبثَّ دعائك فإني لأرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تُحبُّ في عافية.

فقال له الحسين: يا ابن عم، إني لأعلم أنك ناصح مشفق، ولكن قد أزمعتُ واجمعتُ على المسير، وهذه كتب أهل الكوفة ورسلمهم وقد وجبت عليّ إجابتهم، وقام له العذر عند الله سبحانه.

ثم قال له الحسين عليه السلام: يا ابن عم، ما تقول في قوم أخرجوا ابن بنت رسول الله عن وطنه وداره وقراره، وتركوه خائفاً مرعوباً، لا يستقرّ في قرار، ولا يأوي إلى جوار، يُريدون بذلك قتله وسفك دمه، وهو لم يُشرك بالله شيئاً، ولا أتخذ دونه ولياً ولم يرتكب منكراً ولا إثماً؟

فقال ابن عباس: ما أقول فيهم إلّا أنهم كفروا بالله ورسوله، ثم قال: جُعِلَتْ فداك يا حسين، إن كان لابدّ من المسير إلى الكوفة؛ فلا تسر بأهلك ونسائك، وصبيتك، فوالله إني لخائف أن تقتل، وهم ينظرون إليك.^(١)

فقال الحسين: يا ابن العم، إني رأيت، رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي وقد أمرني بأمر لا أقدر على خلافه، وانه أمرني بأخذهنّ معي.

يا ابن العم، وإنهن ودائع رسول الله، ولا آمن عليهنّ أحداً، وهنّ لا يفارقنني. فسمع ابنُ عباس بكاءً من ورائه، وقائلةً تقول:

يا ابن عباس، تشير على شيخنا وسيّدنا أن يخلّفنا هاهنا ويمضي وحده؟ لا والله، بل نحيا معه، ونموت معه، وهل أبقى الزمان لنا غيره؟

(١) قال ابو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين: ١٠٩: ينقل الذين حضروا واقعة كربلاء أنّ الامام الحسين عليه السلام عندما رأى ما حلّ بأهل بيته وهم في المخيم وهجوم جيش ابن زياد عليهم تذكر قول ابن عباس له ونصيحته اياه بعدم أخذ أهل بيته معه، فقال: جرى الله ابن عباس خيراً، لقد عرفت لماذا كان يمنعني من أخذ أهل بيتي، لقد كانت المعركة تتجسم له! ولكن المرحوم القزويني في «الامام الحسين وأصحابه: ١٢٥» يقول: إنّ هذه الرواية من موضوعات وأكاذيب ابو الفرج في مقاتل الطالبين.

فبكى ابن عباس بكاءً شديداً، وقال: يعزّ عليّ والله فراقك - يا ابن العم - .
ثم قال الحسين: يا ابن عباس، إنّ القوم لم يتركوني، وإنّهم يطلبونني أينما
كنتُ حتى أبايعهم كرهاً أو يقتلونني، والله لو كنتُ في ثقب هامةٍ من هوامّ الأرض
لاستخرجوني منها وقتلونني، والله إنّهم ليعتدون عليّ كما اعتدت اليهود في يوم
السبت، وأني ماضٍ في أمر الله حيث أمرني، وإنا لله وإنا إليه راجعون.
وفي رواية أنّ ابن عباس قال له: لقد أقررت عين ابن الزبير بخروجك من
الحجاز وتخليتك الحجاز، وهو اليوم لا ينظر إليه أحد معك، والله الذي لا إله إلا هو
لو أعلم أنّي أن أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع علينا الناس أطعنتي، لفعلت
ذلك، ثم خرج ابن عباس من عنده وهو يقول: واحسيناه. ^(١)
ويروي صاحب كتاب مناقب فاطمة عليها السلام أنّ ابن عباس قال: التقيت بالامام
الحسين عليه السلام قبل خروجه الى العراق فقلت له: يا ابن رسول الله، لا تخرج من مكة ؟
فأجاب الامام عليه السلام: ألم تعلم أنّ مقتلي ومقتل أصحابي وانصاري في ذلك
المكان. ^(٢)

ابن عباس وعبدالله بن الزبير

قال الراوي: عندما خرج ابن عباس من الإمام الحسين عليه السلام وهو يقول:
واحسيناه، مرّ بعبد الله بن الزبير، فقال: قرّرت عينك يا ابن الزبير، ثم قال :
يا لك من قُبْرَةٍ بمعمر خلا لك الجو فيضي واصفري
ونقرّي ما شئت أن تنقري هذا الحسين سائر فابشري ^(٣)

(١) تاريخ الطبري ٥: ٣٨٤.

(٢) اثبات الهداة ٢: ٥٥٨.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ١٣٤.

عبدالله بن عمر

وجاءه عبدالله بن عمر عندما علم بنيتّه في الخروج الى العراق فاشار عليه بالصلح .

فقال له ﷺ : «يا أبا عبد الرحمن أما علمت أنّ من هوان الدنيا على الله أن رأس يحيى بن زكريا اهدي الى بغي من بغايا بني إسرائيل ، أما تعلم أنّ بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوعي الفجر والشمس سبعين نبياً ، ثمّ يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأنهم لم يصنعوا شيئاً فلم يعجلّ الله عليهم ثمّ أخذهم أخذ عزيز ذي انتقام ، اتق الله يا أبا عبد الرحمن ولا تدعنّ نصرتي»^(١).

جابر بن عبدالله الأنصاري

وجاء اليه جابر وطلب منه عدم الخروج من مكة، ولكن الإمام ﷺ أجابه كما أجاب غيره من قبله.^(٢)

رسالة عبدالله بن جعفر^(٣)

واتّصل الخبرُ بالمدينة وبلغهم أنّ الحسين عازمٌ على الخروج من مكة، فألحقه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بولديه: عون ومحمد، وكتب معهما كتاباً

(١) الدر المنثور للحر العاملي ١: ١٠٦، بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٥.

(٢) تاريخ الاسلام للذهبي ١: ٣٤٢.

(٣) عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بحر الجود، وأخباره في الجود والكرم والحلم لا تحصى، وفيه يقول عبدالله بن قيس الرقيات :

وما كنت كالأغر بن جعفر رأى المال لا يبقى فأبقى له ذكرا

انظر: الاصابة ٢: ٢٨٩ - ٢٩٠، أسد الغابة ٣: ١٩٩.

يُقسم عليه فيه بالرجوع إلى مكة، جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي من عبد الله بن جعفر، أما بعد، فإني أنشدك الله أن تخرج من مكة، وأسألك الله لما انصرفت عن هذا الوجه حين تنتظر كتابي هذا، فإني خائف عليك من هذا الأمر الذي أزمعت عليه أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، فإنك إن هلكت خفت أن يُطفأ نورُ الله، فأنت علم المهتدين ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالمسير إلى العراق، فإني آخذُ لك الأمان من يزيد ومن جميع بني أمية لنفسك ولمالك ولأولادك وأهلك، وإني على أثر الكتاب والسلام».

جواب الإمام عليه السلام

فأجابه الحسين عليه السلام بكتاب جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن كتابك ورد عليّ فقرأته وفهمتُ ما فيه، أعلمُ إنني رأيتُ جدِّي رسول الله ﷺ في منامي، فأخبرني بأمرٍ أنا ماضٍ له، كان لي الأمرُ أو علي، فوالله - يا ابن عم - لو كنتُ في ثقب هامةٍ من هوامِّ الأرض لاستخرجوني منها حتى يقتلونني، والله ليعتدون عليّ، كما اعتدت اليهودُ في السبت والسلام»^(١).

وصار عبد الله بن جعفر إلى أمير مكة عمرو بن سعيد الأشدق فسأله أن يكتب أماناً للحسين وأهل بيته، فكتب عمرو الكتاب وذهب عبد الله بن جعفر مسرعاً مع يحيى بن سعيد بن العاص إلى الإمام الحسين، فعرض عليه الإقامة في مكة وعدم النزوح إلى العراق فلم يستجب الإمام له، وأخذ يتضرع إليه عبدالله ويتوسل في أن ينصرف عن نيته، ولكن دون جدوى.

(١) تاريخ الطبري ٦: ٢١٩، البداية والنهاية ٨: ١٦٣.

رسالة عمرو بن سعيد^(١)

وأرسل إليه عمرو بن سعيد بكتاب جاء فيه :

«بسم الله الرحمن الرحيم، من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علي، أما بعد، فإني أسأل الله أن يصرفك عما يُوبقُك وأن يهديك لما يُرشدك، بلغني أنك توجهت إلى العراق، وإني أُعيدُك بالله من الشقاق، فإني أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبد الله بن جعفر ويحيى بن سعيد، فأقبل إليّ معهما، فإنّ لك عندنا الأمان والصلة والبرّ وحُسن الجوار، لك الله عليّ بذلك شهيد وكفيل ومُراعٍ ووكيل والسلام عليك».

فلحقه عبد الله ويحيى مسرعين وسلّماه الكتاب، وجهدا به في الرجوع، فأبى الحسين عليه السلام عليهما، وقال: «إني رأيتُ رسول الله ﷺ وأمرني بأمرٍ أنا ماضٍ له».

فسأله عبد الله عن الرؤيا، فقال عليه السلام: ما حدّثتُ بها أحداً، وما أنا مُحدّثٌ بها حتى ألقى ربي.

فلما أيس عبد الله منه أنصرف وهو غارق بالأسى والشجون، وأيقن بنزول الرزء القاصم، وقد أمر ابنه عوناً ومحمداً بالمسير معه والجهاد دونه، ورجع هو ويحيى إلى مكة.

وكتب الحسين عليه السلام في ذلك الحين جواباً لكتاب عمرو بن سعيد قال فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإنّه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عزّ وجلّ وعمل صالحاً وقال: إنني من المسلمين. وقد دعوت إلى الأمان والبرّ والصلّة، فخير الأمان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة من

(١) انظر ترجمته في تنقيح المقال ٢: ٣٣١.

لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافةً في الدنيا توجب لنا أمانة يوم القيامة،
فان كنت نويت بالكتاب ضلتي وبري فجُزيت خيراً في الدنيا والآخرة
والسلام»^(١).

على كلّ حال عندما علم الامام الحسين عليه السلام بمؤامرة يزيد، عزم على مغادرة
مكة وأحرم للعمرة المفردة فطاف بالبيت وسعى وقصّر وطاف طواف النساء ، وأحل
من عمرته .

وذكر الشيخ المفيد أنّ الامام الحسين عليه السلام لما أراد التوجه إلى العراق طاف
بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وأحل من احرامه وجعلها عمرة لأنّه لم يتمكن من
اتمام الحج^(٢) مخافة أن يقبض عليه بمكة فينفذ به إلى يزيد^{(٣). (٤)}

(١) تاريخ ابن عساكر ١٣ : ٧٠ .

(٢) وهذا لا يخلو من تأمل :

١ - إذا كان الإمام عليه السلام يعلم أنّه لا يمكنه اتمام حجّه، فكيف ختمه في اليوم الثامن من
ذي الحجّة، وخلع احرام الحج وبدّله الى عمرة ؟

٢ - أنّ المصدود عن الحج يكون احلاله بالهدي حسبما نصّ عليه الفقهاء لا بقلب احرام
الحج إلى عمرة ، فإنّ هذا لا يوجب الاحلال من احرام الحج ، يكون احلاله بالهدي حسبما
نصّ عليه الفقهاء لا بقلب احرام الحج إلى عمرة ، فإنّ هذا لا يوجب الاحلال من احرام
الحج .

٣ - يستفاد من الروايات العديدة ان الامام عليه السلام أدى عمرته ولم يبدّل حجّه بالعمرة
المفردة ومن هذه الراويات نذكر: عن علي بن ابراهيم عن ابيه وعن محمد بن اسماعيل عن
الفضل بن شاذان عن حماد بن عيسى عن ابراهيم بن عمر اليماني عن ابي عبدالله عليه السلام أنّه
سئل عن رجل خرج في اشهر الحج معتمراً ثم خرج بلاده، قال: لا بأس وان حج من عامه
ذلك وافرد الحج فليس عليه دم وان الحسين بن علي عليه السلام خرج يوم التروية الى العراق
وكان معتمراً .

وعنه ، عن أبيه ، عن اسماعيل بن مراد ، عن يونس بن معاوية بن عمار قال : قلت لأبي =

وخرج عليه السلام ومعه إخوته وأبناءؤه وأبناء أخيه وعمّه وعموم أهل بيته وشيعته ومواليه متوجّهين إلى العراق.^(٥)

= عبد الله عليه السلام: من أين افترق المتمتع والمعتّم؟ فقال: ان المتمتع مرتبط بالحج والمعتّم اذا فرغ منها ذهب حيث شاء وقد اعتّم الحسين عليه السلام في ذي الحجة ثم راح يوم التروية الى العراق والناس يروحون الى منى ولا بأس بالعمرة في ذي الحجة لمن لا يريد الحج (وسائل الشيعة ١٠: ٢٤٦ - ٢٤٧، ح ٢ و ٣، باب ٧ من أبواب العمرة).

والذي نستفيدة من الحديثين السابقين ان الامام الحسين عليه السلام كان محرم باحرام العمرة والكلام عن تبديل الحج بالعمرة مرفوض، مضافاً الى ذلك يروي البعض ان خروج الامام الحسين عليه السلام الى العراق كان في اليوم الثالث من ذي الحجة (كما رواه السيد ابن طاووس في الملهوف) ونقل ابو الجارود عن الامام الباقر عليه السلام ان الامام الحسين عليه السلام خرج قبل التروية بيوم اي في اليوم السابع من ذي الحجة (كامل الزيارات: ٧٣).

(٣) الارشاد للمفيد: ٢٤٣.

(٤) تاريخ الطبري ٥: ٢٨٥، حياة الامام الحسين ٣: ١٦.

(٥) أقول: لقد كثر الاختلاف بين المؤرخين وأرباب المقاتل في حصر عدد الخارجين مع الحسين عليه السلام من مكة من أهل بيته وشيعته ومواليه، فبين مقلّ ومُكثّر، ولعلّ أقلّ الروايات: أنّهم كانوا زهاء تسعين رجلاً، غير النساء والصبيان فقد ذكر البستاني في (دائرة المعارف ٧: ٤٨) والخوارزمي في (مقتل الحسين ١: ١١٢) وغيرهما: «أنّه خرج عليه السلام من مكة ومعه اثنان وثمانون رجلاً من أهل بيته وخاصته ومواليه».

وقال ابن عساكر في تاريخه (١٣: ٧١): «وخرج الحسين متوجّهاً إلى العراق في أهل بيته وستين شيخاً من أهل الكوفة».

ولو ضمّمنا هذا الكلام إلى كلام الذهبي في (تاريخ الاسلام ١: ٣٤٣) حيث يقول: «فسار من مكة وخف معه من بني عبد المطلب تسعة عشر رجلاً ونساء وصبيان...» يظهر لنا من ذلك ونحوه:

أن العدد من رجال أهل بيته وشيعته ومواليه المتجاوز (المائة) هو العدد الذي انطلق معه من الحرمين: المدينة ومكة، وقد التحق بركابه في أثناء الطريق جمع غفير يتجاوز المئات، ولكنه عليه السلام فرّقهم بخطابه الحاسم قبيل وصوله إلى أرض كربلاء، فلم يبق معه - كما يقول المؤرخون - إلا الذين خرجوا معه. [البدر]

الفصل الرابع من مكة إلى كربلاء

مطاردة الامام عليه السلام

عندما علم عمرو بن سعيد بن العاص بخروج الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً الى العراق أصدر أوامره بمطاردة الحسين عليه السلام واعتقاله، ولكنهم لم يستطيعوا ارجاعه فرجعوا خائبين. (١)

قال عقبة بن سمان : أنَّ الحسين عليه السلام لما خرج من مكة من أهل بيته وأصحابه في طريقه إلى العراق، اعترضه يحيى بن سعيد بن العاص مع جماعة من بني سعيد بن العاص مع جماعة من بني أمية ومواليهم، أرسلهم أخوه عمرو بن سعيد - أمير الحجاز يومئذٍ من قبل يزيد - ليعترضوا الحسين ويمنعوه عن الخروج من مكة.

فاعترضوه خارج حدود الحرم، فقالوا له: أين تذهب إنصرف.

فأبى عليهم الحسين وأصحابه ومضى في طريقه، وتدافع الفريقان، وتضاربوا بالسيّاط. فامتنع الحسين وأصحابه عليهم امتناعاً قوياً.

فقالوا له: يا حسين، ألا تتقي الله؟ تخرج من الجماعة، وتُفرّق بين هذه الأمة؟

فقال عليه السلام : ﴿لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما

(١) العقد الفريد ٤: ١٦٦ .

تعملون»^(١)، ومضى في طريقه متوجهاً نحو العراق.

ورجع يحيى وجماعته إلى مكة خائبين، فأخبروا عمرو بن سعيد بذلك.

رسالة الوليد بن عتبة

عندما علم الوليد بن عتبة والي المدينة بمسير الحسين عليه السلام إلى العراق كتب رسالة إلى عبيدالله بن زياد حذره فيها من أن ينال الإمام بمكروه فإنّ ذلك يعود بالأضرار البالغة على بني أميّة، وهذا نصّ رسالته :

«من الوليد بن عتبة إلى عبيدالله بن زياد، أمّا بعد، فإنّ الحسين بن علي قد توجه نحو العراق، وهو ابن فاطمة، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فاحذر يا ابن زياد من أن تبعث إليه رسولاً فتفتح على نفسك ما لا تختار من الخاص والعام والسلام...».

ولم يعن به ابن زياد، وأنما مضى سادراً في غيه وطيشه مطبقاً لما عهدت إليه حكومة دمشق.^(٢)

محاصرة الطرق

عندما علم ابن زياد بعزم الحسين القدوم إلى الكوفة، بعث الحصين بن نمير التميمي صاحب شرطته حتى نزل القادسيّة، ونظّم الخيل ما بين «القادسيّة» إلى «خفّان»، وما بين «القطقطانة» إلى «لعلع»^(٣).

وكان عبيد الله بن زياد قد وضع المسالح والمراصد، وأخذ الحدود ما بين

(١) يونس: ٤١.

(٢) الفتوح ٥: ١٢١ - ١٢٢.

(٣) اسم جبل أو منزل يقع بين الكوفة والبصرة. (مراصد الاطلاع ٣: ١٢٠٥).

«واقصة»^(١) إلى طريق الشام، ومنه إلى طريق البصرة فلا يدعون أحداً يلج، ولا أحداً يخرج.

فأقبل الحسين عليه السلام حتى لقي الأعراب، فسألهم عن خبر الكوفة فقالوا: لا ندري، غير أنا لا نستطيع أن نلج ولا نخرج، فصار تلقاء وجهه.

روى سفيان بن عيينة عن علي بن يزيد عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: خرجنا مع أبي الحسين، فما نزل منزلاً، وما ارتحل منه إلا وذكر يحيى بن زكريا وقتله، وقال - يوماً - : ومن هوان الدنيا على الله عز وجل: أن رأس يحيى بن زكريا أهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل - وفي رواية: وسيهدى رأسي إلى يزيد بن معاوية.^(٢)

رسالة عمرو بن سعيد إلى يزيد

عندما علم عمرو بن سعيد بخروج الحسين عليه السلام متوجهاً إلى الكوفة كتب إلى يزيد بن معاوية يعلمه الخبر، فعندما قرأ يزيد الخبر قرأ قائلاً :

فإن لا تزر قبر العدو فاته يزرك عدو أو يلومك كاشح^(٣)

ثم كتب إلى عبيد الله بن زياد رسالة يأمره فيها بأن يتخذ مع الامام جميع الاجراءات الصارمة وقد جاء فيها :

«أما بعد، فقد توجه إليك الحسين ، وهذا الحسين قد ابتلي به زمانك من بين الأزمان، وبلادك من بين البلدان وابتليت به من بين العمال وعندها تعتق أو تعود عبداً كما تعبد العبيد»^(٤).

(١) واقصة: موضع في طريق مكة إلى العراق. (معجم البلدان ٥: ٣٥٤).

(٢) تفسير مجمع البيان ٣: ٥٠٢.

(٣) مثير الأحزان: ٤٤.

(٤) العقد الفريد ٤: ١٦٩.

المنازل بين مكة الى كربلاء

الإمام الحسين عليه السلام في مسيره من مكة الى كربلاء مرّ بعشرين منزلاً (أو أكثر على قول البعض)

١- الأبطح^(١)

يقع الأبطح بين مكة ومنى، وهو أوّل منزل مرّ به الحسين عليه السلام، ويقع في آخره مقبرة «الحجون».

التقى الإمام الحسين عليه السلام في هذا الموضع يزيد بن ثبيط البصري^(٢).

٢- التنعيم^(٣)

وواصل الحسين عليه السلام سيره بعد خروجه من مكة، حتى اذا قارب (التنعيم) لقي غيراً^(٤) قد أقبلت من اليمن، تحمل ورساً^(٥) وحللاً كثيرة، أرسلها وإلى اليمن بُجبر بن ريسان الحميري إلى يزيد، فأخذها الحسين واستأجر من أهلها جمالاً لرحله

(١) الأبطح: محل جريان السيل، وهو موضع بين مكة ومنى، وهو الى منى أقرب. (معجم البلدان ١: ٧٤).

(٢) الامام الحسين وأصحابه: ١٥٠.

(٣) التنعيم - بالفتح فالسكون -: موضع على فرسخين من مكة ؛ وقيل: على أربعة فراسخ، وقيل ثلاثة أميال، وسمي بذلك لأنّ جبلاً عن يمينه يقال له «نعيم»، وآخر عن شماله يقال له «ناعم» والوادي بينهما «نعمان»، ومنه يحرم المكيون بالعمرة. (معجم البلدان ٢: ٤١٦، مراد الاطلاع ١: ٢٧٧).

(٤) العير - بالكسر -: قافلة الحمير، ثمّ كثر استعمالها لكلّ قافلة، والمراد هنا قافلة الجمال.

(٥) الورد - بالفتح فالسكون - نبات أصفر كالسمسم، يزرع باليمن، ويصغ به.

ولأصحابه، وقال لأصحاب الإيل: من أحب منكم الإنصراف فليصرف، ومن أحب أن ينطلق معنا إلى العراق، وفينا كراه، وأحسنًا صحبتته، ومن أحب أن يفارقنا في بعض الطريق أعطيناه من كراه على قدر ما قطع من الطريق، فمضى معه قوم وامتنع آخرون.

٣- الصفاح^(١)

وسار عليه السلام من (التنعيم) مُجدِّاً لا يلوي على شيء حتى اذا وصل (الصفاح) لقيه الفرزدق الشاعر وهو واردٌ إلى مكة بقصد الحج - ومع الحسين أسيافه وأتراسه. قال الفرزدق: فقلت: لمن هذا القطار؟ فقيل: للحسين بن علي. قال: فأتيتُه وسلمتُ عليه وقلت له:

أعطاك الله سؤالك وأملك فيما تحب، بأبي أنت وأمي - يا ابن رسول الله - ما أعجلك عن الحج؟

فقال عليه السلام: لو لم أعجل لأخذتُ .

ثم قال لي: مَنْ أنت، ومن أين أقبلت ؟

قلت: امرؤ من العرب أقبلتُ من الكوفة. فلا والله ما فتشني عن أكثر من ذلك. ثم قال: أخبرني عن الناس خلفك؟

فقلت: الخبير سألت ، قلوبُ الناس معك، وسيوفهم عليك، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء.

(١) الصفاح - بكسر الصاد المهملة والفاء - : موضع بين حنين وأنصاب الحرم على يسار الداخل إلى مكة من مُشاش. (معجم البلدان ٣: ٤١٢) .

فقال: صدقت، لله الأمر، والله يفعل ما يشاء، وكلّ يوم ربُّنا في شأن، ان نزل القضاء بما نحبّ فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وان حال القضاء دون الرجاء فلم يتعدّ من كان الحقّ نيته، والتقوى سريره.

فقلت له: أجل، بلغك الله ما تحبّ، وكفاك ما تحذر. وسألته عن أشياء من نذور ومناسك. فأخبرني بها، وحرك راحلته، وقال: السلام عليك، ثم افترقنا.

٤- وادي العقيق^(١)

ونزل ﷺ في وادي العقيق يوم السبت لاثني عشر مضين من ذي الحجة وفيه رأى الحسين رجلاً من بني أسد اسمه شمر بن غالب^(٢)، فسأله عن أهل الكوفة فقال: القلوب معك والسيوف مع بني أمية.

قال: صدقت يا أخا بني أسد.^(٣)

والمشهور أنّ ملاقة بشر للحسين ﷺ في ذات عرق.

وفي إِبصار العين: إنّ عوناً ومحمداً ابني عبدالله بن جعفر لحقا بالحسين ﷺ بوادي العقيق مع كتاب أبيهما إلى الحسين.^(٤)

(١) وادي العقيق: وفيه عيون ونخل؛ وقيل هي عقيقان: الأكبر ممّا يلي الحرّة الى قصر مراحل، والأصغر ممّا سفل عن قصر المراحل الى منتهى العرصة. (مرصد الاطلاع ٢: ٩٥٢).

(٢) في مستدركات علم الرجال (٢: ٣٣): بشر بن غالب الأسدي الكوفي، من أصحاب الحسين والسجاد، قاله الشيخ في رجاله، والبرقي عدّه من أصحاب أمير المؤمنين والحسين والسجاد ﷺ، وأخوه بشير، روي عن الحسين دعاءه المعروف يوم عرفة بعرفات... وله روايات عن الحسين ذكرت في عدّة الداعي، ويروي عنه عبدالله بن شريك.

(٣) مثير الأحزان: ٤٢.

(٤) إِبصار العين: ٣٩.

٥- وادي الصفراء^(١)

وقد ورد عليه يوم الأحد ثالث عشر من ذي الحجة .

وقيل: إنّ الحسين التقى فيه بمجمع بن زياد وعبّاد بن مهاجر حيث صحبوه إلى كربلاء واستشهدا معه عليه .^(٢)

٦- ذات عرق^(٣)

وسار عليه نحو العراق، حتى إذا وصل إلى (ذات عرق) في يوم الاثنين الرابع عشر من ذي الحجة، لقيه بشر بن غالب الأسدي وارداً من العراق. فسأله الحسين عليه عن أهلها وقال: كيف خلّفت أهل العراق؟ قال بشر: يا ابن رسول الله، خلّفت القلوب معك، والسيوف مع بني أمية. فقال عليه: صدق أخو بني أسد، إنّ الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.^(٤) قال في البحار: وفي كتاب الرّياشي قال: حججت فتركت أصحابي وانطلقت أتعسف الطريق وحدي، فبينما أنا أسير إذ رفعت طرفي إلى أخبية وفساطيط، فانطلقت نحوها حتى أتيت أدناها فقلت: لمن هذه الأبنية؟ فقالوا: للحسين .

(١) وادي الصفراء من ناحية المدينة، وهو واد كثير النخل والزرع في طريق الحاج، بينه وبين بدر مرحلة، وماؤها عيون كلّها يجري إلى ينبع. (مرصد الاطلاع ٢: ٨٤٤).

(٢) الحسين مع أصحابه: ١٥٩ .

(٣) موقع يبعد عن مكة بمرحلتين أو ليلتين، وهو آخر وادي العقيق، وهو ميقات أهل الشرق - ومنه العراق - عند السنة، وروايات الإمامية تحكي توقيت النبي ﷺ للعراقيين من وادي العقيق .

(٤) مثير الأحزان: ٤٢ .

قلت: ابن علي وابن فاطمة ؟

قالوا: نعم .

قلت: في أيها هو ؟

قالوا: في الفسطاط .

فانطلقت فإذا الحسين مثك على باب الفسطاط يقرأ كتاباً بين يديه، فسلمت فردّ عليّ، فقلت: يا بن رسول الله بأبي أنت وأمي ما أنزلك في هذه الأرض القفراء التي ليس فيها ريف ولا منعة ؟

قال: هؤلاء أخافوني وهذه كتب أهل الكوفة وهم قاتلي، فإذا فعلوا ذلك ولم يدعوا الله محرماً إلا انتهكوه بعث الله إليهم من يقتلهم حتى يكونوا أذلّ من فرام الأمة^(١).

٤- الحاجر من بطن الرمة^(٢)

وفي اليوم الخامس عشر من ذي الحجة الذي صادف يوم الثلاثاء، وصل الامام الحسين عليه السلام إلى «الحاجر من بطن الرمة» فاستقر فيه ، وكتب بهذا المكان إلى أهل الكوفة جواباً عن كتاب ابن عمّه مسلم بن عقيل الذي كان يحثه فيه على الإسراع بالمجيء لانتقال الناس في العراق لمبايعته - ولم يكن له عليه السلام علمٌ بخبر مسلم بن عقيل - وعمّم الكتاب إلى أهل الكوفة، وخصّ من بينهم: سليمان بن صُرد الخزاعي، والمسيّب بن نجبة، ورفاعة بن شدّاد، ونظراءهم من وجوه الشيعة في

(١) مقتل الحسين للمقرّم: ١٧٥، بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٩ وفيه: قوم الأمة .

(٢) الحاجر: ما يمسك الماء من شفة الوادي، وبطن الرمة - بالتشديد -: منزل لأهل البصرة إذا أرادوا المدينة، وفيه تجتمع أهل الكوفة والبصرة، وهو واد معروف بعالية نجد . (مراصد الاطلاع ١: ٣٧٠).

الكوفة. وأرسل الكتاب مع قيس بن مسهر الصيداوي (وروى البعض عبدالله بن يقطر أخيه بالرضاعة) يقول فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي بن أبي طالب إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين، سلامٌ عليكم، فاني أحمدُ إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أمّا بعدُ، فإنّ كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم واجتماع ملاكم على نصرنا والطلب بحقنا، فسالتُ الله أن يُحسن لنا الصنيع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصتُ إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمانٍ مضين من ذي الحجة يوم التروية.

فاذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم وجدّوا. فاني قادمٌ عليكم في أيامي هذه إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

فأقبل قيس بالكتاب مسرعاً، وكان ابن زياد - لما بلغه خروج الحسين من مكة - قد بعث الحصين بن نمير التميمي صاحب شرطته حتى نزل القادسية، ونظّم الخيل ما بين القادسية إلى خفّان، وما بين القادسية إلى القفططانة.

ابن زياد يقتل رسول الحسين

فلما انتهى قيسُ إلى ذلك المكان اعترضه الحصينُ بن نمير التميمي مع شرطته، فقبض عليه ليفتّشه، فأخرج قيسُ الكتاب فخرّقه. فحملة الحصين إلى ابن زياد، ومعه الكتاب المخرّق.

فلما مثل قيسُ أمام ابن زياد، قال له: من أنت؟

قال قيس: أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين وابنه الحسين عليهما السلام.

قال ابن زياد: لماذا خرّقت الكتاب؟

قال قيس: لئلاّ تعلم ما فيه.

قال ابن زياد: مَن الكتاب، وإلى مَن؟

قال قيس: من الحسين إلى جماعة من أهل الكوفة لا أعرف أسماءهم.
فغضب ابن زياد، وقال له: والله لا تُفارقني حتى تُخبرني باسمائهم أو تصعد
المنبر فتسبّ الحسين وأباه وأخاه.

فقال قيس: اما القوم، فلا أخبرك بأسمائهم، وأما السبّ فأفعل، وكان قصد أن
يُبلِّغ رسالة الحسين ﷺ إلى أهل الكوفة.

فصعد المنبر، فحمد الله واثني عليه، وصلى على النبي وآله، وأكثر من التّرحم
على عليّ والحسن والحسين، ولعن عبيد الله بن زياد وأباه، وعتاة بني أميّة، ثم قال:
«أيّها الناس، إنّ الحسين بن عليّ خيرٌ خلق الله، وابنُ فاطمة بنت رسول الله،
وأنا رسوله اليكم، وقد خلّفته بالحاجر، فأجيئوه».

فأمر ابن زياد، فرُمي من أعلى القصر - حيّ - فتكسّرت عظامه، وتقطّع،
ومات رحمه الله.

فبلغ الحسين قتله في بعض الطريق، فاسترجع واستعبر، ولم يملك دمعته،
وقرأ قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ ثم
قال: اللهم اجعل لنا ولشيعتنا عندك منزلاً كريماً، واجمع بيننا وبينهم في مُستقرّ
رحمتك ورغائب مذخور ثوابك إنك على كلّ شيء قدير.

٨- فَيَدُ^(١)

ونزل ﷺ في فيد في يوم الأربعاء في السادس عشر من ذي الحجة. ^(٢)

(١) فيد - بفتح الفاء وسكون الياء -: وهو بلدة في طريق مكة من الكوفة، وفي وسطها حصن
عليه باب حديد، وعليها سور دائر. (مراصد الاطلاع ٣: ١٠٤٩).

(٢) الإمام الحسين وأصحابه: ١٦٢.

٩- الأَجْفَرُ^(١)

ووصل الإمام الحسين عليه السلام في اليوم السابع عشر من ذي الحجة الى هذا المنزل ، حتى انتهى إلى ماءٍ من مياه العرب، فاذا عليه عبد الله بن مطيع العدوي - وهو نازلٌ به - فلما رأى الحسين قام اليه واحتمله وأنزله، وقال: بأبي أنت وأمي - يا ابن رسول الله - ما أقدمك؟

قال الحسين: كان من موت معاوية ما قد بلغك، فكتب إلي أهل العراق يدعونني إليهم.

فقال عبد الله: أذكرك الله - يا ابن رسول الله - وحرمة الإسلام أن تُنتهك، أنشدك الله في حرمة رسول الله، أنشدك الله في حرمة قريش، أنشدك الله في حرمة العرب!! فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنك، ولئن قتلوك لا يهابوا بعدك أحداً أبداً، والله إنها لحرمة الاسلام تُنتهك، وحرمة قريش، وحرمة العرب، فلا تفعل ولا تأت الكوفة، ولا تُعرض نفسك لبني أمية.

فلم يلتفت إليه الحسين عليه السلام، وأبى إلا أن يمضي قُدماً^(٢).

١٠- الخُزَيْمِيَّةُ^(٣)

وسار عليه السلام حتى نزل (الخُزَيْمِيَّة) وذلك في يوم الجمعة الثامن عشر من شهر ذي الحجة، فأقام فيها يوماً وليلة، فلما أصبح أقبلت اليه أخته العقيلة زينب، وقالت: إني سمعتُ البارحة هاتفاً يقول:

ألا يا عَينُ فاحتفلي بجُهد فمن يبكي على الشهداء بعدي

(١): الأَجْفَرُ: البئر الواسعة، وهو موضع بين فيد والخزيمية. (مراسد الاطلاع ١: ٣١).

(٢): الارشاد للمفيد ٢: ٧١.

(٣) الخزيمية: وهو من منازل الحاج من الكوفة بعد الثعلبية وقبل الأَجْفَر. (معجم البلدان ٢:

على قومٍ تسوقهم المنايا بمقدارٍ إلى إنجاز وعد
فقال الحسين عليه السلام : يا أختاه، كلّ الذي قضى الله فهو كائن.^(١)

١١- الشقوق^(٢)

وسار عليه السلام حتى اذا وصل إلى موضع يقال له: (الشقوق) وذلك في يوم الأحد العشرين من ذي الحجة، وفيه التقى برجلٍ مقبل من الكوفة. فسأله الحسين عليه السلام عن أهل الكوفة؟ فأخبره الرجل: أنهم مجتمعون عليه، فقال عليه السلام: إن الأمر لله يفعل ما يشاء، وربنا تبارك وتعالى هو كلّ يومٍ في شأن، ثم أنشد:

فان تكن الدنيا تُعدّ نفيسةً فدارُ ثواب الله أعلى وأنبلُ
وإن تكن الأموال للترك جمعها فما بال متروك به المرء يبخلُ
وان تكن الأرزاق قسماً مقدراً فقلّة حرص المرء في الكسب أجملُ
وان تكن الأبدان للموت أنشئت فقتل امرئ بالسيف في الله أفضل
عليكم سلام الله يا آل أحمد فأنّي أراني عنكم سوف أرحل^(٣)

١٢- زُرُود^(٤)

وانتهى السيرُ بالحسين عليه السلام إلى زرود، وذلك يوم الاثنين الحادي والعشرين

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ١٠٣، بحار الأنوار ٤٤: ٣٧٢.

(٢) الشقوق - بالضم - : منزل بعد زباله للذهاب من الكوفة الى مكة، وهو لبني أسد، فيه قبر العبادي «معجم البلدان ٣: ٣٥٦».

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٩٥.

(٤) زرود - بفتح الزاي -: اسم منزل على طريق الكوفة نزل فيه سيّد الشهداء، وهو رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من الكوفة، ولما كانت أرضها رملية فهي تبتلع مياه الأمطار التي تهطل عليها، ولهذا السبب سمّيت بـ «زرود» أي البالوعة، وهو موضع مشهور تنزل فيه القوافل القادمة من بغداد، وهو ملك لبني نهشل وبني أسد. (مراسد الاطلاع ١: ٢٩٦).

من ذي الحجة، فأقام فيها ليلته .

زهير يزدلف إلى الحسين

وفي هذا المنزل نزل بالقرب من الإمام الحسين عليه السلام زهير بن القين البجلي، وكان شريفاً في قومه، نازلاً فيهم بالكوفة، شجاعاً مقداماً، له في المغازي مواقف مشهورة ومواطن ماثورة. كان أولاً منحرفاً عن أهل البيت عليهم السلام عثمانى العقيدة، وقد حجّ في تلك السنة، ولما رجع من مكة جمعه الطريق مع الحسين عليه السلام، وكان مع زهير جماعة من فزارة وبجيلة. وكان يكره أن يسير الحسين في الطريق أو يُنازله في منزل واحد، فاذا سار الحسين تخلف زهير، وإذا نزل الحسين في منزل تقدّم زهير، فنزل في آخر.

فنزل الحسين - يوماً في منزل لم يجد زهيرُ بُدّاً من أن ينزل معه، فنزل الحسين وأصحابه في جانب، ونزل زهيرُ وأصحابه في جانب آخر.

فبينما أصحاب زهير جلوس على طعام لهم إذ أقبل رسول الحسين عليه السلام وسلّم ودخل، والتفت إلى زهير قائلاً: إن أبا عبد الله الحسين بعثني إليك لتأتيه. فطرح كل إنسان ما في يده كأنّ على رؤوسهم الطير كراهية أن يذهب زهير إلى الحسين.

فأطرق زهير برأسه إلى الأرض ملياً، فقالت له زوجته (دلهم بنت عمرو). وكانت واقفة على رأسه تُروّح له: سبحان الله أبعث إليك ابن رسول الله، ثم لا تأتيه، فلو أتيتّه فسمعت من كلامه ثم انصرفت؟

فأتاه زهير - على كره - فما لبث أن جاء مستبشراً قد أشرق وجهه، فأمر بفسطاطه ورحله وثقله، فحوّل إلى جهة الحسين عليه السلام، ثم قال لامرأته: إلحقي بأهلك، فاني لا أحب أن يصيبك بسببي إلا خيراً، وقد عزمْتُ على صحبة الحسين لأفديه بروحي وأقيه بنفسي. فأعطاها مالها وسلّمها إلى بعض بني عمومتها ليوصلها

إلى أهلها.

فقامت إليه، وبكت في وجهه وودّعته وقالت: خار الله لك، أسألك أن تذكرني عند جدّ الحسين يوم القيامة.

وقال زهير لأصحابه: مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّبِعَنِي، وَإِلَّا فَهُوَ آخِرُ الْعَهْدِ مِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ بِحَدِيثٍ: إِنَّا غَزَوْنَا (بَلَنْجَرَ)^(١) فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا، وَاصْبُنَا غَنَائِمَ فَفَرَحْنَا، فَقَالَ لَنَا سَلْمَانُ عليه السلام: أَفَرَحْتُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَأَصَبْتُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ؟ فَقُلْنَا: نَعَمْ، فَقَالَ لَنَا: إِذَا أَدْرَكْتُمْ شَبَابَ آلِ مُحَمَّدٍ عليه السلام فَكُونُوا أَشَدَّ فَرَحاً بِقِتَالِكُمْ مَعَهُمْ مِمَّا أَصَبْتُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ فِي هَذَا الْيَوْمِ. فَأَمَّا أَنَا فَإِنِّي اسْتَوْدَعْتُكُمْ اللَّهَ.

وصار مع الحسين، حتى نال الشهادة بين يديه في كربلاء.^(٢)

خبر شهادة مسلم بن عقيل

روى عبدالله بن سليمان، والمنذر بن مشعل الأسديان، قالاً: لما قضينا حَجَّنا لم تكن لنا همة إلاّ اللحاق بالحسين عليه السلام في الطريق لننظر ما يكون من أمره، فأقبلنا

(١) بلنجر - بالباء واللام المضمومتين والنون الساكنة - مدينة في الخزر عند باب الأبواب، فتحت في زمن عثمان بن عفان على يد سلمان بن ربيعة الباهلي، وهو قائد الجيش، وكان من ضمن الجيش سلمان الفارسي.

أقول: فقول زهير (فقال لنا سلمان) بالاطلاق: يحتمل أن يكون القائل هو الباهلي على أساس: أنّه قائد الجيش الفاتح - كما عليه الطبري وجماعة - ويحتمل أن يكون القائل الفارسي باعتباره كان في ضمن الجيش - كما عليه ابن الأثير والخوارزمي والقتال والمفيد وغيرهم - ولعلّه الأصح من حيث اطلاع سلمان الفارسي بالخصوص على بعض المغيبات التي يخبر بها النبي صلى الله عليه وآله، وهذا الخبر من المغيبات التي تناسب (الفارسي) لا (الباهلي) والله العالم. [البدر]

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٣٩٧، الكامل في التاريخ ٣: ٢٧٨، روضة الواعظين: ٢٧٨، أنساب الأشراف ٣: ١٦٨، ارشاد المفيد: ٢٠٥.

ترفل بنا ناقتانا مسرعين حتى لحقناه بزروء، فلما دنونا منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين عليه السلام فوقف سلام الله عليه كأنه يريد، ثم تركه ومضى.

ومضينا نحوه حتى انتهينا إليه، فقلنا: السلام عليك.

فقال: وعليكم السلام.

قلنا: من الرجل؟

قال: أسدي.

قلنا له: ونحن أسديان. فمن أنت؟

قال: أنا بكر بن فلان وانتسبنا له، ثم قلنا له:

أخبرنا عن الناس وراءك؟

قال: نعم لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة ورأيتهما يجزان بأرجلهما في السوق.

فأقبلنا حتى لحقنا الحسين عليه السلام فسايرناه حتى نزل الثعلبية^(١) ممسياً فجئناه حين نزل فسلمنا عليه فرد علينا السلام.

فقلنا له: رحمك الله إن عندنا خبراً إن شئت حدثناك به علانية، وإن شئت سراً.

فنظر إلينا وإلى أصحابه، ثم قال: ما دون هؤلاء سر.

فقلنا له: رأيت الراكب الذي استقبلته مساء أمس؟

قال: نعم. وقد أردت مسأله.

(١) اسم منزل قرب الكوفة مرّ به الإمام الحسين في مسيره إلى كربلاء، والثعلبية على اسم رجل من بني أسد اسمه ثعلبة، سكنها وحفر فيها عيناً.

فقلنا: قد والله استبرأنا لك خبره، وكفيناك مسألته، وهو امرؤ منا ذو رأي وصدق وعقل، وأنه حدثنا أنه لم يخرج من الكوفة حتى قتل مسلم وهاني، ورأهما يُجران في السوق بأرجلهما:

فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون رحمة الله عليهما يردّد ذلك مراراً، وبكى، وبكى معه الهاشميون، وكثر الصراخ والعيول من جانب النساء. ثم انتظر حتى إذا كان السحر، قال لفتيانته وغلمايته: اكثروا من الماء، فاستقوا وأكثروا، ثم ارتحلوا.^(١)

حميدة بنت مسلم

ونُقل عن بعض التواريخ: أنه كانت لمسلم بن عقيل بنت كان لها من العمر ثلاث عشرة سنة أو أقل - اسمها (حميدة)، وكانت تعيش في بيت الحسين عليه السلام وتدرج مع بناته لا تفارقهن.

ولما أخبر الحسين عليه السلام في ذلك المكان بقتل مسلم، جاء ودخل خيمة النساء، ودعا بتلك البنت، وجعل يلاطفها ويعطف عليها فاستشعرت البنت من ذلك المصيبة، فقالت:

يا عم، أراك تعطف علي عطفك على الأيتام، أفأصيب أبي مسلم؟

فرّق الحسين لها وجرت دمعته، وقال لها:

يا بُنيّة لا تحزني، فلئن أصيب أبوك فأنا أبوك وبناتي أخواتك.

فلما سمعت البنت هذا الكلام من الحسين صرخت وأعولت فسمع صراخها آل عقيل، فارتفعت أصواتهم بالبكاء، وانتحبوا انتحاباً عالياً، وساعدهم أهل بيت

(١) الكامل لابن الأثير ٤: ١٦.

الحسين في النوح والبكاء. وعظم على أبي عبد الله المصاب، واشتدَّ به الحزن.
قالوا: وارتجَّ الموضع بالبكاء والعيول لقتل مسلم بن عقيل. وسالت الدموع
عليه كل مسيل:

فيا بن عقيـلٍ فدتك النفوس	لعظم رزيـتك الفـادحة
ولا برحت هـا طلاتُ العيون	تـحيـيك غـاديةً رائحة
لنـبـك لها بمذاب القلوب،	فما قدـرُ أدمعنا المـالحة
لأنـك لم تُـرو من شـرية	ثـنـاياك فيها غـدت طـائـحة
رموك من القصر إذ أوثقوك،	فهل سلـمت فيك من جارحة
وسحـباً تُـجرُّ بأسواقهم	ألسـتَ أميرَهم البـارحة
أتقضي ولم تبكك الباقيات،	أمالك في المـصر من نائـحة
لئن تقض نحباً فكم في (زرود)	عليك العـشيـة من صائـحة
وكم طفلةٍ لك قد أعولت	وجمرُها في الحـشا قـادحة
يعزّزها السبطُ في حجره	لتغـدو في قـربه فـارحة
تقول: مضى عمُّ منِّي أبي	فمن ليـتيمته النـائـحة
ثـكـولٌ تبيـت كـمـثـل اللـسـيع	تـعـجّ وعن بيتها نـازـحة

* * *

رعي الله جسماً بالكنايس مُصلباً	ورأساً له فوق السنان مركباً
لقد سامه الأعداء خفضاً فما ارتضى	سوى الرفع فوق السمهرية منصبا
وقفت بمستنّ النزال فلم تجد	سوى الموت في الهيجا من الضيم مهربا
إلى أن وردت الموت والموت سنّة	لكم عرفت تحت الأسنّة والضبا
ولا عيب في الحرّ الكريم إذا قضى	بحدّ الضبا حرّاً كريماً مهذباً ^(١)

(١) المجالس الفاخرة لشرف الدين: ١١٢.

ثم ارتحلوا فصار حتى انتهى إلى زباله، فأتاه خبر عبدالله بن يقطر، فأخرج إلى الناس كتاباً قرأ عليهم وفيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد: فإنه قد أتانا خبر فطيع قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبدالله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا، فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف في غير حرج ليس معه ذمام.

فتفرق الناس عنه، وأخذوا يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة ونفر يسير ممن انضموا إليه، وأما فعل ذلك لأنه ﷺ علم أن الأعراب الذين اتبعوه إنما اتبعوه لأنهم ظنوا أنه يأتي بلداً استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون على ما يقدمون.

١٣- الثعلبية^(١)

ووصل الإمام الحسين ﷺ إلى هذا المنزل مساء يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من ذي الحجة الحرام، وفيها أتاه رجل وسأله عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ﴾^(٢)، فقال له الإمام ﷺ: إمام دعا إلى هدى فأجابوا إليه، وإمام دعا إلى ضلالة فأجابوا إليها، هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار، وهو قوله تعالى: ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾^(٣).

(١) الثعلبية - بالفتح فالسكون - نسبة إلى رجل من بني أسد اسمه (ثعلبة) نزل في هذا الموضع، واستنبت عين ماء فيه، وهي في طريق مكة، بعد (الشقوق) وقبل (الخزيمية) للذهاب إلى الكوفة.

(٢) الاسراء: ٧١.

(٣) الشورى: ٧.

وفيها كذلك اجتمع به رجل من أهل الكوفة، فقال له الحسين عليه السلام:

«أما والله لو لقيتك بالمدينة لأريتك أثر جبرئيل في دارنا ونزوله بالوحي على جدي.

يا أخا أهل الكوفة، من عندنا مستقى العلم أفعلموا وجهلنا؟ هذا ممّا لا يكون»^(١).

وقال بجير وهو من أهل الثعلبية: مرّ الحسين بنا وأنا غلام، فقال له أخي: يا ابن بنت رسول الله أراك في قلّة من الناس، فأشار بالسوط إلى حقيبة لرجل وقال: هذه مملوءة كتباً^(٢).

أبو هرّة الأزدي

لما أصبح الحسين عليه السلام في الثعلبية إذا برجلٍ من أهل الكوفة، يكتئى (أبا هرّة الأزدي) قد أتاه، فسلم عليه، ثم قال له: يا ابن رسول الله، ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرّم جدّك محمد صلى الله عليه وآله؟

فقال الحسين: «يا أبا هرّة، إنّ بني أميّة أخذوا مالي فصبرت، وشتّموا عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت.

يا أبا هرّة، لتقتلني الفئة الباغية، وليلبسّهم الله تعالى ذُلاًّ شاملاً وسيفاً قاطعاً، وليسلطنّ الله عليهم من يُذلّهم، حتى يكونوا أذلّ من قوم سبأ، إذ ملكتهم امرأةٌ منهم، فحكمت في أموالهم ودمائهم»^(٣).

(١) بصائر الدرجات: ٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢: ٢٠٥.

(٣) الملهوف: ٢٩، وفي اثبات الهداة ٢: ٥٧٣ ذكر الحادثة بدون ذكر اسم الرجل.

نصراني يدخل في الاسلام

ورد في بعض كتب المقاتل: أنه عندما استقر الإمام الحسين عليه السلام في هذا الموضع ومكث فيه ليلة واحدة، أتاه رجل نصراني مع أمته وأسلم على يده، وصحبه إلى كربلاء.

١٤- زبالة^(١)

وتحرك الإمام مع أصحابه وأهل بيته صباح يوم الأربعاء من الثعلبية، وفي نفس اليوم وصل إلى «زبالة».

قال بعض المؤرخين: وفي هذا المنزل أتاه نعي عبد الله بن يقطر رسوله الذي أرسله عليه السلام من الطريق إلى أهل الكوفة ويحمل كتابه إلى مسلم بن عقيل. فلما كان قريباً من القادسيّة، قبض عليه الحُصين بن نمير مع شرطته، وسرّحوه إلى عبيد الله بن زياد، فلما مثل بين يديه أمر به أن يصعد المنبر ويلعن الكذاب بن الكذاب - على حدّ تعبيره -

فصعد عبد الله المنبر وقال: «أيّها الناس، أنا رسول الحسين بن فاطمة بنت رسول الله اليكم لتنصروه وتؤازروه على ابن مرجانة وابن سميّة الدعيّ وابن الدعيّ لعنه الله».

فأمر به عبيد الله فألقي من أعلى القصر فتكسّرت عظامه فمات رحمه الله. قالوا: ولما بلغ الحسين قتله، وكان قد أخبر - من قبل - بقتل ابن عمّه

(١) زبالة - بالزاي المضمومة -: ويعني الموضع الذي يجتمع فيه الماء، والموضع المليء بالماء، ويقع بطريق مكّة بين واقصة والثعلبية، بها بركتان، كانت زبالة قرية عامرة تسكنها بطون من بني أسد. حيث بنوا فيه مسجد وقلعة بناها، واشتهر الموضع باسم زبالة بنت مسعر. (مراصد الاطلاع ٢: ٦٥٦).

مسلم بن عقيل، جمع الناس وخطبهم وقال فيما قال:
«بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعدُ. فانه قد أتانا خبرٌ فظيع: قتل مسلم بن
عقيل، وهاني بن عروة، وعبد الله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا، فمن أحبّ منكم
الإنصاف فلينصرف ليس عليه حرج منّا ولا ذمام».

قال الراوي: ففرّق الناس عنه يميناً وشمالاً، حتى بقي في أصحابه الذين
جاؤا معه من المدينة، ونفر يسير ممن انضموا إليه، وكان قد انضم إليه جمعٌ غفير من
الأعراب في الطريق لظنهم أنه سيأتي إلى بلد قد استقامت له طاعة أهله، فكره عليه السلام
أن يتبعه إلا الذين أقدموا على ما أقدم عليه من الشهادة والمواساة على الموت.^(١)
وقد ذكر أكثر المؤرخين أنّ خبر عبدالله بن يقطر وقيس من مسهر الصيداوي
وصلا إلى مسامع الإمام عليه السلام في هذا المنزل - زبالة -، فيما يرى آخرون ان الخبر
وصل الى الحسين عليه السلام بعد لقاءه بالحر بن يزيد الرياحي .
ولكن القول الصحيح هم الأول، أي أنّ الخبر وصل وهو في منزل «زبالة».^(٢)

١٥ - القاع^(٣)

وفي يوم الخميس الرابع والعشرين من ذي الحجة وصل الامام عليه السلام إلى

(١) الارشاد للمفيد: ٢٤٣، المناقب لابن شهر آشوب ٤: ١٨٣، الأغاني ٢١: ٣٧٦، ديوان
الفرزدق ٢: ١٧٨.

(٢) قال ابن قتيبة وابن مسكويه: أنّ الإمام الحسين ارسل قيس بن مسهر بعد مسلم بن عقيل،
أمّا عبدالله بن يقطر فقد صحب مسلم في رحلته، ونظراً لأنّ مسلم رأى عدم وفاء أهل الكوفة
له أمر عبدالله بن يقطر أن يرجع إلى الإمام الحسين عليه السلام ليخبره الخبر، ولكنه وقع في أسر
الحصين بن نمير وأرسل الى عبيدالله بن زياد. (ابصار العين ٥٢).

(٣) القاع: منزل بطريق مكة بعد العقبة للمتوجه إلى مكة. (مراصد الاطلاع ٣: ١٠٥٨).

منزل «القاع»^(١).

نقل الطبري عن أبي مخنف قوله: لما صار الحسين في هذا المنزل لقيه شيخ من بني عكرمة يقال له عمر بن لوزان، فسأله: أين تريد؟ فقال عليه السلام: الكوفة.

فقال الشيخ: أنشدك لما انصرفت، فوالله ما تقدم إلا على الأسنة وحدّ السيف، وإنّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال، ووطؤوا لك الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً، فأما على هذه الحال التي تذكر فأنّي لا أرى لك أن تفعل:

فقال له: يا عبدالله لا يخفى علي الرأي، لكن الله تعالى لا يغلب على أمره.^(٢) ثم قال عليه السلام: والله لا يدعونني حتى يستخرجوا هذه العلقه من جوفي، فإذا فعلوا ذلك سلّط الله عليهم من يذلّهم حتى يكونوا أذلّ فرق الأمم.^(٣)

١٦- بطن العقبة^(٤)

ونزل الحسين عليه السلام في بطن العقبة يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذي الحجة الحرام.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لمّا صعد الحسين بن علي عليه السلام عقبة البطن

(١) وهو منزل في طريق مكة بعد منزل العقبة للذهاب من مكة إلى منزل «زباله». (معجم البلدان ٤: ٢٩).

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٣٩٩، بحار الأنوار ٤٤: ٣٧٥.

(٣) أكثر كتب التواريخ ذكرت هذا اللقاء في منزل «عقبة البطن»، ولكن كما قلنا بأنّا ربّنا المنازل حسب كتاب «الإمام الحسين وأصحابه».

(٤) منزل يقع في طريق مكة بعد واقعة وقبل منزل القاع، للذي يعزم السفر الى مكة، وفيه ماء يعود الى بني عكرمة من بكر بن وائل. (مراصد الاطلاع ٣: ٩٤٨).

قال لأصحابه: ما أراني إلا مقتولاً .

قالوا: وماذا يا أبا عبدالله ؟

قال: رؤيا رأيته في المنام .

قالوا: وما هي ؟

قال: رأيت كلاباً تنهشني، أشدها علي كلب أبقع .^(١)

١٧ - شراف^(٢)

ثم سار ﷺ من بطن العقبة حتى نزل شراف وذلك يوم السبت السادس والعشرين من ذي الحجة .

القادم من مكة الى الكوفة، يمرّ بعد «العقبة» بمنزل يطلق عليه «واقصة»، ولكن نظراً الى وجود الماء بكثرة في «شراف» لذا فإن الامام لم يتوقف في واقصة والتي يطلق عليها «واقصة الحزون» وتوقف في شراف .^(٣)

روى أبو مخنف عن عبدالله بن سليم، وشخص آخر من قبيلة بني أسد: انّ الامام الحسين أقام في شراف الى الليل، فلما كان وقت السحر أمر فتيانه أن يستقوا من الماء ويكثروا .

وتحرك الامام ﷺ منها عند الغروب . وقد مرّ في طريقه بعدة منازل أخرى لم يبق فيها كثيراً، مثل منزل «القرعاء» و «المغيثة» و «القادسية» وهو أول منزل من أرض العراق .^(٤)

(١) كامل الزيارات: ٧٥

(٢) شراف: منزل بين واقصة والقرعاء فيها ثلاثة آبار كبار . (مراسد الاطلاع ٢: ٧٨٨) .

(٣) الامام الحسين وأصحابه: ١٨١ .

(٤) الفاصلة بين القادسية والكوفة حوالي ١٥ فرسخ .

التقاؤه بالحر الرياحي

ثم سار يومه حتى انتصف النهار، اذ كبر رجلٌ من أصحابه.
فقال الحسين: الله أكبر، ممّ كبرت؟ قال: رأيْتُ النخل.
فقال له جماعةٌ من أصحابه: والله ما رأينا في هذا المكان نخلةً - قط -
فقال الحسين: فما ترونه؟
قالوا: نراه استّة الرماح وآذان الخيل.
قال الحسين: أنا - والله - أرى ذلك. ثم قال لأصحابه:
أما لنا ملجأً نلجأُ إليه، ونجعله في ظهورنا، ونستقبل القوم بوجهٍ واحد؟
فقال له: هذا (ذو حُسم) إلى جنبك، فمل إليه عن يسارك، فان سبقت اليه فهو
كما تريد؟
فأخذ الحسين اليه ذات اليسار، وسبق إليه. ^(١)

١٨ - ذو حُسم ^(٢)

في يوم الأحد السابع والعشرين من ذي الحجة وصل الإمام إلى منزل ذو
حُسم، وضرب أبينته وأنزل عائلته.
قال الراوي: فما كان بأسرع من أن طلعت علينا هوادي الخيل فتبيّناها
وعدلنا، فلما رأونا عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا، كأنّ أسنتهم اليعاسيب وكأنّ
راياتهم أجنحة الطير.

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٠٠.

(٢) ذو حُسم: موضع بالكوفة؛ وقيل أنّه جب قرب الكوفة. (مراسد الاطلاع ٣: ١٤١٧).

وجاء القوم زهاء ألف فارس مع رئيسهم الحرّ بن يزيد الرياحي^(١) وكان قد بعثه ابن زياد من الكوفة ليحبس الحسين عن الرجوع إلى المدينة أينما وجده، ويُقدم به الكوفة.

فجاؤا حتى وقفوا الحسين عليه السلام في وقت الظهيرة، وكان الوقت شديد الحر، والحسين وأصحابه معتمون، متقلّدوا أسيافهم.

فلما رأى الحسين عليه السلام ما بالقوم من العطش أمر فتياته، أن يُسقوا القوم ويُرشّفوا الخيل ترشيفاً. ففعلوا، وأقبلوا يملؤون القصاع والطساس^(٢) من الماء ثم يُدنونها من الفرس، فاذا عبّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عُزلت عنه، وسُقي الآخر، حتى سقوهم وخيولهم عن آخرهم.

قال علي بن الطعان المحاربي: كنتُ مع الحرّ - يومئذٍ - فجئتُ في آخر مَنْ جاء من أصحابه، فلما رأى الحسين ما بي وبفرسي من العطش، قال: أنخ الراوية - والراوية عندنا السقاء - فلم أدِرْ ما يقول؟ ثم قال: يا ابن الأخ، أنخ الجمل، فأنخته. فقال: اشرب. فجعلتُ كلّما شربتُ سال الماء من السقاء، فقال الحسين: أُنخ السقاء - أي اعطفه - فلم أدِرْ كيف أفعل؟

فقام الحسين بنفسه فخنّته، فشربتُ وسيقتُ فرسي.

ولم يزل الحرّ موافقاً للحسين عليه السلام حتى حضرت صلاة الظهر، فأمر الحسين الحجاج بن مسروق الجعفي^(٣) أن يُؤذن بالناس، فأذّن الحجاج. فلما حضرت

(١) ذكر أحمد بن سهل في البدء والتاريخ ٦: ١٠ أن هذا اللقاء كان في منزل «زبالة».

(٢) القصاع - بالكسر -: جمع قصعة - بالفتح - وهي الصفحة والائاء الكبير.

والطاس - بالكسر -: جمع طسة وطست - بالفتح - وهو لغة في الطشت.

(٣) الحجاج بن مسروق الجعفي من انصار الحسين عليه السلام ومن ملازميه منذ خروجه من مكة إلى =

الإقامة خرج الحسين عليه السلام في ازاء ورداءٍ ونعلين مَتَكاً على قائم سيفه، فاستقبل القوم وحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أيها الناس، إنها معذرة إلى الله عزَّ وجلَّ وإليكم، إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم، وقدمت عليَّ رُسُلُكم: (أن أقدم علينا فإنه ليس لنا إمام لعلَّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق).

فان كنتم على ذلك، فقد جئْتُكم، فأعطوني ما أطمئنُّ به من عهودكم ومواثيقكم. وان كنتم لمقدمي كارهين انصرفْتُ عنكم إلى المكان الذي جئتُ منه اليكم».

فسكتوا - جميعاً - . فقال الحسين للمؤذّن: أقم، فأقام لصلاة الظهر، فقال الحسين للحرّ: أتصلي باصحابك؟

قال الحرّ: بل تصلي أنت وتُصلي بصلاتك.

فصلى بهم الحسين عليه السلام وبعد فراغه دخل الخيمة، فاجتمع اليه أصحابه، وانصرف الحرّ إلى مكانه الذي كان فيه، ودخل خيمةً قد ضُربت له، واجتمع اليه بعضُ أصحابه، وعاد الباكون إلى صفوفهم وأخذ كلُّ رجلٍ منهم بعنان دابّته وجلس في ظلّها من شدّة الحر.

ولما كان وقتُ العصر، أمر الحسين عليه السلام أن يُتَهيأَ للرحيل، ثمَّ أمر المؤذّن فنادى لصلاة العصر، وأذن وأقام، فاستقدم الحسين، فصلى بهم صلاة العصر، فلما فرغ انصرف بوجهه الشريف نحو القوم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

= كربلاء فقد خرج هو الآخر من الكوفة فلاحق بالحسين عليه السلام في مكة، وظلّ ملازماً له طيلة الطريق، واختص بلقب (مؤذّن الحسين) الى ان استشهد بين يديه يوم عاشوراء.

«أما بعدُ، أيّها الناس، إنكم إن تتّقوا الله، وتعرّفوا الحق لأهله يكن أرضى الله، ونحنُ - أهل بيت محمد ﷺ - أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعُدوان.

وان أبيئتم إلّا الكراهيّة لنا والجهل بحقّنا، وكان رأيكم - الآن - على غير ما أتنّني به كتبكم وقدمت به عليّ رسلكم، انصرفتُ عنكم».

فقال الحرّ: ما أدري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر؟

فأمر الحسينُ عقبه بن سمعان، فأخرج خُرجين مملوئين كتباً، فنُثرت بين يديه.

قال الحرّ: إني لستُ من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وإني أمرتُ أن لا أفارقك - إذ لقيتُك - حتى أقدمك الكوفة على ابن زياد .

فقال الحسين: الموتُ أدنى إليك من ذلك.

ثم أمر أصحابه بالركوب، وانتظر هو حتى ركب نساؤه ثم قال لأصحابه: انصرفوا، فحال القوم بينهم وبين الانصراف.

فقال الحسين للحرّ: ثكلتك أمك ما تريد منّا؟

فقال الحرّ: أما لو غيرك من العرب يقولها لي - وهو على مثل هذه الحال التي أنت عليها - ما تركتُ ذكر أمّه بالثكل، كائناً من كان، ولكن، مالي إلى ذكر أمك من سبيل إلّا بأحسن ما نقدر عليه.

فقال له الحسين: فما تريد؟

قال الحرّ: أريد أن أنطلق بك إلى الأمير عبيد الله بن زياد.

قال الحسين: إذاً والله لا أتبعك.

قال الحرّ: إذاً والله لا أدعك.

فترادّ القول - مراراً - فلما كثر الكلام بينهما، قال الحرّ للحسين:

إنّي لم أؤمر بقتالك، وإنّما أمرتُ أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة، فاذا أبيت، فخذ طريقاً نصفاً بيني وبينك، لا يُدخلُك الكوفة، ولا يردّك إلى المدينة، حتى أكتب إلى الأمير ابن زياد فلعلّ الله أن يأتي بأمرٍ يرزقني فيه العافية من أن أبتلي بشيء من أمرك، فخذ هاهنا، فتياسر عن طريق (العذيب والقادسية).

فسار الحسين عليه السلام وأصحابه على غير الجادة، والحرّ يُسايّره في أصحابه، وهو يقول له:

«يا حسين، إنّي أدركك الله في نفسك، فإني أشهد لئن قاتلت لتُقاتلن، ولئن قُوتلت لتهلكن فيما أرى».

فقال الحسين: أفيالموت تُخوّفني؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟

وسأقول لك كما قال أخو الأوس لابن عمّه حين لقيه وهو يريد نصره رسول الله صلى الله عليه وآله، فخوّفه ابنُ عمّه، وقال له: أين تذهب فانك مقتول، فقال:

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً
وواسى الرجال الصالحين بنفسه وخالف مشبوراً وفارق مجرماً
فان عشتُ لم أندم وان متّ لم ألّم كفى بك ذلاً أن تعيش وتُرعماً
فلما سمع الحرّ ذلك منه، تنحّى عنه، وأخذ يسير بأصحابه في ناحية،
والحسين عليه السلام في ناحية.^(١)

(١) الكامل في التاريخ ٤: ٤٨، مناقب ابن شهر آشوب ٤: ٩٦.

قال عتبة بن العيزار : ثم وقف الامام الحسين عليه السلام خطيباً، وقال - بعد أن حمد الله وأثنى عليه - :

«أما بعد، فإنه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تغيّرت، وتنكرت، وأدبر معروفُها، واستمرتِ جذاء، ولم يبق منها إلّا صُبابَةٌ كصبابة الإناء، وخسيسُ عيشٍ كالمرعى الوبيل، ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء ربه مُحَقّاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برماً»^(١).

فقام إليه من بين أصحابه زهير بن القين البجلي، وقال: «قد سمعنا - يا ابن رسول الله - مقالتك، ولو كانت الدنيا باقية وكُنّا فيها مُخلّدين لآثرنا النهوض معك على الإقامة فيها».

١٩ - البيضة^(٢)

وأخذ يسير عليه السلام والحُرّ يسايره حتى اذا وصل إلى موضع يقال له البيضة خطب أصحابه وأصحاب الحرّ، فقال - بعد حمد الله والثناء عليه - :
«أيّها الناس إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «مَنْ رَأَى سُلْطَاناً جَائِراً، مُسْتَحِلّاً لِحَرَامِ اللَّهِ، نَاكِثاً لِعَهْدِ اللَّهِ، مُخَالِفاً لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ يَعْمَلُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، فَلَمْ يُغَيِّرْ عَلَيْهِ بِفِعْلٍ وَلَا قَوْلٍ، كَانَ حَقّاً عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ».
ألا وإنّ هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمان، وأظهروا الفسادَ، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالنفيء، وأحلّوا حرام الله،

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٠٣.

(٢) البيضة - بكسر الباء - : ارض واسعة لبني يربوع بن حنظلة ما بين واقصة وعذيب الهجانات. (مراصد الاطلاع ١: ٢٤٤).

وحرّموا حلاله.

وأنا أحقُّ بهذا الأمر ممّن غير. وقد أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم ببيعتكم أنكم لا تُسلموني ولا تخذلوني.

فإن تمتمت عليّ بيعتكم تُصيبوا رشدكم. وأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله نفسي مع أنفسكم. وأهلي مع أهاليكم وأولادكم. ولكم في أسوة. وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدي وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بُكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمّي مسلم بن عقيل، والمغرور من اغترّ بكم. فحظّكم أخطأتم، ونصيبيكم ضيّعتم: (ومن نكث فإنما ينكث على نفسه)، وسُغني الله عنكم والسلام(١).

٢٠ — الرّهيمة(٢):

وفيهما لقيه رجل من أهالي الكوفة يقال له أبو هرم فقال: يا ابن رسول الله ما الذي أخرجك عن حرم جدّك؟

فقال: (يا أبا هرم إنّ بني أميّة شتموا عرضي فصبرت وأخذوا مالي فصبرت. وطلبوا دمي فهربت، وأيم الله ليقتلوني فيلبسهم الله ذلاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، ويسلّط عليهم من يذلّهم(٣) حتى يكونوا أذلّ من قوم سبأ إذ ملكتهم امرأة فحكمت في أموالهم ودمائهم(٤)).

(١) تاريخ الطبري ٢٢٩/٦، الكامل لابن الأثير ٢١/٤.

(٢) الرّهيمة — بالتصغير —: عين ماء تبعد عن «خفية» ثلاثة أميال وتقع قرب الكوفة على الطريق

المؤدي إلى الشام. (معجم البلدان ١٠٩/٣).

(٣) أمالي الصدوق: ٩٣ المجلس الثلاثون.

(٤) مقتل الخوارزمي ٢٢٦/١ وفيه الرواية كاملة.

٢١- عذيب الهجانات^(١)

يوم الاثنين الثامن والعشرين من ذي الحجة وصل الامام الى هذا المنزل، وقد استمر الحُر يُسائر الحسين عليه السلام في الطريق على غير الجادة، حتى انتهوا إلى عذيب الهجانات، فإذا هم بأربعة نفر على رواحلهم قد أقبلوا من الكوفة لنصر الحسين عليه السلام وهم نافع بن هلال الجملي ومجمع بن عبدالله وعمر بن خالد الصيداوي والطرمّاح بن عدي الطائي، وكان الطرمّاح يجنب فرساً لنافع يقال له «الكامل»، وكان الطرمّاح دليلهم، وكان قد امتار لأهله ميرة من الكوفة فخرج على غير الجادة، فالتقى بهؤلاء النفر في عرض الطريق، فلما وصلوا إلى الحرّ أراد حبسهم، أو ردّهم إلى الكوفة، وقال للحسين: هؤلاء ليسوا ممّن أقبل معك.

فصاح به الحسين عليه السلام وقال: لأمنعهم ممّا أمنع منه نفسي، إنّما هؤلاء أنصاري وأعواني، وهم بمنزلة من جاء معي، وقد كنت أعطيتني ألاّ تعرّض لي بشيء حتى يأتيك كتاب من ابن زياد، فان بقيت على ما كان بيني وبينك، وإلاّ ناجزتك».

فكفّ الحرّ عنهم، فالتحقوا بالحسين وأصحابه.

ثم قال لهم الحسين: أخبروني خبر الناس وراءكم؟

فقال له مجمع بن عبد الله العائذي - وهو أحد النفر الأربعة الذين جاؤوه - :

«أما أشرف الناس فقد أعظمت رشوتهم ومُلئت غرائرهم لِيُستمال ودُهم وتُستخلص نصائحهم، فهم إلْبٌ واحدٌ عليك، وما كتبوا إليك إلّا لِيجعلوك سُوقاً ومكسباً. وأما سائر الناس فأفندتهم تهوي إليك، وسيوفهم غداً مشهورةٌ عليك».

(١) العذيب: واد لبني تميم وهو حد السواد وفيه مسلحة للفرس، بينه وبين القادسية ست أميال؛ وقيل له عذيب الهجانات، لأنّ خيل النعمان ملك الحيرة ترعى فيه.

ثم قال لهم الحسين: أخبروني، فهل لكم علمٌ برسولي إليكم قيس بن مسهر الصيدائي؟

قالوا: نعم، أخذَه الحصينُ بن نمير، فبعث به إلى ابن زياد، فأمره ابنُ زياد أن يلعنك ويلعن أباك، فصلى عليك وعلى أبيك ولعن ابن زياد وأباه، ودعا إلى نُصرتك، وأخبرهم بقدمك. فأمر به ابنُ زياد فألقي من طمار القصر.

ف عند ذلك ترقرت عينا الحسين عليه السلام، ولم يملك دمعته ثم قال: ﴿فَمَنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمَنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ اللهم اجعل لنا ولهم الجنة نزلًا، واجمع بيننا وبينهم في مستقرِّ رحمتك ورغائب مذكور ثوابك.

ثم سأل الامام عليه السلام أصحابه عن من يدلهم الطريق .

فانبرى له الطرمّاح وقال: أنا يا بن رسول الله .

فقال له الامام عليه السلام: تقدّم أماننا .

فتقدّم الطرمّاح وهو يحدو بهم فقال:

يا ناقتي لا تذعري من زجرٍ	واسر بنا قبل طلوع الفجر
بخير فتیانٍ وخير سفر	آل رسول الله آل الفخر
السادة البيض الوجوه الزهر	الطاعنين بالرماح السمر
الضارين بالسيوف البتر	حتى تحلّي بكريم الفخر
الماجد الحرّ حبيب الصدر	أتى به الله لخير أمر

ثم أبقاه بقاء الدهر

يا مالك النفع معاً والضر	أيّد حُسيناً سيّدي بالنصر
على الطغاة من بقايا الكُفر	على اللعينين سليلي صخر
يزيد لا زال حليف الخمر	وابن زياد عُهر بن العُهر

ثم قال الطرمّاح للامام عليه السلام: يا ابن رسول الله، اذكرك الله في نفسك، لا يغرنك

أهل الكوفة، فوالله لئن دخلتها لثقتلن، وإنني أخاف أن لا تصل إليها، والله ما أرى معك كثير أحد، ولو لم يقاتلك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازميك لكفى، ولقد رأيت قبل خروجي إليك يوم ظهر الكوفة، وفيه من الناس مالم تر عينا في صعيد واحد جمعاً أكثر منه، فسألت عنهم؟ فقليل: اجتمعوا ليعرضوا ثم يسرحون إلى الحسين. فأنشدك الله إن قدرت على ألا تقدم عليهم شبراً إلا فعلت. فان أردت أن تنزل بلداً يمنعك الله به ترى رأيك، ويستبين لك ما أنت صانع، فسر حتى أنزلك جبلنا الذي يدعى (أجا) فهو جبل امتنعنا به من ملوك غسان وحمير والنعمان بن المنذر ومن الأسود والأحمر، والله ما إن دخل علينا ذل - قط - فأسير معك حتى أنزلناك القرية، ثم نبعث إلى الرجال ممن به (أجا وسلمى) من طي، فوالله لا يأتي عليك عشرة أيام حتى يأتيك (طي) رجالاً وركباً ثم أقم فينا ما بدا لك. فان هاجك هيج فأننا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسيا فهم، فوالله لا يوصل إليك أبداً، وفيهم عين تطرف.

فجزاه الحسين وقومه خيراً وقال له: «إن بيننا وبين هؤلاء القوم قولاً لسنا نقدر معه على الإنصراف، ولا ندري: على م تتصرف بنا وبهم الأمور في عاقبة، فان يدفع الله عنا، فقدماً ما أنعم علينا وكفى، وان يكن ما لا بد منه ففور وشهادة».

وساير الطرماع الحسين، ثم ودّعه ووعدته أن يوصل (الميرة) إلى أهله، ويعود إلى نصره، فلما عاد بلغه خبر قتله في (عذيب الهجانات) فرجع إلى أهله.

٢٢ - القُطْقُطَانِيَّة (١)

وقد وصلها الامام يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من ذي الحجة الحرام. وقيل: أنه بهذا المكان التقى الامام عليه السلام بعبيد الله بن الحر الجعفي، ولكن القول

(١) موضع قرب الكوفة وهو يبعد عند الرهيمة حوالي عشرين ميلاً. (معجم البلدان ٤: ٣٧٤).

المشهور أنّه التقى به في قصر بني مقاتل^(١).

٢٣ - قصر بني مقاتل^(٢)

وفي يوم الأربعاء الأوّل من شهر محرم الحرام سنة إحدى وستّون وصل
الامام الى هذا المنزل^(٣).

وفيه رأى فسطاطاً مضروباً، ورمحاً مركزاً، وفرساً واقفاً.

فقال ﷺ: لمن هذا الفسطاط؟

فقال: هو لعبيد الله بن الحرّ الجعفي.

فبعث اليه الحجاج بن مسروق الجعفي. فسأله عبيد الله عمّا جاء به؟

فقال: هدية اليك وكرامة - إن قبلتها - هذا الحسين بن علي يدعوك
إلى نصرته، فإن قاتلت بين يديه أُجرت، وأن قُتلت استشهدت.

فقال عبيد الله: إنا لله وإنا اليه راجعون، والله ما خرجتُ من الكوفة إلا كراهية،
أن يدخلها الحسين، وأنا فيها لكثرة من رأيتُه خارجاً لمحاربتِه وخذلان شيعته،
فعلمتُ أنه مقتول، ولا أقدر على نصره، والله ما أريد أن أراه ولا يراني.

فأعاد الحجاج كلامه إلى الحسين ﷺ فقام - صلواتُ الله عليه - بنفسه ومشى
إليه في جماعةٍ من أهل بيته وصحبه، فدخل عليه الفسطاط، فوسّع له ابنُ الحرّ عن
صدر المجلس.

(١) الامام الحسين وأصحابه: ١٨٦.

(٢) ويقع بين منزلي عين النمر وقطقطانية، وقد اندثر القصر ولم يبق من اثره إلا شبهة تل، وفي
الموضع مسجد وأبنية قديمة وعين نابعة. وينسب هذا القصر إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة
بن أوس بن إبراهيم ابن أيوب، وكان يقال بعد: قصر ابن مقاتل، ويقولون: قصر بني مقاتل.
انظر: أنساب الأشراف ٤: ٥١٥.

(٣) الامام الحسين وأصحابه: ١٨٦.

يقول ابن الحر: ما رأيْتُ أحداً - قط - أحسن من الحسين، ولا أملاء للعين منه، ولا رققْتُ على أحدٍ رقتي عليه، حين رأيته يمشي والصبيانُ حوله، ونظرتُ إلى لحيته، فرأيْتُها كأنها جناح غراب. فقلت له: أسود أم خضاب؟ قال: يا ابن الحر، عجل عليَّ الشيب، فعرفت أنه خضاب.

ولما استقر المجلس بأبي عبد الله الحسين، حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «يا ابن الحر، إنَّ أهل مصركم هذا كتبوا إليَّ: انهم مجتمعون على نُصرتي، وسألوني القدوم عليهم، وليس الأمر على ما زعموا وإن عليك ذنباً كثيرة، فهل لك من توبة تمحو بها ذنوبك».

قال بن الحر: وما هي يا ابن رسول الله؟ فقال الحسين تنصر ابن بنت نبيك وتقاتل معه.

قال ابن الحر: والله، إنِّي لأعلم من شايعتك كان السعيد في الآخرة ولكن ما عسى أغني عنك، ولم أخلف لك بالكوفة ناصراً، فأنشدك الله أن تحملني على هذه الخطيئة، فإن نفسي لا تسمح بالموت، ولكن فرسي هذه (الحلقة) فاركبها، فوالله ما طلبتُ عليها شيئاً - قط إلا لحقته، ولا طلبني أحدٌ وأنا عليها إلا سبقته، فخذها فهي لك، فاركبها حتى تلحق بأمنك. وأنا لك بالعيالات حتى اردها إليك.

قال الحسين عليه السلام: «أما إذا رغبت بنفسك عنّا فلا حاجة لنا في فرسك ولا فيك: ﴿وما كنْتُمُ اتخذِ المضلِّينَ عِزّاً﴾ ولكن قرّ فلا لنا ولا علينا. فوالله لا يسمع واعيتنا أحدٌ ثم لا ينصرنا إلا أكبّه الله على وجهه في نار جهنم».

قال ابن الحر: أما هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله، ثم قام الحسين عليه السلام من عنده حتى دخل رحله.^(١)

(١) أقول: هذه القصة مستفيضة النقل بين عامة ارباب التاريخ والسير كالتطري في تاريخه (٥: ٤٠٧) وابن الاثير في كامله (٣: ٢٨٢) والبغدادى في خزانة الادب (١: ٢٩٨) =

عمرو بن قيس

وفي هذا الموضع اجتمع الإمام عليه السلام بـ «عمرو بن قيس المشرقي» وابن عمّه، فقال لهما الحسين: جئتما لنصرتي؟ فقالا له: انا كثيروا العيال وفي أيدينا بضائع للناس ولم ندر ماذا يكون ونكره أن نضيع الامانة .

فقال لهما عليه السلام: انطلقا فلا تسمعا لي واعية ولا ترياً لي سواداً فإنه من سمع واعيتنا أو رأى سوادنا فلم يجينا أو يغثنا كان حقاً على الله عز وجل أن يكتبه على منخريه في النار.^(١)

٢٤- نيفوى^(٢)

ولما كان آخر الليل أمر الحسين عليه السلام فتيانه بالاستقاء من الماء ثم ارتحل من

= والبلاذري في انسابه (٣: ١٧٤) والدينوري في الاخبار الطوال (٢٤٩) وابن اعثم في الفتوح (٥: ١٣٠) وغيرهم كثير باختلاف بسيط في النقل .

ولقد ذكر عامة المؤرخين وارباب الرجال ان عبيد الله بن الحر هذا ندم بعد ذلك على ما فاته من نصر الحسين عليه السلام فأنشأ يقول:

فيا لك حسرة ما دُمت حياً	تردد بين صدري والتراقي
حسين حين يطلب بذل نصري	على اهل الضلالة والشقاق
غداة يقول لي بالقصر قولاً	أتركنا وتزعم بالفراق
فلو فلق التلهف قلب حر	لهم اليوم قلبي بانفلاق
ولو واسيته يوماً بنفسي	لنلت كرامة يوم التلاق
مع ابن المصطفى نفسي فداه	تولى ثم ودع بانطلاق
لقد فاز الألى نصروا حسيناً	وخاب الآخرون ذووا النفاق

راجع: رجال السيد بحر العلوم ٣: ٦٩ - ٧٤. [البدر]

(١) عقاب الأعمال للصدوق: ١٣٥ .

(٢) ناحية من نواحي الكوفة. (معجم البلدان ٥: ٣٣٩) .

(قصر بني مقاتل).

قال عقبة بن سميان: فسرنا معه ساعةً فخفق عليه السلام برأسه خفقة ثم انتبه، وهو يقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين» - فعل ذلك مرّتين أو ثلاثاً.

فاقبل إليه ابنه علي بن الحسين الأكبر، فقال له: يا أبة، ممّ حمدت الله واسترجعت؟

قال الحسين: يا بني، إني خففتُ برأسي خفقة، فعنّ لي فارس على فرس، وهو يقول: «القوم يسرون والمنايا تسير اليهم» فعلمت أنها أنفسنا نُعيّت الينا. قال له ابنه: يا أبت - لا أراك الله سوءً - ألسنا على الحق؟ قال الحسين: بلى والذي إليه مرجع العباد. فقال: يا أبت، إذا لا بُالي أن نموت محقّين.

فقال له الحسين: جزاك الله من ولدٍ خير ما جرى ولداً عن والده.^(١)

قال المؤرخون: ولما طلع الفجر نزل الحسين وأهل بيته وأصحابه، فصلّى بهم صلاة الغداة، ثم عجل في الركوب، وأخذ يتياسر - والحرّ يسايره، ويحاول ردّه إلى الكوفة، والحسين عليه السلام يمتنع عليه امتناعاً شديداً - فلم يزالوا يتياسرون كذلك حتى انتهوا إلى (نينوى) فاذا راکبٌ على نجيب له وعليه السلاح متكبّ قوساً مقبل من الكوفة، فوقفوا جميعاً ينتظرونه، فلما انتهى اليهم عرفوه فاذا هو مالك بن النسر الكندي جاء وسلّم على الحرّ وأصحابه، ولم يسلم على الحسين وأصحابه، ودفع إلى الحرّ كتاباً من عبيد الله بن زياد، فاذا فيه:

«أما بعد، فجمعع بالحسين حين يبلغك كتابي هذا، ويقدم عليك رسولي، ولا تُنزله إلا بالعراء في غير خضرة وعلى غير ماء، وقد أمرتُ رسولي أن يلزمك ولا

يفارقك حتى يأتي بإفناذك أمري والسلام».

فقرأ الحرُّ كتاب ابن زياد على الحسين وأصحابه.

فقالوا: دعنا ننزل (نينوى أو الغاضريات أو شقية).

فقال: لا أستطيع، إن الرجل عينٌ عليّ.

فالتفت زهيرُ بن القين إلى الحسين عليه السلام وقال: يا ابن رسول الله، ان قتال هؤلاء

- الساعة - أهونُ علينا من قتال من يأتينا من بعدهم، فلعمري ليأتينا ما لا قبل لنا به.

فقال الحسين عليه السلام : ما كنتُ لأبدأهم بقتال حتى يبدؤوني .

فقال زهير: سر بنا - يا ابن رسول الله - إلى هذه القرية، فأنها حصينة، وهي

على شاطئ الفرات، فان منعونا قاتلناهم.

قال الحسين عليه السلام : ما أسمها؟

قال زهير: تسمى (العقر).^(١)

قال الحسين عليه السلام : اللهم إني أعوذ بك من (العقر).

قال زهير: فسر بنا يا ابن رسول الله - حتى ننزل (كربلاء) فأنها على شاطئ

الفرات. فنكون هناك، فان قاتلونا قاتلناهم واستعنا الله عليهم.

فعند ذلك دمت عينا الحسين عليه السلام ، وقال: «اللهم إني أعوذ بك من الكرب

والبلاء».^(٢)

(١) العقر - بالضم -: قرية قريبة من تلك القرى الثلاثة، كانت بها منازل بخت نصر، و(يوم

العقر) يوم مشهود عند العرب .

(٢) ارشاد المفيد : ٢١٠ .

الفصل الخامس

في كربلاء

أنزلوه بكربلاء وشادوا حوله من رماحهم أسوارا
لا دفاعاً عن الحسين ولكن أهل بيت الرسول صاروا أسارى
قال : ما هذه البقاع فقالوا كربلاء فقال: ويحك دازا
ها هنا يشربُ الثرى من دمانا ويثيرُ الجمادَ دمعُ العذارى
بالمصير المحتوم أنبأني جدي وهيئات أَدفعُ الأقدارا
إن خَلْتُ هذه البقاع من الأزهار تَمسي قبورُنَا أزهارا
أو نجومًا على الصعيد تهاوت في الدياجير تُطلعُ الأنوارا
تتلاقى الأكبادُ من كُلِّ صوبٍ فوقها والعيونُ تهيمُ اذكارا
مَنْ رآها بكى ومن لم يزرها حَمَلَّ الريحَ قلبه تذكارا
كربلاء !! ستصبحين محجاً وتصيرين كالهواء انتشارا

نزول الحسين عليه السلام في كربلاء

ثم سار عليه السلام والحرُّ يسايره ويُمَانعه - حتى اذا وصلوا كربلاء .

قال الحسين لأصحابه: أهذه كربلاء؟ قالوا: نعم يا ابن رسول الله.

قال: «هذا موضعُ كربٍ وبلاء» إنزلوا هاهنا محطَّ رجالنا، ومناخ ركابنا، ومقتل رجالنا، ومسفك دماننا، وهنا محلُّ قبورنا، بهذا حدَّثني جدي رسول الله صلى الله عليه وآله.

فنزل الحسين عليه السلام وضرب أبينته وأخبيته وضرب اصحابه أخبيتهم شرقي

خيام الحسين عليه السلام، وضرب بنو هاشم أخبيتهم في الجانب الغربي منها، وأحاطت خيام الجميع بخيمة الحسين عليه السلام.

وكان نزوله عليه السلام كربلاء، يوم الخميس، الثاني من المحرم، سنة إحدى وستين للهجرة.

يوم الثاني من محرم

وفيه بعث الحرّ بن يزيد الرياحي إلى ابن زياد كتاباً يُخبره فيه بنزول الحسين كربلاء.

دعاء الإمام عليه السلام

ثمّ جمع عليه السلام ولده وإخوته وأبناء إخوته وعموم أهل بيته، ونظر إليهم وبكى ثم قال: اللهم إنا عترتُ نبيك محمد صلى الله عليه وآله وقد أخرجنا وطردنا وأزعجنا عن حرم جدنا وتعدّت بنو أميّة علينا، اللهم فخذ لنا بحقنا، وأنصرنا على القوم الظالمين».

خطبة الإمام عليه السلام

ثم أقبل الإمام عليه السلام على أصحابه وخطبهم، فقال:

«الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معائشهم، فاذا مُحْصوا بالبلاء قلّ الديّاثون».

ثمّ حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وآله وقال :

«أما بعد، فإنّه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تغيّرت، وتنكرت، وأدبر معروفها، واستمرت حذاء، ولم يبق منها إلّا صُبابة كصباية الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا

يُتَنَاهَى عنه؟ ليرغب المؤمن في لقاء ربه مُحَقَّقاً، فَإِنِّي لَا أَرَى الموت إِلَّا سَعَادَةً، والحياة مع الظالمين إِلَّا بَرَمًا»^(١).

فقام زُهَيْرُ بن القَيْنِ البجلي، وقال: «قد سمعنا - يا ابن رسول الله - مقاتلك، ولو كانت الدنيا باقية وكُنَّا فيها مُخَلَّدِينَ لَأَثَرْنَا النهوض معك على الإقامة فيها».

وقال بَرِير بن خُضَيْر^(٢): «يا ابن رسول الله لقد منَّ الله بك علينا أَنْ نقاتل بين يديك، تَقَطَّعَ فيكَ أَعْضَاؤُنَا ثُمَّ يَكُونُ جَدَّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ أَيْدِينَا شَفِيعاً لَنَا، فَلَا أَفْلَحَ قَوْمٌ ضِيعُوا ابْنَ بَنْتِ نَبِيهِمْ، وَوَيْلٌ لَهُمْ مَاذَا يَلْقَوْنَ بِهِ اللَّهِ، وَأُفٍّ لَهُمْ يَوْمَ يَنَادُونَ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»^(٣).

وقال نافع بن هلال: «أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ جَدَّكَ رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَشْرِبَ النَّاسَ مَحَبَّتَهُ وَلَا أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى أَمْرِهِ مَا أَحَبَّ وَقَدْ كَانَ مِنْهُمْ مَنَافِقُونَ يَعِدُونَهُ بِالنَّصْرِ وَيَضْمُرُونَ لَهُ الْغَدْرَ يَلْقَوْنَهُ بِأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَيَخْلَفُونَهُ بِأَمْرٍ مِنَ الْحَنْظَلِ حَتَّى يَقْبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَإِنَّ أَبَاكَ عَلِيّاً كَانَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، فَقَوْمٌ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى نَصْرِهِ وَقَاتَلُوا مَعَهُ النَّكَثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ حَتَّى أَتَاهُ أَجَلُهُ، فَحَضَى إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ. وَأَنْتَ الْيَوْمَ عِنْدَنَا فِي مِثْلِ تِلْكَ الْحَالَةِ، فَمَنْ نَكَثَ عَهْدَهُ وَخَلَعَ بَيْعَتَهُ فَلَنْ يَضُرَّ إِلَّا نَفْسَهُ وَاللَّهُ مَغْنٍ عَنْهُ، فَسِرْ بِنَا رَاشِداً مُعَافِياً مَشْرِقاً إِنْ شِئْتَ أَوْ مَغْرِباً، فَوَاللَّهِ مَا أَشْفَقْنَا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ، وَلَا كَرِهْنَا لِقَاءَ رَبِّنَا وَإِنَّا عَلَى نِيَاتِنَا وَبَصَائِرِنَا

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٠٣.

(٢) هو: بَرِير بن خُضَيْرِ الهمداني المشرقي، وبنو مشرق بطن من همدان، كان شيخاً تابعياً ناسكاً قارئاً للقرآن من شيوخ القراء، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان من أشراف أهل الكوفة من الهمدانيين، قُتِلَ بين يدي الحسين عليه السلام بعد أن أبلى بلاءً حسناً. راجع: إيصار العين للسماعي: ٧٠، أنصار الحسين لشمس الدين: ٧٦ - ٧٧.

(٣) الملهوف: ٤٤.

نوالي من والاك ونعادي من عاداك» (١).

ومقوّضين تحمّلوا وعلى
ركبوا إلى العزّ الردى وحدا
وبهم ترامت للعلی شرفاً
نزلوا بأكناف الطقوف ضحى
بأماجد من دونهم وقفوا
وعلى الظما وردّوا بأفئدة
في موكب تكبو الأسود به
فاض النجیع وخیلهم سفن
وعجاجة كالليل يصدعها
بخلوا على الدنيا بأنفسهم
ولآل حرب ثار بعدهم
جاءت وقائدها العمى وإلى
بجحافل بالطف أولها
ملؤا القفار على ابن فاطمة
نصروا يزيد وأحمداً خذلوا
حتى اغتدى بالثرب بينهم
تروى الأسنة من دماه وما
عجباً لهم آمنوا العذاب وقد
أيموت سرّ الكون بينهم

مسراهم المعروف مرتحل
للموت فيهم سائق عجل
إبل المنايا السود، لا الإبل
وإلى الجنان عشية رحلوا
وبحبهم أرواحهم بذلوا
حرى كأن لها الطبی نهل
ويزل من زلزاله الجبل
وحى الوطيس وسمرهم ظل
عن قضبهم ووجوههم شعل
وعلى الردى جادوا بما بخلوا
من آل طه الفارس البطل
حرب الحسين يقودها الجهل
وأخيرها بالشام مُصل
جند وملؤ قلوبهم دحل
الله من نصروا ومن خذلوا
نهب الصوارم، وهو مُنجدل
لأوام غلة صدره بلل
علموا هناك عظيم ما عملوا
والكون ليس يحله الأجل

(١) مقتل الحسين للمقرّم: ١٩٥.

وشوامخُ العلياء من مضرٍ أودى بهنّ الفادحُ الجلل
فهوت لهنّ على الثرى هُضْبُ وسمت لهنّ على القنا قُلل
والأرضُ راكدةُ الجوانب لا يندكُ منها السهلُ والجبلُ
ورؤوسُ أوتاد البلاد ضُحَى ناءت بها العسّالة الذُبلُ
لا كالأهله بل شמושُ عُلَى بسماء مجدٍ أفقُها الأسْلُ
أسرى على هُزل الجمال وقد عزّ الحمى ودموعُها بلل
لا من بني عدنان يلحظها ندبٌ ولا من هاشمٍ بطل^(١)

يوم الثالث من محرم

رسالة الإمام الحسين عليه السلام الى أهل الكوفة : وكتب عليه السلام حين نزوله (كربلاء) إلى كبار شيعته من أهل الكوفة كتاباً جاء فيه :

«بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي الى سليمان بن صرد والمسيّب بن نجبة ورفاعة بن شداد، وحبيب بن مظاهر، وعبد الله بن وال، والشيعه من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة:

أما بعد، أنتم تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال في حياته : «مَنْ رَأَى سُلْطَاناً جائِراً، مُسْتَحِلاًّ لحرام الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُعَيَّر عليه بفعلٍ ولا قولٍ، كان حقاً على الله أن يُدخله مدخله». ألا وإنّ هؤلاء القوم (بني أميّة) قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة

(١) من قصيدة عصماء للحاج حمادي الكوازي الحلبي المتوفي سنة ١٢٨٣ : قيل: إنّه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك فهو نابغة الأدب، وفارس حلبات الشعر، وله ديوان شعر حافل بصنوف الشعر وفنون الأدب ومراثي الأئمة الأطهار .

الرحمان، وأظهروا الفسادَ، وعطلّوا الحدودَ، واستأثروا بالقيءِ، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله.

وأنا أحقُّ بهذا الأمر ممّن غير، وقد أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم ببيعتكم أنكم لا تُسلموني ولا تخذلوني .

فان تمتمت عليّ بيعتكم تُصيبوا رشدكم. وأنا الحسينُ بن علي وابنُ فاطمة بنت رسول الله ﷺ نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهاليكم وأولادكم، ولكم فيّ أسوة.

وان لم تفعلوا ونقضتم عهدي وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بُنكر، لقد فعلتوها بأبي وأخي وابن عمي مسلم بن عقيل، والمغرور من اغترّ بكم، فحظّكم أخطأتم، ونصيبكم ضيّعتم: ﴿وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ ، وسيُغني الله عنكم والسلام»^(١).

ثم أعطى الرسالة إلى قيس بن مسهر الصيداوي^(٢)، وعندما علم بمصرع قيس قال : «اللهم اجعل لنا ولشيعتنا منزلاً كريماً عندك، واجمع بيننا وإياهم في مستقر رحمتك»^(٣).

(١) تاريخ الطبري ٦: ٢٢٩، الكامل لابن الأثير ٤: ٢١، وذكرت مصادر أخرى أنّ الإمام ألقى هذه الكلمات حين خطب القوم في البيضة .

(٢) لقد مرّ بك سابقاً أنّ الإمام كتب رسالة في منزل الحاجر وأعطاهها إلى قيس أو عبدالله بن يقطر، والظاهر أنّ الرسالة السابقة أعطاهها إلى أخيه في الرضاة عبدالله بن يقطر، أما هذه الرسالة فقد أعطاهها إلى قيس بن مسهر الصيداوي .

(٣) الارشاد للمفيد : ٢٢٠، حياة الإمام الحسين ٣: ٦٢، بحار الأنوار ٤٤: ٣٨١.

وقد ذكر الطبري هذه الخطبة في ذي حسم، بينما ذكرها آخرون حين ورود الإمام عليه السلام إلى كربلاء .

رسالة عبيد الله بن زياد

عندما علم ابن زياد بوصول الحسين عليه السلام الى كربلاء (وذلك من خلال رسالة الحر إليه)، قام فكتب كتاباً إلى الحسين جاء فيه:

«أما بعد، يا حسين فقد بلغني نزولك كربلاء، وقد كتب إليّ أمير المؤمنين يزيد أن لا أتوسّد الوثير، ولا أشبع من الخمير، أو ألحقك باللطيف الخبير، أو تنزل على حكمي وحكم يزيد والسلام».

فلما ورد كتابه على الحسين عليه السلام وقرأه، رماه من يده، ثم قال: «لا أفلح قومٌ اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق».

وطالبه الرسول بجواب الكتاب. فقال عليه السلام: «ماله عندي جواب لأنه حقّت عليه كلمة العذاب» فرجع الرسول إلى ابن زياد، فأخبره بمقالة الحسين، فاشتدّ غضبه، وأخذ يتهيأ لحرب الحسين ومناظرته.^(١)

قال أرباب السير: وكان ابن زياد قد بعث عمر بن سعد - قبيل شهر المحرم - قائداً على أربعة آلاف إلى (ثغر دستبي) لأن (الديلم) قد غلبوا عليها، وكتب له عهداً بولاية (الري) و(ثغر دستبي) و(الديلم) فعسكر ابنُ سعد في (حمّام أعين)^(٢).

(١) كشف الغمّة ٢: ٤٧.

(٢) الرّي - بتشديد الراء - من بلاد فارس، لم تكن مدينة في الشرق أعمر منها، وإن كانت نيسابور أكبر رقعة منها، وهي عجيبة في الحسن والجمال.

و (دستبي) - بالفتح فالسكون فالفتح - : كورة كبيرة كانت مقسومة بين الري وهمذان، فقسم منها يسمى (دستبي الري) وهو يقارب التسعين قرية، وقسم منها يسمى (دستبي همذان) وهو عدّة قرى.

و (الديلم) - بالفتح فالسكون - : جيل من الناس، سمّوا بأرضهم في قول بعض اهل الأثر، وديلم: اسم ماء لأهل عبس.

فلما كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان دعاه ابن زياد، وقال له: سر إلى الحسين، فإذا فرغنا مما بيننا وبينه سرت إلى عملك.

فاستعفاه عمر بن سعد من ذلك.

فقال ابن زياد: نعم على أن تردّ لنا عهدنا الذي كتبناه لك.

فلما قال له ذلك استمهله ابنُ سعد يوماً، لينظر في الأمر ويأتيه بالجواب في اليوم الثاني.

فظلّ طوال ذلك اليوم بليّته يستشير نصحاءه، فكلّهم نهاه عن الاقدام على حرب الحسين عليه السلام .

وممن أتاه ابن أخته حمزة بن المغيرة بن شعبة لما سمع بذلك، فقال له - مما قال - «أنشدك الله أن لا تسير إلى الحسين، فتأثم وتقطع رحمك، فوالله لئن تخرج من دنيك ومالك وسلطان الأرض كلّها خيرٌ لك من أن تلقى الله بدم الحسين بن فاطمة».

فقال ابن سعد: أفعل وبات ليلته تلك قلقاً مفكراً في أمره وسمع في اخريات الليل - وهو يقول:

أأترك مُلك الرّي، والرّي مُنيّتي أم أرجع مأثوماً بقتل حسين
وفي قتله النار التي ليس دونها حجابٌ ومُلْكُ الرّي قُرّةُ عيني
وعند الصباح أتى ابنُ زياد، فقال له: «أيّها الأمير، إنك وليّتي هذا العمل
وسمع به الناس، فان رأيت أن تُنفذه لي فافعل وتبعث إلى قتال الحسين من أشرف

= و (حاتم أعين) - بالتشديد -: بالكوفة منسوب إلى أعين - بفتح الباء - مولى سعد بن أبي وقاص، وذكر هذا المكان في الأخبار مشهور. (عن معجم البلدان باختصار).

الكوفة من لست أغنى في الحرب منه وسمي له أناساً.
فقال له ابن زياد: لست أستأمرك في من أريد أن أبعث فان سرت بجندنا،
وإلا فابعث الينا بعهدنا.

قال ابن سعد: فاني سائر إليه غداً. فأقبل في أربعة آلاف حتى نزل بالحسين
من الغد، أي في اليوم الثالث من المحرم.

شراء الأراضي

ومن الامور التي حدثت يوم الثالث من محرم وتستحق الذكر، هي قيام
الامام الحسين عليه السلام بشراء قسم من الاراضي في كربلاء ومن ضمن هذه الأراضي
القبر الذي دفن فيه، وقد اشتراها الامام الحسين بمبلغ ستين ألف درهم، وشرط فيها
السماح لزواره بزيارة قبره عليه السلام، وان يبقى الزوار ثلاثة ايام في ضيافته.^(١)

ذكاء أصحاب الإمام عليه السلام

في اليوم الثاني من نزول ابن سعد (كربلاء) أراد أن يبعث إلى الحسين رسولاً
ليسأله: ما الذي جاء به إلى هذا الموضع؟ فعرض ذلك على جماعة من الرؤساء -
منهم عزرة بن قيس الأحمسي - فكلهم أبى ذلك استحياءً من الحسين لأنهم كاتبوه.
فقام إليه كثير بن عبد الله الشعبي - وكان فارساً شجاعاً ليس يرد وجهه
شيء - فقال: أنا أذهب اليه، وان شئت لأفتكن به.

فقال ابن سعد: ما أريد أن تفتك به، ولكن آتة فسله: ما الذي جاء به؟

فأقبل كثير، فلما رآه أبو ثمامة الصائدي قال للحسين:

«أصلحك الله يا ابا عبد الله، جاءك شر أهل الأرض، وأجرأهم على دم،

(١) الامام الحسين وأصحابه: ٢٢٢.

وأفتكهم».

فقام إليه أبو ثمامة وقال له: ضع سيفك.

قال كثير: لا والله ولا كرامة إنما أنا رسول، فان سمعتم مني بلغتكم ما أرسلتُ به اليكم، وإلا انصرفتُ عنكم.

قال له أبو ثمامة: فأخذ بقائم سيفك ثم تكلم بحاجتك؟

قال كثير: لا ولا تمسه.

قال أبو ثمامة: أخبرني بما جئت به وأنا أبلغه عنك ولا أدعك تدنو منه، فانك فاجر.

فعند ذلك استبأ، ورجع كثير إلى ابن سعد فأخبره الخبر.

فدعا ابن سعد: قُرّة بن قيس الحنظلي، وقال له: ويحك يا قُرّة، إلقِ حسيناً فسله عما جاء به وماذا يريد؟

فجاء قُرّة نحو الحسين، فلما رآه مقبلاً، التفت إلى أصحابه وقال: أتعرفون هذا؟

فقال حبيب بن مظاهر: هذا رجل من حنظلة تميم، وهو ابن اختنا، ولقد كنت أعرفه بحسن الرأي، وما كنت أراه يشهد هذا المشهد.

فجاء وسلّم على الحسين، وبلغه رسالة عمر بن سعد.

فقال الحسين: كتب إليّ أهل مصركم: أن أقدم، فأما إذا كرهتموني فاني أنصرف عنكم من حيث جئت.

والتفت حبيب إلى الرسول وقال له: ويحك يا قُرّة، أين ترجع، إلى القوم الظالمين؟ أنصر هذا الرجل الذي بآبائه آتاك الله الكرامة.

فقال له قُرّة: أرجع إلى صاحبي بجواب رسالته وأرى رأيي.

ثم انصرف إلى ابن سعد فأخبره الخبر .
فقال ابن سعد: أرجو أن يعافيني الله من أمره. ^(١)

رسالة عمر بن سعد

وكتب عمر بن سعد إلى ابن زياد بذلك كتاباً جاء فيه:

«أما بعد فاني حيث نزلت بالحسين بن علي بعثتُ إليه رسولي، فسألتَه عمّا أقدمه وماذا يطلب؟ فقال: كتب إليّ أهل هذه البلاد، وأتتني رسلهم يسألوني القدوم ففعلت، فأما إذا كرهوني وبدا لهم غير ما أتتني به رسلهم فأنا منصرفٌ عنهم». قال حسان بن قائد العبسي: وكنت عند عبدالله بن زياد حين أتاه هذا الكتاب فلما قرأه أشد:

الآن إذ علقت مخالبتنا به يرجو النجاة ولات حين مناص ^(٢)

رسالة عبيدالله إلى عمر بن سعد

وكتب إلى ابن سعد كتاباً جاء فيه:

«أما بعد، فقد بلغني كتابك، وفهمتُ ما ذكرت، فأعرض على الحسين أن يبايع ليزيد بن معاوية هو وجميع أصحابه، فإذا فعل ذلك رأينا فيه رأينا والسلام». فلما وصل الكتاب إلى عمر بن سعد قال: قد خشيت أن لا يقبل ابن زياد العافية. ^(٣)

ولم يعرض ابن سعد على الحسين ﷺ بيعة يزيد لأنه علم أن الحسين لا

(١) الارشاد: ٢١٠.

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٣٨٥.

(٣) الارشاد: ٢١٠ - ٢١١، بحار الأنوار ٤٤: ٣٨٥.

يُجيبه إلى ذلك أبداً.

طمعت أن تسومه القومُ ضيماً وأبى الله والحسامُ الصنيعُ
كيف يلوي على الدنية جيداً لسوى الله ما لواه الخضوع
فأبى أن يعيش إلا عزيزاً أو تجلّى الكفاح وهو صريع
فتلقى الجموعَ فرداً ولكن كلّ عضو في الروع منه جموع

اليوم الرابع من محرّم

في هذا اليوم جمع ابن زياد الناس في جامع الكوفة، ثم خرج وصعد المنبر، وقال - بعد أن حمد الله واثنى عليه - :

«أيّها الناس، إنكم قد بلوتم آل أبي سفيان فوجدتموهم كما تُحبّون، وهذا أمير المؤمنين يزيد قد عرفتموه حسن السيرة، محمود الطريقة، ميمون النقيبة، مُحسناً إلى الرعيّة، يُعطي العطاء في حقه، وقد أمنت السبيل على عهده، وأطفئت الفتنة بجهدّه، وكذلك كان أبوه معاوية في عصره، وهذا ابنه يزيد من بعده يُكرم العباد، ويُدينهم بالأموال، ويزيدهم بالكرامة، وقد زادكم في أرزاقكم مائة مائة، وأمرني أن أوفّرّها عليكم، وأمركم أن تخرجوا إلى حرب عدوّ الحسين بن علي، فاسمعوا له وأطيعوا».

ثم نزل عن المنبر ووفّر العطاء لأهل الشام، ونادى فيهم بالخروج إلى عمر بن سعد والالتحاق بجيشه ليكونوا عوناً له في قتل الحسين عليه السلام، وتحرك هو وقواده إلى النخيلة، بينما ذهب الحصين بن نمير وحجار بن أبجر وشبث بن ربعي وشمر بن ذي الجوشن إلى كربلاء لمساعدة عمر بن سعد في قتاله للحسين عليه السلام. (١)

(١) الأخبار الطوال: ٢٥٤.

اليوم الخامس من محرم

وهو اليوم الذي يصادف يوم الأحد، وفيه خرج ابن زياد إلى النخيلة، وعسكر فيها وقد طلب من شيبث بن ربعي الالتحاق بابن سعد، فاعتل شيبث بالمرض^(١)، فأرسل إليه: أن رسولي يخبرني بتمارضك وأخاف أن تكون من الذين إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا ائنما نحن مستهزؤن، فإن كنت في طاعتنا فأقبل مسرعاً، فأتاه بعد العشاء لئلا ينظر إلى وجهه فلم يجد عليه أثر العلة وواقفه على ما يريد^(٢).

وجعل عبيد الله بن زياد زجر بن قيس الجعفي على مسلحة في خمسمائة فارس، وأمره أن يقيم بجسر الصراة يمنع من يخرج من الكوفة يريد الحسين عليه السلام، فمر به عامر بن أبي سلامة بن عبد الله بن عرار الدلاني^(٣) فقال له زجر: قد عرفت حيث تريد فارجع، فحمل عليه وعلى أصحابه فهزمهم ومضى وليس أحد منهم

= وقال بعض أرباب السير: إن ابن زياد خرج بعد ذلك إلى «النخيلة» وعسكر فيها، واستخلف على الكوفة من قبله عمرو بن حريث، وأخذ يحفز الناس إلى الالتحاق بعمر بن سعد وصدر إنذاراً عاماً نودي به في سكك الكوفة ونواحيها هذا نصه: «لا يبقى رجل من العرفاء والمناكب والتجار والسكان إلا خرج فعسكر معي، وأيما رجل وجدناه بعد يومنا هذا متخلفاً عن المعسكر إلا برئت الذمة منه». انظر: أنساب الأشراف للبلاذري ٣٣: ١٧٨.

وقال البلاذري - بعد هذا - : ثم إن ابن زياد أمر القعقاع بن سويد بن عبد الرحمن المنقري بالتطواف بالكوفة في خيل، فوجد رجلاً من همدان قد قدم يطلب ميراثاً له بالكوفة، فأتى به ابن زياد، فقتله، فلم يبق بالكوفة محتلم إلا خرج إلى المعسكر بالنخيلة.

(١) الاخبار الطوال: ٢٥٣.

(٢) عوالم العلوم ١٧: ٢٣٧.

(٣) دلالن بطن من همدان منهم عرار - بضم العين - وهو عرار بن رؤاس بن دالان بن جبيش بن ماشبح بن وادعة، وفي جمهرة أنساب العرب لابن حزم: ٣٢١ ذكر نسب وادعة.

يطمع في الدنو منه، فوصل كربلاء ولحق بالحسين عليه السلام حتى قتل معه، وكان قد شهد المشاهد كلها مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.^(١)

عدد الجيش المحارب للحسين

فعند ذلك خرج شمر بن ذي الجوشن السلولي في أربعة آلاف والحسين بن نمير السكوني في أربعة آلاف ومضاير بن رهينة في ثلاثة آلاف وكعب بن طلحة في ثلاثة آلاف ويزيد بن الركاب في ألفين ونصر بن حرشة في ألفين وحجار بن أبجر العجلي في ألف، وشبث بن ربعي في ألف فصار ابن سعد في خمسة وعشرين ألفاً.^(٢)

كما جاءت بذلك الرواية عن الامام زين العابدين عليه السلام - فانه قال: «لا يوم كيوم الحسين، أزدلف اليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنهم من هذه الأمة، كل يتقرب إلى الله بدمه، وهو بالله يذكرهم فلا يتعظون حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً».

وعن الامام الصادق عليه السلام: أنه قال: «دخل الحسين - يوماً - على أخيه الحسن، فلما نظر اليه بكى، فقال الحسن: ما يُبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: أبكي لما يُصنع بك».

فقال الحسن عليه السلام: ان الذي يُؤتي اليّ سُمُ فاقتل به. ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل، يدعون أنهم من أمة جدك محمد صلى الله عليه وآله وينتحلون دين الاسلام، فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبي

(١) الأكليل للهمداني ١٠: ٨٧ و ١٠١.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٩٨، بحار الأنوار ٤٤: ٣٨٦.

ذرائك ونسائك وانتهاج ثقلك».

وهذه أقل الروايات المعتبرة الواردة في عدد الجيش الزاحف لحرب الحسين عليه السلام وقيل: أكثر من ذلك.

ملؤ القفار على ابن فاطمة جنّد وملؤ صدورهم دُحُلُ
جاءت وقائدها العمى وإلى حرب الحسين يسوقها الجهلُ
بجحافلٍ بالطف أولها وأخيرها بالشام متّصل^(١)

اليوم السادس من محرم

وما زال ابن زياد رابضاً في النخيلة يُرسل العساكر إلى ابن سعد حتى تكامل عنده في اليوم السادس من المحرم ثلاثون ألفاً بين فارس وراجل .

ثم كتب ابن زياد إلى ابن سعد من النخيلة: «إني لم أجعل لك علةً في كثرة الخيل والرجال فانظر إني لا أصبح ولا أمسي إلّا وخبرك عندي غدوةً وعشية».

وكان يستحثه على الحرب بعد إلتمام العساكر عنده لستّة أيام مضين من المحرم.

الوضع النفسي لجيش ابن زياد

نظراً لاعتقاد أكثرية جيش ابن زياد بأنّ الحرب مع الحسين عليه السلام هي حرب مع الله ورسوله، فقد هربت الأكثرية الساحقة من جيش ابن زياد، ولاذ الكثيرون منهم بالانهزام فراراً من حرب سبط رسول الله صلى الله عليه وآله .

يقول البلاذري: إنّ القائد يكون على ألف مقاتل لا يصل إلى كربلاء إلّا ومعه

(١) أبيات من قصيدة رائعة للشاعر الحاج حمادي الكوازي الحلبي المتوفي سنة ١٢٨٣ هـ .

ثلاث مائة أو أربع مائة أو أقل من ذلك، فقد كانوا يفرون كراهة منهم لهذا الوجه .
لقد كانوا على يقين لا يخامره أدنى شك بضلال هذه الحرب وأنهم إنما يحاربون الله ورسوله، ويقاتلون من أمروا بمودّته وطاعته .^(١)

رسالة الامام عليه السلام إلى محمد بن الحنفية من كربلاء

يقول الإمام الباقر عليه السلام: وقد ارسل الإمام الحسين من كربلاء رسالة إلى محمد بن الحنفية يقول فيها :

«بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم، أما بعد، فكأن الدنيا لم تكن وكأن الآخرة لم تزل والسلام»^(٢)

بني أسد ونصرة الامام

وأقبل حبيب بن مظاهر إلى الحسين عليه السلام فقال: يا ابن رسول الله ها هنا حي من بني أسد بالقرب ممّا أتأذن لي في المصير إليهم فأدعوهم إلى نصرتك، فعسى الله أن يدفع بهم عنك، قال: قد أذنت لك، فخرج حبيب إليهم في جوف الليل متنكراً حتى أتى إليهم فعرّفوه أنّه من بني أسد، فقالوا: ما حاجتك ؟

فقال: إنّي قد أتيتكم بخير ما أتى به وافدٌ إلى قوم، أتيتكم أدعوكم إلى نصر ابن بنت نبيّكم فإنّه في عصاة من المؤمنين الرجل منهم خير من ألف رجل، لن يخذلوه ولن يسلموه أبداً، وهذا عمر بن سعد قد أحاط به، وأنتم قومي وعشيرتي، وقد أتيتكم بهذه النصيحة فأطيعوني اليوم في نصرته تتالوا بها شرف الدنيا والآخرة، فأنّي أقسم بالله لا يقتل أحد منكم في سبيل الله مع ابن بنت رسول الله صابراً

(١) حياة الامام الحسين عليه السلام ٣: ١١٨ .

(٢) كامل الزيارات: ٧٥ .

محتسباً إلا كان رفيقاً لمحمد ﷺ في عليّين .

قال : فوثب إليه رجل من بني أسد يقال له عبدالله بن بشر فقال : أنا أول من يجيب إلى هذه الدعوة ، ثم جعل يرتجز ويقول :

قد علم القوم إذا تواكلوا وأحجم الفرسان إذ تناقلوا
أنّي الشجاع البطل المقاتل كأئني ليث عرين باسل

ثم تبادر رجال الحي حتى التأم منهم تسعون رجلاً فأقبلوا يريدون الحسين ﷺ وخرج رجل في ذلك الوقت من الحي حتى صار إلى عمر بن سعد فأخبره بالحال ، فدعا ابن سعد برجل من أصحابه يقال له الأزرق فضمّ إليه أربعمئة فارس ووجه به نحو حي بني أسد ، فبينما أولئك القوم قد أقبلوا يريدون عسكر الحسين ﷺ في جوف الليل ، إذ استقبلهم خيل ابن سعد على شاطئ الفرات ، وبينهم وبين عسكر الحسين اليسير ، فناوش القوم بعضهم بعضاً واقتتلوا قتالاً شديداً ، وصاح حبيب بن مظاهر بالأزرق : ويلك ما لك وما لنا انصرف عنا ، ودعنا يشقى بنا غيرك ، فأبى الأزرق أن يرجع ، وعلمت بنو أسد أنه لا طاقة لهم بالقوم ، فانهزوا راجعين إلى حيّهم ، ثم إنهم ارتحلوا في جوف الليل خوفاً من ابن سعد أن يبيتهم ورجع حبيب بن مظاهر إلى الحسين ﷺ فخبّره بذلك فقال ﷺ : لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم. (١)

اليوم السابع من محرم

وفيه أمر ابن زياد بمنع الماء عن الحسين ﷺ وأصحابه ، فقد ورد كتاب من ابن زياد في الأثر إلى ابن سعد يذكر فيه : «أما بعد ، فحل بين الحسين وأصحابه وبين

(١) مقتل الخواريزمي ١ : ٢٤٣ ، بحار الأنوار ٤٤ : ٣٨٤ .

الماء، ولا يذوقوا منه قطرة، كما صُنِعَ بالزكي المظلوم عثمان»^(١).

فبعث ابن سعد في الوقت عمرو بن الحجاج الزبيدي في خمسمائة فارس، فنزلوا على الشريعة، وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء، ومنعواهم أن يُسْقُوا منه قطرة، وذلك قبل مقتل الحسين بثلاثة أيام.

في هذه الاثناء كان أحد مجرمي جيش ابن زياد يدعى عبدالله بن الحصين من قبيلة بجيلة، تقدم نحو الامام عليه السلام ونادى: «يا حسين ألا تنظر إلى الماء كأنه كبَد السماء، والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً».

فرفع الامام يديه بالدعاء عليه وقال: «اللهم اقتله عطشاً، ولا تغفر له أبداً»^(٢). يقول حميد بن مسلم: والله، لقد ذهبت الى عبدالله بعد المعركة، وكان مريضاً، وكان مرضه العطش، فكان يشرب الماء ولا يرتوي، وكان يصيح: العطش قد قتلني، إلى أن هلك.

اليوم الثامن من محرّم

قالوا: ولما أضرَّ العطش بالحسين ومَن معه من أهل بيته وأصحابه، أخذ فأساً وجاء إلى وراء خيمة النساء، فخطأ في الأرض تسع عشرة خطوة نحو القبلة، ثم احتفر هنالك، فنبتت له عين من الماء العذب، فشرب الحسين وشرب أهل بيته وأصحابه بأجمعهم، وملأوا أسقيتهم، ثم غارت العين فلم يُر لها أثر.

وبلغ ذلك عبيد الله بن زياد، فكتب إلى ابن سعد كتاباً جاء فيه: «بلغني أن الحسين يحفر الآبار ويصيب الماء، فيشرب هو وأصحابه، فانظر اذا ورد عليك

(١) أنساب الأشراف ٣: ١٨٠.

(٢) الارشاد للمفيد ٢: ٨٦.

كتابي هذا فامنعهم من حفر الآبار ما استطعت وضيّق عليهم، ولا تدعهم أن يذوقوا من الماء قطرةً، وأفعل بهم كما فعلوا بالزكيّ عثمان والسلام».

فعند ذلك ضيّق ابن سعد على الحسين وأهل بيته وأصحابه غاية التضييق.^(١)

يزيد بن الحسين وعمر بن سعد

وأنكر جماعة من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وغيرهم على ابن سعد منعه الماء عن ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد كان ذلك أحط أسلوب في الانتقام، فقد أشرف أطفال الحسين على الهلاك وهم يرون الماء أمامهم، وليس هناك من سبب يدعو إلى هذا الانتقام إلاّ الخسّة والوحشية المتأصلة في نفوس ذلك الجيش، ومن بين المنكرين عليه يزيد بن الحصين، فقد خرج وقال لابن سعد: هذا الفرات تشرب منه الكلاب، وهذا الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عطاشى وأنت تزعم أنك تعرف الله ورسوله؟!

وأطرق ابن سعد بوجهه الخبيث الى الأرض، ولم يتكلم بشيء.^(٢) وانطلق برير بن خضير الهمداني نحو ابن سعد فرفع صوته قائلاً: «يا عمر، أترك بيت النبوة يموتون عطشاً، وحلت بينهم وبين الفرات أن يشربوا منه، وتزعم أنك تعرف الله ورسوله».

فأجابه ابن سعد: أني والله أعلم يا برير أن قاتلهم في النار، ولكن تشير عليّ أن أترك ولاية الري فتصير إلى غيري، ما أجد نفسي تجيبني إلى ذلك أبداً.^(٣)

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٢٤٤.

(٢) أخبار الدول للقرماني: ١٠٨، مطالب السؤول: ٧٦.

(٣) الفتوح ٥: ١٧٢.

جلب ماء الفرات

والتاع الامام عليه السلام كأشد ما تكون اللوعة ألماً ومحنة حينما رأى أطفاله وأهل بيته وهم يستغيثون من الظمأ القاتل، فندب أخاه وابن والده ابا الفضل العباس لتحصيل الماء، فأنبى البطل العظيم، وصحب معه ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً، وحمل معهم عشرين قرية، واقتحموا بأجمعهم نهر الفرات، وقد تقدّمهم نافع بن هلال المرادي، فاستقبله عمرو بن الحجاج الزبيدي، وكان هو المسؤول عن حراسة الفرات، فقال له: ما جاء بك ؟

فقال نافع: جئنا لنشرب من هذا الماء الذي حلاّتونا عنه .

فقال: اشرب هنيئاً .

قال: أفأشرب والحسين عطشان ومن ترى من أصحابه ؟

فقال عمرو : لا سبيل إلى سقي هؤلاء، أنما وضعنا بهذا المكان لنمنعهم الماء .

ولم يحفل به اصحاب الامام، فاقتحموا الفرات ليملأوا قريهم، فثار عليهم عمرو بن الحجاج مع مفرزة من جنوده، والتحم معهم العباس ونافع بن هلال، ودارت بينهم معركة إلا أنه لم يقتل فيها أحد وعاد أصحاب الامام بعد أن ملأوا قريهم من الماء .

وقيل: أنهم لم يعودوا إلا بشيء يسير منه .

وروى العباس عطاشى أهل البيت وأنقذهم من الظمأ، ولقب من ذلك اليوم بالسقاء، وهو من أشهر ألقابه ذيو عاً، ومن أحبها عنده .^(١)

(١) مقاتل الطالبين: ١١٧، نفس المهموم: ٢١٩، حياة الامام الحسين ٣: ١٤١ .

الحسين وابن سعد يجتمعان بين العسكرين

قالوا: وأرسل الحسين عليه السلام إلى ابن سعد يطلب الاجتماع معه ليلاً بين العسكرين.

فخرج كلُّ منهما في عشرين فارساً. وأمر الحسين من معه أن يتأخر إلا أخاه العباس وابنه علي الأكبر. وفعل ابنُ سعد مثل ذلك، فبقي معه ابنه حفص و غلام له يقال له (لاحق).

فلما استقرَّ المجلس بهما، التفت الحسين إلى ابن سعد وقال له: يا ابن سعد، أتقاتلني وأنا ابن من علمت، ألا تكون معي وتدع هؤلاء، فانه أقرب لك من الله.

فقال عمر: أخاف أن تُهدم داري.

فقال الحسين: أنا أبنيها لك.

فقال عمر: أخاف أن تؤخذ ضيعتي.

فقال الحسين: أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز.

قال عمر: إن لي عيالاً بالكوفة وأخاف عليهم.

فقال الحسين: أنا اضمن سلامتهم.

فسكت عمر بن سعد ولم يجبه بشيء.

فانصرف الحسين عنه، وهو يقول: مالك؟ ذبحك الله على فراشك سريعاً عاجلاً، ولا غفر لك يوم حشرك ونشرك، فوالله إني لأرجو أن لا تأكل من بُرِّ العراق إلا يسيراً.

فقال ابن سعد - مستهزأً -: وفي الشعر كفاية.

ثم رجع عمر إلى معسكره، وعاد الحسين إلى معسكره.^(١)

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤١٣، البداية والنهاية ٨: ١٧٥.

ابن سعد يفتری علی الحسین بکتابه إلى ابن زیاد

قالوا: والتقى الحسين وعمر بن سعد مراراً ثلاثة أو أربعة - في خلال ما بين الثالث والسابع من المحرم - فكتب ابن سعد بذلك كتاباً إلى ابن زیاد، جاء فيه:

«أما بعد، فإن الله قد أطفأ النائرة، وجمع الكلمة وأصلح أمر الأمة.

هذا الحسين قد أعطاني عهداً أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى، أو أن يسير إلى ثغر من الثغور، فيكون رجلاً من المسلمين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، أو أن يأتي أمير المؤمنين يزيد، فيضع يده في يده، فيرى فيما بينه وبينه رأيه، وفي هذا لك رضاً وللأمة صلاح»^(١).

(١) أقول: إن من سبر سيرة أبي الضيم وسيد الأحرار أبي عبد الله الحسين عليه السلام منذ نشأ وشبّ واكتهل حتى آخر نفس من حياته المقدسة، وإن من عرف إباءه للضيم، وصبر على المكاره ومقاومته للجور والظلم والطغيان واستهانته بالقتل والموت في سبيل إحياء كلمة الحق، وإن من وقف على خطبه وأقواله ومكاتباته منذ طلّبت منه البيعة لابن آكلة الأكباد يزيد في حياة معاوية وبعد موته، ومن ذلك كلماته الصارمة مع أخيه محمد بن الحنفية وابن عباس وابن جعفر وأخيه الأطراف وابن عمر، وموافقته المصحرة بالحق مع أمير المدينة الوليد بن عتبة، وجليسه الوزع بن الوزع مروان بن الحكم، وغير هؤلاء من الرجال الذين دخلوا عليه - في المدينة ومكة وفي الطريق - وأشاروا عليه بما أشاروا من الدعة والمسالمة، وهو يجيبهم بالاصرار في مواصلة الجهاد إلى آخر نفس من حياته، وآخر شوط من أشواطه في يوم عاشوراء.

إن من واكب ذلك كلّ يتّضح له - بجلاء - تزوير وتزويق وتلفيق ما كتبه ابن سعد إلى ابن زياد وأنما هي أمور كان الحسين عليه السلام يطلبها من أهل الكوفة عند ظهر خذلانهم بعد أن حلّ بين ظهرانيهم: من أنّه يرجع من حيث أتى، أو يذهب أنى شاء من بلاد الله العريضة ونحو ذلك، فأضاف إليها ابن سعد من عندياته، وافتعل ما كان يرجو به إصلاح الأمر، حيث كان كارهاً - منذ البداية - للقتال، وأنما أرداه في مهلكة الضلال طمعه الأعمى بملك الري، كما اعترف هو بذلك في شعره المنسوب إليه.

وكيف يعطى الحسين عليه السلام - وهو أبي الضيم - لابن سعد أن يضع يده الطاهرة في يد يزيد =

فلما قرأ عبيد الله الكتاب قال: «هذا كتاب رجل ناصح لأمره مشفق على قومه» وأراد أن يجيب ابن سعد بالقبول، فقام إليه شمر بن ذي الجوشن وقال: «أتقبل هذا منه، وقد نزل بأرضك وإلى جنبك؟ والله لئن رحل من بلدك ولم يضع يده في يدك ليكونن أولى بالقوة والعزة، ولتكونن أولى بالضعف والعجز، فلا تُعطه هذه المنزلة فإنها من الوهن، ولكن لينزل على حكمك هو واصحابه، فان عاقبت فانت ولي العقوبة، وان غفرت كان ذلك لك، والله لقد بلغني أن حسيناً وعمر بن سعد يجلسان بين العسكرين فيحدثان عامة الليل»^(١).

ابن زياد يجيب على كتاب ابن سعد بالرفض

فاستصوب ابن زياد رأي الشمر، وكتب إلى ابن سعد كتاباً جاء فيه:

= الفاجرة أو أن يسير إلى ثغر من الثغور؟ وهل البيعة التي طلبها منه القوم وترفع عنها - منذ البداية - إلا هذا المعنى ونحوه؟ فكيف يعطيهم أخيراً ما ترفع عنه أولاً؟
أليس سيد أهل الالباء الذي علم الناس الحمية والموت تحت ظلال السيوف، اختيار على الدنيا؟ أليس هو القائل: «موت في عز خير من حياة في ذل» وهو القائل لأخيه الأُطرف: «والله إني لا أعطي الدنيا في نفسي» وهو القائل لأخيه ابن الحنفية: «لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى ما بايعت يزيد بن معاوية» وهو القائل في المدينة - حينما دعى لبيعة يزيد: «وعلى الاسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد» إلى آخر أقواله التي تدل عن تأنيبه عن مقاتلته له ودعوته إلى نصرته وترك مطاوعة القوم، وبالتالي طلب منه أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى أو أن يذهب إلى أي بلد من بلاد الله العريضة، كما هي مضامين كلماته مع أهل الكوفة كالحمر وأصحابه ويوم عاشوراء حينما بان منهم الخذلان ونكت البيعة.

ومما يشهد بتلفيق ابن سعد واضافته: ما نقله المؤرخون كالطبري وابن الأثير في تاريخهما (حوادث سنة ٦١) والنويري في نهايته (٢٠: ٢٩) وسبط ابن الجوزي في تذكرته

(٢٤٨). [البدري]

(١) الارشاد للمفيد: ٢١٢.

«أما بعد، فاني لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه، ولا لتطاوله، ولا لتُمنّيه السلامة، ولا لتكون له عندي شفيعاً.

أنظر، فان نزل حسين وأصحابه على حكمي فابعث بهم إليّ مسلماً، وان أبوا فازحف اليهم حتى تقتلهم وتُمثّل بهم، فإنهم لذلك مستحقّون. وإن قتلت حسيناً فأوْطىء الخيل صدره وظهره، فإنّه عاقّ شاق قاطع ظلوم، ولست أرى: أن هذا يضرّ بعد الموت، ولكن على قولٍ قلته: لو قتلته لفعلتُ هذا به.

فان أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع، وإن أبيت فاعتزل عملنا وجندنا، وخلّ بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر، فإنّا قد أمرنا بذلك والسلام»^(١).

وأعطى الكتاب إلى الشمر، وأمره بالسمع والطاعة إلى ابن سعد إن نفّذ أمره في مقاتلة الحسين، وإن أبى فهو الأمير على الجيش، وهو الذي يتولّى مقاتلة الحسين.

فأقبل الشمر بالكتاب حتى وصل (كربلاء) يوم التاسع من المحرم، وسلّم الكتاب إلى ابن سعد، فلما قرأه ابن سعد قال له: «مالك ويلك، لا قرب الله دارك، وقبح الله ما جئت به، وإني لأظنّ أنك الذي نهيتَه وأفسدت علينا امرأ رجونا أن يصلح، والله لا يستسلم حسين، فإنّ نفس أبيه لبين جنبيه».

فقال له الشمر: أخبرني ما أنت صانع؟ أتمضي لأمر أميرك، وإلا فخلّ بيني وبين الجُند والعسكر.

قال ابن سعد: لا ولا كرامة لك، فأنا أتولّى ذلك، فدُونك فكن أنت على الرّجالة^(٢).

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٤: ٩٧.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٤١٥ - ٤١٦، الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٤.

ابن سعد يزحف بجيشه يوم التاسع

وعند ذلك زحف ابن سعد على مخيم الحسين عصر اليوم التاسع من المحرم. ونادى: يا خيل الله اركبي وبالجنة أبشري. وكان الحسين محتباً بسيفه، وقد خفق برأسه، فسمعت أخته العقيقة الصيحة فدنت من أخيها وقالت: يا أخي، أما تسمع هذه الأصوات قد اقتربت منا؟

فرفع الحسين رأسه، وقال: «إني رأيتُ رسول الله الساعة في المنام، وهو يقول: إنك صائرُ إلينا عن قريب».

فلطمت زينب وجهها، ونادت بالويل والثبور: يا ويلتاه!!

فقال لها الحسين: ليس لكِ الويل يا أختي، أسكتي رحمك الله لا تُشمتي بنا القوم، فسكتت.

وجاءه العباس بن علي عليه السلام فقال له: يا أخي، أذاك القوم.

فقال له الحسين: إركب - بنفسي أنت - حتى تلقاهم، فتقول لهم: ما لكم وما بدا لكم وماذا تريدون؟

فركب العباس عليه السلام في نحو من عشرين فارساً من أصحابه - وفيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر - فسألهم العباس عن ذلك؟

فقالوا: جاء أمر الأمير: أن نعرض عليكم التزول على حكمه أو نناجزكم.

فقال لهم العباس: لا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله، وأعرض عليه ما ذكرتم.

فرجع العباس إلى أخيه بالخبر، ووقف أصحابه يعظون القوم، ويكفونهم عن قتال الحسين.

فقال الحسين: إرجع إليهم، فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة، وتدفعهم عنا هذه العشيّة، لعلنا نصلّي لرَبِّنا وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنني أحبّ الصلاة وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار.

فرجع العباس إلى القوم، فاستمهلهم العشيّة، فتوقف ابن سعد عن الإجابة. واستشار الشمر في ذلك، فقال له: أنت الأمير والرأي رأيك. فأقبل على الناس وقال: ماذا ترون؟

فقال له عمرو بن الحجاج الزبيدي: سبحان الله، والله لو كانوا من الترك أو الديلم. وسألونا مثل ذلك لأجبناهم، فكيف وهم آل محمد ﷺ. وقال قيس بن الأشعث: أجبهم إلى ما سألوك فلعمري ليصبحنك بالقتال غدوةً.

فقال ابن سعد: والله لو أعلم أنهم يفعلون ما أخرتهم العشيّة. فرجع العباس ﷺ ومعه رسول من ابن سعد إلى جهة معسكر الحسين، وهو ينادي بصوت رفيع: يا أصحاب الحسين، إنّنا قد أجّلناكم إلى غدٍ، فإن استسلمتم سرّحنا بكم إلى الأمير ابن زياد، وإن أبيتم فلسنا بتارككم.^(١)

خطبة الحسين ﷺ ليلة عاشوراء

وروى أصحاب السير والمقاتل عن الامام علي بن الحسين زين العابدين ﷺ أنه قال: جمع أبي أصحابه ليلة العاشر من المحرم عند القرب من المساء. وخطبهم، فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم - وأنا إذ ذاك مريض - فسمعت أبي يقول لأصحابه:

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤١٧، الكامل في التاريخ ٣: ٢٨٥.

«أثني على الله تعالى أحسن الثناء، وأحمده على السراء، اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة وعلمتنا القرآن، وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، فاجعلنا لك من الشاكرين».

أما بعد، فاني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيتٍ أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعاً عني خيراً.
ألا، وإني لأظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، ألا وإني قد أذنتُ لكم جميعاً، فانطلقوا في حلٍّ، ليس عليكم مني حرجٌ ولا ذمام.

وهذا الليل قد غشاكم فاتخذوه جملاً، ثم ليأخذ كل رجلٍ منكم بيد رجلٍ من أهل بيتي، وتفرقوا في سواد هذا الليل، وذروني وهؤلاء القوم، فانهم لا يريدون غيري، ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري».

ولقد قام خاطباً سبط طه	بعد جمع الأصحاب في كربلاء
قال أثني على إله البرايا	شاكراً فضله بخير ثناء
وله في البلاء حمدي وشكري	مثل حمدي له على السراء
وله الحمد حين من علينا	كرماً في نبوة الأنبياء
وحبانا التفقيه في الدين رشداً	بعد تعليمنا كتاب السماء
لم نكن مشركين حين اصطفانا	وهدى للتوحيد خير اهتداء
بعد خلق الأبصار والسمع منا	وبناء القلوب خير بناء
أشهد الله ما رأيت كصحي	أبداً في الولا وصدق الوفاء
أهل بيتي ولا أبر واتقى	منهم ما رآته مقله رائي
ولقد قال مخبراً لي بقتلي	سيّد الرسل خاتم السفراء
سوف تمضي لكربلاء فتغدو	بعد سوق لها من الشهداء

وأظنُّ اليومَ الذي فيه نلقى هؤلاءِ الخصومَ ليس بنائي
فَجُزَيْتَ عَنِّي بخيرِ جزاءٍ في مواساتكم وأسنى حباءٍ
لكم قد أذِنْتُ طُرّاً فسيروا بافتراقٍ عَنِّي وطولِ تنائي
أبداً ما عليكم من ذمامٍ وحقوقٍ تُقضى بوقتِ الأداءِ
جَنِّ هذا الظلامُ فاتخذوه جملاً للنجاءِ وأضفى غشاءِ
وليصاحب من أهل بيتي منكم كلُّ شخصٍ شخصاً بخيرِ إخاءِ^(١)

جواب أهل بيته وأصحابه

فقال له إخوانه وأبناءؤه وبنو أخيه وأبناء عبد الله بن جعفر: «ولم نفعل ذلك؟ لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً».

بدأهم بهذا القول العباس بن علي، ثم اتبعت الجماعة، فتكلّموا بهذا ونحوه. ثم نظر الحسين إلى بني عقيل، وقال: «حسبكم من القتل بصاحبكم مسلم بن عقيل فاذهبوا أنتم فقد أذنت لكم».

فقالوا: «سبحان الله، ما يقول الناس لنا وماذا نقول لهم، إنّنا تركنا شيخنا وسيّدنا وكبيرنا وابن بنت نبينا وبني عمومنا خير الأعمام، ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معم بسيف، ولا ندرى ما صنعوا، لا والله - يا ابن رسول الله - لا نفارقك أبداً، ولكنّا نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا، ونقاتل معك حتى نرد موردك، قبح الله العيش بعدك».

ثم قام مسلم بن عوسجة الأسدي، فقال: «نحن نخليّك هكذا وتنصرف عنك - وقد أحاط بك هذا العدو-؟ وبماذا نعتذر إلى الله في اداء حقك؟ لا والله لا يراني

(١) ملحمة أهل البيت ﷺ للشيخ الفرطوسي: ج ٣ ص ٢٨٨ - ٢٩٦.

الله وأنا أفعل ذلك أبداً حتى أكسر في صدورهم رمحي، واضرب فيهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي. ولو لم يكن لي سلاح أقاتلهم بهم لقدفتهم بالحجارة، ولم أفارقك أو أموت معك».

ثم قام سعيد بن عبد الله الحنفي، فقال: «لا والله يا ابن رسول الله، لا نُخْلِيكَ أبداً حتى يعلم الله تعالى أنا قد حفظنا فيك غيبة رسول الله، والله لو علمتُ أنني أقتل فيك، ثم أحيى، ثم أُحرق حياً، ثم أذرى في الهواء، يُفعل ذلك بي سبعين مرةً لما فارقتك أبداً حتى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة، ثم بعدها الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً».

ثم قام زهير بن القين البجلي، فقال: «والله يا ابن رسول الله لوددتُ أنني قُلتُ، ثم نُشرتُ، حتى أقتل فيك هكذا ألف مرة، وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من إخوانك وولدك وأهل بيتك».

وتكلم بقية اصحاب الحسين بكلام يشبه بعضه بعضاً فقالوا - وفي وجه واحد - : «والله لا نفارقك، ولكن أنفسنا لك الفداء، نتيك بأيدينا، ونُحورنا وجباهنا، فاذا نحن قُتلنا بين يديك نكون قد وفينا لربنا وقضينا ما علينا».

فجزاهم الحسين خيراً، وانصرف إلى مضربه^(١).

قال ابن حماد - رحمه الله - :

لست أنساه حين أيقن بالمو	ت دعاهم وقام فيهم خطيبا
ثم قال ارجعوا الى أهلكم فد	يس سواي أرى لهم مطلوبا
فأجابوه والعيون سكوب	وحشاهم قد شب منها لهيبا

(١) الملهوف: ٣٨ - ٣٩، الخرائج والجرائح للراوندي ٢: ٨٤٧ - ٨٤٨، بحار الانوار ٤٤ :

٢٩٨، أسرار الشهادة للدريندي ٢: ٢٢١.

أَيُّ عَذْرِ لَنَا غَدًا حِينَ نَلْقَى
 وَقَالَ الْفَرَطُوسِي فِي مِلْحَمَتِهِ :
 فَأَجَابَ الْحُسَيْنَ بَعْدَ قِيَامٍ
 وَأَخُوهُ الْعَبَّاسُ يَقْدُمُ فِيهِمْ
 لَمْ يَا ابْنَ الرَّسُولِ نَفْعُ هَذَا
 لَا أَرَانَا الْإِلَهَ بَعْدَكَ هَذَا
 وَرَنَا قَائِلًا لَأَلٍ عَقِيلٍ
 قَدْ كُفَيْتُمْ فِي قَتْلِ مُسْلِمٍ عَمَّا
 فَأَجَابُوهُ كَيْفَ نَذْهَبُ عَنْكُمْ
 أَيُّ شَيْءٍ يَقُولُهُ النَّاسُ عَنَّا
 إِنْ خَذَلْنَا أَعْمَامَنَا وَتَرْكْنَا
 دُونَ ضَرْبٍ وَدُونَ طَعْنٍ وَرَمِي
 أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّا سَوْفَ نَلْقَى
 وَنَوَاسِيكَ بِالنَّفُوسِ وَنَقْدُو
 وَلَقَدْ قَالَ مُسْلِمٌ لَيْسَ نَمْضِي
 وَبِأَيِّ الْأُمُورِ تُبَدِّي اعْتِذَارًا
 بَعْدَ تَرْكِ الْحَقِّ الْعَظِيمِ عَلَيْنَا
 لَيْسَ نَمْضِي بِدُونَ طَعْنٍ وَضَرْبٍ
 وَلَوْ أَنِّي فَقَدْتُ كُلَّ سِلَاحٍ
 لَقَذَفْتُ الْعِدَا لِأَلْقَى جِمَامِي
 وَسَعِيدُ أَهَابٍ كَاللَيْثِ فِيهِمْ
 جَدُّكَ الْمَصْطَفَى وَنَحْنُ حُرُوبًا^(١)
 مِنْ بَنِي هَاشِمٍ أَسْوَدُ الْإِبَاءِ
 وَهُمْ خَلَفَهُ بِخَيْرٍ اقْتِدَاءِ
 أَلْتَبْقَى وَأَنْتَ زَهْنُ الْفَنَاءِ
 يَا سَلِيلَ النَّبِيِّ طَوَّلَ الْبَقَاءِ
 فَاذْهَبُوا أَنْتُمْ بِغَيْرِ جَفَاءِ
 أَنْتُمْ فِيهِ أَحْسَنَ الْاِكْتِفَاءِ
 بِسَلَامٍ فِي سَاعَةِ الْاِبْتِلَاءِ
 وَلَهُمْ مَا نَقُولُ عِنْدَ الْاِلْقَاءِ
 شَيْخَنَا وَهُوَ خَيْرُهُ الْأَصْفَاءِ
 مَعَهُمْ عِنْدَ سَاعَةِ الْاِلْتِقَاءِ
 مَا تَلَاقُونَهُ بِحَدٍّ سَوَاءِ
 لَكَ عِنْدَ الطَّعَانِ خَيْرٌ فِدَاءِ
 أَبَدًا عَنْكُمْ بِيَوْمِ الْبِلَاءِ
 حِينَ نَمْضِي عَنْكُمْ لِرَبِّ السَّمَاءِ
 لَكَ مِنْ رَبِّنَا بِدُونِ قَضَاءِ
 فِي صَدُورِ الْعِدَا بِأَقْوَى مِضَاءِ
 حِينَمَا أَلْتَقِيَ بِأَهْلِ الْعِدَاءِ
 دُونَكُمْ بِالْحِجَارَةِ الصَّمَاءِ
 صَارِخًا فِي بَسَالَةٍ وَضَرَاءِ

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٤ : ٩٩.

لا نُخْلِي عَنْكُمْ وَنَذْهَبُ حَتَّى
أَنْتَنَا كُلُّنَا حَقُّظْنَا غِيَاباً
لَوْ أَنِّي أُحْرِقْتُ بِالنَّارِ حَرْقاً
بَعْدَ قَتْلِ لِلْسَيْفِ يَتْلُوهُ قَتْلُ
لَيْسَ أَمْضِي عَنْكُمْ وَمَا هِيَ إِلَّا
بَعْدَهَا نَحْنُ بِالْكَرَامَةِ نَحْظِي
وَلَقَدْ قَالَ لَوْ قُتِلْتُ زَهِيرُ
هَكَذَا أَلْفَ مَرَّةٍ بِي يَجْرِي
هَانَ هَذَا عَلَيَّ وَاللَّهِ يُنْجِي
وَجَمِيعُ الْأَصْحَابِ أَذْلَوْا بِقَوْلِ
فَجَزَاهُمْ خَيْراً وَأَثْنَى عَلَيْهِمُ

يَعْلَمَ اللَّهُ بَعْدَ حُسْنِ الْبَلَاءِ
فِيكُمْ حَقَّ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ
أَنَا سَبْعِينَ مَرَّةً بِاقْتِفَاءِ
وَأُذْرِي فِي إِثْرِهَا بِالْهَوَاءِ
قَتَلْتُ عَنْدَ سَاعَةِ الْإِتِّقَاءِ
وَهِيَ تَبْقَى لَنَا بِدُونِ انْقِضَاءِ
ثُمَّ أَحْيَيْتَ يَا أَبَا الْأَزْكَيَاءِ
وَأَنَا مُذْعِنٌ بِحُكْمِ الْقَضَاءِ
مِنْكُمْ فَتِيَّةً كَشَهَبِ السَّمَاءِ
يُشَبُّهُ الْبَعْضُ بَعْضَهُ بِجَلَاءِ
بَعْدَ صَدْقِ الْوَلَا بِخَيْرِ ثَنَاءِ

الحسين عليه السلام يأذن للحضرمي^(١) بالانصراف

وقيل لمحمد بن بشير الحضرمي - في تلك الحال - قد أسر ابنك

(١) هو : بشر بن الأحداث الحضرمي الكندي ، ذكر في زيارة الناحية باسم بشر ، وذكر في الزيارة الرجبية باسم بشير ، وذكره السيد الخوئي (قدس سره) مردداً بين بشر وبشير ، وقال العلامة الشيخ شمس الدين : ومن المؤكد أنه هو : محمد بن بشير الحضرمي الذي ورد ذكره عند السيد ابن طاووس بقرينة ذكره لقصة ابنه وقد وردت القصة في الزيارة مقرونة باسم بشر أو بشير على اختلاف النسخ . وكان بشر من حضرموت وعداة في كندة ، وكان تابعياً وله أولاد معروفون بالمغازي ، وكان بشر ممن جاء إلى الحسين عليه السلام أيام المهادنة ، وهو أحد آخر رجلين بقيا من أصحاب الحسين قبل أن يقع القتل في بني هاشم ، والآخر هو سويد بن عمرو بن أبي المطاع ، وقتل بشر في الحملة الأولى .

راجع: إِبْصَارُ الْعَيْنِ : ص ١٠٣ - ١٠٤ ، أَنْصَارُ الْحُسَيْنِ لشمس الدين ص ٧٧ - ٧٨ ، معجم رجال الحديث للسيد الخوئي (قدس سره) : ج ٣ ص ٣١٤ .

بثغر^(١) الري، فقال: عند الله احتسبه ونفسي، ما كنت أحب أن يؤسر، وأنا أبقى بعده حيّاً.

فلما سمع الحسين قوله، قال له: «رحمك الله، أنت في حلٍّ من بيعتي، فاعمل في فكاك ولدك».

فقال: أكلتني السباعُ حيّاً إن فارتكك.

قال الحسين: «فأعط ابنك هذه الأثواب والبرود^(٢) ليستعين بها في فكاك أخيه». فأعطاه خمسة أثواب قيمتها ألف دينار.^(٣)

ويصف الفرطوسي في ملحمة موقف الحضرمي فيقول :

وتراءى الإخلاصُ بابنٍ بشيرٍ	وهو في مثلٍ حاله المترائي
حين أوحى وكانَ بعضُ بنيه	أخبروه عن أسره وهو نائي
قائلاً ما وددتُ أنِّي أبقى	وهو يُمسي فيهم من الأسراء
وأجابَ الحسينُ أنتَ بحلٍّ	مِنْ ذِمّامي فاذهب لبذلِ الفداء

(١) الثغر: بالفتح، قم السكون، وراء كل موضع قرب من أرض العدو وسمي ثغراً من ثغرة الحائط، لأنه يحتاج أن يحفظ لتلا يأتي العدو منه.

والرّيّ - فتح أوله، وتشديد ثانيه -: مدينة مشهورة من أمهات البلاد واعلام المدن، كثيرة الخيرات، قصبة بلاد الجبال، على طريق السابلة بينها وبين طهران نحو فرسخ. (مراصد الأطلاع ١: ٥٩٧).

(٢) البرود: مفردة بُرد بالضم فالسكون، وهو: ثوب مخطّط، وقد يُقال لغير المخطّط أيضاً، وجمعه بُرود وأبرادٌ وأبرُد، ومنه الحديث: الكفن يكون بُرداً، فإن لم يكن بُرداً فاجعله كله قطناً! و البرودة: كساء أسود مربّع فيه صغر بكتسيه الأعراب، وفي المنجد انه كساء من الصوف الأسود يلتحف به، انظر: مجمع البحرين للطريحي ٣: ١٣، المنجد: ٣٣.

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر ١: ١٥٠، اللهوف: ٤٠، بحار الأنوار ٤٤: ٣٩٤، العوالم ١٧: ٢٤٤، أسرار الشهادة للدربندي ٢: ٢٢١.

قال والله لست أذهبُ عنكم	حين يغدو في شدّة أو رخاء
قال هذي الثياب خذها وارسل	عنك للريّ صنوه في الإخاء
ساعياً بالفكاك وهي تُساوي	ألف دينار ساعة الإفتداء
وهو أوحى لصحبه حين أبدى	غامض السرّ من ضمير الخفاء
إنكم تُقتلون حتى رضيعي	وأنا في غدٍ بغير امتراء
دون زين العباد يحفظ مني	فيه نسل الأئمة الامناء
فأجابوه نحمد الله شكراً	وامتناناً على عظيم العطاء
إذ حباننا فضل الشهادة فوزاً	معكم في كرامة وعلاء
أفلا ترتضي بأننا سنغدو	معكم في منازل السعداء

الحسين ينعى أهل بيته وأصحابه

ويُروى عن الامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: أنه قال: «ثم ان أبي قال لأصحابه: إني غداً أقتل وتُقتلون كلكم معي، ولا يبقى منكم أحدٌ إلّا ولدي علياً زين العابدين لأن الله لم يقطع نسله منه، وهو ابو أئمة ثمانية».

فقالوا - بأجمعهم -: الحمد لله الذي أكرمنا بنصرك وشرفنا بالقتل معك، أولاً نرضى أن نكون معك في درجتك؟

ولله درّ السيد رضا الهندي - عليه الرحمة - إذ يقول في هذه الصفوة الانجاب:

صيداً إذا شبّ الهياج وشابت	الأرض الدما والطفل رعباً شابا
ركزوا قناهم في صدور عداتهم	ولبيضهم جعلوا الرقاب قرابا
تجلو وجوههم دجى النقع الذي	يكسو بظلمته ذكاء نقابا
وتنادبت للذب عنه عصبه	ورثوا المعالي أشيأ وشبابا

من يتدبهم للكريهة يتدب منهم ضراغمة الأسود غضابا
خفوا لداعي الحرب حين دعاهم ورسوا بعرصّة كربلاء هضابا
أسدٌ قد اتخذوا الصوارم حلية وتسربلوا حلق الدروع ثيابا
تخذت عيونهم القساطل كحلها وأكفّهم فيض النحور خضابا
يتميلون كأنما غنى لهم وقع الضبا وسقاهم أكوابا
برقت سيوفهم فأمرت الطلا بدمائها والنقع ثار سحابا
وكانهم مستقبلون كواعباً مستقبلين أسنّةً وكعابا
وجدوا الردى من دون آل محمد عذباً وبعدم الحياة عذابا
ودعاهم داعي القضاء وكلهم ندبٌ إذا الداعي دعاه أجابا^(١)

طعم الموت أحلى من العسل

وقال له القاسم بن الحسن : وأنا فيمن يُقتل - يا عم - ؟
فأشفق عليه الحسين، وقال: يا ابن أخي، كيف تجد طعم الموت عندك؟
قال: يا عم، أحلى من العسل.
فقال له الحسين: إي - والله - فذاك عمك: إنك لأحدٌ من يُقتل معي بعد أن تبلو
ببلاءٍ عظيم.

ثم قال الحسين عليه السلام : وممن يقتل غداً ولدي الرضيع.
فقال القاسم: يا عم، أ يصل العدو إلى مُخيّمنا، حتى يُقتل الرضيع عند أمه؟
فقال الحسين عليه السلام : فذاك عمك يُقتل ابني عبدالله إذا جفت روحه عطشاً
وصرت إلى خيمنا فطلبْتُ له ماءً ولبناً فلا أجد قط فأقول: ناولوني ابني لأشربه مِنْ

(١) رياض المدح والثناء للقديحي : ٩٤ - ٩٥.

فِيَّ ، فَيَأْتُونِي بِهِ فَيَضَعُونَهُ عَلَى يَدَيَّ فَأَحْمِلُهُ لِأُذْنِيهِ مِنْ فِيٍّ فَيَرْمِيهِ فَاسْقِ بِسَهْمٍ
فَيَنْحَرُهُ وَهُوَ يَنَاقِي فَيَفِيضُ دَمَهُ فِي كَفِيٍّ فَأَرْفَعُهُ إِلَى السَّمَاءِ فَأَقُولُ: اللَّهُمَّ صَبْرًا
وَاحْتِسَابًا فِيكَ ، فَتُعْجِلُنِي الْأُسْتَةَ مِنْهُمْ ، وَالنَّارَ تَسْعُرُ فِي الْخَنْدَقِ الَّذِي فِي ظَهْرِ الْخِيَمِ ،
فَأَكْرُرُ عَلَيْهِمْ فِي أَمْرٍ أَوقَاتٍ فِي الدُّنْيَا ، فَيَكُونُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ ، فَبَكَى وَبَكَيْنَا وَارْتَفَعَ
الْبُكَاءُ وَالصُّرَاخُ مِنْ ذُرَارِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْخِيَمِ. (١)

وَفَتِيَةٌ مِنْ بَنِي عَدْنَانَ مَا نَظَرْتُ عَيْنَ الْغَزَالَةِ أَعْلَى مِنْهُمْ حَسْبًا
أَكْفَهُمْ يَخْصِبُ الْمَرْعَى الْجَدْبَ بِهَا وَفِي وَجُوهِهِمْ تَسْتَمَطِرُ السُّحُبَا
أَكْرَمَ بِهِمْ مِنْ مَصَالِيَتٍ وَلَيْدِهِمْ بَغِيرَ الصَّلَى بِالْبَيْضِ مَا طَرَبَا

صمود حتى الشهادة

وَعَنِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ﷺ: أَنَّهُ قَالَ: «ثُمَّ إِنَّ أَبِي أَرْسَلَ
فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَلَدَهُ عَلِيًّا الْأَكْبَرَ مَعَ خَمْسِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ مَا بَيْنَ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ ،
وَبَعَثَ مَعَهُمْ عِدَّةً قَرَبَ إِلَى الْمَاءِ ، فَجَاوَأَ بِهِ بَعْدَ جَهْدٍ شَدِيدٍ .
فَقَالَ الْحُسَيْنُ لِأَصْحَابِهِ: قَوْمُوا وَاشْرَبُوا مِنْ هَذَا الْمَاءِ ، وَتَطَهَّرُوا وَاغْسَلُوا
أَثْوَابَكُمْ ، فَانْهَاسَتْكُمْ أَكْفَانُكُمْ».

قَالَ الرَّوَايُ: وَبَاتَ الْحُسَيْنُ ﷺ وَأَصْحَابُهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَلَهُمْ دَوِيٌّ
كَدَوِيِّ النِّحْلِ ، مَا بَيْنَ قَائِمٍ وَقَاعِدٍ وَرَاكِعٍ وَسَاجِدٍ. (٢)

سَمَةُ الْعَبِيدِ مِنَ الْخُشُوعِ عَلَيْهِمْ اللَّهُ إِنَّ ضَمَّتْهُمْ الْأَسْحَارُ
فَإِذَا تَرَجَّلَتِ الضُّحَى شَهِدَتْ لَهُمْ بَيْضُ الْقَوَاضِبِ: أَنَّهُمْ أَحْرَارُ

(١) الخرائج والجرائح ٢: ٨٤٨، نفس المهموم: ٢٣٠.

(٢) الملهوف: ٤٠.

حفر خندق في أطراف المخيم

قال الراوي: وكان الحسين عليه السلام أتى بقصبٍ وحطبٍ إلى مكانٍ مِنْ ورائهم مُنخفضٍ ، كأنه ساقية فحفروه في ساعةٍ مِنَ الليلِ فجعلوه كَالْخَنْدَقِ ، ثم ألقوا فيه ذلك الحطب والقصب ، وقالوا: إذا عَدُوا علينا فقاتلونا أَلْقِينَا فيه النار كيلا نُؤْتَى مِنْ ورائنا وقاتلنا القومُ مِنْ وَجِهٍ واحدٍ ، ففعلوا وكانَ لهم نافعاً^(١).

وقال الدينوري : وأمر الحسين عليه السلام أصحابه أن يَضُمُوا مضاربهم بعضهم من بعض ، ويكونوا أمام البيوت ، وأن يحفروا من وراء البيوت أَخْدُوداً ، وأن يضرموا فيه حطباً وقصباً كثيراً ، لئلا يَأْتُوا من أدبار البيوت فيدخلوها^(٢).

وجاء في البداية والنهاية: وجعلوا البيوت بما فيها من الحرم وراء ظهورهم ، وقد أمر الحسين عليه السلام من الليل فحفروا وراء بيوتهم خندقاً ، وقذفوا فيه حطباً وخشباً وقصباً ، ثم أضرمت فيه النار لئلا يَخْلُصَ أحد إلى بيوتهم من ورائها^(٣).

وفي الإرشاد، إن الحسين عليه السلام خرج إلى أصحابه فأمرهم أن يُقَرَّبَ بعضهم بيوتهم من بعض ، وأن يُدْخِلُوا الأطناب بعضها في بعض ، وأن يكونوا بين البيوت فيستقبلون القوم من وجه واحد ، والبيوت من ورائهم وعن أيماهم وعن شمائلهم قد حَفَّتْ بهم إلا الوجه الذي يَأْتِيهم منه عدوهم^(٤).

الإمام الحسين عليه السلام يُري أصحابه منازلهم في الجنة

وروي أَنَّ الحسين عليه السلام كَشَفَ لأصحابه عن أَبصارهم فرأوا ما حباهمُ اللهُ من

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣٢٠ .

(٢) الأخبار الطوال : ٢٥٦ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٧٨ .

(٤) الارشاد للمفيد : ٢٣٢ ، إعلام الوری للطبرسي : ٢٤٠ .

نعيم، وعَرَفَهُمْ منازلَهُمْ فيها، وليس ذلك في القدرةِ الألهيةِ بعزير ولا في تصرفاتِ الإمامِ بغريب، فإنَّ سحرَةَ فرعونَ لما آمنوا بموسى عليه السلام وأراد فرعون قتلَهُم أراهم النبيُّ موسى عليه السلام منازلَهُمْ في الجنة^(١).

قال شاعر اهل البيت الفرطوسي - عليه الرحمة - :

و أراهم و قد رأى الصدقَ منهم	في الموالة بعد كشف الغطاء
مالهم من منازل قد أعدت	في جنان الخلود يوم الجزاء
ولعمري وليس ذا بعسير	أو غريبٍ من سيد الشهداء
فلقد أطلعَ الكليمُ عليها	منهم كلُّ ساحرٍ بجلاء
حينما آمنوا بما جاء فيه	عندَ إبطال سحرهم و الرياء
بعد خوفٍ من آلِ فرعونَ مرد	لهم منزرٍ بسوءِ البلاء
فأراهم منازلَ الخيرِ زلفى	و ثواباً في جنةِ الأتقياء
لازدياد اليقين بالحق فيهم	بعد دحضٍ للشك والافتراء
وثباتاً منهم على الدين فيما	شاهدوه من عالم الإرتقاء ^(٢)

الحسين ينعي نفسه وزينب تسمعه

ورُوي عن الامام زين العابدين عليه السلام : أنه قال:

«إني لجالس في تلك العشية التي قُتل أبي في صبيحتها، وعندي عمتي زينب تُمرّضني، إذ اعتزل أبي في خباءٍ له، وعنده (جون) مولى أبي ذر - وهو يُعالج سيفه ويصلحه - وأبي يقول:

(١) أخبار الزمان للمسعودي : ٢٧٤ ، مقتل الحسين للمقرم : ٢١٥ .

(٢) ملحمة أهل البيت للفرطوسي ٣ : ٢٩١ .

يا دهرُ أفٍ لك من خليلٍ كم لك بالإشراق والأصيل
 من صاحب أو طالبٍ قتيلٍ والدهرُ لا يقنع بالبديل
 وإنّما الأمرُ إلى الجليل وكلّ حيٍّ سالكٌ سبيلٍ
 ما أقرب الوعدُ من الرحيل

فأعادها أبي مرتين أو ثلاثاً حتى فهمتها، فعرفتُ ما أراد، فخنقتني العبرة،
 فرددتُ دمعتي، ولزمت السكوت، وعلمت أن البلاء قد نزل.

وأما عمّتي زينب فانها لما سمعت ما سمعت - وهي امرأةٌ ومن شأن النساء
 الرقة والجزع - فلم تملك نفسها دون أن وثبت تجرّ أذيالها، وهي حاسرة،
 حتى انتهت إليه وهي تنادي: وآثكلاه، ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت
 أمي فاطمة، وأبي علي، وأخي الحسن، يا خليفة الماضين، وثمال الباقين.

فنظر إليها الحسين نظر رافةٍ ورحمة وقال:

يا أختي، لا يذهبن بحلمك الشيطان.

قالت: بأبي أنت وأمي، استقتلت نفسي فداك.

فردّ الحسين غصّته، وترقرقت عيناه بالدموع.

فقالت: ردّنا إلّٰى حرم جدّنا رسول الله.

فقال: هيهات، لو ترك القطا ليلاً لغفا ونام.

فقالت: يا ويلتاه!! أفتغتصب نفسك اغتصاباً؟ فذلك أقرح لقلبي وأشدّ على

نفسي.

ثم لطمت وجهها، وأوت إلى جيبها فشقتّه، وخزّت مغشياً عليها.

فقام لها الحسين، وصبّ على وجهها الماء حتى أفاقت، فقال لها: «يا أختي،

إتقي الله، وتعزّي بعزاء الله، واعلمي: أنّ أهل الأرض يموتون، وأن أهل السماء لا

ييقون، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله تعالى، الذي خلق الخلق بقدرته ويبعث الخلق فيعودن، وهو فردٌ وحده: أبي خيرٌ مِنِّي، وأمي خيرٌ مِنِّي، وأخي خيرٌ مِنِّي، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة.

فعرّأها بهذا ونحوه، ثم قال لها:

يا أختاه، إني أقسمُ عليك، فأبري قسمي، إذا أنا قُتِلْتُ فلا تشقي عليّ جيئاً، ولا تخمسي عليّ وجهاً، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور إذا أنا هلكت.

قال زين العابدين عليه السلام: ثم إنَّ أبي جاء بعمتي وأجلسها عندي. وخرج إلى أصحابه فأمرهم أن يُقَرِّبوا بعض بيوتهم من بعض، وأن يُدْخلوا الأطناب بعضها في بعض، وأن يكونوا بين البيوت فيستقبلون القوم من وجهٍ واحد، والبيوت من ورائهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم.^(١)

وعليُّ السجّاد أنبأ فيها	بحديثٍ عن سيّد الشهداء
قد رأيتُ الحسينَ يُصلحُ سيفاً	بينَ كفيهِ تحتَ ظلِ الخيِّاء
وهو يتلو يا دهرُ كم لك غدراً	مِن قَتيلٍ مُضرجٍ بالدماء
لك أُنْفٍ على مرور الليالي	مِن خَليلٍ مُولَعٍ بالجفاء
فَتَفَهَّمْتُ ما أَرَادَ بهذا	وتيقنت في وقوعِ البلاء
وأنتِ عَمَّتِي وقد سمعتها	من أخيها تجرّ ذيلَ الرداء
وهي تدعو بالثكلِ ليت حياتي	قبل هذا قد أعدمَت بالفناء
يا ثمال الباقيين من أهل بيتي	ولمن غاب خيرة الخلفاء
هكذا يا أخي يُصنَعُ ظُلماً	بكَ منهم يا نبعة الأصفياء
قال لا يذهبن في حلمك الشيطانُ	طيشاً أختاه دون ارعواء
وتعرّز استكانةً واصطباراً	بعزاء الرحمن خير عزاء

(١) الارشاد للمفيد ٢: ٩٣، تاريخ الطبري ٥: ٤٢٠ - ٤٢١.

ليس يَبْقَى أَهْلُ السَّمَاءِ وَأَهْلُ
وَلَنَا اسْوَةٌ وَخَيْرُ عَزَاءٍ
وَبَكَى رَقَّةً عَلَيْهَا وَحُزْنًا
قَالَ فَارْبِطْ أَمْنًا عَلَى الْقَلْبِ مِنْهَا
وَهُوَ أَوْصَى إِلَى الْعَقِيلَةِ جَهْرًا
فَهِيَ تَعْطِي الْأَحْكَامَ لِلنَّاسِ فَتَوَى
كُلُّ هَذَا سِتْرًا عَلَيْهِ وَحَفْظًا
الْأَرْضُ يُفْنُونَ مِثْلَ أَهْلِ السَّمَاءِ
بِالْمَنَايَا فِي خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ
حِينَ أَهْوَتْ مِنْ غَشِيَةِ الْإِغْمَاءِ
مِنْكَ بِالصَّبْرِ يَا إِلَهَ الْعَطَاءِ
وَلِزَيْنِ الْعُبَادِ تَحْتَ الْحَفَاءِ
بَعْدَ اخْذٍ مِنْ زِينَةِ الْأَوْلِيَاءِ
لِعَلِّيٍّ مِنْ أَعْيُنِ الرُّقَبَاءِ^(١)

صبر العقيلة زينب ؑ

أقول: ثم إنَّ العقيلة زينب الكبرى امتثلت ذلك النهي الإشفاعي من أخيها الحسين ؑ فلم تشقَّ عند قتله جيباً، ولم تخمش وجهاً، وكانت تتلقَّى تلك المصائب العظام بقلبٍ صابر، وإيمان ثابت، ورباطة جأش:

بَأَبِيَّ الَّتِي وَرِثَتْ مَصَائِبَ أُمِّهَا فغدت تُقَابِلُهَا بِصَبْرِ أَبِيهَا
لَمْ تَلُغْ عَنْ جَمْعِ الْعِيَالِ وَحَفْظِهِمْ بفراق إخوتها وقتل بنيها
فَكَانَتْ تُسَكِّتُ الْأَطْفَالَ، وَتَرْعَى الْعِيَالَ، وَتُصَبِّرُهُنَّ عَلَى تَحْمِلِ النَّوَائِبِ وَفَقْدِ
الْأَحِبَّةِ.

هداية بعد ضلال

قالوا: وعبر في تلك الليلة من عسكر عمر بن سعد اثنان وثلاثون رجلاً إلى جهة الحسين ؑ فقالوا السعادة والشهادة بين يديه.^(٢)

(١) ملحمة أهل البيت ؑ للفرطوسي .

(٢) العقد الفريد ٤: ١٦٨ .

برير وأبو حرب السبيعي

روى الضحاك بن عبدالله المشرقي^(١) قال: فلما أمسى حسين رضي الله عنه وأصحابه قاموا الليل كله يُصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون، قال: فتمر بنا خيلٌ لهم تحرشنا، وإنَّ حسيناً رضي الله عنه ليقرأ: ﴿ولا يحسبنَّ الذين كفروا أنما نملي لهم خيراً لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذابٌ مُّهِينٌ﴾، ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب^(٢).

فسمِعها رجلٌ من تلك الخيل التي كانت تحرشنا، فقال: نحن ورب الكعبة الطيبون ميزنا منكم.

قال: فعرفته، فقلتُ لبرير بن خضير: أتدري من هذا؟

قال: لا.

قلتُ: هذا أبو حرب السبيعي عبدالله بن شهر^(٣) وكان مضحاكاً بطلاً، وكان

(١) هو: الضحاك بن عبدالله المشرقي، كان قد أعطى الحسين رضي الله عنه عهداً أن يقاتل معه ما كان قتاله معه نافعاً، فإذا لم يجد مقاتلاً معه كان في حل من الانصراف، قال الضحاك: لما رأيت أصحاب الحسين قد أصيبوا وقد خلص إليهم وإلى أهل بيته ولم يبق معه غير سويد بن عمرو ابن أبي المطاع الخثعمي وبشير بن عمرو الحضرمي قلت له: يا ابن رسول الله قد علمت ما كان بيني وبينك، قلت لك: أقاتل عنك ما رأيتُ مقاتلاً فإذا لم أر مقاتلاً فأنا في حلٍّ من الانصراف، فقلت لي نعم، فقال: صدقت وكيف لك بالنجاء إن قدرت على ذلك فأنت في حلٍّ، قال: فأقبلت إلى فرسي وقد كنت حيث رأيت خيل أصحابنا تُعقر أقبلت بها حتى أدخلتها فسطاطاً لأصحابنا بين البيوت، وأقبلت أقاتل معهم راجلاً فقتلت يومئذ بين يدي الحسين رجلين وقطعت يد آخر، وقال لي الحسين يومئذ مراراً: لا تشلل، لا يقطع الله يدك جزاك الله خيراً عن أهل بيت نبيك فلما أذن لي استخرجت الفرس من الفسطاط... الخ.

راجع: تاريخ الطبري ٤: ٣٣٩، أنصار الحسين لشمس الدين: ٦٤.

(٢) آل عمران: ١٧٨ - ١٧٩.

(٣) وقيل: عبدالله بن سمير. (بحار الأنوار ٤٥: ٤).

شريفاً شجاعاً فاتكاً، وكان سعيداً بن قيس ربماً حبسه في جناية .
 فقال له بُرَيْرُ بْنُ خُضَيْرٍ: يا فاسق أنتَ يَجْعَلُكَ اللهُ في الطيبين .
 فقال له: ويلك، من أنت ؟
 قال: أنا بُرَيْرُ بْنُ خُضَيْرٍ .
 قال: إنا لله ، عزَّ عليَّ هلكَ والله يا بُرَيْرُ
 قال: يا أبا حرب هل لك أن تتوب إلى الله من ذنوبك العظام ، فوالله إنا لنحنُ
 الطيبونَ ولكنَّكمْ لَأَنتُمْ الخبيثونَ . قال: وأنا على ذلك من الشاهدين .
 قلتُ: ويحك أفلا ينفَعُكَ معرفتُكَ ؟
 قال: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَمَنْ يُنَادِمُ يَزِيدُ بْنُ عَذْرَةَ الْغَفَرِيِّ من عَزَبِ بْنِ وَائِلٍ ؟
 قال: ها هو ذا معي .
 قال: قَبَّحَ اللهُ رَأْيَكَ على كلِّ حال أنتَ سفيه .
 قال: ثم انصرفَ عنا، وكانَ الذي يحرسُنَا بالليلِ في الخيلِ عَزْرَةُ بْنُ قَيْسِ
 الأحمسي وكانَ على الخيل^(١).

الحسين وأصحابه يغتسلون ويتطيبون

وروي عن أبي صالح الحنفي عن غلامٍ لعبدالرحمن بن عبد ربّه الأنصاري،
 قال : كنت مع مولاي فلما حضر الناس وأقبلوا إلى الحسين عليه السلام أمر الحسين
 بفسطاط فضرب ثم أمر بمسك^(٢) فميث^(٣) في جفنة^(٤) عظيمة أو صفحة .

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٤١٩ - ٤٢٠ ، البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٧٧ - ١٧٨ ، بحار الأنوار
 ٤٥ : ٣ - ٤ .

(٢) روي عن يسار بن عبد الحكم قال : أنهبَ عسكر الحسين عليه السلام فوجد فيه طيب ، فما
 تطيب به امرأة إلا برصت . العقد الفريد ٤ : ٣٨٤ .

قال : ثم دخل الحسين عليه السلام ذلك الفسطاط فتطلى بالنورة ، قال : ومولاي
عبدالرحمن بن عبد ربّه وبرير بن خضير الهمداني على باب الفسطاط تحتك
مناكبهما ، فازدحما أيهما يطل على أثره فجعل برير يهازل عبدالرحمن !
فقال له عبدالرحمن : دعنا فوالله ما هذه بساعة باطل !

فقال له برير : والله لقد علم قومي أنني ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً ، ولكن
والله إنني لمستبشر بما نحن لاقون ، والله إن بيننا وبين الحور العين إلا أن يميل هؤلاء
علينا بأسيافهم ولوددت أنهم قد مالوا علينا بأسيافهم !

قال : فلما فرغ الحسين عليه السلام دخلنا فاطمينا (٥) . (٦)

قال عبد الرحمن حُبّاً ونُصْحاً	لبرير بدون أي جفاء
حينما هازل ابتهاجاً وبُشْراً	شخصه في تحبّب وإخاء
ليس هذي بساعة يعتريها	باطل دون ريبة وامتراء
قال والله ما وددت اشتياقاً	أبداً كل باطل ورياء
طول عمري طفلاً وكهلاً وقومي	لي بهذا من خيرة الشهداء

(٣) موث : ماث موثاً وموثاناً ، الشيء بالشيء خلطه به ، والشيء في الماء أذابه
فيه ، المنجد : ٧٧٩ .

(٤) الجَفَنَة : القصة الكبيرة .

(٥) قد اختلف في وقوع هذه الحادثة ليلاً ، وقد رواها أبو مخنف في اليوم التاسع .

قال الفاضل القزويني : ويظهر من ابن نما أيضاً أن ذلك كان في غداة يوم عاشوراء ، وهو
بعيد جداً ، وأبعد منه أن ذلك كان في ليلة تاسوعاء ، صرح بذلك في الناسخ ، وقد ذكر جملة
من وقائع ليلة عاشوراء في ليلة تاسوعاء ، وهو اشتباه في اشتباه . والأكثر - على ما صرحوا
به - أنه كان في ليلة عاشوراء وهو الأصح نقلاً واعتباراً . الامام الحسين وأصحابه للقزويني
٢٥٩ : ١ .

(٦) تاريخ الطبري ٤ : ٣٢١ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٦٠ ، اللهوف : ٤١ ، بحار الأنوار ٤٥ : ١ .

غير أنني مُستبشِرُ النفس فيما سوف نلقاهُ من نعيم البقاء
ليس إلا بأن يَسمِلُوا علينا بالمواضي في ساعة الإلتقاء
ثم إننا نعانقُ الحورَ فوزاً بعدَ هذا في جَنَّةِ السُّعداءِ
وحبيبٍ عندَ التَّبَسُّمِ أوحى ليزيدَ هذا بِحدِّ سواءِ
لو أتاني إذنُ الحسينِ لعجلتُ عليهم مِن ساعتي باللقاء^(١)

الحسين عليه السلام يتفقد المعسكر ونافع يتبعه

قال بعض أرباب المقاتل: ثم ان الحسين عليه السلام خرج ليلة العاشر من المحرم في جوف الليل إلى خارج الخيام يتفقد التلاع والعقبات، فتبعه نافع بن هلال الجملي.

فسأله الحسين عما أخرجه في هذه الساعة؟

فقال نافع: يا بن رسول الله، أفرعني خروجك إلى جهة معسكر هذا الطاغية في هذه الساعة.

قال الحسين: إني خرجت أتفقد التلاع والروابي، مخافة أن تكون مكنأ لهجوم الخيل يوم تحملون ويحملون.

ثم رجع عليه السلام وهو قابض على يد نافع وهو يقول: هي هي والله، وعد لا خلف فيه.

ثم قال لنافع: ألا تسلك بين هذين الجبلين في جوف الليل، وتنجو بنفسك؟ فوقع نافع على قدمي أبي عبد الله يقبلهما ويقول: إذاً ثكلت نافعاً أمه، سيدي أن سيفي بألف وفرسي بمثله، فوالله الذي من بك علي، لا فارتك حتى يكلاً عن فري وجري.

(١) ملحمة أهل البيت عليهم السلام للشیخ الفرطوسی: ج ٣ ص ٢٨٨ - ٢٩٦.

وتهادى سبط النبوة ليلاً
 حذراً أن تكونَ دون اختبارٍ
 ورأى نافعَ إمامَ البرايا
 فاقضى إثرَهُ احتفاظاً عليه
 فرنا قائلًا: أنافعُ هذا
 قلتُ ياسيدي خروجك ليلاً
 قال فاسلك ما بين تلك الروابي
 هي والله ليلةُ الوعدِ صدقاً
 قلتُ والله ما أنا عنك ماضٍ
 فرسي هذه بالقي وسيفي
 لستُ أنأى حتّى يكلاً بفري
 لاختبار الرّبي بظلّ الخفاء
 مكنّا للعِدا وخيرِ وقاء
 خارجاً في غياهِبِ الظلماء
 خيفةً من غوائلِ الأعداء
 ما الذي جاء فيكَ بعدَ العشاء
 لثنايا مُعسكرِ الخُصماء
 وانجُ بالنفسِ مِن عظيمِ البلاء
 وهو وعدٌ خلوّ مِن الافتراء
 قطّ حتّى أذوقَ كأسَ الفناء
 مثلها سيدي بحدٍّ سواء
 ويجري مني بأيّ تنائي

ثم دخل الحسين خيمة النساء، ووقف نافع بازاء الخيمة ينتظره. فسمع زينب تقول للحسين - وقد اختنقت بعبرتها -: وأخاه، واحسيناه، أشاهد مصرعك، وأبتلي برعايتي هذه المذايع من النساء، والقوم - يا ابن أُمي - كما تعلم ما هم عليه من الحقد القديم، ذلك خطب جسيم، يعز علي مصرع هذه الفتية وأقمار بني هاشم.

ثم قالت: يا أخي، هل استعلمت من أصحابك نياتهم؟ فاني أخشى أن يُسلموك عند الوثبة، واصطكاك الأُسنة.

فبكى الحسين عليه السلام وقال لها: اما والله، لقد بلوئُهم، فما وجدت فيهم إلا الاشوس الأفعس، يستأنسون بالمنية دوني استيناس الطفل إلى محالب أمه.

قال نافع: فلما سمعتُ هذا منه بكيتُ، وأتيتُ حبيب بن مظاهر، فوجدته

جالساً في خيمته، والسيف مصلت بين يديه، فحكيت له ما سمعت من الحسين ومن أخته زينب، إلى قول الحسين «يستانسون بالمنيّة دوني استيناس الطفل إلى محالب أمه»، فنهض حبيب قائماً على قدميه، وقال: والله، لولا انتظار أمره لعاجلتهم وعالجتهم بسيفي هذه الليلة ما ثبت قائمه بيدي.

فقلت له: إني خلفته عند أخته زينب، وهي في حال وجل ورُعب، وأظن أن النساء قد أفقن وشاركنها في الحسرة، فهل لك أن تجمع أصحابك، وتواجهنّ بكلام يطيب قلوبهنّ ويذهب رعبهن.

فقام حبيب - ومعه نافع - ونادى بين الخيام: يا اصحاب الحميّة، يا ليوث الكريهة؟؟

فتطالعوا من مضاربهم كالأسود الضارية، يقدموهم أبو الفضل العباس بن علي عليه السلام. فقال لبني هاشم: ارجعوا إلى مقركم، لا سهرت عيونكم. ثم التفت إلى أصحابه، وحكى لهم ما شاهده وسمعه نافع من الحسين ومن أخته زينب.

فقالوا - بأجمعهم - والله الذي منّ علينا بهذا الموقف، لولا انتظار أمره لعاجلناهم بسيوفنا الساعة، فطب نفساً وقرّ عيناً.

فجزاهم حبيب خيراً، وقال: هلموا لنواجه النسوة، ونطيّب خاطرهن.

وجاء حبيب ومعه أصحابه - إلى خيم النساء، وأخذ ينادي: السلام عليكم يا ساداتنا، السلام عليكم يا معشر حرائر رسول الله، هذه صوارم فتيانكم، آلوا أن لا يُغمدوها إلا في رقاب من يريد السوء بكم، وهذه أسنة غلمانكم أقسموا أن لا يُركزوها إلا في صدور من يفرّق ناديتكم.

فخرجن النساء اليهم بكاء وعويل - تقدمهنّ العقيلة زينب - وقلن لهم: «أيها الطيّبون، حاموا عن بنات رسول الله وحرائر أمير المؤمنين». فضجّ القوم بالبكاء حتى كأن الأرض تميد بهم.

وروي عن سعد بن عبدالله ، عن احمد بن محمد بن عيسى ، عن الالهوازي، عن النضر بن سويد، عن عاصم بن حميد، عن ابي حمزة الثمالي ، قال علي بن الحسين عليه السلام: كنت مع أبي في الليلة التي قُتل في صبيحتها فقال عليه السلام لأصحابه: «هذا الليل فاتخذوه جملاً فإنّ القوم إنما يريدونني ، ولو قتلوني لم يلتفتوا اليكم، وانتم في حلٍ وسعة» .

فقالوا : والله لا يكون هذا ابداً !

قال : إنكم تُقتلون غداً (كُلُّكُمْ) و لا يفلت منكم رجل .

قالوا: الحمد لله الذي شرفنا بالقتل معك ثم دعا، وقال لهم: ارفعوا رؤوسكم وانظروا، فجعلوا ينظرون إلى مواضعهم ومنازلهم من الجنة، وهو يقول لهم: هذا منزلك يا فلان ، وهذا قصرك يا فلان ، وهذه درجتك يا فلان ، فكان الرجل يستقبل الرّماح والسيوف بصدرة ووجهه، ليصل إلى منزله من الجنة^(١).

وفي حديث أبي جعفر الباقر عليه السلام: إن الحسين عليه السلام قال لأصحابه: ابشروا بالجنة فوالله إنّنا نملك ما شاء الله بعد ما يجري علينا، ثم يخرجنا الله وإياكم حتى يظهر قائمنا فينتقم من الظالمين، وأنا وأنتم نُسأدهم في السلاسل والاغلال وأنواع العذاب !!

فَقِيلَ لَهُ: مَنْ قَائِمُكُمْ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ؟

(١) الخرائج والجرائح للراوندي ٢ : ٨٤٧ - ٨٤٨ ، بحار الانوار ٤٤ : ٢٩٨ ، أسرار الشهادة للدريندي ٢ : ٢٢١ .

قال: السابع من ولد ابني محمد بن عليّ الباقر، وهو الحجة ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابني، وهو الذي يغيب مدة طويلة ثم يظهر ويملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.^(١)

وسمعتُ الحوراء حين توارى	وأنا واقفُ أمام الخباء
تتأجى مع الحسين وقالت	وهي تبكي يا سيّد الشهداء
هل تبينّت وابتليت النوايا	من جميع الأصحاب خير ابتلاء
إن طعم الحماّم مرٌّ وأخشى	أنّا أن يُسلموك دون عناء
عند وقتِ اصطكاك كل سنانٍ	بسنانٍ في وثبة شعواء
قال جرّبتهم فلم أر إلاّ	أشوساً أقعساً شديد المضاء
وهم يأنسون بالموتِ دوني	رغباً في مسرةٍ وهناء
مثلما في محالٍ الأمّ شوقاً	يأنسُ الطفلُ عند وقتِ الغداء
قلتُ إي والإله وانصعُ أسعى	لحيبٍ في حسرةٍ ورثاء
قلتُ هذا جرى فهلاّ تنادي	كلّ أصحابنا بخيرٍ نداء
قال سمعاً وطاعةً ودعاهم	ياليوث الهيجا بخير دُعاء
فأجابوا ليّك حين تجلّوا	كأسود الثرى وشهب السماء
قال ردّوا فلا سهرتُم عُيوناً	لبني هاشم عيونُ العلاء
وحكى للصحاب ما قد حكاه	نافعٌ عند ساعة الإبتداء
فأجابوه كلّهم لو أتتنا	ساعة الإذن من أبي الأركياء
لبدأناهم جميعاً عُجلاً	نحنُ بالحرب دون أيّ رخاء
قال سيروا معي وكان أمام الصّحب	يسري عذواً وهم من وراء

(١) مقتل الحسين للمقرم: ٢١٥ عن إثبات الرجعة.

وَهُمْ يَهْرَعُونَ جَنباً لِّجَنبٍ وَجَثُوا قُرْبَ خِيَمَةِ الْحَوْرَاءِ
وَحَبِيبُ نَادَى فَنَادَاوَا جَمِيعاً يَا كَرِيمَاتِ خَاتِمِ الْأَنْبِيَاءِ
هَذِهِ هَذِهِ السِّيُوفُ الْمَوَاضِي مِنْ جَمِيعِ الْعُلَمَانِ وَالْأَوْلِيَاءِ
قَدْ أَصْرَوْا طُرّاً بِأَنْ يُغْمِذُوهَا فِي نَحُورِ الْعِدَا بِيَوْمِ اللِّقَاءِ
وَالْعَوَالِي آلُوا بِأَنْ يَرْكَزُوهَا دُونَكُمْ فِي صُدُورِ أَهْلِ الْعِدَاءِ
سَوْفَ نَفْدِيكُمْ بِكُلِّ نَفْسٍ وَنَفُوسٍ مَخْلُوقَةٍ لِلْفِدَاءِ
لَنْ تُصَابُوا وَنَحْنُ تَطْرَفُ فِينَا مَقْلَةٌ قَطٌّ بِالْأَذَى وَالْعَنَاءِ
لَا نَرَى مِنْكُمْ قَتِيلاً وَفِينَا رَمَقٌ مِنْ نَوَابِضِ الْأَحْيَاءِ
فَتَعَالَى مِنَ النِّسَاءِ صُرَاخُ ضَجٍّ مِنْهُ بِالنُّوحِ كُلِّ فَنَاءِ
دَافِعُوا عَنْ بَنَاتِ طِهِ وَحَامُوا غَيْرَةً عَنْ حَرَائِرِ الزَّهْرَاءِ
فَعَرَاهُمُ مِنَ النَّحِيبِ دَوِّي طَبَقَ الْأُفُقِ مِنْ رَحِيبِ الْفَضَاءِ^(١)

وروى الصدوق في علّة إقدام أصحاب الحسين عليه السلام على القتل، عن جعفر بن محمد بن عمار، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : أخبرني عن أصحاب الحسين عليه السلام وإقدامهم على الموت ؟

فقال : إنَّهُمْ كُشِفَ لَهُمُ الْغَطَاءُ حَتَّى رَأَوْا مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَقْدُمُ عَلَى الْقَتْلِ لِيُبَادَرَ إِلَى حَوْرَاءٍ يُعَانِقُهَا وَإِلَى مَكَانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ^(٢).

و جاء في زيارة الناحية المقدسة :

أَشْهَدُ لَقَدْ كَشَفَ اللَّهُ لَكُمْ الْغِطَاءَ، وَمَهَّدَ لَكُمْ الْوِطَاءَ، وَأَجْزَلَ لَكُمْ الْعِطَاءَ، وَكُنْتُمْ عَنِ الْحَقِّ غَيْرَ بَاطِلٍ، وَأَنْتُمْ لَنَا فُرْطَاءَ، وَنَحْنُ لَكُمْ خُلَطَاءُ فِي دَارِ الْبَقَاءِ،

(١) ملحمة أهل البيت عليه السلام .

(٢) علل الشرائع ٢ : ٢٢٩ ح ١ ، بحار الأنوار ٤٤ : ٢٩٧ .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ^(١)

ولقد أجاد من قال فيهم :

وذووا المروّة والوفاء أنصّاره	لهم على الجيش اللئام زئيرُ
طهرت نفوسهم لطيب أصولها	فعنصر طابت لهم وحجورُ
فتمثّلت لهم القصور وما بهم	لولا تمثّلت القصور قصورُ
ما شاقّهم للموت إلّا دعوّة	الرحمن لا ولدائها والحوُر ^(٢)

وقال الآخر :

وفتية من رجال الله قد صبروا	على الجلاّد وعانوا كلّ محذورٍ
حتّى تراءت لهم عدن بزيتها	مآتماً كُنَّ عرس الخُرَد الحور ^(٣)

وقال آخر أيضاً :

وبيتوه وقد ضاق الفسيحُ به	منهم على موعد من دونه العطلُ
حتى إذا الحرب فيهم من غدٍ كشفت	عن ساقها و ذكى من وقد ما شعلُ
تبادرت فتيةً من دونه غررُ	شمّ العرائين ما مالوا و لا نكلوا
كأنّما يجتنى حلواً لأنفسهم	دون المنون من العسّالة العسلُ
تراءت الحور في أعلى القصور لهم	كشفاً فهان عليهم فيه ما بذلوا ^(٤)

رؤيا الإمام الحسين عليه السلام

وروي إن الحسين عليه السلام لما كانَ وَقْتُ السَّحَرِ خَفَقَ بِرَأْسِهِ خَفَقَةً ثُمَّ اسْتَيْقَظَ
فَقَالَ: أَتَعْلَمُونَ مَا رَأَيْتُ فِي مَنَامِي السَّاعَةَ ؟

(١) الأقبال لابن طاووس : ج ٣، ص ٨٠، بحار الأنوار : ج ٩٨، ص ٢٧٣ - ٢٧٣.

(٢) نفثة المصدور للشيخ عباس القمي : ٦٢٩.

(٣) أدب الطف للسيد جواد شبر : ٦ : ٢٦١.

(٤) الدمعة الساكية ٤ : ٢٧٨.

فقالوا: وما الذي رأيت يا بن رسول الله؟

فقال: «رأيت كأن كلاباً قد شددت عليّ لتنهشني»^(١) وفيها كلبٌ أبقع رأيتُهُ أشدها عليّ وأظنُّ أن الذي يتولَّى قتلي رجلٌ أبرص^(٢) من بين هؤلاء القوم، ثم إنِّي رأيتُ بعد ذلك جدي رسول الله ﷺ ومعه جماعة من أصحابه وهو يقولُ لي: يَا بُنَيَّ أَنْتَ شَهِيدُ آلِ مُحَمَّدٍ، وَقَدْ اسْتَبَشَرَ بِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلُ الصَّفِيحِ^(٣) الْأَعْلَى فليكنَ إِفْطَارُكَ عِنْدِي اللَّيْلَةَ عَجَلٌ وَلَا تُؤَخِّرْ! فَهَذَا مَلَكٌ قَدْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ لِيَأْخُذَ دَمَكَ فِي قَارُورَةٍ خَضَاءَ، فَهَذَا مَا رَأَيْتُ وَقَدْ أَزَفَ الْأَمْرُ، وَاقْتَرَبَ الرَّحِيلُ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ»^(٤).

ورأى جده فأوحى إليه	قد تدانى ميعادُ يومِ اللقاء
سيكونُ الإفطارُ منك بحقِّ	في غدٍ عندنا بوقتِ المساءِ
بك أهلُ الجنانِ زادوا ابتشاراً	والصفیح ^(٥) الأعلى بأصفي هناءِ
ولقد جاء من إله البرايا	ملكٌ مِن أكارمِ الأُمْناءِ
ليصونَ الدماءَ منك احتفاظاً	بين جنبي قارورةِ خضراءِ

يوم عاشوراء

ورُوي عن الامام زين العابدين عليه السلام أنه قال: ولما أصبحت الخيلُ تقبلُ على

(١) وفي الفتوح: تُناشِبني .

(٢) وفي الفتوح: رجلٌ أبقع وأبرص .

(٣) الصفیح أو الصَّفح: من أسماء السماء، ومنه ملائكة الصَّفح الأعلى، أي ملائكة السماء العليا. مجمع البحرين للطبري ٢: ٣٨٦.

(٤) الفتوح لابن الأعمش ٥: ١١١، مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٢٥١، بحار الأنوار ٤٥: ٣، العوالم ١: ٢٤٧.

(٥) الصفیح: السماء .

الحسين بن علي عليه السلام ونظر إلى جمعهم كأنهم السيل المنحدر، رفع يديه بالدعاء فقال:

«اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من هم يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك، وشكوته إليك، رغبة مني إليك عمّن سواك، ففرجته وكشفته، فأنت ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومُنْتَهَى كُلِّ رغبة».

عدد أصحاب الامام عليه السلام

قيل: ثم صفهم للحرب، وكانوا اثنين وثلاثين فارساً وأربعين راجلاً. ونقل عن محمد بن أبي طالب أنّ أصحابه عليه السلام ناهز الاثنين وثمانون رجلاً. وعن (ابن شهر آشوب): إنهم كانوا اثنين وثلاثين فارساً وخمسين راجلاً. وفي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام: إنهم كانوا خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل.

وقيل: كانوا أقل من هذا العدد. وقيل: أكثر. (١)

تعبئة الجيش الحسيني

فجعل زهير بن القين في الميمنة وحبيب بن مظاهر الأسدي في الميسرة. وثبت هو عليه السلام في القلب وأعطى رايته العظمى أخاه العباس بن علي عليه السلام. وجعلوا البيوت في ظهورهم. وأمر الحسين عليه السلام بحطّ وقصب - كان من وراء البيوت - أن

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٤.

يُجعل في الخندق الذي حفروه، وأن يُحرق بالنار مخافة أن يأتيهم العدو من ورائهم.^(١)

الخطبة الأولى للحسين عليه السلام

ثم دعا عليه السلام براحلته فركبها، وتقدّم نحو القوم ونادى بصوت يسمعه جُلّهم: «أيّها الناس، إسمعوا قولي، ولا تعجلوا حتى أعظّم بما هو حق لكم عليّ، وحتى أعتذر اليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدّقتم قولي وأعطيتُموني النصف كنتُم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل. وإن لم تقبلوا منّي بعذر ولم تُعطوني النصف من أنفسكم ﴿فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم أقضوا إليّ ولا تُنظروا﴾^(٢)، ﴿إن وليّ الله الذي نزل الكتاب وهو يتولّى الصالحين﴾^(٣).

فلما سمعن النساء هذا منه صحن وبكين، وارتفعت اصواتهنّ، فوجّه إليهنّ أخاه العباس وابنه علي الأكبر، وقال لهما: سكّتا هنّ، فلعمري ليكثر بكاؤهنّ. ثم حمد الله وأثنى عليه، وذكر الله بما هو أهله، وصلى على النبي محمد، وعلى الملائكة والأنبياء. فذكر من ذلك ما لا يُحصى ذكره، ولم يُسمع متكلم قبله ولا بعده أبلغ منه في منطقه.

تعبئة الجيش الأموي

وعبأ عمر بن سعد اصحابه، وكانوا - على ما نصّت عليه الرواية عن الإمام

(١) الارشاد للمفيد ٢: ٩٥.

(٢) يونس: ٧١.

(٣) الأعراف: ١٩٦.

زين العابدين عليه السلام - ثلاثين ألفاً.

فجعل عمرو بن الحجاج الزبيدي في الميمنة، وشمربن ذي الجوشن الضبابي في الميسرة، وعلى الخيل عزرة بن قيس الأحمسي، وعلى الرجال شبت بن رعيي البربوعي، وأعطى رايته دُرَيْدًا مولاه.

وأقبل القوم يجولون حول معسكر الحسين عليه السلام وينظرون إلى النار تضطرم في الحطب والقصب في الخندق. فبينما هم كذلك اذ أقبل الشمر يركض على فرس له، فلما رأى النار تلتهب رجع وهو ينادي بأعلى صوته: يا حسين، استعجلت النار في الدنيا قبل يوم القيامة.

فرفع الحسين رأسه قائلاً: من هذا؟ كأنه شمر بن ذي الجوشن؟

فقالوا: نعم، أصلحك الله هو هو.

فقال: يا بن راعية المعزى، أنت أولى بها صلياً.

فقال له مسلم بن عوسجة: يا ابن رسول الله، جُعلت فداك، ألا أرميه بسهم؟ فمنعه الحسين، وقال له: لا ترمه فإني أكره أن أبدأهم بقتال.^(١)

خطبة زهير بن القين

قالوا: ولما زحف القوم نحو الحسين خرج زهير بن القين على فرس ذئوب، شاك السلاح فقال:

«يا أهل الكوفة، نذار لكم من عذاب الله، نذار، إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن - حتى الآن - إخوة وعلى دين واحد وملة واحدة، وما لم يقع

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ٢٣٣ - ٢٣٤، بحار الأنوار ٤٥: ٤ - ٥.

بيننا وبينكم السيف، وأنت للنصيحة منّا أهل، فاذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا أمةً وكنتم أمةً، إن الله ابتلانا وإياكم بذرية نبيّه محمد ﷺ لينظر ما نحنُ وأنتم عاملون، أنا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية يزيد وعبيد الله بن زياد، فإنكم لا تدركون منهما إلّا بسوء عُمر سلطانهما كلّهُ، ليسملان أعينكم، ويُقطّان أيديكم وأرجلكم، ويمثّلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أمثالكم وقراءكم، أمثال: حجر بن عدي واصحابه، وهاني بن عروة واشباهه».

فسبّوه، وأثّنوا على عبيد الله بن زياد ودعوا له، وقالوا: لا نبرح حتى نقل صاحبك ومن معه أو نبعث به وباصحابه إلى الأمير عبيد الله بن زياد سلماً.

فقال لهم: عباد الله، إن ولد فاطمة أحقُّ بالودّ والنصر من ابن سميّة، فإن لم تنصروهم فأعيذكُم بالله أن تقتلوهم، فخلّوا بين هذا الرجل وبين يزيد بن معاوية، فلعمري إنه ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين.

فرماه الشمرُ بسهم وقال: أسكت، أسكت الله نأمتك، فقلد أبرمتنا بكثرة كلامك.

فقال له زهير: يا ابن البوال على عقبيه، ما إيتاك أخاطب، إنّما أنت بهيمة، والله ما أظنك تُحكّم من كتاب الله آيتين، فابشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم.

فقال له الشمر: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة.

فقال له زهير: أقبال الموت تُخوّفتني؟ فوالله للموت معه أحبّ إليّ من الخلد معكم.

ثم أقبل على القوم رافعاً صوته فقال:

عباد الله، لا يغرّنكم عن دينكم هذا الجلفُ الجافي واشباهه، فوالله لا تنال

شفاعة محمد قوماً أهرقوا دماء ذريته وأهل بيته، وقتلوا من نصرهم وذبّ عن حريمهم.

فناداه رجلٌ من أصحاب الحسين، وقال له: إنّ أبا عبد الله يقول لك: أقبل، فلعمري لئن كان مؤمنٌ آل فرعون نصّح قومه وأبلغ في الدعاء، فلقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع النصّح والابلاغ.

خطبة برير بن خضير

قالوا: واستأذن الحسين بُرَيْرُ بن خضير الهمداني في أن يكلم القوم، فأذن له الحسين، فوقف بإزاء القوم ونادى:

يا معشر الناس، ان الله بعث محمداً بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله وسراجاً منيراً. وهذا ماء الفرات تقع فيه خنازير السّواد وكلابه، وقد حيل بينه وبين ابن بنت رسول الله ﷺ أفجزأ محمدٌ هذا؟

فقالوا: يا بُرير، أكثرت الكلام، فوالله ليعطش الحسين كما عطش من كان قبله.

فقال: يا قوم، إتقوا الله، إن ثقل محمد قد أصبح بين أظهركم، وهؤلاء ذريته وعترته وبناته وحرمة، فهاتوا ما عندكم، وما الذي تُريدون أن تصنعوه بهم؟ فقالوا: نُريد أن نُمكن منهم الأمير عبيد الله بن زياد، فيرى فيهم رأيه.

قال: أفلا تقبلون منهم أن يرجعوا إلى المكان الذي جاؤا منه؟ ويلكم - يا أهل الكوفة - أنسيتم كتبكم وعهودكم التي أعطيتموها من أنفسكم وأشهدتم الله عليها، وكفى بالله شهيداً، ويلكم أدعوتُم أهل بيت نبيكم، وزعمتم أنكم تقتلون أنفسكم دونهم، حتى إذا أتوكم اسلمتموهم إلى ابن زياد، وحلائتموهم عن ماء

الفرات الجاري الذي يشرب منه اليهود والنصارى والمجوس، وتردّه الكلاب والخنازير، بئسما خلقتُم محمداً في ذريته، مالكم لا سقاكم الله يوم القيامة، فبئس القوم أنتم.

فقال نفر منهم: يا هذا، ما ندري ما تقول؟

فقال: الحمد لله الذي زادني فيكم بصيرةً، اللهم اني أبرأ اليك من فعال هؤلاء القوم، اللهم الق بأسهم بينهم حتى يلقوك وأنت عليهم غضبان. فجعل القوم يرمونه بالسهام، فتقهقر.

الخطبة الثانية للحسين عليه السلام

ثم قال عليه السلام :

«الحمد لله الذي خلق الدنيا، فجعلها دار فناء وزوال، متفرقة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرته، والشقي من فتنته، فلا تغرنكم هذه الحياة الدنيا، فإنها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخيّب طمع من طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمرٍ قد اسخطتم الله عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلّ بكم نقمته، وجنّبكم رحمته، فنعم الربّ ربنا، وبئس العبيد أنتم، أقررتم بالطاعة، وآمنتُم بالرسول محمد ﷺ ثم إنكم زحفتُم إلى ذريته وعترته تُريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم، فتبّاً لكم ولما تُريدون، هؤلاء قومٌ كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين».

فقال عمر بن سعد: ويلكم، كلّموه، فانه ابن أبيه، والله لو وقف فيكم هكذا يوماً جديداً لما قطع ولما حُصر، فكلّموه.

فتقدّم اليه شمر بن ذي الجوشن، فقال: يا حسين، ما هذا الذي تقول؟ أفهمنا حتى نفهم.

خطبته الثالثة

فقال الحسين عليه السلام :

«أما بعدُ، فانسُبُوني وانظروا من أنا، ثم أرجعوا إلى انفسكم فعاتبوا، وانظروا هل يحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي:

ألسن ابن بنت نبيكم وابن وصيّه وابن عمّه؟ وأول المؤمنين بالله؟ والمصدّق لرسوله بما جاء من عند ربه؟

أوليس حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي؟

أوليس جعفر الشهيد الطيار في الجنّة عمي؟

أولم يبلغكم قولُ رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي: «هذان سيّدَا شباب أهل الجنّة»؟

فان صدّقتموني فيما أقول، فهو الحقّ، فوالله ما تعمّدْتُ كذباً منذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، ويضُرُّ به من اختلقه.

وإن كذبتُموني، فإنّ فيكم من إن سألتُموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم. وأنس بن مالك يُخبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟

حوار الحسين عليه السلام مع الشمر

فقال له شمرُ بن ذي الجوشن: هو يعبدُ الله على حرف إن كان يدري ما تقول.

فقال له حبيبُ بن مظاهر: والله، إنني لأراك تعبد الله على سبعين حرفاً وأشهد

أنك صادق ما تدري ما تقول، قد طبع الله على قلبك.

ثم قال الحسين عليه السلام :

«فان كنتم على شكٍ من ذلك، أفتشكون أنني ابنُ بنت نبيكم، فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيٍّ غيري فيكم ولا في غيركم، أنا ابنُ بنت نبيكم خاصة.

ويحكم!! أفتطلبوني بقتيلٍ منكم قتلته، أو مالٍ لكم استهلكته، أو بقصاصٍ من جراحة؟»

فأخذوا لا يكلمونه فنادى:

يا شيث بن ربعي، ويا حجار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليّ: «أن قد اينعت الثمار، واخضرَّ الجنباب، وإنما تقدم على جُنْدٍ لك مجنَّد فأقبل».

فقالوا: لم نفعل ذلك.

قال: سبحان الله، بلى والله، لقد فعلتم.

ثم قال: أيها الناس، اذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمني من الارض.

فقال له قيس بن الأشعث: أولا تنزل على حكم بني عمك؟ فانهم لن يروك إلا ما تحب، ولن يصل إليك منهم مكروه.

فقال له الحسين: أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل، لا والله، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرُّ إقرار العبيد.

ثم نادى: عباد الله: ﴿إِنِّي عُدْتُ رَبِّي وَرَبَّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ، أَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ

من كل متكبر لا يؤمن يوم الحساب ﴿١﴾.

ثم أناخ راحلته، وأمر عقبة بن سمان، فعقلها.

عبدالله بن حوزة

وأقبل القوم يزحفون نحو مُخَيَّم الحسين عليه السلام وكان فيهم عبد الله بن حوزة التميمي، فصاح: أفيكم حسين؟ فلم يُجبه أحد، فأعاد القول ثانياً وثالثاً.

فقال له بعض أصحاب الحسين: هذا الحسين، فما تريد منه؟

فقال: يا حسين، إبشر بالنار.

فقال الحسين: كذبت، بل أقدم على ربِّ غفورٍ كريمٍ مطاعٍ شفيع، فمن أنت؟

قال: أنا ابن حوزة.

فرفع الحسين يديه نحو السماء، حتى بان بياضُ إبطيهما وقال: اللهم حُزَّهُ

إلى النار.

فغضب ابن حوزة، وأقحم الفرس في نهرٍ بينهما، فتعلقت قدمه بالركاب وجالت به الفرس، فسقط عنها، فانقطعت ساقه وفخذه، وبقي جانبه الآخر معلقاً بالركاب، يضرب به الفرس كلَّ حجرٍ وشجر، وألقته في النار المشتعلة في الخندق فاحترق بها حتى مات لعنه الله.

مسروق بن وائل

وقال مسروق بن وائل الحضرمي - وكان قد خرج مع ابن سعد - وقال: لعلي

أصيب رأس الحسين؟ فأصيب به منزلةً عند ابن زياد، فلما رأى ما صنع الله بابن

حوزة بدعاء الحسين عليه السلام رجع وقال: لقد رأيت من أهل هذا البيت شيئاً لا أقاتلهم

أبدأ.

ابن أبي جويرية وتميم بن الحصين

وجاء في الأمالي : عن الإمام الصادق عليه السلام : وعبأهم تعبئة الحرب ، وأمر بحفירתه التي حول عسكره فأضرمت بالنار ، ليقاتل القوم من وجه واحد .

وأقبل رجل من عسكر عمر بن سعد على فرس له ، يقال له : ابن أبي جويرية المزني ، فلما نظر إلى النار تنقذ صفق بيده ونادى : يا حسين وأصحاب الحسين ، أبشروا بالنار فقد تعجلتموها في الدنيا .

فقال الحسين عليه السلام : من الرجل ؟ فقيل : ابن أبي جويرية المزني .

فقال الحسين عليه السلام : اللهم أذقه عذاب النار في الدنيا ، فنفّر به فرسه فألقاه في تلك النار فاحترق .

ثم برز من عسكر عمر بن سعد رجل آخر ، يقال له : تميم بن الحصين الفزاري ، فنادى : يا حسين ويا أصحاب الحسين ، أما ترون إلى ماء الفرات يلوح كأنه بطون الحيات ، والله لا ذقت منه قطرة حتى تذقوا الموت جزعاً .

فقال الحسين عليه السلام : من الرجل ؟ فقيل : تميم بن حصين .

فقال الحسين عليه السلام : هذا وأبوه من أهل النار ، ألهم اقتل هذا عطشاً في هذا اليوم .

قال : فخنقه العطش حتى سقط عن فرسه ، فوطأته الخيل بسنابكها فمات .
ثم أقبل آخر من عسكر عمر بن سعد ، يقال له محمد بن أشعث بن قيس الكندي ، فقال : يا حسين بن فاطمة ، أية حرمة لك من رسول الله صلى الله عليه وآله ليست لغيرك؟! قال الحسين عليه السلام : هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ، ذرية^(١) .

(١) آل عمران : ٣٣ - ٣٤ .

ثم قال : والله إنَّ محمداً لَمَن آل إبراهيم وإن العترة الهادية لمن آل محمد ، مَنْ الرجل ؟

فقيل : محمد بن أشعث بن قيس الكندي .

فرجع الحسين عليه السلام رأسه إلى السماء فقال : اللهم أرِ محمدَ بن الأشعث دُلاً في هذا اليوم لا تعزّه بعد هذا اليوم أبداً ، فعرض له عارض فخرج من العسكر يتبرز فسلط الله عليه عقرباً فلدغته فمات بادي العورة .

فبلغ العطش من الحسين عليه السلام وأصحابه ، فدخل عليه رجل من شيعته يقال له : يزيد بن الحصين الهمداني ... فقال : يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله أتأذن لي فأخرج إليهم فأملهم ، فأذن له .

فخرج إليهم فقال : يا معشر الناس إن الله - عزّ وجلّ - بعث محمداً بالحقّ بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وهذا ماء الفرات تقع فيه خنازير السواد وكلابها ، وقد حيل بينه وبين ابنه ؟

فقالوا : يا يزيد فقد أكثرت الكلام فاكفف فوالله ليعطش الحسين عليه السلام كما عطش مَنْ كان قبله .

فقال الحسين عليه السلام : اقعد يا يزيد ، ثم وثب الحسين عليه السلام متوكياً على سيفه^(١) .

خطبة الحسين الرابعة

ثم إنَّ الحسين عليه السلام ركب فرسه - وقيل ناقته - وأخذ مُصفاً ونشره على رأسه ، وتقدّم نحو القوم ، فاستنصتهم ، فأنصتوا ، فحمد الله وأثنى عليه ،

(١) أمالي الصدوق : ١٣٤ - ١٣٥ .

وصلّى على النبي محمد وعلى الملائكة والأنبياء والرسل، وأبلغ في المقال،
ثم قال :

«يا قوم، إن بيني وبينكم كتاب الله وسنة جدي رسول الله ﷺ».

ثم استشهدهم عن نفسه المقدسة، وعن جدّه رسول الله ﷺ وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وأمه فاطمة سيّدة نساء العالمين، وجدّته خديجة أمّ المؤمنين، وعمّ أبيه الحمزة سيّد الشهداء، وعن عمّه جعفر الطيار في الجنّة، وما عليه من سيف رسول الله ودرعه وعمامته؟ فأجابوه عن كلّ ذلك بالتصديق.

فسألهم عما أقدمهم على قتله، واستحلال دمه؟ فقالوا: قد علمنا ذلك كلّهُ، ونحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشاً.

فقال عليه السلام : «تبّاً لكم - أيّها الجماعةُ وترحاً أحيان استصرختمونا وآلهين فأصرخناكم موجفين، سلّتم علينا سيفاً لنا في إيمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدوّنا وعدوكم، فاصبحتم إلّبا لأعدائكم على أوليائكم، إلّا الحرام من الدنيا أنالوكم وخسيس عيس طمعتم فيه، من غير حدث كان مثاً، ولا رأي تفيّل لكم فهلّاً لكم الولايات، إذ كرهتمونا وتركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن، والرأي لما يُستحصف ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدّبي وتهافتم علينا كتهافت القراش، ثمّ نقضتموها، فسحقاً لكم يا عبيد الأُمّة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومُحرّفي الكلم، ونفثة الشيطان، وعُصبة الآثام، ومُطفئي السّنن، وقتلة أولاد الأنبياء، ومُبيري عترة الأوصياء، ومُلاحقي العهار بالنسب، مؤذي المؤمنين، وصُراخ أئمة المستهزئين، ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ ﴿ولبس ما قدّمت لهم أنفسهم وفي العذاب هم خالدون﴾. وأمت ابن حربٍ وأشياعه تعتمدون، وعنا تتخاذلون. أجل - والله - غدو فيكم قديم، وشجّت عليه اصولكم، وتأزّرت عليه

فروغكم وثبتت عليه قلوبكم وغشيت صدوركم، فكنتم أخبث ثمر شجى للناظر، وأكله للغاصب. ألا لعنة الله على الناكثين، الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، فأنتم - والله - هم.

ألا وإنّ الدّعي ابن الدّعي قد ركز بين اثنتين: بين السّلة والذّلة، وهيهات ممّا الذّلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت، وأنوف حميّة ونفوس أبيّة من أن تؤثر طاعة اللّثام على مصارع الكرام.

ألا وقد أعذرتُ وأنذرتُ. ألا وإني زاحفُ بهذه الأسرة على قلّة العدد وكثرة العدو، وخذلان الناصر، ثم أنشد:

فإنّ نهزم فهزامون قدماً	وإن نُهزم فغيرُ مُهزّمينَا
وما إن طَبْنَا جَبِيْنُ ولكن	منايانا ودولةٌ آخِرِينَا
إذا ما الموتُ رَفَعَ عن أناسٍ	كلاكله أناخ بآخِرِينَا
فأفنى ذلكم سرّواتِ قومي	كما أفنى القرونَ الأوّلِينَا
فلو خَلَدَ الملوْكُ إذا خَلَدْنَا	ولو بقي الكرامُ إذا بقيْنَا
فقلّ للشامتين بنا: أفيقُوا	سيلقى الشامتون كما لقِينَا

ثم قال ﷺ: «أما والله، لا تلبثون بعدها إلّا كريثما يُركب الفرس حتى تدور بكم دوران الرّحى، وتقلق بكم قلق المحور، عهدُ عهدِه إليّ أبي عن جدي رسول الله ﷺ ﴿فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُون، إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾».

ثم رفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث

عليهم سنين كسني يوسف ، وسلّط عليهم غلام ثقيف^(١) يسقيهم كأساً مصبرة ، فانهم كذبونا وخذلونا ، وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير .

الحسين يستدعي ابن سعد ويؤنبه

واستدعى الحسينُ عمر بن سعد - وكان كارهاً لا يُحب أن يأتيه - فلما حضر قال له: أي عمر، أتزعم أنك تقتلني ويؤليك الدعي بن الدعي بلاد (الري وجرجان)؟ والله لا تنهتُ بذلك أبداً، عهدٌ معهود، فاصنع ما أنت صانع، فانك لا تفرح بعدي بدنياً ولا آخرة، وكأني برأسك على قصبةٍ قد نُصب بالكوفة يتراماه الصبيان ويتخذونه غرضاً بينهم».

فغضب ابن سعد من كلامه، وصرف وجهه عنه، ثم نادى بأصحابه: ما تنتظرون به، إحملوا بأجمعكم، إنما هي أكلة واحدة.

لم أنسه إذ قامَ فيهم خاطباً	فاذا هم لا يملكون خطاباً
يدعو: السُّ أنا ابن بنت نبيكم	وملاذكم إن صرف دهر نابا
هل جئتُ في دين النبي ببدعة	أم كنتُ في أحكامه مُرتابا
أم لم يُوصّ بنا النبي وأودع	الثقلين فيكم: عترةً وكتابا
إن لم تدينوا بالمعاد فراجعوا	أحسابكم إن كنتم أعرابا

(١) وغلام ثقيف الذي أخذ بئار الحسين عليه السلام وقتل قاتليه هو: أبو إسحاق المختار بن أبي عبيدة بن مسعود بن عمير الثقفي، ولد في السنة الأولى للهجرة، واستخلفه على المدائن عمه سعد بن مسعود الثقفي سنة « ٣٧ » هـ، وكان بها عند عمه إلى بعد عام الجماعة سنة « ٤٠ »، كان من كبراء ثقيف، وذوي الرأي، والفصاحة، والشجاعة، والدهاء.

انظر: تاريخ الطبري ٥: ٥٦٩، وج ٦: ٧ و ٣٨ وما بعدها و ٩٣، ذوب النصار: ٥٩، البداية والنهاية ٨: ٢٨٩، الإصابة ٣: ٥١٨ رقم ٨٥٤٥، الأعلام للزركلي ٧: ١٩٢.

فغدوا حيارى لا يرون لوعظه إلا الأسنة والسهم جواباً
ثم أخذ يُنادي: أما من مغيث يُغيثنا لوجه الله، أما من ذابَّ يذبُّ عن حرم
رسول الله.

توبة الحر

قالوا: ولما رأى الحرُّ بنُ يزيد الرياحي: أنَّ القوم مُصمِّمون على قتال
الحسين، وسمع استغاثته، أقبل على ابن سعد وقال له:

أمقاتلُ أنت هذا الرجل؟

قال: إي والله، قتالاً أيسره أن تسقط فيه الرؤوس وتطيح الأيدي.

قال الحرُّ: أما لكم في واحدةٍ من الخصال التي عرضها عليكم رضاً؟

قال ابن سعد: لو كان الأمر إليّ لفعلتُ، ولكن أميرك قد أبى ذلك.

فتركه، وأقبل حتى وقف مع الناس، وكان إلى جنبه رجلٌ من قومه يقال له:
(قرة بن قيس).

فقال له: يا قرة، هل سقيت فرسك اليوم؟ قال: لا.

قال: أما تريد أن تسقيه؟

قال (قرة): فظننتُ - والله - أنه يُريد أن يتنحى فلا يشهد القتال، ويكره أن اراه
حين يصنع ذلك مخافة أن أرفعه عليه، فقلت له: لم أسقه، وأنا منطلق فأسقيه،
فاعترلتُ ذلك المكان الذي كان فيه، فوالله لو أنه أطلعني على الذي يُريد لخرجتُ
معه إلى الحسين.

وأخذ الحرُّ يدنو من الحسين قليلاً قليلاً. فقال له رجلٌ من قومه يقال له

(المهاجر بن أوس): أتريد أن تحمل يا أبا يزيد؟

فسكت، وأخذته مثل الرعدة.

فقال له المهاجر بن أوس: والله إن أمرك لمُريب، والله ما رأيت منك في موقف - قط - مثل ما أراه - الآن، ولو قيل لي: مَنْ أشجع أهل الكوفة لما عدوك، فما هذا الذي أرى منك؟

فقال له الحر: أتني - والله - أخير نفسي بين الجنة والنار، ولا أختار على الجنة شيئاً، ولو أحرقت وقُطعت.

ثم ضرب جواده وأقبل نحو الحسين عليه السلام واضعاً يديه على رأسه وقد قلب درقته، منكساً رمحه كهياة المستأمن، وقد طأطأ برأسه، حياءً من آل الرسول بما أتى إليهم، وجعجع بهم في هذا المكان على غير ماء ولا كلاء، رافعاً صوته بقوله:

«اللهم إليك أُنِيب، فتب عليّ، فقد أَرعبتُ قلوبَ أوليائك وأولاد بنتِ نبيك»^(١)
ولسان حاله يقول:

لن أبرح الباب حتى تُصلحوا عوجي وتقبلوني على عيبي ونقصاني
فان رضيتم فيا عزّي ويا شرفي وان أبيتم فمن أرجو لغفراني

ثم جاء وسلم على الحسين وقال له:

«جعلني الله فداك - أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وسأيرتك في الطريق، وجعجت بك في هذا المكان، والله الذي لا اله إلا هو ما ظننتُ أن القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبداً، ولا يبلغون منك هذه المنزلة... والله لو علمتُ

أنهم ينتهون بك إلى ما أرى ما ركبت مثل الذي ركبت، وإني قد جئتكم تائباً إلى ربي مما كان مني، ومواسياً لك بنفسي حتى أموت بين يديك، أفترى لي من ذلك توبة؟

قال الحسين: نعم، يتوب الله عليك ويغفر لك. ما أسمك؟

قال: أنا الحرّ بن يزيد.

قال الحسين: أنت الحرّ - كما سمّتك أمك - أنت الحرّ إن شاء الله في الدنيا والآخرة، إنزل؟

قال الحرّ: أنا لك فارساً خيراً مني راجلاً، أقاتلهم على فرسي ساعة، وإلى النزول ما يصير آخرُ أمري.

فقال الحسين: إصنع - رحمك الله - ما بدا لك.

خطبة الحر

قاستقدم أمام الحسين، وتوجّه نحو القوم منادياً بأعلى صوته:

يا أهل الكوفة، لأمكم الهبل والعبث إذ دعوتكم هذا العبد الصالح حتى إذا أتاكم أسلمتكموه، وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه، ثم عدوتم عليه لتقتلوه، وأمسكتكم بنفسه، وأخذتم بكظمه وأحطتكم به من كل جانب، ومنعتموه من التوجّه في بلاد الله العريضة حتى يأمن هو وأهل بيته، فأصبح كالأسير في أيديكم، لا يملك لنفسه نفعاً، ولا يدفع عنها ضرراً، وحلأتموه ونساءه وصبيته وأصحابه عن ماء الفرات الجاري الذي يشربه اليهود والنصارى والمجوس. وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابها. وها هم قد صرعهم العطش. بسّما خلفتم محمداً في ذريته، لا سقاكم الله يوم الظمّ، ان لم تتوبوا وتزعوا عما أنتم عليه

من يومكم هذا وساعتكم هذه». فحملت عليه الرجاله ترميه بالنبل، فتقهقر حتى وقف أمام الحسين عليه السلام .

سكينة تصف ليلة العاشر

وروي مؤلف كتاب نور العيون بإسناده عن سكينة عليها السلام بنت الحسين عليه السلام قالت:

إنها كانت ليلة مقمرة، كنتُ جالسةً في الفسطاط، فإذا سمعتُ صوت البكاء عن خلفِ الفسطاط، فسكتُ خوفاً من اطلاع الأخوات وسائر النسوة، فخرجتُ وقلبي لا يشهد بالخير، وكنتُ أمشي وأضربُ قدمي على ذيلي وأسقط وأقوم، فرأيت أبي جالساً وأصحابه حوله، فسمعتُ أبي يقول لهم:

أنتم جئتم معي لعلمكم بأنني أذهب إلى جماعة بايعوني قلباً ولساناً، والآن تجدونهم قد استحوز عليهم الشيطان ونسوا الله، والآن لم يكن لهم مقصد سوى قتلي وقتل من يُجاهد بين يدي، وسبي حريمي بعد سلبهم، وأخاف أن لا تعملوا ذلك، أو تعلموا ولا تتفرقوا للحياء مني، ويحرم المكر والخدعة عندنا أهل البيت، فكل من يكره نصرتنا فليذهب في هذه الليلة الساترة، ومن نصرنا بنفسه فيكون معنا في الدرجات العالية من الجنان، فقد أخبرني جدِّي: أن ولدي الحسين يُقتل بطفٍّ كربلاء غريباً وحيداً عطشاناً، فمن نصره فقد نصرني ونصر ولده القائم، ومن نصرنا بلسانه فإنه في حزبنا في القيامة .

قالت سكينة: والله ما أتمّ كلامه إلا وتفرّق القوم من نحو عشرة وعشرين، فلم

يبقى معه إلا ما ينقص عن الثمانين ويزيد عن السبعين^(١)، فنظرت إلى أبي فوجدته قد نكس رأسه في حزنٍ وكرٍ، فلما رأيت ذلك خنقتني العبرة، فرددتها ولزمت السكوت وتوجّهت إلى السماء وقلت: اللهم إنهم خذلونا فاخذلهم، ولا تجب دعاءهم، ولا تجعل لهم في الأرض مسكناً، وسلّط عليهم الفقر، ولا تنلهم شفاعه جدي.

فرجعت إلى الفسطاط وتنهمل دموعي، فنظرت عمّتي أمّ كلثوم إليّ فقالت: مالك؟ فقصصت القصة لها، فلما سمعت ذلك نادت وا جدّاه، وا عليّاه، وا حسنا، واحسيناه، وا قلّة ناصراه، ولا أدري كيف لنا المخلص من أيدي الأعداء، وليت الأعداء يرضون أن يقتلونا بدلاً عن أخي، فاجتمعت النساء من بُكائهن فبكين.

وسمع أبي بُكاءهن فخرج من الفسطاط باكياً، فدخل على فسطاطهن، فقال: ما هذا البكاء؟ فقربت عمّتي إليه وقالت: يا أخي، رُدّنا إلى حرم جدّنا، فقال: كيف لي ذلك مع كثرة الأعداء؟ فقالت: أجل، ذكّرهم محلّ جدّك وأبيك وجدّتك وأخيك، فقال: ذكّرتهم فلم يذكروا، ووعظتهم فلم يتعظوا ولم يسمعوا قولي، وليس لهم رأي سوى قتلي، ولا بدّ أن تروني على الثرى جديلاً، ولكن أوصيكم بالصبر والتقوى، وذلك أخبر به جدّكم، ولا خلف لوعده، وأسلمكم على من لو هتك الستر لم يستره أحد، ثم تباكيها ساعة والامام عليه السلام يقول: «وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»^(٢).^(٣)

(١) وفي الدفعة السابعة: فلم يبق معه إلا واحد وسبعون رجلاً.

(٢) البقرة: ٥٧.

(٣) أسرار الشهادة للدريّندي ٢: ٢٢٢ - ٢٢٣، الإيقاد: ٩٣ - ٩٤، الدفعة السابعة ٤: ٢٧١ -

٢٧٢، بتفاوت.

شهادة أصحاب الإمام علي عليه السلام

عمر بن سعد أول من يرمى معسكر الحسين

قالوا: وتقدم عمر بن سعد نحو عسكر الحسين، ثم نادى يا دُرَيْد، أدن رايتك، فأدناها، فوضع سهماً في كبد قوسه، ثم رمى وقال: إشهدوا لي عند الأمير أني أول من رمى ثم رمى الناس، وأقبلت السهام من القوم كأنها المطر، فلم يبق من أصحاب الحسين أحدٌ إلا أصابه من سهامهم.

فقال الحسين لأصحابه: قوموا - رحمكم الله - إلى الموت الذي لا بد منه، فإن هذه السهام رُسل القوم اليكم.

خمسون صريعاً من أصحاب الحسين في الحملة الأولى

فحمل أصحابه حملة واحدة، واقتتلوا ساعةً من النهار حملة، وحملة، حتى قُتل من أصحاب الحسين جماعة فما انجلت الغبرة إلا عن خمسين صريعاً. السائرون إلى المكارم والعلی والحائزون غداً حياض الكوثر لولا صوارمهم ووقع نبالهم لم تسمع الأذان صوت مكبر

قالوا: فعند ذلك ضرب الحسين بيده على كريمة المقدسة وقال:

«اشتد غضب الله على اليهود إذ جعلوا له ولداً، واشتد غضبه على النصراني إذ جعلوه ثالث ثلاثة، واشتد غضبه على المجوس إذ عبدوا الشمس والقمر واشتد غضبه على قوم اتفقت كلمتهم على قتل ابن بنت نبيهم، أما والله لا أجيبهم إلى شيء مما يريدون حتى ألقى الله تعالى».

أسماء شهداء الحملة الأولى

ذكر ابن شهر آشوب ان عدد شهداء الحملة الأولى كانوا أربعين شهيداً، وذكر أسماء ثمانية وعشرين شهيداً، وذكر السماوي أسماء بعض هؤلاء الشهداء وهم:

١- الأدهم بن أمية العبدي البصري :

كان من شيعة البصرة، وحضر أيضاً في منزل «مارية بنت منقذ»، جاء مع يزيد بن ثبيط من البصرة إلى مكة حيث التقى بالامام^(١).

٢- أمية بن سعد الطائي :

من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، ومن التابعين وسكنة الكوفة، وقد التحق بالامام الحسين في كربلاء، كان فارساً شجاعاً، ومتمن شاركوا في معركة صفين، في يوم الثامن من محرم التحق بمعسكر الإمام الحسين عليه السلام^(٢).

٣- بشر (بشير) بن عمرو الحضرمي :

من شهداء كربلاء، وهو من ولاية حضرموت في بلاد اليمن، وكان رجلاً بصيراً ووفياً، وفي كربلاء التحق بركب الإمام الحسين عليه السلام، وفي ذلك الوقت كان ابنه أسيراً في الري، ومع ان الإمام رفع البيعة عنه إلا أنه لم يتخلّ عن الإمام.

قبره في البقعة التي فيها المدفن الجماعي لشهداء كربلاء في أسفل جهة الأرجل من ضريح الإمام الحسين عليه السلام؛ وقيل: ان اسمه بشر بن عمر أيضاً^(٣).

(١) وسيلة الدارين في أنصار الحسين : ٩٩.

(٢) اعيان الشيعة ٣: ٤٩٨.

(٣) دائرة المعارف الشيعية ٣: ٢٥٠.

٤- جابر بن الحجاج التيمي :

وهو مولى عامر بن نهشل التيمي ، كان من شجعان الكوفة ، وكان في البداية مع جيش عمر بن سعد ثم التحق بمعسكر الإمام الحسين عليه السلام وعند دخول مسلم بن عقيل إلى الكوفة كان من جملة من بايعوه.^(١)

٥- جبلة بن علي الشيباني :

كان من شجعان الكوفة ، شهد صفين مع أمير المؤمنين ، واشترك في ثورة مسلم بن عقيل في الكوفة ، وبعد مقتل مسلم ، ذهب إلى ديار قبيلته متخفياً فيها ، ولما جاء الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة التحق به ، وقاتل بين يديه حتى قتل ، ورد ذكر اسمه في زيارة الناحية المقدسة^(٢).

٦- جنادة بن كعب الأنصاري :

قيل : أن اسمه جنادة بن الحرث أيضاً ، من قبيلة الخزرج ، رافق الإمام الحسين عليه السلام من مكة إلى الكوفة ، قتل هو وابنه عمر بن جنادة في كربلاء أيضاً ، ذكره البعض باسم جدّه «جنادة بن الحارث»^(٣).

٧- جندب بن حُجير الخولاني :

ورد اسمه في الزيارة الرجبية ، ذكر البعض أن اسمه «جندب بن حجر» ، كان من وجهاء الشيعة في الكوفة ، ومن أصحاب أمير المؤمنين خرج من الكوفة والتحق بالامام الحسين من قبل أن يلتقي جيش الحرّ بقافلته^(٤).

(١) ابصار العين : ١٩٣ .

(٢) مناقب ابن شهر آشوب : ٤ : ١١٣ .

(٣) اعيان الشيعة : ٤ : ٢٢٤ .

(٤) اعيان الشيعة : ٤ : ٢٤٢ و ٢٩٧ .

٨- جُوَيْن بن مالك بن قيس الضبعي :

ورد اسمه في زيارة الناحية المقدّسة، قيل: أنّه كان في أول أمره في جيش عمر بن سعد، ثمّ التحق بالحسين، وقاتل معه وقتل في الحملة الأولى، أشار البعض إلى أنّ اسمه هو جوَيْر بن مالك^(١) أو حوي بن مالك^(٢)، وخلط البعض بينه وبين جون مولى أبي ذر.

٩- الحارث بن امرئ القيس الكندي :

كان من جملة الشجعان والزهاد، سار مع جيش ابن سعد إلى كربلاء، ولمّا رأى جيش الكوفة قد أحاط بالحسين، التحق بركبه^(٣).

١٠- الحارث بن النبهان :

أبيه هو النبهان (مولى حمزة بن عبد المطلب)، فارس شجاع، وابنه الحارث كان من أتباع الإمام علي والإمام الحسن عليهما السلام، التحق بالإمام الحسين عليه السلام في كربلاء ونال شرف الشهادة بين يديه^(٤).

١١- حباب بن الحارث السلماني الأزدي :

هكذا ورد اسمه في «زيارة الناحية»، وفي «الرجبية» باسم «حيان».

(١) الزيارة الرجبية.

(٢) انصار الحسين : ٦٦.

(٣) والضبعي نسبة إلى ضبع بن برة بطن من القحطانية، كان من جنود ابن سعد، ولما ردت الشروط على الحسين ازدلف إليه.

(٣) أعيان الشيعة ٤ : ٣٠٢.

(٤) ابصار العين : ٥٥.

كان أبيه الحارث من شخصيات الشيعة في الكوفة، ومن الذين بايعوا مسلم ابن عقيل، والتحق بالإمام عليه السلام في مسيره إلى كربلاء، استشهد في الحملة الأولى.^(١)

١٢ - الحجاج بن زيد السعدي :

قال البعض إن اسمه: الحجاج بن بدر، وهو بصري، حمل كتاباً من مسعود بن عمرو الأزدي إلى الحسين جواباً على كتاب من الحسين إليه وإلى غيره من زعماء البصرة يدعوهم إلى نصرته^(٢)، ورد اسمه أيضاً في زيارة الناحية المقدسة.

١٣ - الحلاس بن عمر الراسبي :

ذكر أنه كان في عهد علي عليه السلام رئيساً لشرطة الكوفة، وسار هو وأخاه النعمان مع عمر بن سعد ثم تحولوا إلى معسكر الحسين^(٣)، وجاء في بعض المصادر أن اسمه هو «الحلاش»^(٤).

١٤ - زاهر بن عمرو الكندي :

كان شيخاً كبيراً ومن وجهاء الكوفة. يعود نسبه إلى قبيلة كندة، وهو مولى عمرو بن الحقم الخزاعي من خاصة أصحاب أمير المؤمنين، وشارك إلى جانب عمرو بن الحقم (الذي قتله معاوية) في جميع نشاطاته السياسية، وأصبح مطارداً

(١) إِبصار العين: ١١٣، وفي وسيلة الدارين: ١١٧ ذكر أنه استشهد أثناء المعركة.

(٢) أنصار الحسين : ٦٧.

(٣) أنصار الحسين : ٧٠.

(٤) أعيان الشيعة ٦ : ٢١٦.

من قبل معاوية، جاء في عام ٦٠ للهجرة إلى مكة وانضم إلى قافلة الحسين، واستشهد يوم عاشوراء في الحملة الأولى^(١).

١٥ - زهير بن بشر الخثعمي :

من شهداء الحملة الأولى في يوم الطف^(٢)، ورد اسمه في زيارة الناحية المقدسة.

١٦ - زهير بن سليم الأزدي :

ذكر ابن شهر آشوب في المناقب انه استشهد في الحملة الأولى، كان مع أبناء عمومته من أنصار أمير المؤمنين عليه السلام وقد ابدوا في سوح القتال مواقف بطولية رائعة؛ ويقال انه قدم ليلة عاشوراء إلى كربلاء، ولما رأى اصرار جيش الكوفة على مقاتلة الحسين عليه السلام، اعتزل جيش ابن سعد ومال إلى معسكر الحسين واستشهد بين يديه^(٣).

١٧ - سالم (مولى عامر بن مسلم) :

كان غلاماً لعامر بن مسلم العبدي، وهو من شيعة البصرة، ومن التابعين الثقات، اسمه سالم بن أبي الجعد، وورد اسمه في زيارة الناحية المقدسة^(٤).

١٨ - سالم بن عمرو (مولى بني المدينة) :

كان مولى لقبيلة بني المدينة، عاش في الكوفة وكان مشهوراً بالفروسية.

(١) ابصار العين: ١٠٣.

(٢) أعيان الشيعة ٧: ٧٠.

(٣) أعيان الشيعة ٧: ٧٠.

(٤) انصار الحسين: ٧٤.

وقف إلى جانب مسلم بن عقيل في الكوفة، وبعد بقاء مسلم وحيداً قبض على سالم وجماعة من الشيعة إلا أنه هرب من بين أيديهم وظل متخفياً حتى سمع بقدوم الحسين عليه السلام إلى كربلاء، فالتحق به، وقتل يوم عاشوراء في الحملة الأولى، جاء اسمه في زيارة الناحية المقدسة^(١).

١٩- سوار بن أبي حمير الفهمي :

قدم من الكوفة والتحق بالحسين بعد وصوله إلى كربلاء، يعتبره البعض من شهداء الحملة الأولى، وقال آخرون : أنه جرح وأسر وأخذ إلى عمر بن سعد، ثم انه توفي بعد ستة أشهر متأثراً بجراحه، جاء ذكره في الزيارة الناحية «السلام على الجريح المأسور سوار بن أبي حمير الفهمي»^(٢).

٢٠- شبيب بن عبدالله :

وقيل ان اسمه حبيب بن عبدالله النهشلي، أو أبو عمر النهشلي، كان من الشجعان، واستشهد قبل الظهر في الحملة الأولى^(٣).

٢١- عائذ بن مجمع :

التحق مع أبيه مجمع بن عبدالله بالامام عليه السلام في منزل زبالة، وقد منعهم الحر في البداية، ولكن الامام قال له أنهم من أصحابي ويجب أن لا تمنعهم من الالتحاق بي، وقد عدّه صاحب «الحدائق» من شهداء الحملة الأولى، وقال آخرون أنه استشهد مع أبيه في موقع واحد^(٤).

(١) انصار الحسين : ٧٤.

(٢) ابصار العين: ١٠٨.

(٣) ابصار العين: ٧٩.

(٤) ابصار العين: ٨٦.

٢٢ - عامر بن مسلم :

من شيعة أهل البصرة، التحق بالإمام الحسين مع موله مسلم ويزيد بن ثبيط في مكة (١).

٢٣ - عبدالله بن بشير :

يعدّ من مشاهير دعاة الحق وحماته، كان في البداية ضمن جيش عمر بن سعد، وقبل بدء القتال التحق بالإمام الحسين عليه السلام، واستشهد في الحملة الأولى قبل ظهر عاشوراء (٢).

٢٤ - عبدالله وعبدالله ابنا يزيد بن ثبيط العبدي :

خرج هو وأخوه عبدالله مع أبيهما يزيد بن ثبيط بعد ان تلقى البصريون كتاباً يدعوهم إلى نصرته، فخرجوا من البصرة لاداء مهمة مناصرة الإمام، ذكروا أنّهم قتلوا في الحملة الأولى يوم عاشوراء (٣)، جاء اسمه واسم أخيه في زيارة الناحية المقدسة.

٢٥ - عبدالرحمن بن عبد ربّه الأنصاري الخزرجي :

من شهداء كربلاء، ومن صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن خلّص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، تعلّم منه القرآن، وشهد على تنصيبه للإمامة في غدير خم، كان في اليوم التاسع يمزح مع برير، وحين قالوا له: لات حين مزاح، قال: ولم لا أكون مسروراً وليس بيننا وبين الجنة سوى أنّ نشتبك مع هؤلاء الكفار، كان يعدّ من الشخصيات الشيعية البارزة في الكوفة، وعند وثوب مسلم بن عقيل في الكوفة.

(١) ابصار العين: ١١١.

(٢) ابصار العين: ١٠١.

(٣) أنصار الحسين: ٨٥.

كان يأخذ البيعة من الناس للحسين عليه السلام ^(١).

٢٦- عبد الرحمن بن مسعود :

من شهداء كربلاء، قتل هو ووالده عبدالرحمن بن الحجاج في الحملة الأولى، جاء في الأخبار انهما خرجا من الكوفة مع جيش عمر بن سعد، ولما وصلا كربلاء التحقا بالحسين، جاء اسميهما في زيارة الناحية المقدسة.

٢٧- عمّار بن حسان الطائي :

من شهداء كربلاء، جاء اسمه في زيارة الناحية المقدسة، وهو من الشيعة المخلصين في الولاء ومن الشجعان المعروفين، صحب الحسين من مكة إلى كربلاء وقتل بين يديه ^(٢).

٢٨- عمّار بن أبي سلامة الدلاني :

من شهداء كربلاء، كوفي، أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان من أصحاب الإمام علي عليه السلام، شهد معه حروبه الثلاث؛ الجمل، وصفين، والنهروان، استشهد في الحملة الأولى وجاء اسمه في زيارة الناحية المقدسة ^(٣).

٢٩- عمر بن ضبيعة ^(٤) التميمي :

كان فارساً شجاعاً واعياً، وهو من أهل الكوفة وكان ممّن خرج مع عمر بن سعد، فلمّا رأى ردّ الشروط على الحسين وعدم تمكينهم إياه من الرجوع من حيث

(١) أنصار الحسين : ٨٢، تنقيح المقال للمامقاني ٢ : ١٤٥.

(٢) تنقيح المقال للمامقاني ٢ : ٣١٧.

(٣) ابصار العين : ١٠٩.

(٤) سماء البعض عمرو بن ضبيعة، وفي زيارة الناحية جاء: «السلام على عمرو بن ضبيعة الضبعي». وسيلة الدارين : ١٧٧.

أتى، انتقل إلى الحسين عليه السلام^(١)، وورد اسمه في زيارة الناحية المقدسة.

٣٠- عمران بن كعب بن حارث الأشجعي :

من شهداء الحملة الأولى في كربلاء. اعتبره الشيخ الطوسي في عداد أصحاب الحسين عليه السلام^(٢).

٣١- عمرو بن خالد بن حكيم الأزدي :

من شهداء كربلاء، ويعود نسبه إلى قبيلة بني اسد، وهو من المخلصين في الولاء لأهل البيت، كانت له مكانة مرموقة في الكوفة، وكان من الذين صحبوا مسلم في وثبته في الكوفة، وبعد مقتل مسلم، أخذ يتخفى، ولما قتل قيس بن مسهر خرج من الكوفة لاستقبال قافلة الحسين، والتقى بالقافلة في منزل حاجز وبرفقه غلام له اسمه سعد.

حاول جيش الحر منعهما من الالتحاق بقافلة الحسين لكنهما التحقا بها بمساعدة من الحسين، واستشهدا يوم عاشوراء في الحملة الأولى وجاء اسمه في زيارة الناحية المقدسة^(٣).

٣٢- القاسم بن حبيب الأزدي :

من شهداء كربلاء، كان من شجعان الشيعة في الكوفة. خرج أول الامر مع جيش عمر بن سعد، ولما بلغ كربلاء انفصل عنهم وانضم إلى جيش الحسين. جاء اسمه ضمن شهداء الحملة الأولى^(٤).

(١) تنقيح المقال ٢ : ٣٣٢.

(٢) تنقيح المقال، المامقاني ٢ : ٣٥١.

(٣) ابصار العين : ١١٤.

(٤) تنقيح المقال ٢ : ٣٨٦.

٣٣- قاسط بن زهير التغلبي^(١) :

ممن استشهد في الحملة الأولى يوم العاشر وهو شيخ من قبيلة بني تغلب بن وائل. كان هو وأخواه من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام شهدوا معه حروبه الثلاثة. وبعد استشهاده مكثوا في الكوفة، ولما سمعوا بخبر مقدم الحسين إلى الكوفة التحقوا بمعسكر الإمام خفية في ليلة عاشوراء، واستشهدوا معه يوم العاشر.

٣٤- قعنب بن عمرو النمري :

وهو من شيعة البصرة، خرج مع الحجاج بن بدر السعدي في كتاب حملوه إلى أبي عبدالله عليه السلام، ولازمه حتى يوم العاشر حيث قُتل في الحملة الأولى^(٢).

٣٥- كردوس بن زهير التغلبي :

من شهداء كربلاء. قتل هو وأخوه (قاسط بن زهير) مع الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء^(٣)، وقد ورد اسمه بصور أخرى.

٣٦- كنانة بن عتيق التغلبي :

من شهداء كربلاء وهو في عداد ممن استشهدوا في الحملة الأولى. كان كهلاً ويعدّ من شجعان الكوفة وعابداً وقارئاً للقرآن. ولما انتهى سيد الشهداء إلى أرض كربلاء، التحق به كنانة واستشهد معه. جاء اسمه في زيارة الناحية المقدسة.

(١) كان من قادة جيش الامام علي عليه السلام في معركة صفين، ومن المشاركين في معركتي الجمل والنهر، جاء ذكره هو وأخيه في زيارة الناحية: (السلام على قاسط وكردوس ابني زهير التغلبي). وسيلة الدارين: ١٨٤.

(٢) الحدائق الوردية: ١٢٢.

(٣) أنصار الحسين: ٩٣.

٣٧- مجمع بن عبدالله العائذي :

من شهداء الحملة الاولى يوم عاشوراء^(١)، ينتمي إلى قبيلة مذحج ، وأصله من اليمن. التحق بالحسين في منزل زبالة، وقاتل بين يديه. جاء اسمه في زيارة الناحية المقدسة^(٢).

٣٨- مسلم بن كثير الأزدي :

من شهداء كربلاء ، ينتهي نسبه إلى قبيلة الأزد، وكان من التابعين. يعتقد البعض انه من الصحابة. اصابه جرح في رجله في احدى المعارك التي شهدها مع علي عليه السلام. خرج من الكوفة والتحق بالحسين قرب كربلاء، وفي يوم عاشوراء قتل في الحملة الاولى^(٣)، وقيل ان اسمه أسلم بن كثير، وسليمان بن كثير أيضاً^(٤) ورد اسمه في زيارة الناحية المقدسة.

٣٩- مسعود بن الحجاج :

من شهداء كربلاء، قتل هو وولده عبدالرحمن بن الحجاج في الحملة الأولى، جاء في الاخبار انهما خرجا من الكوفة مع جيش عمر بن سعد، ولما وصلا كربلاء التحقا بالحسين، ذكرا في زيارة الناحية المقدسة^(٥).

٤٠- نصر بن أبي نيزر :

كان أبيه من أولاد النجاشي : وقيل: من أبناء ملوك العجم، وكان نصر من

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ١١٣ .

(٢) أنصار الحسين : ٩٢ .

(٣) المناقب ٤ : ١١٣ .

(٤) أنصار الحسين : ٩٤ .

(٥) إبطار العين : ١٩٥ .

أصحاب الإمام علي والإمام الحسن عليهما السلام ثم التحق بالإمام الحسين عليه السلام بمكة، ومنها قدم معه إلى كربلاء، حيث استشهد بين يديه في الحملة الأولى^(١).

٤١- النعمان بن عمرو الراسبي :

وهو من بني اسد ، يسكن الكوفة ، وكان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، حضر الى كربلاء مع جيش عمر بن سعد. ثم التحق ليلاً بالحسين عليه السلام.^(٢)

٤٢- نعيم بن عجلان الأنصاري :

من شهداء كربلاء. وهو من قبيلة الخزرج ، كان هو وأخوه من أصحاب علي عليه السلام شهدا معه صفين. سار من الكوفة والتحق بالحسين في كربلاء ، واستشهد يوم الطف في الحملة الأولى ورد اسمه في الرجبية وفي زيارة الناحية المقدسة^(٣).

أسماء بقية الشهداء

١- عمارة بن صلخب الأزدي :

شاب كوفي خرج لنصرة مسلم بن عقيل حين بدأ تحركه، فقبض عليه وحبس. ثم دعا به عبيدالله بن زياد - بعد مقتل مسلم وهانيء بن عروة - فقال له ممن انت ؟ قال : من الأزدي، فأمر به فضربت عنقه بين قومه^(٤).

٢- عمرو بن جنادة الأنصاري :

من الشبان الذين استشهدوا في كربلاء. كان أبوه قد استشهد قبله في

(١) ابصار العين : ٥٤ .

(٢) ابصار العين : ١٠٩ .

(٣) بحار الانوار ٤٥ : ٧٠ .

(٤) ابصار العين : ١٨٧ ، أنصار الحسين : ١٠٦ (نقلًا عن تاريخ الطبري).

المعركة. فلما جاء يطلب الاذن من الحسين، قال ﷺ: هذا شاب قتل ابوه ولعل أمّه تكره خروجه. فقال الشاب: أُمّي امرتني^(١).

كان عمره ٩ سنوات أو ١١ سنة، فنزل إلى الميدان وارتجز وقاتل حتّى قتل، وجز رأسه ورمى به إلى عسكر الحسين. فحملت أمّه رأسه وقالت: احسنت يا بني يا سرور قلبي ويا قرّة عيني. ثم رمت برأس ابنها رجلاً فقتلته، وأخذت عمود خيمة وحملت عليهم. فامر الحسين بصرفها إلى خيام النساء.

جاء اسم عمرو بن جنادة في زيارة الناحية المقدسة^(٢). وجاء في بعض المصادر باسم عمر بن جنادة.

٣- عمر بن جندب الحضرمي :

من شهداء كربلاء. وهو من بني الحضرمي احدى قبائل اليمن. ورد اسمه في زيارة الناحية المقدسة^(٣).

٤- عمر بن خالد الصيداوي :

ممن استشهدوا مع الحسين في كربلاء، وهو من قبيلة بني اسد. استأذن من الحسين ﷺ بعد مقتل عدد من الانصار وسار إلى الميدان وقاتل حتّى قتل^(٤).

٥- عمرو بن قرظة الانصاري :

من شهداء كربلاء، كان أبوه من أصحاب أمير المؤمنين ﷺ وهو من الخزرج الذين استوطنوا الكوفة وقاتل معه، جاء عمرو من الكوفة والتحق بالحسين يوم

(١) أنصار الحسين : ٨٦.

(٢) تنقيح المقال ٢ : ٣٢٧.

(٣) أنصار الحسين : ٨٧.

(٤) بحار الانوار ٤٥ : ٣٣.

السادس من محرّم، وكان هو الوسيط في المفاوضات التي دارت بين الحسين وعمر بن سعد حتّى جاء شمر من الكوفة وقطعت تلك المفاوضات.

وقف عمرو بن قرظة يوم الطف بقي الحسين عليه السلام من العدو ويتلقّى السهام بصدّره وجبهته، فلم يصل إلى الحسين سوء، ولما كثرت فيه الجراح التفت إلى أبي عبدالله وقال: أوفيت يا ابن رسول الله؟ قال: نعم أنت امامي في الجنة فاقرء رسول الله مني السلام واعلمه أنّي في الأثر، وخزّ ميتاً^(١).

جاء اسمه في زيارة الناحية، يرى البعض انه قتل في ساحة المعركة، وانه كان يرتجز ساعة القتال قائلاً:

قد علمت كتيبة الانصار اني سأحامي حوزة الذمار
ضرب غلام غير نكسٍ شاري دون حسين مهجتي وداري^(٢)
٦- عمرو بن مطاع الجعفي :

جاء اسمه في عداد شهداء كربلاء^(٣).

٧- عمير بن عبدالله المذحجي :

من شهداء كربلاء، خرج إلى القتال بعد استشهاد سعد بن حنظلة التميمي وهو يرتجز ويقول:

قد علمت سعد وحيّ مذحج أنّي لدى الهيجاء ليث محرج^(٤)
وقاتل حتّى قتل.

(١) مقتل الحسين، للمقرم: ٣٠٦.

(٢) عبرات المصطفين ٢: ٣٠.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ١٠٢.

(٤) بحار الانوار ٤٥: ١٨.

٨- غيلان بن عبد الرحمن :

جاء اسمه في الزيارة الرجبية في عداد شهداء كربلاء^(١).

٩- قارب (مولى الحسين) :

من شهداء كربلاء، كان مولى لأبي عبدالله عليه السلام وأمه فكيهة كانت جارية للحسين تخدم في دار الرباب زوجة الحسين. جاء قارب برفقة الحسين عليه السلام من المدينة واستشهد يوم الطف بين يديه. جاء اسمه في زيارة الناحية المقدسة.

١٠- القاسم بن الحارث :

ورد اسمه في عداد شهداء كربلاء. ويذهب البعض إلى أنه هو القاسم بن حبيب الأزدي^(٢).

١١- قرّة بن أبي قرّة الغفاري :

من شهداء كربلاء، وهو من قبيلة غفار. والرجز الذي كان ينشده في الميدان هو :

قد علمت حقاً بنو غفار وخندفٍ بعد بني نزار
بأنني الليث لدى الغبار لأضربنّ معشر الفجار
ضرباً فجيعاً عن بني الأخيار^(٣)

١٢- قيس بن عبدالله الهمداني :

من شهداء كربلاء^(٤).

(١) أعيان الشيعة ٨ : ٣٨٨.

(٢) أنصار الحسين : ٩١.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ١٠٢.

(٤) أنصار الحسين : ١٠٣.

١٣ - مالك بن دودان :

من شهداء يوم الطف، كان يرتجز يوم نزل إلى الميدان ويقول :
 اليكم من مالك الضرغام ضرب فتى يحمي عن الكرام
 يرجو ثواب الله ذي الانعام^(١)

١٤ - مالك بن عبدالله الجاهري :

من شهداء كربلاء، التحق هو واخوه سيف بن الحارث بن سريع بالامام الحسين بكربلاء. وفي عصر يوم عاشوراء، حين هجم جيش عمر بن سعد على مخيم الحسين، استأذناه بالقتال، وأذن لهما وقاتلا حتى قتلا^(٢).

١٥ - مسلم (مولى عامر بن مسلم) :

من شهداء كربلاء، وهو مولى عامر بن مسلم. وقد استشهد مولاه عامر في كربلاء^(٣)، وجاء في بعض النصوص ان اسمه سالم.

١٦ - مسلم بن كناد :

من شهداء كربلاء. ورد ذكره في الزيارة الرجبية^(٤).

١٧ - منيع بن زياد :

ذكروا انه من شهداء كربلاء، وجاء اسمه في الزيارة الرجبية^(٥)، وجاء في بعض الكتب ان اسمه منيع بن رقاد وهو من جملة أصحاب سيد الشهداء^(٦).

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ١٠٤ .

(٢) ابصار العين : ١٣٢ .

(٣) أنصار الحسين : ١٢١ .

(٤) أنصار الحسين : ١٢١ .

(٥) أنصار الحسين : ١٠٤ .

(٦) تنقيح المقال ٣ : ٢٥٢ .

١٨ - نافع بن هلال :

من شهداء كربلاء، وهو نافع بن هلال بن نافع بن جمل بن سعد العشيرة من مذحج، وهو من الشخصيات البارزة في الكوفة ومن رواة حديث أمير المؤمنين عليه السلام، وشهد معه معارك الثلاث الجمل وصفين والنهروان، خرج من الكوفة خفية قبل استشهاد مسلم بن عقيل لاستقبال الحسين، وجاء معه الى كربلاء، شارك في جلب الماء الى الخيام مع العباس بن علي يوم الطف^(١)، وكان ممن تكلموا بحماس بين يدي الحسين تعبيراً عن استعدادهم للبذل والتضحية، كان يكتب اسمه على سهامه المسمومة ويرمى بها جيش العدو^(٢)، وفي يوم عاشوراء لما نفدت سهامه، استل سيفه وهجم على جيش الكوفة وهو يرتجز ويقول:

أنا الغلام اليمني الجملي ديني على دين حسين بن علي

أن أقتل اليوم فهذا أملي فذاك رأيي وألاقي عملي^(٣)

فرضخه جيش الكوفة بالحجارة حتى كسروا يده، وتناوشوه من كل جانب وقبضوا عليه وجاء به شمر الى عمر بن سعد، ثم قتل على يد شمر. وقال البعض: ان اسمه هلال بن نافع.

١٩ - نعيم بن عجلان الأنصاري :

من شهداء كربلاء. وهو من قبيلة الخزرج، كان هو وأخوه من أصحاب علي عليه السلام شهدا معه صفين. سار من الكوفة والتحق بالحسين في كربلاء، واستشهد يوم الطف في الحملة الأولى ورد اسمه في الرجبية وفي زيارة الناحية المقدسة^(٤).

(١) انصار الحسين : ١٠٩ .

(٢) الاعلام للزرگلي ٨ : ٦ .

(٣) منتهى الامال ١ : ٢٦٤ .

(٤) بحار الانوار ٤٥ : ٧٠ .

٢٠- وهب بن عبدالله الكلبي :

من شهداء كربلاء. كانت معه أمّه وزوجته في كربلاء وقتلتا معه. وكان وهب من أهل الكوفة وشهد كربلاء مع الحسين. برز الى القتال بعد مقتل الحر وبرير. وكانت امه تحته على القتال، فحمل على القوم وقتل منهم جماعة ورجع الى امّه فقال: يا امّاه أَرْضِيت؟ فقالت: ما رَضِيت أو تقتل بين يدي الحسين. فرجع وقاتل ثانية وأخذت زوجها عموداً وذهبت نحوه. فردّها الحسين الى الخيام.

وجعل وهب يقاتل حتّى قتل. فذهبت امرأته تمسح الدم عن وجهه فبصر بها شمر، فأمر غلاماً له فضربها بعمود كان معه فشدخها وقتلها، وهي أول امرأة قتلت في عسكر الحسين عليه السلام (١).

وجاءت في مصادر اخرى قصة مشابهة لهذه مع بعض التفاوت بشأن عبدالله بن عمير الكلبي، واعتبروا «أمّ وهب» زوجة له. (٢)

٢١- عبدالله بن عمير الكلبي :

من أوائل الشهداء الذين برزوا إلى القتال يوم عاشوراء، كان شاباً مقاتلاً شديد المراس من الكوفة، من اعظم الثوار حماساً، نزل الكوفة واتخذ عند بئر الجعد داراً فنزلها هو وزوجته، فرأى القوم يعرضون ليسرحوا إلى الحسين فقال في نفسه: والله لقد كنت على جهاد أهل الشرك حريصاً واني لارجو ان لا يكون جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيّهم أيسر ثواباً عند الله من ثوابه إياي في جهاد المشركين، فدخل إلى امرأته فاخبرها واعلمها بما يرى، وأخرجها ليلاً حتّى أتى الحسين ليلة الثامن من المحرم^(٣)، جاء اسمه في زيارة الناحية المقدسة.

(١) بحار الانوار ٤٥: ١٧.

(٢) ابصار العين: ١٠٤.

(٣) تنقيح المقال ٢: ٢٠١، عبرات المصطفين ٢: ٢٤، ابصار العين: ١٠٤.

٢٢ - هانىء بن عروة المرادي :

من زعماء اليمن الكبار في الكوفة، أدرك النبي وصحبه، من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، شارك في حروب الجمل وصفين والنهروان، وكان من اركان حركة حجر بن عدي الكندي ضد زياد بن ابيه، اتخذ مسلم بن عقيل منزله مقراً له بعد قدوم عبيدالله بن زياد الى الكوفة والياً عليها، انكشف أمر اشتراكه في الاعداد للثورة مع مسلم بن عقيل، فقبض عليه ابن زياد وسجنه ثم قتله^(١).

كان هانىء بن عروة شيخ مراد وزعيمها ومن اشراف الكوفة واعيان الشيعة، كان يركب في أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل^(٢) وحتى ابن زياد الذي كان والياً على البصرة والكوفة كان يحترمه، وقد ذهب لعيادته في داره عند مرضه. الا ان هانىء حينما آوى ابن عقيل في داره وامتنع عن تسليمه، غضب عليه ابن زياد^(٣) وقبض عليه وبعد كلام دار بينهما امر به ابن زياد فأخرج حتى انتهى به مكاناً في السوق كان يباع به الغنم وقتلوه هناك، وقاتله غلام لابن زياد يدعى رشيد التركي، وكانت شهادته يوم التروية الثامن من ذي الحجة عام ٦٠ هـ .

قال عبدالله بن الزبير الاسدي فيه وفي ابن عقيل قصيدة جاء في مطلعها:

ان كنت لا تدريين ما الموت فانظري الى هانىء بالسوق وابن عقيل

كان عمر هانىء يوم قتل ٨٣ سنة؛ وقيل ٩٠ سنة، وقتل في اليوم الذي خرج فيه الحسين من مكة نحو الكوفة، وقبره مشهور في الكوفة خلف قبر مسلم ابن عقيل، ويزوره محبّو أهل البيت.

(١) انصار الحسين : ١٢٥ .

(٢) سفينة البحار ٢ : ٧٢٣ .

(٣) الاعلام للزركلي ٨ : ٦٨ .

وردت زيارته في كتب الزيارة وفي مفاتيح الجنان: «سلام الله العظيم وصلواته عليك يا هانيء بن عروة...»^(١).

٢٣ - هفاه بن مهند الراسبي :

من شهداء كربلاء. كان رجلاً شجاعاً فارساً من شيعة البصرة ومن أصحاب علي عليه السلام شهد معه حروبه الثلاث الجمل وصفين والنهروان. وفي صفين جعله أمير المؤمنين أميراً على قبيلة الأزد. وبعد استشهاد علي عليه السلام صار من أصحاب الحسن عليه السلام ومن بعده صار من أصحاب الحسين.

لما تناهى إليه خبر مسير الحسين إلى الكوفة، سار من البصرة إلى كربلاء ولما وصل إلى هناك كانت المعركة قد انتهت فهجم على جيش ابن سعد بسكين وقتل منهم جماعة حتى قتل^(٢).

٢٤ - يحيى بن سليم المازني :

من شهداء كربلاء. كان يرتجز عند القتال :

لأضربن القوم ضرباً فيصلاً ضرباً شديداً في العدا معجلاً
لا عاجزاً فيها ولا مولولاً ولا اخاف اليوم موتاً مقبلاً^(٣)

٢٥ - يزيد بن ثبيط (ثبيت) العبدي :

من شهداء كربلاء. وكان من شيعة أهل البيت، ومن أصحاب أبي الاسود الدؤلي، وكان من أشرف قبيلته.

كان له عشرة أبناء، ولما بلغهم كتاب الحسين إلى أهل البصرة خرج هو

(١) بحار الانوار ١٠٠ : ٤٢٩.

(٢) تنقيح المقال ٣ : ٣٠٣.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ١٠٢.

واثنان من ابناؤه من البصرة وسلوكوا طرقاً أخرى غير معروفة - بسبب اغلاق الطرق الرئيسية - حتى التحقوا بالامام وهو بمكة. وفي يوم الطف قتل ابنائه في الحملة الاولى وقتل هو في النزال الفردي^(١)، وردت اسمائهم في زيارة الناحية المقدسة، وذكر ان اسمه يزيد بن نبيط، أو بدر بن رقيط، أو بدر بن رقيط^(٢).

٢٦ - يزيد بن الحصين الهمداني :

من أنصار الامام الحسين الشجعان. كان رجلاً زاهداً وشجاعاً. في يوم عاشوراء لما بلغ العطش من الحسين واصحابه، دخل عليه يزيد بن الحصين واستأذنه بان يكلم القوم فأذن له. فخرج اليهم فقال: يا معشر الناس ان الله عز وجل بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً، وهذا ماء الفرات تقع فيه خنازير السواد وكلابها وقد حيل بينه وبين ابنه.

فقالوا: يا يزيد قد اكثرت الكلام فاكفف ، فوالله ليعطش الحسين كما عطش من كان قبله. فلما سمع الحسين هذا الكلام التفت الى اصحابه وقال: «ان القوم قد استحوذ عليهم الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون»^(٣)، وكان يزيد بن الحصين قد بايع مسلم في الكوفة، فلما قتل خرج من الكوفة والتحق بالحسين^(٤).

٢٧ - يزيد بن زياد :

من شهداء كربلاء، اسمه يزيد بن زياد بن مهاصر (مهاجر) ويعرف بابي الشعثاء الكندي وكان من الشجعان والرماة المهرة بالكوفة. وكان فيمن خرج مع عمر بن سعد فلما ردوا الشروط على الحسين عدل اليه فقاتل بين يديه. وقيل أيضاً

(١) تنقيح المقال ٣ : ٣٢٥.

(٢) انصار الحسين : ١١٢.

(٣) موسوعة كلمات الامام الحسين : ٤٢٥.

(٤) تنقيح المقال ٣ : ٣٢٥.

انه التحق بالحسين قبل وصول جيش الحر ، وفي اثناء القتال رمى مائة سهم ما سقط منها خمسة اسهم . وكلما رمى يقول الحسين : «اللهم سدّد رميته واجعل ثوابه الجنة»^(١).

٢٨ - يزيد بن مهاجر :

اعتبر في عداد شهداء كربلاء . قيل هو يزيد بن زياد بن مهاجر الكندي .

٢٩ - أسلم التركي :

أحد شهداء كربلاء ، وكان مولىّ لسيد الشهداء عليه السلام ومن أصل تركي ، كان ماهراً في الرماية ويعمل في الوقت نفسه كاتباً للإمام الحسين عليه السلام ، وكان يجيد اللغة العربية وتلاوة القرآن ، ذكر البعض ان اسمه سليمان وسليم أيضاً^(٢) ، بعد ان أذن له بالقتال ارتجز قائلاً :

البحر من طعني وضربي يصطلاي والجو من سهمي ونبلي يمتلي
إذا حسامي في يميني ينجلي ينشق قلب الحاسد المبجل^(٣)
قاتل قتال الأبطال حتى سقط على الارض فجلس الإمام عند رأسه وبكى
ووضع وجهه على وجهه ، فتح عينه فوجد الإمام عند رأسه فتبسّم وأسلم روحه^(٤).

المبارزة بين الفريقين

ولما قُتل من أصحاب الحسين عليه السلام في هذه الحملة من قُتل صار يبرز الرجل والرجلان ، ويستأذن الحسين عليه السلام ويقاقل ثم يُقتل .

(١) الكامل لابن الاثير ٢ : ٥٦٩ .

(٢) أنصار الحسين : ٥٨ .

(٣) مقتل الخوارزمي ٢ : ٢٤ .

(٤) بحار الانوار ٤٥ : ٣٠ ، عوالم الإمام الحسين : ٢٧٣ .

مبارة عبد الله بن عمير الكلبي

فخرج من عسكر ابن سعد يسار مولى زياد بن أبيه، وسالم مولى عبيد الله بن زياد، فطلبوا المبارزة.

فوثب حبيب وبرير، فلم يأذن لهما الحسين عليه السلام.

فقام عبد الله بن عمير الكلبي من عليم بن جناب الكلبي، وكنيته (أبو وهب) وأستاذ الحسين في البراز، وكان طويلاً، شديد الساعدين، بعيد ما بين المنكبين، شريفاً في قومه شجاعاً مجرباً.

فنظر اليه الحسين، وقال: «إني أحسبه للأقران قتالاً» فأذن له، فبرز عبد الله إليهما، فقالا له: من أنت؟ فانتسب لهما. فقالا: لا نعرفك، فليخرج إلينا حبيب أو زهير أو برير - وكان يسار قريباً منه - فقال له عبد الله، أوبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس؟ ولا يخرج اليك أحد إلا وهو خير منك.

ثم شدّ عليه عبد الله بسيفه، فقتله. وبينما هو مشغول به، إذ شدّ عليه سالم مولى ابن زياد، فصاح أصحابه: قد رهقك العبد، فلم يعبا به عبد الله، فضربه سالم بالسيف؛ فاتقاها عبد الله بيده اليسرى، فأطارت أصابعه، ومال عبد الله على سالم فقتله.

ثم أقبل إلى الحسين عليه السلام - وقد قتلهما معاً - وهو يرتجز ويقول:

إن تنكروني فأنا ابنُ الكلبي حسبي بيتي في عليمٍ حسبي
 اني امرؤ ذو مرةٍ وعضب ولستُ بالخوار عند النكب
 انبي زعيمٌ لك أم وهب بالطعن فيهم مقدماً والضرب
 ضرب غلام مؤمنٍ بالرب

فأخذت امرأته أم وهب عموداً وأقبلت نحوه، وهي تقول: فذاك أبي وأمي،

قاتل دون الطيبين ذرية محمد ﷺ فأراد أن يردّها إلى النساء فلم تطاوعه، وأخذت تجاذبه ثوبه وتقول: لن أدعك دون أن أموت معك.

فناداها الحسين: «جُزَيْتُمْ من أهل بيت نبيكم خيراً، إرجعي - رحمك الله - فانه ليس على النساء قتال» فرجعت إلى النساء.

عمرو بن الحجاج يحمل ويؤلب الناس

وحمل عمرو بن الحجاج الزبيدي - فيمن كان معه من أصحابه - على ميمنة أصحاب الحسين ﷺ، فلما دنا منهم ثبتوا له، وجثوا على الرُكب وأشرعوا الرماح، فلم تقدم الخيل، فلما ذهب الخيل لترجع رشقهم أصحاب الحسين بالنبل، فصرعوا منهم رجالاً وجرحوا منهم آخرين.

دكّوا رُباها ثم قالوا لها - وقد جثوا - نحن مكان الرُبي

ثم إن عمرو بن الحجاج حين دنا من أصحاب الحسين ﷺ أخذ يقول:

يا أهل الكوفة، إلزموا طاعتكم وجماعتكم، ولا ترتابوا في قتل من مرق عن الدين وخالف الإمام.

فقال له الحسين: ويحك يا عمرو، أعليّ تُحرّض الناس؟ أنحن مرقنا عن الدين وأنتم تبتّم عليه؟ أما والله لتعلمنّ لو قد قُضبت أرواحكم ومُتّم على أعمالكم: أيّنا مرق من الدين؟ ومن هو أولى بصليّ النار؟

وأخذ أصحاب الحسين - بعد أن بان النقص فيهم - يستأذن الرجل بعد الرجل من الحسين، ويرز للقتال، فاكثروا القتل في أهل الكوفة، فعند ذلك صاح عمرو بن الحجاج بأصحابه:

ويحكم - يا حُمقاء - أتدرون من تقاتلون؟ تُقاتلون فرسان مصر، وأهل

البصائر، وقوماً مستميتين، لا يبرز إليهم أحدٌ منكم إلا قتلوه - على قتلهم - لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم.

فقال ابن سعد: صدقت، الرأي ما رأيته، أرسل في الناس من يعزم عليهم أن لا يبارزهم رجلٌ منهم، ولو خرجتم إليهم وحداناً لأتوا عليكم مبارزة.

مصرع مسلم بن عوسجة

ثم حمل عمرو بن الحجاج - مرة أخرى - من نحو الفرات على اصحاب الحسين عليه السلام، وفيها قاتل مسلم بن عوسجة الأسدي، فبرز وهو يقول:

إن تسألوا عني فاني ذو لبد من فرع قومٍ في ذرى بني أسد
فمن بغاني حائدٌ عن الرشد وكافرٌ بدين جبار صمد
فشدّ عليه مسلم بن عبد الله الضُّبابي، وعبد الرحمان بن أبي خشكارة البجلي، فاشتركا في قتله، وثارَت لشدة الجلال غبرةٌ عظيمة، فما انجلت إلا ومسلم بن عوسجة صريع.

فمشى اليه الحسين - ومعه حبيب بن مظاهر - فقال له الحسين:
رحمك الله يا مسلم، وتلا قوله تعالى: ﴿منهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾.

وكان به رمقُ الحياة، فدنا منه حبيب، وقال: «عزّ عليّ مصرعُك يا مسلم أبشر بالجنة».

فقال له مسلم بصوت ضعيفٍ: «بشرك الله بخير».
فقال له حبيب: لولا أعلمُ أنّي في الأثر لاحقٌ بك، لأحببتُ أن توصيني بكلّ ما أهّمك.

قال مسلم: أوصيك بهذا - وأشار إلى الحسين - أن تموت دونه .

قال حبيب: أفعل وربّ الكعبة ولأنعمنك عيناً.
 فما كان بأسرع من أن فاضت نفسه بينهما.
 وصاحت جارية له: وامسلماه، يا ابن عوسجته، يا سيّده!
 فتنادى أصحاب عمرو بن الحجاج: قتلنا مسلم بن عوسجة.
 فقال شيب بن ربيعي لمن حوله: ثكلتكم أمهاتكم، أيقتل مثل مسلم
 وتفرحون؟ لربّ موقفٍ له كريم في المسلمين رأيته يوم (آذربايجان) وقد قتل ستّة
 من المشركين قبل أن تلتئم خيول المسلمين.

مصرع الكلبي وزوجته

قالوا: وحمل شمر في جماعةٍ من اصحابه على ميسرة أصحاب الحسين عليه السلام
 فثبّوا لهم وكشفوهم.

وفيها قاتل عبد الله بن عمير الكلبي، فقتل رجالاً، وصرع آخرين، وقاتل
 قتالاً شديداً، فحمل عليه هانيء بن ثابت الحضرمي فقطع يده اليمنى، وقطع بكيّر
 ابن حي التميمي ساقه، فقتلاه وقيل: أخذ أسيراً إلى ابن سعد فقتله صبراً.

فemشت إليه زوجته (أم وهب) وجلست عند رأسه تمسح الدم والثراب عنه،
 وتقول: «هنيئاً لك الجنّة، أسأل الله الذي رزقك الجنّة أن يُصحبني معك».

فقال شمر لغلامه (رُستم): إضرب رأسها بعمود، فضرب رأسها بالعمود
 فشدّخه، فماتت في مكانها وهي أول امرأة قُتلت من أصحاب الحسين.

وهب الكلبي

قال السيّد وغيره: وبرز وهب بن حباب الكلبي، فأحسن في الجلاء، وبالغ
 في الجهاد، وكانت معه أمه وزوجته.

فقال له أمه: قُمْ يَا بُنَيَّ وَاَنْصُرْ ابْنَ بَنْتِ رَسُولِ اللَّهِ.

فقال: أَفْعَلُ - يَا أُمَّاهُ - وَلَا أَقْصِرُ أَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ بَرَزَ وَهُوَ يَقُولُ:

إِنْ تُنْكَرُونِي فَأَنَا ابْنُ الْكَلْبِيِّ سَوْفَ تَرَوْنِي وَتَرَوْنَ ضَرْبِي
وَحَمَلْتِي وَصَوْلْتِي فِي الْحَرْبِ أَدْرُكُ ثَارِي بَعْدَ ثَارِ صَحْبِي
وَدَفَعَ الْكَرْبَ بِيَوْمِ الْكَرْبِ فَمَا جَلَادِي فِي الْوَغَى بِاللَّعْبِ
وَقَالَتْ امْرَأَتُهُ: بِاللَّهِ عَلَيْكَ لَا تُفْجِعْنِي بِنَفْسِكَ.

فَقَالَتْ أُمُّهُ: يَا بُنَيَّ أَعْزُبُ عَنْ قَوْلِهَا، وَارْجِعْ فَقَاتِلْ بَيْنَ يَدَيِ ابْنِ بَنْتِ رَسُولِ اللَّهِ، تَتَلَّ شَفَاعَةَ جَدِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فَتَقَدَّمَ إِلَى الْحَرْبِ وَهُوَ يَقُولُ:

إِنِّي زَعِيمٌ لَكَ أُمَّ وَهَبَ بِالطَّعْنِ فِيهِمْ تَارَةً وَالضَّرْبِ
ضَرَبَ غُلَامٍ مَوْقِنٍ بِالرَّبِّ حَتَّى يُذِيقَ الْقَوْمَ مَرَّ الْحَرْبِ
إِنِّي امْرُوءٌ ذُو مَرَّةٍ وَعَظْبٍ حَسْبِي بِنَفْسِي مِنْ عَلِيمٍ حَسْبِي
وَلَمْ يَزَلْ يِقَاتِلُ حَتَّى قَطَعَتْ يَدَاهُ، فَأَخَذَتْ امْرَأَتُهُ عَمُوداً، فَأَقْبَلَتْ نَحْوَهُ وَهِيَ
تَقُولُ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، قَاتِلْ دُونَ الطَّيِّبِينَ حَرَمَ رَسُولِ اللَّهِ، فَأَقْبَلَ كَيْ يَرُدَّهَا
إِلَى النِّسَاءِ، فَأَخَذَتْ بِجَانِبِ ثَوْبِهِ وَقَالَتْ: لَنْ أَعُودَ دُونَ أَنْ أَمُوتَ مَعَكَ.
فَقَالَ الْحُسَيْنُ: جُزَيْتُمْ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا، إِرْجِعِي إِلَى النِّسَاءِ رَحِمَكَ اللَّهُ،
فَانْصَرَفَتْ إِلَيْهِنَّ، وَلَمْ يَزَلِ الْكَلْبِيُّ يِقَاتِلُ حَتَّى قُتِلَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ.

ابو الشعثاء الكندي

وكان يزيد بن زياد بن مهاضر ابن الشعثاء الكندي رامياً مهذفاً فجثا على ركبتيه بين يدي الحسين (عليه السلام) - بعدما عُقِرَتْ فَرْسُهُ - فَرَمَى بِمِائَةِ سَهْمٍ مَا سَقَطَ مِنْهَا خَمْسَةٌ اسْهَمَ، وَكَانَ كُلَّمَا رَمَى يَقُولُ:

أنا ابن بهدله فرسان العجله
والحسين ﷺ يدعو له، ويقول: «اللهم سدّد رميته واجعل ثوابه الجنة».
فلما نفذت سهامه قام وهو يقول: «لقد تبين لي أنني قتلتُ منهم خمسةً ثم
حمل على القوم بسيفه وهو يقول:
أنا يزيدُ وأبي مهاصر كأنني ليث بغيل خادر
يا ربّ إني للحسين ناصر ولابن سعدٍ تارك وهاجر
فلم يزل يقاتل حتى قتل منهم تسعة نفر، ثم قُتل رضوان الله عليه.

شمر يدعو بالنار ليحرق فسطاط الحسين

قالوا: وحمل شمرُ على فسطاط الحسين بالرمح، وقال: عليّ بالنار لأحرقه
على أهله.
فتصايحت النساء، وخرجن من الفسطاط، وناداه الحسين: «يا بن ذي
الجوشن، أنت تدعو بالنار لتُحرق بيتي على أهلي أحرقك الله بالنار».
فأقبل حميد بن مسلم إلى شمر، وقال له: سبحان الله: يكفيك في إرضاء
الأمير قتل الرجال، ولا يصلح لك أن تجمع إلى ذلك: الاحراق بالنار وقتل العيال
والأطفال.

ثم جاء إليه شبت بن ربعي، وقال له: أمرعباً للنساء صرت؟ ما رأيت مقالاً
أسوأ من مقالتك، ولا موقفاً أقبح من موقفك.

فاستحى شمرُ وهمّ بالإنصراف، وحمل عليه وعلى جماعته زهير بن القين
في عشرةٍ من أصحابه، فكشفوهم عن الخيام، وقُتل رجلٌ من أصحاب شمر يكنى
(أبا غُزرة الضبابي).

فلما رأى ذلك عسكر بن سعد حملوا عليهم، واشتدّ القتال وقتل من اصحاب الحسين جمعٌ، وكانوا إذا قتل منهم الرجل والرجلان يبين النقص فيهم لقلّتهم. ويقتل من أصحاب ابن سعد العشرة والأكثر، فلا يظهر عليهم لكثرتهم.

مصرع حبيب

وأخذ حبيب بن مظاهر الأسدي يقاتل قتال الأبطال، فقتل - على كبره - اثنين وستين رجلاً - كما نُقل عن محمد بن أبي طالب - وهو يرتجز ويقول:

أنا حبيبُ وأبي مظاهرُ فارسُ هيجاءٍ وحربٍ تسعُرُ
أنتم أعدّ عدّةٌ وأكثرُ ونحن أوفى منكم وأصبرُ
ونحنُ أعلى حُجّةً وأظهرُ حقاً وانقى منكم وأعذرُ

وبينما حبيب يقاتل إذ حمل عليه رجلٌ من بني تميم يقال له: (بديلُ بن صريم) من بني عقفان، فضربه حبيب بالسيف على رأسه فقتله، وحمل على حبيب رجل آخر من بني تميم، فطعنه بالرمح، فسقط حبيبٌ لوجهه، فذهب ليقوم، إذ ضربه الحصينُ بن نمير على رأسه بالسيف، فوقع على الأرض يخور بدمه، فنزل التميمي الذي طعنه بالرمح، فاحتزّ رأسه.

وتنازع التميمي والحصين في رأس حبيب، ثم غلب عليه الحصين، فأخذه وعلّقه في عنق فرسه، وجال به في العسكر ليراه الناس ويعلموا أنه شريكٌ في قتله، ثم دفع الرأس إلى التميمي فأخذه التميمي، ورجع إلى الكوفة، وقد علّقه في لغبان فرسه.

قالوا: ولما قُتل حبيب بن مظاهر هدّ مقتله الحسين عليه السلام واسترجع كثيراً، وقال: عند الله احتسب نفسي وحماة أصحابي.

ثم قال: لله درك يا حبيب، لقد كنت فاضلاً تختتم القرآن في ليلة واحدة.

مصرع الحر الرياحي

وخرج من بعده: الحرُّ بن يزيد الرياحي، ومعه زهير بن القين يحمي ظهره، فكان إذا شُدَّ أحدهما استلحم شدَّ الآخر واستنقذه، ففعلاً كذلك ساعة والحرُّ يرتجز ويقول:

آلَيْتُ لَا أَقْتُلُ حَتَّى أَقْتُلَا وَلَنْ أَصَابَ الْيَوْمَ إِلَّا مُقْبِلَا
أَضْرِبُهُمْ بِالسَّيْفِ ضَرْباً مُفْضِلاً لَا نَاكِلًا عَنْهُمْ وَلَا مُهْلِكًا
فبينما هما يقاتلان، وان فرس الحرِّ لمضروبٌ على أذنيه وحاجبيه والدماء تسيل منه، إذا التفت الحُصَيْن بن نمير إلى يزيد بن سفيان التميمي - وكان التميمي هذا يتهدّد الحر بالقتل حين خروجه إلى جهة الحسين عليه السلام فقال له: يا يزيد، هذا الحر الذي كنت تتمنى قتله، فهل لك به؟

قال: نعم، وخرج إليه يطلب المبارزة، فما أسرع من أن قتله الحر، ثم رمى لعين من القوم فرس الحر بسهم فعقره، فشبَّ به الفرس، فوثب الحر من على ظهره كأنه ليث وييده السيف، فجعل يقاتل راجلاً، وهو يقول:

إِنْ تَعْقُرُوا بِي فَأَنَا ابْنُ الْحَرِّ أَشْجَعُ مِنْ ذِي لَبْدَةٍ هَزْبَر
وَلَسْتُ بِالْخَوَّارِ عِنْدَ الْكَرِّ لَكِنِّي الثَّابِتُ عِنْدَ الْفَرِّ
وجعل يُقاتل حتى قتل نيفاً وأربعين رجلاً - كما عن ابن شهر آشوب. ثم لم يزل يقاتل راجلاً، وهو يرتجز ويقول:

أَنْتِي أَنَا الْحَرُّ وَمَأْوَى الضَّيْفِ أَضْرَبُ فِي أَعْنَاقِكُمْ بِالسَّيْفِ
عَنْ خَيْرٍ مِنْ حَلِّ بَوَادِي الْخَيْفِ أَضْرِبُكُمْ وَلَا أَرَى مِنْ حَيْفٍ
ثم شدّت عليه رجالة فصرعته فاحتمله أصحاب الحسين عليه السلام من الميدان حتى وضعوه بين يديه أمام الفسطاط الذي يقاتلون دونه وكان به رمقٌ، فجعل

الحسين عليه السلام يمسح الدم والتراب عن وجهه، وهو يقول: «أنت الحر كما سمّتك أمك أنت الحرّ في الدنيا وأنت الحرّ في الآخرة».

ثم رثاه بعض أصحاب الحسين - وقيل: بل رثاه علي بن الحسين عليه السلام بقوله:
 لنعم الحرّ حرّ بني رياح صبورٌ عند مشتبك الرماح
 ونعم الحرّ اذ نادى حسينُ فجاءَ بنفسه عند الصياح
 ويقال: إنها من إنشاء الحسين عليه السلام.

الصلاة الأخيرة

قالوا: واشتدّ القتال بين الفريقين حتى الزوال، والتفت (أبو ثمامة الصائدي) - رضوان الله عنه - إلى الشمس قد زالت، فقال للحسين عليه السلام: نفسي لك الفداء، إني أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك إن شاء الله، وأخضب بدمي، وأحبّ أن ألقى ربي وقد صليتُ معك هذه الصلاة التي دنا وقتها.

فرفع الحسينُ رأسه إلى السماء، وقال: ذكرت الصلاة، جعلك الله من المصلّين الذاكرين، نعم هذا أول وقتها، سلوا القوم أن يكفّوا عنّا حتى نصلّي.
 ففعلوا، فقال الحُصين بن نمير: إنها لا تُقبل.

فقال له حبيب بن مظاهر: زعمت أنها لا تُقبلُ من آل رسول الله وتقبلُ منك يا حمار؟

فحمل عليه الحُصينُ، فضرب حبيب وجه فرسه بالسيف فشبّ به الفرس، ووقع عنه، وحمله أصحابه واستنقذوه.

قالوا: ثم ان الحسين عليه السلام قال لزهير بن القين وسعيد بن عبد الله: «تقدّما أمامي حتى أصلي الظهر».

فتقدّما أمامه في نحوٍ من نصفِ أصحابه حتى صلّى بهم صلاة الخوف.

مصرع سعيد الحنفي

ورُوي: أن سعيد بن عبد الله الحنفي تقدّم أمام الحسين عليه السلام فاستهدف له يرمونه بالنبل، فكلّما جاءت السهام نحو الحسين يميناً وشمالاً قام بين يديه، فما زال يتلقى النبل بنحره وصدره حتى أثخن بالجراح وسقط إلى الأرض، وهو يقول: «اللهمّ العنهم لعن عادٍ وثمود، اللهم أبلغ نبيك عني السلام، وأبلغه ما لقيتُ من الجراح فاني أردتُ بذلك ثوابك في نُصرة ذرّيّة نبيك محمد صلى الله عليه وآله».

ثم التفت إلى الحسين قائلاً: أوفيتُ يا ابن رسول الله؟

قال الحسين نعم أنت أمامي في الجنة.

ثم قضى نحبه - عليه السلام فوجد به ثلاثة عشر سهماً، سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح.

الحسين يستحث بقية أصحابه إلى الشهادة

ولما فرغ الحسين عليه السلام من الصلاة قال لبقية أصحابه:

«يا كرام، هذه الجنة فتحت أبوابها واتصلت أنهارها، وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله والشهداء الذين قُتلوا في سبيل الله يتوقعون قدومكم، ويتباشرون بكم، فحاموا عن دين الله ودين نبيّه، وذّبوا عن حرم الرسول».

بنات الرسالة يستثرن حفاظ الأصحاب

وخرجن حرائر الرسالة وبنات الزهراء من الخيمة، وصحن: يا معشر المسلمين، ويا عُصبة المؤمنين: إدفعوا عن حرم الرسول وعن إمامكم المنافقين لتكونوا معنا في جوار جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله.

فعند ذلك بكى أصحاب الحسين: وقالوا: نفوسنا دون أنفسكم ودمائنا دون دمائكم. وأرواحنا لكم الفداء، فوالله لا يصل اليكم أحد بمكروه وفينا عرق يضرب. ووثبوا على خيولهم فعمقروها، ولم يبق مع الحسين فارس إلا الضحاك بن عبد الله المشرقي، واقتتلوا أشد القتال.

وخرج أبو ثمامة الصائدي، فوقف قبالة الحسين عليه السلام وقال: يا أبا عبد الله، إني قد هممت أن ألحق بأصحابي، وكرهت أن أتخلف وارك وحيداً من أهلك قتيلاً. فقال له الحسين عليه السلام: تقدّم فإننا للاحقون بك عن ساعة.

فتقدّم أمام الحسين، فقاتل حتى أثخن بالجراح وكان مع عمر بن سعد ابن عم له يقال له (قيس بن عبد الله) وبينهما عداوة سابقة، فشدّ اللعين على أبي ثمامة، فقتله، وكان ذلك بعد قتل الحرّ.

بقية الأصحاب يتهافون على الموت

وجعل اصحاب الحسين عليه السلام يسارعون إلى القتل بين يديه كأنما قيل فيهم: قوم إذا نودوا لدفع ملّة والخيل بين مدسٍ ومكرسٍ لبسوا القلوب على الدروع كأنهم يتهافون على ذهاب الأنفس وكان كل من أراد القتال يأتي إلى الحسين يودّعه، ويقول: السلام عليك يا ابن رسول الله، فيجيبه الحسين: وعليك السلام ونحن خلفك. ويقرأ: ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾.

بنفسي كراماً سخت بالنفوس، بيوم سمث فيه أمثالها
وخفوا سراعاً لنصر الحسين، وقد أبدت الحرب أثقالها
إلى أن أبيدوا بسيف العدى ونال السعادة من نالها

رجال تواصلوا حيث طابت أصولهم وأنفسهم بالصبر حتى قضوا صبرا
حماة حموا خدرا أبى الله هتكه فَعَظَّمَهُ شَأْنًا وَشَرَّفَهُ قَدْرًا
فأصبح نهباً للمغاوير بعدهم ومنه بنات المصطفى أبرزت حسرى
وقال آخر :

جادوا بأنفسهم في حُبِّ سيدهم والجودُ بالنفس أقصى غاية الجودِ
السابقون إلى المكارم والعلی والحائزون غداً حياض الكوثر
لو لا صوارمهم ووقع نبالهم لم تسمع الآذان صوتَ مكبر^(١)

شوذب مولى شاکر

وأقبل عابس بن شبيب الشاکري على (شوذب) مولى شاکر فقال له: يا
شوذب، مافي نفسك أن تصنع؟

قال شوذب: أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله حتى أقتل، فجزّاه عابس
خيراً، وقال له: ذاك الظنّ بك، تقدّم بين يدي أبي عبد الله حتى يحتسبك كما احتسب
غيرك من أصحابه، وحتى أحتسبك أنا، فان هذا يوم نطلب فيه الأجر بكل ما نقدر
عليه، فانه لا عمل بعد اليوم وإنما هو الحساب.

فتقدّم شوذب إلى الحسين عليه السلام وسلّم عليه، وقاتل بين يديه حتى قُتل.

عابس بن شبيب الشاکري

ووقف عابس - بعد ذلك - أمام الحسين عليه السلام وقال: «يا أبا عبد الله، والله ما
أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعزّ علي ولا أحبّ إليّ منك، ولو قدرتُ
على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعزّ عليّ من نفسي ودمي لفعلتُ.

(١) نفثة المصدر للقمي : ص ٦٢٩.

السلام عليك يا ابا عبد الله، أشهد الله اني على هُداك وهُدى أبيك». ثم مشى نحو القوم مصلاً سيفه، وبه ضربة على جبينه، فأخذ ينادي: ألا رجل، لرجل؟

فأحجموا عنه، وأخذ مناديهم ينادي في الصفوف: أيها الناس، هذا أسد الأسود، هذا أشجع الناس، هذا ابن أبي شبيب، لا يخرجن إليه أحد منكم.

فصاح عمر بن سعد بالناس: إرضخوه بالحجارة؟ فرُمي بالحجارة من كل جانب.

فلما رأى ذلك ألقى درعه، ومغفره، ثم شدّ على الناس، فهزمهم بين يديه. قال الراوي: فوالله رايته يطرد أكثر من مائتين من الناس. ثم إنهم عطفوا عليه من كل جانب، فقتل رضوان الله عليه، فاحتزّوا رأسه، وتنازع عُدّة من الرجال في رأسه، كلّ يقول: أنا قتلتَه. فقال ابن سعد: لا تخصموا، هذا - والله - لم يقتله إنسان واحد، ففرّق بينهم بهذا القول.

زهير بن القين

وخرج زهير بن القين البجلي إلى الحرب وهو يقول:

أنا زهيرٌ وأنا ابنُ القينِ أذودُكم بالسّيف عن حُسين
فقتل مائة وعشرين رجلاً - على ما نقل عن محمد بن أبي طالب - ثم عطف عليه كثير بن عبد الله الشعبي والمهاجر بن أوس التميمي فقتلاه فوقف عليه الحسين (عليه السلام) وقال:

«لا يُبعدنك الله يا زهير، ولعن قاتلك لعن الذين مُسخوا قردهً وخنازير»^(١).

(١) مقتل الخوارزمي ٢: ٢٠.

عمرو بن قرظة الأنصاري

وجاء عمرو بن قرظة الأنصاري، ووقف أمام الحسين عليه السلام يقيه من الغدو
ويتلقى السهام ب صدره ووجهه، فلم يصل إلى الحسين سوء فلما كثرت فيه الجراح
التفت إلى الحسين عليه السلام وقال له: «أوفيتُ يا ابن رسول الله؟» قال الحسين: نعم أنت
أمامي في الجنة، فاقراً رسول الله عني السلام، وأعلمه أنني في الأثر. فقاتل حتى قُتل
- رضوان الله عليه - .

نافع بن هلال الجملي

ورمى نافع بن هلال الجملي بنبالٍ مسمومٍ قد كتب اسمه عليها فجعل يرمي
بها مسومةً وهو يقول:

أرمي بها معلمةً أفواقها والنفس لا ينفعها إشفافها
مسمومةً يجري بها إخفاقها ليملأن أرضها رشاقها
فقتل اثني عشر رجلاً سوى المجروحين. ولما نفذت سهامه جرّد سيفه،
فحمل على القوم وهو يرتجز ويقول:

أنا الغلامُ اليمنيّ الجملي ديني على دين حسين وعلي
إن أقتل اليوم فهذا أُملي وذاك رأيي والاقبي عملي
فأحاطوا به يرمونه بالحجارة والنّصال حتى كسروا عضديه وأخذوه أسيراً.
فأمسكه شمر ومعه أصحابه يسوقونه إلى عمر بن سعد.

فقال له ابن سعد: ويحك يا نافع، ما حملك على ما صنعت بنفسك؟
قال نافع: إن ربي يعلم ما أردتُ.

فقال له رجل - وقد نظر إلى الدماء تسيل على وجهه ولحيته - : أما ترى

ما بك؟

قال نافع: والله لقد قتلْتُ منكم اثني عشر سوى من جرحْتُ وما ألوم نفسي على الجُهد، ولو بقيت لي عضدٌ وساعدٌ ما اسرْتُموني.
وانتضى شمر سيفه ليقتله، فقال له نافع: «أما والله يا شمر، لو كنتَ من المسلمين لعظمَ عليك أن تلقى الله بدمائنا فالحمدُ لله جعل مناينا على يد شرارِ خلقه» ثم ضرب شمر عنقه.

الغفاريان

وجاء عبد الله وعبد الرحمان ابنا عروة الغفاريان - وكانا من أشرف الكوفة وشجعانهم وذوي الموالاة منهم - .
فوقفا أمام الحسين عليه السلام وقالوا: السلام عليك يا أبا عبد الله، قد حازنا العدو إليك، فأحبينا أن نُقتل بين يديك. وندفع عنك.
فقال الحسين: مرحباً بكما، ادنوا مني، فدنوا منه، فجعلوا يقاتلان قريباً منه حتى قُتلا، وأحدهما يقول:

قد علمت حقاً بنو غفار وخندفٍ بعد بني نزار
لنضربنّ معشر الفجار بكل غضب صارمٍ بتار
يا قوم ذودوا عن بني الأحرار بالمشرفي والقنا الخطار

الجابريان

وأناه الفتيان الجابريان - وهما سيفُ بن الحارث بن سريع، ومالك بن عبد بن سريع - وهما ابنا عمٍ وأخوان لأم، وجعلوا يبكيان.
فقال لهما الحسين: ما يبكيكما - يا بني أخي - فوالله إني لأرجو أن تكونا عن ساعةٍ قريري العين.

قالا: جعلنا الله فداك، والله ما على أنفسنا نبكي، ولكننا نبكي عليك، نراك قد أحيط بك، ولا تقدر أن ندفع عنك ونمنعك.

فقال الحسين: جزاكم الله - يا ابني أخي - بوجدكما من ذلك، ومواساتكما، إيتاي بأنفسكما أحسن جزاء المتقين.

ثم استقدما أمام الحسين، وقالا: السلام عليك يا ابن رسول الله.

فقال الحسين: وعليكما السلام ورحمة الله وبركاته. فقاتلا جميعاً قتالاً شديداً، وإن أحدهما ليحمي ظهر صاحبه حتى قُتلا في مكان واحد.

جون مولى أبي ذر

ووقف (جون) مولى أبي ذر الغفاري أمام الحسين عليه السلام يستأذنه في البراز - وكان عبداً أسود - .

فقال الحسين له: يا جون، أنت في إذن مني، إنما تبعنا طلباً للعافية، فلا تبتل بطريقتنا.

فوقع (جون) على قدمي أبي عبد الله الحسين يُقبِلهما ويبكي وهو يقول:

يا ابن رسول الله، أنا في الرّخاء الحسّ قصاعكم، وفي الشدة أخذلكم؟ والله إنّ ريحي لتتن، وإنّ حسبي للثيم، وإنّ لوني لأسود فتنفّس عليّ بالجنة ليطيب ريحي، ويشرف حسبي، ويبيض لوني، لا والله، لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم.

فأذن له الحسين فبرز إلى القتال وهو يقول:

كيف ترى الكفّار ضرب الأسد بالسيف ضرباً عن بني محمد

أَذَبَ عَنْهُمْ بِاللِّسَانِ وَالْيَدِ أَرْجُو بِهِ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْمَوَدِّ
ولم يزل يقاتل حتى قتل خمساً وعشرين رجلاً فقتل.
فوقف عليه الحسين عليه السلام وقال: «اللهم بيّض وجهه، وطيب ريحه، واحشره
مع الأبرار، وعرف بينه وبين محمد وآل محمد».
فروي عن حضر المعركة لدفن القتلى مع الإمام زين العابدين عليه السلام: أنهم
وجدوا (جوناً) تفوح منه رائحة طيبة أذكى من المسك.

أنس بن الحرث الكاهلي

وبرز بعد ذلك أنس بن الحرث الكاهلي، وكان شيخاً كبيراً صحابياً ممن
رأى النبي وسمع حديثه، وشهد معه بدرًا وحُنينًا، وكان فيما سمع من النبي وحدث
به: انه قال:

«سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول - والحسينُ بن علي في حجره - : إن أُنبي هذا
يُقتل بأرضٍ من العراق، ألا فمن شهدته فلينصره».

فلما رآه الشيخُ في طريقه إلى العراق، وشهدته جاء معه إلى كربلاء لينصره،
قالوا: فجاء ووقف قبالة الحسين وأستأذنه في القتال، فأذن له الحسين، فبرز الشيخ
شاذاً وسطه بالعمامة رافعاً حاجبيه بالعصابة عن عينيه، وهو يقول:

قد علمت كاهلُ ثمّ دودان والخندقيون وقيسُ عيلان
بأنّ قومي آفةٌ للأقران وأنني سيّد تلك الفرسان
فلما نظر اليه الحسين عليه السلام بهذه الهيئة بكى، وقال: «شكر الله سعيك يا شيخ»
فقتل - على كبره - ثمانية عشر رجلاً وقتل.

عمرو بن جنادة

قالوا: وكان جنادة بن كعب الأنصاري الخزرجي من الشيعة المخلصين في الولاة. وقد خرج مع الحسين من مكة - ومعه زوجته (أم عمرو) وولده عمرو، وهو غلام لم يراهق، وقيل: ابن إحدى عشرة سنة أو ابن تسع سنين، وقد قُتل أبوه (جنادة) في الحملة الأولى التي قُتل فيها من أنصار الحسين زهاء خمسين رجلاً. فأقبلت زوجته إلى ولدها (عمرو) فألبسته لامة الحرب وقالت له: يا بني، أخرج وقاتل بين يدي ابن رسول الله فخرج الغلام، واستأذن الحسين في القتال، فأبى الحسين أن يأذن له، وقال: هذا غلام قُتل أبوه في المعركة، ولعل أمه تكره خروجه.

فقال الغلام: إن أمي هي التي أمرتني بذلك.

فأذن له الحسين، فبرز الغلام إلى الحرب، وهو يقول:

أميري حسين ونعم الأمير، سرور فؤاد البشير النذير
علي وفاطمة والداة، فهل تعلمون له من نظير
له طلعة مثل شمس الضحى له غرة مثل بدر منير

وقاتل، فما أسرع أن قُتل، فاحتز رأسه ورمي به إلى جهة معسكر الحسين عليه السلام فأخذت أمه الرأس، ومسحت الدم عنه، وهي تقول: أحسنت يا بُني يا سرور قلبي و يا قرّة عيني.

وعادت إلى المخيم، فأخذت عمود خيمة - أو سيفاً - وحملت على القوم وهي تقول:

أنا عجوز في النسا ضعيفة خاوية بالية نحيفة
أضربكم بضربة عنيفة دون بني فاطمة الشريفة

وضربت رجلين بالعمود فقتلتهم. فأمر الحسين بصرفها ودعا لها، وردّها إلى المخيم فرجعت.

الحجاج الجعفي

وقاتل الحجاج بن مسروق الجعفي - مؤذن الحسين عليه السلام - حتى خُصّب بالدماء. فرجع إلى الحسين، وهو يقول:

أقدم حسين هادياً مهدياً اليوم القى جدك النيا
ثم أباك ذا الندى علياً ذاك الذي نعرفه الوصياً
فقال له الحسين: وأنا ألقاهما على أثرك، فرجع يُقاتل حتى قُتل.

الغلام التركي

وكان للحسين عليه السلام غلامٌ تركي، وكان في مرتبةٍ عاليةٍ من الصلاح والسادقارئاً للقرآن، فاستأذن الحسين في القتال، فأذن له، فحمل على القوم، فقاتل وقتل جماعةً كثيرة، ثم وقع صريعاً، فاستغاث بالحسين، فأتاه الحسين واعتنقه وبكى عليه، ففتح الغلام عينيه ورأى الحسين فتبسّم، وكان به رمقٌ، فأخذ يفتخر ويقول: من مثلي وابن رسول الله واضعٌ خذّه على خدي. ثم فاضت نفسه بين يدي الحسين عليه السلام.

بأبي من شروا لقاء حسينٍ	بفراق النفوس والأرواح
وقفوا يدرأون سُمر العوالي	عنه والنبل وقفة الأشباح
فوقوه بيض بالنحور	البيض والنبل بالوجوه الصباح
فئة أن تعاور النقع ليلاً	اطلعوا في سماه شهب الرماح
وإذا غننت السيوف	أكؤوس الموت وانتثى كلٌ صاحي
باعدوا بين قُربهم والمواضي	وجوم الأعداء والأرواح

أدركوا بالحسين أكبر عيدٍ فغدوا في مني الطفوف اضمأ
لست أنسى من بعدهم طودَ عزٍ وأعاديهِ مثلَ سيل البطاح
هو يحيي دين النبي يعضبُ بسناه لظُلْمَةِ الشُّرك ماحي
ثم لما نال الظما منه والشمسُ ونزفُ الدما وثقل السلاح
وقف السبطُ يستريح قليلاً فرماه القضا بسهمٍ مُتاح
فهوى العرش للثرى وادلهمت برماد المصاب منها النواحي
حرَّ قلبي لزيبٍ اذ رآته ترب الجسم مثخناً بالجراح
أخرس الخطبُ نطقها فدعته بدموع بما تجنّ فصاح
كنت لي يومَ كنت كهفاً منيعاً سجسج الظل خافق الأرواح
أترى القوم إذ عليك مررنا منعونا من البكا والنياح
ان يكن هيناً عليك هواني واغترابي مع العدى وانتزاعي
ومسيري اسيرة للأعادي وركوبي على النياق الطلاح
فبرغمي أني أراك مقيماً بين سمر القنا وبيض الصفاح
لك جسمٌ على الرماح ورأس رفعوه على رؤوس الرماح

شهداء بني هاشم

لقد كثر اختلاف المؤرخين وأرباب المقاتل في تحديد عدد شهداء الطف من أهل البيت (عليه السلام) - كاختلافهم الكثير في تحديد شهداء الأصحاب أيضاً - فبين مقل إلى حدّ الثلاثة عشر ، كالمسعودي في مروجه (٣ : ٧١) ، وبين أكثر إلى حدّ الثلاثين كالأمين في أعيانه (٤ ق ١ : ٢٥٠) . وفي البحار (٤٥ : ٦٣) رواية عبدالله بن سنان تؤيد ذلك ، وبين هذين القولين من جانبي القلة والكثرة أقوال أخرى .

فالمشهور بين المؤرخين وأرباب المقاتل : أنهم (١٧ شهيداً) غير الحسين عليه السلام ، كما ورد تعداد أسمائهم في زيارة الناحية المقدسة ، وقد أوردها المجلسي بنصّها عن الإقبال في بحاره (٤٥ : ٦٥) .

ويؤيده قول محمد بن الحنفية - من حديث له - : «ولقد قتل مع الحسين سبعة عشر مَن ارتكضوا في رَجَم فاطمة» - ويعني : فاطمة بنت أسد أم علي وجعفر وعقيل ، فإنّ شهداء الطفّ من أهل البيت ينتمون إلى هؤلاء الثلاثة أولاداً أو أحفاداً - ، ذكر ذلك الطبراني في معجمه (١ : ١٤٠) ، والمقريزي في خططه (٢ : ٢٨٦) ، وابن حجر في تهذيبه (١ : ١٥٦) .

وقال الدميري في حياة الحيوان (١ : ٦٠) أنهم : (١٨ رجلاً) ، وفي تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي (٢٥٥) أنهم : (١٩ رجلاً) ، ويضيف إليهم اثنين برواية المدائني فيكون المجموع (٢١ قتيلاً) .

وفي تاريخ الطبري (٥ : ٣٨٢) أنهم : (٢١ رجلاً) ، وهذا القول يلتقي مع قول ابن الجوزي برواية المدائني ، ويقرب من قول أبي الفرج في مقاتله (٦٧) حيث يقول : «فجميع من قُتِلَ يوم الطفّ من ولد أبي طالب سوى من يختلف في أمره اثنان وعشرون رجلاً» .

ويكاد يتفق الخوارزمي في مقتله (٢ : ٤٧) وابن شهر آشوب في مناقبه (٤ : ١١٢) - وكلاهما من أبناء القرن السادس الهجري - في النسبة إلى الأكثر بأن مجموع القتلى من أهل البيت عليه السلام لا يتجاوز السبعة والعشرين .

وأخيراً ، فالذي يرجّح عندنا - بعد أن استعرضنا الكثير من المصادر المعتبرة - هو القول الوسط - وهو النيف والعشرون ، بل الاثنان والعشرون بالضبط - باستثناء الحسين عليه السلام - إذ القولان المتطرفان في القلّة والكثرة لا يساعد عليهما الاعتبار

وعامة النصوص التاريخية المعتمدة.

قال المؤرخون وأرباب السير: ولما قُتل أصحابُ الحسين عليه السلام ولم يبق معه سوى أهل بيته، وهم وُلدُ علي وولَدُ جعفر وعقيل وولد الحسن وولده اجتمعوا وجعل يودّع بعضهم بعضاً وعزموا على الحرب وملاقاة الحتوف ببأس شديد ونفوسٍ أبيّة:

بِنَفْسِي وَأَبَائِي نَفُوساً أَبِيَّةً يُجَرِّعُهَا كَأْسُ الْمَنِيَّةِ مُسْرِفٌ
تُطَلُّ بِأَسْيَافِ الضَّلَالِ دِمَاؤُهُمْ وَتُلْغَى وَصَايَا اللَّهِ فِيهِمْ وَتُحْدَفُ

أول الشهداء من بني هاشم علي الأكبر

قالوا: فأول من خرج علي بن الحسين الأكبر.

وقد ذكر بعض المؤرخين وأرباب المقاتل: أن أول من خرج وقاتل وقُتل من أهل البيت هو عبد الله بن مسلم بن عقيل، وأن علي بن الحسين الأكبر كان آخر من قاتل وقُتل من أهل البيت.

ولكن الأصح ما اشتهر بين المؤرخين وأرباب المقاتل: من أن علي الأكبر هو أول الخارجين والمقتولين من أهل البيت، وعلى ذلك شواهد.

عمره الشريف يوم الطف

قيل: إن ولادة علي الأكبر كانت في الحادي عشر من شعبان سنة ثلاثة وثلاثون للهجرة^(١)، وكان عمره الشريف يوم الطف - على ما هو الأشهر بين المؤرخين وأرباب المقاتل والنسب - نحواً من سبع وعشرين سنة.

(١) علي الأكبر للمقرّم: ١٢.

ويقال: أنه ابن سبع عشرة سنة، أو ابن ثمان عشرة سنة، أو ابن تسع عشرة سنة وهو المشهور على السنة الخطباء والشعراء.

ولقد أرسله أبوه الحسين عليه السلام - يوم الثامن من المحرم - على رأس ثلاثين من أصحابه لجلب الماء من الفرات إلى المخيم.

علي الأكبر مجمع الكمالات النفسيّة

قالوا: وكان علي بن الحسين الأكبر مجمع المحامد والمحاسن جميل الصورة، طلق اللسان، صبيح الوجه، حسن السيرة والخلقة متواضعاً، جواداً، سخياً، شجاعاً مقداماً في الحروب، قويّ الإيمان نافذ البصيرة، متفانياً دون كلمة الحق، وعلى ثقة واطمينان - عميقين - من دينه.

وكان من الفرحين في لقاء الله يوم الطف وكان أشبه الناس بجده رسول الله صلى الله عليه وآله في الخلق والخلق والمنطق بشهادة أبيه الحسين عليه السلام يوم عاشوراء.

وكان يروي الحديث عن جده أمير المؤمنين عليه السلام. وكان قد ربّي في حجر عمه الحسن وأبيه الحسين عليه السلام وتأدّب بأدابهما، وانتهل العلم والمعرفة من معدن النبوة ومنهل الامامة:

ورث الصفات الغرّ وهي ترائه	عن كل غطريف وشهم اصيد
في بأس حمزة في شجاعة حيدر	بإباء الحسين وفي مهابة أحمد
وتراه في خلقٍ وطيب خلّاق	وبليغٍ نطقٍ كالنبي محمد ^(١)

(١) من قصيدة في رثاء علي الأكبر للأديب الشيخ عبد الحسين آل صادق العاملي رحمه الله
مطلعها:

حجر على عيني يمر بها الكرى من بعد نازلة بعثرة أحمد

وحسبه من المقام العظيم: ما ورد في زيارته عن الامام الصادق عليه السلام على لسان الصحابي الجليل أبي حمزة الثمالي من قوله: «صلى الله عليك وعلى عترتك وأهل بيتك وآبائك وأمهاتك الأخيار الأبرار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

وفيه يقول الشاعر:

لم تر عينٌ نظرت مثله	من مُحْتَفٍ يمشي ومن ناعل
يغلي نئي اللحم حتى إذا	أنضج لم يغل على الأكل
كان إذا شَبَّتْ له ناره	أوقدها بالشرف القابل
كيما يراها بائس مرمّل	أو فردٌ حي ليس بالآهل
لا يُؤثر الدنيا على دينه	ولا يبيع الحق بالباطل
أعني ابن ليلي ذا السدى والندی	أعني ابن بنت الحسب الفاضل

علي الأكبر يتقدم إلى الميدان

قالوا: ولما عزم علي بن الحسين الأكبر على القتال، وأقبل مستأذناً من أبيه، نظر إليه الحسينُ نظر آيسٍ منه، وأرخى عينيه بالدموع^(١)، محترقاً قلبه، مظهراً حزنه إلى الله تعالى، ورفع شيبته أو سبّابته - إلى السماء وقال:

«اللهم اشهد على هؤلاء، فقد برز اليهم أشبهُ الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسولك محمد ﷺ وكنا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيك نظرنا إليه اللهم أمنعهم بركات الأرض، وفرّقهم تفرقاً، ومزّقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قديماً، ولا تُرض الولاية عنهم أبداً، فانهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا يُقاتلوننا».

(١) مثير الأحزان: ٣٥.

وصاح بعمر بن سعد: «مالك يا بن سعد، قطع الله رحمك ولا بارك الله لك في أمرك، وسلط عليك من يذبحك بعدي على فراشك، كما قطعت رحمي، ولم تحفظ قرابتي من رسول الله».

ثم رفع صوته وتلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

قالوا: ولما تقدّم علي الأكبر إلى الحرب اجتمعت النساء ودرن حوله كالحلقة وتعلّقن بأطرافه، وقلن له: إرحم غُربتنا ولا تستعجل إلى القتال، فلا طاقة لنا في فراقك، فلم يعبأ بهن، ولم يزل يطلب الإذن من أبيه حتى أذن له.

وروي: إنّ الحسين عليه السلام ألبسه بيده لامة حربه وأفرغ عليه درعه ومغفرة، وشدّ وسطه بمحزم أدخره من أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وأركبه فرسه العقاب.

فعند ذلك ودّع أباه الحسين والحرم وعموم بني هاشم، وتوجّه نحو القوم، وجلا عليهم كالشمس الضاحية:

ذكروا بطلعته النبيّ فهلّلوا	لما بدا بين الصفوف وكبّروا
فافتنّ فيه الحاضرون فاصبّع	يومي إليه بها وعين تنظر

علي الأكبر يتوسط الميدان

وشدّ عليهم شدة الليث الغضبان، وهو يقول:

أنا عليّ بن الحسين بن علي	نحنُ وبيت الله أولى بالنبي
والله لا يحكم فينا ابنُ الدعي	أطعنكم بالرمح حتى ينشني
أضربكم بالسيف أحمي عن أبي	ضرب غلام هاشمي علوي ^(٢)

(١) تظلم الزهراء للقرويني: ١١٦.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٤٤٦.

وشدّ على الناس مراراً. وعن بعض التواريخ: إن حملاته بلغت اثنتي عشرة حملة، وقتل منهم مقتلة عظيمة، حتى ضجّ الناس من كثرة من قتل منهم، فرؤي: إنه قتل - على عطشه - مائة وعشرين رجلاً.^(١)

يرمي الكتائب والفلا غصّت بها في مثلها من بأسه المتوقّد
فيردّها قسراً على أعقابها في بأس عريس العرينة مُلبّد

هذا وقد اشتدّ به العطش من حرارة الشمس، وثقل السلاح وكثرة الجراح، ومواصلة الكفاح، فرجع إلى أبيه الحسين قائلاً: «يا ابيه، ألعطشُ قد قتلني. وثقل الحديد قد أجهدني، فهل إلى شربة ماءٍ من سبيل أتقوى بها على الأعداء».

فبكى الحسين، وقال: وآغوثاه!! من أين آتي لك بالماء، قاتل قليلاً، فما أسرع ما تلقى جدك رسول الله، فيسقيك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها أبداً.

ورؤي: أن الحسين عليه السلام قال له: يا بني، هات لسانك، فأخذ لسانه فمصه، ودفع إليه خاتمه الشريف. وقال له: يا بُني، أمسكه في فمك، وأرجع إلى قتال عدوك.

ويؤوبُ للتوديع وهو مكابِدُ لظماً الفؤاد وللحديد المُجهّد
صادي الحشا وحسامه رِيّان من ماء الطلّى وغليله لم يبرد
يشكو لخير أبٍ ظمأه وما اشتكى ظمأ الحشا إلا إلى الظّامي الصّدي
فإنصاع يؤثره عليه بريقه لو كان ثمة ريقه لم يجمد
كلُ حشاشته كصالية الغضا ولسانه ظمأً كشقةٍ مبرد^(٢)

فرجع إلى الحرب آيساً من الحياة عازماً على الموت وهو يقول:

الحربُ قد بانَتْ لها الحقائقُ وظهرت من بعدها مصادقُ

(١) مقتل الخوارزمي ٢: ٣٠.

(٢) هذه الأبيات كسوابقها ولواحقها من القصيدة العصاء في رثاء علي الأكبر عليه السلام للحجة الشيخ عبد الحسين العاملي.

والله ربّ العرش لا نفارقُ جُموعكم أو تُغمد البوارقُ

مصرع علي الأكبر

وجعل يقاتل أعظم القتال حتى قتل تمام المائتين قالوا: وجعل يكرّر على القوم
كرّة بعد كرتة، حتى رُمي بسهم وقع في حلقه فخرقه، وأقبل يتقلّب في دمه، وضربه
مرّة بنُ منقذ العبدى بالسيف على مفرق رأسه، ثم طعنه بالرمح في ظهره، وضربه
الناس بأسياфهم، فاعتنق فرسه، فاحتمله الفرسُ إلى معسكر الأعداء، فقطّعه
بسيوفهم إرباً إرباً.

ومذ انتنى نحو الكريهة باسمأ	والموتُ منه بمسمع وبمشهد
لفّ الوغى وأجالها جول الرحى	بمئقّفٍ من بأسه ومُهنّد
يلقى ذوابلها بذابل معطف	ويشيم أنصلها بجيد أجيد ^(١)
حتى اذا ما غاص في أوساطهم	بمطهم قُبّ الايّاطل أجرد ^(٢)
عشر الزمانُ به فغودر جسمه	نهب القواضب والقنا المتقصّد
ومحا الردى يا قاتل الله الردى	منه هلال دجىّ وغُرة فرقد

ولما بلغت روحه التراقي نادى رافعاً صوته:

يا أبتاه، عليك مني السلام، هذا جدّي رسول الله قد سقاني بكأسه
الأوفى شربةً لا أظماً بعدها أبداً، وهو يقول لك: العجل، العجل، فان لك كأساً
مذخورةً حتى تشربها الساعة.

(١) الذوابل: جمع ذابل، وهو المهزول الدقيق، والذوابل صفة للرماح. والمعطف: بالفتح

وكسر الثالث -: العنق. وبالكسر فالفتح: السيف. ويشيم: ينظر، والانصل: جمع نصل، وهو

حديدة الرمح والسهم وطرف السيف، والجيد الأجيد: طويل العنق.

(٢) المطهم: التام الجسم البارع الجمال، والقُبّ - بالضم - جمع أقب: من الخيل الضامر البطن.

وشهق شهقةً كانت فيها نفسه، وفارقت روحه الدنيا.^(١)

يا نجعة الحيين: هاشم والندی وحى الذمارين العلى والسؤدد
كيف ارتقت همم الردى لك صعدةً مطرورة الكعبين لم تتأود
فلتذهب الدنيا على الدنيا العفا ما بعد يومك من زمانٍ أرغد

نُحسين يندب ولده وهو يتنفس الصعداء

قالوا: فجعل الحسين يتنفس الصعداء، وصاح بأعلى صوته: وآولاده
فتصارخن النساء، فسكتهن الحسين، وقال: إن البكاء أمامكن. وحمل على القوم
ففرّقه وأقبل إلى ولده مسرعاً.

قالوا: ولما أقبل الحسين إلى ولده كان في طريقه يلهج بذكره ويصيح ويكثر
من قوله: «ولدي علي، ولدي علي» حتى وصل إليه. فأخلى رجليه معاً من الركاب،
ورمى بنفسه على جسد ولده، وأخذ رأسه فوضعه في حجره، وجعل يمسح الدم
والتراب عن وجهه، وانكبّ عليه واضعاً خدّه على خدّه، وهو يقول: «يا بُني قتل الله
قوماً قتلوك، وما أشدّ جرأتهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول ثم انهملت
عيناه بالدموع .

ثم قال: على الدنيا بعدك العفا يا بُني، أمّا أنت فقد استرحت من الدنيا
وضيمها، وقد صرت إلى روح وريحان، وبقي أبوك، وما أسرع لحوقه بك».

وذكر بعض الأكابر من أرباب المقاتل: إن الحسين عليه السلام لما رمى بنفسه
على جسد ولده وفلذة كبده، اعترته حالة المحتضر فجعل يجود بنفسه، ويتنفس
تنفس الصعداء، وكادت روحه أن تخرج، ولسان حاله يقول:

(١) الملهوف: ٤٨، مقاتل الطالبين: ٨٥.

بُنِيَّ اقْتَطَعْتُكَ مِنْ مُهْجَتِي	عِلَامَ قَطَعْتَ جَمِيلَ الْوَصَالِ
بُنِيَّ حَرَامٌ عَلَيَّ الرِّقَادِ،	وَأَنْتَ عَفِيرٌ بِحَرِّ الرَّمَالِ
بُنِيَّ عِرَاكَ خُسُوفُ الرَّدَى	وَشَأْنُ الْخُسُوفِ قُبِيلُ الْكَمَالِ
بُنِيَّ أَبَيْتَ سِوَى الْقَاصِرَاتِ	وَخَلَّفْتَ عِنْدِي سُمْرَ الطَّوَالِ
بُنِيَّ بِكَتَكَ عُيُونُ الرِّجَالِ،	لِيَوْمِ النَّزِيلِ وَيَوْمِ النَّزِيلِ
بُنِيَّ بِكَتَكَ صِفَاتُ الْكَمَالِ،	وَعُضُّ الشَّبَابِ وَذَاتُ الْجَمَالِ ^(١)

زَيْنَبُ وَالْعِيَالُ يَنْدُبْنَ عَلِيَّ الْأَكْبَرَ

قالوا: وخرجت زينب ابنة علي مسرعة - وخلفها النساء والأطفال - وهي تنادي: يا حبيباه، يا ثمره فؤاداه، وآلوداه، وآمهجة قلباه، فجاءت وانكبت عليه، فبكى الحسين رحمةً لبكائها وقال: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. وقام وأخذ بيدها وردّها إلى الفسطاط^(٢):

لَهْفِي عَلَى عَقَائِلِ الرِّسَالَةِ	لَمَّا رَأَيْتُهُ بِتِلْكَ الْحَالَةِ
عَلَا نَحِيْبُهُنَّ وَالصِّيَاخُ	فَانْدَهَشَ الْعُقُولُ وَالْأَرْوَاحُ
لَهْفِي لَهَا إِذْ تَنْدُبُ الرِّسُولَا	فَكَادَتْ الْجِبَالُ أَنْ تَزُولَا
لَهْفِي لَهَا مِذْ فَقَدْتَ عَمِيدَهَا	وَهَلْ يُوَاظِي أَحَدٌ فَقِيدَهَا
وَمَنْ يُوَاظِي شَرْفًا وَجَاهَا	مِثَالِ يَسٍ وَقَلْبِ طَه ^(٣)

ثم التفت الحسين عليه السلام إلى فتيلانه من بني هاشم، وقال لهم: إحملوا أخاكم،

(١) من قصيدة رائعة للأديب السيد مهدي البحراني .

(٢) البداية والنهاية : ٨ : ١٨٥ .

(٣) أبيات من منظومة «الأنوار القدسية» للحجة محمد حسين الأصفهاني .

فحملوه من مصرعه، وجاؤا به إلى الفسطاط الذي يقاتلون أمامه.^(١)

الحسين يبكي مع النساء على ولده

قالوا: ولما قُتل علي بن الحسين الأكبر، دخل الحسين خيمة النساء باكياً حزيناً آيساً من نفسه. ولما رآته ابنته سكينه بهذه الحالة قالت له: يا أبة، مالي أراك تنعى نفسك، وتُدبر طفرك، أين أخي علي؟

فقال لها الحسين: قتله اللئام، فنادت سكينه: وآأخاه، وآمهجة قلباه. وأرادت الخروج، فمنعها الحسين، وقال لها: يا سكينه، إتقي الله، واستعملي الصبر. فقالت: يا أبتاه، كيف تصبر من قُتل أخوها، وشُرِد أبوها؟ فقال الحسين: إنا لله وإنا إليه راجعون.

يا كوكباً ما كان أقصر عُمره وكذا تكون كواكبُ الأسحار
جاورتُ أعدائي وجاور ربّه شتّان بين جواره وجواري^(٢)

عائلة عقيل بن أبي طالب

١ - عبد الله بن مسلم بن عقيل

قال أرباب التاريخ: ولما قُتل علي بن الحسين الأكبر، خرج من بعده: عبد الله بن مسلم بن عقيل، وأمه رقية الكبرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام^(٣) وهو

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٤٧.

(٢) من أبيات قصيدة أبي الحسن التهامي في رثاء ولده المخترم في عنفوان شبابه - كما في جواهر الأدب - .

(٣) وأُمّها الصهباء أمّ حبيب بنت عباد بن ربيعة بن يحيى بن العبد بن علقمة التغلبية؛ قيل: بيعت لأُمير المؤمنين من سبي اليمامة؛ وقيل: من سبي عين التمر، فأولدها علي عليه السلام عمر الأطراف ورقية - عن إِبصار العين للساوي - .

يقول:

اليوم ألقى مسلماً وهو أبي وعُصبةً بادوا على دين النبي
ليسوا بقومٍ عُرِفُوا بالكذب لكن خيارٌ وكرام النسب
من هاشم السادات أهل الحسب^(١)

فقتل جماعةً كثيرة بثلاث حملات.

وعن محمد بن أبي طالب: إنه قتل في حملاته ثمانية وتسعين رجلاً.^(٢)
ولم يزل يقاتل حتى رماه لعينٌ من القوم^(٣) بسهمٍ فاتّقه بيده، فسمرها
إلى جبهته، وما استطع أن يُزيلها، فقال: «اللهم إنهم استقلّونا، واستذلّونا، فأقتلهم
كما قتلونا».

وبينما هو بهذا ونحوه، إذ حمل عليه رجلٌ برمحه فطعنه في قلبه ففارقت
روحه الدنيا.

فجاء الرامي فأخرج سهمه من جبهته، وبقي النصل فيها - وهو ميّت - .^(٤)

٢ - محمد بن مسلم بن عقيل

بعد شهادة عبدالله بن مسلم بن عقيل، شن بني هاشم هجمات جماعية على

(١) هكذا في عامة كتب السير والمقاتل، ولكن القندوزي في (ينابيع المودة باب ٦١) يذكر له هذا الرجز:

نحن بنو هاشم الكرام نحمي عن السيد الإمام
نجل علي السيد الضرغام سبط النبي الملك العلّام

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٤: ١٠٥ .

(٣) قيل: هو أسيد أو أسد بن مالك الحضرمي - كما عن الزيارة والمناقب - .

(٤) أنساب الأشراف ٣: ٢٠٠، مقتل الحسين للمقرّم: ٣١٨.

جيش ابن زياد^(١)، وصاح الحسين عليه السلام : صبراً على الموت يا بني عموتي، صبراً يا أهل بيتي، لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم .

وفي هذه الحملة سقط محمد بن مسلم على الأرض شهيداً بعد أن طعنه لقيط بن اياس الجهني^(٢).

٣- جعفر بن عقيل بن أبي طالب

ابن عم الإمام الحسين، وأمه هي الحوصاء بنت عمرو وتسمى بأُمّ الثغر^(٣). قتل في كربلاء بين يدي الحسين. وكان يرتجز في المعركة ويقول:

أنا الغلام الأبطيح الطالبي من معشرٍ في هاشم وغالب
ونحن حقاً سادة الذوائب هذا حسين أطيّب الأطائب^(٤)

وقد قتل خمس عشرة فرداً من جيش ابن زياد ثم كمن له أحد المجرمين وهو بشر بن خوط فقتله^(٥).

٤- عبد الرحمن بن عقيل

نزل إلى الميدان وهو يرتجز، وقد قتل من جيش الأعداء ١٧ فارساً، وقد

(١) ابصار العين: ٥٠.

(٢) ابصار العين: ٥٠.

(٣) وهو الثغر بن عامر بن الهسان بن كعب بن عبد بن أبي بكر بن كلاب العامري.

(٤) عوالم الإمام الحسين: ٢٧٦.

(٥) ابصار العين: ٥١.

وقد ذكر البعض: أن عبد الله بن عروة الخثعمي ضربه بسهم، وثمّ ذهب إليه بشر بن خوط فقتله، وقد كانت أمّه تراقب الموقف من أمام الخيمة، ولذا فقد ورد في الزيارة الناحية: «السلام على جعفر بن عقيل بن أبي طالب لعن الله قاتله وراميه بشر بن خوط الهمداني» وسيلة الدارين: ٢٢٩.

قتله شخص اسمه عثمان بن خالد الجهني^(١).

٥- عبدالله بن عقيل

ويطلق عليه عبدالله الأكبر، دخل الى الميدان وقاتل قتال الأبطال حتى استشهد على يد عثمان بن خالد ورجل آخر من قبيلة همدان .

٦- محمد بن أبي سعيد بن عقيل

وقالوا : وخرج غلامٌ من أخبية الحسين - حينما صُرع - عليه أزارٌ وقميص وفي أذنيه درّتان، وهو مُمسك بعود، وهو مدعور يلتفت يميناً وشمالاً، وقُراطاه يتذبذبان على خديه كلما التفت، فأقبل هاني بن ثابت الحضرمي يركض حتى اذا دنا من الغلام مال عن فرسه، وعلاه بالسيف فقطّعه.

وذلك الغلام هو محمد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب وكانت أمّه تنظر اليه وهي مدهوشة.

وقيل: إنّ قاتله هو لقيط بن اياس ، وقد ورد ذكره في زيارة الناحية المقدسة^(٢).

عين جودي بعبرة وعويل واندبي إن ندبت آل الرسول
سبعة كلّهم لصلب عليٍّ قد أصيبوا وخمسة لعقيل^(٣)

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٤: ١٠٥ .

(٢) أنصار الحسين : ١١٦ .

(٣) أقول : وقد ورد عجز البيت كالآتي :... قد أصيبوا وسبعة لعقيل .

أراد بقوله : ستّة كلّهم لصلب علي ، هم :

١- الحسين بن علي بن أبي طالب وأمّه فاطمة الزهراء عليها السلام .

٢- العباس بن علي بن أبي طالب وأمّه أمّ البنين فاطمة بنت حزام .

٣- عبدالله بن علي بن أبي طالب وأمّه أمّ البنين فاطمة بنت حزام .

عائلة جعفر بن أبي طالب

١ - عون بن جعفر

هو ابن جعفر بن أبي طالب المعروف بجعفر الطيار، أمّه أسماء بنت عميس، ولدته بأرض الحبشة وقدم به أبوه في غزوة خيبر، لما قتل جعفر بمؤتة أمر رسول الله ﷺ باحضار أولاده عبدالله وعون ومحمد، وأمر باحضار حلاق لكي يحلق رؤوسهم

- = ٤ - عثمان بن علي بن أبي طالب وأمّه أمّ البنين فاطمة بنت حزام .
 ٥ - جعفر بن علي بن أبي طالب وأمّه أمّ البنين فاطمة بنت حزام .
 ٦ - أبو بكر بن علي بن أبي طالب واسمه محمد الأصغر أو عبدالله وأمّه ليلى بنت مسعود بن خالد .

فهؤلاء الستة لصلب علي عليه السلام واختلف في غيرهم - كما سيأتي - .

وقوله : وخمسة لعقيل ، وهم :

- ١ - مسلم بن عقيل بن أبي طالب .
 ٢ - عبدالله بن مسلم بن عقيل .
 ٣ - محمد بن مسلم بن عقيل .
 ٤ - محمد بن أبي سعيد بن عقيل .
 ٥ - عبد الرحمن بن عقيل .

هؤلاء الذين ذكرهم ابن عبد ربّه في العقد الفريد .

أمّا الذين ذكرهم السماوي في (ابصار العين) وهو ينطبق على شعر المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وكان مع الحسين عليه السلام إلا أنّه مرض في الطريق فعزم عليه الحسين أن يرجع فرجع ، فلمّا بلغه قتله رثاه فكان من مرثيته :

وستّة ليس لهم مشبه بني عقيل خير فرسان

فالسّادس عنده هو جعفر بن عقيل والسابع عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، وقد ذكرهم كذلك السيّد الأمين في الأعيان . انظر : العقد الفريد ٣ : ١٣٧ ، أبصار العين : ٢١٧ ، أعيان الشيعة ٣٥ : ٣٦٤ ، جواهر المطالب : ١٣٦ ، المعارف لابن قتيبة : ٢٠٤ ، تذكرة الخواص :

٢٦٦ . (البدر)

ثم قال: أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب، وأما عون فشبيه خلقي وخلقي، انضم عون إلى عمه أمير المؤمنين عليه السلام فلما بلغ مبلغ الرجال زوجه أمير المؤمنين بنته أم كلثوم، وانضم بعده إلى الحسن ثم الحسين، ولم يفارقه حتى ورد كربلاء، وفيها استأذن وبرز وقتل جمعاً من القوم ثم قتل، وكان له من العمر يوم قتله ٥٦ سنة^(١).

٢- عون بن عبدالله بن جعفر

ابن السيدة زينب عليه السلام قتل هو واخوه يوم الطف في النزال الفردي، بعد مسير الحسين من المدينة انطلقاً على اثره ولحقاً به في منزل ذات عرق. جاء اسمه في زيارة الناحية المقدسة، كان يرتجز أثناء القتال يقول:

ان تنكروني فانا ابن جعفر شهيد صدق في الجنان ازهر
يطير فيها بجناح اخضر كفى بهذا شرفاً في المحشر^(٢)

٣- محمد بن عبدالله بن جعفر

ابن السيدة زينب وعبدالله بن جعفر، قتل مع سيد الشهداء يوم عاشوراء. التحق هو واخوه عون بسيد الشهداء بعد خروجه من مكة. وقاتلا يوم الطف وأحاطت بهما جيوش العدو من كل جانب وقتلا^(٣)، كان يرتجز في القتال بالارجوزة التالية:

نشكو إلى الله من العدوان قتال قوم في الردى عيان
قد تركوا معالم القرآن ومحكم التنزيل والتبيان
واظهروا الكفر مع الطغيان^(٤)

(١) تنقيح المقال ٢: ٣٥٥.

(٢) أنصار الحسين: ١١٤، عوالم الإمام الحسين: ٢٧٧.

(٣) أنصار الحسين: ١١٥.

(٤) عوالم الإمام الحسين: ٢٧٧.

٤ - عبيد الله بن عبد الله بن جعفر

وهو ابن الخوصاء بنت حفصة، وقد استشهد مع الحسين عليه السلام، وقيل: إن قاتله هو بشر بن حوط الهمداني القابضي. (١)

٥ - القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب

كان ملازماً لابن عمه الإمام الحسين عليه السلام، وقد جاء مع زوجته وهي بنت عمه عبد الله بن جعفر مع الحسين عليه السلام، وقد برز إلى الميدان بعد عون بن عبد الله بن جعفر، وقتل عدداً كثيراً من جيش العدو قدره البعض بثمانين شخصاً، ثم اثنى بالجراح حتى سقط شهيداً. (٢)

أبناء الإمام الحسن عليه السلام

١ - القاسم بن الحسن

قالوا: وما زال آل أبي طالب يتسابقون إلى القتال حتى انتهت النبوة إلى القاسم ودیعة الحسن بن علي عند أخيه الحسين عليه السلام. وهو غلام لم يبلغ الحلم، أمه أم ولد، قيل: تسمى (رملة) وهي أم أخويه المقتولين يوم الطف: عبد الله والأكبر، وعبيد الله الأصغر المقتول في حجر عمه الحسين عليه السلام بسهم حرملته بن كاهل الأسدي.

وقد توفي أبوه الحسن عليه السلام وله من العمر نحو من أربع سنين قرباه عمه الحسين عليه السلام، فكان له بمنزلة الولد العزيز، وكان يحبه حباً شديداً. ولم يُذكر: أن

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٤: ١٠٦، ابصار العين: ٩٢.

(٢) تنقيح المقال ٢: ٢٤.

الحسين عند وداع أحد من أهل بيته غشي عليه من شدة البكاء، حتى ولده وفلذة كبده علي الأكبر شبيه رسول الله ﷺ فانهم قالوا - عند وداعه - : ان الحسين أرخى عينيه بالدموع.

نعم ذكروا، أنه لما خرج القاسم وأقبل إلى عمّه يستأذنه في القتال، ونظر إليه الحسين لم يملك نفسه دون أن تقدّم إليه واعتنقه وجعلاً يبكيان حتى غشي عليهما.

القاسم في الميدان

ثم إنّ القاسم استأذن عمّه في المبارزة، فأبى أن يأذن له، فلم يزل يتوسل إليه ويقبّل يديه ورجليه حتى أذن له، فبرز إلى الميدان باكياً وهو يقول:

ان تُنكروني فأنا نجل الحسن سبط النبي المصطفى والمؤمن

هذا حسينٌ كالأسير المرتهن بين أناسٍ لاسقوا صوب المزن

فقاتل مقاتلة الشجعان، وقتل - على صغره وعطشه - خمسةً وثلاثين رجلاً.

قال حميد بن مسلم: «خرج علينا غلامٌ كأن وجهه شقّة قمر طالع، وبيده سيف، وعليه قميص وأزار، وفي رجليه نعلان انقطع شمع أحدهما، ما أنسى أنها كانت اليسرى، فوقف ليشدّ، فقال عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي: والله لأشدنّ عليه».

القاسم صريع

فقلت: سبحان الله، ما تُريد بذلك، فوالله، لو ضربني ما بسطتُ له يدي، بكفيك هؤلاء الذين تراهم قد احتوشوه. فقال:

والله لأشدنّ عليه. فما ولّى حتى ضرب رأس الغلام بالسيف ففلقه. فوقع الغلام لوجهه وصاح: يا عمّاه؟ فأتاه الحسين مسرعاً واتقضّ عليه الحسين كالصقر، واتخلل الصفوف، ثم شدّ شدة الليث اذا أغضب، حتى اذا وصل إلى عمرو بن سعد

الأزدي ضربه بالسيف، فاتّقاء عمرو بساعده، فأظنها من المرفق ثم غشي عليه فصاح صيحةً عظيمة سمعها العسكر، فحملت خيلُ أهل الكوفة ليستنقذوه من الحسين، فاستقبلته بصدورها. ووطأت به حوافرها، فمات - لعنه الله.

الحسين يحضر مصرع القاسم

فانجلت الغبرة، فاذا بالحسين قائم على رأس الغلام، وهو يفحص برجليه، والحسين يقول: «يعزّ والله على عمّك أن تدعوه فلا يُجيبك أو يُعينك فلا يُعينك، أو يُعينك فلا يُغني عنك، بُعداً لقوم قتلوك، هذا يومٌ كثر واترّه وقلّ ناصره».

ثم احتمله على صدره - وكأنني أنظر إلى رجليه الغلام تخطّان الأرض، فجاء به إلى الخيمة وألقاه مع ولده علي والقتلى من أهل بيته.

ثم رفع الحسين طرفه إلى السماء، وقال: «اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بديداً، ولا تُغادر منهم أحداً، ولا تغفر لهم أبداً، صبراً يا بني عمومتي، صبراً يا أهل بيتي، لا رايتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً».

وجاء في «كفاية الطالب»: عندما سقط القاسم من على ظهر حصانه الى الأرض وصاح على عمه، كانت أمّه تنظر إليه، وعندما احتضنه الحسين على صدره وأنشد:

غريبون عن أوطانهم وديارهم	تنوح عليهم في البراري وحوشها
وكيف لا تبكي العيون لمعشر	سيوف الأعادي في البراري تنوشها
بدور توارى نورها فتغيّرت	محاسنها ترب القلاة نعوشها ^(١)
لهفي عليه مذأتاه عمه	فاشتبك الحربُ وزاد غمّه
فكيف حال مُهجة الرسول	بين يدي حوافر الخيول

فسل عظام صدره يا ويلتي هل سلمت بعد هجوم الخيل
بكاه عمّه على بلائه كاد يذوب الصخر من بكائه
وقد بكى على فتى الفتیان لقد علت إلى درى الأفلاك
وكيف لا تبكي على خضابه من دمه وهو على شبابه
أظلمت الدنيا بعين عمّه وآحزني لهّمّه وغمّه
لما رأى قرّة عينه على وجه الثرى يفحص من عظم البلاء
قد عجبت من ضربه الأملاك ولا يحيط وصفه الإدراك^(١)

٢- أبو بكر بن الحسن

وهو أخو القاسم من أمّه وأبيه ، أمّه أمّ ولد ، رافق عمّه الإمام الحسين من المدينة إلى كربلاء ، وفي العاشر من محرّم ، تقدم بعد استشهاد القاسم بن الحسن ، إلى عمّه طالباً الاذن بالقتال ، فقاتل قتال الأبطال حتّى قُتل . وروي عن الامام الباقر عليه السلام بأنّ الذي قتله هو عبدالله بن عقبة الغنوي لعنه الله ، وقد ورد اسمه في زيارة الناحية المقدسة .^(٢)

٣- عبدالله بن الحسن

غلام له من العمر ١١ سنة ، وهو ابن الامام الحسن المجتبي عليه السلام . لما سقط الحسين يوم عاشوراء خرج إلى الميدان لكي يدافع عن عمّه وقد قتل جماعة ، وقتله بحر بن كعب .

وقال آخرون: ان حرملة ضربه بالسيف فقطع يده وهو في حجر عمّه

(١) بحار الانوار ٤٥ : ٦٧ .

(٢) ذكر أبو الفرج الاصفهاني بأنّ شهادته كانت قبل أخيه القاسم ، ولكن الطبري والجزري والشيخ المفيد ذكروا أنّ شهادته كانت بعد أخيه القاسم . (نفس المهموم : ٣٢٥) .

الحسين، وقد قُتل هناك^(١)، كان يرتجز حين نزل إلى الميدان ويقول:
 ان تنكروني فانا ابن حيدرة ضرغام آجام وليث قسورة
 على الأعادي مثل ريح صرصرة^(٢)

٤- الحسن بن الحسن

ابن آخر للامام الحسن المجتبي عليه السلام، ويسمى بالحسن المثنى، برز الى الميدان يوم عاشوراء، وسقط من على حصانه بعد أن قتل العديد من جيش ابن زياد، وقد حاول بعض المجرمون بحز رأسه، ولكن وجدوا به رمق، فتوسط له أحد أقرباء أمه ويدعى اسماء بن خارجة وحمله الى المخيم، وبعد أن التأمت جروحه رحل من الكوفة الى المدينة^(٣).

أبناء أمير المؤمنين عليه السلام

حملة آل أبي طالب

قالوا: ثم حمل آل أبي طالب حملةً واحدةً فاعتورهم الناس واحاطوا بهم.
 فصاح الحسين عليه السلام: صبراً على الموت يا بني عموتي، لا رايتم هواناً بعد هذا اليوم. فجعلوا يقاتلون أشد قتال.

قال ابن أبي الحديد - في شرح النهج - : « قيل لرجل شهد يوم الطف مع ابن سعد: ويحك!! أقتلتم ذرية رسول الله؟ فقال: لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا، لقد ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضاربة، تُحطّم الفرسان يميناً وشمالاً، وتُلقي بأنفسها على الموت، لا تقبل الأمان، ولا ترغب في المال، ولا

(١) بحار الانوار ٤٥ : ٥٤ .

(٢) عوالم الامام الحسين : ٢٧٩ و ٤٩ و ٦٦ .

(٣) حياة الإمام الحسين ٣ : ٢٥٦ .

يحول حائلٌ بينها وبين الورود على حياض المنية، فلو كففتها عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيره، فما كنا فاعلين، لا أمّ لك».

بنفسي رؤوساً من لويّ بن غالب من الضّيم مذ كان الزمان لتأنفُ
أبت أن تشمّ الضّيم حتى تقطّعت بيومٍ به سمرُ القنا تقتصفُ
كرامٌ قضوا بين الأسنة والطّبي كراماً ويوم الحرب بالنقع مُسدف
قالوا: ووقع في هذه الحملة جماعةٌ من آل أبي طالب من بني عقيل وعلي وجعفر.

١ - عبدالله بن علي

من شهداء كربلاء، أخو العباس، وأمّه أمّ البنين^(١)، كان عمره حين استشهاده ٢٥ سنة، وقُتل على يد هانيء بن ثابت الحضرمي، ورد اسمه في زيارة الناحية المقدسة، وفي الزيارة الرجبية.

قال المؤرخون: وهو أول من دعاه العباس من أخوته الى التقدم، حيث قال

(١) هي فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن عامر، وأمّها ثمامة بنت سهيل بن عامر، وتكنّى بـ «أمّ البنين» قبل تزويجها بالإمام علي عليه السلام لأنها من بيت (أمّ البنين العامرية) التي قيل فيها:

نحن بنو أمّ البنين الأربعة الضاربين الهام وسط المجمعة

وكانت من بيت كرم وشجاعة وفصاحة ومعرفة.

قال الإمام علي عليه السلام - بعد وفاة الصديقة الزهراء عليها السلام - لأخيه عقيل - وكان نسابة العرب وعزّافاً بأحسابها وعاداتها -: «أبغني امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلدني غلاماً فارساً».

فقال له عقيل: أين أنت عن فاطمة بنت حزام بن خالد الكلابية؟

انظر: تاريخ بغداد ١٢: ١٣٦، عمدة الطالب: ٣٢٤.

له: «تقدّم يا أخي حتى أراك قتيلاً وأحتسبك فأنّه لا ولد لك».

فتقدّم عبد الله بين يديه واستأذن الحسين في البراز، فبرز إلى الميدان وجعل يضرب بسيفه قدماً ويجول ويصول وهو يقول:

أنا ابن ذي النجدة والإفضال ذاك عليّ الخير في الأفعال
سيف رسول الله ذو النكال في كل يوم ظاهر الأهوال
فشدّ عليه هاني بن ثبيت الحضرمي، فضربه بالسيف على رأسه فقتله.

٢ - عثمان بن علي

نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أثما سميته باسم أخي عثمان ابن مظعون»^(١).

قال الراوي: ولما قُتل عبد الله دعا العباس عليه السلام أخاه الثاني عثمان، وقال له - كما قال لأخيه عبد الله -: «تقدّم يا أخي حتى أراك قتيلاً وأحتسبك فأنّه لا ولد لك».

فتقدّم عثمان إلى الحرب، وهو يرتجز ويقول:

إنّي أنا عثمان ذو المفاخر شيخي عليّ ذو الفعال الطاهر
أخي حسين خيرة الأخايِر وسيّد الكبار والأصاغر
بعد الرسول والوصيّ الناصر

فرماه خولّي بن يزيد الأصبحي بسهم وقع في جبينه فأضعفه حتى سقط عن فرسه إلى الأرض، فجاءه رجلٌ من أبان بن دارم، فاحتزّ رأسه .

٣ - جعفر بن علي

ولما قُتل عثمان دعا العباس عليه السلام أخاه الثالث (جعفر)، وقال له - مثلما قال

(١) تنقيح المقال ٢: ٢٤٧، بحار الانوار ٤٥: ٣٨.

لأخويه من قبل - : «يا أخي، تقدّم إلى الحرب حتى أراك قتيلاً - كأخوتيك - فاحتسبك كما احتسبتُهما، فإنّه لا وُلد لكم».

فتقدّم جعفرُ إلى معسكر الأعداء، فشَدّ عليهم بسيفه وهو يقول:

إِنِّي أَنَا جَعْفَرُ ذُو الْمَعَالِي ابْنُ عَلِي الْخَيْرِ ذُو النِّوَالِ
ذَاكَ الْوَصِيِّ ذُو السَّنَا وَالْوَالِي حَسْبِي بَعْمِي شَرَفًا وَالْخَالِ
أَحْمِي حُسَيْنًا ذَا النَّدَى الْمَفْضَالِ^(١)

فرماه خولي بن يزيد الأصبحي - أو هاني بن ثبيت الحضرمي - فأصاب شقيقته أو عينه، فقتله.

٤ - أبو بكر بن علي

لم يذكر المؤرخين اسمه، وأبو بكر كنيته، أمّه هي ليلى بنت مسعود بن خالد، برز الى الميدان يرتجز وقتل العديد من جيش ابن زياد، قتله رجل من قبيلة همدان.^(٢)

٥ - محمد بن علي

ويطلق عليه (الأصغر)، لأنّ أمير المؤمنين له ولد آخر بهذا الاسم، وأمّه أم ولد، ويذهب البعض إلى أن أمّه أسماء بنت عميس، قتله شخص من قبيلة بني ابان.^(٣)

٦ - عباس الأصغر

نقل القاسم بن الأصبغ المجاشعي: عندما جاؤا برؤوس الشهداء الى الكوفة

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٤: ١٠٧.

(٢) مقاتل الطالبين: ٨٦.

(٣) عوالم الإمام الحسين: ١١٢.

رأيت بين الرؤوس رأس شاب جميل كأن وجهه فلقة القمر في ليلة البدر، وعندما قرب حامل الرأس مني سألته: هذا رأس أي مظلوم ؟

فقال: هذا رأس العباس بن علي .

فقلت: من أنت ؟

قال: حرملة بن كاهل الأسدي .

قال القاسم: ولم تمر إلا أيام قليلة حتى رأيت وجه حرملة قد اسودَّ .^(١)

العباس بن علي عليه السلام

أحقُّ الناس أن يُبكى عليه	فتى أبكى الحسين بكربلاء
أخوه وابن والده علي	أبو الفضل المضرج بالدماء
ومن واساه لا يُثنيه شيء	وجاد له علي عطش بماء ^(٢)

(١) تذكرة الخواص: ٢٨١ .

(٢) هذه الأبيات الثلاثة هي للفضل بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام يرثي بها جدّه العباس عليه السلام - كما ذكر ذلك الأميني في (الغدير: ج ٣ ص ٥) طبع إيران، ولعمري صاحب (المجدي) وعيون الأخبار في فنون الآثار: ص ١٠١ . كما ذكر الأبيات بلا تصريح بقائلها أبو الفرج في (مقاتل الطالبين: ص ٥٩) طبع النجف . وذكر الأميني في المصدر الآنف من الغدير تشطير الأبيات الثلاثة للحجة الورع والأديب البارع الشيخ محمد علي الأوردبادي رحمه الله هكذا:

«أحقُّ الناس أن يبكى عليه»	بدمع شابه علق الدماء
«بجنب العلقي سري فهر»	«فتى أبكى الحسين بكربلاء»
«أخوه وابن والده علي»	هزبر الملتقى رب اللواء
«صريعاً تحت مشبك المواضي»	«أبو الفضل المضرج بالدماء»
«ومن واساه لا يثنيه شيء»	عن ابن المصطفى عند البلاء
«وقد ملك الفرات فلم يذقه»	«وجاد له علي عطش بماء»

قال أرباب التاريخ والسير: ولما رأى العباس بن علي عليه السلام كثرة القتل في أهل بيته، دعا إخوته الثلاثة الذين هم من (أم البنين الكلائية) وهم: عبد الله وعثمان وجعفر، - وكان أكبر إخوته سنًا^(١) - ثم قال لهم: «تقدّموا يا بني أمي حتى أراكم قد نصحتُم الله ولرسوله فإنه لا وُلد لكم»^(٢).

١ - فقد ولد العباس عليه السلام في اليوم الرابع من شعبان سنة (٢٦ هجرية) - كما عليه المجلسي في (بحاره: ج ٤٥)، والأنوار النعمانية: ص ١٢٤، والمجدي لأبي الحسن العمري وغيرها فيكون عمره الشريف يوم الطف (٣٤ سنة وأشهرًا)، وأعمار أخوته الثلاثة تتراوح بين (٢٥، ٢١، ١٩) - كما ستعرف - .
(٢) ارشاد المفيد: ٢٥٥ .

أقول: وهذا كلام منه عليه السلام لأخوته كتحفيز وإثارة لهم إلى المبادرة للحرب والشهادة باعتبارهم خليين من عبء العواطف العائلية التي قد تثقل المرء عن الرمي بنفسه في الهوات الحمام.
وللاطلاع أكثر - عزيزي القارئ - نذكر هذه الترجمة المقتضبة لابن أمير المؤمنين عليه السلام والتي استقينها من بعض المصادر التاريخية . [البدري]
نسبه الواضح

أبوه: الامام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وسيد الوصيين، وقائد الغر المحجلين، وأفضل الخلق بعد سيد الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكفى.
وأمه - وأم إخوته الثلاثة - : فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وأمها: ثمامة بنت سهيل بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب...
وتكنى أمه بـ (أم البنين) قبل تزويجها بالامام علي عليه السلام لأنها من بيت (أم البنين العامرية) التي قيل فيها:

نحن بنو أم البنين الأربعة الضارين الهام وسط المجمة
وليس في العرب أشجع من آبائها وإخوانها - كما ذكر ذلك عامة المؤرخين - وكانت (أم البنين) من فضليات النساء العارفات بفضل أهل البيت عليهم السلام منذ نشأتها في بيت أبيها الزعيم الكبير. وكانت من بيت كرم وشجاعة وفصاحة ومعرفة، وكان آباؤها من سادات العرب وزعمائهم.

.....

= قال الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - بعد وفاة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام لأخيه عقيل بن أبي طالب - وكان نسبة العرب وعرافة بأحسابها وعاداتها -: «ابغني امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلدلي غلاماً فارساً». فقال له عقيل: «أين أنت عن فاطمة بنت حزام بن خالد الكلابية» - عن عمدة الطالب للسيد الداودي: ص ٣٢٤ -

قال الحجة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء في (مقبولته):

أم البنين طابت الأبناء منك كما قد طابت الآباء
أم الأسود من بني العلي أم الحُمامة والأبوة النبلا
أم أبي الفضل وأم جعفر وأم عبد الله شبل حيدر
وأم عثمان الذي سُمّاه باسم ابن مطعون الأب الأواه
الأنجيين الطاهرين أنفساً الأكرمين الطيبين مغرساً
والعباس أول مولود للامام علي عليه السلام من زوجته (أم البنين)، وسُمّاه (عباساً) تفاؤلاً
بشجاعته وصولته في الحروب، فان العباس من أسماء الأسد الغضبان.

كنيته

وكنيته المشهورة: أبو الفضل كما عرفت من أبيات حفيده الفضل بن محمد - وكما يشير إليها شارح ميمية أبي فراس بقوله:

بذلت أبا عباس نفساً نفيسة لنصر حسينٍ عزّ بالنصر عن مثل
أبيت التذاذ الماء دون التذاذه فحسنُ فعال المرء فرعٌ عن الأصل
فأنت أخو السّبطين في - يومٍ مفخرٍ وفي يوم بذل الماء أنت أبو الفضل
وكما وردت على لسان شاعر أهل البيت الكميّ بن زيد الأسدي من قصيدته يستهلّها
بقوله:

مَنْ لَقِيَ مَيْتِيْمْ مَسْتَهَامٍ غَيْرَ مَا صَبَوَ وَلَا أَحْلَامَ دَمٍ
وقوله:

وأبو الفضل، أن ذكرهم الحلو، شفاءُ النفوس في الأسقام
قُتِلَ الأدعياء اذ قتلوه أكرمُ الشاربيين صوب الغمام
وألقابه كثيرة، منها - ما كان يلقب به في زمانه قبل واقعة الطف - (كقمر بني هاشم) ولعله =

= إنما لُقب بذلك لجمال هيأته ووسامة صورته، فلقد قال المؤرخون عنه: إنه كان وسيماً جميلاً يركب الفرس المطهم ورجلاه يخطان في الأرض.

ومنها - ما عرف به يوم الطف كالسقا، وساقى العطاشى وإنما لُقب بذلك لاهتمامه البالغ بسقى عطاشى أهل بيت النبوة وعيالات أخيه الحسين (عليه السلام) منذ حلولهم أرض كربلاء إلى أن وقع صريعاً قتيلاً يوم عاشوراء، على نهر العلقمي وهو يحمل القربة على عاتقه المقدّس. وبالخصوص في اليوم السابع من المحرم بعد أن ضيق الأعداء على الحسين وأهل بيته وأطفاله ومنعوا من إيصال الماء إلى المخيم على اثر ورود كتاب من ابن زياد إلى ابن سعد يوم السادس من المحرم يأمره فيه بالتضييق على الحسين وأهل بيته فضبط ابن سعد جانب المشرعة بالعدة والسلاح ولعل هذا هو السبب في تخصيص اليوم السابع من المحرم لذكر مصيبة العباس (عليه السلام) لدى الخطباء، الأمر الذي دعا سيّدنا الوالد (عليه السلام) أن يخصص المجلس السابع لذلك.

قالوا: ولما اشتدّ بالحسين وأهل بيته وأطفاله قبل يوم عاشوراء بثلاثة أيام، أمر الحسين أخاه العباس بجلب الماء إلى المخيم، فنهض العباس (عليه السلام) في عشرين راجلاً من أصحابه يحملون القرب، وثلاثين فارساً، وجاؤا حتى دنوا من الفرات ليلاً، فكشفوا الخيل والرجال عنه، وأمامهم نافع بن هلال الجملي - وهو يحمل اللواء -

فصاح عمرو بن الحجاج الزبيدي - وكان في خمسمائة فارس على المشرعة - : من الرجل؟ قال: نافع.

قال عمرو: ما الذي جاء بك؟

قال نافع: جئنا لنشرب من هذا الماء الذي حلاّتمونا عنه.

قال عمرو: أشرب هنيئاً.

قال نافع: لا والله، لا أشرب منه قطرة، والحسين عطشان هو وأهل بيته وصحبه.

فقالوا: لا سبيل إلى سقي هؤلاء، إنما وضعنا بهذا المكان لمنعهم الماء.

فقال نافع لرجاله: املاؤوا قربكم، فملأوها.

ونار عليهم الحجاج بخيلة ورجاله، فحمل عليهم العباس (عليه السلام) بمن معه من الخيالة، فكشفهم، فعاد الحجاج وأصحابه، وقطعوا عليهم الطريق، فكّر عليهم العباس (عليه السلام) ثانية، فقاتلهم حتى ردّهم وكشفهم عن الطريق، وأقبل بالماء إلى المخيم - عن تاريخ الطبري: ج ٥ =

= ص ١٢ طبع دار المعارف بالقاهرة، والكامل لابن الأثير: ج ٣ ص ٢٨٣ طبع بيروت، والأخبار الطوال للدينوري: ص ٥٣. وأعيان الشيعة للأمين: ج ٤ قسم ١ ص ٢٠٢.
وهو (صاحب اللواء)، وإنما لقب بذلك لانه صاحب لواء الحسين الأعظم يوم الطف، بشهادة الحسين عليه السلام فقد قال له - حينما طلب العباس منه الرخصة في المبارزة - «أنت صاحب لوائي، وإذا مضيت تفرق عسكري». عن مقاتل الطالبين لأبي الفرج: ص ٥٩ طبع النجف، ومناقب ابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١٠٨ طبع قم، وبحار المجلسي: ج ٤٥ ص ٣٩ طبع طهران الجديد.

ومن ألقابه - ما عرف به بعد واقعة الطف - كالعبد الصالح فقد لقبه بذلك الامام ابو عبد الله الصادق عليه السلام - كما جاء في زيارته المخصوصة التي رواها عنه أبو حمزة الثمالي - كما سنذكر -.

ومنها - (باب الحوائج) فقد عرف هذا اللقب واشتهر بين الشيعة بعد يوم الطف، وذلك لما لمسوه كثيراً من قضاء الحوائج وكشف الغم وبلوغ المراد لمن قصد قبره الشريف، واستجار به. وفي ذلك يقول الخطيب المفوه العلامة السيد صالح الحلبي رحمه الله من قصيدة:

باب الحوائج ما دعت مروعته في حاجة إلا ويقضي حاجها
نشأته مع أبيه وأخويه

ولد العباس بن علي عليه السلام في بيت الامامة وعاش وترعرع في أكنافها، وتربى في مدرسة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو باب مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله، وظل ربيب ذلك البيت الرفيع طيلة (١٤ عاماً) تقريباً ذلك الذي قيل فيه:

بيت علا سمك الضراح رفعةً فكان أعلى شرفاً وأرفعا
أعزّه فما تهبط في كعبته الأملاك إلا خضعا
بتت من القدس وناهيك به محط اسرار الهدى وموضعا
وكان مأوى الملتجى والمرتجى فما أعز شأنه وأمنعا

روي: أن أباه علياً أمير المؤمنين عليه السلام دعاه - يوماً - وهو صغير فأجلسه في حجره، وقال له: يا بني، قل (واحد) فقال: واحد، فقال له: قل: اثنين. فامتنع العباس من ذلك، وقال: يا أبا، انني استحي أن أقول: اثنين بلسان قلت به: واحد.

وواكب حياة أخيه الحسن الزكي عليه السلام بعد وفاة أبيه علي عليه السلام طيلة (١٠ سنوات) تقريباً، =

= فنهل ما شاء أن ينتهل من معدن النبوة وفيض الامامة. ولازم أخاه الحسين الشهيد السنوات الأخر من حياته المقدسة، فاقتبس من السؤدد والاباء والمعرفة ما شاء حتى آخر يوم من عمره الشريف يوم عاشوراء، فكان عمره - يوم شهادته - (٣٤ سنة) على التحقيق.

ثناؤه على لسان أبيه علي عليه السلام

وناهيك بمن يولد وينشأ في بيت الامامة، ويتزعرع في حجر وكنف أمير المؤمنين وسيد الوصيين، ويعايش حياة سيدي شباب أهل الجنة، ويتلمذ على يديهما السخيتين بالعباء والمعرفة، وينتهل من منهل علمهما الزخار الذي ينبع من معدن النبوة، ومهبط الوحي المبين. فلا غرو اذا ورد في حقه عن أبيه علي عليه السلام: «ان العباس بن علي زق العلم زقاً» - كما عن أسرار الشهادة للدربندي: ص ٣٢٤ -.

ثناؤه على لسان الامام زين العابدين عليه السلام

ولم يكن مثله في قوة بأسه وصلابة إيمانه، وجهاده المرير عن مبدئه وعقيدته. فلقد شهد له بذلك الامام زين العابدين عليه السلام حيث قال عنه: «رحم الله عمي العباس، فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يده، فبدله الله عز وجل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، كما جعل لجعفر بأبي طالب، وان للعباس عند الله منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة» - كما في خصال الصدوق: باب الاثنين، وأماله: مجالس ٧١.

ثناؤه على لسان الامام الصادق عليه السلام

كما شهد له بذلك الامام أبو عبد الله الصادق عليه السلام حيث قال: كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة، صلب الايمان جاهد مع أبي عبد الله عليه السلام وأبلى بلاء حسناً، ومضى شهيداً» - كما في سر السلسلة العلوية للنسابة أبي نصر البخاري - وقال عليه السلام أيضاً - كما في زيارته إياه: «أشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة لخلف النبي المرسل والسبط المنتخب...».

ومما ورد في زيارته أيضاً: «أشهد أنك قد بالقت في النصيحة وأعطيت غاية المجهود» - وهي من فقرات الزيارة المروية عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام من طريق الصحابي الجليل أبي حمزة الثمالي - كما ذكرها ابن قولويه في (كامل الزيارات: باب ٨٥).

= ثناؤه على لسان حجة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وقد ورد على لسان حجة آل محمد ﷺ - كما في زيارة الناحية -
 «السلام على أبي الفضل العباس المواسي أخاه بنفسه الآخذ لغده من أمسه، الوافي له،
 الساعي إليه بماته» - كما ذكرها المجلسي في بحاره (ج ٤٥ ص ٦٥) طبع طهران الجديد .
 مظاهر إيمانه ومواقفه المشرفة
 ومن مظاهر إيمانه وصلابة عقيدته ما يصرّح به رجزه المأثور المشهور يوم الطف - وهو
 في أخريات حياته - حيث يقول:
 والله ان قــــطعتما يــــميني إنــــي أحامي أبداً عن ديني
 وعن إمام صادق اليقين
 وكذلك موقفه الفدائي المشرف: أنه حينما ملك الشريعة يوم الطف - وهو في أشد حالة
 من العطش - أبى أن يشرب الماء مواساة لعطش أخيه الحسين وأهل بيته وأطفاله.
 ومن مظاهر الفداء والمواساة: أنه - وأشقأؤه الثلاثة حينما جاءهم الشمر - يوم التاسع من
 المحرم بكتاب الامام لهم من ابن زياد، ووقف بازاء أصحاب الحسين ونادى:
 أين بنو أختنا، اين العباس وأخوته؟
 فاعرضوا عنه ولم يجيبوه، فقال الحسين عليه السلام: أجيبوه ولو كان فاسقاً.
 فقالوا له: ما شأنك؟ وما تريد؟
 قال: يا بني أختي أنتم آمنون، لا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم الحسين، والزموا طاعة أمير
 المؤمنين يزيد بن معاوية.
 فقال له العباس: تبّت يداك: ولعنك الله ولعن أمانك يا عدوّ الله، أتؤمننا، وابن رسول الله لا
 أمان له وتأمّرنا أن ترك أخانا وسيّدنا الحسين بن فاطمة، وندخل في طاعة اللعناء وأولاد
 اللعناء، فرجع الشمر إلى عسكره مغضباً.
 منزلة العباس عند الحسين عليه السلام
 ولقد كان للعباس عليه السلام منزلة عظيمة عند أخيه الحسين عليه السلام ووقع كبير في قوّة بأسه
 ورباطة جأشه، فهو صاحب لوائه ومركز ثقله، وهيبة عسكره، ومستشاره ونخوته في
 الملمات، فكان كثيراً ما ينتدبه لمهامه العائلية والعسكرية منذ خروجه من المدينة إلى
 كربلاء، وإلى آخر لحظة من حياته المقدّسة.
 ففي اليوم السادس من المحرم حينما يعقد الاجتماع بينه وبين ابن سعد في جوف الليل =

= وبين العسكرين لا يرافقه أحد من أهل بيته وأصحابه سوى أخيه العباس وولده علي الأكبر. وفي اليوم السابع من المحرم كان العباس عليه السلام هو المضطلع بجلب الماء من الفرات إلى المخيم، بعدها ضيق ابن سعد على المشرعة غاية التضيق، فكان العباس عليه السلام هو المنتدب لهذه المهمة العظيمة، وفعلاً قام بها أحسن قيام.

وعصر اليوم التاسع من المحرم حينما زحف الجيش على مخيم الحسين عليه السلام ندبه الحسين عليه السلام للتفاوض مع القوم في تأخير المناجزة إلى غداة غد حيث قال له: «أركب بنفسي أنت يا أخي حتى تلقاهم وتقول لهم: مالكم وما بدا لكم».

وليلة العاشر من المحرم - بل في كل ليلة من ليالي كربلاء - كان هو المضطلع بأمر أخيه الحسين بحراسة المخيم ورفع الوحشة والرعب عن عائلة النبوة والامامة.

وكان العباس عليه السلام يوم عاشوراء المنتدب الوحيد لآخيه الحسين عليه السلام في الملمات، وكلما أحيط بأصحابه المبارزين يندبه لاتخاذهم من أيدي القوم.

وكلما سمع الحسين عليه السلام بكاء العائلة ولمس اضطرابهم من تأزم الموقف يوم عاشوراء كان يرسل إليهم أخاه العباس وولده علياً الأكبر ليطمئنا نفوسهن.

ولقد كانت راية العباس عليه السلام - طوال أيام كربلاء - مركوزة أمام المخيم لتلقي الأوامر من أخيه الحسين فيما يهمهم من المهمات.

فليس عجباً أن يكون العباس آخر قتيل من أهل بيته وأصحابه إذ لم يسمح له الحسين بالرخصة للمبارزة، وكان يقول - كلما تقدم لطلب الرخصة منه -: «أنت حامل لوائي فإذا مضيت تفرّق عسكري».

أخوته الثلاثة من أم البنين

عبد الله بن علي، عاش مع أبيه ست سنين، ومع أخيه الحسن الزكي ستة عشرة سنة، ومع أخيه الحسين الشهيد خمسة وعشرين سنة، وتلك مدة عمره - يوم الطف.

وعثمان بن علي؛ ولد بعد أخيه عبد الله بأربع سنين، فعمره يوم الطف إحدى وعشرون سنة.

وروى عن أبيه علي عليه السلام: أنه قال «إنما سمّيته عثمان باسم عثمان بن مظعون أخي».

وجعفر بن علي، ولد بعد أخيه عثمان بنحو سنتين. فعمره يوم الطف تسع عشرة سنة.

= وروى عن أبيه علي عليه السلام: أنه سماه باسم أخيه جعفر الطيار لحبه إياه.

أولاده

=

والمشهور بين عامة المؤرخين من الفريقين: أن للعباس بن علي عليه السلام من الأولاد الذكور خمسة وبنثاً واحدة.

الأول عبيد الله - وأمه لبابة بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب - وقد ذكره عامة المؤرخين وأرباب النسب والمقاتل. وينحصر فيه نسب العباس عليه السلام كما ذكر ذلك صاحب العمدة، وسبائك الذهب، وجمهرة أنساب العرب، وغيرها. وإن قيل بأن للحسين عقباً منه، ولكنه قول مهجور غير مؤيد. ولقد كان عبيد الله - هذا - طفلاً صغيراً بقي هو وشقيقه الفضل عند أمهما في المدينة حين خروج الحسين منها إلى العراق. وكان أخيراً من كبار الفقهاء وذوي المعرفة في عصره، وتزوج من ثلاث عقائل: رقية بنت عمه الحسين بن علي عليه السلام، وبنث معبد بن عبد الله بن العباس، وبنث المسور بن مخرمة الزبيري - كما ذكر ذلك الحائري في ذخيرة الدارين -. وانحصر عقب عبيد الله أيضاً بولده الحسن الذي عاش (٦٧ عاماً). وكانت أمه أم ولد. وأعقب الحسن - هذا - من الولد الذكور خمسة: الفضل، حمزة، إبراهيم، العباس، عبيد الله. وكلهم علماء فقهاء، اجلاء. ولتفضيل نسب العباس عليه السلام المتسلسل من ولده عبيد الله تراجع: كتب الانساب المفصلة، كحديقة النسب، وعمدة الطالب، وبحر الانساب، والمجدي، وغيرها. وتوفي عبيد الله بن العباس في المدينة، ودفن فيها سنة ١٥٥ هـ - كما عن المجدي للعمرى -.

الثاني - الفضل، وهو شقيق عبيد الله من أمه لبابة بنت عبيد الله بن العباس - كما ذكر ذلك صاحب ناسخ التواريخ، والعريزي بهامش مقاتل الطالبين وغيرها -.
الثالث - الحسن، وأمّه أم ولد - كما ذكره الفتوني في حديقة النسب، وابن قتيبة في المعارف -.

الرابع - القاسم، وأمّه أم ولد - كما ذكره الاسفراييني في كتابه (نور العين في مشهد الحسين) وذكر: انه استشهد بين يدي عمه الحسين بعد قتل أبيه العباس عليه السلام. ولقد كناه به الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري - كما في زيارة الاربعين للعباس عليه السلام المروية من طريقه -.

الخامس - محمد، وأمّه أم ولد أيضاً - كما ذكره وذكر أخاه القاسم ابن شهر آشوب في (مناقبه) وعميد الدين في (بحر الأنساب) وغيرها. والمعروف لدى كثير من أرباب =

العباس يستأذن الحسين في الجراز

قالوا: ولما قُتل إخوة العباس الثلاثة بين يديه، ورآهم صرعى على وجه الصعيد، لم يستطع صبراً، فجاء إلى أخيه الحسين عليه السلام يستأذنه في القتال، ويطلب الرخصة منه.

فبكى الحسين بكاءً شديداً، وقال: «يا أخي، أنت صاحب لوائي، وإذا مضيت تفرّق عسكري» فلم يأذن له.

فعاد عليه العباس للمرة الثانية، وطلب منه الإذن قائلاً: «يا أخي قد ضاق صدري وسئمت الحياة، وأريد أن آخذ ثاري من هؤلاء المنافقين».

فقال له الحسين: إذا فاطلب هؤلاء الأطفال قليلاً من الماء. فذهب العباس عليه السلام إلى القوم، ووعظهم وحذّره غضب الجبار وطلب منهم شيئاً من الماء للأطفال.

فقالوا: لو كان تمام وجه الأرض ماءً وكان تحت تصرفنا لم نُسقكم منه قطرة، إلا أن تبايعوا ليزيد وتدخلوا في طاعته.

فرجع العباس عليه السلام إلى أخيه وأخبره بمقالة القوم. فطأ طأ الحسين برأسه وبكى بكاءً شديداً. وبينما العباس في ذلك ونحوه إذ سمع الأطفال - ومعهم سكينه بنت الحسين عليها السلام - ينادون: العطش، العطش.

فرفع راسه إلى السماء، وقال: إلهي وسيدي، أريد أن أعتدّ بعدتي، وأملأ هؤلاء الأطفال قربة من الماء.

= المقاتل: أنه هو المقتول بين يدي عمّه الحسين عليه السلام لا القاسم، وليس ذلك بعيداً عن الصواب. وأما البنت، فقد ذكرها صاحب كتاب (حدائق الانس) والله العالم بالحقائق. [البدر]

العباس ينحدر إلى الميدان

فركب فرسه وأخذ سيفه ورمحه والقربة، وقصد الفرات، فأحاط به أربعة آلاف فارس، وهم الذين كانوا موكلين بالفرات - وأخذوا يرمونه بالنبال، فلم يعبأ بجمعهم، ولا راعته كثرتهم.

فكشفهم عن وجهه، وقتل منهم - على ما روي - ثمانين فارساً ودخل الفرات مطمئناً غير هائب لذلك الجمع الغفير:

ودمدم ليث الغاب يسطو بسالة	إلى الماء لم يكبر عليه ازدحامها
وخاض بها بحرأ يرف عبابه	ظبي، ويد الأقدار جالت سهامها
ألتم به سوداء يخطف برقها	البصائر من رعب ويعلو قتامها
جلاها يمشخوذ الغرارين أبلج	يدب به للدّارعين حمامها
فحلّأها عن جانب النهر عنوة	وولت هواديها يصلّ لجامها
ثنى رجله عن صهوة المهر وامتطى	قرى النهر واحتلّ السقاء همامها ^(١)

وفاؤه لعطش أخيه

ثم اغترف من الماء غرفةً، وأدناها من فمه ليشرب، فتذكر عطش أخيه الحسين وعطاشى أهل بيته وأطفاله، فرمى الماء من يده وقال:

يا نفس من بعد الحسين هوني	وبعده لا كنت أن تكوني
هذا الحسين وارد المنون	وتشربين بارد المعين

تالله ما هذا فعال ديني

ثم ملأ القربة وحملها على كتفه الأيمن، وركب جواده، وتوجّه نحو الخيام مسرعاً ليوصل الماء إلى عطاشى أهل البيت، فأخذوا عليه الطريق، وتكاثروا عليه وأحاطوا به من كل جانب:

(١) من قصيدة في رثاء أبي الفضل العباس للمغفور له الشيخ حسن مصبح الحلبي .

فهنا لكم ملاً المزاد وزمّها وانصاع يرفل بالحديد هُمّا
 حتى إذا داني المخيم جلجلت سوداء قد ملاً الفضا إرزامها
 فجلا تلاتها بجأشٍ ثابتٍ فتقاعست منكوسة أعلامها
 فكأنّه صقرٌ بأعلى جوّها جلّى فحلّق ما هناك حمّاها^(١)
 فجعل يصول في أوساطها ويضرب فيهم بسيفه وهو يرتجز ويقول:
 لا أرهبُ الموتَ إذا الموت زقا حتى أوارى في المصاليث لقي^(٢)
 نفسي لنفس المصطفى الطهر وقا إني أنا العباس أغدو بالسقا
 ولا أخاف الشرّ يوم الملتقى

تقطع يمينه

ففرّقهم عن طريقه، وأخذوا يهربون من بين يديه، حتى إذا قارب المخيم
 كمن له زيدُ بن الرقاد الجُهني من وراء نخلةٍ وعاونهُ حكيمُ بن الطفيل السنبي،
 فضربه على يمينه بالسيف فبراها.
 وأخذ السيف بشماله، وضمّ اللواء إلى صدره، وحمل القرية على كتفه الأيسر،

(١) من قصيدة للحاج محمد رضا الأزدي في رثاء العباس عليه السلام مطلعها:

يا للرجال لحادث متفاقمٍ وحلّ هابطةً لدك شمامها

(٢) زقا - بالزاي المعجمة - بمعنى صاح، وكانت العرب في الجاهلية تزعم أن للموت طائراً
 يصيح، ويسمونه (الهامة)، ويقولون إذا قتل إنسان منهم ولم يؤخذ بثأره: «زقت هامته» حتى
 يثأر له، قال شاعرهم:

فان تلك هامة بهراة تزقو فقد أزقيت بالمردين هاما

والمصاليث: جمع مصلات - بالكسر - وهو الرجل السريع الشجاع المتشمر، قال عامر
 بن الطفيل:

وإنّا المصاليث يوم الوغى إذا ما المغاوير لم تقدم

[البدي]

وحمل على القوم كالأسد الغضبان وهو يقول:

والله إن قـطـعتمـوا يـمـيني إني أحامي أبداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين نجل النبي الطاهر الأمين

تقطع شماله

وقاتل - سلام الله عليه - حتى ضعف عن القتال، فكمّن له حكيم بن الطفيل الطائي من وراء نخلة وضربه على شماله، فقطعها من الزند، فقال:

يا نفس لا تخشي من الكفار وأبشري برحمة الجبار
مع النبي المصطفى المختار قد قطعوا ببغيهم يساري
فأصلهم يا رب حرّ النار

فعند ذلك وقع السيف من يده، وأخذ القرية باسنانه، وجعل يُسرع ليوصل الماء إلى المخيم.

فلما نظر ابن سعد إلى شدة اهتمام العباس عليه السلام بالقرية، صاح بالقوم: ويلكم، إرشقوا القرية بالنبل، فوالله إن شرب الحسين من هذا الماء افناكم عن آخركم.

أنته السهام كالمطر

فقطعوا عليه طريقه، وازدحموا عليه، وأنته السهام كالمطر من كل جانب، فاصاب القرية سهم فأريق ماؤها. وجاءه سهم فأصاب صدره. وسهم آخر أصاب إحدى عينيه، فأطفأها، وجمدت الدماء على عينه الأخرى، فلم يُبصر بها.

يصاب بالعمود فيهوى إلى الأرض

وضربه لعين من القوم على أم رأسه فانقلب عن ظهر فرسه، وخزّ إلى الأرض صريعاً، والعلم إلى جنبه، وجعل يخور بدمه، فقطعه القوم بأسيا ففهم:

وهوى بجنب العلقمي فليته للشاربين به يُداف العلقم

وغدايهم بأن يصول فلم يُطق كالليث إذ أظفاره تتقلم^(١)

فعند ذلك نادى - برفيع صوته - عليك منّي السلام أبا عبد الله^(٢)

فأتاه الحسين مسرعاً كالصقر إذا انحدر إلى فريسته، ففرّق القوم عنه، وقتل منهم رجالاً وجندل فرساناً وحتى إذا وصل إليه رآه مقطوع اليمين واليسار، مقطوخ الهامة، مثخناً بالجراح، ألعلم إلى جنبه ممزّق، والقربة مخرّقة، وهو يفحص برجليه.

الحسين يقف على مصرع العباس

قالوا: فأدركه الحسين، وبه رمق الحياه، فأخذ رأسه الشريف ووضعه في حجره، وجعل يمسح الدم والتراب عنه، ثم بكى بكاءً عالياً، وقال: «الآن انكسر ظهري، وقلّت حيلتي، وشئت بي عدوي».

ثم انحنى واعتنقه، وجعل يُقبل موضع السيوف من وجهه ونحره وصدره:
 فمشى لمصرعه الحسين وطرفه بين الخيام وبينه مُتَقَسِّمٌ
 ألفاه محجوب الجمال كأنه بدرٌ بمنحطم الوشيح مُلْتَمِ
 فأكبّ منحنياً عليه ودمعه صبح البسيط كأنما هو عندم
 قد رام يلثمه فلم ير موضعاً لم يُدمه عضّ السلاح فيلثم
 ثم حمل على القوم فأخذ يضرب فيهم وهو يقول: «إلى أين تفرّون وقد فتمم
 عضدي»؟ ثم رجع إلى أخيه، وانحنى عليه يقبله ويبكي، ففاضت نفس العباس
 المقدّسة ورأسه في حجر أخيه:

وهوى عليه ما هنالك قائلاً اليوم بان عن اليمين حسامها
 اليوم سار عن الكتائب كبشها اليوم غاب عن الهداة إمامها
 اليوم نامت أعين بك لم تنم وتسهدت أخرى فعزّ منامها

(١) من قصيدة عصماء للشاعر العلامة السيد جعفر الحليّ مطلعها:

وجه الصباح عليّ ليل مظلم وربيع أيامي عليّ محرّم

(٢) منتخب الطريحي: ٣١٢.

الحسين يترك العباس في مكانه

أقول: المعروف عند أرباب المقاتل: أن الحسين عليه السلام ترك أخاه العباس في مكانه حول المسناة، وقام عنه بعدما فاضت نفسه الزكية، ولم يحمله إلى الفسطاط الذي كان يحمل القتلى من أهل بيته وأصحابه إليه.

ولعل السر في ذلك - كما ذكره بعض الأكابر - كثرة ما أصاب العباس عليه السلام من الجراحات لأن الأعداء قطعوه بسيوفهم إرباً إرباً.

ويؤيد ذلك ما ذكره بعض أرباب المقاتل: من أن السجاد عليه السلام حينما جاء القتلى في اليوم الثالث عشر من المحرم، ذكر له بنو اسد بعد دفن القتلى بطلاً مطروحاً حول المسناة كلّموا منه جانباً سقط الآخر من كثرة الجراحات.

أو لعل السر في ذلك: أن العباس عليه السلام حيث كان آخر من قُتل من أصحاب الحسين وأهل بيته - على ما هو التحقيق - فهذه مقتله الحسين وقسم ظهره، ولم يكن عنده من يعينه ويساعده على حمله إلى المخيم، ولم يستطع حمله بنفسه المقدسة فانهم ذكروا أنه قام من عنده محني الظهر منكسراً حزينا:

هوى فوقه رمحاً فقام صفيحةً تشلم منها حدّها وغراؤها

فهل تركت تلك المصائب العظام التي أصيب بها سيّد الشهداء يوم الطف:

من فقد أحبته وأنصاره وأهل بيته وفلذة كبده شبيه جدّه رسول الله ﷺ وعويل عياله وصراخ أطفاله وهمّه وغمّه وتفكيره فيما سيجري بعد قتله على عقائل الرسالة وبنات الزهراء، من الذلّ والأسر والسبي من بلدٍ إلى بلدٍ ومن مجلس إلى آخر، وقد تركهنّ بلا مُحامٍ ولا كفيل، غير مضنى عليل يكابد ألم السقم وجور الأعداء.

فهل تركت له هذه المصائب التي بعضها يهدّد الجبال الرواسي قامّةً معتدلة وطاقّةً يستطيع بهما حمل الجثمان الطاهر إلى المخيم؟

قد عجبت من صبره الأملاك ولا يحيط وصفه الإدراك
أو لعلّ السرّ في ذلك - كما يقول بعض أرباب المقاتل - : أن العباس عليه السلام هو
الذي طلب من أخيه الحسين إبقاءه في مكانه. فقد ذكروا: أن الحسين عليه السلام حينما
أقبل إلى أخيه العباس ووجد فيه رمق الحياة انحنى عليه واراد حمله إلى المخيم.

فأحسّ العباس بأخيه وعلم ماذا يريد؟ فقال له:

يا أخي، إلى أين تريد حملي؟

قال الحسين: أريد حملك إلى المخيم.

فقال العباس: يا أخي بحقّ جدك رسول الله صلى الله عليه وآله عليك أن لا تحملني ودعني
في مكاني هذا؟

فقال الحسين: لماذا يا أخي؟ فقال العباس:

لأنني مستح من ابنتك سكينه وقد وعدتها بالماء ولم آت به. فتركه الحسين
في مكانه.

وعلى كلّ حال قالوا: إن الحسين ترك أخاه العباس في مكانه ورجع
إلى المخيم باكياً منكسراً حزيناً منحنياً الظهر، يكفكف الدموع بكمه كي لا تراه
النساء، وقد تدافعت الخيل والرجال على مخيمه، لأنهم استوحدوه:

وبان الانكسار في جبينه فاندكّت الجبال من حنينه

وكيف لا وهو جمال بهجته وفي محيّا سرور مهجته

كافل أهل وساقى صبيته وحامل اللوا بعالي همته

الحسين يستغيث بعد مقتل العباس

فصاح الحسين عند ذلك: أما من مجير يُجيرنا، أما من مغيثٍ يغيثنا، أما من
طالب حقٍ فينصرنا، أما من خائفٍ من النار فيذبّ عنا.

وأقبلت إليه سُكينة، وقالت له: أين عمي العباس، أراه أبطاً بالماء علينا؟
فقال لها: إن عمك قد قُتل، فصرخت ونادت وأعمّاه، وآعباساه.
وسمعتها العقيلة زينب، فصاحت: وأخاه وآعباساه، وآضيعته من بعدك.
فقال الحسين: إي والله: وآضيعته وآانقطاع ظهراه بعدك أبا الفضل، يعزّ علي
والله فراقك.

نادى وقد ملأ البوادي صيحةً	صُمّ الصخور لهولها تتألم
أأخي من يحمي بنات محمّدٍ	إن صرن يسترحمن من لا يرحم
أأخي يهينك النعيم ولم أخل	ترضى بأن أرزى وأنت منعم
ما خلّت بعدك أن تشلّ سواعدي	وتكفّ باصرتي وظهري يُقصر
لسواك يُلطم بالأكف وهذه	بيضّ الظبي لك في جيبني تلطم
ما بين مصرعك الفظيع ومصرعي	إلا كما أدعوك قبل فتتعم
هذا حسامك من يذلّ به العدى	ولواك هذا من به يتقدّم
هونت يا بن أبي مصارع فتيتي	والجرح يُسكنه الذي هو آلم

الحسين يبكي مع النساء على أخيه

فاجتمعت النساء حوله وجعلن يبكينه ويندبنه، وجعلت زينب عليها السلام تصيح:
وأخاه وآعباساه، وآضيعتنا بعدك! والحسين يبكي معهنّ ويصيح وآضيعتنا بعدك
وانقطاع ظهراه^(١)، حتى قيل: بأنه أغمي عليه من شدة البكاء.
وروي أنّ الحسين عليه السلام أنشد قائلاً:

(١) مقتل الحسين للمقرّم: ٢٧٠.

أخي يا نور عيني يا شقيقي فلي قد كنت كالركن الوثيق
أيا ابن أبي نصحت أخاك حتى سقاك الله كأساً من رحيق
أيا قمراً منيراً كنت عوني على كلّ النوائب في المضيق
فبعدك لا تطيب لنا حياة سنجمع في الغداة على الحقيق
ألا لله شكوائني وصبري وما ألقاه من ظماً وضيق

ام البنين ترثي أولادها

قالوا: وكانت (أم البنين) فاطمة بنت حزام تخرج إلى البقيع كلّ يوم بعد واقعة الطف، وتحمل عبيد الله بن العباس معها، فترثي أولادها وتندبهم بأشجى ندبة وأحرقها، فيجتمع لسماع رثائها أهل المدينة - وفيهم العدو للدود لأهل البيت مروان بن الحكم - فيكون لشجي الندبة ورقيق الرثاء. (١)

(١) أقول: إنّ أغرب شيء في هذه الرواية هو خروج اللعين ابن اللعين والوزغ بن الوزغ (كما ورد عن رسول الله ﷺ) وأعني به مروان بن الحكم للبكاء على الحسين عليه السلام، وهو القائل عندما نظر إلى رأس الحسين عليه السلام:

يا حبذا بردك في اليدين ولونك الأحمر في الخدين
كانه بات بعسجدين شفيت قلبي من دم الحسين

والأغرب منه أن تذهب أم البنين إلى البقيع كل يوم، فيجتمع حولها الناس بمن فيهم الرجال وأشياع بني أمية، لتندب العباس وأخوته الذين استشهدوا بين يدي أبي عبد الله عليه السلام.

أم البنين التي اقتبست من سيّد الأوصياء عليه السلام، ومن سيدي شباب أهل الجنة عليه السلام المعارف الإلهية والآداب المحمدية ما يأخذ بها إلى أسمى درجة من اليقين، لا يصدر منها ما لا يتفق مع الأحكام الشرعية الناهية عن تعرّض المرأة للأجانب إذا لم تكن ضرورة لذلك. وماذا تفعل أم البنين في البقيع وأولادها دفنوا في كربلاء؟ ومن البديهي أنّ المرأة إذا أرادت ندب فقيدها فإنّها تجلس في بيتها وتحصّن به عن رؤية الأجانب لها وسماع صوتها الذي لم تدع الضرورة إليه.

فمن رثائها لأبنائها قولها:

يا مَنْ رأى العباس كَرَّ على جماهير النَّقد
ووراه من أبناء حيدر كُلِّ لِيثٍ ذي لبد
أنبئتُ: أن ابني أصيب برأسه مقطوع يد
ويلي على شبلي أمال برأسه ضربُ العمد

من رثائها وندبتها

لا تدعوئي - ويك - أم البنين، تذكريني بـليوث العرين
كانت بنون لي أدعى بهم واليوم أصبحت ولا من بنين
أربعة مثل نور الربى قد وصلوا الموت بقطع الوتين
يا ليت شعري: أكما أخبروا بأن عبّاساً قطعُ اليمين^(١)
وقال الفضل بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبيدالله بن العباس ابن أمير
المؤمنين عليه السلام يرثي جدّه العباس :

إنّي لأذكر للعبّاس موقفه بكر بلاء وهام القوم تختطف
يحمي الحسين ويحميه على ظمأ ولا يولي ولا يثني فيختلف
ولا أرى مشهداً يوماً كمشهده مع الحسين عليه الفضل والشرف
أكرم به مشهداً بانث فضيلته وما أضاع له أفعاله خلف^(٢)

= أمّا الصديقة الزهراء عليها السلام وذهابها إلى البقيع لندبة أبيها عليه السلام فقد ألقاها إليه الشيخين ،
ومع ذلك فقد صنع لها أمير المؤمنين عليه السلام بيتاً من جريد النخل تتحصّن به من الأجانب
سمّاه (بيت الأحزان) . انظر : تهذيب التهذيب ١٠ : ٢١٤ ، رياض الأحزان : ٦٠ ، بحار
الأنوار ١٠ : ٢٠١ . [البدر]

(١) انظر : مقاتل الطالبين : ٨٥ ، إصار العين : ٣٦ .

(٢) انظر : معجم الشعراء : ٣١٤ ، إصار العين : ٣٥ .

مصرع الحقّ

أَقْعَدَ الدَّهْرُ بِالْأَسَى وَأَقَامَا
حَلَّتْهُوَ كَأَسَى الْحَيَاةِ حَلَالاً
فَسَتَغْدَى دَمَ الشَّهَادَةِ دَرّاً
ضَمَخْتَهُ الدَّمَا كَزَهْرَةِ غُصْنٍ
وَعَلِيلٌ تَوَسَّدَ التُّرْبَ نَطْعاً
ضَاقَ بِالْوَجْدِ صَدْرُهُ وَهُوَ رَحْبٌ
وَأَمَضَّ الْمَصَابِ فِي الْقَلْبِ وَقِعاً
مَذَاتِهِ سَكِينَةً وَحَشَاهَا
قَدْ عَرَاهَا الْهَوَانُ حَتَّى كَسَاهَا
وَقَفَتْ حَوْلَهُ تُطْأُطِءُ هَامَا
عَطَفَتْ جِيدَهَا لَتُخْفِي مُحِيّاً
فَأَرَاهَا عَطَفَ الْأَبْوَةَ رَفْقاً
وَأَتَتْ زَيْنَبُ وَالْحُزْنَ مِنْهَا
تَسْتَخْفُ الْخُطَى فَيُثْقِلُهَا الْخُطْبُ
عَاقَلَتْهُ فَقَبِلَتْ صَدْرَهُ الدَّامِي،
ثُمَّ نَادَتْ وَالْحُزْنَ يُقْذِفُ مِنْ فِيهَا
يَا بَنَ أُمِّي مِنَ اللَّعَاطِفِ يَسْقِيهَا،
مَنْ لَذِي الصَّغَارِ يَحْنُو عَلَيْهَا
مَنْ يُسَلِّي كِرَائِمَ الْوَحْيِ إِمَّا

مَصْرَعٌ لِلْحَسَنِ فِيهِ تَسَامِي
وَسَقَوْهُ كَأَسَى الْمَمَاتِ حَرَاماً
حِينَ أَضَحَتْ لَهُ السَّهَامُ فُطَامَا
لَيْسَتْ حُمْرَةُ الدَّمَاتِ أَكْمَامَا
وَارْتَدَى مُطَرَفَ الْهُزَالِ سَقَامَا
كَادَ بِالصَّبْرِ أَنْ يَثُورَ رُكُومَا
مَنْظَرٌ لِلْأَسَى يَفْتُ الرِّخَامَا
مَنْ لَظَى النَّائِبَاتِ يَصْلِي أَوَامَا
مُطَرَفاً فَاضَ ذَلَّةً وَاهْتِضَامَا
قَدْ أَبَى الْعِزَّ وَالْإِيَّاءَ أَنْ يُضَامَا
خَدَّدَتْهُ الدَّمُوعُ مِنْهَا سَجَامَا
وَأَرَتْهُ بِالتَّوْحِ شَجْوَ الْيَتَامَا
نَفَثَاتُ ثُورِي الْفَوَادِ اضْطَرَامَا
فَتَحْنِي - وَهُوَ الْوَقُورُ - قَوَامَا
وَأَرَحْتَ دَمْعَ الْعَيُونِ انْسِجَامَا
فَوَاداً مَعَ النَّوَائِبِ هَامَا؛
فَثُرُويَ بَرْداً وَتُغْذَى سَلَامَا
يَوْمَ تَبْكِي الْآبَاءَ وَالْأَعْمَامَا
نَدَبْتُ يَوْمَ سَبِيهِنَّ الْكِرَامَا

مَنْ لَرَهْطِ النَّبِيِّ يَحْمِي حَمَاهُ اذ يـلـاقـي أـرـاذـلاً و لئـامـا
من يُراعِي الذَّمَّامَ بـعـدك فـيـنـا فالأعادي لم ترعَ منك الذَّمَّامـا

* * *

ومضى راجعاً إلى الحرب صقراً ليس يخشى من الزخوف نعما
وانتضى للجهاد في الدين عضباً ينفث الموت من شباه زؤاما
وانبرى يحصد الرؤوس فيقري أنسر الجوّ باللحوم طعاما
ويروى الصحراء بالدم بحراً خاض في لجّهِ الجوادُ فعاما
وإذا ما أقام للدين ركناً بسوى حدّ سيفه لن يُقاما
خزّ للأرض لهفَ نفسي صريعاً فهوى العرش للثرى إعظاما
وعلا رأسه على الرمح قُطباً حوله عالمُ الوجود استقاما
وعدتْ نحوَ رهطه آلُ حرب فأشبّت على العيال الخياما
ففررنَ النساءُ حسرى ولكن يتجلبنَ بالحفاظ احتشاما
سلبتها أيدي الضلالة خدراً ذبّ عنه كفّ الرّشاد وحامي
فإذا ابتزّها العدو لئاما أسدلت فوقها العفاف لئاما
وإذا ابتزّها القلائد صاغت لؤلؤَ الدمع للنحور نظاما
وإذا خاصمته فالسوطُ يدمي عضديها حتى يفلّ الخصاما

* * *

روي عن معاوية بن وهب قال: «دخلتُ يوم عاشوراء إلى دار سيّدي ومولاي
جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فرأيتُه ساجداً في محرابه، فجلستُ من ورائه حتى فرغ،
فأطال في سجوده وبكائه، فسمعتُه يناجي ربّه - وهو ساجد - ويقول:

اللهم يا مَنْ خَصَّنَا بالكرامة، ووعدنا الشفاعة، وحملنا الرسالة، وجعلنا
ورثة الأنبياء، وختم بنا الأمم السالفة، وخصَّنَا بالوصيّة، وأعطانا علمَ ما مضى وما

بقي، وجعل أفئدةً من الناس تهوى إلينا، إغفر لي وإخواني، ولزوّار أبي عبد الله الحسين، الذين انفقوا أموالهم في حبّه، وأشخصوا أبدانهم رغبةً في برّنا، ورجاءً لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيّك محمد ﷺ وإجابةً منهم لأمرنا، وغيضاً أدخلوه على عدوّنا، وأرادوا بذلك رضوانك اللهم، فكافهم عنّا بالرضوان، واكلأهم بالليل والنهار، وأخلفهم في أهاليهم وأولادهم، وما خلّفوا أحسنَ الخلف، واكفهم شرَّ جلّ جبارٍ عنيد، وكلّ ضعيفٍ من خلقك وشديد، وشرّ شياطين الإنس والجنّ، وأعظم أفضل ما أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم.

اللهم إن أعدائنا عابوا عليهم خُروجهم، فلم ينههم ذلك عن النهوض والشخص إلينا، خلافاً منهم على مَنْ خالفنا، فأرحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلّبت على قبر أبي عبد الله الحسين، وأرحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمةً لنا، وارحم تلك القلوب التي حزنت لأجلنا، واحترقت بالحزن، وارحم تلك الصرخة التي كانت لأجلنا.

اللهم إنّي استودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان حتى تُروّيهم من الحوض يوم العطش الأكبر وتُدخلهم الجنّة، وتُسهل عليهم الحساب، إنك أنت الكريم الوهاب...

قال: فما زال يدعو لأهل الايمان، ولزوّار الحسين ﷺ - وهو ساجدٌ في محرابه - فلما رفع رأسه أتيتُ إليه، وسلّمت عليه، وتأملتُ في وجهه، فاذا هو كاشف اللون، متغيّر الحال، ظاهر الحزن، ودموعه تنحدر على خديه كاللؤلؤ الرطب.

فقلت: يا سّدي، ممّ بكائك، لا أبكي الله لك عيناً، وما الذي حلّ بك؟

فقال لي: أوفي غفلة أنت عن هذا اليوم؟ أما علمت أن جدي قد قُتل في مثل هذا اليوم؟

فبكيتُ لبكائه، وحزنتُ لحزنه، وقلت له: يا سيدي، فما الذي أفعل في مثل هذا اليوم؟

فقال: يا ابن وهب. زغر الحسين من بعيدٍ أقصى، ومن قريبٍ أدنى، وجدد الحزنَ عليه، وأكثر البكاء والشجو.

فقلت: ياسيدي، لو أن الدعاء الذي سمعته منك - وأنت ساجد - كان لمن لا يعرف الله لظننتُ أن النار لا تطعم منه شيئاً، والله لقد تمنيّت أني كنتُ زرتُه قبل أن أحجّ.

فقال: فما يمنعك من زيارته - يا ابن وهب -، ولما تدع ذلك.

فقلت: جعلتُ فداك، لم أدر أن الأجر يبلغ هذا كله، حتى سمعت دعاءك لزواره.

فقال: يا ابن وهب، إن الذي يدعو لزواره في السماء أكثر ممّن يدعو لهم في الأرض، فإياك أن تدعَ زيارته لخوفٍ من أحد، فمن ترك زيارته لخوفٍ من أحد رأى الحسرة والندم حتى يتمنى أن قبره نبذه.

يا ابن وهب، أما تحبّ أن يرى الله شخصك، أما تحبّ أن تكون غداً ممن رؤي وليس عليه ذنب يُتبع به، أما تحبّ أن تكون غداً ممّن يُصافحه رسول الله ﷺ يوم القيامة؟

قلت: يا سيدي، فما تقول في صومه من غير تبييت؟

فقال لي: لا تجعله صومَ يومٍ كامل، وليكن إفطارك بعد العصر بساعة

على شربةٍ من ماء، فإنه في ذلك الوقت انجلت الهيجاء من آل الرسول، وانكشفت الغمّة عنهم، ومنهم في الأرض ثلاثون قتيلاً من مواليتهم ومن أهل البيت يعزّ على رسول الله مصرعهم، ولو كان حيّاً لكان هو المعزّى .

قال: وبكى الصادق عليه السلام حتى أخضلت لحيته بدموعه، ولم يزل كئيباً طوّل يومه ذلك، وأنا معه أبكي لبكائه وأحزن لحزنه.

يا ابنَ النبي المصطفى ووصيه	وأخا الزكيّ ابن البتول الزّاكية
تبكيك عيتي لا لأجل مثنوية	لكنّما عيني لأجلك باكية
تبتلّ منكم (كربلا) بدم ولا	تبتلّ منّي بالدموع الجارية
أنستُ رزيّتكم رزاينا التي	سلفتُ وهونت الرزايا الآتية
وفجائنُ الأيام تبقى مدّة	وتزول وهي إلى القيامة باقية ^(١)

* * *

الحسين يستغيث ويطلب الناصر

ذكر أربابُ السير والمقاتل: أنّ الحسين عليه السلام لما بقي وحيداً فريداً قد قُتل جميعُ أصحابه وأهل بيته، ورآهم على وجه الأرض مجزّرين كالأضاحي، ولم يجد أحداً ينصره ويذبّ عن حريمه، وهو إذ ذاك يسمع عويل العيال وصراخ الأطفال.

يرى قومه صرعى وينظر نسوةً تجلبين جلباب البكا والمآتم

فعند ذلك نادى بأعلى صوته: «هل من ذابٍ عن حرم رسول الله ؟ هل من موحد يخاف الله فينا ؟ هل من مغيثٍ يرجو الله في إغاثتنا؟»^(٢).

(١) من قصيدة للأديب الشيخ محمد علي الأعسم .

(٢) حياة الامام الحسين ٣: ٢٧٤ .

فارتفعت أصوات النساء بالبكاء والعرويل^(١) وعزم على الموت بنفسه المقدسة.

وعندما سمع السجاد عليه السلام استغاثة أبيه خرج من الخيمة بالرغم من مرضه، ولكنه لم يستطع حمل سيفه نتيجة للضعف المفرط الذي يعاني منه بسبب المرض، وقد حاول التحرك باتجاه ميدان المعركة ولكن أم كلثوم صاحت عليه عندما رآته: ارجع، يا ابن أخي .

فأجابها السجاد عليه السلام: يا عمّة، دعيني أقاتل بين يدي ابن رسول الله . قال الإمام الحسين عليه السلام: يا أختي، احفظيه حتى لا تخلو الأرض من حجة . هذه الاستغاثة لم تؤثر في قلوب الأعداء، لذا نجد الإمام الحسين عليه توجه إلى الاجساد الطاهرة لأصحابه قائلاً :

يا حبيب بن مظاهر، ويا زهير بن القين، ويا مسلم بن عوسجة، ويا أبطال الصفاء، ويا فرسان الهيجاء، مالي أناديكم فلا تسمعون! وأدعوكم فلا تُجيبون! وأنت نيام ارجوكم تنتبهون، فهذه نساء آل الرسول فقد علاهنّ من بعدكم النحول، فقوموا عن نومكم ايّها الكرام وادفعوا عن آل الرسول الطغاة اللثام .

جاء في بعض الروايات ان الابدان تحركت من مكانها عندما سمعت نداء الامام المظلوم ، وكأنها تقول: لبيك يا ابن رسول الله، نحن في انتظارك ومستعدون لتلبية نداءك^(٢).

روي عن الامام السجاد أنّه قال: كان أبي يوم شهادته ملطخاً بدمائه، وقد قال

(١) الملهورف: ٤٩ .

(٢) المفيد في ذكر السبط الشهيد: ١١٥ .

لي: يا بني، احفظ هذا الدعاء مِنِّي وعَلِّمه، فقد حفظته من أُمِّي فاطمة الزهراء عليها السلام، وقد سمعته هي من رسول الله ﷺ، ورسول الله تعلمه من جبرئيل عليه السلام، فهو لطلب الحاجة التي قد يصيبك بعدم قضائها غمٌّ وهمٌّ شديد، فقل :

«يَحَقُّ يَسُّ وَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ، وَيَحَقُّ طُهُ وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، يَا مَنْ يَقْدِرُ عَلَى حَوَائِجِ السَّائِلِينَ، يَا مَنْ يَعْلَمُ مَا فِي الضَّمِيرِ، يَا مُنْفَسًّا عَنِ الْمَكْرُوبِينَ، يَا مُفْرَجًا عَنِ الْمَغْمُومِينَ، يَا رَاحِمَ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ، يَا رَازِقَ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ، يَا مَنْ لَا يَخْتَاجُ إِلَى التَّفْسِيرِ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَافْعَلْ بِي كَذَا وَكَذَا»^(١).

الوداع الأول

قالوا ولَمَّا عَزَمَ الْحُسَيْنُ عليه السلام عَلَى مُلَاقَاةِ الْحَتُوفِ جَاءَ وَوَقَفَ بَبَابِ خِيَمَةِ النِّسَاءِ^(٢) مُودِّعًا لِحَرَمِهِ مَخْذِرَاتِ الرِّسَالَةِ وَعُقَاتِلِ النُّبُوَّةِ، وَنَادَى:

يَا زَيْنَبُ، وَيَا أُمَّ كُلْثُومَ، وَيَا فَاطِمَةَ، وَيَا سَكِينَةَ، عَلَيْكُمْ مِنِّي السَّلَامُ.
فَأَقْبَلْنَ إِلَيْهِ، وَدُرْنَ حَوْلَهُ، وَلِسَانُ حَالِ زَيْنَبٍ يَقُولُ:

قوموا إلى التوديع إنَّ أخِي دعا بسجوده إنَّ الفراقَ طويلُ
فخرجن ربَّاتِ الحِجَالِ حواسِرًا وغدا لها حول الحسين عويلُ
فنادته سَكِينَةُ: يَا أَبَهَ، اسْتَسَلَمْتُ لِلْمَوْتِ؟

فقال: كَيْفَ لَا يَتَسَلَّمُ لِلْمَوْتِ مَنْ لَا نَاصِرَ لَهُ وَلَا مُعِينُ؟

فقالت: رُدُّنَا إِلَى حَرَمِ جَدَّنَا رَسُولِ اللَّهِ؟

(١) نفس المهموم: ٣٤٧.

(٢) قيل: أَنَّهُ لَمَّا وَقَفَ عَلَى بَابِ الْخِيَمَةِ أَخَذَ يَنَادِي: مَنْ ذَا يَقْدَمُ لِي جَوَادِي؟ فَجَاءَتْهُ زَيْنَبُ وَقَدْ أَهْذَتْ بَعْنَانَ الْجَوَادِ تَقْوَدُهُ وَتَقُولُ: أَخِي لِمَنْ تَنَادِي قَطَعْتَ نِيَاطَ قَلْبِي، ثُمَّ قَالَتْ: مَا أَجْلَدَنِي وَأَقْسَانِي، أَيُّ أُخْتٍ تَقْدَمُ لِأَخِيهَا فَرَسَ الْمَنُونِ؟

فبكى الحسين بكاءً شديداً، وقال: هيهات!! لو ترك القطا لغفا ونام، وتمثل
بقول الشاعر:

لقد كان القطاة بأرض نجدٍ قرير العين لم تجد الغراما
توَلَّته البُزاة فهيمته ولو تُرك القطا لغفا وناما
فأين الرحيل، ولو لم يكن من الأعداء وصولٌ فالفجعة أقرب من ذلك.
فرفعت سكينه صوته بالبكاء والنحيب، فضمَّها الحسينُ إلى صدره، ومسح
دموعها بكمِّه، وكان يحبُّها حبًّا شديداً؛ وجعل يقول:

سيطول بعدي يا سكينه فاعلمي منك البكاء إذا الحمام دهاني
لا تحرق قلبي بدمعكِ حسرةً ما دام منِّي الروحُ في جُثماني
فاذا قُتلتُ فأنت أولى بالذي تأتينه يا خيرة النسوان

الإمام زين العابدين يحاول القتال

قالوا: ونهض علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام وخرج من الخيمة وهو يتوكأ
على عصاً ويجرُّ سيفه، الذي لا يقدر على حمله لأنه كان مريضاً لا يستطيع الحركة.
فصاح الحسين بأم كلثوم: إحبيه يا أختاه - لئلا تبقى الأرض خالية من
نسل آل محمد عليه السلام.

فقال زين العابدين: يا عمته، ذريني أقاتل بين يدي ابن رسول الله؟
فأخذت أم كلثوم ثمانعه، وتنادي خلفه: يابني إرجع، حتى أرجعته
إلى فراشه.^(١)

(١) الخصائص الحسينية للشوشري: ١٢٩.

عبد الله الرضيع

ثم تقدّم - سلام الله عليه - إلى باب الخيمة، ودعا بابنه عبد الله الرضيع ليودّعه، فأجلسه في حجره، وأخذ يُقبّله ويقول:

«ويلٌ لهؤلاء القوم إذا كان جدّك المصطفى خصمهم».

وفي بعض المقاتل: «ثم أتى نحو القوم يطلب له الماء وقال: ان لم ترحموني فارحموا هذا الطفل».

فرماه حرمة بن كاهل الأسدي بسهم فذبّحه - وهو في حجر أبيه - فتلقى الحسينُ الدم بكفه، ورمى به نحو السماء.^(١)

فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «أنه لم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض»^(٢). ويقول حجة آل محمد عليه السلام - كما في زيارة الناحية - «السلام على عبد الله ابن الحسين الطفل الرضيع، المرمي الصريع، المُتشحّط دماً، المصدّد دمه في السماء، المذبوح بالسهم في حجر أبيه»^(٣).

ثم قال الحسين عليه السلام: «هَوْنٌ ما نزل بيّ أنه بعين الله، اللهم لا يكن أهون عليك من فصيل، اللهم، إن كنت حبست عنا النصر فاجعله لما هو خيرٌ منه، وانتقم لنا من الظالمين واجعل ما حلّ بنا في العاجل ذخيرةً لنا في الآجل»^(٤).

وسمع عليه السلام قائلاً يقول: دعه يا حسين، فإنّ له مرضعاً في الجنة.^(٥)

(١) مقتل الخوارزمي ٢: ٣٢.

(٢) الملهوف: ٤٩.

(٣) بحار الأنوار ٤٥: ٦٦.

(٤) تظلم الزهراء: ١٢٢.

(٥) تذكرة الخواص: ١٤٤.

ثم نزل ﷺ عن فرسه، وحفر له بجفن سيفه، وصلى عليه ودفنه مرّلاً بدمه.
ويقال: وضعه مع القتلى من أهل بيته.^(١)

لَهْفِي عَلَى أَسِيهِ إِذْ رَأَاهُ	غَارَتْ لَشْدَةُ الظُّلَمَا عَيْنَاهُ
وَلَمْ يَجِدْ شَرِيَّةَ مَاءٍ لِلصَّبِيِّ	فَسَاقَهُ التَّقْدِيرُ نَحْوَ الطَّلَبِ
وَهُوَ عَلَى الْأَبِيِّ أَعْظَمُ الْكُرْبِ	فَكَيْفَ بِالْحَرَمَانِ مِنْ بَعْدِ الطَّلَبِ
مِنْ دَمِهِ الزَّاكِي رَمَى نَحْوَ السَّمَاءِ	فَمَا أَجَلُ لُطْفِهِ وَأَعْظَمَا
لَوْ كَانَ لَمْ يَرْمِ بِهِ إِلَيْهَا	لَسَاخَتْ الْأَرْضُ بِمَنْ عَلَيْهَا
فَاَحْمَرَتِ السَّمَاءُ مِنْ فَيْضِ دَمِهِ	وَيَلُّ مِنْ اللَّهِ لَهُمْ مِنْ نَقْمِهِ ^(٢)

الوداع الثاني

ثُمَّ إِنَّهُ ﷺ أَمَرَ عِيَالَهُ بِالسُّكُوتِ، وَوَدَّعَهُمْ - ثَانِيًا - وَكَانَتْ عَلَيْهِ جُبَّةٌ خَزَّ دُكْنَاءُ
وَعِمَامَةٌ مَوْرَدَةٌ، أَرْخَى ذَوَابَتَيْنِ، وَالتَّحَفَ بِبُرْدَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَبَسَ دَرْعَهُ وَتَقَلَّدَ
بَسِيفَهُ، وَطَلَبَ ثَوْبًا لَا يَرِغَبُ فِيهِ أَحَدٌ يَلْبَسُهُ تَحْتَ ثِيَابِهِ لَثَلَاءَ يُجَرِّدُ مِنْهُ، فَأَنَّهُ مَقْتُولٌ
مَسْلُوبٌ، فَأَتَوْهُ بَتَّانٍ فَلَمْ يَرِغَبْ فِيهِ، لِأَنَّهُ لِبَاسٌ مِنْ ضَرْبِ عَلَيْهِ الذَّلَّةُ، فَأَخَذَ ثَوْبًا
خَلَقًا فَمَرَّقَهُ وَجَعَلَهُ تَحْتَ ثِيَابِهِ وَدَعَا بِسَرَاوِيلِ حَبْرَةٍ فَخَزَرَهَا وَلَبَسَهَا لَثَلًا يُسَلِّبُهَا.^(٣)

الحسين يتقدّم إلى الحرب

ثُمَّ تَقَدَّمَ ﷺ نَحْوَ الْقَوْمِ مُصَلِّيًا سَيْفَهُ آيسًا مِنَ الْحَيَاةِ، عَازِمًا عَلَى الْمَوْتِ،
وَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْبِرَازِ.

(١) مثير الأحزام: ٣٦.

(٢) من أرجوزة «الأنوار القدسية» للحجة محمد حسين الأصفهاني.

(٣) مجمع الزوائد للهيتمي ٩: ١٩٣.

فلم يزل يقتل كلّ من برز إليه حتى قتل جمعاً كثيراً^(١).

كان يقاتل ويقرأ الاشعار :

أنا ابن علي الطهر من آل هاشم	كفاني بهذا مفخراً حين أفخر
وجدي رسول الله أكرم من مشى	ونحن سراج الله في الخلق نزهر
وفاطم أُمّي من سلالة أحمد	وعمي يُدعى ذا الجناحين جعفر
وفينا كتاب الله أنزل صادقاً	وفينا الهدى والوحي بالخير يُذكر
ونحن امان الله للناس كلّهم	نطول بهذا في الأنام ونجهر
ونحن ولاة الحوض نسقي ولاتنا	بكأس رسول الله ما ليس يُنكر
وشيعتنا في الناس أكرم شيعة	ومُبغضنا يوم القيامة يخسر ^(٢)

فلم يزل يقتل كلّ من برز إليه حتى قتل جمعاً كثيراً.

ثم حمل على الميمنة وهو يقول:

الموتُ أولى من رُكوب العارِ	والعارُ أولى من دخول النار
ثم حمل على الميسرة، وهو يقول:	

أنا الحسينُ ابنُ علي	آليتُ أن لا أنثني
أحامي عيالات أبي	أمضي على دين النبي ^(٣)
قال بعض من حضر المعركة ^(٤) : «فوالله، ما رأيتُ مكثوراً ^(٥) - قطّ - قد قُتل	

(١) مثير الأحران: ٣٧.

(٢) الاحتجاج ٢: ١٠٣.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ٤: ١١٠.

(٤) وهو عبدالله بن عمار بن يغوث البارقى - كما عن تاريخ الطبري وغيره - ، وفي روضة الواعظين ، حميد بن مسلم .

وُلْدُهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ وَصَحْبُهُ أَرْبَطَ جَأشاً مِنْهُ، وَلَا أَمْضَى جَنَاناً وَلَا أَجْراً مَقْدِماً، وَلَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَلَقَدْ كَانَتْ الرِّجَالُ لَتَشَدَّ عَلَيْهِ، فَيَشُدُّ عَلَيْهَا، فَتَنْكَشِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذَا شَدَّ عَلَيْهَا انْكَشَافَ الْمَعْرَى إِذَا شَدَّ فِيهَا الذُّئْبُ.^(١)

وَنَفْسٍ تَعَاْفُ الضَّيْمَ حَتَّى كَأَنَّهُ هُوَ الْكَفْرُ يَوْمَ الرِّزْوَعِ أَوْ دُونِهِ الْكَفْرُ فَأَثْبَتَ فِي مَسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رَجُلَهُ وَقَالَ لَهَا: مِنْ تَحْتَ أَخْمَصُكَ الْحَشْرُ تَرْدَى ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْراً فَمَا أَتَى لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُندُسٍ خُضْرُ وَلَقَدْ كَانَ يَحْمِلُ فِيهِمْ، وَقَدْ تَكَامَلُوا ثَلَاثِينَ أَلْفًا، فَيَنْهَزُمُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ كَأَنَّهُمُ الْجَرَادُ الْمُنْتَشِرُ، وَلَمْ يَثْبِتْ لَهُ أَحَدٌ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى مَرْكَزِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ»^(٢) حَتَّى قَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً.^(٣)

فزع القوم من حملات الحسين

فَعِنْدَ ذَلِكَ صَاحَ عَمْرُ بْنُ سَعْدٍ بِقَوْمِهِ: أَلْوَيْلُ لَكُمْ، أَتَدْرُونَ لِمَنْ تَقَاتِلُونَ؟ هَذَا ابْنُ الْأَنْزَعِ الْبَطِينِ، هَذَا ابْنُ قَتَالِ الْعَرَبِ، احْمِلُوا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. وَاسْتَدْعَى شَمْرُ الْفَرَسَانَ، فَصَارُوا فِي ظُهُورِ الرِّجَالِ، وَأَمَرَ الرِّمَاءَ أَنْ يَرْمُوهُ، وَكَانَتْ الرِّمَاءُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ، فَرَشَقُوهُ بِالسَّهَامِ، فَأَتَتْهُ أَرْبَعَةُ آلَافٍ نَبْلَةٍ. وَجَاءَ الشَّمْرُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَحَالُوا بَيْنَ الْحُسَيْنِ وَبَيْنَ رَحْلِهِ وَعِيَالِهِ. فَصَاحَ بِهِمْ أَبِي الضَّيْمِ: «وَيَحْكُمُ يَا شَيْعَةَ آلِ أَبِي سَفْيَانَ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ، وَكُنْتُمْ لَا تَخَافُونَ الْمَعَادَ، فَكُونُوا أَحْرَاراً فِي دُنْيَاكُمْ وَارْجِعُوا إِلَى أَحْسَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

(٥) المكنور: المغلوب.

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٥٢.

(٢) الملهوف: ٥٠.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ٤: ١١٠.

عُرباً كما تزعمون».

فناداه شمر: ما تقول - يا ابن فاطمة - ؟

فقال أقول: «أنا الذي أقاتلكم وتقاتلونني والنساء ليس عليهم جناح، فامنعوا عتاتكم وجهالكم عن التعرض لحرمي ما دمتُ حيّاً».

قال اقصدوني بنفسي وأتركوا حرمي قد حان حيني وقد لاحت لوائحه

فقال شمر: لك ذلك يا حسين، ثم صاح بالقوم:

إليكم عن حرم الرجل، فاقصدوه بنفسه، فلعمري لهو كفؤ كريم.

يطلب شربة من الماء فلا يجدها

فقصدته القوم واشتد القتال. وجعل يحمل عليهم ويحملون عليه، وهو يطلب الماء في تلك الحال، وقد اشتد به العطش.

فعرّ أن تتلظى بينهم عطشاً والماء يصدر عنه الوحش ريئاً

وكلّما حمل بفرسه على الفرات حملوا عليه حتى أجلوه عنه.^(١)

الحسين دريئة للسهام

ودنا من الفرات - ثانياً - فرماه الحصين بن نمير بسهم، وقع في فمه الشريف، فجعل يتلقى الدم من فمه، ويرمي به نحو السماء.

وذكر بعض أرباب المقاتل: أنه ركب المستاة يُريد الفرات، فاعترضته خيلُ ابن سعد - وفيهم رجل من بني أبان بن دارم - فقال لهم: ويلكم حُولوا بينه وبين

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٤: ١١٠.

الفرات، ولا تُمكنونه من الماء، فحالوا بينه وبين الفرات، فقال الحسين:
«اللهم أمتُه عطشاً، ولا تغفر له أبداً». فغضب الدارمي ورماه بسهمٍ اثبتته في
حنكه الشريف.

فانتزع الحسينُ السهم من حنكه وبسط يديه تحت الجرح، فلما امتلأت
راحتاه من الدم رمى به نحو السماء، وقال:
«اللهم، إني أشكو إليك ما يُفعل بابن بنت نبيك، اللهم احصهم عدداً،
واقْتُلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً».^(١)

قال الراوي : فاستدعى الحسين بخرقة فشدَّ بها رأسه ، واستدعى بقلنسوة
فلبسها واعتمَّ عليها ، فلبثوا هنيئة ثم عادوا إليه وأحاطوا به .

فرس الحسين يواسي الحسين في العطش

قالوا: ثم حمل الحسين عليه السلام من نحو الفرات على الأعور السلمي وعمر بن
الحجاج الزبيدي - وكانا في أربعة آلاف على المشرعة - فكشفهم عن الماء، وأقحم
الفرس على الفرات، فلما ولغ الفرس ليشرب، قال الحسين: «أنت عطشان وأنا
عطشان فلا أشربُ حتى تشرب»، فرفع الفرس رأسه كأنه فهم الكلام، فقال
الحسين: إشرِب فأنا أشرب.

ولما مدَّ الحسينُ يده إلى الماء ليشرب ناده لعينٌ من القوم: يا حسين، ألتنَّدُ
بشرب الماء وقد هُتكت حرمك.

ففض الماء من يده ولم يشرب. وحمل على القوم، فكشفهم وقصد الخيمة،

(١) أنساب الأشراف ٣: ٢٠١.

فاذا هي سالمة.^(١)

يروي الثرى بدمائهم وحشاه من ظمأ تطاير شُعلةً قطعاتها
لو قُلبت من فوق غلة قلبه صم الصفا ذابت عليه صفاتها
تبكي السماء له دماً أفلا بكت ماءً لغلة قلبه قطراتها^(٢)

الخطبة الأخيرة

ثم قال الحسين عليه السلام :

عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذرٍ فإنَّ الدنيا لو بقيت لأحد وبقي عليها أحد لكانت الأنبياء أحقَّ بالبقاء وأولى بالرضاء وأرضى بالقضاء، غير أنَّ الله تعالى خلق الدنيا للبلاء، وخلق أهلها للفناء، فجديدها بالٍ ونعيمها مُضمحل وسرورها مُكفهر والمنزلُ بلغة والدار قلعة، فتزوّدوا فإنَّ خير الزاد التقوى واتقوا الله لعلكم تفلحون .

الوداع الثالث

ثم إنّه عليه السلام ودّع عياله وأهل بيته - ثالثاً - وأمرهم بالصبر ولبس الأزر، وودعهم بالتّواب والأجر وقال لهم:

«استعدّوا للبلاء، واعلموا أنَّ الله تعالى حاميك وحافظكم وسيُنْجِيكم من شرِّ الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذب عدوكم بأنواع العذاب، ويعوّضكم عن هذه البليّة بأنواع النّعم والكرامة، فلا تشكوا، ولا تقولوا بالسنتكم

(١) بحار الأنوار ٤٥ : ٥١ .

(٢) من قصيدة في رثاء الحسين عليه السلام للامام محمد حسين آل كاشف الغطاء ومطلعها :

نفس أذابتها أسى حراتها فجرت بها محمرة عبراتها

ما يُنْقَضُ من قدركم».

فصاح عمر بن سعد بقومه: ويحكم، اهجموا عليه مادام مشغولاً بنفسه وحرمة، والله إن فرغ لكم لا تمتاز ميمنتكم عن ميسرتكم.

فحملوا عليه يرمونه بالسهم، حتى تخالفت السهام بين أطناب المخيم، وشكّ سهم بعض أزر النساء، فذهشن وأرعبن وصحن ودخلن الخيمة، وهن ينظرن الحسين كيف يصنع؟

وَدَعِينِي فِي غَدٍ يَشْرِبُ السَيْفُ وَرِيْدِي وَيَحْفَرُ الْقَلْبَ نَصْلُ
وَعْدًا تَذْعِرِينَ حِينَ تَرِينَ الْخَيْلَ فِي وَجْهَهَا جَنُونَ وَقَتْلُ
وَعْدًا تَحْمِلِينَ أَشْلَائِي الْحَمَاءَ غِمْدًا لَأَلْفِ سَيْفٍ يُسَلُّ
وَعْدًا تُتْهَبُ الْخِيَامُ وَخَلْفَ النَّارِ تَبْكِي النَّسَاءَ وَيَهْرَبُ طِفْلُ
وَعْدًا لَا يَظَلُّ مِنْ يَوْمٍ عَاشُورَاءَ إِلَّا جِرَاحُنَا... وَالرَّمْلُ
هَاهُنَا تَصْرَخُ الرُّؤُوسُ الْخَضِيبَاتِ وَيَبْكِي عَلَى صَدَاهَا النِّخْلُ
وَتَرْضُ الْخِيُولُ صَدْرِي فَيَبْكِي النَّهْرُ فِي صَمْتِهِ وَتَبْكِي الْخَيْلُ
آه يَا زَيْنَبَ الْبَطُولَةَ خَلِّي الصَّبْرَ رَمَحًا عَلَى خِيَامِكَ يَعْلُو
وَدَعِيَ الدَّمَاعَ جَمْرَةً وَلَهِيًّا مِنْ كُؤَى الْغَيْبِ كُلِّ أَنْ يَظَلُّ
فَطَرِيقُ الْخُلُودِ صَعْبٌ وَفِيهِ يَفْتَحُ الْمَرْءُ جُرْحَهُ أَوْ يَذُلُّ^(١)

الحسين يصول كالليث الغضبان

فحمل على القوم كالليث الغضبان، فلا يلحق أحداً إلا بعجه بسيفه فقتله، أو طعنه برمحه فصرعه، والسهم تأخذه من كل جانب وهو يتقيها ب صدره ونحره ويقول:

(١) من قصيدة للشاعر العراقي المعاصر جواد جميل .

«يا أمة السوء، بئسما خلفتم محمداً في عترته، أما إنكم لن تقتلوا بعدي عبداً من عباد الله، فتهابوا قتله، بل يهون عليكم ذلك عند قتلكم إياي، وأيم الله إني لأرجو أن يُكرمني الله بالشهادة، ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون».

فناداه الحصين بن مالك السكوني. وبماذا ينتقم لك منّا يا ابن فاطمة؟ فقال الحسين: «يلقي باسكم بينكم، ويسفك دماءكم، ثم يصب عليكم العذاب الأليم».

ورجع ﷺ إلى مركزه، وهو يكثر من قول: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»^(١).

وجعل يطلب - في هذا الحال - ماءً، وشمز يقول له: لا ترده حتى ترد النار. وناداه لعين من القوم: يا حسين، ألا ترى الفرات، كأنه بطن الحيات، فلا تشرب منه قطرة حتى تموت عطشاً. فقال الحسين: اللهم، أمتة عطشاً؟

فكان ذلك الرجل يطلب الماء في مرضه، فيؤتى به، فيشرب حتى يخرج من فيه، وما زال كذلك إلى أن مات عطشاً - لعنه الله -^(٢).

السهم في جبهته المقدسة

ورماه أبو الحتوف الجعفي بسهم وقع في جبهته المقدسة فنزعه، وسالت الدماء على وجهه وكريمته، فقال:

(١) الملهوف: ٥٠.

(٢) مقاتل الطالبين: ٨٦.

«اللهم إنك ترى ما أنا فيه من عبادك هؤلاء العُصاة، اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم، بديداً، ولا تذر على وجه الأرض منهم أحداً ولا تغفر لهم أبداً».^(١)

الجراحات الكثيرة في مقدّمه الشريف

ثم لم يزل يقاتل حتى أصابته جراحات كثيرة، فقد روي: انها الف وتسعمائة جراحة، وكلّها في مقدّمه الشريف، وكانت السهام في درعه كالشوك في جلد القنفذ.^(٢)

الحجر والسهم المثلث في جبهته وصدره

قالوا: ولما ضعف عن القتال وقف ليستريح ساعة، فبينما هو واقف إذ رماه رجلٌ بحجرٍ وقع في جبهته الشريفة فسالت الدماء على وجهه، فأخذ الثوب ليمسح الدم عن وجهه وعينه، إذ رماه لعينٌ آخر من القوم بسهم محدّد مسموم له ثلاث شعب وقع على صدره، وفي بعض الروايات: وقع على قلبه.

فقال الحسين عليه السلام: بسم الله وبالله على ملّة رسول الله، ورفع رأسه إلى السماء وقال:

«إلهي، إنك تعلم انهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابنُ نبي غيره». ثم أخذ السهم فأخرجه من قفاه، فانبعث كالميزاب. فوضع يده تحت الجرح، فلما امتلأت دماً رمى به نحو السماء، وقال: «هوّن عليّ ما نزل بي أنه بعين الله»، فلم تسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض.

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٤: ١١١.

(٢) بحار الأنوار ٤٥: ٥٢.

ثم وضع يده - ثانياً - فلما امتلأت لطنخ به رأسه ووجهه، وقال: «هكذا أكون حتى ألقى الله وجدّي رسول الله مخضوبٌ بدمي، وأقول: يا جدّي قتلني فلانٌ وفلان»^(١).

أمضير غيب الله كيف لك القنا	نفذت وراء حجابهِ المخزون
وتصكّ جبهتك السيوف وإنها	لولا يمينك لم تكن ليمين
فصبرت نفسك حيث تلتهب الظبي	ضرباً يُذيب فؤاد كلّ رزين
والحرب تطحن شوسها برحاتها	والرعب يلهم حلیم كلّ رصين
والسمر كالأضلاع فوقك تنحني	والبيض تنطبق انطباق جُفون ^(٢)

دعاء الإمام عليّ

قال الراوي: عندما بقي الحسين رضي الله عنه وحيداً في المعركة رفع يديه الى السماء وقال :

«اللهم مُتعالِي المكان، عظيم الجبروت، شديد المكان، غني عن الخلائق، عريض الكبرياء، قادر على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، سابغ النعمة، حسن البلاء، قريب إذا دُعيت، مُحيط بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب إليك، قادر على ما أردت، تُدرك ما طلبت، شكور إذا شكرت، ذكور إذا ذكرت، أدعوك مُحتاجاً، وأرغب إليك فقيراً، وأفزع إليك خائفاً، وأبكي مكروباً، وأستعين بك ضعيفاً، وأتوكّل عليك كافياً، اللهم احكم بيننا وبين قومنا فإنهم غرّونا وخذلونا وغدروا بنا ونحن عتره نبيك وولد حبيبك محمد ﷺ الذي اصطفيته بالرسالة وائتمنته على الوحي، فاجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً يا أرحم الراحمين»^(٣).

(١) مقتل الخوارزمي ٢: ٣٤.

(٢) من قصيدة لشاعر أهل البيت رضي الله عنه السيد حيدر الحلبي .

(٣) مقتل الحسين للمقرّم: ٢٨٢.

الحسين يناجي ربه في ساعة العسرة

ولمّا اشتدّ الحال بالحسين عليه السلام رفع طرفه إلى السماء وقال:

«صبراً على قضائك يا ربّ، لا إله سواك يا غياث المستغيثين ، ما لي ربّ سواك ولا معبود غيرك، صبراً على حلمك، يا غياث من لا غياث له، يا دائماً لا نفاذ له، يا محيي الموتى، يا قائماً على كلّ نفس بما كسبت، احكم بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين»^(١).

مالك بن النسر يضربه على رأسه الشريف

قالوا: وأعياه نرف الدم، فجلس على الأرض ينوء برقبته، فأنتهى إليه في تلك الحال مالك بن النسر الكندي، فشتم الحسين، ثم ضربه بالسيف على رأسه، وكان عليه (برؤس) فامتلاً البرنس دماً، فقال الحسين: « لا أكلت يمينك ولا شربت بها، وحشرك الله مع الظالمين». ثم ألقى البرنس وشدّ رأسه بخرقه استدعاها، ودعا بقلنسوة، فلبسها، واعتّم عليها، وأخذ الكندي ذلك (البرؤس) وكان من خز.

قالوا: ولما سقط الحسين عن ظهر فرسه - وقد أثخن بالجراح - قاتل راجلاً قتال الفارس الشجاع المطرق، يتقي الرمية، ويفترص العورة، ويشدّ على الخيل وهو يقول: «ويحكم أعلى قتلي تجتمعون».

قال الراوي: ولمّا أثخن الحسين عليه السلام بالجراح وبقي كالقنفذ، طعنه صالح بن وهب المري على خاصرته فسقط الحسين عليه السلام عن فرسه إلى الأرض على خدّه الأيمن وهو يقول: بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله.

يا رسول الله لو عاينتهم وهم ما بين قتل وسبا

(١) أسرار الشهادة ٣: ٦٨، مقتل الحسين للمقرم: ٢٨٣.

من رميض يمنع الظل ومن عاطش يسقى أنابيب القنا
جزروا جزر الأضاحي نسله ثم ساقوا أهله سوق الاما
قتلوه بعد علم منهم أنه خامس أصحاب الكسا
ليس هذا لرسول الله يا أمة الطغيان والكفر جزاً^(١)

الحسين عليه السلام وحيداً في الميدان

وأقبل على القوم يدفعهم عن نفسه، ولم يبق معه إلا ثلاثة نفر من رهطه يحمون ظهره، حتى إذا قُتل الثلاثة بقي وحده بين الأعداء، وقد أثنى بالجراح في رأسه وبدنه، فجعل يُضاربهم بسيفه وحمل القوم عليه يميناً وشمالاً، فحمل على الذين عن يمينه، فتفرّقوا عنه. ثم حمل على الذين عن شماله فتفرّقوا عنه.

هذا وقلبه متفتّت من الظما، ومحترق من فراق الأحبة، وهو إذ ذاك يسمع عويل العيال، وصراخ الأطفال، فنادى:

«هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله، هل من مؤخّذ يخاف الله فينا، هل من مُغيث يرجو الله في إغاثتنا، هل من مُعين يرجو ما عند الله في إعانتنا». فخرجت النساء من الخيمة، وارتفعت اصواتهنّ بالبكاء والعويل.

الشمر يحاول إحراق فسطاط الحسين

ثم إن شمر بن ذي الجوشن حمل على فسطاط الحسين عليه السلام، فطعنه بالرمح، ثم قال: عليّ بالنار أحرّقه على من فيه؟

فقال له الحسين عليه السلام: يا بن ذي الجوشن، أنت الداعي بالنار لتُحرق

(١) ديوان الرضي ١: ٤٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٣٨٦.

على أهلي؟ أحرقك الله بالنار.

وجاء شُبْتُ بن ربيعي فوبّخه، فاستحى وانصرف.^(١)

مصرع عبدالله بن الحسن

قالوا: وخرج عبد الله بن الحسن بن علي^(٢) - وهو غلام لم يراهق - من عند النساء يشتدّ نحو الحسين - حينما رأى القوم قد أهدقوا به - فصاح الحسين بأخته العقيلة زينب: «إحسبيه يا أختاه».

فلحقته زينب وأرادت حبسه وردّه إلى الخيمة. فأفلت من بين يديها، وأبى عليها وامتنع امتناعاً شديداً، وقال: «لا والله لا أفارق عمي». فجاء حتى وقف إلى جنب عمّه الحسين - وهو صريع على وجه الأرض -.

وبينما هو كذلك إذا جاء أبحر بن كعب، - وقيل حرملة بن كاهل - وأهوى إلى الحسين بالسيف ليضربه. فصاح الغلام به: ويلك يا ابن الخبيثة، أقتل عمي؟ فضربه أبحر بالسيف، فاتّقاها الغلام بيده، فأطنّها إلى الجلد، فإذا هي معلّقة، فصاح الغلام: يا عمّاه!!

فأخذه الحسين وضّمّه إلى صدره، وقال: «يا ابن أخي، إصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير، فان الله تعالى يُلحقك بآبائك الصالحين». فرماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فذبّحه، وهو في حجر عمّه الحسين.

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٥٤.

(٢) عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وأمّه بنت السليل بن عبدالله أخي عبدالله بن جرير البجلي؛ وقيل: أمّه أمّ ولد؛ وقيل: الرباب بنت امرئ القيس، كان عمره حين قتل إحدى عشرة سنة. انظر: الارشاد: ٢٤١، مقاتل الطالبين: ٨٩، رجال الشيخ: ٧٦.

فرغ الحسين عليه السلام يديه إلى السماء قائلاً: «اللهم، إن متعتهم إلى حين، ففرقهم فرقاً، وجعلهم طرائق قديداً، ولا تُرضِ الولاية عنهم أبداً، فأنهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا يُقاتلوننا»^(١).

الحسين يمكث طويلاً من النهار على وجه الأرض

قالوا: ومكث الحسين عليه السلام طويلاً من النهار مطروحاً على وجه الأرض وهو مغشي عليه - ولو شاؤوا أن يقتلوه لفعلوا، إلا أن كل قبيلة تتكل على الأخرى وتكره الإقدام.^(٢)

لله ملقى على الرّمضاء غصّ به فمُ الرّدى بعد إقدامٍ وتشمير
كأنّ بيضَ المواضي وهي تنهبه نازّ تحكم في جسمٍ من النور
تحنو عليه الظبي ظلاً وتستره عن النواظر أذيال الأعاصير^(٣)
فعندها صاح شمرُ بالناس: ويحكم، ما تنتظرون بالرجل؟ أقتلوه ثكلتكم امهاتكم.

حملوا عليه من كل جانب

فحملوا عليه من كلّ جانب، فضربه زرعةُ بن شريك التميمي على كفه اليسرى، فقطعها وضربه لعينٌ من القوم على عاتقه المقدّس ضربةً كبا بها على وجهه.^(٤)

واأسفاهُ حملوا عليه من كل جانبٍ أتوا إليه

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٥١.

(٢) الأخبار الطوال: ٢٥٥.

(٣) من قصيدة عصماء للشريف الرضي في رثاء الحسين عليه السلام.

(٤) مناقب ابن شهر آشوب ٤: ١١١.

قد ضربوا عاتقه المطهراً بضربة كبا بها على الثرى^(١)
 وكان قد أعيا، فجعل ينوء برقبته، ويقوم ويكبو على الأرض، فحمل عليه -
 في تلك الحال - سنان بن أنس النخعي فطعنه بالرمح في ترقوته فوق، ثم انتزع
 الرمح وطعنه في بواني صدره^(٢)، ثم رماه بسهم وقع في نحره^(٣) وطعنه صالح بن
 وهب المزني بالرمح في خاصرته، وقصد إليه نصر بن حُرشة، فجعل يضربه بسيفه
 ورماه الحصين بن تميم في حلقه^(٤)، فعند ذلك وقع على الأرض مغشياً عليه.

هلال بن نافع

قال هلال بن نافع: كنت واقفاً مع أصحاب عمر بن سعد، فخرجتُ بين
 الصفين، ووقفت على الحسين - وهو طريقٌ على الأرض وانه ليجود بنفسه - فوالله
 ما رأيت قتيلًا مضرّجاً بدمه أحسن منه ولا أنور وجهاً، ولقد شغلني نور وجهه
 وجمال هيأته عن الفكرة في قتله، فاستسقى في تلك الحال ماءً، فسمعتُ رجلاً
 يقول له: والله لا تذوق الماء حتى تردّ الحامية فتشرب من حميمها، فسمعتُه يقول:
 «يا ويلك أنا لا أرد الحامية ولا اشرب من حميمها، بل أرد على جدي رسول الله
 واسكن معه في داره في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر، وأشرب من ماءٍ غير آسنٍ،
 وأشكو إليه ما ارتكبتم مني وفعلتم بي».

قال: فغضبوا بأجمعهم حتى كأنَّ الله لم يجعل في قلب أحد منهم من الرحمة

شيئاً.^(٥)

(١) من المقبولة الحسينية للحجة هادي آل كاشف الغطاء .

(٢) الارشاد للمفيد : ٢٥٧ .

(٣) الملهوف : ٥٢ .

(٤) مناقب ابن شهر آشوب ٤ : ١١٠ .

(٥) مثير الأحران : ٣٩ .

لله مطروح حوت منه الثرى نفس العلى والسؤدد المفقودا
 ومجرّح ما غيرت منه القنا حسناً ولا أخلقن منه جديدا
 قد كان بدرأ فاعتدى شمس الضحى مذ ألبسته يدُ الدماء لبودا
 تحمي أشعته العيون، فكلّما حاولن نهجاً خلنه مسدودا
 وتُظللّه شجرُ القنا حتى أبت إرسالَ هاجرةٍ إليه بريدا^(١)
 قالوا: وجاءت جاريةً من ناحية خيم الحسين ﷺ فقال لها رجلٌ من القوم:
 يا أمة الله، إن سيّدك قُتل، فهرعت الجارية إلى سيّداتها - وهي صارخة -
 فقمن في وجهها وصحن وبكين.^(٢)

من هو قاتل الحسين ﷺ ؟

١ - الشمر بن ذي الجوشن :

نقل ابن عبد البر عن خليفة بن خياط، ان الشمر هو قاتل الحسين ﷺ .
 فالشمر أحد القادة المجرمين القساة في جيش الكوفة الذي حارب
 الحسين ﷺ، وهو من قبيلة بني كلاب ومن رؤساء هوازن .
 اسمه شرحبيل وكنيته «ابو السابغة»، ولما رأوا تهاون عمر بن سعد في
 مواجهة الحسين، توجه شمر إلى كربلاء حاملاً كتاباً من ابن زياد إلى ابن سعد
 يخبره فيه بين حسم الأمر أو ترك قيادة الجيش إلى شمر بن ذي الجوشن .
 تولى شمر في يوم الواقعة قيادة ميسرة الجيش، وبعد انتهاء الواقعة بعث معه

(١) من قصيدة في رثاء الحسين ﷺ للحاج هاشم الكعبي .

(٢) الملهوف : ٥٥ .

عبيد الله رأس الامام الحسين إلى يزيد في الشام، ثم عاد إلى الكوفة. (١)

ومن جملة جرائمه الاخرى جلوسه على صدر الحسين لاحتزاز رأسه، وهجومه على الخيام، والاتيان بكتاب الأمان لأبي الفضل العباس لكي يفارق الحسين، كان رجلاً مجدوراً قبيح المنظر، وسيء السيرة وهو ابن زنا، ورد اسمه في زيارة عاشوراء ملعوناً «لعن الله شمراً»، وبعد هجوم شمر على خيام أهل البيت، وقال الحسين عليه السلام قوله المشهورة «ان لم يكن لكم دين فكونوا احراراً في دنياكم» (٢) وفي اللحظات الاخيرة من حياة الامام الحسين، حرّض جماعة على مهاجمته حين كان ملقياً على الارض (٣).

٢- سنان بن أنس :

من المجرمين في واقعة كربلاء، إذ كان في جيش عمر بن سعد، وهو الذي ضرب الحسين عليه السلام بالرمح، فسقط من جواده على الارض، وذكر أغلب المؤرخين انه هو الذي احتزّ رأس الحسين ورفع على الرمح، (وقال البعض ان شمر أو خولي هو الذي فعل ذلك) ثم طلب الجائزة فيما بعد من ابن زياد.

٣- خولي بن يزيد :

هو خولي بن يزيد الأصبحي من أشقياء الكوفة ومبغضي أهل البيت عليه السلام بعد سقوط الإمام الحسين عليه السلام على الارض تقدّم ليحتزّ رأسه. وذهب هو وحמיד بن مسلم الأزدي بالرأس إلى ابن زياد لكن الوقت كان متأخراً وباب القصر مغلقاً فاضطر إلى أخذ الرأس إلى داره واخفائه هناك.

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٥٤.

(٢) مقاتل الطالبين : ٧٩.

(٣) الارشاد : ٢٤٢.

كان لهذا الرجل زوجتان، لما علمت أحدهما بأنه قد أتى برأس الحسين إلى الدار غضبت عليه ولم تجتمع بعدها وأياه في فراش واحد. وهو القائل :

أوقر ركابي فضة وذهباً أني قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أمّاً وأباً وخيرهم إن ينسبون نسباً^(١)

وفي الليلة التي أخذ فيها خولي الرأس الشريف إلى داره، رأت زوجته نوراً من التنور^(٢).

الشهيد الأخير

سويد بن مطاع هو آخر من قتل في ساحة كربلاء، قتل بعد الحسين. كان أحد رجلين كانا برفقة الحسين عليه السلام، سقط إلى الأرض جريحاً وكان به رمق، ولما سمع جيش الكوفة ينادي مستبشراً بقتل الحسين إستفاق وبدأ يقاتل بمديته وسيفه حتى استشهد، ويعرف أيضاً بـ «سويد بن عمر الخثعمي»^(٣).

فرس الحسين «ذو الجناح»

وأقبل فرس الحسين عليه السلام يدور حوله، ويلطّخ عرقه وناصيته بدمه.

فصاح ابن سعدٍ بقومه: دونكم الفرس، فانه من جياذ خيل رسول الله؟

فأحاطت به الخيل، فجعل يرمح برجليه حتى قتل رجلاً وأفراساً كثيرة.

فقال ابن سعد: دعوه لننظر ما يصنع. فلما أمنَ الطلب أقبل نحو الحسين -

(١) الاستيعاب ١: ٩٣، كشف الغمّة ٢: ٥١، مناقب ابن شهر آشوب ٤: ١١١.

(٢) مقتل الحسين للمقرم: ٣٩١.

(٣) الكامل في التاريخ ٤: ٧٩، أنساب الأشراف ٣: ٢٠٤.

وهو مضطج بدمائه - فأخذ يمرغ ناصيته بدمه ويشمه ويصهل صهلاً عالياً.

فمن الامام أبي جعفر الباقر عليه السلام: أنه كان يقول في صهيله:

«الظليمة، الظليمة من أمة قتلت ابن بنت نبيها».

وتوجّه نحو المخيم بذلك الصهيل الحزين.^(١)

ولقد جاء في زيارة الناحية :

«فَلَمَّا رَأَتْ النِّسَاءَ جَوَادَكَ مَخْزِيًّا وَنَظَرَتْ سَرْجَكَ عَلَيْهِ مَلُويًّا ، بَرَزْنَ مِنْ
الْخُدُورِ نَاشِرَاتِ الشُّعُورِ عَلَى الْخُدُودِ لَاطِمَاتِ الْوُجُوهِ سَافِرَاتٍ ، وَبِالْعَوِيلِ
دَاعِيَاتٍ وَيَعْدُ أَلْعَزِ مُذَلَّلَاتٍ ، وَإِلَى مَضْرَعِكَ مُبَادِرَاتٍ ، وَالشَّمْرُ جَالِسٌ عَلَى
صَدْرِكَ مُوَلِّعٌ سَيْفُهُ عَلَى نَحْرِكَ ، قَابِضٌ عَلَى شَيْبِكَ بِيَدِهِ ، ذَابِحٌ لَكَ بِمُهَنْدِهِ»^(٢).

بنات الرسالة يهرعن إلى مصرع الحسين

وخرجت زينب ابنة علي - ومن خلفها النساء والأرامل واليتامى - من
الفسطاط إلى جهة المعركة وهي تنادي:

وآمحمداً، وأعليها، وأجعفراً، وأحمزاً، وآسيّداً، هذا حسين بالعرأ،
صريع كربلاء ليت السماء أطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدكدت
على السهل.^(٣)

قالوا: وانتهت زينب ابنة علي نحو الحسين، وقد دنا منه عمر بن سعد -
والحسين يجرّد بنفسه - فصاحت به:

(١) مقتل الخوارزمي ٢: ٣٧.

(٢) بحار الأنوار ٩٨: ٣١٧، فقرات من زيارة الناحية المنسوبة إلى حجة آل محمد عليه السلام.

(٣) مقتل الحسين للمقرم: ٣٤٧.

«أي عُمر، ويحك أَيْقُتِلْ أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟» فصرف بوجهه عنها ودموعه تسيل على وجهه ولحيته.

فعند ذلك صاحت زينب بالقوم: «ويحكم، أما فيكم مسلم؟ فلم يُجبها أحد». (١)

قالوا: ثم صاح ابن سعدٍ بالناس: ويحكم، إنزلوا إليه فأريحوه.
فنزل إليه شمر ابن ذي الجوشن - وكان أبرص - فضربه برجله، وألقاه على قفاه، ثم أخذ بكرمته المقدسة.

فقال له الحسين عليه السلام: أنت الكلب الأبقع الذي رأيته في منامي.
فغضب الشمر، وقال له: أتشبهني بالكلاب يا ابن فاطمة؟
فجعل يضربه بالسيف - والحسين يلوك بلسانه من شدة العطش - فطلب الماء. فقال له الشمر: يا ابن أبي تراب، ألسنت تزعج أن أباك على حوض النبي يسقي من أحبه، فاصبر حتى تأخذ الماء من يده.

فرمقه الحسين ببصره وقال له: أقتلني، أولا تعلم من أنا؟
فقال الشمر: أعرفك حق المعرفة: أمك فاطمة الزهراء، وأبوك علي المرتضى، وجدك محمد المصطفى، وخصمك العلي الأعلى، وأقتلك ولا أبالي.
فضربه بالسيف اثنتي عشرة ضربة، ثم حَزَّ رأسه ودفعه إلى خولّي بن يزيد، فقال: أحمله إلى الأمير ابن سعد، وزينب تنظر إلى ذلك.

فأقبلن ربّات الحجال وللأسى تفاصيلُ لا يُحصى لهنّ مُفصل
فواحدةٌ تحنو عليه تضمّه وأخرى عليه بالرداء تُظلل

وأخرى بفيض النّحر تصبغ وجهها
وأخرى على خوفٍ تلوذ بجنبه
وجاءت لشمسٍ زينبُ ابنةُ فاطمٍ
تدافعهُ بالكفّ طوراً وتارةً
أيا شمرُ لا تعجل على ابنِ محمدٍ
أيا شمرُ مهما كنت في الناس جاهلاً
أيا شمر هذا حجةُ الله في الوري
ومرّ يحزّ النحر غير مراقبٍ
وأخرى تفديهِ وأخرى تُقبّل
وأخرى لما قد نالها ليس تعقل
تُعنّفهُ عن أمره وتُعذّل
إليه بطّه جدّها تتوسّل
فذو ترةٍ في أمره ليس يعجل
فمثل حسينٍ لست يا شمرُ تجهل
أعد نظراً يا شمر إن كنت تعقل
من الله لا يخشى ولا يتوجل^(١)

تغيّر العالم العلوي بعد مقتله

قالوا: وارتفعت في ذلك الوقت غُبرةٌ شديدةٌ سوداء مُظلمة، بها ريحٌ حمراء، لا يرى لفيه عينٌ ولا أثر، حتى ظنّ القومُ أن العذاب قد جاءهم. فلبثوا كذلك ساعةً، ثم أنجلت الغُبرة عنهم.

وعن أبي عبد الله الصادق ﷺ: أنه قال: «لما ضُرب الحسينُ بن علي بالسيف وسقط، وابتدر ليقطع رأسه، نادى منادٍ من بطنان العرش: ألا أيتها الأُمّة المتحيّرة الضالّة بعد نبيها، لا وفقكم الله لأضحى ولا فطر - ثم قال -: لا جرم - والله - ما وُفقوا، ولا يوفقون حتى يثور ثائرُ الحسين بن علي ﷺ».

وروى الشيخ الطوسي في الأمالي بسنده عن أبي عبد الله جعفر بن محمد ﷺ في حديث أنه قال: إن أبا عبد الله الحسين ﷺ لما قتل بكت عليه السماوات السبع

(١) من قصيدة للمرحوم هاشم الكعبي .

والأرضون السبع ، وما فيهنّ وما بينهنّ ، ومن ينقلب في الجنة والنار^(١) ، وما يرى وما لا يرى إلا ثلاثة أشياء^(٢) .

وروى ابن قولويه في الكامل بسنده عن جماعة كلّهم قالوا : سمعنا أبا عبد الله جعفر الصادق عليه السلام يقول : إن أبا عبد الله الحسين بن علي لما مضى بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع ، وما فيهنّ وما بينهنّ ، ومن ينقلب في الجنة والنار من خلق ربّنا^(٣) ، وما يرى وما لا يرى .

وفي رواية إلا ثلاثة أشياء^(٤) .

وفيه : بسنده عن جماعة أيضاً قالوا : سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول : لما مضى أبو عبد الله الحسين بن علي بكى عليه جميع ما خلق الله إلا ثلاثة أشياء^(٥) .

روى الصدوق في الأمالي وعلل الشرائع بسنده عن جبلة المكيّة ، عن ميثم التمار أنّه قال : والله لتقتل هذه الأمّة ابن بنت نبيّها في المحرم لعشر مضين منه ، وليتخذن أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة ، وإنّ ذلك لكائن قد سبق في علم الله تعالى ذكره ، أعلم ذلك لعهد عهده إليّ مولاي أمير المؤمنين عليه السلام ، ولقد أخبرني أنّه يبكي عليه كلّ شيء حتى الوحوش في الفلوات ، والحيّتان في البحار ، والطير في جوّ السماء ، وتبكي عليه الشمس والقمر والنجوم ، والسماء والأرض ، ومؤمنوا الجن والإنس ، وجميع ملائكة السماوات والأرضين ، ورضوان ومالك وحملّة العرش ، وتمطر السماء دماً ورماداً - إلى أن قال - : يا جبلة إذا نظرت إلى الشمس حمراء

(١) في بحار الأنوار : ومن يتقلب عليهنّ والجنة والنار .

(٢) أمالي الطوسي ١ : ٥٣ مفصلاً .

(٣) في المصدر : وما خلق ربّنا ، وفي البحار : ومن خلق ربّنا .

(٤) كامل الزيارات ٨٠ ح ٣ ، بحار الأنوار ٤٥ : ٢٠٥ ح ١٠ .

(٥) كامل الزيارات : ٨٠ ح ٤ ، بحار الأنوار ٤٥ : ٢٠٦ ح ١١ .

كَأَنَّهَا دَمٌ عَبِيطٌ فَاعْلَمِي أَنَّ سَيِّدَ الشَّهَدَاءِ الْحُسَيْنَ قَدْ قُتِلَ .

قَالَتْ جَبَلَةٌ : فَخَرَجَتْ ذَاتَ يَوْمٍ فَرَأَيْتَ الشَّمْسَ عَلَى الْهَيْطَانِ كَأَنَّهَا الْمَلَا حَفَ الْمَعْصِفَةِ ، فَصَحَّتْ حِينَئِذٍ وَبَكَيْتُ وَقُلْتُ : قَدْ وَاللهِ قُتِلَ سَيِّدُنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ (١) .

وَرَوَى ابْنُ قَوْلُوِيهِ فِي الْكَامِلِ بِأَسَانِيدِهِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ الْبَاقِرِ ﷺ قَالَ : بَكَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ وَالطَّيْرُ وَالْوَحْشُ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ حَتَّى ذَرَفَتْ دُمُوعَهَا (٢) .

وَفِيهِ : بِسَنَدِهِ عَنِ الْحَارِثِ الْأَعْوَرِ قَالَ : قَالَ عَلِيٌّ ﷺ : بِأَبِي وَأُمِّي الْحُسَيْنِ الْمَقْتُولِ بَظَهْرِ الْكُوفَةِ ، وَاللهُ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْوَحْشِ مَادَّةً أَعْنَاقَهَا عَلَى قَبْرِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْوَحْشِ يَبْكُونَهُ وَيَرْتُونَهُ لَيْلاً حَتَّى الصَّبَاحِ ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَأَيَّاكُمْ وَالْجَفَاءَ (٣) .

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي الصَّوَاعِقِ الْمَحْرَقَةِ مَا لَفْظُهُ :

ذَكَرَ أَبُو نَعِيمٍ الْحَافِظُ فِي كِتَابِ دَلَائِلِ النَّبُوَّةِ (٤) عَنْ نَصْرَةِ الْأَزْدِيَّةِ أَنَّهَا قَالَتْ : لَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ دُمًا فَأَصْبَحْنَا وَحِبَابَنَا وَجَرَارَنَا مَمْلُوءَةً دُمًا .

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ : وَكَذَا رَوَى فِي أَحَادِيثٍ غَيْرِ هَذَا (٥) .

وَفِي الصَّوَاعِقِ أَيْضًا : قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : وَلَقَدْ مَطَرَتِ السَّمَاءُ دُمًا بَقِيَ أَثَرُهُ فِي

(١) أَمَالِي الصَّدُوقِ : ١١٠ ح ١ ، عِلَلُ الشَّرَائِعِ : ١ : ٢٢٧ ح ٣ ، بَحَارُ الْأَنْوَارِ : ٤٥ : ٢٠٢ ح ٤ .

(٢) كَامِلُ الزِّيَارَاتِ : ٧٩ ح ١ .

(٣) كَامِلُ الزِّيَارَاتِ : ٨٠ ح ٤ .

(٤) دَلَائِلُ النَّبُوَّةِ : ٢ : ٥٥٣ .

(٥) الصَّوَاعِقُ الْمَحْرَقَةُ : ١٩٤ .

التياب حتى تقطعت.

قال : وأخرج الثعلبي وأبو نعيم ما مرّ من أنهم مطروا دماً ، وزاد أبو نعيم : فأصبحنا وحُبانا وجرارنا مملوءة دماً.

قال : وفي رواية : أنه مطر كالدّم على البيوت والجدران بخراسان والشام والكوفة^(١).

وفي خطط المقرئزي روي : أن السماء أمطرت دماً ، فأصبح كلّ شيء لهم ملآن دماً - أي يوم قتل الحسين عليه السلام -^(٢).

وحكى ابن شهر آشوب في المناقب ، عن أبي نعيم في دلائل النبوة ، والنسوي في المعرفة عن نضرة الأزدي أنها قالت : لما قتل الحسين عليه السلام أمطرت السماء دماً وحُبانا وجرارنا صارت مملوءة دماً^(٣).

وأخرج سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرة الخواص بإسناده عن هلال بن ذكوان قال : لما قتل الحسين مكثنا شهرين أو ثلاثة كأنما لطخت الشيطان بالدم من صلاة الفجر إلى غروب الشمس.

قال : وخرجنا في سفر فمطرنا مطراً بقي أثره في ثيابنا مثل الدم.

وقال ابن سعد : لقد مطرت السماء دماً بقي أثره في الثياب مدّة حتى تقطعت^(٤). وحكى ابن شهر آشوب في المناقب ، عن قرظة بن عبيد الله^(٥) قال :

(١) الصواعق المحرقة : ١١٦ و ١٩٤ ، وانظر : دلائل النبوة : ٢ : ٥٥١ .

(٢) خطط المقرئزي : ٢ : ٢٨٩ .

(٣) المناقب لابن شهر آشوب : ٤ : ٥٤ ، العوالم : ١٧ : ٤٦٦ ح ١ ، بحار الأنوار : ٤٥ : ٢١٥ ح ٢٨ .

(٤) تذكرة الخواص : ٢٧٤ .

(٥) في بعض المصادر : قرظة بن عبيد .

مطرت السماء يوماً نصف النهار على شملة بيضاء، فنظرت فإذا هو دم، وذهبت الابل إلى الوادي لتشرب، فإذا هو دم، وإذا هو اليوم الذي قتل فيه الحسين ﷺ.

وحكى فيه أيضاً عن أسامة بن شبيب بإسناده عن أمّ سليم قالت: لما قتل الحسين ﷺ مطرت السماء مطراً كالدم، احمرت منه البيوت والحيطان.

وروي قريباً من ذلك في الإبانة^(١) وتفسير القشيري والفتاك^(٢).^(٣)

وقال ابن طاووس في الطرائف: أنّه روي مرفوعاً قال: مطرنا دمًا بأيّام قبل قتل الحسين ﷺ^(٤).

وروى الشيخ الطوسي في الأمالي بسنده عن عمّار بن أبي عمّار قال: أمطرت السماء يوم قتل الحسين ﷺ دمًا عبيطاً^(٥).

وروى ابن قولويه عن رجل من أهل بيت المقدس أنّه قال: ومطرنا ثلاثة أيّام دمًا عبيطاً^(٦) - يعني يوم قتل الحسين ﷺ -.

وروي عن أبي عبد الله الصادق ﷺ: إنّ السماء بكت على الحسين ﷺ أربعين صباحاً بالدم^(٧).

وروى ابن قولويه في كامل الزيارات بسنده عن محمد بن مسلمة، عمّن

(١) الإبانة لابن بطّة ١: ٢٤٣.

(٢) كذا في الأصل، وفي المصدر: الفتال. والظاهر أنّه صاحب روضة الواعظين.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٥٤، بحار الأنوار ٤٥: ٢١٥ ح ٣٨.

(٤) الطرائف: ٢٠٣، بحار الأنوار ٤٥: ٢١٧ ح ٤٠.

(٥) أمالي الطوسي ١: ٢٥١، بحار الأنوار ٤٥: ٢١٩ ح ٤٨. والدم العبيط: الخالص الطري. «المنجد في اللغة: ٤٨٤».

(٦) كامل الزيارات: ٧٦ ح ٢، بحار الأنوار ٤٥: ٢٠٤ ح ٦.

(٧) كامل الزيارات: ٨٠ ح ٦، بحار الأنوار ٤٥: ٢٠٦ ح ١٣.

حدّثه قال : لما قتل الحسين بن علي أمطرت السماء تراباً أحمر^(١).

وقال ابن حجر في صواعقه ما لفظه : ومّا ظهر يوم قتله من الآيات أيضاً :
أنّ السماء اسودّت اسوداداً عظيماً حتى رويت النجوم نهاراً .

ثم قال : وحكى ابن عيينة عن جدّته - وذكر جملة من الآيات التي ظهرت
يوم قتل الحسين عليه السلام إلى أن قال - : وانكسفت الشمس حتى بدت الكواكب نصف
النهار ، وظنّ الناس أنّ القيامة قد قامت - إلى أن قال - ونقل ابن الجوزي ، عن ابن
سيرين ، أن الدنيا أظلمت ثلاثة أيّام ثمّ ظهرت الحمرة في السماء^(٢).

وفي خطط المقرئزي يقال : إنّ الدنيا أظلمت ثلاثة أيّام^(٣).

وما حكاها في الصواعق عن ابن الجوزي ، عن ابن سيرين ؛ حكاها سبط ابن
الجوزي الحنفي في تذكرة الخواص عن ابن سيرين فذكر : أنّه قال : لما قتل الحسين
أظلمت الدنيا ثلاثة أيّام ثمّ ظهرت هذه الحمرة^(٤).

وحكى ابن شهر آشوب في المناقب ، عن تاريخ النسوي أنّه قال : قال أبو
قبيل : لما قتل الحسين بن علي كسفت الشمس كسفة بدت الكواكب نصف النهار
حتى ظننّا أنّها هي - يعني القيامة - .^(٥)

وقال ابن حجر في صواعقه : حكى ابن عيينة عن جدّته - إلى أن قال - : وإنّ

(١) كامل الزيارات : ٩٠ ح ١١ .

(٢) الصواعق المحرقة : ١٩٤ .

(٣) خطط المقرئزي ٢ : ٢٨٩ .

(٤) الصواعق المحرقة : ١٩٤ ، تذكرة الخواص : ٢٧٤ .

(٥) المعجم الكبير ٣ : ١٢١ (١٤٥ مخطوط) ، كفاية الطالب : ٢٩٦ ، مقتل الحسين ٢ : ٨٩ ، نظم

الدرر : ٢٢٠ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٩٧ ، اسعاف الراغبين : ١١١ ، إحقاق الحقّ ١١ : ٤٧٩ -

السَّمَاءُ احْمَرَّتْ لِقَتْلِهِ - يَعْنِي الْحُسَيْنَ ﷺ - .

ثُمَّ قَالَ فِي الصَّوَاعِقِ : وَأَخْرَجَ عَثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ : إِنَّ السَّمَاءَ مَكَثَتْ بَعْدَ قَتْلِهِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ تُرَى عَلَى الْحَيِّطَانِ كَأَنَّهَا مَلَا حَفَّ مَعْصِفَةٍ مِنْ شِدَّةِ حُمْرَتِهَا ، وَضُرِبَتِ الْكَوَاكِبُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ .

وَعَنْ ابْنِ سِيرِينَ : إِنَّ الدُّنْيَا أَظْلَمَتْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ ظَهَرَتِ الْحُمْرَةُ فِي السَّمَاءِ . وَأَخْرَجَ الثَّعْلَبِيُّ : إِنَّ السَّمَاءَ بَكَتْ ، وَبَكَوْهَا حُمْرَتُهَا . وَقَالَ غَيْرُهُ : احْمَرَّتْ آفَاقُ السَّمَاءِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ بَعْدَ قَتْلِهِ ، ثُمَّ لَا زَالَتِ الْحُمْرَةُ تَرَى بَعْدَ ذَلِكَ^(١) .

وَقَالَ سَبْطُ بْنُ الْجَوْزِيِّ الْحَنْفِيُّ فِي تَذَكُّرَةِ الْخَوَاصِ : قَالَ السَّدِيُّ : لَمَّا قَتَلَ الْحُسَيْنَ ، بَكَتِ السَّمَاءُ ، وَبَكَوْهَا حُمْرَتُهَا^(٢) . وَعَنْ عَطَاءٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾^(٣) ، قَالَ : بَكَوْهَا حُمْرَةُ أَطْرَافِهَا .

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي تَارِيخِهِ : وَمَكَثَ النَّاسُ شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً كَأَنَّمَا تَلَطَّخَ الْحَوَائِطُ بِالْدَّمَاءِ سَاعَةَ تَطْلُعِ الشَّمْسِ حَتَّى تَرْتَفِعَ^(٤) .

وَحَكَى ابْنُ شَهْرَاشُوبَ فِي الْمَنَاقِبِ عَنِ السَّدِيِّ أَنَّهُ قَالَ : لَمَّا قَتَلَ

(١) المعجم الكبير : ١٤٦ ، مقتل الحسين للخوارزمي ٢ : ٩٠ ، المحاسن والمساوي : ١٢ ، تاريخ دمشق ٤ : ٣٣٩ ، تاريخ الاسلام ٢ : ٣٤٨ ، سير أعلام النبلاء ٣ : ٢١١ ، منتخب كنز العمال - بهامش مسند أحمد - ٥ : ١١٢ ، ينابيع المودة : ٣٢٢ .

(٢) تذكرة الخواص : ٢٧٣ .

(٣) الدخان : ٢٩ .

(٤) الكامل في التاريخ ٤ : ٩٢ .

الحسين عليه السلام ، بكت عليه السماء ، وعلامتها حمرة أطرافها^(١).

وفيه : عن الأسود بن قيس قال : لما قتل الحسين عليه السلام ، ارتفعت حمرة من قبل المشرق ، وحمرة من قبل المغرب ، فكادتتا تلتقيان في كبد السماء ستّة أشهر^(٢).

وروى ابن قولويه في كامل الزيارة بسنده عن علي بن مُسهر القرشي ، عن جدّته أنّها أدركت الحسين بن علي عليه السلام حين قتل قالت : فمكثنا سنة وتسعة أشهر والسماء مثل العلقمة ، مثل الدم ما ترى الشمس^(٣).

وسأتي في حديث الحميري عن الصادق عليه السلام : إنّ السماء احمرّت حين قتل الحسين عليه السلام سنة ، وحرمتها بكاءؤها^(٤).

قال ابن حجر في صواعقه : ومثا ظهر يوم قتل الحسين من الآيات - إلى أن قال - : وأخرج أبو الشيخ أنّ الورس الذي كان في عسكرهم تحوّل رماداً ، وكان في قافلة من اليمن تريد العراق فوافتهم حين قتله.

قال في الصواعق : وحكى ابن عيينة عن جدّته : أنّ جملاً ممّن انقلب ورسه رماداً أخبرها بذلك .

ونحروا ناقة في عسكرهم فكانوا يرون في لحمها مثل الفيران ، فطبخوها فصارت مثل العلقم^(٥).

وفي خطط المقرئ يقول : إنّ لم يمّس أحد من زعفرانهم شيئاً فجعله على

(١) المناقب ٤ : ٥٤ ، بحار الأنوار ٤٥ : ٢١٥ ح ٢٨ .

(٢) المناقب ٤ : ٥٤ ، بحار الأنوار ٤٥ : ٢١٩ ح ٣٩ .

(٣) كامل الزيارات : ٨٩ ح ٥ ، بحار الأنوار ٤٥ : ٢١٠ ح ١٩ .

(٤) كامل الزيارات : ٩٢ ح ١٦ ، بحار الأنوار ٤٥ : ٢١٢ ح ٢٩ .

(٥) الصواعق المحرقة : ١٩٥ .

وجهه إلّا احترق . وإنّهم أصابوا إبلاً في عسكر الحسين يوم قتل ، فنحروها وطبخوها ، فصارت مثل العلقم ، فما استطاعوا أن يسيغوها منها شيئاً^(١) .

وأخرج سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرة الخواص بسنده عن أبي الوصين ؛ ومروان بن الوصين قال : نُحِرَت الإبل التي حمل عليها رأس الحسين وأصحابه ، فلم يستطيعوا أكل لحومها ، كانت أمرّ من الصبر^(٢) .

وذكرت في لواعج الأشجان ما هذا لفظه - ولست أعلم الآن من أين نقلته - :
وَنُحِرَت الإبل التي كانت مع الحسين ﷺ فلم يؤكل لحمها ، لأنّه كان أمرّ من الصبر .
وروي أنّه لمّا جعل اللحم في القدر صار ناراً .

وكان مع الحسين ﷺ ورس وطيب فاقتسموه ، فلمّا صار إلى بيوتهم صار دماً .

وعن مشائخ من طيء أنّهم قالوا : وجد شمر بن ذي الجوشن في رحل الحسين ﷺ ذهباً فدفع بعضه إلى ابنته ، فدفعته إلى صائغ يصوغ منه حلياً ، فلمّا أدخله النار صار نحاساً ؛ وقيل : ناراً^(٣) .

وفي العقد الفريد عن ابن عبد الوهاب ، عن يسار بن عبد الحكم قال : انتهب قال ابن حجر في صواعقه : وممّا ظهر يوم قتله - يعني الحسين ﷺ - من الآيات - إلى أن قال - : ولم يرفع حجر إلّا وجد تحته دم عبيط .

ثمّ قال : وحكى ابن عيينة عن جدته - إلى أن قال - : ولم يرفع حجر في

(١) الخطط للمقريزي ٢ : ٢٨٩ .

(٢) تذكرة الخواص : ٢٦٧ .

(٣) لواعج الأشجان : ١٦٣ .

الشام إلا وجد تحته دم عبيط .

ثم قال : وقال أبو سعيد : ما رفع حجر من الدنيا إلا وتحته دم عبيط .

ثم قال : وفي رواية - إلى أن قال - : وإِنَّه لما جيء برأس الحسين إلى دار ابن زياد سألت حيطانها دماً .

ثم قال : وما مرَّ من أنه لم يرفع حجر في الشام أو الدنيا إلا رؤي تحته دم عبيط ، وقع يوم قتل علي أيضاً ، كما أشار إليه البيهقي ، بأنَّه حكى عن الزهري ، أنه قدم الشام يريد الغزو ، فدخل على عبد الملك فأخبره أنه يوم قتل علي لم يرفع حجر من بيت المقدس إلا وجد تحته دم .

ثم قال : لم يبق من يعرف هذا غيري وغيرك فلا تخبر به .

قال : فما أخبرت به إلا بعد موته .

قال ابن حجر : وحكى أيضاً أن غير عبد الملك أخبر بذلك أيضاً .

قال ابن حجر : قال البيهقي : والذي صحَّ عنه أن ذلك حين قتل الحسين ، ولعلَّه وجد عند قتلها جميعاً^(١) .

وروى ابن قولويه في كامل الزيارة بأسانيده عن الزهري قال : لما قتل الحسين بن عليٍّ عليه السلام لم يبق ببيت المقدس حصاة إلا وجد تحتها دم عبيط^(٢) .

وروى في الكتاب المذكور بسنده عن رجل من أهل بيت المقدس أنه قال : والله لقد عرفنا أهل بيت المقدس ونواحيها عشية قتل الحسين بن عليٍّ عليه السلام .

(١) الصواعق المحرقة : ١٩٤ - ١٩٥ .

(٢) كامل الزيارات : ٧٧ ح ٣ وص ٩٢ ح ٢٠ ، بحار الأنوار ٤٥ : ٢٠٥ ح ٧ .

قلت : وكيف ذاك ^(١) ؟

قال : ما رفعنا حجراً ولا مدرأً ولا صخراً إلّا ورأينا تحتها دماً عبيطاً يغلي ،
واحمرّت الحيطان كالعلق ، ومُطرنا ثلاثة أيّام دماً عبيطاً ، وسمعنا منادياً ينادي في
جوف الليل :

أترجو أمّة قتلت حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب
معاذ الله لا نلتئم يقينا شفاعة أحمد وأبي تراب
قتلتهم خير من ركب المطايا وخير الشيب طراً والشباب ^(٢)

وانكسفت الشمس ثلاثاً ^(٣) ، ثمّ تجلّت عنها ، وانشبكت النجوم ، فلمّا كان من
الغد أرجفنا بقتله ، فلم يأت علينا كثير شيء حتى نعي إلينا الحسين عليه السلام ^(٤) .
في الصواعق المحرقة لابن حجر بعدما ذكر في الحديث الثلاثين دخول
الحسين على جدّه في بيت أمّ سلمة ^(٥) وعنده ملك القطر أو جبرئيل ، وإخباره له أنّ

(١) كذا في الأصل ، وفي المصدر : ذلك .

(٢) وقد نسبت هذه الأبيات إلى الجن التي أخذت تنوح على الحسين ﷺ بعد مقتله ، فيما
ترى مصادر حديثة أنّ أكثر الأبيات المنسوبة إلى الجن هي من نظم شعراء الشيعة في ذلك
الزمان ، ولكن نتيجة لحالة الارهاب والظلم الذي تعرّض له الشيعة في زمن الأمويين
والعباسيين ، فقد نسبوا هذه القصائد إلى الجن .

انظر : الطبقات الكبرى ١ : ٢٣ ، العرائس الواضحة : ١٩٠ ، إسعاف الراغبين : ٢١٧ ،
ينابيع المودّة ١ : ٣٣٠ ، كفاية الطالب : ٢٩٠ ، المعجم الكبير ٣ : ١٢٧ ، مجمع الزوائد ٩ :
١٩٦ ، إحقاق الحقّ ١١ : ٥٦٧ - ٥٦٨ .

(٣) في المصدر : وثلاثة أيّام .

(٤) كامل الزيارات : ٧٦ ح ٢ ، بحار الأنوار ٤٥ : ٢٠٤ ح ٦ .

(٥) قال ابن الأثير في الكامل (٣ : ٣٨) : يستقيم هذا بناء على وفاتها بعد الخمسين ، وفي
الاصابة (٤ : ٤٦٠) بترجمتها عن ابن حيّان : ماتت أمّ سلمة سنة ٦١ هـ ، وفي تهذيب الأسماء =

أُمّته ستقتله ، وإنّه أعطاه من تراب الأرض التي يقتل فيها - قال ما لفظه - : وفي رواية الملا وابن أحمد في زيادة المسند قالت - يعني أُمّ سلمة - : ثمّ ناولني كفّاً من تراب أحمر وقال : إنّ هذا من تربة الأرض التي يقتل بها ، فمتى صارت دماً فاعلمي أنّه قد قتل .

قالت أُمّ سلمة : فوضعت في قارورة عندي ، وكنت أقول : إنّ يوماً يتحوّل فيه دماً ليوم عظيم .

قال : وفي رواية عنها : فأصبته يوم قتل الحسين عليه السلام وقد صار دماً . وفي أخرى : ثمّ قال - يعني جبرئيل - : ألا أريك تربة مقتله ؟ فجاء بحصيات فجعلنّ رسول الله صلى الله عليه وآله في قارورة .

قالت أُمّ سلمة : فلما كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائلاً يقول :
أيّها القاتلون ظلماً حسيناً ابشروا بالعذاب والتذليل
قد لعنتم على لسان ابن داو د وموسى وحامل الإنجيل^(١)

= للنووي (٢ : ٣٦٢) عن أحمد بن أبي خيثمة : ماتت في ولاية يزيد بن معاوية ، وفي مرآة الجنان للياضي (١ : ١٣٧) : توفيت أُمّ سلمة أُمّ المؤمنين سنة ٦١ هـ ، وفي عمدة القارىء للعيّني (١ : ٤٢٧) : إنّ أُمّ سلمة ماتت في شوال سنة ٥٩ هـ ، وفي تهذيب ابن عساكر (٤ : ٣٤١) عن الواقدي : ماتت أُمّ سلمة قبل مقتل الحسين بثلاث سنين ، وفي سير اعلام النبلاء للذهبي (٢ : ١٤٢) : أُمّ سلمة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله آخر من مات من أمّهات المؤمنين ، عمّرت حتى بلغها مقتل الحسين الشهيد فوجمت لذلك وغشي عليها وحزنت عليه كثيراً ، ولم تلبث بعده إلّا يسيراً وانتقلت إلى الله تعالى .

وجاء في أصول الكافي عن أهل البيت عليهم السلام : إنّ الحسين عليه السلام أودعها ذخائر الإمامة وأوصاها أن تدفعها إلى زين العابدين عليه السلام . (الكافي ١ : ٢٩٨) .

(١) وقد ذكر ابن شهر آشوب هذه الأبيات في مناقبه نقلاً عن الطبري حيث قال : وسمع نوح الملائكة في أوّل منزل قاصدين إلى الشام :

قالت : فبكيت وفتحت القارورة ، فإذا الحصىات قد جرت دماً^(١).

وفي تاريخ ابن الأثير : روي أَنَّ النبي ﷺ أعطى أُمَّ سلمة تراباً من تربة الحسين حمله إليه جبرئيل، فقال النبي ﷺ لأُمَّ سلمة : إذا صار هذا التراب دماً فقد قتل الحسين ..

فحفظت أُمَّ سلمة ذلك التراب في قارورة عندها ، فلما قتل الحسين صار التراب دماً ، فاعلمت الناس بقتله^(٢).

وروى علي بن إبراهيم القمي في تفسيره ، بسنده عن أمير المؤمنين علي ﷺ : أَنَّهُ مَرَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ عَدُوٌّ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فَقَالَ : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾^(٣) ، ثُمَّ مَرَّ عَلَيْهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ فَقَالَ : لَكُنْ هَذَا لَتَبْكِينَ عَلَيْهِ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ .

وقال : وما بكَّت السماء والأرض إلا على يحيى بن زكريا والحسين بن

= أَيْهَا الْقَاتِلُونَ جَهْلًا حَسِينًا ابشروا بالعذاب والتنكيل
كُلُّ أَهْلِ السَّمَاءِ يَدْعُو عَلَيْكُمْ مِنْ نَبِيٍّ وَمُرْسَلٍ وَقَتِيلٍ
قَدْ لَعَنَتُمْ عَلَى لِسَانِ ابْنِ دَاوُدَ وَمُوسَى وَحَامِلِ الْإِنْجِيلِ

المناقب ٤ : ٦٣ . وانظر : البداية والنهاية ٦ : ٢٣١ ، تاريخ الخلفاء : ٨ ، الشرف المؤبد : ٦٨ ، كفاية الطالب : ٢٩٨ ، تاريخ الطبري ٥ : ٣٥٤ ، تاريخ ابن الأثير ٣ : ٣٠١ ، تاج العروس ٧ : ١٠٣ ، تاريخ دمشق لابن عساكر ٤ : ٣٤١ ، محاضرات الأبرار ٢ : ١٦٠ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٩٩ ، إحقاق الحق ١١ : ٥٧٠ .

وفي تاج العروس وتاريخ ابن عساكر ذكر البيت الأول والثالث . وفي روايته لعجزه : «من نبي ومالك ورسول» .

(١) الصواعق المحرقة : ١٩٣ . والقطر : المطر .

(٢) الكامل في التاريخ ٤ : ٩٣ .

(٣) الدخان : ٢٩ .

وقال : وما بكت السماء والأرض إلّا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي عليه السلام ^(١).

وروى ابن قولويه في الكامل : بسنده عمّن سمع أمير المؤمنين عليه السلام في الرحبة وهو يتلو : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ الآية .

قال : وخرج الحسين عليه السلام من بعض أبواب المسجد فقال : أمّا إنّ هذا سيقتل وتبكي عليه السماء والأرض ^(٢).

وفيه : بأسانيده أنّ أمير المؤمنين عليه السلام خرج فجلس في المسجد ، وجاء الحسين عليه السلام حتى قام بين يديه ، فوضع يده على رأسه ، فقال : يا بني ، إنّ الله غير أقواماً فقال : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ الآية ، وأيم الله ، لتقتلن ثم تبكيك السماء والأرض ^(٣).

سلب الحسين عليه السلام

ثمّ أقبل القوم على سلب الحسين عليه السلام ، فأخذ عمر بن سعد درعه البتراء . وأخذ إسحاق بن حويّة الحضرمي قميصه . وأخذ الأخنس بن مرثد الحضرمي عمامته . وأخذ أبحر بن كعب التميمي سراويله . وأخذ قيس بن الأشعث الكندي قطيفته - وكانت من خز . وأخذ جعونة بن حوية ثوبه الخلق الذي جعله تحت ثيابه وأخذ جميع بن الخلق الأودي سيفه . وأخذ الأسود بن خالد الأودي نعليه . وأخذ الفرش والخُلل : الرحيل بن خيثمة الجعفي وهاني بن ثبيت الحضرمي ، وجريز بن مسعود الحضرمي وأخذ بجدل بن سليم الكلبي خاتمه الشريف ، وقد جُمِدت عليه

(١) تفسير القمّي ٢ : ٢٩١ .

(٢) كامل الزيارات : ٨٨ ح ١ .

(٣) كامل الزيارات : ٨٨ ح ٢ .

الدماء، فقطع إصبعه مع الخاتم وتركوه:

عُريَان يكسوه الصعيْدُ مرساً أفديه مسلوبَ اللباس مُسرِبلا
ولصدره تطأ الخيولُ وطالما بسريره جبريلُ كان مرْكلا

جراحات بدنه الشريف

روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: أصيب الحسين ووجد به ثلاثمائة وبضعة وعشرون طعنة برمح أو ضربة بسيف أو رمية سهم .

وفي اللهوف^(١): روى أنه وجد في قميصه مائة وبضع عشرة ما بين رمية سهم وطعنة وضربة .

وقال الصادق عليه السلام: وجد بالحسين عليه السلام ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة .

وقال المسعودي: إن في جسده أثر ثلاث وثلاثين طعنة وأربع وثلاثين ضربة غير أثر السهام .

من شعر الإمام الحسين عليه السلام

كفر القومُ وقِدماً رغبوا عن ثواب الله ربَّ الثقلين
قَتَلُوا قِدماً عليّاً وأبْنه حَسَنَ الْخَيْرِ كَرِيمِ الطَّرْفِين
حنقاً مِنْهم وقالوا اجْمَعُوا نَفْتَكُ الْآنَ جَمِيعاً بِالْحُسَيْنِ
يَا لِقَوْمٍ مِنْ أَنَاسٍ رُذِلِ جَمَعُوا الْجَمْعَ لَاهِلِ الْحَرَمَيْنِ
ثُمَّ صَارُوا وَتَوَاصَوْا كُلُّهُمْ بِاجْتِيَا حِي لِرِضَاءِ الْمُلْحَدَيْنِ

(١) اللهوف: ٥٦ .

لم يخافوا الله في سَفْكَ دَمِي لِعُبَيْدِ اللَّهِ نَسْلُ الْكَافِرِينَ
 وَأَبْنُ سَعْدٍ قَدْ رَمَانِي عَنُوءٌ بِجُنُودٍ كَوُكُوفِ الْهَاطِلِينَ
 لَا لِشَيْءٍ كَانَ مِنِّي قَبْلَ ذَا غَيْرِ فُخْرِي بِضِيَاءِ الْفَرَقْدِينَ
 بِعَلِيِّ الْخَيْرِ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ وَالنَّبِيِّ الْقَرَشِيِّ الْوَالِدِينَ
 خَيْرُهُ اللَّهُ مِنَ الْخَلْقِ أَبِي ثُمَّ أُمِّي فَاَنَا أَبْنُ الْخَيْرَتَيْنِ
 فَضَّةٌ قَدْ خُلُصَتْ مِنْ ذَهَبٍ فَاَنَا الْفَضَّةُ وَأَبْنُ الذَّهَبَيْنِ
 مِنْ لَهُ جَدٌّ كَجَدِّي فِي الْوَرَى أَوْ كَشَيْخِي فَاَنَا أَبْنُ الْقَمَرَيْنِ
 فَاطِمُ الزُّهْرَاءِ أُمِّي وَأَبِي قَاصِمُ الْكَفْرِ بِبَدْرِ وَحُنَيْنِ
 عُرْوَةُ الدِّينِ عَلِيٌّ الْمُرْتَضَى هَازِمُ الْجَيْشِ مَصْلَى الْقَبْلَتَيْنِ
 وَلَهُ فِي يَوْمٍ أَحَدٍ وَقْعَةٌ شَقَّتِ الْغُلَّ بِقَبْضِ الْعَسْكَرِينَ
 ثُمَّ بِالْأَخْزَابِ وَالْفَتْحِ مَعًا كَانَ فِيهَا حَتَفُ أَهْلِ الْفَيْلَقَيْنِ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَاذَا صَنَعْتُ أُمَّةُ الشُّوْءِ مَعًا بِالْعَتَرَتَيْنِ
 عَتَرَةُ الْبَرِّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَعَلِيٌّ الْقَزَمُ يَوْمَ الْجُحْفَلَيْنِ
 عَبَدَ اللَّهُ غُلَامًا يَافِعًا وَقُرَيْشٌ يَعْبُدُونَ الْوَثْنَيْنِ
 وَقَلَى الْأَوْتَانَ لَمْ يَسْجُدْ لَهَا مَعَ قُرَيْشٍ لَا وَلَا طَرْفَةَ عَيْنٍ^(١)

حرق الخيام ونهب المتاع وسلب النساء

ثم مال الناس إلى ثقله ومتاعه، وانتهبوا جميع ما في الخيام.
 ثم أخرجوا النساء من الخيام، وأضرموا النار فيها، وتسابق القوم على نهب

بيوت آل الرسول وقرة عين البتول، حتى جعلوا ينتزعون ملحفة المرأة عن ظهرها،
ففررن بنات الزهراء حواسر، مسلّباتٍ حافياتٍ، باكيات.

قال حميد بن مسلم: رأيت امرأة من آل بكر بن وائل كانت مع زوجها في
أصحاب عمر بن سعد، فلما رأت القوم قد اقتحموا على سلب بنات رسول الله ﷺ
أخذت سيفاً، وأقبلت نحو القوم وهي تصيح: «يا لآل بكر بن وائل، استلبُ بناتُ
رسول الله؟ لا حكم إلا لله، يالثرارات رسول الله» فأخذها زوجها وردّها إلى رحله.
وأشجى مصابٍ أغضب الحق غيرهً وأدمى جعفون المجد فهي له غبرى
هجومُ بني حربٍ على حرم الهدى على حين ربُّ العرش شرفه قدرا
فتمسى بلا سترٍ بناتُ محمّدٍ وان هنَّ قد ألبسنَ من هيبَةٍ سترا
وأنَّ بسني هندٍ تغير بخیلها على صفوة الزهرا فتتهتكها خدرا
وأن أكفَّ الخمر تمتدّ نحوها على قصرٍ فيها، فتنتزع الخُمرا
ومذعورةٍ باليتم قد ريع قلبها كطيرٍ عليها الصقرُ قد هاجم الوكرا
أهابت بها من هجمة الخيل صرخةً على ثكلها باليتم فاضطربت دُعرا^(١)

وذكر بعض: إن الحسين عليه السلام أوصى أخته العقيلة زينب بحفظ الأطفال
وجمعهم عند هجوم العدو على خيامهم. ولما فرّت الأطفال في البيداء عند هجوم
الخيّل، خرجت زينب تتفقّدهم فوجدت طفلين ميّين تحت شجرة هناك. وهل أنهما
ماتا من العطش، أم خوفاً من دهشة العدو؟ لا أدري؟

محاولة قتل الامام زين العابدين عليه السلام

قالوا: ثم انتهى القوم إلى علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام - وهو مريض
منبسط على فراشه لا يستطيع النهوض - واذا بجماعة من الرجال في مقدّمهم

(١) من أبيات من قصيدة في رثاء الحسين عليه السلام للشاعر الشيخ الفرطوسي .

شمر ابن ذي الجوشن. يقولون: ألا نقتل هذا العليل؟

فقال حميد بن مسلم: سبحان الله، أقتل الصبيان؟ إنما هذا صبي
فقال الشمر: قد صدر أمر الأمير عبيد الله بن زياد بقتل جميع أولاد الحسين.
وبالغ ابن سعد في منعه حينما رأى العقيلة زينب قد أقبلت إليه وأهوت عليه،
وقالت: والله لا يقتل حتى أقتل دونه، فكفّوا عنه.^(١)

والهفتاء لزين العابدين لقي من طول علته والسقم قد نُهكا
كانت عيادته منهم سيّاطهم وفي كعوب القنا قالوا: البقاء لك
جسّروه فانتهبوا النطع المعدّ له وأوطئوا جسمه السعدان والحسكا^(٢)

عيال الحسين يصرخن في وجه ابن سعد

وأقبل عمر بن سعد إلى جهة خيام الحسين وعياله وأطفاله فصاحت النساء
والأطفال في وجهه وبكين وأعولن.
فقال لأصحابه: ألا لا يدخل أحد منكم بيوت هذه النسوة، ولا تعرّضوا لهذا
الغلام.

وسألته النسوة أن يسترجع ما أخذ منهن من المسلوبات، فصاح بالناس: من
أخذ منهن شيئاً فيلرّده.

قال حميد بن مسلم: فما ردّ أحد منهم شيئاً.^(٣)

وهل بقيت لبنات الزهراء خيمة يا وبن إليها لم تحترق؟ لا أدري؟
وحصان لم تجد كسر حجاب أبرزت تخفض طرفيها انكسارا

(١) تاريخ القرمانى: ١٠٨.

(٢) من قصيدة للشاعر السيد جعفر الحلي.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٤٥٤.

حُرّة لم تُنض في الخدر خمّاراً قد أَمَاطُوا عَنْ مُحَيَّاهَا الخَمَارَا
تَخْمَشُ الأَوَجَهَ بالعشر وتَدْعُو بِحَنِين يُسَكَّتُ الهَيْمَ العَشَارَا
طَفَقَتْ تَلْدُمُ صَدْرًا وَاغْرًا وَشَحَّتَهُ الأَصْبَحِيَّاتُ صَدَارَا
زَفَرَتْ عَنْ حُرِّ قَلْبٍ اشْرَجَتْ فَوْقَهُ لِلْحُزْنِ أَضْلَاعًا حَرَارَا
بَشَجُونٍ مُسْتَشِيطَاتٍ أَوَارَا وَشَوْوَنٍ مُسْتَهْلَاتٍ قَطَارَا
كَلَّمَا قَدْ نَضَبَ الدَّمُ اسْتَقَى مَدْمَعُ الْعَيْنِ دَمَ الْقَلْبِ مُمَارَا
وَأَمْضُ الدَّاءِ فِي الْقَلْبِ وَقَوْعًا طِفْلَةٌ تَقْدَحُ فِي الْقَلْبِ شَرَارَا
ذَاتُ قُرْطٍ قَصُرَتْ عَنْهُ يَدًا طَالَ مَا صَاغَ لَهَا السُّوْطُ سَوَارَا
وَغَرِيرٍ أَتْلَعَ الْجِيدَ انْبَرَتْ مِنْ دَمَا أَوْدَاجُهُ تُرَوِي الْغَرَارَا
ذِي نِفَارٍ عَلِقَ الطُّوقُ بِهِ وَرَدَ الْحَتَفُ وَمَا اخْضَرَّ عَذَارَا
كُتِبُوا مَنْ أَنْ يَعْنِيَهُمْ صَغَارًا، فَقَضُوا فِيهِ كِبَارًا وَصَغَارًا^(١)

عقبة والمرقع والضحاك ينجون من القتل

ثم إنَّ عمر بن سعد أخذ عقبة بن سمعان - مولى الرباب بنت امرئ القيس زوجة الحسين (عليه السلام) - فقال له: مَنْ أَنْتَ، قال: أنا عبد مملوك، فخلني سبيله، فلم ينجُ من أصحاب الحسين غيره، وغير المرقع بن ثمامة الأسدي - وكان قد نثر نبله وجثا على ركبتيه - فجاءه نفرٌ من قومه فاستأمنوه، وجاءوا به إلى ابن زياد، فنفاه إلى (الزارة) من أرض البحرين. وكذلك ينجو الضحاك بن عبد الله المشرقي من القتل، لمعاهدة بينه وبين الحسين (عليه السلام): أنه يقاتل عنه مادام معه أحد فاذا لم ير مقاتلاً فهو في حلٍّ من الانصراف، فلما قتل جميع أصحاب الحسين استحل من ذمامه وفرّ من المعركة ونجا على فرسه بعد أن دارت بينه وبين القوم مقاتلة عنيفة.^(٢)

(١) من قصيدة في رثاء الحسين عليه السلام للمرحوم السيد إبراهيم بحر العلوم .

(٢) تاريخ الطبري ٥ : ٤٠٤ .

قمة المأساة: الخيل ترض صدر الحسين وظهره

ثم نادى ابن سعد - بعد ذلك - في أصحابه: ألا من ينتدب إلى الحسين فيوطىء الخيل ظهره وصدره، فانتدب له عشرة من القوارس، فداسوا جسد الحسين بخيولهم حتى رضوا ظهره وصدره.

وهؤلاء العشرة هم:

١ - اسحاق بن حوية الحضرمي الذي سلب الحسين قميصه .

٢ - الأخنس بن مرثد بن علقمة الحضرمي .

٣ - حكيم بن الطفيل السنبسي الطائي .

٤ - عمرو بن صبيح الصيداوي المذحجي .

٥ - رجاء بن منقذ العبدي .

٦ - سالم بن خيثمة الجعفي .

٧ - وواخط - أو أدلم - بن ناعم - أو غانم - .

٨ - سالم بن وهب الجعفي .

٩ - هاني بن ثبيت الحضرمي .

١٠ - أسيد - أو أسد - بن مالك^(١).

وجاء هؤلاء العشرة حتى وقفوا على ابن زياد، فقال أحدهم وهو أسيد بن

مالك:

نحن رضنا الصدر بعد الظهر بكل يعسوب شديد الأسر

قال أبو عمرو الزاهد: فنظرنا في هؤلاء العشرة فوجدناهم جميعاً أولاد زناء،

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٤: ١١١ .

وهؤلاء أخذهم المختار فشدَّ أيديهم وأرجلهم بسلاسل الحديد وأوطأ الخيل ظهورهم حتَّى هلكوا.

فليتَّ أكفاً حاربتك تقطعت وأرجلَ بغِيٍّ جاولتك جُذامُ
وخيلاً غدت تُردي عليك جوارياً عُقرن فلا يُلوى لهن لجام
ورضت قراك الخيل من بعدما غدت أولو الخيل صرعى منك فهي، رمام^(١)

اللحظات الأخيرة

قال حميد: وخرجت زينب بنت عليّ عليها السلام وقرطهاها يجولان بين أذنيها، وهي تقول: ليت السماء انطبقت على الأرض، يا عمر بن سعد: أَيْقُتِلْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَأَنْتَ تنظر إليه؟ ودموع عمر تسيل على خديّه ولحيته، وهو يصرف وجهه عنها، والحسين عليه السلام جالس وعليه جبّة خزّ، وقد تحاماه الناس، فنادى شمر: ويلكم ما تنتظرون به؟ اقتلوه ثكلتكم أمّهاتكم، فضربه زُرعة بن شريك فأبان كفه اليسرى، ثمّ ضربه على عاتقه، ثمّ انصرفوا عنه، وهو يكبو مرّة ويقوم أخرى.

فحمل عليه سنان في تلك الحال فطعنه بالرمح فصرعه، وقال لخوليّ بن يزيد: اجتزّ رأسه، فضعف وارتعدت يده، فقال له سنان: جبّ الله عضدك، وأبان يدك، فنزل إليه شمر^(٢) لعنه الله، وكان اللعين أبرص، فضربه برجله فألقاه على قفاه، ثمّ أخذ بلحيته، فقال الحسين عليه السلام: أنت الكلب الأبقع الذي رأيتك في منامي.

فقال: أتشبهني بالكلاب؟ ثمّ جعل يضرب بسيفه مذبح الحسين عليه السلام.

وقيل: لما جاء شمر والحسين عليه السلام بآخر رمق يلوّك لسانه من العطش، فطلب

(١) من قصيدة في رثاء الحسين عليه السلام لأبي ذيب الشيخ يوسف القطيفي المتوفي سنة ١٢٠٠ هـ.

(٢) في بعض المصادر: فنزل إليه نصر بن خرشة الضبابي، وقيل: بل شمر.

الماء فرفسه شعر لعنه الله برجليه، وقال: يا ابن أبي تراب، ألسنت تزعم أن أباك على حوض النبي يسقي من أحبه؟ فاصبر حتى تأخذ الماء من يده، ثم جلس على صدره.

فقال له الحسين عليه السلام: أتقتلني ولا تعلم من أنا؟

فقال: أعرفك حق المعرفة؛ أمك فاطمة الزهراء، وأبوك علي المرتضى، وجدك محمد المصطفى، وخصمك علي الأعلى، أقتلك ولا أبالي، فضربه بسيفه اثنتا عشرة ضربة، ثم جزّ رأسه صلوات الله وسلامه عليه، ولعن الله قاتله ومقاتله والسائرين إليه بجموعهم.

ثم سلبوه ^(١) عليه السلام لباسه وجميع ما كان عليه؛ فأخذ عمامته جابر ابن يزيد الأزدي، وقميصه إسحاق بن حيوة ^(٢)، وثوبه جعونة بن حوبة الحضرمي، وقطيفته من خزّ قيس بن الأشعث الكندي، وسراويله بحير بن عمرو الجرمي ^(٣).

وكان عليه السلام قد قال لأهله: ائتوني بثوب لا يرغب فيه لئلا أسلبه، فأتوه بتيان، فقال: هذا من لباس أهل الذمة، فأتوه بسراويل أوسع منه فسلبوه إياها، سلبها بحير بن عمرو المذكور؛ وقيل: أخذها بحر بن كعب التيمي، وأخذ القوس والحلل الرحيل بن خيثمة الجعفي وهانيء بن ثبيت الحضرمي وجريير بن مسعود الحضرمي، ونعليه الأسود الأوسي، وسيفه رجل من بني نهشل بن دارم؛ وقيل: الأسود بن حنظلة، فأحرقهم المختار عليه السلام بالنار، ثم مال الناس على الورس

(١) انظر في أسماء من سلبه عليه السلام: مناقب ابن شهر آشوب: ١١١/٤.

(٢) كذا في الكامل: ٨٠/٤، وفي الملهوف: حوبة، وفي البحار: حوثة.

(٣) في الكامل: ٧٧/٤ و٧٨ ووقعة الطف: ٢٥٥ والملهوف: بحر بن كعب التيمي، وفي البحار: أبجر بن كعب التيمي.

والأمتعة والإبل فانتهبوها، ثم تسابقوا على نهب بيوت آل الرسول حتى كانوا يتزعون ملحفة المرأة عن رأسها وظهرها.

وعن فاطمة بنت الحسين قالت: لما دخلت العامة علينا بالنهب دخل رجل وأنا صغيرة وفي رجليّ خلخالان فنزعهما من رجليّ وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟

فقال: وكيف لا أبكي وأنا أسلب ابنة رسول الله؟!

فقلت: لا تسلبني.

فقال: أخاف أن يأخذه غيري.

وقال حميد بن مسلم: انتهيت إلى عليّ بن الحسين عليه السلام وهو مضطجع على فراش له وهو مريض، وإذا شمر معه رجل يقول: ألا نقتل هذا الصبي؟

فقلت: سبحان الله! ما معنى قتل الصبيان؟ فما زال دأبي كذلك أدفع عنه حتى جاء عمر بن سعد، فقال: لا يدخلن أحد بيوت هذه النسوة، ولا يتعرّض لهذا الغلام أحد، ومن أخذ من متاعهم شيئاً فليردّه، فوالله ما ردّ أحد شيئاً غير أنّهم كفّوا.

فقال لي عليّ بن الحسين عليه السلام: جزيت خيراً فقد دفع الله عنا - بمقاتلتك - أشرار الناس.

ولما دخل الناس بعد قتل الحسين الفسطاط - فسطاط النساء - للنهب أقبلت امرأة من عسكر ابن سعد كانت مع زوجها، فلما اقتحم الناس الفسطاط وأقبلوا يسلبون النساء أخذت سيفاً وأقبلت نحو الفسطاط، ونادت: يا آل بكر ابن وائل، أتسلب بنات رسول الله؟ يا لثارات رسول الله، فأخذها زوجها فردّها إلى رحله.

ثم أمر ابن سعد بإخراج النساء من الخيمة وأضرموها فيها النار، فخرجن

حواسر مسلّبات حافيات باكيات، يمشين سبايا في أسر الذلّة.

ثم إنَّ عمر بن سعد لعنه الله نادى : من ينتدب للحسين فيطأه بفرسه؟ فانتدب له عشرة نفر، منهم: أخنس بن مرثد الحضرمي، وهو القاتل^(١)؛

نحن رضنا الظهر بعد الصدر بكلّ يعبوب شديد الأسر
حتى عصينا الله ربّ الأمر بصنعنا مع الحسين الظهر
وقال عمر بن سعد لعنه الله: بهذا أمر الأمير عبيدالله.

قال الراوي^(٢): فنظرنا في هؤلاء العشرة فوجدناهم أولاد زنا، وهؤلاء أخذهم المختار عليه السلام وشدّ أيديهم وأرجلهم بسكك من حديد، ثم أوطأهم الخيل حتى ماتوا.

وابتلى الله سبحانه الذين أخذوا سلب الحسين عليه السلام كلّ واحد منهم ببلاء، فالذي أخذ سراويله بحير بن عمرو الجرمي فلبسها فصار زماً مقعداً، والذي أخذ عمامته وهو جابر بن يزيد فصار مجذوماً، والذي أخذ درعه مالك بن نسير صار معتوهاً، والذي أخذ خاتمه وهو بجدل بن سليم الكلبي وقطع اصبعه عليه السلام مع الخاتم أخذه المختار وقطع يديه ورجليه وتركه يتشخّط بدمه حتى مات^(٣).

وارتفعت في السماء - في تلك الساعة التي قتل فيها صلوات الله عليه - غبرة شديدة سوداء مظلمة، فيها ريح حمراء، لا يرى فيها عين ولا أثر، حتى ظنّ القوم أنّ العذاب قد جاءهم.

(١) نسب الرجز في الملهوف: ١٨٣ إلى أسيد بن مالك.

(٢) هو أبو عمرو الزاهد. انظر في ترجمته: وفيات الأعيان: ٥٠٠/١، تاريخ بغداد: ٣٥٦/٢.

الأعلام للزركلي ٦: ٢٥٤.

(٣) انظر ذوب النصار: ١٢٣.

وقتل صلوات الله عليه^(١) يوم عاشوراء عاشر المحرم الحرام سنة إحدى وستين من الهجرة، وهو ابن أربع وخمسين سنة وستة أشهر ونصف.

قال: وأقبل فرس الحسين عليه السلام وقد عدا من بين أيديهم أن لا يؤخذ، فوضع ناصيته في دم الحسين عليه السلام، ثم أقبل يركض نحو خيمة النساء، وهو يصهل ويضرب الأرض برأسه عند الخيمة حتى مات^(٢).

قطع الرؤوس وتوزيعها على القبائل المقاتلة

وأمر ابن سعد - بعد ذلك - بقطع رؤوس القتلى من اصحاب الحسين وأهل بيته، وقسمتها بين القبائل المشتركة في القتال لتتقرب بها إلى ابن زياد وتأخذ الجائزة منه.

فأعطى كندة - وصاحبهم قيس بن الأشعث - ثلاثة عشر رأساً.

وأعطى هوازن - وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن - عشرين رأساً.

وأعطى تميم: سبعة عشر رأساً.

وأعطى بني أسد: ستة رؤوس.

وأعطى مذحج - وصاحبهم عمرو بن الحجاج الزبيدي - سبعة رؤوس.

وأعطى باقي الناس: ثلاثة عشر رأساً.

وأرسل ابن سعد في عصر اليوم العاشر رأس الحسين عليه السلام مع خولى بن زيد الأصبحي، وحמיד بن مسلم الأزدي وسرح رؤوس أهل بيته وأصحابه مع الشمر، وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج.

(١) زاد في المقتل: باتفاق الرواة، وفي البحار: باتفاق الروايات.

(٢) بحار الأنوار ٤٥: ٦٠، عوالم العلوم ١٧: ٣٠٤.

وجاءت القبائل بالرؤوس إلى ابن زياد في الكوفة في اليوم الحادي عشر أو الثاني عشر من المحرم، فجاز البعض منهم جائزة يسيرة، وحرّم الآخرين.

خسائر ابن سعد

وأقام عمر بن سعد يومه ذاك بعد الواقعة إلى الغد، فجمع قتلاه فصلّى عليهم ودفنهم، وترك الحسين وأصحابه منبوزين بالعراء، فلمّا ارتحلوا إلى الكوفة وتركوهم على تلك الحال عمد أهل الغاضرة من بني أسد فصلّوا عليهم ودفنوهم.^(١)

أما حجم الخسائر في جيش ابن سعد فكانت جسيمة للغاية، فقد دمر أصحاب الإمام على قتلهم جميع كتائب ذلك الجيش، وأنزلوا به أفدح الخسائر، فأشاعوا في أرباض الكوفة الثكل والحداد.

يقول بعض المؤرخين: أنّهم لم يتركوا بيتاً في الكوفة إلّا وبه نائحة، أما ما يدعم ذلك فهي التصريحات التي أدلى بها بعض قادة الفرق عن فزعهم وذعرهم بما منوا به من الخسائر.

أمّا تقدير الخسائر فتنصّ بعض المقاتل على أنّ عدد القتلى من جيش ابن سعد كانوا ثمانية آلاف وثمانين رجلاً، وفيما أحسب أنّ هذا العدد مبالغ فيه، وإنّ القتلى دون ذلك.

وذكر ابن الأثير أنّ القتلى كانوا ثمانية وثمانين سوى الجرحى^(٢)، وهذا القول لا نصيب له من الصحة، والغاية منه التقليل من أهمية معسكر الحسين عليه السلام، فإنّ من

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٦٢.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٣: ٢٩٦.

المقطوع به أنهم أنزلوا بجيش ابن سعد الهزائم وألحقوا به أفدح الخسائر، حتى ضجَّ العسكر من كثرة من قتل منهم، ومن الطبيعي أن ذلك لا يتفق مع هذا العدد القليل.^(١)

قال الراوي: ولما سَير ابن سعد الرؤوس إلى الكوفة عصر اليوم العاشر من المحرم، أقام مع الجيش إلى زوال يوم الحادي عشر من المحرم، فجمع قتلاه، وصلى عليهم ودفنهم. وترك سيّد شباب أهل الجنة مع أهل بيته وصحبه بلا دفن في العراء تسقى عليهم الريح، ويزورهم الوحش.

ما إن بقيت من الهوانِ على الثرى ملقى ثلاثاً في رُبىٍّ ووهاد
إلا لكي تقضي عليك صلاتها زمرُ الملائك فوق سبع شداد

احصاء عن ثورة كربلاء

لا يخفى ما للاحصاء من دور في إبراز معالم أوضح عن أي موضوع أو حادثة، ولكن نظراً لاختلاف النقل التاريخي والمصادر في حادثة كربلاء وما سبقها وما تلاها من أحداث، لا يمكن الركون إلى احصاء دقيق ومتفق عليه، وقد تجد أحياناً تفاوتاً كبيراً فيما نقل عنها، ومع ذلك نرى أن عرض بعض الاحصائيات يجعل ثورة كربلاء أكثر تجسيدا ووضوحاً، ولهذا السبب ننقل فيما يلي بعض النماذج والارقام^(٢).

١ - امتدت فترة قيام الإمام الحسين عليه السلام من يوم رفضه البيعة ليزيد وحتى يوم عاشوراء ١٧٥ يوماً؛ ١٢ يوماً منها في المدينة، وأربعة أشهر وعشرة أيام في مكة، و٢٣ يوماً في الطريق من مكة إلى كربلاء، وثمانية أيام في كربلاء (٢ إلى ١٠

(١) حياة الامام الحسين ٣: ٣١٤.

(٢) القسم الاعظم من هذا الاحصاء منقول عن كتاب «حياة أبو عبدالله»، عماد زاده. و «وسيلة الدارين في انصار الحسين»، للسيد إبراهيم الموسوي. و «ابصار العين»، للسماوي.

محرم).

٢ - عدد المنازل بين مكة والكوفة والتي قطعها الإمام الحسين عليه السلام حتى بلغ كربلاء هي ١٨ منزلاً. (معجم البلدان).

٣ - المسافة الفاصلة بين كل منزل وآخر ثلاثة فراسخ وأحياناً خمسة فراسخ.

٤ - عدد المنازل من الكوفة إلى الشام والتي مرّ بها أهل البيت وهم سبأيا ١٤ منزلاً.

٥ - عدد الكتب التي وصلت من الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام في مكة تدعوه فيها إلى القدوم هي ١٢٠٠٠ كتاباً (وفقاً لنقل الشيخ المفيد).

٦ - بلغ عدد من بايع مسلم بن عقيل في الكوفة ١٨٠٠٠ أو ٢٥٠٠٠؛ وقيل: ٤٠٠٠٠ شخص.

٧ - عدد شهداء كربلاء من أبناء أبي طالب الذين وردت أسماؤهم في زيارة الناحية ١٧ شخصاً. وعدد شهداء كربلاء من أبناء أبي طالب ممن لم ترد أسماؤهم في زيارة الناحية هم ١٣ شخصاً. كما واستشهد ثلاثة أطفال من بني هاشم، فيكون بذلك مجموعهم ٣٣ شخصاً، وهم كما يلي:

الإمام الحسين عليه السلام.

أولاد الإمام الحسين عليه السلام : ٣ أشخاص.

أولاد الإمام علي عليه السلام : ٩ أشخاص.

أولاد الإمام الحسن عليه السلام : ٤ أشخاص.

أولاد عقيل : ١٢ شخصاً.

أولاد جعفر : ٤ أشخاص.

٨ - بلغ عدد الشهداء الذين وردت أسماؤهم في زيارة الناحية المقدسة

وبعض المصادر الأخرى - باستثناء الإمام الحسين عليه السلام وشهداء بني هاشم - ٨٢ شخصاً. ووردت أسماء ٢٩ شخصاً غيرهم في المصادر المتأخرة.

٩ - بلغ مجموع شهداء الكوفة من أنصار الإمام الحسين عليه السلام ١٣٨ شخصاً، وكان ١٤ شخصاً من هذا الركب الحسيني غلماناً (عبيداً).

١٠ - كان عدد رؤوس الشهداء التي قُسمت على القبائل واخذت من كربلاء إلى الكوفة: ٧٨ رأساً مقسمة على النحو التالي:

قيس بن الاشعث رئيس بني كندة: ١٣ رأساً.

شمر، رئيس هوازن: ١٢ رأساً.

قبيلة بني تميم: ١٧ رأساً.

قبيلة بني اسد: ١٧ رأساً.

قبيلة مذحج: ٦ رؤوس

أشخاص من قبائل متفرقة: ١٣ رأساً.

١١ - كان عمر سيد الشهداء حين شهادته ٥٨ سنة عاش منها سبع سنوات مع جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وثلاثون سنة مع أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام، وعشر سنوات مع أخيه الحسن عليه السلام واحدى عشرة سنة مدّة خلافته.^(١)

(١) الارشاد للمفيد ٢: ١٣٣، أنساب الأشراف ٣: ٢١٩، وهناك أقوال أخرى منها:

قال المسعودي: قتل الحسين وعمره كان ٥٥ عاماً. (مروج الذهب ٣: ٦٢).

قال الطبري الشيعي: كان عمر الإمام الحسين عليه السلام حين شهادته ٥٧ عاماً. (دلائل

الامامة: ٧٠).

وقال ابن الجوزي: استشهد الحسين صلوات الله عليه يوم عاشوراء المصادف يوم الجمعة في شهر محرم سنة ٦١ هجري، وكان سنّه يوم استشهاده ٥٦ وخمسة أشهر. (صفة الصفوة ١: ٢٨٧).

وقال أبو الفرج الأصفهاني: كان عمره المبارك ٥٦ سنة وبضعة أشهر كما أشرنا لذلك =

١٢ - بلغت جراح الإمام عليه السلام بعد استشهاده: ٣٣ طعنة رمح و ٣٤ ضربة سيف وجراح أخرى من أثر النبال.

١٣ - كان عدد المشاركين في رضّ جسد الإمام الحسين عليه السلام بالخيّل ١٠ أشخاص.

١٤ - بلغ عدد جيش الكوفة القادم لقتال الإمام الحسين عليه السلام ٣٣٠٠٠ مقاتل، وكان عددهم في المرة الاولى ٢٢٠٠٠ وعلى الشكل التالي:

عمر بن سعد ومعه: ٦٠٠٠ مقاتل .

سنان ومعه: ٤٠٠٠ مقاتل .

عروة بن قيس ومعه: ٤٠٠٠ مقاتل .

شمر ومعه: ٤٠٠٠ مقاتل .

شيث بن ربعي ومعه: ٤٠٠٠ مقاتل .

ثم التحق بهم يزيد بن ركاب الكلبي ومعه: ٢٠٠٠ مقاتل .

والحصين بن نمير ومعه: ٤٠٠٠ مقاتل .

والمازني ومعه: ٣٠٠٠ مقاتل .

ونصر المازني ومعه: ٢٠٠٠ مقاتل .

١٥ - نعى سيد الشهداء يوم العاشر من محرّم، عشرة من أصحابه، وخطب في شهادتهم، ودعا لهم أو لعن أعداءهم، وأولئك الشهداء هم: علي الأكبر، العباس، القاسم، عبدالله بن الحسن، عبدالله الرضيع، مسلم بن عوسجة، حبيب بن مظاهر، الحرّ بن يزيد الرياحي، زهير بن القين، وجون. وترخّم على اثنين منهما وهما: مسلم وهانيء.

١٦ - سار الإمام الحسين وجلس عند رؤوس سبعة من الشهداء وهم: مسلم

بن عوسجة، الحرّ، واضح الرومي، جون، العباس، علي الاكبر، والقاسم.
 ١٧ - أُلقي يوم العاشر من محرّم بثلاثة من رؤوس الشهداء إلى جانب الإمام الحسين (عليه السلام) وهم: عبدالله بن عمير الكلبي، عمرو بن جنادة، وعابس بن أبي شبيب الشاكري.

١٨ - قطعت أجساد ثلاثة من الشهداء يوم عاشوراء، وهم: علي الاكبر، العباس، وعبدالرحمن بن عمير.

١٩ - كانت أمّهات تسعة من شهداء كربلاء حاضرات يوم عاشوراء ورأين استشهاد ابنائهن، وهم: عبدالله بن الحسين وأمّه رباب، عون بن عبدالله بن جعفر، وأمّه زينب، القاسم بن الحسن وأمّه رملة، عبدالله بن الحسن وأمّه بنت شليل الجيلية، عبدالله بن مسلم وأمّه رقية بنت علي (عليه السلام)، محمد بن أبي سعيد بن عقيل، عمر بن جنادة، عبدالله بن وهب الكلبي وأمّه أم وهب، وعلي الاكبر (أمّه ليلى كما وردت في بعض الاخبار ولكن هذا غير ثابت).

٢٠ - استشهد في كربلاء خمسة صبيان غير بالغين وهم: عبدالله الرضيع، عبدالله بن الحسن، محمد بن أبي سعيد بن عقيل، القاسم بن الحسن، وعمر بن جنادة الانصاري.

٢١ - خمسة من شهداء كربلاء كانوا من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهم: أنس بن حارث الكاهلي، حبيب بن مظاهر، مسلم بن عوسجة، هانئ ابن عروة، وعبدالله بن بقطر العميري.

٢٢ - استشهد بين يدي أبي عبدالله ١٥ غلاماً وهم: نصر وسعد (من موالى علي (عليه السلام))، منجج (مولى الإمام الحسن (عليه السلام))، أسلم وقارب (من موالى الإمام الحسين (عليه السلام))، الحرث (مولى حمزة)، جون (مولى أبي ذر)، رافع (مولى مسلم الأزدي)، سعد (مولى عمر الصيداوي)، سالم (مولى بني المدينة)، سالم (مولى

العبدى)، شوذب (مولى شاكر)، شيب (مولى الحرث الجابري)، وواضح (مولى الحرث السلماني)، هؤلاء الأربعة عشر استشهدوا في كربلاء، أما سلمان (مولى الإمام الحسين عليه السلام) فقد كان قد بعثه إلى البصرة واستشهد هناك.

٢٣ - أسر اثنان من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ثم استشهدا، وهما: سوار ابن منعم، وموقع بن ثمامة الصيداوي.

٢٤ - استشهد أربعة من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام من بعد استشهاده وهم: سعد بن الحرث وأخوه أبو الحتوف، وسويد بن أبي مطاع (وكان جريحاً)، ومحمد ابن أبي سعيد بن عقيل.

٢٥ - استشهد سبعة بحضور آبائهم وهم: علي الأكبر، عبدالله بن الحسين، عمرو بن جنادة، عبدالله بن يزيد، عبيدالله بن يزيد، مجمع بن عائذ، وعبدالرحمن ابن مسعود.

٢٦ - خرجت خمس نساء من خيام الإمام الحسين عليه السلام باتجاه العدو لغرض الهجوم أو الاحتجاج عليه وهنّ: أمة مسلم بن عوسجة، أمّ وهب زوجة عبدالله الكلبي، أمّ عبدالله الكلبي، زينب الكبرى، وأمّ عمرو بن جنادة.

٢٧ - المرأة التي استشهدت في كربلاء هي أمّ وهب (زوجة عبدالله بن عمير الكلبي).

٢٨ - النساء اللواتي كن في كربلاء، هنّ: زينب، أمّ كلثوم، فاطمة، صفية، رقية، وأمّ هانئ (هؤلاء الستة من بنات أمير المؤمنين)، وفاطمة وسكينة (بنات الإمام الحسين عليه السلام)، ورباب، وعاتكة، وأمّ محسن بن الحسن، وبنت مسلم بن عقيل، وفضة النوية، وجارية الإمام الحسين، وأمّ وهب بن عبدالله.

الذين استشهدوا مع الإمام الحسين كانوا يتألفون من جماعة من بني هاشم، وآخرين ساروا معه من المدينة، وفئة أخرى انضمت إليه في مكة أو على طول

الطريق، كما استطاع جماعة من أهل الكوفة من الالتحاق بركبه، أمّا الذين استشهدوا في الكوفة قبل الواقعة ويدخلون في عداد أصحابه فقد كان عددهم ستّة أشخاص وهم: عبدالأعلى بن يزيد الكلبي، عبدالله بن بقطر، عمارة بن صلخب، قيس بن مسهر الصيداوي، مسلم بن عقيل، وهانيء بن عروة.

شهداء بني هاشم: هناك اجماع على أنّ ١٧ شهيداً من شهداء كربلاء هم من بني هاشم، وهم كل من: علي بن الحسين الأكبر، العباس بن علي بن أبي طالب، عبدالله بن علي بن أبي طالب، جعفر بن علي بن أبي طالب، عثمان بن علي بن أبي طالب، محمد بن علي بن أبي طالب، عبدالله بن الحسين بن علي، أبو بكر بن الحسن بن علي، القاسم بن الحسن بن علي، عبدالله بن الحسن بن علي، عون بن عبدالله بن جعفر، محمد بن عبدالله بن جعفر، جعفر بن عقيل، عبدالرحمن بن عقيل، عبدالله بن مسلم بن عقيل، عبدالله بن عقيل، ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل^(١).

ونقلت أسماء عشرة آخرين ولكنها غير متيقّنة، وهم كل من: أبو بكر بن علي بن أبي طالب، عبيدالله بن عبدالله بن جعفر، محمد بن مسلم بن عقيل، عبدالله ابن علي أبي طالب، عمر بن علي بن أبي طالب، إبراهيم بن علي بن أبي طالب، عمر بن الحسن بن علي، محمد بن عقيل، وجعفر بن محمد بن عقيل^(٢). الشهداء الآخرون: نورد فيما يلي قائمة باسمائهم سوية نقلاً عن كتاب «أنصار الحسين».

جاء في الكتاب المذكور جدولان للاسماء؛ يتضمن أحدهما الأسماء التي وردت في زيارة الناحية المقدّسة، أو وردت في مصادر أخرى كرجال الشيخ أو

(١) أنصار الحسين، محمد مهدي شمس الدين: ١١١.

(٢) أنصار الحسين: ١١٧، وراجع مجلة «تراثنا العدد ٢» مقالة: «تسمية من قتل مع الحسين».

رجال الطبري. يضم هذا الجدول اسماء ٨٢ شخصاً كآلاتي:

أسلم التركي، أنس بن الحارث الكاهلي، أنيس بن معقل الأصبحي، أم وهب، بُرير بن خضير، بشير بن عمر الحضرمي، جابر بن الحارث السلماني، جبلة بن علي الشيباني، جنادة بن الحارث الأنصاري، جندب بن حجير الخولاني، جون مولى أبي ذر الغفاري، جوين بن مالك الضبيعي، حبيب بن مظاهر، الحجاج ابن مسروق، الحر بن يزيد الرياحي، حلاس بن عمرو الراسبي، حنظلة بن اسعد الشبامي، خالد بن عمرو بن خالد، زاهر مولى عمرو بن الحمق الخزاعي، زهير بن بشر الخثعمي، زهير بن القين البجلي، زيد بن معقل الجعفي، سالم مولى بني المدينة الكلبي، سالم مولى عامر بن مسلم العبدي، سعد بن حنظلة التميمي، سعد بن عبدالله، سعيد بن عبدالله، سوار بن منعم بن حابس، سويد بن عمرو الخثعمي، سيف بن حارث بن سريع الجابري، سيف بن مالك العبدي، حبيب بن عبدالله النهشلي، شوذب مولى شاكر، ضرغام بن مالك، عابس بن أبي شبيب الشاكري، عامر بن حسان بن شريح، عامر بن مسلم، عبدالرحمن بن عبدالرحمن بن عبدالله الارحبي، عبدالرحمن بن عبد ربه الانصاري، عبدالرحمن بن عبدالله بن يزيد العبدي، عبدالله بن يزيد العبدي، عمران بن كعب، عمار بن أبي سلامة، عمار بن حسان، عمرو بن جنادة، عمر بن جندب، عمرو بن خالد الأزدي، عمر بن خالد الصيدائي، عمرو بن عبدالله الجندعي، عمرو بن ضبيعة، عمرو بن قرظة، عمر بن قرظة، عمر بن عبدالله أبو ثمامة الصائدي، عمرو بن مطاع، عمير بن عبدالله المذحجي، قارب مولى الحسين، قاسط بن زهير، قاسم بن حبيب، قرّة بن أبي قرّة الغفاري، قعنّب بن عمر، كردوس بن زهير، كنانة بن عتيق، مالك بن عبد بن سريع، مجمع بن عبدالله العائذي، مسعود بن الحجاج وابنه، مسلم بن عوسجة، مسلم بن كثير، منجح مولى الحسين، نافع بن هلال، نعمان بن عمرو، نعيم بن عجلان، وهب

ابن عبدالله، يحيى بن سليم، يزيد بن حصين الهمداني، يزيد بن زياد الكندي، يزيد ابن نبيط.

ويحتوي الجدول الثاني على أسماء الشهداء الذين ذكرتهم المصادر المتأخرة من أمثال: الزيارة الرجبية، ومناقب ابن شهر آشوب، ومثير الاحزان، واللّهوف، وعددهم ٢٩ شخصاً، وهم:

إبراهيم بن الحصين، أبو عمرو النهشلي، حمّاد بن حمّاد، حنظلة بن عمر الشيباني، رميث بن عمرو، زائد بن مهاجر، زهير بن السائب، زهير بن سليمان، زهير بن سليم الأزدي، سلمان بن مضارب، سليمان بن سليمان الأزدي، سليمان ابن عون، سليمان بن كثير، عامر بن جليدة (خليدة)، عامر بن مالك، عبدالرحمن ابن يزيد، عثمان بن فروة، عمر بن كناد، عبدالله بن أبي بكر، عبدالله بن عروة، غيلان بن عبدالرحمن، قاسم بن الحارث، قيس بن عبدالله، مالك بن دودان، مسلم بن كناد، مسلم مولى عامر بن مسلم، منيع بن زياد، نعمان بن عمرو، يزيد ابن مهاجر الجعفي.

كان عدد من الشهداء في سن الشباب. استشهدوا مع الإمام الحسين عليه السلام وهم:

علي الاكبر، العباس بن علي، القاسم، عون بن علي، عبدالله بن مسلم، وعون ومحمد ابنا زينب الكبرى، وهب، عمرو بن قرظة، بكير بن الحر، وعبدالله ابن عمير، نافع بن هلال، سيف بن حارث، أسلم، عمرو بن جنادة، مالك بن عبد. ان ثناء الإمام الحسين على أصحابه قد أبرز مكانتهم وخلّد أسماءهم حيث قال: «فاني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي جميعاً خيراً»^(١).

(١) مقتل الخوارزمي ١: ٢٤٦، اللّهوف: ٧٩.

طفلاً مسلماً

وهما محمد وإبراهيم ابنا مسلم بن عقيل، أسرا بعد مقتل الحسين في كربلاء،
وامر ابن زياد بسجنهما، فبقيا في السجن سنة كاملة، ثم أعانهما «مشكور السجان»
- وكان من موالي اهل البيت - على الهروب من السجن، فهربا ليلاً، وأويا الى دار
عجوز كان زوجها في معسكر ابن زياد، ولما علم بهما زوجها «الحارث» اقتادهما
الى جانب الفرات وضرب رقبتيهما والقى جسديهما في الفرات، وأخذ الرأسين الى
ابن زياد لنيل جائزته^(١).

وهناك مدينة تبعد اربعة فراسخ عن كربلاء اسمها المسيّب، تقع الى جوارها
مقبرة عامرة يقال ان فيها قبري ولدي مسلم بن عقيل.

رأس الإمام الحسين عليه السلام

بعد مقتل الإمام الحسين، بلغ جيش الكوفة اقصى درجات الوضاعة
والقسوة، حيث احتزّوا رأسه الشريف، ثم أمر عمر بن سعد فوطاً الفرسان ظهره
وصدره بالخيّل، وحملوا الرأس الشريف مع رؤوس سائر الشهداء على الرماح،
وساروا بها إلى الكوفة والشام لارهاب سائر ابناء الأئمة.

كان لرأس الإمام الحسين في واقعة كربلاء مواقف وحوادث مختلفة منها: ان
رأسه الشريف أحتزّ من القفا^(٢)، ورفع على الرمح، واخذه خولي معه إلى داره
واخفاه في الحجرة أو في التنور، وكان الرأس يتلو القرآن وهو مرفوع على قصبه
في دروب الكوفة، ووضع بين يدي ابن زياد في طشت من ذهب^(٣)، وفي الطريق

(١) راجع القصة في: أمالي الصدوق: ٧٦، بحار الانوار ٤٥: ١٠٠.

(٢) عوالم الإمام الحسين: ٣٠٣ - ٣٠٤.

(٣) أمالي الصدوق: ١٤٠.

إلى الشام كان الرأس سبباً في اسلام راهب كان يتعبد في دير ترسا بقنسرين .

وفي قصر يزيد وضعوه في طشت وأحضره بين يديه ، فاخذ يزيد يضرب على الرأس والثنايا بقضيب كان في يده . وفي خرابة الشام أخذ إلى رقية بنت الإمام الحسين عليه السلام ، وكل واحد من هذه المواقف جدير لوحده بكثير من المراثي المؤلمة ، وقد نظم الشعراء في هذه الوقائع أشعاراً ومراثي كثيرة .

لقد كانت هذه الجريمة البشعة التي لم يسبق لها مثيل وصمة عار على جبين الامويين . وإن ما فعله ابن زياد في رفع ذلك الرأس الشريف على الرمح والتجوال به في ازقة الكوفة ، وهو أول رأس يفعل به هكذا في العهد الاسلامي^(١) .

ان حادثة قطع الرأس الشريف ورفعته فوق الرمح والسير به من مدينة إلى مدينة جاءت حتى في اشعار ومراثي ذلك العصر ، ووصف ذلك العمل بالقبيح والسافل ، وهو ما يظهر مظلومية ثار الله .

فقد جاء في شعر بشير بن حدلم عندما دخل المدينة ليخبر أهلها بشهادة الحسين عليه السلام قوله :

فالجسم منه بكربلاء مقطوع والرأس منه على القناة يُدار

وجاء في شعر زينب عليها السلام لما رأت رأس أخيها على رأس القناة في الكوفة :

يا هلالاً لما استتمّ كمالاً غاله خسفهُ فأبدى غروباً

ما توهمت يا شقيق فؤادي كان هذا مُقدراً مكتوباً

(١) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٢ : ٥٧٤ ، بحار الانوار ٤٥ : ١١٩ ، جاء في بعض النصوص ان أول رأس في الإسلام فعل به ذلك هو رأس عمرو بن حمق الخزاعي الذي قتله معاوية بسبب صحبته لامير المؤمنين عليه السلام .

لقد أدّى هذا التجاوز الصريح - وخلافاً لما كان يرمي إليه يزيد واتباعه في اشاعة الخوف بين الناس - إلى اثارة موجة من المشاعر لبني أميّة، وأدرك أبناء الامّة مدى خبث ذريّة الشجرة الملعونة !!

ارتحال عائلة الحسين سبائاً عصر الحادي عشر

وبعد زوال اليوم الحادي عشر من المحرم أمر ابن سعد حميد بن بكير الأحمرى، فنادى في الناس بالرحيل إلى الكوفة فارتحل ومعه نساء الحسين وبناته وأهل بيته وصبيته وجواريه وعبالات الأصحاب، وكنّ عشرين امرأة، وسيرهن سبائاً على أقتاب الجمال بغير رحل ولا وطاء، وساقوهم كما يساق السبي من الثرك أو الديلم. ومعهم الإمام زين العابدين عليه السلام وعمره - يومئذٍ - ثلاث وعشرون سنة، وهو على بعير ظالع بغير وطاء، وقد أنهكته العلة وأنضاه المرض ومعه ولده الإمام الباقر عليه السلام وله من العمر سنتان وأشهر، ومن أولاد الحسن المجتبي عليه السلام: زيد وعمرو. يقول الشاعر :

يُصلي على المبعوث من آل هاشم ويُغزى بنوه إنَّ ذا لعجيب
وقال آخر :

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعته جدّه يوم الحساب^(١)

السبائا من النساء من بني هاشم

١ - زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام. ^(٢)

(١) الملهوف: ٦٠.

(٢) تنقيح المقال ٣: ٧٩.

- ٢ - أم كلثوم أو زينب الصغرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام.^(١)
- ٣ - فاطمة بنت أمير المؤمنين عليه السلام.^(٢)
- ٤ - فاطمة بنت الامام الحسين عليه السلام.^(٣)
- ٥ - سكينه بنت الامام الحسين عليه السلام.^(٤)
- ٦ - رباب بنت امرؤ القيس، زوجة الامام الحسين عليه السلام.^(٥)
- ٧ - رقية (عمرها اربع سنوات) بنت الامام الحسين عليه السلام.^(٦)
- ٨ - رقية زوجة مسلم بن عقيل.^(٧)
- ٩ - بنت مسلم بن عقيل.^(٨)
- ١٠ - الخوصاء، وتعرف بـ «أم الثغر»، زوجة عقيل وأم جعفر بن عقيل، جاءت مع ابنها إلى كربلاء.^(٩)
- ١١ - أم كلثوم الصغرى، بنت عبدالله بن جعفر وزينب الكبرى، جاءت مع زوجها القاسم بن محمد بن جعفر الى كربلاء، وقد استشهد زوجها يوم عاشوراء.^(١٠)

(١) تنقيح المقال ٣: ٧٣.

(٢) رياحين الشريعة ٣: ٣٠٧.

(٣) العقد الفريد ٤: ١٧١.

(٤) مقاتل الطالبين: ١١٩.

(٥) الكامل في التاريخ ٤: ٨٨.

(٦) نفس المهموم: ٤٥٦.

(٧) رياحين الشريعة ٤: ٢٥٥.

(٨) رياحين الشريعة ٣: ٣١٧.

(٩) تنقيح المقال ٢: ٢٤.

(١٠) ابصار العين: ١٣٠.

- ١٢ - رملة أم القاسم ابن الامام الحسن عليه السلام.^(١)
- ١٣ - شهربانو أم الطفل الرضيع الذي رماه هاني بن ثابت بسهم فقتله، وهي غير شهربانو أم السجاد عليه السلام.^(٢)
- ١٤ - ليلي بنت مسعود بن خالد التميمي، أم عبدالله الأصغر، وهي من زوجات أمير المؤمنين، وهي غير ليلي أم علي الأكبر.^(٣)
- ١٥ - فاطمة بنت الامام الحسن المجتبي عليه السلام وأم محمد الباقر عليه السلام جاءت مع زوجها زين العابدين عليه السلام.^(٤)

السبايا من النساء من غير بني هاشم

- ١ - حسنية خادمة زين العابدين عليه السلام جاءت مع ابنها منجى الى كربلاء الذي نال شرف الشهادة في كربلاء.^(٥)
- ٢ - زوجة عبدالله بن عمير الكلبي التي جاءت مع زوجها إلى كربلاء وكانت تحت زوجها على القتال بين أبي عبدالله الحسين عليه السلام.^(٦)
- ٣ - فكيهة أم قارب بن عبدالله بن اريقط، حيث جاء قارب مع أمه فكيهة - خادمة رباب زوجة الامام الحسين عليه السلام - من مكة إلى كربلاء واستشهد في الحملة

(١) رياحين الشريعة ٣: ٣٠٩.

(٢) رياحين الشريعة ٣: ٣٠٩.

(٣) رياحين الشريعة ٣: ٣٠٨.

(٤) رياحين الشريعة ٣: ١٥.

(٥) تنقيح المقال ٣: ٢٤٧، رياحين الشريعة ٣: ٣١٨.

(٦) تنقيح المقال ٢: ٢٠١.

الأولى (١).

٤ - بحريّة بنت مسعود الخزرجي والتي جاءت مع زوجها جنادة بن كعب وابنها عمرو بن جنادة إلى كربلاء، وقد استشهد زوجها وابنها في المعركة. (٢)

٥ - جارية مسلم بن عوسجة الأسدي والتي صرخت بعد شهادة مسلم بن عوسجة: «يا بن عوسجته، يا سيّده» (٣).

وذكر البعض أنّها أمّ خلف زوجة مسلم بن عوسجة. (٤)

٦ - فضّة خادمة الزهراء، حيث ذكر البعض حضورها في كربلاء. (٥)

وقد ذكر البعض أنّ عدد الأسرى من بني هاشم من الرجال بلغ ثمانية أشخاص، وذكر ابن عبد ربّه في العقد الفريد أنّ عدد الشباب الأسرى بلغ اثني عشر شخصاً (٦).

مرور السبايا على مصارع القتلى

فقالت النسوة للموكّلين بهم: بالله عليكم إلّا ما مررتم بنا على مصرع الحسين والقتلى من أهل بيته وأصحابه؟ فمروا بهنّ على مصارع القتلى.

فلما نظرن إليهم مقطّعي الأوصال، قد طعمتهم سمر الرماح، ونهلت من

(١) تنقيح المقال ٢: ١٨.

(٢) تنقيح المقال ٢: ٣٢٧.

(٣) نفس المهموم ٢٦٥.

(٤) رباحين الشريعة ٣: ٣٠٥.

(٥) الكافي ١: ٤٦٥.

(٦) العقد الفريد ٤: ١٧١.

دمائهم بيضُ الصفاح وطحتهم الخيلُ بسنابكها صحن وولولن ولطنن الخدود.^(١)

حالة آل محمد ﷺ حين المرور على مصارع القتلى

وجعلت زينب ابنة علي عليه السلام تحدّ النظر إلى جسم أخيها الحسين، وأخذت تزيح عنه قطع السيوف وحُطام الرماح وفلول السهام والحجارة المتكورة، وهي تنادي بصوتٍ حزين وقلبٍ كئيب:

يا محمدا، صلّى عليك ملك السماء، هذا حسين بالعرّاء، مرّئلاً بالدماء،
مقطّع الأعضاء، محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء، يا محمدا،
وبناتك سباياً، وذريتك مقتلة تسفي عليهم ريحُ الصبا، بأبي من عسكره في يوم
الإنّين نُهباً، بأبي من فسطاطه مقطّع العرى، بأبي من لا هو غائبٌ فيرتجى، ولا هو
مريضٌ فيداوى، بأبي المهموم حتى قضى، بأبي العطشان حتى مضى، بأبي من
شيبته تقطر بالدماء، بأبي من جدّه رسول إله السماء، بأبي من هو سبط نبي
الهدى، بأبي محمد المصطفى، بأبي خديجة الكبرى، بأبي علي المرتضى، بأبي
فاطمة الزهراء سيّدة النساء، بأبي من رُدّت له الشمس وصلّى.^(٢)

قال الراوي: فأبكت والله كل عدوّ وصديق حتى جرت دموع الخيل
على حوافرها.

ثم وقفت على جسده الشريف بخشوع وتأمل وبسطت يديها تحت الجثمان
المقدّس ورفعته نحو السماء وقالت: «الهي تقبل منّا هذا القربان».^(٣)

(١) مثير الأحزان: ٤١، المنتخب للطريحي: ٣٣٢.

(٢) الكامل في التاريخ ٤: ٨١، الملهوف: ٥٦.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ٤: ١١٣.

وعندما رأت زينب جثث أصحاب الرسول ﷺ قالت :

يا حُزنَاهُ، يا كُربَاهُ، اليوم مات جدِّي رسول الله، يا أصحاب محمّدا، هؤلاء
ذُرِّيَّة المصطفى يُساقون سوق السبايا .^(١)

ربية عصمة طهّرت وطابت	وفاقت في الصّفات وفي الفعّال
فكانت كالأئمة في هداها	وإنقاذ الأنّام من الضلال
وكان جهادها بالقول أمضى	من البيض الصّوارم والنضال
وكانت في المصلّى إذ تُناجي	وتدعو الله بالدمع المُذال
ملائكة السماء على دُعاها	تؤمن في خضوع وابتهاال
روت عن أمها الزهرا علوماً	بها وصلت إلى حدّ الكمال
مقاماً لم تكن تحتاج فيه	الى تعلیم علمٍ أو سؤال
ونالت رتبة في الفخر عنها	تأخّرت الأواخر والأوالي
فلولا أمها الزهراء سادت	نساء العالمين بلا جدال ^(٢)

واعتنقت سكينتهُ جسد ابیها الطاهر، وهي تندبه وتبكيه وتودّعه، وكانت
تحدّث أنّها سمعته يقول:

شييعتي ما إن شربتم عذب ماءً فاذكروني
أو سمعتم بفريبٍ أو شهيدٍ فاندبوني
ولم يستطع أحد أن يُنحّيها عنه، حتى اجتمع عليها عدّة من الأعراب فجرّوها

عنه.

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٥٩.

(٢) زينب الكبرى للنقدي: ص ١٧٣.

ومذعورة باليتم قد ريع قلبها كطير عليه الصقر قد هجم الوكرا
أهابت بها من هجمة الخيل صرخة على ثكلها باليتم فاضطربت ذعرا
وفرت الى الثاوي على جمرة الثرى وقد أرسلت من جفنها فوقه نهرا
وأهوت على جسم الحسين فضمها إلى صدره ما بين يمناه واليسرى
تلوذ به حسرى القناع مروعة وعزّ عليه أن يشاهدها حسرى
فما تركتها تستجير سياطهم بجسم أبيها حينما انتزعت قسرى^(١)
وأما الإمام زين العابدين عليه السلام، فانه لما نظر إلى أبيه والقتلى من آل بيته، مجزرين
على وجه الأرض، مرملين بدمائهم، وبينهم بضعة الزهراء ووليد الامامة، وربيب
النبوة وسيد شباب أهل الجنة بحالة تنفطر لها السماوات، وتخرّ لها الجبال هدّاً.
قالوا: فعظم عليه ذلك المنظر المؤلم، واشتدّ قلقه، وعظم عليه الحزن
والمصاب، وكادت روحه أن تخرج.
فلما تبينّت ذلك منه عمته العقيلة زينب ابنة علي عليه السلام التفتت اليه وأخذت
تصبره.

روى ابن قولويه في كامله، عن الامام زين العابدين عليه السلام أنه قال:
«لما اصابنا بالطف ما اصابنا، وقُتل أبي الحسين، وقُتل من كان معه من
ولده وإخوته وسائر أهله، وحُمِلت حرمة ونساؤه على الأقتاب، يُراد بنا الكوفة،
فجعلت انظر اليهم صرعى ولم يُواروا، فعظم ذلك في نفسي، واشتدّ لما أرى منهم
قلقي، فكادت نفسي تخرج، وتبينّت ذلك منّي عمّتي زينب بنت علي الكبرى،
فقالَت:

مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وإخوتي؟

(١) من قصيدة للشيخ عبد المنعم الفرطوسي.

فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع، وقد رأيت سيدي وإخوتي وعموتي وأهلي
مُضْرَجِينَ بِدُمَائِهِمْ، مُرْمَلِينَ بِالْعَرَاءِ، مُسْلَبِينَ لَا يُكْفَنُونَ وَلَا يُوَارُونَ، وَلَا يَعْرِجُ
إِلَيْهِمْ أَحَدٌ، وَلَا يَقْرِبُهُمْ بَشَرٌ كَأَنَّهُمْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنَ الدَّيْلَمِ وَالْخَزَرِ.

فَقَالَتْ: لَا يَجْزِعَنَّكَ مَا تَرَى، فَوَاللَّهِ، إِنْ ذَلِكَ لَعَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى جَدِّكَ
وَأَبِيكَ وَعَمِّكَ، وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ أَنَاسٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، لَا تَعْرِفُهُمْ فِرَاعِنَةَ هَذِهِ
الْأَرْضِ، وَهُمْ مَعْرُوفُونَ فِي أَهْلِ السَّمَاوَاتِ: إِنَّهُمْ يَجْمَعُونَ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ الْمَتَفَرِّقَةَ
فِيوَارُونَهَا، وَهَذِهِ الْجُجُومَ الْمَضْرُجَةَ فَيَدْفِنُونَهَا، وَيَنْصُبُونَ بِهَذَا الطِّفِّ عِلْمًا لِقَبْرِ
أَبِيكَ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ لَا يُدْرُسُ أَثَرُهُ، وَلَا يَغْفُو رَسْمُهُ عَلَى كُرُورِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ،
وَلَيَجْتَهِدَنَّ أُمَمَةُ الْكُفْرِ وَأَشْيَاعُ الضَّلَالِ فِي مَحْوِهِ وَتَطْمِيسِهِ، فَلَا يَزْدَادُ أَثَرُهُ إِلَّا
ظُهُورًا، وَأَمْرُهُ إِلَّا عُلُوقًا...».

لله صبرٌ زينب العفيفة	فكم رأت مصائباً مهولة
رأت من الخطوب والرزايا	أمراً تهونُ دونه المنايا
رأت كرام قومها الأماجد	مجزّرين في صعيدٍ واحد
تسفي على جسومها الرياحُ	وهي لذوبان الفلا تُباح
رأت عزيز قومها صريعاً	قد ورّعوه بالظبي توزيعاً
رأت رؤوساً بالقنا تشال	وجثثاً أكفانها الرمال
رأت رضيعاً بالسهام يفظم	وصبية بعد أبيهم أيتما
رأت شماتة العدو فيها	وصنعه ما شاء في أخيها ^(١)

وهكذا وقعت النسوة على مصارع قتلاهنّ ينحنّ ويبكين ويندبن وأطلن
المقام والنياحة على جُجُوم القتلى. فأتاهن زجر بن قيس وصاح بهنّ، فلم يقمن،

(١) المقبولة الحسينية للشيخ هادي كاشف الغطاء : ٦١ .

فأخذ يضربهنّ بالسوط، واجتمع عليهنّ الناس حتى اركبوهنّ على الجمال قهراً^(١).

سبايا آل محمد إلى الكوفة

وسيّروهنّ إلى الكوفة سبايا على اقتاب المطايا بالذلّ والهوان.

وركبت العقيلة زينب الكبرى ناقتها العجفاء، فتذكرت ذلك العزّ الشامخ والحرّم المنيع والخدر المصون الذي قال فيه السيّد حيدر الحلي:

كانت بحيث عليها قومها ضربت سرادقاً أرضه من عزّهم حرّم
يكاد من هيبه أن لا تطوف به حتى الملائك لولا أنهم خدّم
وإذا بها اليوم في حالة يرق لها الشامت، ويبكي لها العدو:

فلا مثل عزّ كان بالأمس عزّها ولا مثل حال عاد في اليوم حالها
إلى اين مسراها واين مصيرها ومن هو مأواها ومن ذا مالها
ومن ذا ثمال الظن إذ هي سيّرت يضيق في أن ابن سعد ثمالها
على أي كتف تنكي حين رُكبت وجمالها زجر وشمس جمالها
وما هان ثكل عندها غير أنه أمض مصاباً هتكها وابتذلها^(٢)

دفن الأجساد الطاهرة

قد غير الطعن منهم كلّ جارحة إلّا المكارم في أمن من الغير
ولقد أجمع أرباب السير والمقاتل: أن قوماً من بني أسد كانوا نزولاً
بالغاضرية حول كربلاء، هم الذين تولّوا دفن الحسين عليه السلام، وأهل بيته وأنصاره - في

(١) تظلم الزهراء: ١٧٧.

(٢) أبيات للفقير الجليل الشيخ محمد طاهر الشيخ راضي.

اليوم الحادي عشر - أو الثاني عشر على الأصح - بعدما صلّوا عليهم - في الأمكنة التي هي عليه الآن - كما عليه الطبري وابن الأثير في تأريخهما بحوادث سنة ٦١ هجرية وإرشاد المفيد، وبحار المجلسي، ولهوف ابن طاووس وغيرها - .

وللإطلاع على تفصيل قصة الدفن وأنه كان بإشراف من الامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام نقل القصة عن السيد نعمة الله الجزائري في كتابه (الأنوار النعمانية) والدربندي في كتابه (اسرار الشهادة)، والسيد العظيمي في كتاب (الإيقاد) وعن كتاب (الكبريت الأحمر) أيضاً للتستري وغيرها. وهي هكذا:

«لما ارتحل عسكر ابن سعد من كربلاء عصر اليوم الحادي عشر من المحرم؛ وساروا بالسبايا والرؤوس إلى الكوفة، نزلت طائفة من بني اسد في مكانهم إلى جنب نهر العلقمي، وبنوا بيوتهم هناك. فخرجت نساؤهم يستقين من الفرات في اليوم الثالث بعد قتل الحسين عليه السلام فمروا في طريقهم على المعركة، وإذا هن يرين جثثاً حول المسناة، وأخرى نائية عن الفرات، وبينهن جثّة قد جللتهم بأنوارها وعطّرتهم بطيبتها، وهي مطروحة على وجه الصعيد تشخب دماؤهم، كأنهم قد قتلوا ليومهم. فتصارخن النساء وقلن: هذا والله الحسين وأهل بيته وصحبته.

فرجعن إلى رجالهنّ صارخات، وقلن لهم: يا بني أسد، أنتم جلوس في بيوتكم وهذا الحسين وأهل بيته وأصحابه مجزّرون كالأضاحي على الرمال، تسفي عليهم الرياح، فبماذا تعتذرون من رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء إذا وردتم عليهم، حيث انكم لم تتصروا أولادهم ولا دافعتم عنهم بضربة سيف ولا بطعنة رمح، ولا بجذبة سهم.

فقالوا: انا نخاف من بني أمية.

فقلن لهم: ان فاتكم نصره تلك العصابة فقوموا الآن إلى مواراة أجسادهم، فان

لم تدفنوها تتولّى دفنها بأنفسنا.

فجاء الرجال إلى المعركة - وقد وضعوا لهم عيناً ينظر إلى طريق الكوفة - .
فصارت همّتهم أولاً مواراة جثة الحسين (عليه السلام) فجاءوا إلى الجسد الطاهر، وقد عرفوه بلامح الإمامة وأنوار النبوة، وصار لهم حوله بكاءً وعويل، وحاولوا تحريك عضو من أعضائه، فلم يتمكنوا.
فقال كبيرهم - وقد أقرّوا رأيهم - نجتهد أولاً في دفن أهل بيته واصحابه، وبعد ذلك نرى رأينا فيه.

فقال أحدهم: كيف يكون دفنكم لهم وما فيكم من يعرف من هذا ومن هذا، وهم - كما ترون - جثثٌ بلا رؤوس، قد غيّرت معالمهم الشمس والتراب.

فلربّما نسئل عنهم فما الجواب؟

فبينما هم كذلك إذا بفارس قد طلع عليهم من جانب الكوفة وقد ضيق لثامه.
فلما رآوه انكشفوا عن الجثث الزواكي.

فأقبل الفارس ونزل عن ظهر جواده، وجعل يتخطى القتلى واحداً بعد واحد - وهو منحني الظهر - حتى إذا وقع نظره على جسد الحسين (عليه السلام) رمى بنفسه عليه، واحتضنه وجعل يشمه تارةً، ويقبله أخرى، وهو يبكي وقد بلّ لثامه من دموع عينيه، وهو يقول: «يا ابتاه بقتلك قرّت عيون الشامتين، يا أبتاه بقتلك فرحت بنو أمية، يا ابتاه بعدك طال حزننا، يا أبتاه بعدك طال كربنا».

ثم التفت إلى بني أسد وقال لهم: لِمَ كان وقوفكم حول هذه الجثث؟

قالوا: أتينا لتفريح عليها.

قال: ما كان هذا قصدكم.

قالوا: إعلم يا أخا العرب، الآن نُطْلَعُكَ عَلَى مَا فِي ضَمَائِرِنَا. أَنَا أَتَيْنَا لِنُوَارِيَ جَسَدَ الْحُسَيْنِ وَأَجْسَادَ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ. فَلَمَّا طَلَعْتَ عَلَيْنَا خَشِينَا أَنْ تَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ زِيَادٍ، فَانْكَشَفْنَا عَنْ تِلْكَ الْجَنَّةِ.

فَعِنْدَ ذَلِكَ خَطَّ الْأَعْرَابِيُّ لِبْنِي أَسَدٍ خَطًّا فِي الْأَرْضِ وَقَالَ لَهُمْ: احْفَرُوا هَاهُنَا، فَفَعَلُوا. فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَضَعُوا فِيهَا سَبْعَةَ عَشَرَ جَنَّةً.

ثُمَّ خَطَّ لَهُمْ خَطًّا آخَرَ فِي الْأَرْضِ قَرِيباً مِنَ الْأَوَّلِ، وَقَالَ لَهُمْ: احْفَرُوا هَاهُنَا، فَفَعَلُوا، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَضَعُوا بَاقِيَ الْجَنَّةِ فِيهَا.

وَاسْتَشْنَى جَنَّتَهُ وَاحِدَةً، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَشَقُّوا لَهَا ضَرْحاً مَمَّا لِي الرِّأْسِ الشَّرِيفِ، فَفَعَلُوا، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يُنْزِلُوا تِلْكَ الْجَنَّةَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ.

ثُمَّ إِنَّهُ عليه السلام تَخَطَّى قَرِيباً مِنْ جَنَّةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، وَأَهَالِ يَسِيرًا مِنَ التُّرَابِ، فَبَانَ قَبْرٌ مُحْفُورٌ وَلِحْدٌ مَشَقُوقٌ - حَفَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم كَمَا فِي رِوَايَةِ أُمِّ سَلَمَةَ فِي رُؤْيَا رَأَتْهَا - فَتَقَرَّبَ الرِّجَالُ لِيَعِينُوهُ عَلَى دَفْنِ تِلْكَ الْجَنَّةِ الطَّاهِرَةِ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ لَهُمْ بِخُضُوعٍ وَخُشُوعٍ: أَنَا أَكْفِيكُمْ أَمْرَهُ. فَقَالُوا لَهُ: يَا أَخَا الْعَرَبِ، كَيْفَ تَكْفِينَا أَمْرَهُ، وَكَلَّنَا قَدْ اجْتَهَدْنَا عَلَى تَحْرِيكِ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ فَلَمْ نَتِمَكَّنْ.

فَبَكَى عليه السلام وَقَالَ: إِنْ مَعِيَ مَنْ يَعِينُنِي عَلَيْهِ.

ثُمَّ إِنَّهُ بَسَطَ كَفَّيْهِ تَحْتَ ظَهْرِهِ الشَّرِيفِ وَقَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، هَذَا مَا وَعَدَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ» - ثُمَّ أَنْزَلَهُ وَحْدَهُ وَلَمْ يُشْرِكْ مَعَهُ أَحَدًا.

وَلَمَّا أَقْرَهَ فِي لِحْدِهِ وَضَعَ خَدَّهُ عَلَى نَحْرِهِ الشَّرِيفِ، وَهُوَ يَبْكِي وَيَقُولُ:

«طُوبَى لَأَرْضٍ تَضَمَّنَتْ جَسَدَكَ الطَّاهَرَ، أَمَا الدُّنْيَا فَبَعْدَكَ مَظْلَمَةٌ، وَأَمَا الْآخِرَةُ فَبِنُورِكَ مَشْرُوقَةٌ، أَمَا الْحُزْنُ فَسَرْمَدٌ، وَأَمَا اللَّيْلُ فَمَسْهَدٌ. حَتَّى يَخْتَارَ اللَّهُ لِأَهْلِ

بيتك دارك التي أنت فيها مقيم، وعليك منّي السلام يا ابن رسول الله، ورحمة الله وبركاته».

ثم خطّ باصبعه على الأرض: هذا قبر الحسين بن علي بن أبي طالب الذي قتلوه عطشاناً غريباً.

ثم التفت إلى بني أسد وقال: انظروا هل بقي أحد؟ فقالوا: نعم يا أبا العرب: بقي بطلٌ مطروح حول المسناة - وحوله جتان - وكلما حملنا منه جانباً سقط الآخر، لكثرة ضرب السيوف وطعن الرماح ورشق السهام.

فقال: امضوا بنا اليه. فمضينا اليه، فلما رآه انكبّ عليه يقبله ويقول: «على الدينأ بعدك العفا - يا قمر بني هاشم - وعليك منّي السلام من شهيدٍ محتسب ورحمة الله وبركاته».

ثم أمرهم أن يشقّوا له ضريحاً، فأنزله فيه وحده، ولم يُشرك معه أحداً. وأُشْرِج عليه اللين. ثم أمرهم بدفن الجثتين حوله، ففعلوا. ثم مضى الأعرابي إلى جواده، فداروا حوله وسألوه عن نفسه وعن تلك الأجساد الزواكي.

فقال لهم: أما ضريح الحسين عليه السلام فقد علمتموه. وأما الحفيرة الأولى، ففيها أهل بيته، والأقرب منهم ولده علي الأكبر. وأما الحفيرة الثانية، ففيها أصحابه. وأما القبر المنفرد ممّا يلي الرأس الشريف فهو لحامل راية الحسين حبيب بن مظاهر الأسدي.

وأما البطل المطروح حول المسناة فهو العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأما الجثمان فهما أولاد أمير المؤمنين عليه السلام.

فاذا سألكم سائل بعدي فأعلمو بذلك.

فقالوا له: يا أخا العرب، نسألك بحق الجسد الذي واريتَه بنفسك ولم تُشرك معك أحداً منّا: من أنت؟

فبكى بكاءً شديداً وقال: أنا إمامكم علي بن الحسين.

فقالوا: أنت علي بن الحسين؟ قال نعم، ثم غاب عن أبصارهم.

مدفن الرأس الشريف

لقد اختلف المؤرخون وأرباب المقاتل - من الفريقين - اختلافاً كبيراً في موضوع مدفن رأس الحسين عليه السلام وبعض رؤوس أهل بيته.

ف قيل: إنه دفن بجانب قبر أبيه أمير المؤمنين عليه السلام وعند رأسه الشريف.

وعليه روايات كثيرة عن الأئمة الأطهار عليهم السلام تُشير إلى ذلك، ذكرها الحر العاملي في (وسائله ج ١٠ باب ٣٢ من أبواب المزار وما يناسبه) بعد أبواب العمرة.

وقيل: إنه دفن في البقيع مع أمّه الزهراء عليها السلام، دفنه والي المدينة - يومئذ - عمرو بن سعيد بن العاص، بعد أن سيّره إليه يزيد بن معاوية مع النعمان بن بشير الأنصاري.

ذكر ذلك العماد الحنبلي في (شذرات الذهب: ٦٧/١) والياضي في (مرآة الجنان: ١٤٦/١) وابن كثير في (البداية والنهاية: ٢٠٤/٨) ووسيلة المآل: ص ١٩٤ وابن سعد في طبقاته وغيرهم.

وقيل: في القاهرة، واختلفوا أيضاً في سبب دفنه هناك: فمن قائل بأن العقيلة زينب عليها السلام دفنته هناك - كما في دائرة المعارف الحديثة ص ١٥٢ - ومن قائل: إن

الفاطميين نقلوه من باب الفرديس - في دمشق - إلى (عسقلان) ومنها حمل إلى القاهرة - من طريق البحر - في سنة ٥٤٨ هـ أيام المستنصر بالله العبيدي صاحب مصر - كما في نور الأبصار للشبلنجي: ص ١٢١ - وغيره.

وقيل: انه دفن في دمشق - على اختلاف بين القائلين بهذا القول: انه في حائط، أو في دار الامارة، أو في خزانة يزيد، أو في المقبرة العامة، أو في داخل باب الفرديس في (جامع دمشق)...

قال القرمانى في (أخبار الدول: ص ١٠٩) ط القاهرة: «واختلفوا في مكان دفن فيه رأس الحسين عليه السلام، وفي مسالك الابصار: إنه حمل جسد الحسين ورأسه إلى المدينة المنورة، حتى دفنوه عند قبر أخيه الحسن، وقيل: دفن الرأس بالقاهرة بالمشهد المعروف بباب القرافة. وقيل: إنه دفن راسه عند قبر أمه بالمدينة المنورة، والأصح: إنه دفن في جامع دمشق...».

ولكنّ المشهور عند الشيعة الامامية: أن رأس الحسين عليه السلام بالخصوص، وكذلك بقيّة رؤوس أهل البيت التي حُمِلت إلى الشام كلّها أُعيدت مع الامام زين العابدين وزينب ابنة علي عليه السلام إلى كربلاء يوم الأربعاء ودفنت مع أجسادها، ولذلك أثرت زيارة الأربعين عند الشيعة.

ولعلّ مردّد ذلك إلى طلب الامام زين العابدين عليه السلام رأس أبيه ورؤوس أهل بيته من يزيد بن معاوية حينما عرض له يزيد أن يطلب منه ما يشاء، بعد أن أظهر الأسف والندم على ما فعله ابن زياد في قتل الحسين وأهل بيته الأطهار عليهم السلام. خوفاً من تصدّع كيانه المهزوز.

فقد ذكر صاحب كتاب (حبيب السير): أن يزيد بن معاوية سلّم رؤوس الشهداء إلى علي بن الحسين، فالحقها بالأبدان الطاهرة يوم العشرين من صفر، ثم

توجّه إلى المدينة الطيبة، وقال: «هذا أصحّ الروايات الواردة في مدفن الرأس المكرّم».

وقال ابن الجوزي في (تذكرته: ص ٢٦٥) طبع النجف: «واختلفوا في الرأس على أقوال، أشهرها أنه رُدّه إلى المدينة مع السبايا، ثم رُدّ إلى الجسد بكريلاء فدفن معه، قاله هشام وغيره».

ثم استعرض الأقوال الأخر التي ذكرناها: أنه دفن بالمدينة عند قبر أمه فاطمة عليها السلام وأنه بدمشق، وأنه بمسجد الرقة على الفرات بالمدينة المشهورة، وأنه في القاهرة...

واليه يشير النووي في (نهاية الأرب ج ٢٠ ص ٤٧٧) بنحو عرض أحد الأقوال في الموضوع حيث يقول: (قد اختلف المؤرخون في مقر رأس الحسين، فمنهم من قال: إنه دفن بدمشق، ومنهم من زعم: أنه نقل إلى مرو، ومنهم من يقول: إنه أُعيد إلى الجسد ودفن بالطف، ومنهم من قال: دفن بعسقلان ثم نقل إلى مصر، ومنهم من قال: دفن بالمدينة عند قبر أمه فاطمة عليها السلام...)».

وعلى ذلك الرأي المشهور ابن طاووس في (لهوفه: ص ٨٢) طبع النجف، قال فيه: «وأما رأس الحسين، فروي: أنه أُعيد، فدفن بكريلاء مع جسده الشريف، وكان عمل الطائفة على هذا المعنى المشار إليه...».

ومثل ذلك يرى المجلسي في (بحاره: ج ٤٥ ص ١٤٤) طبع طهران الجديد. وكذلك يرى ابن نُما الحلبي في (مثير الأحزان: ص ٥٨) فانه - بعد أن يذكر الأقوال المختلفة - يقول: «والذي عليه المعول من الأقوال: أنه أُعيد إلى الجسد بعد أن طيف به في البلاد ودُفن معه».

وكذلك يؤرخ القتال في كتابه (روضة الواعظين ص ١٩٢) والطبرسي في

(إعلام الوری: ص ١٥١) ونور الله البحراني في (مقتل العوالم: ص ١٥٤) والشبراوي في كتابه (الإتحاف بحب الاشراف: ص ١٢) والمحدث القمي في كتابه (نفس المهموم: ص ٢٥٣)، والبيروني في كتابه (الآثار الباقية: ج ١ ص ٣٣١) والقزويني في (عجائب المخلوقات: ص ٦٧)، والمناوي في كتابه (الكواكب الدرية: ج ١ ص ٥٧). وكذلك يرى ابن شهر آشوب في (مناقبه): أنه المشهور بين الشيعة، وينقل رأي السيّد المرتضى والشيخ الطوسي في ذلك. إلى غير هؤلاء من أقطاب التاريخ والمقاتل. فلا يبقى لنا مجالاً للتشكيك في ذلك. وكذلك الرأي في بقية الرؤوس المحمولة إلى الشام - على اختلاف بين المؤرخين - في عددها. والله العالم.

الفصل السادس

في الكوفة

ربيبه عصمة طُهرت وطابت وفافت في الصفات وفي الفعالِ
فكانت كالأئمة في هداها وإنقاذ الأنام من الضلالِ
وكان جهادها بالقول أمضى من البيض الصوارم والنضالِ
وكانت في المصلّى إذ تُناجي وتدعو الله بالدمع المُذالِ
ملائكة السماء على دُعائها تُؤمن في خضوع وابتهاهِ
روت عن أمّها الزهراء علوماً بها وصلت إلى حدّ الكمالِ
مقاماً لم تكن تحتاج فيه الى تعليم علمٍ أو سؤالِ
ونالت رتبة في الفخر عنها تأخّرت الأواخر والأوالي
فلولا أمّها الزهراء سادت نساء العالمين بلا جدالِ

زينب في صراع مع المصائب في الكوفة

ثمَّ إنّ عمر بن سعد لعنة الله عليه ارتحل في اليوم الثاني عشر من
مقتل الحسين عليه السلام وساق حرم رسول الله ﷺ كما يساق الأسارى، حافيات
حاسرات مسلّبات باكيات يمشين في أسر الذلّ، حتّى إذا وصل الكوفة خرج
الناس لاستقباله، فجعلوا يبكون ويتوجّعون، وعليّ بن الحسين عليه السلام مريض
قد نهكته العلة، فجعل يقول: إنّ هؤلاء يبكون ويتوجّعون من أجلنا، فمن
قتلنا؟!!

وفي مدخل الكوفة نظرت زينب إلى رأس أخيها الحسين عليه السلام ، تحفّ به رؤوس أهل بيته وأصحابه - على قناةٍ طويلة، والريحُ تلعب بكريمته المقدّسة يميناً وشمالاً - فتضاءل منها هذا الصبر العظيم.

قالوا عند ذلك: «نطحت زينب جبينها بمقدّم المحمل حتى رؤي الدم يسيل من تحت قناعها، وأومأت إلى الرأس بحركة وقالت:

يا هلالاً لَمّا استمّ كمالاً	غاله خسفهُ فأبدى عُروباً
ما توهمت يا شقيق فؤادي	كان هذا مُقدّراً مكتوباً
يا أخي! فاطمة الصغيرة كلّمها	فقد كاد قلبها أن يذوباً
يا أخي! قلبك الشقيق علينا	ما له قد قسى وصار صلياً
يا أخي! لو ترى علياً لدى الأسر	مع اليتيم لا يُطيق جواباً
كلما أوجعوه بالضرب نادا	ك بذلٍ يفيض دمعاً مسكوباً
يا أخي! ضمّه إليك وقربه	وسكّن فؤاده المرعوباً
ما أذلّ اليتيم حين ينادي	بأبيه ولا يراه مجيباً

أول رأس حمل على القناة

ذكر ابن الأَعمش الكوفي: بأنّ رأس الإمام الحسين عليه السلام أوّل رأس في الاسلام حمل على قناةٍ طويلة .

وقال عاصم بن أبي النجود^(١): أوّل رأس حمل في الاسلام على الرمح هو رأس الحسين بن علي عليه السلام وكانت تنظر الى الرأس محمولاً نساء الحسين وعائلته .

(١) وهو من القراء السبعة المعروفين. انظر ترجمته في الاستيعاب ٢: ٥٦٣ .

وقال الجزري: أول رأس حمل على الرمح هو رأس الحسين، ولكن القول الصحيح أنّ رأس عمرو بن الحمق الخزاعي هو أول رأس حمل على الرمح.^(١)

الجمال العارية

قال رجل من أهل الكوفة: كنت جالساً في سوق الكوفة، ولم أعلم عن شهادة الامام الحسين عليه السلام، ولكن الناس كانوا في حيرة ودهشة شديدة، لم أكن أعرف السبب. وفي هذه الأثناء سمعت صوت التكبير والتهليل، فنظرت لكي أعرف السبب، فشاهدت نساء واطفال صغار محمولة على أكتاف الجمال، كانوا ينظرون الى الأرض من الخجل، وفتى مكبل بالسلاسل راكب على الجمل، كان رأسه عارياً، والدم يجري من قدميه، وكان من بين رافعي الرؤوس المقدسة رأيت أحدهم يحمل رأساً مرفوعاً على القناة وكان هذا الرأس يشع نوراً، وآثار القتل لم تكن بادية عليه، وكان هذا الرجل يقول :

أنا صاحب الرمح الطويل أنا صاحب السيف الصقيل

أنا قاتل دين الأصيل

أحدى النساء انبرت من بين الأسرى وقالت :

ومن ناغاه في المهد جبرئيل، ومن بعض خدامه ميكائيل واسرافيل وعزرائيل، ومن عتقاؤه صلصائيل، ومن اهتز لقتله عرش ربّ الجليل، وقل يا ويلك أنا قاتل محمد المصطفى، وعلي المرتضى، وفاطمة الزهراء والحسن المُرَكّي وأئمّة الهدى وملائكة السماء والأنبياء والأوصياء .

(١) نفس المهموم: ٤٠٢.

خطب ملتهبة في الكوفة

يا أمة السوء لا سقياً لربعكم يا أمة لم تُراع جدنا فينا
لو أننا ورسول الله يجمعنا يوم القيامة ما كنتم تقولونا
تُسَيِّرُونَا عَلَى الْاِقْتَابِ عَارِيَةً كأننا لم نُشِيدْ فِيكُمْ دِينَا
بَنِي أُمَيَّةَ مَا هَذَا الْوَقُوفُ عَلَى تلك المصائب لم تصغوا لداعينا
تُصَفِّقُونَ عَلَيْنَا كَفِّكُمْ فِرْحَاناً وأنتم في فجاج الأرض تسبوننا
أليس جدي رسول الله ويلكم أهدى البرية من سبل المضلينا
يا وقعة الطف قد أورثتني حزناً والله يهتك استار المُسيئينا

خطبة زينب ؓ

قال بشير بن خزيم^(١) الأسدي: نظرت إلى زينب بنت علي ؓ فلم أر خفرة
قط أنطق منها كأنما تنطق عن لسان أمير المؤمنين ؓ، فأومت إلى الناس أن
اسكتوا، فسكتت الأصوات، فقالت:

«الحمد لله، والصلاة على محمد رسول الله وعلى آله الطيبين الأخيار.

يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والخذل، أتبيكون؟ فلا رقأت الدمعة، ولا
هدأت الرنة، فإنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، تتخذون
أيمانكم دخلاً بينكم.

ألا وهل فيكم إلا الصلف النطف، والصدر الشنف، وملق الاماء، وغمز
الأعداء؟ أو كمرعى على دمنة، أو كقصّة على ملحودة.

(١) في المقتل: حذيم، وفي مستدركات علم الرجال ٢: ٣٧: جزييم.

ألا ساء ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون.

أتبكون وتنتحبون ؟ إي والله فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتُم بعارها وشنارها، ولم ترحضوها بغسل بعدها أبداً، وأنتى ترحضون قتل سليل خاتم الأنبياء، وسيد شباب أهل الجنة غداً، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم، ومنار حجّتكم، ومدرّة السنّتكم.

ألا ساء ما تزرون، فبعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعي، وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبوئتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلّة والمسكنة.

ويلكم يا أهل الكوفة، أتدرون أيّ كبد لرسول الله ﷺ فريتم؟! وأيّ دم له سفكتُم؟ وأيّ كريمة له أبرزتم؟! وأيّ حريم له أصبتم؟! وأيّ حرمة له انتهكتُم؟! ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِذَا تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً﴾^(١) إن ما جئتم بها لصلعاء عنقاء سوداء فقماء خرقاء شوهاء كطلاع الأرض أو ملء السماء.

أعجبتُم أن مطرت السماء دماً؟ ولعذاب الآخرة أشدّ وأخزى وأنتم لا تنصرون، فلا يستخفّنكم المهل، فإنّه لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثار، كلّاً وإن ربكم لبالمrصاد، فترقّبوا أوّل النحل وآخر صاد^(٢).

ماذا تقولون إذا قال النبيّ لكم	ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقي	منهم أسارى ومنهم ضُرّجوا بدم

(١) مريم: ٨٩ و ٩٠.

(٢) أي قوله تعالى في سورة النحل: ١: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ...﴾، وقوله تعالى في سورة ص: ٨٨: ﴿وَلْتَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ﴾.

ما كان هذا جزائي إذ نصحتُ لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي
 أني لأخشى عليكم أن يحلَّ بكم مثل العذاب الذي أودى على إرم
 قال الرواي : فوالله لقد رأيت الناس حيارى يومئذ ييكون وقد وضعوا أيديهم
 في أفواههم ، ورأيت شيخاً من قدماء أهل الكوفة وقد بكى حتّى اخضلت لحيته
 بدموعه وهو يقول : صدقت المرأة :
 كهولكم خيرُ الكهول ونسلكم إذا عُدَّ نسلُ لا يبور ولا يخزى^(١)

خطبة فاطمة الصغرى^(٢)

وروى زيد بن موسى^(٣) ، قال : حدّثني أبي ، عن جدّي عليه السلام ، قال : خطبت
 فاطمة الصغرى بعد أن ردّت من كربلاء ، فقالت :
 « الحمد لله عدد الرمل والحصى ، وزنة العرش إلى الثرى ، أحمده وأؤمن به
 وأتوكّل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمداً عبده
 ورسوله ﷺ ، وأن ذبحوا آلَه بشطّ الفرات بغير ذحل^(٤) ولا ترات .

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢ : ٤٠ - ٤٢ ، الملهوف : ١٩٠ - ١٩٤ .

(٢) كانت فاطمة بنت الحسين عليه السلام جليلة القدر ، وكان لها المكانة العالية في الدين . كانت تقوم الليل كلّهُ
 وتصوم النهار ، وكانت ممّن يروي الحديث ، كان زوجها هو ابن عمها الحسن بن الحسن عليه السلام ولما
 توفّي نصبت خيمة وأقامت عليه المأتم سنة كاملة .

أدركت عهد الصادق عليه السلام ، وتوفيت عام ١١٧ هـ عن سبعين عاماً في المدينة ودفنت في البقيع .
 راجع : فاطمة بنت الحسين لمحمد هادي الاميني للاطلاع على سيرة حياتها .

(٣) هو زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، توفّي نحو سنة
 « ٢٥٠ » هـ .

انظر في ترجمته ، مقاتل الطالبين : ٥٣٤ ، جمهرة الأنساب : ٥٥ ، الأعلام للزركلي ٣ : ٦١ .
 (٤) الذحل : الحقد والعداوة ؛ يقال : طلب بذحله ، أي بشاره . « الصحاح : ٤ : ١٧٠١ - ذحل - » .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَرِيَ عَلَيْكَ الْكَذِبَ، وَأَنْ أَقُولَ عَلَيْكَ خِلَافَ مَا أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَخْذِ الْعَهْدِ لَوْصِيَّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الْمَسْلُوبِ حَقَّهُ، الْمَقْتُولِ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ كَمَا قُتِلَ وَالِدُهُ بِالْأَمْسِ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، فِيهِ مَعَشَرٌ مُسْلِمَةٌ أَلَسْتُ لَهُمْ تَعْساً لِرُؤُوسِهِمْ، مَا دَفَعْتَ عَنْهُ ضَيْماً فِي حَيَاتِهِ وَلَا عِنْدَ مَمَاتِهِ، حَتَّى قَبِضْتَهُ إِلَيْكَ مَحْمُودِ النَّقِيْبَةِ، طَيِّبِ الْعَرِيْكَةِ، مَعْرُوفِ الْمَنَاقِبِ، مَشْهُورِ الْمَذَاهِبِ، لَمْ تَأْخُذْهُ اللَّهُمَّ فِيكَ لَوْمَةٌ لَا تَمُ، وَلَا عَذْلٌ عَازِلٌ، هَدَيْتَهُ يَا رَبِّ بِالْإِسْلَامِ صَغِيْرًا، وَحَمَدْتَ مَنَاقِبَهُ كَبِيْرًا، لَمْ يَزَلْ نَاصِحًا لَكَ وَلِرِسُوْلِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قَبِضْتَهُ إِلَيْكَ، زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا، غَيْرَ حَرِيصٍ عَلَيْهَا، رَاغِبًا فِي الْآخِرَةِ، مُجَاهِدًا لَكَ فِي سَبِيلِكَ، رَضِيْتَهُ فَهَدَيْتَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

أَمَّا بَعْدُ: يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، يَا أَهْلَ الْمَكْرِ وَالْغَدْرِ وَالْخِيَلَاءِ، إِنَّا أَهْلَ بَيْتِ ابْتِلَانَا اللَّهُ بِكُمْ، وَابْتِلَاكُمْ بِنَا، فَجَعَلَ بِلَاءَنَا حَسَنًا، وَجَعَلَ عِلْمَهُ عِنْدَنَا، وَفَهَمَهُ لَدَيْنَا، فَنَحْنُ عِيْبَةُ عِلْمِهِ، وَوَعَاءُ فَهَمِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَحُجَّةٌ عَلَى الْأَرْضِ فِي بِلَادِهِ لِعِبَادِهِ، أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِكَرَامَتِهِ، وَفَضَّلَنَا بِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيْلًا بَيْنَنَا.

فَكَذَّبْتُمُونَا وَكَفَرْتُمُونَا، وَرَأَيْتُمْ قِتَالَنَا حِلَالًا وَأَمْوَالَنَا نَهَبًا، كَأَنَّا أَوْلَادُ تَرْكِ وَكَأَبِلَ، كَمَا قَتَلْتُمْ جَدَّنَا بِالْأَمْسِ، وَسَيُوفِكُمْ تَقَطَّرَ مِنْ دِمَائِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ لِحَقْدٍ مُتَقَدِّمٍ، قَرَّتْ بِذَلِكَ عَيُونُكُمْ، وَفَرَحَتْ قُلُوبُكُمْ، افْتَرَاءً عَلَى اللَّهِ وَمَكْرًا مَكْرَتَمَ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ.

فَلَا تَدْعُونَكُمْ أَنْفُسُكُمْ إِلَى الْجَذْلِ بِمَا أَصَبْتُمْ مِنْ دِمَائِنَا، وَنَالَتْ أَيْدِيكُمْ مِنْ أَمْوَالِنَا، فَإِنَّ مَا أَصَابَنَا مِنَ الْمَصَائِبِ الْجَلِيلَةِ وَالرِّزْقِ الْعَظِيمِ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ، لَكَيْلًا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ، وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا أَتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، أَمْثَالَكُمْ، فَانْتَظَرُوا اللَّعْنَةَ وَالْعَذَابَ، فَكَأَنَّ قَدْ حُلَّ

بكم، وتواترت من السماء نقمات فيسحتكم بما كسبتم، ويذيق بعضكم بأس بعض، ثم تخلّدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا، ألا لعنة الله على الظالمين.

ويلكم، أتدرون أي أيد طاعتتنا منكم؟ وأي نفس نزعت إلى قتالنا؟ أم بآية رجل مشيتم إلينا تبغون محاربتنا؟ قست والله قلوبكم، وغلظت أكبادكم، وطبع على أفئدتكم، وختم على سمعكم وبصركم، وسؤل لكم الشيطان وأملى لكم، وجعل على بصركم غشاوة فأنتم لا تهتدون.

تبأ لكم يا أهل الكوفة، أي ترات لرسول الله ﷺ قبلكم، وذحول له لديكم بما عنتم بأخيه علي بن أبي طالب عليه السلام جدّي وبنيه عترة النبي الطاهرين الأخيار. وافتخر بذلك مفتخركم، فقال:

نحن قتلنا علياً وبني عليّ بـسـيـوف هـنـديّة ورماح
وسبينا نساءهم سبي ترك ونـطـحـناهم فأيّ نـطـاح
بفيك أيّها القاتل الأثلب والكثكث^(١)، افتخرت بقتل قوم زكّاهم الله وطهرهم تطهيراً، وأذهب عنهم الرجس، فاكظم واقّع كما أقعى أبوك، وإنّما لكلّ امرئ ما اكتسب وما قدّمت أوائله، حسدتمونا - ويلاً لكم - على ما فضّلنا الله به.

فما ذنبنا إن جاش دهرأً بحورنا وبحرّك ساج ما يوارى الدّعاصما^(٢)
﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٣) ﴿وَمَنْ لَمْ

(١) الأثلب والكثكث بكسر الهمزة في الأول والكافين في الثاني - لفظان مترادفان يعني دفاق التراب والحجر يستعملان في الحفارة والذمّ.

(٢) الدعصوص: دويبة تغوص في الماء. «الصحاح ٣: ١٠٤٠ - دعمص -».

(٣) الحديد: ٢١.

يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿١﴾.

قال : فارتفعت الأصوات بالبكاء ، وقالوا : حسبك يا ابنة الطيبين ، فقد أحرقت قلوبنا ، وأنضجت نحورنا ، وأضرمت أجوافنا ، فسكتت .^(٢)

خطبة أم كلثوم^(٣)

قال الراوي : وخطبت أم كلثوم بنت عليّ عليه السلام في ذلك اليوم من وراء كلتها ، رافعة صوتها بالبكاء ، وقالت :

يا أهل الكوفة ، شوّه لكم ، ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتموه ، وانتهبتم أمواله وورثتموه ، وسيتم نساءه ونكثتموه ؟ فقتباً لكم وسحقاً .

ويلكم أتدرون أيّ دواهٍ دهتكم ؟ وأيّ وزر على ظهوركم حملتم ؟ وأيّ دماء سفكتموها ؟ وأيّ كريمة اهتضمتموها ؟ وأيّ صبية سلبتموها ؟ وأيّ أموال نهبتموها ؟ قتلتم خير رجالات بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ، ونزعت الرحمة من قلوبكم ، ألا إن حزب الله هم الغالبون وحزب الشيطان هم الخاسرون . ثمّ قالت :

(١) النور : ٤٠ .

(٢) الاحتجاج ٢ : ١٠٤ .

(٣) بنت أمير المؤمنين ، واخت زينب والحسين ، ولدت في السنوات الأخيرة من عمر النبيّ صلى الله عليه وآله ، كانت امرأة فاضلة وفصيحة ومتكلمة وعالمة ، ذكروا أنّها تسمى أيضاً زينب الصغرى ، ولم تتوان عن كشف الحقائق وإزاحة الستار عن جرائم الأمويين ، وبعد الرجوع إلى المدينة كانت أم كلثوم ممّن يصف للناس وقائع ذلك السفر المروّع ، والشعر المعروف :

مدينة جدّنا لا تقبلينا فبالحسرات والاحزان جينا
والذي قرىء عند دخول المدينة هو لأم كلثوم . هناك من يعتقد أنّ أم كلثوم بنت فاطمة عليها السلام قد توفيت في زمن الإمام الحسن المجتبيّ عليه السلام ، أما هذه السيّدّة التي ورد ذكرها في واقعة كربلاء فهي من زوجة أخرى لأمير المؤمنين . انظر : مروج الذهب ٣ : ٦٣ .

قتلتُم أخي صبراً فويل لأُمِّكم ستُجزون ناراً حرَّها يتوقَّد
 سفكتم دماءَ حرِّم الله سفكها وحرَّمها القرآنُ ثمَّ محمَّد
 ألا فابشروا بالنار إنكم غداً لفي سقرٍ حقّاً يقيناً تخلّدوا
 وإني لأُبكي في حياتي على أخي على خيرٍ من بعد النبي سيوجد
 بدمعٍ غزيرٍ مستهلٍّ مكفكفٍ على الخدِّ مني دائماً ليس يحمّد

قال الراوي: فضجَّ الناس بالبكاء والنحيب والنوح، ونشرت النساء شعورهن، ووضعن التراب على رؤوسهن، وخمشن الوجوه، وضربن الخدود، ودعون بالويل والثبور، وبكى الرجال وتنفوا لحاهم، فلم يُر باكياً ولا باكياً أكثر من ذلك اليوم.^(١)

خطبة زين العابدين عليه السلام التاريخية

ثم إنَّ زين العابدين عليه السلام أوماً إلى الناس أن اسكتوا فسكتوا، فقام قائماً، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر النبي بما هو أهله فصلّى عليه، ثم قال:

«أيُّها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي: أنا عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، أنا ابن المذبوح بشطّ الفرات من غير ذحل ولا ترات، أنا ابن من انتُهِك حريمه، واستُلب نعيمه، وانتُهب ماله، وسُبي عياله، أنا ابن من قُتل صبراً، وكفى بذلك فخراً.

أيُّها الناس، ناشدكم بالله هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة وقاتلتموه وخذلتموه؟! فتبّاً لِمَا قدَّمتم لأنفسكم، وشوهاً لرأيكم، بأية عين تنظرون إلى رسول الله ﷺ غداً إذ يقول لكم: قتلتم عترتي، وانتَهكتم حرمتي، فلستم من أمتي؟!».

قال الراوي: فارتفعت أصوات الناس بالتحبيب من كل ناحية، ويقول بعضهم لبعض: هلكنم وما تعلمون.

فقال صلوات الله عليه :

رحم الله امرئاً قُبِلَ نصيحتي، وحَفِظَ وصيّي في الله وفي رسوله وأهل بيته، فإنّ لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة.

فقال الناس كلّهم بأجمعهم: نحن كلّنا يا ابن رسول الله سامعون مطيعون، حافظون لزامكم، غير زاهدين فيك، ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك يرحمك الله، فإنّا حرب لحربك، وسلم لسلمك، لناخذنّ يزيد ونبرأ ممّن ظلمك وظلمنا.

فقال عليه السلام :

هيهات هيهات، أيّها الغدرة المكرة، حيل بينكم وبين ما تشتهي أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إليّ كما أتيتم إلى آبائي من قبل؟! كلّاً وربّ الراقصات، فإنّ الجرح لمّا يندمل، قُتِلَ أبي صلوات الله عليه بالأمس وأهل بيته معه، ولم يُسنني ثكل رسول الله ﷺ وثكل أبي وبني أبي، ووجده بين لهواتي، ومرارته بين حناجري وحلقي، وغصصه تجري في فراش صدري، ومسألتي ألا تكونوا لنا ولا علينا.

ثمّ قال صلوات الله عليه :

لا غرو إنّ قُتِلَ الحسين فشيخه قد كان خيراً من حسين وأكرما
فإن تفرحوا يا أهل كوفان بالذي أصاب حسيناً كان ذلك أعظما
قتيلُ بشطّ النهر روعي فداؤه وإنّ الذي أوداه يجزي جهنّما
ثمّ قال عليه السلام : رضيّا منكم رأساً برأس، فلا يوم لنا ولا يوم علينا.^(١)

(١) الاحتجاج ٢: ١١٧، بحار الأنوار ٢٥: ١١٢.

قصر الامارة

قال الراوي : ثم إن ابن زياد جلس في القصر للناس ، وأذن للناس إذناً عاماً ، وجيء برأس الحسين عليه السلام فوضع بين يديه ، وأوقف السبايا في جانب من القصر ، واحتشد المجلس بعروج بني أمية وسقطة المتاع من أهل الكوفة وقد وضع رأس الحسين عليه السلام بين يديه - وهو ينكت ثناياه بعود كان في يده - ويهز أعطافه شماتة وفرحاً بقتل سيد شباب أهل الجنة .

قالوا: فانحازت زينب ابنة علي عليه السلام عن النساء وهي متكرة، وعليها أرذل ثيابها - وقد حقت بها إماؤها، فالتفت ابن زياد إليها، فقال: من هذه المتكرة، فلم تجبه زينب، فأعاد القول ثانية.

فقال له بعض إماءها: هذه زينب ابنة علي وابنة فاطمة.

فأقبل عليها ابن زياد، وقال: الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم وأكذب أحدوشتكم.

فقال العقيلة زينب - برباطة جأش - : الحمد لله الذي أكرمنا بنبينا محمد ﷺ وظهرنا من الرجس تطهيراً، إنما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا.

قال ابن زياد: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟

قالت زينب: ما رأيت إلا جميلاً، وهؤلاء قوم كُتب عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم - يا ابن زياد - فيحاجون ويخاصمون ، فانظر لمن الفلج يومئذ، هبلتك أمك يا ابن مرجانة .

فاستشاط ابن زياد غضباً من كلامها، وهم بها، لولا أن يلتفت إليه عمرو بن

حريث قائلاً: «اصلح الله الأمير، إنما هي امرأة، ولا تؤاخذ المرأة بشيء من منطقتها». ثم التفت إليها ابن زياد قائلاً: لقد شفى الله نفسي من طاعيتك الحسين والعصاة المردة من أهل بيتك.

قالوا: فعند ذلك بكى ورقت وقالت له: «لعمري لقد قتلت كهلي، وأبرزت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثت أصلي، فان يشفك هذا فقد اشتفيت». فقال ابن زياد لعنه الله: هذه سجاعة، ولعمري لقد كان أبوها شاعراً سجاعاً. قال زينب - وهي لا تملك صبرها - : «يا ابن زياد، وما للمرأة والسجاعة، وإن لي عن السجاعة لشغلاً، ولكن صدري نفث بما قلت»^(١).

أوامر قتل الإمام السجاد عليه السلام

فالتفت ابن زياد إلى علي بن الحسين، فقال: من أنت؟

فقال: أنا علي بن الحسين.

فقال: ألم يقتل الله علي بن الحسين؟ فسكت.

فقال: مالك لا تتكلم؟

فقال: كان لي أخ يقال له علي، قتله الناس، وإن له منكم مطلباً يوم القيامة.

فقال الملعون: بل الله قتله.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(٢)، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾^(٣).

(١) الارشاد للمفيد ٢: ١١٥، مثير الأحزان: ٩١.

(٢) الزمر: ٤٢.

(٣) آل عمران: ١٤٥.

فقال الملعون: أنت والله منهم، وبك جرأة على جوابي، اذهبوا به، فاضربوا عنقه.

فسمعت عمّة زينب، فقالت: يا ابن زياد، إنك لم تبق منّا أحداً، فإن كنت قد عزمت على قتله فاقتلني معه.

فقال عليّ بن الحسين: اسكتي يا عمّة حتى أكلّمه.

ثم أقبل عليه، فقال: أباقتل تهدّدي يا ابن زياد؟ أما علمت أنّ القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة؟

فقال ابن زياد: دعوه ينطلق مع نسائه، اخرجوهم عني، فأخرجوهم إلى دار في جنب المسجد الأعظم، فقالت زينب: لا يدخلن علينا عريّة إلا أمّ ولد أو مملوكة، فإنهنّ سبين وقد سبيناً.^(١)

ابن زياد ورأس الإمام الحسين عليه السلام

قال الراوي: ثم أمر ابن زياد برأس الحسين عليه السلام فوضع في طشت بين يديه فجعل ينكت بقضيب في وجهه وقال: ما رأيت مثل حسن هذا الوجه قطّ، وكان يشبه وجه رسول الله ﷺ.

وقيل: إنّ ابن زياد أرسل إلى أبي برزة صاحب رسول الله ﷺ، فقال: كيف شأنني وشأن الحسين؟

قال أبو برزة: الله أعلم، فما علمي بذلك.

فقال: إنّما أسألك عن علمك.

قال: أمّا إذا سألتني فإنّ الحسين يشفع فيه رسول الله جدّه ﷺ ويشفع لك

زياد.

فقال: اخرج، لولا ما جعلت لك لضربت عنقك.

وروى محمد بن خالد الضبي، عن إبراهيم؛ قال: لو أنني كنت ممن قاتل الحسين ثم أتيت بالمغفرة من ربي فأدخلت الجنة لاستحييت من محمد ﷺ أن أمر عليه فيراني.

وعن زيد بن أرقم: قال: كنت جالساً عند عبيد الله بن زياد إذ أتني برأس الحسين صلوات الله عليه فوضع بين يديه فأخذ قضيبه فوضعه بين شفتيه، فقلت: إنك تضع قضيبك في موضع طالما لثمه رسول الله ﷺ! فقال: قم إنك شيخ قد ذهب عقلك.

ثم رفع زيد صوته يبكي وخرج وهو يقول: ملك عبد حرّاً، أنتم - يا معشر العرب - العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وأمرتم ابن مرجانة حتى يقتل خياركم، ويستعبد شراركم، رضيت بالذلّ فبعداً لمن رضي.^(١)

وفي تلك الأثناء قالت رباب زوجة الإمام الحسين ﷺ:

واحسيناً فلانسيت حسينا أقصده أسنة الأعداء
غادروه بكربلاء صريعاً لا سقى الله جانبي كربلاء^(٢)

كتاب عبيد الله إلى يزيد

قال الراوي: وكتب عبيد الله بن زياد كتاباً إلى يزيد يخبره فيه بقتل

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٣٠، بحار الأنوار ٤٥: ١١٧، عوالم العلوم ١٧: ٣٨٤.

(٢) نفس المهموم: ٤٠٨.

الحسين عليه السلام وأصحابه، فلما قرأ يزيد كتاب ابن زياد أرسل إليه يأمره بحمل رأس الحسين عليه السلام ورؤوس أصحابه ومن قتل معه، وأمره بحمل أثقاله ونسائه وعباله وأطفاله، فاستدعى ابن زياد محقّر بن ثعلبة العائذي^(١) وسلم إليه الرؤوس والأسارى والنساء ومعهم علي بن الحسين وأخواته وعمّاته وجميع نسائه إلى يزيد، فسار بهم محقّر حتى دخل الشام كما يسار بسبايا الكفار، ويتصفّح وجوههم أهل الأقطار.^(٢)

رأس ابن بنت محمد ووصيه	للسناظرين على قناة يرفع
والمسلمون بمنظر ويمسمع	لا منكر منهم ولا متفجع
كحلت بمنظر العيون عماية	وأصمّ رزؤك كلّ أذن تسمع
أيقظت أجفاناً وكنّت لها كرى	وأتمت عيناً لم تكن بك تهجع
ما روضة إلا تمّت أنّها	لك حفرة ولخطّ قبرك موضع

أحداث الكوفة بعد وصول الأسرى

لهفي لرأسك فوق مسلوب القنا يكسوه من أنواره جلبابا
يتلو الكتاب على السنان وإنما رفعوا به فوق السنان كتابا
قال زيد بن أرقم: كنت في غرفة لي فمروا علي بالرأس وهو يقرأ: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا﴾^(٣)، فوقف شعري، وقلت: والله يا ابن رسول الله رأسك أعجب وأعجب.^(٤)

(١) وهو محقّر بن ثعلبة بن مرة بن خالد، من بني عائدة، من خزيمه بن لؤي، من رجال بني أمية في صدر دولتهم. انظر: نسب قريش: ٤٤١، جمهرة الأنساب: ١٦٥، أعلام الزركلي ٥: ٢١٩.

(٢) الملهوف: ٧١.

(٣) الكهف: ٩.

(٤) الارشاد للمفيد ٢: ١١٧، الخصائص ٢: ١٢٥.

عبدالله بن عفيف الأزدي

قال الراوي : ثم خرج ابن زياد لعنه الله ودخل المسجد، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد وأشياعه، وقتل الكذاب ابن الكذاب !!

قال : فما زاد على هذا الكلام شيئاً حتى وثب إليه عبدالله بن عفيف الأزدي، وكان من رؤساء الشيعة وخيارهم، وكانت عينه اليسرى قد ذهبت يوم الجمل، والأخرى يوم صفين، وكان لا يكاد أن يفارق المسجد الأعظم يصلّي فيه إلى الليل، ثم ينصرف إلى منزله، فلما سمع مقالة اللعين وثب إليه قائماً وقال :

يا ابن مرجانة، إنّ الكذاب وابن الكذاب أنت وأبوك، ومن استعملك وأبوه، يا عدوّ الله، أقتلون أبناء خير النبيين وتكلمون بهذا الكلام على منابر المسلمين؟ فغضب ابن زياد، ثم قال : من المتكلم؟

فقال : أنا المتكلم، يا عدوّ الله، أقتل الذرّة الطاهرة التي أذهب الله عنها الرجس في كتابه وتزعم أنك على دين الاسلام؟

واغوثاه، أين أبناء المهاجرين والأنصار، ينتقمون منك ومن طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان محمد نبي رب العالمين؟

قال : فازداد غضب عدوّ الله، ثم قال : عليّ به، فوثب إليه الجلاوزة فأخذه فنادى بشعار الأزدي وعبدالرحمان بن مخنف الأزدي في المسجد، فقال : ويحك أهلك نفسك وقومك، وكان في الكوفة يومئذ سبعمئة مقاتل من الأزدي، فوثبوا إليه وانتزعوه منهم، وانطلقوا به إلى منزله، ونزل ابن زياد عن المنبر ودخل القصر، ودخل عليه أشراف الناس، فقال : رأيتم ما صنع هؤلاء القوم؟

فقالوا: قد رأينا أصلح الله الأمير، وإنما الأزد فعلت ذلك فشدّ يدك على ساداتهم فهم الذين استنقذوه من يدك، فأرسل ابن زياد إلى عبدالرحمان بن مخنف الأزدي فأخذه، وأخذ معه جماعة من أشراف الأزد فحبسهم، وقال: لا خرجتم من يدي أو تأتونني بعبدالله بن عفيف، ثم دعا بعمر بن الحجاج الزبيدي ومحمد بن الأشعث وشيث بن ربعي وجماعة من أصحابه، وقال لهم: اذهبوا إلى هذا الأعمى الذي أعمى الله قلبه كما أعمى بصره فأتوني به.

وانطلقت رسل اللعين يريدون ابن عفيف، وبلغ ذلك الأزد فاجتمعوا، واجتمع معهم قبائل اليمن ليمنعوا صاحبهم عبدالله بن عفيف. وبلغ ذلك ابن زياد فجمع قبائل مضر وضمهم إلى محمد بن الأشعث وأمره بقتال القوم.

قال: فأقبلت قبائل مضر نحو قبائل اليمن فاقتتلوا قتالاً شديداً، وبلغ ذلك ابن زياد فأرسل إلى أصحابه يوثبهم ويضعفهم، فأرسل إليه عمرو بن الحجاج يخبره باجتماع اليمن عليهم، وبعث إليه شيث بن ربعي: أيها الأمير، إنك أرسلتنا إلى أسود الآجام فلا تعجل.

قال: واشتدّ قتال القوم حتى قتل بينهم جماعة من العرب. ووصل القوم إلى دار عبدالله بن عفيف، فكسروا الباب واقتحموا عليه، وصاحت ابنته: يا أباه، أتاك القوم من حيث تحذر.

فقال: لا عليك يا ابنتي ناوليني سيفي، فناولته السيف، فأخذه وجعل يذب عن يمينه وشماله بسيفه ويقول:

أنا ابن ذي الفضل عفيف الطاهر عفيف شيخي وابن أم عامر
كم دارع من جمعكم وحاسر وبطل جندلته مغاور؟

وجعلت ابنته تقول: القوم عن يمينك، القوم عن يسارك، يا ليتني كنت رجلاً فأقاتل بين يديك هؤلاء الفجرة، قاتلي العترة البررة.

وجعل القوم يدورون حوله عن يمينه وشماله ومن ورائه وهو يذب عن نفسه بسيفه وليس أحد يقدم عليه، ثم تكاثروا عليه من كل ناحية حتى أخذوه.

فقال جندب بن عبدالله الأزدي صاحب رسول الله ﷺ: إنا لله وإنا إليه راجعون، أخذ والله عبدالله بن عفيف، فقبح العيش من بعده، وقام ثم قاتل من دونه فأخذ أيضاً، وانطلق بهما إلى ابن زياد لعنه الله وعبدالله يقول:

أقسم لو يفسح لي عن بصري ضاق عليكم موردي ومصدري

فلما أدخل على ابن زياد قال لعبدالله: الحمد لله الذي أجزاك.

قال عبدالله: وبما أخزاني، يا عدو الله؟

فقال له ابن زياد: يا عدو نفسه، ما تقول في عثمان؟

فقال: يا ابن مرجانة، ويا ابن سمية الزانية، ما أنت وعثمان أساء أم أحسن، أصلح أم أفسد؟ والله تعالى ولي خلقه، يقضي بينهم وبين عثمان بالعدل، ولكن سلني عنك، وعن أبيك، وعن يزيد وأبيه.

فقال ابن زياد: لا أسألك عن شيء إلا أن تذوق الموت.

فقال ابن عفيف: الحمد لله رب العالمين، أما إني كنت أسأل ربي أن يرزقني الشهادة قبل أن تلدك مرجانة، وسألته أن يجعل ذلك على يد ألن خلق الله وأبغضه إليه، فلما ذهب بصري أيسست من الشهادة، والآن الحمد لله الذي رزقنيها بعد اليأس منها، وعزفني الإجابة منه لي في قديم دعائي.

فقال ابن زياد لعنه الله: اضربوا عنقه، فضربت وصلب رحمه الله.

جندب بن عبدالله

ثمّ دعا ابن زياد بجندب بن عبدالله عليه السلام ، فقال : يا عدوّ الله ، ألسنت صاحب عليّ بن أبي طالب يوم صفّين ؟

قال : نعم ، وما زلت له وليّاً ، ولكم عدوّاً ، ولا أبرأ من ذلك إليك ولا أعترذر ولا أتصلّ .

فقال ابن زياد : أما إنّني أتقرّب إلى الله بدمك .

فقال جندب : والله ما يقربك دمي إلى الله تعالى ، ولكن يباعدك منه ، وبعد فلم يبق من عمري إلّا أقلّه ، وما أكره أن يكرمني الله بهوانك .

فقال لعنه الله : أخرجوه عنّي فإنّه شيخ قد خرف وذهب عقله ، فأخرج وخلّي سبيله .^(١)

ثمّ دعا بعبد الرحمن بن مخنف الأزدي ، فقال : ما هذه الجماعة على بابك ؟

فقال : ليس على بابي جماعة وقد قتلت صاحبنا ، وأنا لك سامع مطيع وإخوتي جميعاً ، فسكت ابن زياد ، وخلّي سبيله وسبيل أصحابه^(٢) .

ندم ابن سعد

وندم الخبيث الدنس عمر بن سعد كأشد ما يكون الندم على اقترافه لتلك الجريمة النكراء ، وقد سأله بعض خواصه عند رجوعه من كربلاء عن حاله فقال :

(١) مثير الأحزان : ٩٤ .

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٥٢ : ٥٥ ، الملهوف : ٢٠٣ - ٢٠٧ .

ما رجع أحد الى أهله بشر ممّا رجعت به أطعت الفاجر الظالم ابن زياد، وعصيت الحكم العدل، وقطعت القرابة الشريفة وارتكبت الأمر العظيم^(١). وماذا يفيد الندم بعدما سفك دماء العترة الطاهرة، وقطع أواصر القربى التي أمر الله بمودتها .

المختار الثقفي

لما أحضر ابن زياد السبايا في مجلسه أمر باحضار المختار وكان محبوساً عنده من يوم قتل مسلم بن عقيل، فلما رأى المختار هيئة منكرة زفر زفرة شديدة وجرى بينه وبين ابن زياد كلام أغلظ فيه المختار فغضب ابن زياد وأرجعه الى الحبس^(٢)، ويقال ضربه بالسوط على عينه فذهبت^(٣).

وعن شهر بن حوشب: قال: لما جاء نعي الحسين عليه السلام لعنت أم سلمة رضي الله عنها أهل العراق، وقالت: قتلوه قتلهم الله تعالى، غرّوه وأذلّوه لعنهم الله.

أهل المدينة وخبر الشهادة

وكان ابن زياد حين قتل الحسين عليه السلام أرسل يخبر يزيد بذلك، وكتب أيضاً إلى عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق ابن أخ عمرو بن العاص أمير المدينة بمثل ذلك.

فأمر المنادي أن يعلن بقتله في أزقة المدينة فلم يسمع ذلك اليوم واعية مثل واعية نساء بني هاشم في دورهن على سيد شباب أهل الجنة واتصلت الصيحة بدار «الأشدق» فضحك وتمثّل بقول «عمرو بن معد يكرب»: «

(١) الأخبار الطوال: ٢٧١، سير أعلام النبلاء ٣: ٢٠٣.

(٢) رياض الأحزان: ٥٢.

(٣) الأعلام النفسية لابن رسته: ٢٢٤.

عَجَّت نساء بني زياد عَجَّة كعجيج نسوتنا غداة الأرنب
ثم قال: واعية بواعية عثمان. (١)

خطاب الكفر على لسان عمرو بن سعيد

قال الراوي: وقام عمرو بن سعيد ورقى المنبر وقال: أيها الناس، أيها لدمه بلدمة، وصدمة بصدمة، كم خطبة بعد خطبة، وموعظة بعد موعظة ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ التَّذْذِرَ﴾ (٢)، لقد كان يسبنا ونمدحه، ويقطعنا ونصله، كعادتنا وعادته، ولكن كيف نصنع بمن سل سيفه علينا يريد قتلنا إلا أن ندفعه عن أنفسنا.

والتفت الى قبر رسول الله ﷺ وقال: يوم بيوم بدر يا رسول الله، فأنكر عليه جماعة من الأنصار. (٣)

فقام إليه عبدالله بن السائب وقال: لو كانت فاطمة حيّة ورأت رأس الحسين لبكت عليه.

فزجره عمرو بن سعيد وقال: نحن أحقّ بفاطمة منك، أبوها عمّا، وزوجها أخونا وابنتها ابنتنا، لو كانت فاطمة حيّة لبكت عيناها وما لامت من قتله ودفعه عن نفسه. (٤)

وأقام بني هاشم سنن المصائب والمآثم، وكانت زينب بنت عقال تندب الحسين ﷺ وتقول:

ماذا تقولون إذا قال النبيّ لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

(١) تاريخ الطبري ٦: ٢٦٨، مقتل الحسين ﷺ للخوارزمي ٢: ٧٦.

(٢) القمر: ٥.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ١: ٣٦١.

(٤) العوالم: ١٣٦.

بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي منهم أسارى ومنهم ضُرجوا بدم
 ما كان هذا جزائي إذ نصحتُ لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي
 عن المفضل بن عمر الجعفي، قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول: حدّثني
 أبي محمد بن عليّ، قال: حدّثني أبي عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: لما قتل
 الحسين عليه السلام جاء غراب فوق في دمه، ثمّ تمرّغ، ثمّ طار فوق في المدينة على
 جدار دار فاطمة بنت الحسين بن عليّ - وكانت في المدينة -، فرفعت رأسها
 فنظرت إليه ملطّخ بالدم، فبكت بكاءً شديداً، وأنشأت تقول:

نعب الغراب فقلت من تنعاه ويحك يا غراب؟
 قال الامام فقلت مَنْ؟ قال الموقّق للصواب
 إنّ الحسين بكر بلا بين الأسنة والضراب
 فابك الحسين بعبرة ترضي الإله مع الثواب
 قلت الحسين فقال لي حقاً لقد سكن التراب
 ثمّ استقلّ به الجنا ح فلم يطق ردّ الجواب
 فبكيت ممّا حلّ بي بعد الرضا بالمستراب
 قال: فأخبرت به أهل المدينة، فما كان بأسرع ممّا جاء الخبر بقتل
 الحسين عليه السلام. (١)

انتشار خبر الشهادة في مكة

ولما وصل خبر استشهاد الحسين عليه السلام إلى مكة قال ابن الزبير:

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٩٢-٩٣، بحار الأنوار ٤٥: ١٧١ ح ١٩، عوالم العلوم ١٧: ٤٩٠.

انَّ أهل الكوفة شرارهم دعوا حسيناً ليولي عليهم، ويقيم أمرهم، ويبعد معالم الاسلام، فلما قدم عليهم ثاروا فقتلوه، وقالوا له: أما أن تضع يدك في يد الفاجر الملعون ابن زياد فيرى فيك رأيه فاختر الوفاة الكريمة على الحياة الذميمة، فيرحم الله حسيناً وأخزى قاتله، ولعن من رضي بذلك وأمر به.^(١)

قال الزمخشري: بعد أن قتل عبيد الله بن زياد الإمام الحسين عليه السلام، قال رجل اعرابي من البادية: انظر كيف يقتل الابن الفاجر لهذه الأمة ابن رسول هذه الأمة.^(٢)

الربيع بن خُثيم^(٣)

وعندما وصل خبر استشهاد الإمام الحسين عليه السلام إلى ربيع بن خُثيم، بكى وقال:

لقد قتل رجال لو كان رسول الله ﷺ معهم لحبّهم وأعطاهم الغداء بيده وأجلسهم على فخذي.^(٤)

قال ابن أبي الحديد: كان الربيع بن خُثيم ساكناً طوال عشرين سنة لم يخطب فيها، ولما وصله خبر مقتل الحسين عليه السلام قال: «أَوْ قَدْ فَعَلُوها» ثم تلا الآية: ﴿اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٣٩، الصراط السوي في مناقب آل النبي: ٩٤.

(٢) قمقام زخار: ٥٤٣.

(٣) من الزهاد الثمانية، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، لم يشترك في حرب صفين بعد أن طلب الرخصة من أمير المؤمنين عليه السلام، توفي عام ٦١ أو ٦٣ هـ. (معجم رجال الحديث ٨: ١٧٤).

(٤) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٣٨٤.

كانوا فيه يختلفون^(١). (٢)

قال الراوي: قال عبيدالله بن زياد يوماً لقيس بن عباد كان جالساً بجانبه :
ماذا يقول الناس عني وعن الحسين ؟

قال لقيس: عندما يأتي يوم القيامة يحضر جدّ وأبو وأمّ الحسين ليشفّعوا له،
ويأتي جدّك وأمّك وأبيك ليشفّعوا لك !

عندما سمع ابن زياد جوابه غضب وقام من مكانه. (٣)

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام: هناك أربعة مساجد في الكوفة أظهرت الفرح
والسرور بقتل الحسين عليه السلام وهي مسجد الأشعث، ومسجد جرير، ومسجد السماك،
ومسجد شيبث بن ربعي. (٤)

البصرة والحسن البصري

عندما وصل خبر استشهاد الامام الحسين عليه السلام الى الحسن البصري أجهدش
بالبكاء، وقال: أسوء أمة هي التي يقتل أسفلها ابن نبيّها. (٥)

نداء الغيب

قال الراوي: فلمّا جاء الليل سمع أهل المدينة هاتفاً يقول:
أيّها القاتلون جهلاً حسيناً أبشروا بالعذاب والتنكيل

(١) الزمر: ٤٦.

(٢) نفس المهموم: ٤١٩.

(٣) رياض الأحرار: ٣٠.

(٤) بحار الأنوار ٤٥: ١٨٩.

(٥) أنساب الأشراف ٣: ٢٢٧.

كُلِّ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَدْعُو عَلَيْكُمْ مِنْ نَبِيِّ وَمُرْسَلٍ وَقَبِيلٍ
 قَدْ لُعِنْتُمْ عَلَى لِسَانِ ابْنِ دَاوُدَ وَمُوسَى وَصَاحِبِ الْإِنْجِيلِ
 قِيلَ: إِنَّ أَوَّلَ دَخْلٍ عَلَى الْعَرَبِ قَتْلَ الْحُسَيْنِ وَادِّعَاءُ زِيَادٍ.^(١)

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٤١-٤٦.

الفصل السابع من الكوفة إلى الشام

حمل سبائا رسول الله ﷺ وبناته وأحفاده إلى الشام

يا طول حزني ويا نحبي	حزناً على النازح الغريب
على أجلّ الوري نجارا	دمعي كالعارض السكوب
تضرم نار الأسى بقلبي	مأتم في يومه العصيب
فيا أحشائي بنار حزني	ووجد قلبي عليه ذوبي
ويا عيوني سحّي بدمع منك	تفيض الدماء مشوب
وابنته بين العدى تنادي	هل من مغيثٍ هل من مجيب؟
وأسرة من ذويه أمسوا	قوتاً لذي مـخلبٍ وذيب
أكرم بهم عصبة كراماً	وأسوة من فتية وشيب
باعت من الله أنفساً	لم تهن لدى الروع في الحروب
مذ أصبحوا في الطفوف صرعى	في الخلد أمسوا قبل المغيب ^(١)

قال الراوي: وأمر ابن زياد زجر بن قيس^(٢) بحمل رأس الإمام الحسين عليه السلام مع سائر رؤوس الشهداء الى يزيد في الشام، وكان مع زجر بن قيس أبو بردة بن

(١) تسلية المجالس ٢: ٥٤٣.

(٢) هكذا ورد اسمه في أغلب المصادر، ويرى البعض أن اسمه الصحيح هو: زحر بن قيس.

عوف الأزدي وطارق بن أبي ظبيان الأزدي^(١).

قال السيد ابن طاوس : عندما قرأ يزيد كتاب عبيد الله بن زياد أرسل إليه يأمره بحمل رأس الحسين عليه السلام ورؤوس أصحابه ومن قتل معه ، وأمره بحمل أئقاله ونسائه وعلاله وأطفاله ، فاستدعى ابن زياد بمحقّر بن ثعلبة العائذي وسلم إليه الرؤوس والأسارى والنساء ومعهم عليّ بن الحسين وأخواته وعمّاته وجميع نسائه إلى يزيد ، فسار بهم محقّر حتّى دخل الشام كما يسار بسبايا الكفّار ، ويتصفّح وجوههم أهل الأقطار^(٢).

روي عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: سألت أبي علي بن الحسين عليه السلام عن مسيرهم من الكوفة الى الشام فقال: حملونا على أقتاب الجمال العارية، وكان رأس أبي الحسين محمولاً على القناة، وكانت قافلة نساء بني هاشم تسير خلفي...^(٣)

وجاء في المنتخب للطريحي: ارسل عبيد الله بن زياد كلاً من الشمر بن ذي الجوشن وخولي وشبث بن ربعي وعمرو بن الحجاج مع ألف من رجاله .

وسرح في أثرهم علي بن الحسين مغلولة يديه الى عنقه وعلاله معه على حال تقشعر منها الأبدان ، وأمرهم أن يشهروا الرؤوس في كلّ بلد يأتونها^(٤).

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٣٢، الارشاد للمفيد ٢: ١١٨ .

(٢) الملهوف: ٧١ .

(٣) بحار الأنوار ٤٥: ١٤٥ .

(٤) المنتخب للطريحي ٢: ٤٨٠ .

المنازل التي مرّ بها السبايا من الكوفة إلى الشام

لم تذكر المصادر المعتبرة المنازل التي مرّت بها قافلة السبايا من الكوفة إلى الشام، وقد ذكر ابن الأثير بعض هذه المنازل، وجاء في مقتل أبي مخنف ذكر بعض آخر من هذه المنازل، ونحن هنا نذكر هذه المنازل اعتماداً على هذه المصادر: (١)

١- المنزل الأول

في المنزل الأول كان أحد عناصر ابن زياد والذي يحمل رأس الإمام الحسين عليه السلام نزل عن فرسه ليلهو قليلاً مع رفاقه، ووضع الرأس المطهر جانباً، فلم يشعر القوم إلا وقد ظهر قلم حديد من الحائط وكتب بالدم:

أترجو أمّة قتلت حسيناً شفاعته جدّه يوم الحساب (٢)

بعد مشاهدة هذه الحادثة العجيبة، نهض الرجال وتركوا الرأس وفروا من مكان الحادث، ثم عادوا بعدها. (٣)

وبعد أن ينقل ابن حجر في صواعقه هذه المسألة يقول: وجد هذا الشعر مكتوباً على صخرة قبل ثلاثمائة عام من البعثة النبوية، وكذلك وجد مكتوباً في إحدى كنائس الروم، ولم يعرف متى ومن كتب هذا الشعر. (٤)

(١) قمقام زخّار: ٥٤٧.

(٢) الملهوف: ٦٠، مجمع الزوائد ١: ١٩٩، الخصائص للسيوطي ٢: ١٢٧، الصواعق المحرقة: ١١٦.

(٣) الصواعق المحرقة: ١٩٢.

(٤) الصواعق المحرقة: ١٩٢.

وقد ذكر ابن شهر آشوب في مناقبه والمجلسي في بحاره هذه الأبيات نقلًا عن الطبري حيث قال:
وسمع نوح الملائكة في أوّل منزل قاصدين إلى الشام:

أيّها القاتلون جهلاً حسيناً ابشروا بالعذاب والتنكيل

كلّ أهل السماء يدعوا عليكم من نبيّ ومرسل وقتيل =

وقال سليمان بن يسار: وقد وجد مكتوباً على صخرة في هذا المنزل :
 لا بدّ أن ترد القيامة فاطم وقميصها بدم الحسين ملطخ
 ويل لمن شفاعؤه خصاؤه والصور في يوم القيامة ينفخ

٢- تكريت^(١)

جاء في الكامل للبهائي: عندما أخرج أتباع ابن زياد رأس الامام من الكوفة كانوا خائفين من القبائل العربية الموجودة في بادية الكوفة، من أن تعود إليهم غيرتهم الدينية ويهاجموا الركب ليخلصوا الرأس المطهر للإمام الحسين عليه السلام من أيديهم، لذا فقد تحركوا من الطرق الفرعية تاركين الطريق الاصيلي .

نقل أبو مخنف: بعد أن نقلوا الرأس المطهر للامام من شرق «الحصاة»^(٢) إلى تكريت، وأخبروا والي تكريت بقدومهم الى المدينة، وقد ارسل الوالي عدد كبير من أتباعه حاملين الرايات لاستقبال الركب، وكانوا إذا سألهم أحد الناس عن هذا الرأس أجابوه بأنه رأس خارجي .

= قد لعنتم على لسان ابن داود وموسى وحامل الإنجيل
 المناقب ٤: ٦٣، بحار الأنوار ٤٥: ٢٣٦. وانظر: البداية والنهاية ٦: ٢٣١، تاريخ الخلفاء ٨: الشرف المؤبد: ٦٨، كفاية الطالب: ٢٩٨، تاريخ الطبري ٥: ٣٥٤، تاريخ ابن الأثير ٣: ٣٠١، تاج العروس ٧: ١٠٣، تاريخ دمشق لابن عساكر ٤: ٣٤١، محاضرات الأبرار ٢: ١٦٠، مجمع الزوائد ٩: ١٩٩، إحقاق الحق ١١: ٥٧٠ .

وفي تاج العروس وتاريخ ابن عساكر ذكر البيت الأول والثالث. وفي روايته لعجزه: «من نبي ومالك ورسول» .

- (١) مدينة تقع غرب نهر دجلة بين بغداد والموصل، وهي أقرب الى بغداد. (مرصد الاطلاع ١: ٢٦٨).
 (٢) قرية تقع قرب قصر ابن هبيرة في احدى نواحي الكوفة. (معجم البلدان ٢: ٢٦٣) .

عندما رأى أحد النصارى رأس الحسين وسمع ذلك الجواب، قال مع نفسه: ليس كما يقولون، أنّه رأس الحسين بن علي ابن فاطمة، وأنا كنت في الكوفة عندما استشهدوا . اطلع سائر النصارى على هذه الواقعة فقاموا بكسر النواقيس وقالوا: اللهمّ نبرأ إليك من نحاسة وعصيان هؤلاء القوم الذين قتلوا ابن بنت نبيهم .

عندما شاهد الكوفيون هذه الحالة اخذوا طريق صحراء البادية، ورحلوا من هذا المكان .^(١)

٣- مشهد النقطة

حاملِي الرأس المطهر وصلوا الى هذا المنزل ووضعوا الرأس على صخرة هناك، فسقطت منه قطرة دم على الصخرة، فكانت تغلي كلّ سنة يوم عاشوراء، ويجتمع الناس هناك من الأطراف فيقيمون المأتم على الحسين، ويكثر العويل حولها، وبقي هذا إلى أيام عبد الملك بن مروان فأمر بنقل الحجر، فلم ير له أثر بعد ذلك، ولكنهم بنو في محل الحجر قبة سمّوها «النقطة» .^(٢)

٤- وادي النخلة

سمع صوت في احدى الليالي ينوح :

نساء الجنّ يبكين من الحزن شجّيات وأسعدن بنوح للنساء الهاشميات
ويندبن حسينا عظمت تلك الرزّيات ويلطمن خُدوداً كالدنانير نقّيات
ويلبسن ثياب السود بعد القصّيات^(٣)

(١) قِمَاق زَخَّار ٢: ٥٤٧ .

(٢) نفس المهموم: ٢٨، مقتل الحسين للمقرّم: ٣٤٦ .

(٣) المناقب ٤: ٦٢ و ٦٣، الإبانة لابن بطّة ١: ٣٢٤، بحار الأنوار ٤٥: ٢٣٦ .

٥- الموصل^(١)

وفي الصباح تحركوا الى منزل آخر، فمروا بـ «كُحَيْل»^(٢) وثمّ بـ «جُهَيْنَة»^(٣)، ومن ثمّ وصلوا مسيرهم الى الموصل التي أمر واليها بتزيين المدينة .

وعندما ركب السبايا إلى مدينة الموصل، وخرج أهلها عن بكرة أبيهم لرؤية أسرى الخوارج - كما قيل لهم - ، ولكنهم حينما رأوا الرأس المطهر للامام الحسين عليه السلام قالوا :

هذا رأس الحسين بن علي عليه السلام، واستعد أهلها للحرب ضد الجيش الأموي ما لم يعطوهم الرأس المقدّس وصمّوا على قتل واليهم بالسيف .

قال الراوي: كانت الناس تردد: «تبّاً لقوم كفروا بعد ايمانهم! أضلالة بعد هدى؟ أم شك بعد يقين؟» .

عندما عرف الجيش الأموي قصد الأهالي قام بالحركة سريعاً بعد تغيير مسيره قاصداً «تل اعفر»^(٤) وبعدها إلى «جبل سنجار»^(٥) .^(٦)

(١) الموصل: مدينة قديمة تقع على نهر دجلة وشمال العراق، وفي وسط هذه المدينة يقع قبر النبي جرجيس. (مراسد الاطلاع ٣: ١٣٣٣).

(٢) كُحَيْل: مدينة كبيرة على نهر دجلة تقع شمال تكريت على الجانب الغربي منها، وليس هناك أثر الآن لهذه المدينة. (معجم البلدان ٤: ٤٣٩).

(٣) جُهَيْنَة: ناحية من نواحي الموصل، تقع على نهر دجلة، ويفصلها عن الموصل منزل واحد. (مراسد الاطلاع ١: ٣٦٣).

(٤) قلعة تقع بين سنجار والموصل. (مراسد الاطلاع ١: ٢٦٨).

(٥) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة تفصلها عن الموصل مسير ثلاثة ايام، وبنفس الفاصلة تبعد عن «نصيبين» .

(٦) قمعاق زخّار: ٥٤٨.

٦- نصيبين^(١)

وعند وصول الركب إليها، أمر منصور بن إلياس واليها بتزيين المدينة، واستفادوا من المرایا لتزيين المدينة، وعندما حاولوا ادخال الرأس المطهر الى المدينة امتنع الفرس عن الحركة فجاءوا بفرس آخر، وامتنع هذا الفرس أيضاً عن الحركة والدخول الى المدينة، وهكذا كلما أتوا بفرس امتنع عن الدخول الى أن سقط الرأس المطهر على الأرض .

قال الراوي: ثمّ قام ابراهيم الموصلي وحمل الرأس المطهر ونظر إليه، فعرف أنّه رأس الحسين عليه السلام فاستنكر ذلك وأخبر الأهالي الذين غضبوا من الجيش الأموي، ولكن هؤلاء اسرعوا بدورهم الى الخروج من المدينة بسرعة .

وقد أُقيم في محل سقوط الرأس مقام للزيارة^(٢).

وجاء في القمقام الزخّار :

انّ زينب عليها السلام رأت ما جرى للرأس الشريف في هذا الموقع، فأنشدت تقول :
 أنشهر ما بين البرية عنوة ووالدنا أوحى إليه جليل
 كفرتم برّب العرش ثمّ نبيّه كأن لم يجئكم في الزمان رسول
 لحاكم إله العرش يا شرّاً أمةً لكم في لظى يوم المعاد عويل^(٣)

(١) نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام، وفيها وفي قراها

على ما يذكر أهلها أربعون ألف بستان . «معجم البلدان ٥ : ٢٨٨» .

(٢) نفس المهموم: ٤٢٦ .

(٣) القمقام الزخّار: ٥٤٨ .

٧- عين الوردّة^(١)

وفي الصباح وصل القوم الى عين الوردّة، وقد خرج أهلها عن بكرة أبيهم، وقد نصب الرأس المطهر في ميدان المدينة، كان البعض فرحين وهم ينظرون الى رأس «الخارجي» - كما قيل لهم - ، لكن هناك الكثيرون الذي أجهشوا بالبكاء بعد أن عرفوا الحقيقة .

٨- الرقّة

حيث حمل إليها الرأس الشريف من عين الوردّة، ويعتقد بعض المؤرخين ان الرأس قد دفن فيها .

قال ابن الجوزي في تذكرته^(٢) :

«واختلفوا في الرأس على أقوال، أشهرها أنه رده إلى المدينة مع السبايا، ثم ردّ إلى الجسد بكربلاء فدفن معه، قاله هشام وغيره».

ثم استعرض الأقوال الأخر التي ذكرناها: أنه دفن بالمدينة عند قبر أمه فاطمة عليها السلام، وأنه بدمشق، وأنه بمسجد الرقّة على الفرات بالمدينة المشهورة...» .

٩- الجوسق

وبعد عبور القافلة الرقّة وصلوا الى مكان يعرف بالجوسق، ومنه تحركوا الى موقع آخر يعرف بـ «بُسْر»، ومنه كتبوا كتاباً إلى والي حلب يخبروه بقرب وصولهم إليها، وقيل: أنهم كتبوه في منزل «دعوات» .

(١) مدينة مشهورة تقع بين حرّان ونصيبين، وفيها التقى جيش التوابين مع الأمويين في موقعة عين الوردّة. (نفس المهوم: ٥٦٦، معجم البلدان) .

(٢) تذكرة الخواص: ٢٦٥، طبعة النجف .

١٠-دعوات

وفيهما كتب جند ابن زياد كتاباً إلى والي حلب، وقد قرأ الكتاب على الملأ، وبدأ والي حلب بتزيين المدينة لاستقبال القادمين .

وبدأ جيش ابن زياد يستعرض السبائيا أمام الناس، ويخبروهم بأنّ هذا الرأس هو رأس الخارجي الذي خرج على يزيد .

وعند الليل أخذ الإمام زين العابدين عليه السلام ينشد :

ليت شعري هل عاقل في الدياجي بات من فجيرة الزمان يناجي
أنا نجل الامام ما بال حقّي ضائع بين عصابة الأعلاج^(١)

١١-حلب

يقع في غرب حلب جبل يطلق عليه «جبل جوشن»، وهو غني بعنصر النحاس، حيث يستخرج منه ويرسل الى بقية المدن .

وبالقرب من هذا الجبل يقع مشهد يعرف بـ «مسقط السقط»^(٢)، وذلك أنّ حرم الرسول صلى الله عليه وآله عندما وصلوا الى هذا المكان أسقطت زوجة الحسين عليه السلام سقطاً كان يسمى «محسناً»^(٣).

(١) الدمعة الساكبة ٥: ٦٥ .

(٢) في معجم البلدان (٢: ١٧٣) وخريدة العجائب (١٢٨) يسمى «مشهد الطرح»، وفي نهر الذهب (٢: ٢٧٨) سمي «مشهد الدكة»، ونقل عن تاريخ ابن طي أنّ مشهد الطرح ظهرت عمارته سنة ٣٥١ بأمر من سيف الدولة، وذكر بعضهم أنّ إحدى نساء الحسين أسقطت هنا لما جيء بسبي عيال الحسين والرؤوس، وكان هنا معدن، وأهله لما فرحوا بالسبي دعت عليهم زينب، ففسد ذلك المكان فعمره سيف الدولة، ثم ذكر توالي العمارات عليه .

(٣) معجم البلدان ٢: ١٧٣ .

وذكر أنّ بعض سبي الحسين عليه السلام طلب ممن يقطن هناك من الصّناع خبزاً وماءً فامتنع، فدعا عليهم، ومن ذلك لا يريح أهل ذلك الموضع. ^(١)

١٢- قنسرين

وفيه نصبوا الرأس على رمح الى جنب صومعة راهب، وفي أثناء الليل سمع الراهب تسبيحاً وتهليلاً ورأى نوراً ساطعاً من الرأس المطهر، وسمع قائلاً يقول: السلام عليك يا أبا عبدالله، فتعجّب حيث لم يعرف الحال.

وعند الصباح استخبر من القوم، قالوا: أنّه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب وأُمّه فاطمة بنت محمد النبي صلى الله عليه وآله فقال لهم:

تبّاً لكم أيّتها الجماعة، صدقت الأخبار في قولها إذا قتل تمطر السماء دماً. وأراد منهم أن يقبل الرأس، فلم يجيبوه إلّا بعد أن دفع إليهم دراهم، ثم أظهر الشهادتين وأسلم ببركة المذبوح دون الدعوة الإلهية، ولمّا ارتحلوا عن هذا المكان نظروا إلى الدراهم وإذا مكتوب عليها: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾. ^(٢)

وفي رواية: أنّ الراهب طلب منهم أن يحمل الرأس معه الى الصومعة مقابل بعض الدراهم فوافقوا، وفي الصومعة جلس الراهب مقابل الرأس وقال: يا ربّ، بحق عيسى أعط لهذا الرأس المقدّس الاذن بالكلام.

في هذه الاثناء قال الرأس: يا راهب، ماذا تريد.

قال الراهب: من أنت؟

(١) خريدة العجائب لابن الوردي: ١٢٨.

(٢) تذكرة الخواص: ١٥٠.

قال الرأس المقدّس: «أنا ابن محمد المصطفى، وأنا ابن علي المرتضى، وأنا ابن فاطمة الزهراء، أنا المقتول بكر بلا، أنا المظلوم، أنا العطشان»، ثمّ سكت .

فوضع الراهب وجهه على وجه الحسين عليه السلام وقال: سوف لا ارفع وجهي من وجهك إلّا أن تقول لي هل تشفع لي يوم القيامة .

فقال الرأس المقدّس: ارجع الى دين جدّي .

فقال الراهب: أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله، فقبل الامام التشفّع له .

وفي الصباح عندما أرجع الراهب الرأس الى القوم، تحولت الدراهم التي أخذوها من الراهب الى حجارة.^(١)

١٣- معرّة النعمان^(٢)

عندما وصل ركب السبائيا إلى هذه المدينة استقبلهم الأهالي بالفرح والسرور وتوزيع الغذاء عليهم، وبعد ان بقوا فيها مدّة قليلة رحلوا الى «شيزر» .

١٤- شيزر^(٣)

عندما وصلوا إليها قال رجل كبير السن: هذا الرأس الذي معهم هو رأس الامام الحسين بن علي، فغضب أهالي هذه المدينة وحاولوا الهجوم على الركب،

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٣٠٣، الصواعق المحرقة: ٢٣١ باختلاف في الألفاظ .

(٢) معرّة النعمان: موضع بين حماة وحلب، سميت باسم النعمان بن بشير الأنصاري، لأنّ أحد أولاده مدفون فيها؛ وقيل: انّ قبر يوشع بن نون عليه السلام فيها أيضاً، ولكن الصحيح انّ قبر يوشع في «نابلس». «معجم البلدان ٥: ١٦٥» .

(٣) شيزر: منطقة من مناطق الشام، تفصلها عن حماة مسيرة يوم واحد. (مراسد الاطلاع ٢: ٨٢٦) .

ولذا فان القافلة تحركت ولم تتوقف في هذه المدينة.

١٥- كفر طالب^(١)

وقف الأهالي في هذه المنطقة ضد حاملي الرأس المقدّس، وأبو أن يعطوهم ماء قائلين: لا نعطيك ماء، والحسين وأصحابه قتلوا عطاشى .

١٦- سيبور^(٢)

عندما وصل الموكب الى هذه المدينة قادماً من كفر طالب، أخذ الامام السجاد ينشد بعض الاشعار .

قال شيخ كبير من أتباع عثمان للناس : زَيّنوا المدينة، حتى تكون أفضل من باقي المدن، ولكن الأهالي امتنعوا، وحمل شبابها اسلحتهم استعداداً للحرب، وحدث نزاع بين الأهالي ادى الى مقتل البعض، وقد دعت لهم أمّ كلثوم بوافر الرزق وأن يجعل ماءهم مثل الزلال .

من جملة الاشعار التي تلاها الامام السجاد عليه السلام في هذا المكان قوله :
آل الرسول على الأقتاب عارية وآل مروان تسري تحتهم نُجَب

١٧- حماة^(٣)

من سيبور استمرت حركة القافلة الى حماة، ولكنهم وجدوا أبواب المدينة

(١) كفر طالب: مدينة تقع بين المعرة وحلب، وفي هذه المنطقة تكثّر الآبار التي تحتوي على مياه الشرب الذي يجمع من الأمطار. (معجم البلدان ٤: ٤٧٠).

(٢) لم نجد لها في معاجم البلدان، ولكن ذكرها بعض المقاتل. (رياض الأحرار: ٨٣).

(٣) مدينة كبيرة عامرة بالخيرات، يحيطها جدار كبير، يفصلها عن حمص مسيرة يوم واحد، وعن دمشق مسافة خمسة أيام. (معجم البلدان ٢: ٣٠٠).

مغلقة في وجوههم، فتركوها وتوجهوا إلى حمص .

١٨ - حمص^(١)

بعد أن فشل الموكب بدخول حماة وصل إلى حمص، وكذلك وجدوا بعض الصعوبة بالدخول إلى المدينة حيث واجههم الأهالي بالحجارة ممّا أدى إلى قتل وجرح بعض جنود الجيش الأموي، لذا قرروا التوجه نحو البوابة الشرقية للمدينة، ولكنهم وجدوها مغلقة كذلك والأصوات ترتفع ضدهم وتقول: «لا كفر بعد إيمان ولا ضلال بعد هدى»، فتوجهت القافلة نحو بعلبك .

١٩ - بعلبك^(٢)

وعندما وصلت قافلة السبائيا إلى بعلبك، خرج الناس عن بكرة أبيهم ليروا الأسرى القادمين إلى المدينة.^(٣)

وجاء في بحار الأنوار أنّ أمّ كلثوم قالت: «أباد الله خضراتهم ولا أعذب الله شرابهم ولا رفع الله أيدي الظلمة عنهم» .

فعندما سمع الامام زين العابدين عليه السلام هذه الكلمات قال :

وهو الزمان فلا تفنى عجائبه من الكرام وما تهدي مصائبه
يا ليت شعري إلى كم ذا تُجاذبنا فُسنونه وترانا لم تُجاذبه

(١) حمص: مدينة كبيرة بين دمشق وحلب، وبها قلعة كبيرة، وفيها أيضاً قبر خالد بن الوليد وابنه عبد الرحمن، وكذلك قبر عياض بن غنم. (مراسد الاطلاع ١: ٤٢٥).

(٢) بعلبك: مدينة قديمة تبعد عن دمشق مسيرة ثلاثة ايام، وهي تحتوي على ابنية كبيرة وآثار عجيبة تعود إلى ما قبل التاريخ. (مراسد الاطلاع ١: ٢٠٧).

(٣) القمقام الزخّار: ٥٥٠.

يُسري بنا فوق أقياب بلا وطاً وسائق العيش يحمي عنه غاربه
كأئنا من أسارى الروم بينهم كأنَّ ما قاله المختار كاذبه
كفرتهم برسول الله ويحكم فكُنتم مثل ما ضلَّت مذاهبه^(١)

الأنبياء والرأس المطهر

وروى ابن طاووس ، عن ابن لهيعة ، قال :

كنت أطوف بالبيت وإذا أنا برجل يقول : اللَّهُمَّ اغفر لي وما أراك فاعلاً .

فقلت : يا عبدالله ، اتق الله ولا تقل مثل هذا ، فلو أنَّ ذنوبك مثل قطر الأمطار وورق الأشجار واستغفرت الله لغفر لك ، فإنه غفور رحيم .

فقال : تعال حتى أخبرك بقصتي فأتيته .

فقال : اعلم أنا كنا خمسين نفرًا مَن سار برأس الحسين إلى الشام ، وكنا إذا أمسينا وضعنا الرأس في تابوت وشربنا الخمر حوله ، فشرَّب أصحابي ليلة حتى إذا سكرُوا ولم أشرب معهم وجنَّ علينا الليل سمعت رعداً أو رأيت برقاً وإذا بأبواب السماء قد فتحت ، ونزل آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ونبينا محمد ﷺ ومعهم جبريل وخلق كثير من الملائكة ، فدنا جبرئيل من التابوت ، فأخرج الرأس فضمَّه إلى نفسه وبكى وقبَّله ، ثم فعل الأنبياء كذلك والملائكة كلُّهم ، وبكى النبي ﷺ على رأس الحسين ﷺ وعزَّاه الأنبياء .

وقال جبرئيل للنبي ﷺ : يا محمد ، إنَّ الله تعالى أمرني أن أطيعك في أمرك ، فإنَّ أمرتي زلزلت بهم الأرض ، وجعلت عاليها سافلها كما فعلت بقوم لوط .

فقال النبي ﷺ : لا يا جبرئيل ، فإنّ لي معهم موقفاً بين يدي الله يوم القيامة ،
ثمّ جاء الملائكة نحونا ليقتلونا ، فقلت : الأمان يا رسول الله .

فقال : اذهب لا غفر الله لك .^(١)

٢٠- دمشق^(٢)

وعلى كلّ حال وصل أهل بيت الرسول الأكرم ﷺ مع الرؤوس النورانية الى
دمشق .

روى ابن طاووس ، قال : لما قرب القوم بالرؤوس والأسارى من دمشق دنت
أمّ كلثوم من شمر لعنه الله ، وكان في جملتهم ، فقالت : لي إليك حاجة .

قال : وما حاجتك ؟

قالت : إذا دخلت البلد فأدخلنا في درب قليل النظارة ، وتقدّم إلى أصحابك
أن يخرجوا الرؤوس من بين المحامل وينحّونا عنها فقد خزينا من كثرة النظر
إلينا ونحن في هذا الحال ، فأمر في جواب سؤالها أن يجعلوا الرؤوس على
الرماح في أوساط المحامل بغياً منه وكفراً ، وسلك بهم على تلك الحال بين
النظارة حتّى أتى بهم باب دمشق فأقيموا على درج باب المسجد الجامع حيث يقام
السبي .

وروي أنّ بعض الفضلاء التابعين لما شاهد رأس الحسين عليه السلام أخفى نفسه

(١) الملهوف : ٧٢ ، عوالم العلوم ١٧ : ٤٢٥ .

(٢) أكبر مدينة سورية ، كانت لها مكانة تاريخية وثقافية عريقة ، فتحها المسلمون عام ١٣ للهجرة ،
وحكمها معاوية مدّة ٣١ سنة . وفيها الجامع الأموي ، وهو من أكبر المساجد عند المسلمين . (دائرة
المعارف الاسلامية ٩ : ٢٤٦) .

شهِراً من جميع أصحابه، فلَمَّا وجدوه بعد أن فقدوه سألوه عن سبب ذلك، فقال:
أما ترون ما نزل بنا؟ ثمّ أنشأ يقول:

جاءوا برأسك يا ابن بنت محمد	مترملاً بدمائه ترميلا
فكأنّما بك يا ابن بنت محمد	قتلوا جهاراً عامدين رسولا
قتلوك عطشاناً ولمّا يرقبوا	في قتلِكَ التأويل والتنزila
ويكبّرون بأن قُتِلت وإنّما	قتلوا بك التكبير والتهليلا
يا من إذا حسن العزاء عن امرئ	كان البكاء حسناً عليه جميلا
فبكتك أرواح السحائب غدوة	وبكتك أرواح الرياح أصيلا ^(١)

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ١٢٥-١٢٦، الملهوف: ٧٣، وفيهما الأبيات الأربعة الأولى فقط.

الفصل الثامن

في الشام

ولم يزل القوم سائرين بحرم رسول الله ﷺ من الكوفة إلى الشام على محامل بغير وطء من بلد إلى بلد، ومن منزل إلى منزل كما تساق أسارى الترك والديلم حتى وصلوا إليها أخيراً^(١).

الوضع الفكري عند أهل الشام

نذكر هنا باختصار وضع أهل الشام من الناحية الفكرية والروحية :

جاء في الروايات ذمّ لأرض الشام، وذكرها الأئمة بسوء ، كان أهل الشام يضرّون لعليّ العداء وخاصّة في عهد معاوية، ويعزى سبب ذلك إلى الدعايات الواسعة التي كان يشنّها معاوية والأمويون ضد عليّ ﷺ وبني هاشم. وبما أنّهم كانت لهم الهيمنة على تلك البلاد فقد اوغروا صدور أهاليها ضد آل البيت، وزرعوا في قلوبهم العداء لهم، وهذا ما تسبّب في استئراء العداء بين الشاميين والعراقيين وأدى إلى عدم انصياع ولايات وأهالي العراق لحكومة دمشق.

خلف سفر أهل البيت إلى بلاد الشام مرارة في قلوبهم، ولاقوا فيها أشد المصائب والمشاق، ولما سئل الامام السجاد ﷺ أي المصائب كانت أشدّ عليكم في واقعة الطف؟ قال ثلاثاً: «الشام، الشام، الشام»، وينقل عنه كذلك قوله :

(١) مقتل الحسين ﷺ للخوارزمي ٢ : ٥٥ .

فيا ليت لم أنظر دمشق ولم أكن يراني يزيد في البلاد أسيره^(١)
ومع ذلك فإن الشام لا تخلو من الموالين لأهل البيت عليهم السلام ولكن نسبتهم قليلة
جداً إذا ما قيسست مع المخالفين .

والشواهد على ذلك كثيرة، فقد روي أنهم - السبايا - لما دخلوا دمشق
وأقيموا على درج المسجد منتظرين الإذن من يزيد حيث يقام السبي أقبل شيخ من
أهل الشام حتى دنا منهم، فقال: الحمد لله الذي قتلكم وأهلكم، وأراح العباد من
رجالكم، وأمكن أمير المؤمنين منكم .

فقال له علي بن الحسين عليه السلام : يا شيخ، هل قرأت القرآن ؟
قال : نعم .

قال : قرأت هذه الآية : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾^(٢) ؟
قال الشيخ : قرأت ذلك .

فقال علي بن الحسين عليه السلام : فنحن القربى، يا شيخ، هل قرأت : ﴿ وَاعْلَمُوا
أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى ﴾^(٣) ؟
قال : نعم .

قال : فنحن القربى، يا شيخ، هل قرأت : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ
الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾^(٤) ؟

(١) رياض الأحزان: ١٠٨ .

(٢) الشورى: ٢٣ .

(٣) الأنفال: ٤١ .

(٤) الأحزاب: ٣٣ .

قال: نعم.

قال: فنحن أهل البيت الذي خصصنا به.

قال: فبقى الشيخ مبهوراً ساعة ساكناً نادماً على ما تكلم به، ثم رفع رأسه إلى السماء، فقال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْ بَغْضِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، فَقَالَ: يَا اللَّهِ أَنْتُمْ هُمْ؟

فقال علي بن الحسين عليه السلام: تالله إِنَّا لَنُحِبُّهُمْ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ، وَحَقٌّ جَدُّنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال: فبكى الشيخ ورمى عمامته، ثم رفع رأسه إلى السماء، فقال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ عَدُوِّ آلِ مُحَمَّدٍ مِنْ جَنٍّ أَوْ إِنْسٍ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ مِنْ تَوْبَةٍ، يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ؟

قال: نعم، إن تبت تاب الله عليك، وأنت معنا.

فقال: وأنا تائب، فبلغ يزيد مقاتله، فأمر بقتله.

سهل بن سعد الساعدي^(١)

روي عن سهل بن سعد الساعدي، قال: خرجت إلى بيت المقدس حتى أتيت دمشق فرأيت أهلها قد علّقوا الستور والحجب والديباج، وهم فرحون مستبشرون، وعندهم نساء يلعبن بالدفوف، فقلت في نفسي: لأهل الشام عيد لا نعرفه؟ فرأيت قوماً يتحدّثون، فقلت: يا قوم، ألكم في الشام عيد لا نعرفه؟

(١) وهو من شيعة أهل البيت في الشام، كان سهل من صحابة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث كان عمره عند وفاة الرسول خمس عشرة عاماً، وهو من شيعة علي عليه السلام، عاش حتى عام ٨٨ هـ كان عمره حين وفاته ٩٦ أو مائة سنة، وقيل: بأنه آخر صحابي توفي. (تنقيح المقال للمامقاني ٧٦: ٢، الاستيعاب ٢: ٦٦٤).

قالوا: يا شيخ، نراك غريباً؟

قلت: أنا سهل بن سعد، رأيت رسول الله ﷺ وحملت حديثه.

قالوا: يا سهل، ما أعجب السماء لا تمطر دماً، والأرض لم تنخسف بأهلها؟

قلت: ولم ذاك؟

قالوا: هذا رأس الحسين عترة محمد ﷺ يهدى من العراق.

فقلت: واعجبا! يهdy رأس الحسين والناس يفرحون!

قلت: من أيّ باب يدخل؟ فأشاروا الى باب يقال له باب الساعات.

قال سهل: فينا أنا كذلك إذ أقبلت الرايات يتلو بعضها بعضاً، وإذا بفارس بيده رمح منزوع السنان، عليه رأس من أشبه الناس وجهاً برسول الله، وإذا من ورائه نسوة على جمال بغير وطاء، فدنوت من أولاهنّ فقلت لجارية منهنّ: يا جارية، من أنت؟

قالت: أنا سكينّة بنت الحسين عليه السلام.

فقلت: ألك حاجة، فأنا سهل بن سعد الساعدي، وقد رأيت جدّك وسمعت

حديثه؟

قالت: يا سهل، قل لصاحب الرأس أن يقدّم الرأس أمامنا حتّى يشتغل الناس بالنظر إليه ولا ينظروا إلى حرم رسول الله ﷺ.

قال سهل: فدنوت من صاحب الرأس، فقلت: هل لك أن تقضي لي حاجة وتأخذ منّي أربعمائة درهم؟

قال: ما هي؟

قلت: تقدّم الرأس أمام الحرم، ففعل ذلك، فسلمت إليه الدراهم، ووضع الرأس في طشت وأدخل على يزيد، فدخلت مع الناس، وكان يزيد جالساً على

السريّر ، وعلى رأسه تاج مكلّل ، وحوله كثير من مشايخ قریش ، فلما دخل صاحب الرأس جعل يقول :

أوقر ركابي فضّة وذهبا أنا قتلت السيّد المُحبّبا
قتلت خير الناس أمّا وأبا وخيرهم إذ ينسبون النسبا
فقال يزيد : إذا علمت أنّه خير الناس فلم تقتله ؟

قال : رجوت الجائزة .

ف قيل : إنّ يزيد أمر بقتله .^(١)

شعر الإمام السجاد عليه السلام

في تلك الاثناء أنشد الإمام السجاد عليه السلام هذه الأبيات :

أقاد ليلاً في دمشق كأنني من الزنج عبداً غاب عنه نصيره
وجدّي رسول الله في كلّ مشهدٍ وشيخي أمير المؤمنين أميره
فيا ليت لم أنظر دمشق ولم أكن يراني يزيد في البلاد أسيره^(٢)
قال سهل : في الشام ، رأيت خمس نساء ومعهم امرأة عجوز ، وعندما رأّت
هذه العجوز الرأس المقدّس رمت حجارةً باتجاهه .

فعندما رأيت هذا الموقف قلت : اللهم أهلكها وأهلكهن معها بحقّ محمد وآله
أجمعين .

وفي رواية أخرى أنّ أم كلثوم هي التي قالت هذا القول .^(٣)

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢ : ٦٠ - ٦١ ، عوالم العلوم ١٧ : ٤٢٧ .

(٢) رياض الأحرار : ١٠٨ ، وفيه « فيا ليت أمي لم تلدني ولم أكن » .

(٣) الدفعة الساكبة ٥ : ٨٤ .

مجلس يزيد

وغمرت الأفراح والمسرات يزيد لمّا وافاه النّبأ بمقتل الامام وكان في
بستانه الخضراء فكبر تكبيرة عظيمة، ولمّا جيء بالسبايا كان مطلاً على منظر في
جبرون، فلمّا نظر الى السبايا والروؤس قد وضعت على الجراب، امتلاً سروراً وراح
يقول :

لما بدت تلك الحمول واشرفت تلك الروؤس على شفا جيرون
نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل فلقد قضيت من الرسول ديوني^(١)
قال الراوي: ثمّ أدخلوا على يزيد وهم مقرّنون بالحبال، وكان أوّل من دخل
شمر بن ذي الجوشن على يزيد بعليّ بن الحسين عليه السلام مغلوله يده إلى عنقه، فلمّا
وقفوا بين يديه على تلك الحال قال له عليّ بن الحسين عليه السلام: أنشدك بالله يا يزيد، ما
ظنّك برسول الله صلى الله عليه وآله لو رآنا على هذا الحال ما كان يصنع؟
فأمر يزيد بالحبال فقطعت، ثمّ وضع رأس الحسين في طشت بين يديه،
وأجلس النساء خلفه كيلا ينظرن إليه.

وأما زينب فإنّها لمّا رآته أهوت إلى جيبها فشقّته، ثمّ نادت بصوت حزين
يقرح القلوب: يا حسينا، يا حبيب رسول الله، يا ابن مكّة ومنى، ويا ابن فاطمة
الزهراء سيّدة النساء، يا ابن بنت المصطفى.

قال: فوالله لقد أبكت كلّ من في المجلس ويزيد ساكت.

ثمّ جعلت امرأة من بني هاشم كانت في دار يزيد تتدب الحسين عليه السلام وتنادي:
واحسيناه، واسيّداه، يا ابن محمداه، يا ربّيع الأرامل واليتامى، يا قتيل أولاد
الأدعياء.

(١) نفس المهموم: ٤٣٥.

قال: فأبكت كل من سمعها. (١)

قال الراوي: وكان يزيد بن معاوية متربّعاً على سرير الملك والظفر، وبين يديه رأس الحسين بن علي في الطشت، وهو يترنم بأبيات ابن الزبيري، ويقول:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه ببدرٍ فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا خبرُ جاء ولا وحي نزل
لست من خندف ان لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

ومن حوله علوج بني أمية - ومنهم العدو الألد للحسين عليه السلام مروان بن الحكم، وهو يهز أعطافه فرحاً وشماتةً بقتل سيد شباب أهل الجنة، ويلتفت إلى الرأس الشريف قائلاً:

يا حبذا بردك في اليدين ولونك الأحمر في الخدين
أخذت ثاري وقضيت ديني شفيت قلبي من دم الحسين
وزيدٌ بيده عود ينكت به ثغر الحسين، ويقول: يومٌ بيوم، وأنشد:

نُفلقُ هاماً من رجالٍ أعزّة علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما
وروي أن يحيى بن الحكم (٢) كان حاضراً عند يزيد لما وضع رأس الحسين عليه السلام بين يديه وعرضت عليه سبایا رسول الله صلى الله عليه وآله فجعل يحيى يقول:
لهام بجنب الطف أدنى قرابة من ابن زياد العبد ذي النسب الوغل

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٦١-٦٢، الملهوف: ٧٢-٧٤.

(٢) روى صاحب المناقب اسم شخص آخر هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص، وقيل هو عبد الرحمن بن الحكم أخو مروان بن الحكم.

سميّة أمسى نسلها عدد الحصى وبنت رسول الله ليست بذوي نسل
فقال له يزيد: سبحان الله! أفي مثل هذا الموضع تتكلم بهذا؟ أما يسعك
السكوت؟^(١).

ثم قال يزيد للحاضرين: لقد كان هذا الرجل^(٢) يفتخر دائماً بأنّ أباه أفضل
من أبي، وأمه أفضل من أمي، وجدّه أفضل من جدّي، وهو أفضل منّي .
أما قوله: إنّ أباه أفضل من أبي، فلقد قضى الله لأبي بعد التحكيم .
وأما قوله: إنّ أمّه أفضل من أمي، نعم فأنا أقسم أنّ فاطمة بنت رسول الله
أفضل من أمي .

وأما قوله: إنّ جدّه أفضل من جدّي، نعم، كلّ مسلم يؤمن بالله ويوم القيامة لا
يمكنه أن يقول إنّ جدّي أفضل من محمد .

وأما قوله: بأنّه أفضل منّي، فالظاهر أنّه لم يقرأ الآية ﴿قل اللهم مالك
الملك﴾^{(٣) (٤)}.

قال الراوي: ثمّ التفت يزيد إلى علي بن الحسين عليه السلام وقال له: يا ابن
الحسين، إنّ أباك قطع رحمي، وجهل حقّي، ونازعني سلطاني، فصنع الله به ما قد
رأيت .

فقال علي بن الحسين عليه السلام: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٥).

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٤ : ١١٤، الارشاد للمفيد ٢ : ١١٩ .

(٢) أي الامام الحسين عليه السلام .

(٣) آل عمران: ٢٦ .

(٤) بحار الأنوار ٤٥ : ١٣١ .

(٥) الحديد : ٢٢ .

فقال يزيد لابنه خالد: اردد عليه، فلم يدر ما يقول، فقال يزيد: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾^{(١) (٢)}

قال الراوي: ثم قال علي بن الحسين عليه السلام: يا ابن معاوية وهند وصخر، إن النبوة والإمرة لم تزل لأبائي وأجدادي من قبل أن تولد، ولقد كان جدي علي بن أبي طالب يوم بدر وأحد الأحزاب في يده راية رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبوك وجدك في أيديهما رايات الكفار.

ثم جعل صلوات الله عليه يقول:

ماذا تقولون إذا قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي منهم أسارى ومنهم ضُرجوا بدم
ثم قال علي بن الحسين عليه السلام: ويلك يا يزيد لو تدري ما صنعت، وما الذي
ارتكبت من أبي وأهل بيتي وأخي وعمومتي إذا لهربت في الجبال، وافترشت
الرماد، ودعوت بالويل والثبور أن يكون رأس الحسين بن فاطمة وعلي ولده
منصوبان على باب مدينتكم، وهو وديعة رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم فابشر بالخزي
والندامة غداً إذا جمع الناس ليوم القيامة^(٣).

وفي رواية أخرى أن يزيد لعنه الله قال لزینب عليها السلام: ماذا تقولين أنت ؟
فأشارت زينب إلى الامام السجاد عليه السلام ان يكلمه، فقال الإمام السجاد عليه السلام :
لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم وأن تكف الأذى عنكم وتؤذونا
الله يعلم أننا لا نحبيكم ولا نلومكم أن لم تحبونا

(١) الشورى: ٣٠.

(٢) الارشاد للمفيد ٢: ١٢٠.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٦٣، بحار الأنوار ٤٥: ١٣٥.

فقال يزيد: صدقت ولكن أراد أبوك وجدك أن يكونا أميرين، فالحمد لله الذي قتلهما، وسفك دمهما.^(١)

فاطمة بنت الحسين عليها السلام

وروي عن فاطمة بنت الحسين أنها قالت: لما أدخلنا على يزيد ساء ما رأى من سوء حالنا، وظهر ذلك في وجهه، فقال: لعن الله ابن مرجانة، وابن سمية، لو كان بينه وبينكم قرابة ما صنع بكم هذا، وما بعث بكن هكذا، قالت، فقام إليه رجل من أهل الشام وقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية. قالت: وكنت جارية وضيئة، فارتعدت وفرقت وظننت أنه يفعل ذلك، فأخذت بثياب عمتي زينب فقالت: كذبت والله ولؤمت ما ذلك لك ولا له. فغضب يزيد، فقال: بل أنت كذبت إن ذلك لي، ولو شئت فعلته. فقالت: كلا والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا. فقال يزيد: إيتاي تستقبلين بهذا؟ إنما خرج من الدين أبوك وأخوك. فقالت: بدين الله ودين أبي وجدّي اهتديت. قال: كذبت يا عدوة الله. قالت زينب: أمير متسلط يشتم ظلماً، ويقهر بسلطانه، اللهم إليك أشكو دون غيرك.

فاستحيا يزيد وندم وسكت مطرقاً.

وأعاد الشامي فقال: يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية. فقال يزيد: اعزب لعنك الله، ووهب لك حتفاً قاضياً، وملك لا تقل ذلك، فهذه

(١) بحار الأنوار ٤٥: ١٧٥.

بنت عليّ وفاطمة، وهم أهل بيت لم يزالوا مبغضين لنا منذ كانوا.^(١)

قال الشامي: الحسين بن فاطمة وابن عليّ بن أبي طالب!!

قال: نعم.

فقال الشامي: لعنك الله يا يزيد، تقتل عترة نبيك وتسبي ذريته، والله ما توهّمت إلا أنهم سبي الروم.

فقال يزيد: والله لألحقنك بهم، ثم أمر به فضربت عنقه.^(٢)

قال الراوي: لما أدخل رأس الحسين عليه السلام وحرمه على يزيد وكان رأس الحسين بين يديه في طشت جعل ينكت ثناياه بمخصرة في يده ويقول:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثمّ قالوا يا يزيد لا تشل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل

وروي أنّه لما وضع رأس الحسين بين يدي يزيد فجعل ينكت ثنايا الحسين بالقضيب ويقول: لقد كان أبو عبدالله حسن المضحك، فأقبل إليه أبو برزة الأسلمي^(٣) صاحب رسول الله ﷺ وكان حاضراً في مجلسه، وقال: ويحك يا يزيد، أتنتك بقضيبك ثغر الحسين؟ لقد أخذ قضيبك هذا من ثغره مأخذاً، أشهد لقد رأيت رسول الله ﷺ يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن، ويقول: إنهما سيّدا شباب

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٦٢.

(٢) الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٨ - ٢١٩.

(٣) أبو برزة الأسلمي، واسمه على الأصح فضلة بن عبيد، وهو من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان يسكن البصرة، وقيل أنّه توفي سنة ٦٤. (الاستيعاب ٤: ١٦١).

أهل الجنة، قتل الله قاتلكما ولعنه وأعدّ له جهنم وساءت مصيراً، أمّا أنت يا يزيد لتجيء يوم القيامة وعبيد الله بن زياد شفيقك، ويجيء هذا وشقيقه محمد رسول الله ﷺ، فغضب يزيد وأمر بإخراجه، فأخرج سحياً^(١).

سفير ملك الروم ومجلس يزيد

وروي عن زيد بن عليّ، عن محمد بن الحنفية، عن عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه لما أتى برأس الحسين إلى يزيد لعنه الله كان يتخذ مجالس الشرب ويأتي برأس الحسين ويضعه بين يديه ويشرب عليه، فحضر ذات يوم في مجلس يزيد رسول ملك الروم وكان من عظمائهم، فقال: يا ملك العرب، هذا رأس من؟ فقال يزيد: مالك ولهذا الرأس؟

فقال: إني إذا رجعت إلى ملكنا يسألني عن كلّ شيء رأيته فأحببت أن أخبره بقصة هذا الرأس وصاحبه حتى نشاركك في السرور والفرح. قال يزيد لعنه الله: هذا رأس الحسين بن عليّ بن أبي طالب. فقال: ومن كانت أمّه؟ قال: فاطمة الزهراء. قال: بنت من؟ قال: بنت رسول الله.

فقال النصراني: أف لك ولدينك، ما من دين أخس من دينك، أعلم إني من أحفاد داود، وبينني وبينه آباء كثيرة والنصارى يعظمونني ويأخذون التراب من تحت قدمي تبرّكاً به لأنّي من أحفاد داود، وأنتم تقتلون ابن بنت نبيكم وما بينه وبين

نبيّكم إلا أمّ واحدة، فأَيّ دين دينكم؟ ثمّ قال: هل سمعت بحديث كنيسة الحافر؟ فقال يزيد: قل حتّى أسمع.

قال: إنّ بين عمان والصين بحر مسيرة سنة، ليس فيه عامر إلا بلدة واحدة في وسط الماء، طولها ثمانون فرسخاً في ثمانين، ما على وجه الأرض بلدة أكبر منها، ومنها يحمل الكافور والياقوت، أشجارهم العود ومنهم يحمل العنبر، وهي في أيدي النصارى، لا ملك لأحد فيها من الملوك، وفي تلك البلدة كنائس كثيرة أعظمها كنيسة الحافر، في محرابها حقّة من ذهب معلّقة فيها حافر يقولون إنّ حافر حمار كان يركبه عيسى عليه السلام، وقد زيّنوا حول الحقّة من الذهب والديباج ما لا يوصف، في كلّ عام يقصدونها العلماء من النصارى، يطوفون بتلك الحقّة ويقبلونها، ويرفعون حوائجهم إلى الله سبحانه، هذا شأنهم ودأبهم بحافر حمار يزعمون أنّه حافر حمار عيسى، وأنتم تقتلون ابن بنت نبيّكم، فلا بارك الله فيكم، ولا في دينكم. فقال يزيد لأصحابه: اقتلوا هذا النصرانيّ، فإنّه يفضحني إن رجع إلى بلاده فيشتع عليّ، فلمّا أحسّ النصرانيّ بالقتل قال: يا يزيد، تريد أن تقتلني؟

قال: نعم.

قال: اعلم أنّي رأيت البارحة نبيّكم في المنام وهو يقول لي: يا نصرانيّ، أنت من أهل الجنّة، فتعجّبت من كلامه، وها أنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، ثمّ وثب إلى رأس الحسين عليه السلام وضّمّه إلى صدره، وجعل يقبله ويبكي حتّى قتل رحمه الله.

وفي رواية: أنّ النصرانيّ اخترط سيفه وحمل على يزيد، فحال الخدم بينهما، ثمّ قتل في المكان وهو يقول: الشهادة الشهادة^(١).

(١) مقتل الحسين للمقرّم: ٢٥٥.

خطبة زينب الكبرى عليها السلام

قال الراوي: ثم قامت زينب بنت علي فقالت:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد المرسلين صدق الله كذلك يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَصَاءُوا السَّوْءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١) أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسرى أن بناهواناً على الله، وبك عليه كرامة؟ وإن ذلك لعظيم خطر كعنده، وشمخت بأنفك، ونظرت إلى عطفك جذلان سروراً حين رأيت الدنيا مستوسقة، والأمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلاً مهلاً أنسيت قول الله سبحانه: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّنا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ إِنَّنا نُمْلِي لَهُمْ لِيزِدُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾^(٢) أمن العدل - يا ابن الطلقاء - تخديرك حرائك وامائك، وسوقك بنات المصطفى رسول الله كسبايا قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن من بلدٍ إلى بلد يستشرفهن أهل المناهل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف، وليس معهن من رجالهن ولي، ولا من حماتهن حمي، وكيف ترتجي مراقبة من لفظ فوه أكباد السعداء، ونبت لحمه بدماء الشهداء؟!

وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنان والإحنا والأضغان، ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم.

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل منحنياً على ثنايا أبي عبدالله سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك. وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة، بإراقتك دماء آل

(١) الروم: ١٠.

(٢) آل عمران: ١٧٨.

محمد، وتهتف بأشياخك زعمت تناديهم؟ ولتردن وشيكاً موردهم، ولتودن أنك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت.

وقالت: اللهم خذ بحقنا، وانتقم ممن ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا، فوالله ما فريت إلا جلدك، ولا حزرت إلا لحمك، وسترد على رسول الله ﷺ بما تحملت من سفك دماء ذريته، وانتهكت من عترته وحرمة ولحمته، وليخاصمتك حيث يجمع الله تعالى شملهم، ويلم شعثهم ويأخذ لهم، بحقهم، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١).

وحسبك بالله حاكماً، وبمحمد ﷺ خصيماً، وبجبرئيل ظهيراً، وسيعلم من سؤل لك هذا ومكنك من رقاب المسلمين أن بئس للظالمين بدلاً، وأيكم شر مكاناً وأضعف جنداً.

ولئن جرت عليّ الدواهي مخاطبتك، أني لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، وأستكثر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حزى.

ألا فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنظف من دماننا، والأفواه تتحلّب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل، وتعفوها أمهات الفراعل، ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرمًا، حين لا تجد إلا ما قدّمت يداك، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٢) فإلى الله المشتكى وعليه المعول.

فكد كيدك، واسع سعيك، وناصر جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحيانا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا

(١) آل عمران: ١٦٩.

(٢) فصلت: ٤٦.

عدد، وجمعك إلا بدد؟ ويوم ينادي المناد: ألا لعنة الله على الظالمين.
والحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة
والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد، ويحسن علينا
الخلف، إنه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل.
فقال يزيد لعنه الله:

يا صيحةً تعلن من صوائح ما أهون الحزن على النوائح^(١)

خطبة الامام السجاد عليه السلام

قال الراوي: ودعا يزيد الخاطب وأمره أن يصعد المنبر ويدمّ الحسين وأباه
عليه السلام، فصعد وبالح في سبّ أمير المؤمنين والحسين عليه السلام، والمدح لمعاوية ويزيد.
فصاح به علي بن الحسين عليه السلام: ويلك أيها الخاطب، اشتريت مرضاة
المخلوق بسخط الخالق، فتبوء مقعدك من النار.
ولقد أحسن من قال:

أعلى المنابر تعلنون بسبه وبسيفه نُصبت لكم أعوادها؟^(٢)
وروي: أن علي بن الحسين عليه السلام لما سمع ما سمع من الخاطب لعنه الله قال
ليزيد: أريد أن تأذن لي أن أصعد المنبر فأتكلم بكلمات فيهنّ الله رضااً ولهؤلاء
الجلساء أجر، فأبى يزيد.

فقال الناس: يا أمير المؤمنين ائذن فليصعد، فلعلنا نسمع منه شيئاً.
فقال: إنه إن صعد لم ينزل إلا بفضيحتي وبفضيحة آل أبي سفيان.
فقليل له: وما قدر ما يحسن هذا؟

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٦٤-٦٦، الملهوف: ٧٤-٧٨، بحار الأنوار ٤٥: ١٣٣.

(٢) الملهوف على قتلى الطفوف: ٨٠.

فقال: إنّه من أهل بيت قد زوّوا العلم زقاً؟

قال: فلم يزلوا به حتّى أذن له، فصعد المنبر^(١)، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ

(١) أقول: حكى عن الشعبي الحافظ لكتاب الله عزّ وجلّ أنّه قال: استدعاني الحجاج بن يوسف يوم الأضحى فقال لي: أيّها الشيخ أيّ يوم هذا؟ فقلت: هذا يوم الأضحى، قال: بهم يتقرّب به الناس في مثل هذا اليوم؟ فقلت: بالأضحى والصدقة وأفعال البرّ والخير.

فقال: اعلم أنّي قد عزمت اليوم أن أضحيّ برجل حسيني.

قال الشعبي: فبينما هو يخاطبني إذ سمعت من خلفي صوت لسلسلة وحديد فخشيت أن ألتفت فيستخفني، وإذا قد مثل بين يديه رجل علوي وفي عنقه سلسلة وفي رجليه قيد من حديد، فقال له الحجاج: ألسنت فلان بن فلان؟

قال: نعم.

فقال له: أنت القائل إنّ الحسن والحسين من ذرّيّة رسول الله؟

قال: ما قلت وما أقول، ولكنّي قلت وأقول: إنّ الحسن والحسين ولد رسول الله وفرخاه، وإنّهما دخلا في ظهره وخرجا من صلبه على رغم أنفك يا حجاج.

قال: وكان الملعون مستنداً أفصار جالساً وقد اشتدّ غيظه وغضبه وانتفخت أوداجه حتّى تقطعت أزرار برده فدعاه بريدة غير هافلبسها، ثم قال للعلويّ: يا ويلك إن لم تأتني بدليل من القرآن يدلّ على أنّ الحسن والحسين ولد رسول الله دخلا في ظهره وخرجا من صلبه وإلا لأصلبتك ولأقتلنك في هذا الحين أشدّ قتلة، وإن أتيتني بدليل يدلّ على ذلك أعطيتك هذه البدرّة التي بيدي وخليت سبيلك. قال الشعبي: وكنت حافظاً لكتاب الله تعالى كلّه وأعرف وعده ووعيده، وناسخه ومنسوخه، فلم تخطر على بالي آية تدلّ على ذلك، فحزنت في نفسي يعزّ والله عليّ ذهاب هذا الرجل العلوي. قال: فابتدأ الرجل يقرأ الآية فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، فقطع عليه الحجاج قراءته وقال: لعلّك تريد أن تحتجّ عليّ بآية المباهلة. وهي قوله تعالى: ﴿قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم﴾ [سورة آل عمران: ٦١].

فقال العلوي: هي والله حجة مؤكّدة معتمدة، ولكنّي آتيك بغيرها، ثمّ ابتدأ يقرأ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ومن ذرّيّته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين - وذكّرنا ويحيى﴾ [سورة الأنعام: ٨٤-٨٥] وسكت فقال له الحجاج: فلم لا قلت وعيسى أنسيت عيسى؟

فقال: نعم صدقت يا حجاج، فبأي شيء دخل عيسى في صلب نوح عليه السلام وليس له أب؟ فقال له =

خطب خطبة أبكى بها العيون، وأوجل منها القلوب، ثم قال:

= الحجاج: أنه دخل في صلب نوح من حيث أمّه، فقال العلوي: وكذلك الحسن والحسين دخلا في صلب رسول الله من أمهما فاطمة الزهراء.

قال: فبقي الحجاج كأنما ألقي حجر في فيه.

فقال له الحجاج: ما الدليل على أن الحسن والحسين إمامان؟ فقال العلوي: يا حجاج، لقد ثبتت لهما الإمامة بشهادة الرسول في حقهما لأنه قال في حقهما: «ولداي هذان إمامان فاضلان إن قاما وإن قعدا، تميل عليهما الأعداء فيسفكون دماءهما ويسبون حرهما» ولقد شهد لهم النبي بالإمامة أيضاً فقال: «ابني هذا - يعني الحسين - إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة».

فقال الحجاج: يا علويّ وكم عمر الحسين في دار الدنيا؟

فقال: ثماني وخمسون سنة. فقال له: وفي أيّ يوم قتل؟

قال: اليوم العاشر من المحرم بين الظهر والعصر.

فقال: ومن قتله؟

فقال: يا حجاج، لقد جند الجنود ابن زياد بأمر اللعين يزيد لعنه الله، فلما اصطفت العساكر لقتاله فقتلوا حماه وأنصاره وأطفاله وبقي فريداً، فبينما هو يستغيث فلا يغاث، ويستجير فلا يجار، يطلب جرة من الماء ليطفئ بها حرّ الظمأ، فبينما هو واقف يستغيث إلى ربّه إذ جاءه سنان فطعنه بسنانه، ورماه خولي بسهم ممشوم فوقع في لبتة، وسقط عن ظهر جواده إلى الأرض يجول في دمه، فجاءه الشمر لعنه الله فاحترّ رأسه بحسامه ورفع فوق قناته، وأخذ قميصه إسحاق الحضرمي، وأخذ سيفه قيس النهشلي، وأخذ بقلته حارث الكندي، وأخذ خاتمه زيد بن ناجية الشعبي، وأحاط القوم بخبائه، وعاثوا في باقي أثاثه، وسبوا حريمه ونساءه.

فقال الحجاج: هكذا جرى عليهم يا علوي، والله لو لم تأتني بهذا الدليل من القرآن وبصحة إمامتهما لأخذت الذي فيه عيناك، ولقد نجاك الله تعالى ممّا عزمت عليه من قتلك، ولكن خذ هذه البكرة لا بارك الله لك فيها: فأخذها العلوي وهو يقول: هذا من عطاء ربّي وفضله لا من عطائك يا حجاج، ثم إن العلويّ بكى وجعل يقول:

صلّى الإله ومن يحفّ بعرشه	والطيبون على النبيّ الناصح
وعلى قرابته الذين نهضوا	بالنائبات وكلّ خطب فادح
طلبوا الحقوق فأبعدوا عن دارهم	وعوى عليهم كلّ كلب نائح

انظر: المنتخب للطريحي: ٤٩١ - ٤٩٣. [البدر]

أيها الناس، أعطينا ستاً، وفضلنا بسبع، أعطينا: العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضلنا بأنّ منّا النبي المختار محمد ﷺ، ومنّا الصديق، ومنّا الطيّار، ومنّا أسد الله وأسد رسوله، ومنّا سيّدة نساء العالمين، ومنّا سبطا هذه الأمة وسيّدا شباب أهل الجنّة^(١)، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي.

أيها الناس، أنا ابن مكّة ومنى، أنا ابن زمزم والصفاء، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الرداء، أنا ابن خير من أتزر وارتندي، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حجّ ولبيّ، أنا ابن من حمل على البراق في الهواء، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابن من بلغ به جبرئيل إلى سدره المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلى فكان من ربّه كقاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلّى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن علي المرتضى.

أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتّى قالوا: لا إله إلّا الله، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله ﷺ بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر الهجرتين، وباع البيعتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين.

أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيّين، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكّائين، وأصبر الصابرين، وأفضل العالمين، وأفضل القائمين، من آل طه وباسين، أنا ابن المؤيّد بجبرئيل، المنصور بميكائيل.

أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين، وقاتل الناكثين والقاسطين

(١) وروى الشيخ عباس القمي في نفس المهموم (٤٥٠) أنّه عليه السلام قال: «ومنّا المهدي الذي يقتل الدجّال».

والمارقين، والمجاهد أعداءه الناصيين، وأفضل من مشى من قریش أجمعين، وأوّل من استجاب لله ولرسوله من المؤمنين، وأوّل السابقين، وقاصم المعتدين، ومبيد المشركين، وسهم مرامي الله على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، وناصر دين الله، ووليّ أمر الله، ويستان حكمة الله، وعيبة علمه.

سمح سخّي، بهلول زكيّ، مقدّم همام، صبار صوّام، مهذب قوّام، قاطع الأصلاب، ومفرق الأحزاب، أربطهم عناناً، وأثبتهم جناناً، وأمضاهم عزيمة، وأشدّهم شكيمة، أسد باسل يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسنّة، وقويت الأعنة طحن الرحا، ويذروهم فيها ذري الريح الهشيم.

ليث الحجاز، وكبش العراق، مكّي مدنيّ، أبطحي تهامي، خيفي عقبي، بدريّ أحديّ، شجريّ مهاجري، من العرب سيّدها، وفي الوغا ليثها، وارث المشعرين، وأبو السبطين، الحسن والحسين مظهر العجائب، ومفرّق الكتائب، والشهاب الثاقب، والنور العاقب، أسد الله الغالب، مطلوب كلّ طالب، ذاك جدّي عليّ بن أبي طالب.

ثمّ قال: أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيّدة النساء.

فلم يزل يقول: أنا أنا، حتّى ضجّ الناس بالبكاء والنحيب والأنين، وخشي يزيد اللعين أن تكون فتنة فأمر المؤذّن، فقال: اقطع عليه الكلام.

فلما قال المؤذّن: الله أكبر الله أكبر.

قال ﷺ: الله أكبر من كلّ شيء.

فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله.

قال عليّ بن الحسين ﷺ: شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي.

فلما قال المؤذن: أشهد أن محمداً رسول الله.

التفت علي عليه السلام من فوق المنبر إلى يزيد، فقال: محمد هذا جدِّي أم جدّك، يا يزيد؟ فإن زعمت أنه جدّك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنه جدِّي فلم تقتلت عترته؟

قال: وفرغ المؤذن من الأذان والاقامة، وتقدّم يزيد وصلى صلاة الظهر.^(١)

انعكاسات خطبة الامام السجاد عليه السلام

قال الراوي: وروي أنه كان في مجلس يزيد حبر من أحبار اليهود، فقال: من هذا الغلام، يا أمير المؤمنين؟

قال: هو علي بن الحسين.

قال: فمن الحسين؟

قال: ابن علي بن أبي طالب.

قال: فمن أمّه؟

قال: فاطمة بنت محمد.

فقال الحبر: يا سبحان الله! فهذا ابن بنت نبيكم قتلتموه في هذه السرعة، بسما خلفتموه في ذريته، لو ترك فينا موسى بن عمران سبطاً من صلبه لظننا أننا كنا نعبده من دون ربنا، وأنتم فارقتم نبيكم بالأمس فوثبتم على ابنه فقتلتموه، سوء لكم من أمة.

قال: فأمر به يزيد فوجيء في حلقه ثلاثاً، فقام وهو يقول: إن شئتم فاقتلوني، وإن شئتم فذروني، فإنّي أجد في التوراة أنّ من قتل ذريّة نبي لا يزال

(١) بحار الأنوار ٤٥: ١٣٧، الاحتجاج ٢: ١٣٢ باختصار.

ملعوناً أبداً ما بقي، فإذا مات أصلاه الله جهنم وساءت مصيراً^(١).

آل رسول الله في خربة الشام

قال الراوي : ثم إن يزيد بن معاوية أمر فأنزلوا آل رسول الله وحرائر النبوة والرسالة وبنات علي والزهراء في سكنٍ لا يقي من حرٍّ ولا برد، وليس فيه سقفٌ يُظْلَهُم عن حرارة الشمس، فكانت الشمسُ تصهرُهم في حرِّ الظهيرة، حتى تقشّرت وجوههم وجلودهم من حرارة الشمس.

وُثِّلَ عن (بعض التواريخ): أن عائلة الحسين عليه السلام وأرامل آل محمد بعد قتل رجالهم يوم الطف، وسبيهن من بلدٍ إلى بلد، يخفون على صغار الأطفال واليتامى قتل أوليائهم وآبائهم، فإن بكى يتيماً أو يتيمة أباه أو أخاه ناغوه باللفظ، وأخبروه بأنه في سفرٍ، وسوف يعود من سفره، فكانوا بهذا ونحوه يشغلون اليتامى والأطفال عن الشعور بألم اليتيم ومرارة المصاب.

رقية بنت الحسين في الخربة

حتى إذا جيء بهم إلى الشام، وأنزلوهم في خربةٍ إلى جنب قصر يزيد - لعنه الله - قالوا: وكانت للحسين طفلة صغيرة لها من العمر أربع سنين، وكانت مع الأسرى في خربة الشام، كانت تبكي لفراق أبيها ليلاً ونهاراً، وهم يقولون لها: هو في السفر، فبينما هي نائمة دات ليلة في الخربة، إذ انتبهت مذعورةً باكيةً، تقول: أين أبي؟ الآن قد رأيته، إيتوني بأبي، أريد أبي؟ وكلما أرادوا إسكاتها ازدادت جزعاً وبكاءً.

فعند ذلك تعالى الصراخ من العيال والأطفال، حتى وصلت الصيحة إلى يزيد فاتتبه من نومه، فسأل عن الحدث، فأخبروه: أن طفلةً للحسين رأت أباه في

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٦٩ - ٧١.

المنام، فانتبهت تطلبه وتبكي عليه.

فأمر - لعنه الله - فجاءوا برأس الحسين عليه السلام في طشت - أو طبق - ووضعوه بين يديها وهو مغطىً بمنديل، وقالوا لها : هذا رأس أبيك.

فلما نظرت إليه اضطربت وصرخت وأهوت على الرأس وضمتته إلى صدرها وهي تنادي: أبه يا أبه من الذي خضبك بدمائك؟ أبه يا أبه، من الذي قطع وريدك؟ أبه يا أبه، من الذي أيتمني على صغر سنّي؟ أبه يا أبه؟ من لليتيمه حتى تكبر؟.. ولم تنزل تُعول وتنوح وتبكي على أبيها وتندبه، حتى فارقت روحها الدنيا - وهي واضعة فمها على فم أبيها الحسين - .

فتجدد المصاب على حرائر الرسالة وازاد البكاء والنحيب لحال هذه الطفلة اليتيمه، ولم يُر في ذلك اليوم أكثر باك ولا باكية منهم. فأمر يزيد بغسلها وكفنها ودفنها في الخربة.

وذكر بعض الأكابر: أن أمّ كلثوم كان جزعها وبكاؤها ونحيبها على تلك الطفلة أشد وأبلغ من باقي العيال، فما كانت تهدأ وتسكن طيلة تلك المدّة التي قضوها في الشام.

فقالت لها العقيلة زينب الكبرى: يا أختي، ما هذا الجزع والبكاء والهلع؟ كلنا اصبنا بفقد هذه الطفلة، ولم يخصك المصاب وحدك.

فقالت لها: يا أختاه، لا تلوميني، كنت واقفةً عشيةً أمس بعد العصر - وإلى جنبي هذه الطفلة - بباب الخربة في وقت انصراف أطفال أهل الشام من مدارسهم إلى بيوتهم وأهاليهم، فكان بعضهم يقف بباب الخربة للتفرّج علينا ثم يذهب.

فقالت لي هذه الطفلة: عمّه، إلى أين يذهب هؤلاء الأطفال؟

قلت لها: إلى منازلهم وأهاليهم.

فقالت لي: عمّه، ونحن ليس لنا منزل ولا مأوى غير هذه الخربة؟

وأنا ، يا أختاه كلما ذكرتُ هذا الكلام منها لم تهدأ لي زفرة، ولم تسكن لي
عبرة»^(١).

لهفَ نفسي لزينبٍ وهي ثكلى
كم رأت في خرابة الشام أحزاناً
رأت الذلَّ والهوانَ وقيدَ
ورأت ما يُمضُّ من ألم اليتيم
طفلة بنت أربعٍ أو ثلاثٍ
فلذة من فؤاد أحمد يجري
هي بنتُ الحسين لم تعرف اليتيم،
ألفت حجره وثيراً من المهد،
لم تزل تسأل الأرامل والآيتامَ
وغفت عينها لتجمع بلواها،
وإذا بالكرى طيوفٌ حُبالي
رأت الوالدَ العطوفَ بعينها
وانبرت تشتكي له الذلَّ واليتيمَ
واستفاقت من غفوة الضيم تبكي
يا أبي، يا أبي أريدُ أبي
فاستجاشت عواطفَ الثكل بالحزن
وتعالى البكاء واستشرت الآهاتُ،
فاستقرَّ الصراخُ نومَ يزيدٍ
قال: ماذا جرى لعائلة الأسر،
يتلظى قلبها دُموعاً وآها
تسيخ الجبالُ من بلواها
الأسير، فازداد حُزنُها وشجاها
مصائباً يعزّ عن أن يُضاهي
يشهقُ العطرُ من عبير شذاها
من عليّ وفاطمٍ رِيّاها
ولم تدرك كيف تنعى أباهَا
وكان الشغوف إذ يرعاها
عنه، ولم تُحصل مُناها
وتنسى مصابها وأسأها
بالمآسي وليتها لن تراها
فهبت مذعورةً من رؤاها
فتذوي القلوبُ من شكواها
وتُنادي ولا يُجابُ نداها
- الآن - فقد كان لي ظلالاً وجاها
ضحيجاً من أرضها لسماها
والتاع في النفوسِ جواها
وهو في قصره فأبدى انتباها
الم يُنسها الكرى شجواها

(١) الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٩، نفس المهموم: ٤٥٦، الدمعة الساكبة ٥: ١٤١.

قيل: بنتُ الحسين في حُلُمِ النوم
 فأفاقت تُريدُ شخصَ أبيها
 قال: ذا رأسه أحملوه إليها
 فأثووه به، فأهوت عليه
 وانحنت فوقه تُقبلُ فاهُ
 وتُناديه: يا أبي أيَّ سيفٍ
 يا أبي من تُراه خضِبَ منك
 يا أبي من إلي الأرامل والأيتام
 يا أبي اين غبت عنا، فقد
 يا أبي عزَّ أن نراك ترى
 واستجاشت بها العواطفُ حرى
 ثم سرعان ما استكانت على
 فاذا بالمصاب يضرى فيبيدي
 حُلُمُ وانطوى وأجهش تأريخُ
 رأته، فاشتطَّ منها نُهاها
 فهي لم تقتنع بغير مئأها
 فعسى تستعيض عنه عساها
 بانعطافٍ اضاع منها هُداها
 وهو من عطفه يُقبلُ فاهها
 جذ منك الأواج حتَّى براها
 الشيب بالدم، من تُرى أشقاها
 يُعنى بها، ومن يرهاها
 ضاقت رحابُ الصدور من لؤأها
 الأيتام حسرى، والعزُّ فضلُ رداها
 يُفجر الصخر من شجى نجواها
 رأس أبيها تبَّته شكواها
 جُئته بزَّها الحمامُ رواها
 وظلَّت مأساؤها تنعاهها

العزاء في الشام

وذكر أبو مخنف أنَّ يزيد أمر بأن يصلب رأس الحسين عليه السلام على باب داره،
 وأمر بالنسوة أن يدخلوا داره، فلمَّا دخلت النسوة دار يزيد لم تبق امرأة من آل أبي
 سفيان ومعاوية إلَّا استقبلتهن بالبكاء والصراخ والنياحة على الحسين عليه السلام، وألقين
 ما عليهن من الثياب والحلل والحلي، وأقمن المآتم ثلاثة أيَّام، وخرجت هند بنت
 عبدالله بن عامر بن كريز امرأة يزيد مكشوفة الرأس، وكانت قبل ذلك تحت
 الحسين عليه السلام حتَّى شقَّت الستر وهي حاسرة، فوثبت إلى يزيد وهو في مجلس عامٍّ
 فغطَّأها.

ثمّ قال: نعم، فاعولي عليه - يا هند - وابكي على ابن بنت رسول الله ﷺ
وصريخة قريش، عجل عليه ابن زياد فقتله قتله الله. ^(١)

(١) أقول: لعن الله يزيد وأباه، وجدّيه وأخاه، ومن تابعه وولّاه، بينا هو ينكت ثنايا الحسين
بالقضب ويتمثّل بشعر ابن الزبيري:

يا غراب البين ما شئت فقل أنما تندب أمراً قد فُعل
إنّ للخير وللشرّ مدى وسواء قبر مُثَرٍّ ومُقل

وإغلاظه لزنب بنت عليّ عليه السلام بالكلام السيّء لما سأله الشاميّ، وقال: هب لي هذه
الجارية - يعني فاطمة بنت الحسين عليه السلام -، وقوله لعليّ بن الحسين عليه السلام: أراد أبوك وجدك أن
يكونا أميرين، فالحمد لله الذي قتلهما وسفك دماءهما، وإنّ أباك قطع رحمي، وجهل حقّي،
ونازعني سلطاني، إلى آخر كلامه كما أشرنا إليه من قبل، ونصب رأس الحسين عليه السلام على
باب القرية الظالم أهلها - أعني بلدة دمشق - وإيقافه ذريّة الرسول على درج المسجد كسبايا
الترك والخزر، ثمّ إنزاله إياهم في دار لا يصونهم من حرّ ولا قرّ حتّى تقشّرت وجوههم،
وتغيّرت ألوانهم، وأمر خطيبه أن يرقى المنبر ويخبر الناس بمساوىء أمير المؤمنين
ومساوىء الحسين عليه السلام وأمثال ذلك، ثمّ هو يلعن ابن زياد ويتبرّى من فعله ويتنصّل من
صنعه، وهل فعل اللعين ما فعل إلّا بأمره وتحذيره من مخالفته؟ وهل سفك اللعين دماء أهل
البيت إلّا بإرغابه وإرهابه له بقوله، ومراسلته بالكتاب الذي ولّاه فيه الكوفة وجمع له بينها
وبين البصرة الذي ذكرنا لما وصل إليه الخبر بتوجّه مسلم بن عقيل إلى الكوفة وحثّه فيه
على قتله، وأمره له بإقامة الارصاد وحفظ المسالك على الحسين، وقوله لابن زياد في
كتابه: إنّه قد ابتلى زمانك بالحسين من بين الأزمان، وفي هذه الكثرة يعتق أو يكون رقاً عبداً
كما تعبد العبيد فاحبس على التهمة واقتل على الظنّة، الوحا الوحا، العجل العجل - كما
ذكرنا أولاً -.

وإنّما أظهر اللعين التبرّي من فعل ابن زياد لعنه الله خوفاً من الفتنة وتمويهاً على العامّة
لأنّ أكثر الناس في جميع الآفاق والأصقاع أنكروا فعله الشنيع وصنعه الفضيع، ولم يكونوا
راضين بفعله وما صدر عنه خصوصاً من كان حيّاً من الصحابة والتابعين في زمنه كسهل بن
سعد الساعدي والمنهال بن عمرو والنعمان بن بشير وأبي برزة الأسلمي ممّن سمع ورأى
إكرام الرسول ﷺ له ولأخيه، وكذلك جميع أرباب الملل المختلفة من اليهود والنصارى،
وناهيك مقال حبر اليهود ورسول ملك الروم لما شاهدها وهو ينكت ثنايا الحسين عليه السلام =

قال الراوي: ثم إن يزيد أنزلهم في داره الخاصة، فما كان يتغذى ولا يتعشى حتى يحضر علي بن الحسين عليه السلام معه.
وروي أنه عرض عليهم المقام بدمشق، فأبوا ذلك، فقالوا: بل ردنا إلى المدينة لأنها مهاجر جدنا.^(١)

= بالقضيب - كما ذكر - ولم يكن أحد من المسلمين في جميع البلاد راض بفعله إلا من استحکم النفاق في قلبه من شيعة آل أبي سفيان، بل كان أكثر أهل بيته ونسائه وبني عمه غير راضين بذلك.

فيزيد وبني أمية لم يندموا يوماً على قتلهم ابن بنت رسول الله، وهناك الكثير من الأدلة (إضافة للأدلة السابقة) التي تؤكد كلامنا منها:

١ - قال السيوطي في تاريخ الخلفاء (٢٠٨): «فسرّ بقتلهم أولاً ثم ندم لما مقتته المسلمون على ذلك وأبغضه الناس وحقّ لهم أن يبغضوه».

٢ - ذكر ابن سبط الجوزي في تذكرته (١٤٦) قول يزيد عندما شرب الخمر ورأس الحسين عليه السلام أمامه:

اسقني شربة تروي مشاشي ثم مل فاسق ابن زياد
صاحب السر والأمان عندي ولتسديد مغنمي وجهادي
قاتل الخارجي أعني حسيناً ومبيد الأعداء والاضداد

٣ - قال الطبري في تاريخه (٥: ٢٥٥): «فسرّ بقتلهم أولاً وحسنت بذلك منزلة عبيد الله ابن زياد عنده ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى ندم على قتل الحسين»، ثم ينسب قولاً ليزيد بحق ابن زياد: «لعن الله ابن مرجانة، فبغضني إلى المسلمين وزرع لي في قلوبهم العداوة فبغضني البر والفاجر بما استعظم الناس من قتلي حسيناً».

وهذا يعني أنه لولا اضطراب الوضع الاجتماعي ضد يزيد وكره الناس له لما ندم (إن كان ندم حقاً!) على قتل ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله. [البدر]

الفصل التاسع من الشام الى المدينة

الأربعين

بعد أن قضى أهل البيت عليهم السلام سبعة أيام في دمشق قال يزيد للنعمان بن بشير: جهّز لهؤلاء بما يصلحهم، وابعث معهم رجلاً أميناً صالحاً، وابعث معهم خيلاً وأعواناً، ثمّ كساهم وحباهم وفرض لهم الأرزاق والأنزال، ثمّ دعا بعليّ بن الحسين فقال له: لعن الله ابن مرجانة، أما والله لو كنت صاحبه ما سألتني خطة إلا أعطيته إياها، ولدفعت عنه الحنف بكلّ ما قدرت ولو بهلاك بعض ولدي، ولكن قضى الله ما رأيت، فكاتبني بكلّ حاجة تكون لك، ثمّ أوصى بهم الرسول.

فخرج بهم الرسول يسايرهم فيكونون أمامه حيث لا يفوتوا بطرفه، فإذا نزلوا تنحّى عنهم وتفترّق هو وأصحابه كهيئة الحرس، ثمّ ينزل بهم حيث أراد واحدهم الوضوء، ويعرض عليهم حوائجهم ويتلطّف بهم حتّى دخلوا المدينة. ^(١)

قم جدد الحزن في العشرين من صفر	ففيه ردت رؤوس الآل للحفر
والهفتاه لبسات الطهر يوم رنت	الى مصارع قتلاهن والحفر
رمين من فوق النياق على	تلك القبور بصوت هائل ذعر
فتلك تدعو حسيناً وهي لاطمة	منها الخدود ودمع العين كالمطر
وتلك تصرخ واجداه وأبتا	وتلك تصرخ وايتماه في الصفر

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٣٣.

فلو تروا ام كلثوم مناشدةً ولهى وتلثم ترب الطف كالعطر
يا دافني الرأس عند الجثة احتفظوا بالله لاتنشروا ترباً على قمر
لا تغسلوا الدم عن أطراف لحيته خلوا عليها خضاب الشيب والكبر
رشوا على قبره ماءً فصاحبه معطّش بلّلوا احشاه بالقطر
لا تدفنوا الطفل إلا عند والده فأنه لا يطيق اليتيم في الصغر
لا تدفنوا عنهم العباس مبتعداً فالرأس عن جسمه حتى اليدين بري
يا راجعين السبايا قاصدين الى أرض المدينة ذاك المربع الخضر
خذوا لكم من دم الأحباب تحفتكم وخاطبوا الجد هذا تحفة السفر^(١)

من النواميس المطردة الاعتناء بالفقيد بعد أربعين يوماً مضين من وفاته
باسداء البر اليه وتأيينه وعد مزايه في حفلات تعقد وذكريات تدون تخليداً لذكره
على حين ان الخواطر تكاد تنساه والافئدة أوشكت أن تهمله فبذلك تعاد إلى ذكره
البائد صورة خالدة بشعر رائق تتناقله الألسن ويستطيع في القلوب فتمر الحقب
والأعوام وهو على جدته! أو خطاب بليغ تتضمنه الكتب والمدونات حتى يعود من
الجزء التاريخ التي لا يبليها الملوان . فالفقيد يكون حياً كلّما تليت هاتيك النثف من
الشعر أو وقف الباحث على ما ألقيت فيه من كلمات تأبينية بين طيات الكتب
فيقتص اثره في فضائله وفواضله وهذه السنة الحسنة تزداد اهمية كلما ازداد الفقيد
عظمة وكثرت فضائله، وإنها في رجالات الاصلاح والمقتدي بهم من الشرائع أهم
وأكّد لأن نشر مزايهم وتعاليمهم يحدو إلى اتباعهم واحتذاء مثالهم في الاصلاح
وتهذيب النفوس.^(٢)

(١) مجمع المصائب للسيد هاشم البحراني ٢: ١٤٩ .

(٢) مقتل الحسين للمقرّم: ٣٦٩ .

وما ورد عن أبي ذر الغفاري وابن عباس عن النبي ﷺ أنَّ الأرض لتبكي على المؤمن أربعين صباحاً^(١).

وعن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّ السماء بكت على الحسين عليه السلام أربعين صباحاً بالدم، والأرض بكت عليه أربعين صباحاً بالسواد، والشمس بكت عليه أربعين صباحاً بالكسوف والحرمة، والملائكة بكت عليه أربعين صباحاً، وما اختضبت امرأة منا ولا ادهنت ولا اكتحلت ولا رجلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد وما زلنا في عبرة من بعده^(٢).

قال الراوي: استمرت قافلة أهل البيت عليهم السلام بالمسير من الشام الى المدينة مروراً بالعراق، وعندما قربت القافلة من مدينة كربلاء طلبوا من أمير القافلة أن يمر بهم عبر كربلاء.

روي عن عطية العوفي^(٣) قال: خرجت مع جابر بن عبد الله الانصاري^(٤)

(١) مجموعة ورام ٢: ٢٧٦، بحار الأنوار ٢: ٦٧٩.

(٢) مستدرک الوسائل للنوري: ٢١٥ باب ٩٤.

(٣) هو عطية بن سعد بن جنادة من رجال الشيعة في العلم والحديث، ولد من خلافة أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة، وهو الذي سُمِّيَ بهذا الاسم، وهو من رواة الشيعة الثقات، وموثوق حتى في كتب الرجال عند السنة، كان مطارداً من قبل السلطة في عهد الحجاج بسبب ولائه وتشيعه لعلي عليه السلام، هرب إلى فارس، وقبض عليه هناك بأمر الحجاج وطلبوا منه لعن علي عليه السلام، فلم يرضخ لطلبهم وأبى أن يلغنه فضربوه أربعين سوطاً وتنفوا رأسه ولحيته، ذهب بعدها إلى خراسان وعاد بعد مدة إلى الكوفة حتى توفي فيها عام ١١١ هـ.

(٤) ولد جابر في المدينة قبل خمس عشرة سنة من الهجرة، وهو من قبيلة الخزرج، كان هو وأبوه عبد الله ابن حزام من السابقين إلى الإسلام، قتل أبوه في معركة أحد، شهد بدرًا وثمانية عشرة غزوة مع النبي صلى الله عليه وآله، وشهد صفين مع علي بن أبي طالب. أصيب هذا المحدث الشيعي الكبير بالعمى في أواخر عمره، وسار على هذا الحال برفقة عطية =

زائراً قبر الحسين عليه السلام ، فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل ثم انتزر بأزار وارتنى بآخر ثم فتح صرة فيها سعد (طيب) فنثرها على بدنه ثم مشى الى القبر الشريف حافياً لم يخط خطوة إلا ذكر الله حتى إذا دنا من القبر قال: ألمسنيه .

قال عطية: فالمسته فخر على القبر مغشياً عليه فرششت عليه شيئاً من الماء فلما أفاق قال:

يا حسين، يا حسين، يا حسين، ثم قال: حبيب لا يجيب حبيبه، وأنى لك بالجواب وقد شحطت أوداجك على أثباجك وفرّق بين بدنك ورأسك.

فأشهد أنك ابن خاتم النبيّين، وابن سيد الوصيين، وابن حليف التقى وسليل الهدى وخامس أصحاب الكساء، وابن سيد النقباء، وابن فاطمة سيدة النساء، ومالك لا تكون كذلك وقد غذتك كف سيّد المرسلين وربيت في حجر المتقين، ورضعت من ثدي الايمان، وفطمت بالاسلام فطبت حياً وطبت ميتاً غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة لفراقك، ولا شاكة في حياتك، فعليك سلام الله ورضوانه، واشهد انك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا.

ثمّ أجال ببصره حول القبر وقال: السلام عليكم أيّها الأرواح التي حلت بفناء قبر الحسين وأناخت برحله .

= العوفي إلى كربلاء لزيارة قبر الحسين .

وهو من الأواخر الذين بقوا على قيد الحياة ممّن شهد بيعة العقبة، وفي زمن الحجاج وشم بدنه بالنار بتهمة موالاته أهل البيت .

ومات جابر في أيام عبد الملك بن مروان في سنة ٧٨ هـ، وهو ابن نيف وتسعين سنة وقد ذهب بصره، ودفن في البقيع .

انظر: مروج الذهب ٣: ١١٥، بحار الانوار ٦٥: ١٣٠ و ٩٨: ١٩٥، الغدير ١: ٢١ .

وبينما نحن كذلك وإذا بسواد قد أقبل من ناحية الشام فقلت: يا جابر إني أرى سواداً مقبلاً علينا، فالتفت جابر إلى غلامه قائلاً: انطلق وانظر ما هو هذا السواد؟

فان كان من أصحاب عبيد الله بن زياد لعلنا نلجأ إلى ملجأ وإن كان هذا سيدي ومولاي زين العابدين فأنت حر لوجه الله.

فانطلق الغلام فما كان بأسرع من ان رجع إليه وهو يلطم على وجهه وينادي: قم يا جابر واستقبل حرم الله وحرم رسول الله ، فهذا سيدي ومولاي علي بن الحسين قد أقبل مع عمّاته وأخواته لتجديد العهد بزيارة الحسين عليه السلام ^(١).

فقام جابر لاستقبال الإمام ، ولمّا دنا منه انكب على قدميه يقبلهما ويقول: سيدي عظم الله لك الأجر .

فقال الإمام: أنت جابر .

قال: نعم سيدي .

فقال: يا جابر، ها هنا ذبحت أطفالنا، يا جابر، ها هنا قتلت رجالنا، يا جابر، ها هنا سبيت نساؤنا، يا جابر، ها هنا قتل أبو عبد الله الحسين عليه السلام .

ثم أقبلت النساء كل منها إلى قبر عزيزها والتفت الحوراء زينب إلى الامام زين العابدين عليه السلام وهي تنادي: «وأخاه، وأحسيناه، وأحبيب رسول الله وابن مكّة ومنى، وابن فاطمة الزهراء، وابن علي المرتضى، آه، اه» ، ثم أغمي عليها.

وعندما أفاقَت قالت للإمام السّجّاد عليه السلام: عمّة دلّني على قبر أبي عبد الله .

فدلاها على قبر المولى وبمجرد ان وقع بصرها على القبر ألقت بنفسها

(١) مروج الذهب ٣: ١١٥، بحار الانوار ٤٥: ١٣٠ وج ٩٨: ١٩٥ .

وصاحت بصوت حزين يقرح القلوب وآخاه وا حسيناها وا حبيب رسول الله ...
ثم قامت الحوراء زينب ؑ تلتفت يميناً وشمالاً، فالتفت اليها الامام زين
العابدين قال لها: عمّة انّي اعلم على أي قبر تبحثين .
قالت: نعم دلّني على قبر ابن والدي.

يا نازلين بكربلا هل عندكم خبر بقتلانا وما أعلامها
ما حال جثة ميّت في أرضكم بقيت ثلاثاً لا يزار مقامها

الأربعين واختلاف الأقوال

لقد تجلّى مما ذكرناه في هذه الامور التي نص عليها الحديث بأنها من علائم
الايمان، انّ المراد من (زيارة الاربعين) فيه ارشاد الموالين لأهل البيت الى الحضور
في مشهد الغريب المظلوم سيد الشهداء ؑ لاقامة العزاء وتجديد العهد بذكر ما
جرى عليه من القساوة التي لم يرتكبها أي أحد يحمل شيئاً من الانسانية فضلاً عن
الدين والحضور عند قبر الحسين ؑ يوم الاربعين من مقتله من اظهر علائم
الايمان.

ولا ينقضي العجب ممن يتصرف في هذه الجملة بالحمل على زيارة أربعين
مؤمناً مع عدم تقدم اشارة اليه ولا قرينة تساعد عليه ليصح الاتيان بالألف واللام
للعهد مع ان زيارة اربعين مؤمناً مما حث عليها الاسلام فهي من علائمه عند الشيعة
والسنة ولم يخص بها المؤمنون ليمتازوا عن غيرهم، نعم زيارة الحسين ؑ يوم
الاربعين من قتله مما يدعو اليها الايمان الخالص لأهل البيت ؑ ويؤكدّها الشوق
الحسيني ومعلوم ان الذين يحضرون في الحائر الأطهر بعد مرور أربعين يوماً من
مقتل سيد شباب أهل الجنة خصوص المشايخين له السائرين على أثره .

ويشهد له عدم تباعد العلماء الاعلام عن فهم زيارة الحسين في الاربعين من صفر من هذا الحديث المبارك منهم ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في التهذيب باب فضل زيارة الحسين عليه السلام فانه بعد ان روى الاحاديث في فضل زيارته المطلقة ذكر المقيد بأوقات خاصة ومنها يوم عاشوراء وبعده روى هذا الحديث: «علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين وزيارة الأربعين...» الحديث .

وفي مصباح المتعبد ص ٥٥١ ذكر شهر صفر وما فيه من الحوادث ثم قال: وفي يوم العشرين منه رجوع حرم ابي عبد الله عليه السلام من الشام الى مدينه الرسول صلى الله عليه وآله وورود جابر بن عبد الله الأنصاري إلى كربلاء لزيارة أبي عبد الله عليه السلام فكان أول من زاره من الناس وهي زيارة الاربعين فروي عن ابي محمد الحسن العسكري عليه السلام انه قال : «علامات المؤمن خمس...الخ».

وقال ابو الريحان البيروني: في العشرين من صفر ردّ الرأس الى جثته فدفن معها ، وفيه زيارة الأربعين ومجيء حرمه بعد انصرافهم من الشام^(١).

وقال العلامة الحلي في المنتهى كتاب الزيارات بعد الحج: يستحب زيارة الحسين عليه السلام في العشرين من صفر .

وفي الاقبال للسيد رضي الدين علي بن طاووس عند ذكر زيارة الحسين عليه السلام في العشرين من صفر قال: رويانا بالاسناد الى جدي أبي جعفر فيما رواه بالاسناد الى مولانا الحسن بن علي العسكري أنه قال: «علامات المؤمن خمس...الخ».

ونقل المجلسي في مزار البحار هذا الحديث عند ذكر فضل زيارة الحسين يوم الأربعين .

وفي الحقائق للشيخ يوسف البحراني في الزيارات بعد الحج قال: زيارة الحسين في العشرين من صفر من علامات المؤمن.

وحكى الشيخ عباس القمي في المفاتيح هذه الرواية عن التهذيب ومصباح المتجهد في الدليل على رجحان الزيارة في الأربعين من دون تعقيب باحتمال ارادة اربعين مؤمناً .

واستبعاد بعضهم ارادة زيارة الأربعين من جهة عدم تعرض الامام عليه السلام للآثار الاخرية المترتبة على الزيارة مع ان أهل البيت عليهم السلام عند الحث على زيارة المظلوم وغيره من أئمة الهدى عليهم السلام يذكرون ما يترتب عليها من الثواب «لا يصغي اليه»، فان الامام في هذا الحديث إنما هو بصدد بيان علائم المؤمن التي يمتاز بها عن غيره وجعل منها زيارة الأربعين على ما أوضحنا بيانه ولم يكن بصدد بيان ما يترتب على الزيارة من الأثر .

واستحباب زيارته عليه السلام في العشرين من صفر نصّ عليه الشيخ المفيد في مسار الشيعة، والعلامة الحلي في التذكرة والتحرير، وملا محسن الفيض في تقويم المحسنين، وتفسير الشيخ البهائي في توضيح المقاصد الأربعين بالتاسع عشر من صفر مبني على حساب يوم العاشر من الأربعين وهو خلاف المتعارف .

المسير من كربلاء

لم يجد الامام السجاد عليه السلام بدءاً من الرحيل من كربلاء إلى المدينة بعد أن أقام ثلاثة ايام، لأنّه رأى عماته ونساءه وصبيته نائحات الليل والنهار يقمن من قبر ويجلسن عند آخر .

تشكو عداها وتنعى قومها فلها حال من الشجوف الصبر مدرجه
فنعيها بشجي الشكوى تؤلفه ودمعها بدم الاحشاء تمزجه

ويدخل الشجو في الصخر الأصم لها تزفر من شظايا القلب تخرجه

* * *

ألا يا كربلاء نودعك جسماً بلا كفنٍ ولا غُسلٍ دفينا
ألا يا كربلاء نودعك روحاً لإحمد والوصي مع الأُمينا^(١)

العودة إلى المدينة

دخلت أمّ كلثوم عليها السلام مع القافلة إلى المدينة وهي باكية، كانت تقرأ شعراً يدلّ على مدى اللوعة والمصيبة التي تعرضت لها عائلة الامام الحسين عليه السلام منذ استشهاده وحتى عودة القافلة بدون الحسين عليه السلام إلى المدينة :

مدينة جدنا لا تقبلينا	فبالحسرات والأحزان جينا
خرجنا منك بالأهلين جمعاً	رجعنا لا رجال ولا بنينا
وكنا في الخروج بجمع شمل	رجعنا حاسرين مُسلّين
وكنا في أمان الله جهراً	رجعنا بالقطيعة خائفين
ومولانا الحسين لنا أنيس	رجعنا والحسين به رهينا
فنحن الضائعات بلا كفيل	ونحن النائحات على أخينا
ونحن السائرات على المطايا	نُشال على الجمال المُبغضينا
ونحن بنات يس وطه	ونحن الباقيات على أبينا
ونحن الطاهرات بلا خفاءٍ	ونحن المخلصون المصطفونا
ونحن الصابرات على البلايا	ونحن الصادقون الناصحونا
ألا يا جدّنا بلغتِ عِدانا	مُناها وأشقى الأعداء فينا

لقد هتكوا النساء وحملوها على الأقتاب قهراً أجمعينا^(١)
وصاحت سكيئة: يا جداه إليك المشتكى ممّا جرى علينا، فوالله ما رأيت
أقسى من يزيد ولا رأيت كافراً ولا مشركاً شراً منه ولا أجفى وأغلظ، فلقد كان
يقرع ثغري أبي بمخصرته وهو يقول: كيف رأيت الضرب يا حسين^(٢).
وأقمن حرائر الرسالة المآتم على سيد الشهداء ولبسن المسوح والسواد
نائحات الليل والنهار والامام السجاد عليه السلام يعمل لهنّ الطعام^(٣).

هدية الرسول الذي صحب القافلة

قال الحارث بن كعب: قالت لي فاطمة بنت عليّ: قلت لأختي زينب: قد
وجب علينا حقّ هذا الحسن صحبته لنا، فهل لك أن نصله؟
قالت: والله ما لنا ما نصل به إلا أن نعطيه حلّيتنا، فأخذت سوارى ودملجى
وسوار أختى ودملجها فبعثنا بها إلى الرسول واعتذرنا من قلته، وقلنا: هذا بعض
جزائك لحسن صحبتك إيانا.
فقال: لو كان الذي فعلته للدنيا لكان في بعض هذا رضى، ولكن والله ما
فعلته إلا لله ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله^(٤).

(١) بحار الأنوار ٤٥: ١٩٧.

(٢) رياض الآحزان: ١٦٣.

(٣) المحاسن للبرقي ٢: ٤٢٠.

(٤) تاريخ ابن الأثير ٣: ٣٠٠، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٧٢ - ٧٥، بحار الأنوار ٤٥:

الفصل العاشر

في المدينة

مصيبه دخول السبايا الى المدينة

هذه دارهم تهيج شجوني كيف حبس الدموع بين الجفون
جودي بالدمع فوق خدي جودي هذه دار صحننا يا عيوني
بعدوا والبعاد أمر مريب وبما لا أطيقه حملوني
واصلوني دهرأ وما كنت أدري بعد وصل ورحمة يهجرني
ودعوني وودعوا السهم قلبي ليتني ما بقيت مذ ودعوني
أيها اللائمون كفوا ولكن بمصاب ابن فاطم ذكروني
تلك ذكرى بها تهون الرزايا وهي من امهات ريب المنون
تركت زينباً تنادي حسيناً يا ابن امي والدي روعوني
غيرتني مصائب الطف حتى أن من يعرفوني لم يعرفون

واتجه موكب اسارى أهل البيت عليه السلام الى المدينة، فأخذ يجد في السير لا يلوى على شيء وقد جللته الأحزان والآلام، وقد غامت عيون بنات رسول الله ﷺ بالدموع وهنّ ينحن على فقد الأحبة ويذكرن بمزيد اللوعة ما جرى عليهن من أسر الذل والهوان .

وكانت يثرب قبل قدوم السبايا إليها ترفل في ثياب الحزن على أم المؤمنين السيدة أم سلمة زوج النبي ﷺ التي ماتت بعد مقتل الحسين عليه السلام، بشهر حزناً وكمداً

عليه^(١)، وهي التي أنبأت الناس عن مقتله^(٢).

قال بشير بن حذلم: عندما وصلت قافلة السبايا على مشارف المدينة قال لي الإمام زين العابدين عليه السلام: يا بشير، رحم الله أباك لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شيء منه؟

قال: نعم يا بن رسول الله.

قال عليه السلام: ادخل المدينة وأنع أبا عبد الله.

قال بشير بن حذلم: فركبت فرسي، وركضت حتى دخلت المدينة، فلما بلغت مسجد النبي صلى الله عليه وآله رفعت صوتي بالبكاء، وأنشأت:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قُتل الحسين فأدمعي مدراراً

الجسم منه بكربلاء مضرّج والرأس منه على القناة يدار^(٣)

قال: ثم قلت: هذا عليّ بن الحسين في عمّاته وأخواته قد حلّوا بساحتكم، ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم، أعزّفكم مكانه.

فما بقيت في المدينة مخدّرة ولا مخيبة إلا برزن من خدورهنّ، يدعون بالويل والثبور، فلم أرَ باكياً أكثر من ذلك اليوم، ولا يوماً أمرّ على المسلمين منه.

وسمعت جارية تتوح على الحسين عليه السلام وتقول:

نعي سيّدي ناعٍ نعاه فأوجعا وأمراضني ناعٍ نعاه فأفجعا

فعيناي جوداً بالدموع فأبكيا وجوداً بدمع بعد دمعكما معا

(١) مرآة الزمان: ١٠٣.

(٢) حياة الامام الحسين عليه السلام ٣: ٤٢٣.

(٣) حياة الإمام الحسين ٢: ٤٢٣، الملهوف: ٢٢٧.

علي من دهى عرش الجليل فزعزعا وأصبح هذا الدين والمجد أجدعا
على ابن نبي الله وابن وصيه وإن كان عنا شاحط الدار أشسعا
ثم قالت: أيها الناعي، جددت حزننا بأبي عبدالله عليه السلام، وخدشت منا قروحاً
لم تتدمل، فمن أنت رحمك الله؟

فقلت: أنا بشير بن حذلم، وجّهني مولاي علي بن الحسين عليه السلام، وهو نازل
بمكان كذا مع عيال أبي عبدالله عليه السلام وبناته.

ومن جملة من خرج زوجة الامام علي عليه السلام أم البنين عليها السلام خرجت وعلى
كتفها طفل للعباس، فلما دنت من بشير قال لها:
عظم الله لك الأجر بولدك عبد الله.

قالت له: أسألك عن سيدي ومولاي الحسين.

قال لها: عظم الله الأجر بولدك جعفر.

قالت له: أسألك عن سيدي ومولاي الحسين.

قال لها: عظم الله لك الأجر بولدك عثمان.

قالت له: أسألك عن سيدي ومولاي الحسين.

قال لها: عظم الله لك الأجر بولدك العباس.

قالت له: أسألك عن سيدي ومولاي الحسين. فقال:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قُتل الحسين فأدمعي مدرأ
الجسم منه بكرلاء مضرّج والرأس منه على القنّاة يداؤ
فصاحت ولطمت خدّها، وشقّت جيها ونادت: واحسيناه واسيّداه، ثم
أنشدت:

لا تدعوني ويك أمّ البنين تذكريني بليوث العرين

كانت بنون لي أدعى بهم واليوم أصبحت ولا من بنين
 أربعة مثل نسور الربي قد واصلوا الموت بقطع الوتين
 تنازع الخرصان أشلاءهم فكّلهم أمسى صريعاً طعين
 يا ليت شعري أكما أخبروا بأن عبّاساً قطع اليمين^(١)
 ثم رجعت الى دار الحسين تلقتها زينب عليها السلام وبنات رسول الله ، عند ذلك
 صاحت زينب واعباساه وأخاهاه وأُمّ البنين تنادي: واحسيناه:
 من لي حمأً بعد الحسين ومعتصم إن جلّ خطبُ فادح وبنّا ألم
 ناديت لما غاب بدر سما الكرم يا غائباً عن أهله اتعود أم
 تبقى الى يوم المعاد مغيباً

استقبال قافلة كربلاء

قال بشير: فتركوني بمكاني وبأدروني، فضربت فرسي حتى رجعت إليه عليه السلام.
 فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع، فنزلت عن فرسي وتخطّيت رقاب
 الناس، حتى قربت من باب الفسطاط، وكان عليّ بن الحسين عليه السلام داخل الفسطاط،
 فخرج ومعه خرقة يمسح بها دموعه، وخلفه خادم معه كرسيّ، فوضعه له فجلس
 عليه وهو لا يتمالك من العبرة والبكاء، وارتفعت الأصوات بالندب، وحنين
 الجوّاري والنساء، والناس يعزّونه من كلّ ناحية، فضجّت تلك البقعة ضجّة شديدة.
 ورأى الإمام أن يحدث الناس بما جرى عليهم من عظيم الرزايا والنكبات،
 وما عانوه من أسر الذل والهوان، ولم يكن باستطاعته أن يقوم خطيباً، فقد ألّمت به
 الأمراض، فأوماً بيده إلى الناس أن اسكتوا، فسكتوا، فقال عليه السلام:

(١) انظر: مقاتل الطالبين: ٨٥، إصار العين: ٣٦.

خطبة الإمام السجاد عليه السلام

«الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، بارئ الخلاق أجمعين، الذي بُعدَ فارتفع في السماوات العلى، وقرب فشهد النجوى، نحمده على عظام الأمور، وفجائع الدهور، وألم الفجائع، ومضاضة اللواذع، وجليل الرزء، وعظيم المصائب، الفازعة الكاظمة، الفادحة الحامة.

أيها القوم، إن الله وليّ الحمد ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة في الاسلام عظيمة، قُتِلَ أبو عبدالله عليه السلام وعترته، وشُيبت نساؤه وصييته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عالي السنان، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية.

أيها الناس، فأَيُّ رجالات منكم تسرون بعد قتله؟ أم أية عين منكم تحتبس دمعها، وتضنّ بانهما لها؟ فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها، والسماوات بأركانها، والأرض بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان في لجج البحار، والملائكة المقربون، وأهل السماوات أجمعون.

أيها الناس، أَيُّ قلب لا ينصدع لقتله؟ أم أَيُّ فؤاد لا يحنّ إليه؟ أم أَيُّ سمع يسمع بهذه الثلمة التي ثلمت في الاسلام ولا يصم؟

أيها الناس، أصبحنا مطرودين مذودين شاسعين^(١) عن الأمصار، كأننا أولاد ترك وكابل، من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمة في الاسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾^(٢)، والله لو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تقدّم إليهم في قتالنا كما تقدّم إليهم بالوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون من مصيبة ما أعظمها، وأوجعها، وأفجعها،

(١) أي بعيدين .

(٢) ص : ٧ .

وأكظّها، وأمضّتها، وأفظعها، وأمرّها، وأفدحها، فعند الله نحتسب فيما أصابنا وبلغ بنا، إنّه عزيز ذو انتقام.

صوحان بن صعصعة

فقام صوحان بن صعصعة بن صوحان - وكان زمناً - فاعتذر إليه ﷺ بما عنده من زمانة رجله، فأجابهُ ﷺ بقبول معذرتِهِ، وحسن الطويّة، وشكر له وترحم على أبيه.

قال الراوي^(١): ثمّ إنّه صلوات الله عليه رحل إلى المدينة بأهله وعياله، ولمّا انتهوا إلى الجامع النبوي أخذت عقيلة آل أبي طالب بعضادتي باب المسجد، وجعلت تخاطب جدّها الرسول ﷺ قائلة: «يا جدّاه إنّي ناعية إليك أخي الحسين». ^(٢)

رباب زوجة الإمام الحسين ﷺ

بنت أمّرى القيس بن عدي، زوجة الإمام الحسين، وأمّ سكينه وعلي الأصغر (عبدالله)، سارت مع القافلة إلى كربلاء، واقتيدت إلى الشام مع السبايا، ثم رجعت إلى المدينة، وأقامت مأتماً على الحسين لمُدّة سنة، ونظّمت لمصابه المراثي.

خطبها الكثير من اشراف قريش فرفضتهم وأبت الزواج من أحد بعد الحسين، كانت دائمة البكاء على أبي عبدالله ﷺ ولا تجلس في ظل. وتوفيت من أثر شدّه حزنها وجزعها على الحسين وذلك بعد سنة من استشهاده (أي في

(١) أي ابن طاوس .

(٢) الملهوف: ٨٤.

عام ٦٢ هـ^(١). كان الإمام الحسين ﷺ يكنّ لهذه المرأة الفاضلة الأديبة وابنتها سكينه والدار التي تضمهما محبة فائقة، قال ﷺ فيها:

لعمرك أنّي لأحب داراً تحلّ بها سكينه والربابُ
أحبّهما وأبذل جُلّ مالي وليس لعاتبٍ عندي عتابٌ^(٢)
من جملة اشعارها في رثاء الحسين عدّة قصائد منها:

انّ الذي كان نوراً يُستضاء به في كربلاء قتيل غير مدفون
سبط النبي جزاك الله صالحة عَنّا وجنّبت خسران الموازين
قد كنت لى جبلاً صعباً ألوذ به وكنت تصحبنا بالرّحم والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن يعنى ويأوي إليه كلّ مسكين
والله لا ابتغي صهراً بصهركم حتى أغيّب بين الرمل والطين^(٣)

مرثية بنت عقيل

وقالت بنت عقيل^(٤) بن أبي طالب ترثي الحسين ومن أصيب معه :

(١) أدب الطف للسيد جواد شبر: ٦٣، الكامل لابن الاثير ٢: ٥٧٩.

(٢) اعيان الشيعة ٦: ٤٩٩.

(٣) نفس المهموم: ٥٢٨، أعيان الشيعة ٦: ٤٩٩.

(٤) لم يذكر صاحب العقد الفريد اسمها، ويمكن أن يكون اسمها «أسماء»، لأنّ المجلسي في بحار الأنوار

٨٨: ٤٥ قال: عندما وصل خبر استشهاد الحسين ﷺ الى المدينة، خرجت أسماء بنت عقيل بن أبي

طالب مع مجموعة من النساء وذهبن الى قبر الرسول الأكرم ﷺ، وكنّ تردد وتقول:

ماذا تقولن إذا قال النبيّ لكم يوم الحساب وصدق القوم مسموع

وجاء في الكامل لابن الاثير (٨٨: ٤): عندما وصل خبر استشهاد الامام الحسين ﷺ الى المدينة

صاحت نساء بني هاشم صيحة واحدة، وخرجت ابنة عقيل مع جمع من النساء يندبن الحسين ﷺ.

وذكر الشيخ المفيد في الارشاد (١٢٤: ٢): عندما سمعت أمّ لقمان بنت عقيل خبر استشهاد =

عيني ابكي بعبرة وعويل وانديني إن ندبت آل الرسول
ستة كلهم لصلب علي قد أصيبوا وخمسة لعقيل^(١)

بكاء الإمام السجاد عليه السلام

قال الإمام الصادق عليه السلام: إنَّ علي بن الحسين عليه السلام بكى على أبيه مدة حياته، وما وضع بين يديه طعام إلا بكى ولا أوتي بشراب إلا بكى، حتى قال له بعض مواليه: جعلت فداك يا بن رسول الله، إنني أخاف أن تكون من الهالكين.

قال عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).^(٣)
وفي رواية أخرى قال: ويحك إنَّ يعقوب عليه السلام كان له اثنا عشر ولداً فغيب الله واحداً منهم فابيضَّت عيناه من كثرة بكائه عليه، واحدودب ظهره من الغم وابنه حيَّ في الدنيا، وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمومتي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي.

وكان إذا أخذ إناء ليشرب بكى حتى يملأها دماً؛ فقليل له في ذلك، فقال: كيف لا أبكي وقد منع أبي الماء الذي كان مطلقاً للسباع والوحوش...^(٤)

= الحسين عليه السلام نادى على أخواتها أم هانئ وأسماء ورملة وزينب بنات عقيل، وكانت أم لقمان تردد اشعار مشجية.

ويحتمل أن تكون الأشعار منسوبة إلى زينب بنت عقيل، والله العالم.

(١) حياة الإمام الحسين ٣: ٢٤٩.

(٢) يوسف: ٨٦.

(٣) كامل الزيارات: ١٠٧ ح ١.

(٤) كامل الزيارات: ١٠٧ ح ١، المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٦٢، بحار الأنوار ٤٥: ٢٢٧.

لوعة الهاشميين

وحزن الهاشميون على سيد الشهداء كأشد ما يكون الحزن واللوعة فاستمروا في النياحة عليه ثلاث سنين وكان مسور بن مخرمة وأبو هريرة والمشيخة من أصحاب رسول الله يأتون مستترين فيستمعون ندبتهم، ويبكون بكاءً مرّاً.^(١)

حزن العقيلة ؓ

وخلدت عقيلة آل أبي طالب إلى البكاء والنياحة على انقراض أهلها، وكانت لا تجف لها عبرة، ولا تفر عن البكاء، وكلما نظرت إلى ابن أخيها زين العابدين ؓ يزداد وجيبها وحزنها، وقد نخب المصائب قلبها حتى صارت كأنها جثة هامدة، ولم تبق بعد الكارثة إلا سنتين حتى سمت روحها إلى الرفيق الأعلى .

مكافأة ابن مرجانة

وشكر الطاغية يزيد لابن مرجانة قتله لريحانة رسول الله ﷺ وبالغ في تقديره وتكريمه فاستدعاه للحضور عنده في دمشق ليجازيه على ذلك، وكتب إليه ما يلي:

«أما بعد: فانك قد ارتفعت إلى غاية أنت فيها كما قال الأول:

رفعت فجاوزت السحاب وفوقه فما لك إلا مرتقى الشمس مقعد

فاذا وقفت على كتابي فاقدم عليّ لاجازيك على ما فعلت» .

وسافر ابن زياد مع أعضاء حكومته إلى دمشق ولما انتهى إليها خرج لاستقباله جميع بني أمية ولما دخل على يزيد قام إليه واعتنقه وقبل ما بين عينيه

(١) دعائم الاسلام ١: ٢٣٠ .

وأجلسه على سرير ملكه، وقال للمغني غني وللساقى اسقي: ثم قال:

اسقني شربة تروي فؤادي ثم مل واسق مثلها ابن زياد

موضع السر والأمانة عندي وعلى ثغر مغني وجهادي

وأقام ابن مرجانة شهراً فاوصله بالف الف درهم، ومثلها وجهها إلى ابن سعد، وأطلق له خراج العراق سنة^(١) وقد بالغ في مودته فادخله على نسائه وعياله^(٢)، ولما وفد أخوه مسلم بن زياد على يزيد بجّله وكرمه تقديراً لأخيه عبيد الله وقال له:

«لقد وجبت محبتكم على آل أبي سفيان».

وناداه يومه بأسره، وولاه بلاد خراسان^(٣).

لقد شكر لآل زياد إبادتهم لآل رسول الله وقد حسب أنهم قد مهدوا له الملك والسلطان، ولم يعلم أنهم قد هدموا ملكه ونسفوا سلطانه واخذوا له الخزي والعار^(٤).

(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان : ١٠٦ .

(٢) ينابيع المودة ١ : ١٤٩، الصراط السوي في مناقب آل النبي : ٨٥ .

(٣) الفتوح ٥ : ٢٥٤ .

(٤) حياة الامام الحسين ٣ : ٣٩٣ .

الفصل الحادي عشر

فضيلة زيارة الامام الحسين عليه السلام

وَمِنْ حَدِيثِ كَزَيْلَا وَالْكَعْبَةِ لِكَزَيْلَا بَانَ عُلُوُّ الرُّثْبَةِ
وَعَظِيمُهَا مِنْ سَائِرِ الْمَشَاهِدِ أَمْثَالُهَا بِالنَّقْلِ ذِي الشَّوَاهِدِ
وَرَاعٍ فِيهِنَّ أَفْتِرَابُ الرُّمَسِ وَآثِرُ الصَّلَاةِ عِنْدَ الرَّأْسِ
وَصَلَّ خَلْفَ الْقَبْرِ فَالصَّحِيحُ كَغَيْرِهِ فِي نَذْبِهَا صَرِيحُ
وَالْفَرْقُ بَيْنَ هَذِهِ الْقُبُورِ وَغَيْرِهَا كَالنُّورِ فَوْقَ الطُّورِ
فَالسَّغْيُ لِلصَّلَاةِ عِنْدَهَا نُذِبُ وَقُزْبُهَا بِلِ اللَّصُوقِ قَدْ طُلِبُ

إِعلم أَنَّ فضل زيارة الحسين عليه السلام ممَّا لَا يبلغه البيان، وفي روايات كثيرة أَنَّها تعدل الحجَّ والعمرة والجهاد بل هي أَفضل بدرجات، تورث المغفرة، وتخفيف الحساب، وارتفاع الدرجات، وإجابة الدعوات، وتورث طول العمر، والاحتفاظ في النفس والمال، وزيادة الرزق، وقضاء الحوائج، ورفع الهموم والكربات، وتركها يوجب نقصاً في الدين، وهو ترك حقَّ عظيم من حقوق النبي صَلَّى الله عليه وآله، وأقلُّ ما يؤجر به زائره هو أَن يغفر ذنوبه، وَأَن يصون الله تعالى نفسه وماله حتى يرجع الى اهله، فإذا كان يوم القيامة كان الله له احفظ من الدنيا. وفي روايات كثيرة أَن زيارته عليه السلام تزيل الغمَّ، وتهوِّن سكرات الموت، وتذهب بهول القبر، وَأَنَّ ما يصرف في زيارته عليه السلام يكتب بكلِّ درهم منه ألف درهم بل عشرة آلاف درهم، وَأَنَّ الزائر إذا توجه إلى قبره عليه السلام استقبله أربعة آلاف ملك، فإذا رجع منه شايسته، وإنَّ

الأنبياء والأوصياء والأئمة المعصومين والملائكة سلام الله عليهم أجمعين يزورون الحسين عليه السلام ويدعون لزوّاره ويبشّرونهم بالبشائر، وإنّ الله تعالى ينظر الى زوّار الحسين صلوات الله وسلامه عليه قبل نظره الى من حضر عرفات، وأنّه إذا كان يوم القيامة تمنّى الخلق كلّهم إن كانوا من زوّاره عليه السلام لما يصدر منه عليه السلام من الكرامة والفضل في ذلك اليوم. ^(١)

والأحاديث في ذلك لا تحصى ، وسنشير إلى جملة منها :

١ - روي عن الامام الصادق عليه السلام قوله: زيارة الحسين بن علي عليه السلام واجبة على كلّ من يقرّ للحسين بالإمامة من الله عزّ وجلّ. ^(٢)

٢ - قالت أمّ سعيد: قال الإمام الصادق عليه السلام: هل زرت قبر الإمام الحسين عليه السلام ؟

قلت: نعم .

قال: يا أمّ سعيد، زوري قبر الحسين، فهو واجب على الرجال والنساء. ^(٣)

٣ - روى الشيخ الطوسي في مصباح المتجّد بسنده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال : وذكر ثواب زيارة الحسين عليه السلام يوم عاشوراء حتى يظلّ عنده باكياً وقال: إنّ البعيد يومئذٍ إليه بالسلام ويجتهد في الدعاء على قاتله، ويصلي من بعد ركعتين .

قال : وليكن ذلك في صدر النهار قبل أن تزول الشمس ، ثم ليندب الحسين ولييكه، ويأمر من في داره ممّن لا يتّقيه بالبكاء عليه ، ويقيم من في داره المصيبة

(١) مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي .

(٢) الارشاد للمفيد ٢: ١٣٣ .

(٣) كامل الزيارات: ١٢٢ .

باطهار الجزع عليه - إلى أن قال - : وإن استطعت أن لا تمشي يومك في حاجة فافعل ، فإنه يوم نحس لا تقضى فيه حاجة مؤمن ، فإن قضيت لم يبارك له فيها ، ولم ير فيها رشداً ، ولا يدخرن أحدكم لمنزله فيه شيئاً ، فمن أذخر في ذلك اليوم شيئاً لم يبارك له فيما أذخر ، ولم يبارك له في أهله^(١) .

٤ - روى ابن قولويه والكليني والسيد ابن طاووس وغيرهم بأسانيد معتبرة عن الثقة الجليل معاوية بن وهب البجلي الكوفي ، قال : دخلت على الصادق صلوات الله وسلامه عليه وهو في مصلاه فجلست حتى قضى صلاته ، فسمعتة وهو يناجي ربه ويقول :

يَا مَنْ خَصَّنَا بِالْكَرَامَةِ، وَوَعَدَنَا الشَّفَاعَةَ، وَحَمَلَنَا الرُّسَالَ، وَجَعَلَنَا وَرَثَةَ الْأَنْبِيَاءِ، وَخَتَمَ بِنَا الْأُمَمِ السَّالِفَةِ، وَخَصَّنَا بِالْوَصِيَّةِ، وَأَعْطَانَا عِلْمَ مَا مَضَى، وَعِلْمَ مَا بَقِيَ، وَجَعَلَ أَفْئِدَةَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْنَا، اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَانِي وَرُؤَاةِ قَبْرِ أَبِي الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَشْخَصُوا أَبْدَانَهُمْ رَغْبَةً فِي بَرَتِنَا، وَرَجَاءً لِمَا عِنْدَكَ فِي وَصَلَتِنَا، وَسُرُوراً أَدْخَلُوهُ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَإِجَابَةً مِنْهُمْ لِأَمْرِنَا، وَغَيْظاً أَدْخَلُوهُ عَلَى عَدُوِّنَا، أَرَادُوا بِذَلِكَ رِضْوَانَكَ فَكَافَيْتُهُمْ عَنَّا بِالرِّضْوَانِ، وَأَكْلَاهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَخْلَفَ عَلَى أَهَالِيهِمْ وَأَوْلَادِهِمُ الَّذِينَ خَلَقُوا بِأَحْسَنِ الْخَلْفِ وَأَصْحَبَهُمْ وَأَكْفَيْتُهُمْ شَرَّ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَكُلِّ ضَعِيفٍ مِنْ خَلْقِكَ أَوْ شَدِيدٍ وَشَرِّ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَأَعْطَيْتُهُمْ أَفْضَلَ مَا أَمَلُوا مِنْكَ فِي غُرَبَتِهِمْ عَنْ أَوْطَانِهِمْ وَمَا آثَرُونَا عَلَى أَبْنَائِهِمْ وَأَهَالِيهِمْ وَقُرَابَاتِهِمْ.

اللَّهُمَّ إِنَّ أَعْدَاءَنَا عَابُوا عَلَيْهِمْ خُرُوجَهُمْ فَلَمْ يَنْهَهُمْ ذَلِكَ عَنِ التَّهْوِضِ وَالشُّخُوصِ إِلَيْنَا خِلَافاً عَلَيْهِمْ فَارْحَمْ تِلْكَ الْوُجُوهِ الَّتِي غَيَّرَتْهَا الشَّمْسُ، وَارْحَمْ تِلْكَ

الْخُدُودِ الَّتِي تَقَلَّبَتْ عَلَى قَبْرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَازْحَمَ تِلْكَ الْأَعْيُنُ الَّتِي جَرَتْ دُمُوعُهَا رَحْمَةً لَنَا، وَازْحَمَ تِلْكَ الْقُلُوبُ الَّتِي جَزَعَتْ وَاخْتَرَقَتْ لَنَا، وَازْحَمَ تِلْكَ الصَّرَخَةُ الَّتِي كَانَتْ لَنَا.

اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَوْدَعَكَ تِلْكَ الْأَنْفُسِ وَتِلْكَ الْأَبْدَانِ حَتَّى تَرْوِيَهُمْ مِنَ الْحَوْضِ يَوْمَ الْعَطَشِ.

فما زال صلوات الله عليه يدعو بهذا الدعاء وهو ساجد، فلما انصرف قلت له: جعلت فداك، لو أنّ هذا الذي سمعته منك كان لمن لا يعرف الله لظننت أنّ النار لا تطعم منه شيئاً أبداً.

والله لقد تمنيت أنّي كنت زرته ولم أحجّ، فقال لي: ما أقربك منه فما الذي يمنعك من زيارته؟ يا معاوية لا تدع ذلك.

قلت: جعلت فداك، فلم أدر أنّ الأمر يبلغ هذا كله .

فقال: يا معاوية، ومن يدعو لزوّاره في السماء أكثر ممّن يدعو لهم في الأرض، لا تدعه لخوفٍ من أحد، فمن تركه لخوف رأى من الحسرة ما يتمنى أنّ قبره كان بيده (أي تمنى أن يكون قد ظلّ عنده حتّى دفن هناك)، أما تحبّ أن يرى الله شخصك وسوادك فيمن يدعو له رسول الله وعلي وفاطمة والأئمة المعصومون ﷺ؟ أما تحبّ أن تكون غداً ممّن تصافحه الملائكة؟ أما تحبّ أن تكون غداً في من يأتي وليس عليه ذنب فيتبع به؟ أما تحبّ أن تكون ممّن يصافح رسول الله ﷺ؟

٥ - وَرُوي أنّ الله يخلق من عرق زوّار قبر الحسين ﷺ من كلّ عرقه سبعين ألف ملك يسبحون الله ويستغفرون له ولزوّار الحسين ﷺ إلى أن تقوم الساعة.

٦ - عن الصادق عليه السلام قال: إذا زرت أبا عبد الله عليه السلام فزُرْهُ وَأَنْتَ حَزِينٌ مَكْرُوبٌ شَعْتُ مَغْتَبِرٌ جَائِعٌ عَطْشَانٌ، فَإِنَّ الْحُسَيْنَ عليه السلام قُتِلَ حَزِيناً مَكْرُوباً شَعْنًا مَغْتَبِراً جَائِعاً عَطْشَاناً، وَاسْأَلْهُ الْحَوَائِجَ وَانصَرَفْ عَنْهُ وَلَا تَتَّخِذْهُ وَطْناً.

٧ - وقد رُوِيَ فِي آدَابِ زِيَارَتِهِ عليه السلام، عَنْ الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ: مَنْ أَتَى قَبْرَ الْحُسَيْنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ مَاشِياً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ دَرَجَةٍ.

٨ - عَنْ الثَّقَةِ الْجَلِيلِ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ الْبَاقِرِ عليه السلام، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِذَا خَرَجْنَا إِلَى أَبِيكَ أَفْلَسْنَا فِي حَجٍّ؟ قَالَ: بَلَى.

قلت: فيلزمنا ما يلزم الحاجَّ؟

قال: يلزمك حسن الصحبة لمن يصحبك، ويلزمك قلة الكلام إلا بخير، ويلزمك كثرة ذكر الله، ويلزمك نظافة الثياب، ويلزمك الغسل قبل أن تأتي الحير، ويلزمك الخشوع وكثرة الصلاة والصلاة على مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، ويلزمك التحفظ عما لا ينبغي لك، ويلزمك أن تغضَّ بصرَكَ مِنَ الْمَحْرَمَاتِ وَالْمَشْتَبِهَاتِ، ويلزمك أن تعود على أهل الحاجة من إخوانك إذا رأيت منقطعاً، والمواساة (أن تناصفه نفقتك)، ويلزمك التقية التي قوام دينك بها، والورع عما نهيت عنه، وترك الخصومة، وكثرة الإيمان والجدال الذي فيه الإيمان، فإذا فعلت ذلك تَمَّ حُجُّكَ وعمرتكَ، واستوجبت من الذي طلبت ما عنده بنفقتك واغترابك عن أهلك ورغبتك فيما رغبت أن تتصرف بالمغفرة والرحمة والرضوان.

٩ - عَنْ ابْنِ قَوْلُوهِ، عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ لِلْمُفْضَلِ بْنِ عَمْرِ: يَا مُفْضَلُ، إِذَا بَلَغْتَ قَبْرَ الْحُسَيْنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فَقِفْ عَلَى بَابِ الرُّوضَةِ وَقُلْ هَذِهِ

الكلمات فإنّ لك بكلّ كلمة منها نصيباً من رحمة الله تعالى:

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ آدَمَ صَفْوَةَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ نُوحٍ نَبِيِّ اللَّهِ،
السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ،
السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ عِيسَى رُوحِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ مُحَمَّدٍ حَبِيبِ اللَّهِ،
السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ عَلِيِّ وَصِيِّ رَسُولِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ الْحَسَنِ
الرَّضِيِّ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الشَّهِيدُ
الصُّدِّيقُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْوَصِيُّ الْبَارُّ النَّقِيُّ، السَّلَامُ عَلَى الْأَزْوَاجِ الَّتِي حَلَّتْ
بِفَنَائِكَ وَأَنَاخَتْ بِرَحْلِكَ، السَّلَامُ عَلَى مَلَائِكَةِ اللَّهِ الْمُحْدِقِينَ بِكَ، أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ
أَقَمْتَ الصَّلَاةَ، وَآتَيْتَ الزَّكَاةَ، وَأَمَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَبَدْتَ اللَّهَ
مُخْلِصاً حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِينُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

ثمّ تمضي إلى القبر ولك بكلّ خطوة تخطوها أجر المتشحّط بدمه في سبيل
الله، فإذا اقتربت من القبر فامسحه بيدك وقل: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ
وَسَمَائِهِ. ثم تمضي إلى صلاتك ولك بكلّ ركعة ركعتها عنده كثواب من حجّ ألف
حجّة، واعتمر ألف عمرة، وأعتق في سبيل الله ألف رقبة، وكأنما وقف في سبيل الله
ألف مرّة مع نبيّ مرسل.

الزيارة مستحبة أم واجبة

من خلال الروايات السابقة، هناك سؤال يطرح نفسه، من المعروف أنّ زيارة
الامام الحسين (عليه السلام) من المستحبات، ولها فضيلة وثواب لا يحصى، لكن بعض
الروايات السابقة يستفاد منها وجوب زيارة الامام الحسين (عليه السلام) ؟

وللجواب نقول: الواجب المذكور في هذه الروايات يختلف عن الواجب في
المعنى الفقهي، فالواجب يعني أمر لا يجوز تركه، ومن تركه يستحق العقاب، هذا في

اصطلاح الفقهاء، ولم يكن هذا المعنى رائجاً في عصر الأئمة عليهم السلام، فالواجب في عصر الأئمة يجب أن نترجمه الى نفس المعنى اللغوي والمعروف عرفاً والذي هو عبارة من اللازم والثابت، أي أنّ الذي يعترف بامامة الإمام الحسين عليه السلام يجب عليه زيارته .

أي أنّ الذي يؤمن بالحسين عليه السلام إماماً يجب أن يأتي بقرينة هذا الايمان وهو زيارته عليه السلام .

ويستفاد من بعض الروايات أنّ هناك احتمال وجوب الزيارة لذكرها في الكثير من الروايات مقترنة بالحجّ والعمرة واعتبار هذه العبادات في مرتبة واحدة، وتركها لا يجوز للمستطيع إليها سبيلاً .

وأما فضل زيارته عليه السلام ، والهجرة إلى بقعته ، والاستشفاء بترتبه ، وإجابة الدعاء تحت قبّته ، فلا يحصرها حدّ ، ولا يستوفيهَا عدّ .

وقد صنّف الشيخ الجليل أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي عليه السلام في ذلك خاصّة كتاباً سمّاه بـ «كامل الزيارات» ، مشتملاً على فضل زيارته عليه السلام ، وفضل الصلاة عنده .

وروى عليه السلام في ذلك روايات وأخباراً وكرامات كثيرة ، وكذلك غيره من فقهاء الشيعة وأبرارهم ، كالشيخ الفقيه أبي جعفر الطوسي عليه السلام ، والشيخ عماد الدين أبي جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمي رضي الله عنهم أجمعين .

وروى الشيخ أبو جعفر بن بابويه عليه السلام : أبي رحمه الله قال : حدّثنا سعد بن عبدالله ، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطّاب ، عن محمد بن إسماعيل ، عن الخيري ، عن الحسين بن محمد القمي ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام ، قال : من زار قبر

الحسين أبي عبدالله عليه السلام بشاطئ الفرات كان كمن زار الله فوق عرشه ^(١). ^(٢)

قال الشيخ الشهيد محمد بن مكي عليه السلام في دروسه - عند ذكر هذا الحديث -:
هو كناية عن كثرة الثواب والإجلال، بمثابة من رفعه الله إلى سمائه، وأدناه
من عرشه، وأراه من خاصّة ملكه ما يكون به توكيد كرامته ^(٣).

وروي أيضاً عليه السلام في دروسه أنّ زيارته فرض على كلّ مؤمن، وأنّ تركها ترك
حقّ لله ولرسوله، وأنّ تركها عقوب رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنقاص في الإيمان والدين،
وأنّه حقّ على الغنيّ زيارته في السنة مرّتين، والفقر في السنة مرّة، وأنّه من أتى
عليه حول ولم يأت قبره نقص من عمره حول، وأنّها تطيل العمر، وأنّ أيام زيارته
لا تعدّ من الأجل، وتفرّج الغمّ، وتمحّص الذنوب، وبكلّ خطوة حجة مبرورة، وله
بزيارته عتق ألف نسمة، وحمل على ألف فرس في سبيل الله، وله بكلّ درهم أنفقه
عشرة آلاف درهم، وأنّ من أتى قبره عارفاً بحقه غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما
تأخّر.

وأنّ زيارته يوم عرفة مع المعرفة بحقه بألف ألف حجة وألف ألف عمرة
مقبّلات، وألف غزوة مع نبيّ أو إمام.

وزيارته أوّل رجب مغفرة للذنوب ألبتّة، ونصف شعبان يضافه مائة ألف نبيّ
وعشرون ألف نبيّ، وليلة القدر مغفرة للذنوب، وأنّ الجمع بين زيارته في سنة واحدة
ليلة عرفة والفطر وليلة النصف من شعبان بثواب ألف حجة مبرورة، وألف عمرة

(١) قال المجلسي أي عبّد الله هناك، أو لاقى الأنبياء والأوصياء هناك فإنّ زيارتهم كزيارة الله، أو يحصل
له مرتبة من القرب كمن صعد عرش ملك وزاره.

(٢) كامل الزيارات: ١٤٧ ح ٢، ثواب الأعمال: ١١٠ ح ١، بحار الأنوار: ١٠١: ٦٩ ح ٣ و ٤.

(٣) الدروس الشرعية ٢: ١٠.

مقبلة، وقضاء ألف حاجة للدين والآخرة.

وزيارته في العشرين من صفر من علامات المؤمن، وزيارته في كل شهر ثوابها ثواب مائة ألف شهيد من شهداء بدر.^(١)

وقال عليه السلام أيضاً في دروسه: روى المفضل بن عمر، عن الصادق عليه السلام في الصلاة عنده كل ركعة بألف حجة، وألف عمرة، وعنت ألف رقبة، وألف وقفة، في سبيل الله مع نبي مرسل.^(٢)

وعن مولانا موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: أدنى ما يثاب به زائر أبي عبد الله عليه السلام بشط الفرات إذا عرف حقه وحرمة وولايته أن يغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.^(٣)

روى الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه بحذف الأسانيد قال: سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام: ما لمن زار قبر الحسين عليه السلام؟

فقال: إن الحسين عليه السلام وكل الله به أربعة آلاف ملك شعناً غبراً يبيكونه إلى يوم القيامة، رئيسهم ملك يقال له منصور، فلا يزوره زائر إلا استقبلوه، ولا يودعه مودع إلا شيعوه، ولا يمرض إلا عادوه، ولا يموت إلا صلوا على جنازته واستغفروا له بعد موته.^(٤)

وبحذف الاسناد، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: وكل الله بقبر الحسين عليه السلام سبعين ألف ملك يصلون عليه، ويدعون لمن زاره، ويقولون: يا ربنا،

(١) الدروس الشرعية ٢: ٩ - ١٠.

(٢) الدروس الشرعية ٢: ١١.

(٣) كامل الزيارات: ١٣٨ ح ٣ و ١٥٣ ح ٥، ثواب الأعمال: ١١١ ح ٦، بحار الأنوار: ١٠١: ٢٤ ح ١٩ و ٢٠.

(٤) كامل الزيارات: ١١٩ ح ١ و ١٩١ ح ٨، ثواب الأعمال: ١١٣ ح ١٥، البحار: ١٠١: ٦٣ ح ٤٢.

هؤلاء زوّار الحسين افعل بهم وافعل.^(١)

وبالاسناد عن صالح، عن الحارث بن المغيرة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ الله تبارك وتعالى ملائكة موكلين بقبر الحسين عليه السلام، فإذا همّ الرجل بزيارته أعطاهم الله ذنوبه، فإذا خطأ محوها، ثمّ إذا خطأ ضاعفوا له حسناته، فما تزال حسناته تضاعف حتّى يوجب له الجنّة، ثمّ اكتنفوه وقّدسوه، وينادون ملائكة السماوات: قدّسوا زوّار حبيب حبيب الله، فإذا اغتسلوا ناداهم محمد صلى الله عليه وآله: يا وفد الله، أبشروا بمرافقتي في الجنّة، ثمّ ناداهم أمير المؤمنين عليه السلام: أنا ضامن لحوائجكم، ودفع البلاء عنكم في الدنيا والآخرة، ثمّ اكتنفوهم عن أيّمانهم وعن شمائلهم حتّى ينصرفوا إلى أهاليهم.^(٢)

وبالاسناد عن الأعمش، قال: كنت نازلاً بالكوفة وكان لي جار كثيراً ما كنت أقعد إليه، وكان ليلة جمعة فقلت له: ما تقول في زيارة الحسين عليه السلام؟ فقال لي: بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار.

فقلت من بين يديه وأنا أمتلىء غيظاً وقلت: إذا كان في السحر أتيتته فحدّثته من فضائل أمير المؤمنين ما يسخّن الله به عينه.

قال: فأتيتته وقرعت عليه الباب، فإذا أنا بصوت من وراء الباب: إنّهُ قد قصد الزيارة في أوّل الليل، فخرجت مسرعاً، فأتيت الحائر، فإذا أنا بالشيخ ساجد لا يملّ من السجود والركوع، فقلت له: بالأمس تقول لي بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار، واليوم تزوره؟!

(١) كامل الزيارات: ١١٩ ح ٢ و ٤، التهذيب ٦: ٤٧ ح ١٠٤، بحار الأنوار ١٠١: ٥٤ ح ١٢ و ١٣.

(٢) كامل الزيارات: ١٣٢ ح ٣ و ١٥٢ ح ٣، ثواب الأعمال: ١١٧ ح ٣٣، بحار الأنوار ١٠١: ٦٤ و ٦٥ ح ٥٠-٥٢.

فقال لي: يا سليمان، لا تلمني فإنني ما كنت أثبت لأهل هذا البيت إمامة حتى كانت ليلتي هذه فرأيت رؤيا أرعبتني.

فقلت: ما رأيت أيها الشيخ؟

قال: رأيت رجلاً لا بالطويل الشاهق، ولا بالقصير اللاصق، لا أحسن أصفه من حسنه وبهائه، معه أقوام يحقون به حقيفاً، ويزفونه زفاً، بين يديه فارس على فرس له ذنوب، على رأسه تاج، للتاج أربعة أركان، في كل ركن جوهرة تضيء مسيرة ثلاثة أيام، فقلت: من هذا؟

فقالوا: محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ﷺ.

فقلت: والآخر؟

فقالوا: وصيه علي بن أبي طالب عليه السلام.

ثم مددت عيني فإذا أنا بناقة من نور، عليها هودج من نور، تطير بين السماء والأرض.

فقلت: لمن الناقة؟

قالوا: لخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ﷺ.

فقلت: والغلام؟

قالوا: الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

قلت: فأين يريدون؟

قالوا: يمضون بأجمعهم إلى زيارة المقتول ظمأً الشهيد بكر بلاء الحسين بن علي، ثم قصدت الهودج فإذا أنا برقاع تساقط من السماء أماناً من الله عز وجل لزوار الحسين بن علي ليلة الجمعة، ثم هتف بنا هاتف: ألا إننا وشيعتنا في الدرجة العليا من الجنة.

والله يا سليمان، لا أفارق هذا المكان حتى تفارق روحي جسدي^(١).

وبالاسناد قال: حدّثني محمد بن الحسن، قال: حدّثني أحمد بن إدريس، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن إسماعيل، عن الخيبري، عن موسى بن القاسم الحضرمي، قال: ورد أبو عبدالله الصادق عليه السلام في أوّل ولاية أبي جعفر فنزل النجف، ثم قال: يا موسى، اذهب إلى الطريق الأعظم فقف على الطريق وانظر فإنّه سيجيئك رجل من ناحية القادسيّة، فإذا دنا منك فقل: هنا رجل من ولد رسول الله ﷺ يدعوك، فإنّه سيجيء معك.

قال: فذهبت حتى قمت على الطريق والحرّ شديد، فلم أزل قائماً حتى كدت أعصي وأنصرف وادعه، إذ نظرت إلى شيء مقبل شبه رجل على بعير.

قال: فلم أزل أنظر إليه حتى دنا منّي، فقلت: يا هذا، هنا رجل من ولد رسول الله ﷺ يدعوك، وقد وصفك لي.

فقال: اذهب بنا إليه.

قال: فجاء حتى أناخ بعيره ناحية قريباً من الخيمة، قال: فدعاه، فدخل الأعرابي إليه ودنوت أنا فصرت على باب الخيمة أسمع الكلام ولا أراهما، فقال له أبو عبدالله عليه السلام: من أين أقبلت؟

قال: من أقصى اليمن.

قال: أنت من موضع كذا وكذا؟

قال: نعم.

قال: فيم جيئت إلى هاهنا؟

(١) المزار الكبير: ٤٦١، عنه البحار: ١٠١: ٥٨ ح ٢٦.

قال: جئت زائراً للحسين عليه السلام.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: فجئت من غير حاجة ليس إلا للزيارة؟

قال: نعم، جئت من غير حاجة إلا أن أصلي عنده وأزوره وأسلم عليه وأرجع إلى أهلي.

قال له أبو عبدالله عليه السلام: وما ترون من زيارته؟

قال: إننا نرى في زيارته البركة في أنفسنا وأهالينا وأولادنا وأموالنا ومعاشنا وقضاء حوائجنا.

قال: فقال له أبو عبدالله عليه السلام: أفلا أزيدك من فضله فضلاً، يا أخا اليمن؟

قال: زدني، يا ابن رسول الله.

قال: إن زيارة أبي عبدالله عليه السلام تعدل حجة مبرورة مقبولة زاكية مع رسول الله ﷺ، فتعجب الرجل من ذلك، فقال: إي والله وحجتين مبرورتين مقبولتين زاكيتين مع رسول الله ﷺ، فتعجب، فلم يزل أبو عبدالله عليه السلام يزيده حتى قال: ثلاثين حجة مبرورة متقبلة زاكية مع رسول الله ﷺ. (١)

وبالاسناد قال: أبي رحمه الله، قال: حدثنا سعد بن عبدالله، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن يزيد بن عبدالملك، قال: كنت مع أبي عبدالله عليه السلام فمر بنا قوم على حمير، فقال: أين يريدون هؤلاء؟ فقلت: قبور الشهداء.

قال: فما يمنعهم من زيارة قبر الغريب؟

فقال له رجل من أهل العراق: زيارته واجبة؟

قال: نعم، زيارته واجبة، ثم قال: زيارته خير من حجة وعمرة، وعمرة

(١) كامل الزيارات: ١٦٢ ح ٧، ثواب الأعمال: ١١٨ ح ٤٠، بحار الأنوار: ١٠١: ٣٧ ح ٥٢ و ٥٣.

وحجّة، حتّى عدّ عشرين حجّة وعمرة، ثمّ قال: مبرورات متقبّلات.

قال: فوالله ما قمت حتّى أتاه رجل فقال: إنّي قد حججت تسع عشرة حجّة فادع الله أن يرزقني تمام العشرين.

قال: فهل زرت قبر الحسين عليه السلام؟

قال: لا.

قال: لزيارته خير من عشرين حجّة^(١).

وبالاسناد عن سعد بن عبدالله، عن يعقوب بن يزيد، عن محمد بن أبي عمير، عن معاوية بن وهب، قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام وهو في مصلاه، فجلست حتّى قضى صلاته فسمعتة وهو يناجي ربّه فيقول: يا من خصّنا بالكرامة، ووعدنا الشفاعة، وحمّلنا الرسالة، وجعلنا ورثة الأنبياء، وختم بنا الأمم السالفة، وخصّنا بالوصيّة، وأعطانا علم ما مضى وما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولإخواني وزوّار قبر أبي عبدالله عليه السلام الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبةً في برّنا، ورجاءً لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيّك محمد عليه السلام، وإجابة منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدوّنا، أرادوا بذلك رضوانك، فكافهم عتاً بالرضوان، واكلاًهم بالليل والنهار، واخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف، وأصحبهم واكفهم شرّ كلّ جبار عنيد، وكلّ ضعيف من خلقك وشديد، وشرّ شياطين الجنّ والإنس، وأعطهم أفضل ما أمّلوا منك من غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا على أبنائهم وأهاليهم وقرباتهم.

اللهمّ إنّ أعداءنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن النهوض والشخص إلينا خلافاً منهم على من خالفنا.

(١) كامل الزيارات: ١٦٠ ح ١٥ وص ١٦٣ ح ٨، ثواب الأعمال: ١١٩ ح ٤١، بحار الأنوار ١٠١: ٤٠.

اللَّهُمَّ فارحم تلك الوجوه التي غيَّرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلَّبت على قبر أبي عبدالله عليه السلام، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان حتَّى تروِيهم من الحوض يوم العطش.

قال: فما زال صلوات الله عليه يدعو بهذا الدعاء وهو ساجد، فلَمَّا انصرف قلت: جعلت فداك لو أَنَّ الدعاء الَّذي سمعته منك كان لمن لا يعرف الله لظننت أَنَّ النار لا تطعم منه شيئاً أبداً، والله لقد تمَّيَّت أَنِّي كنت زرته ولم أحجَّ، فقال: ما أقربك من ذلك؟! فما الَّذي يمنعك من زيارته يا معاوية؟ ولم تدع ذلك؟ قلت: جعلت فداك، لم أدر أَنَّ الأمر يبلغ هذا كَلِّه.

فقال: يا معاوية، من يدعو لزواره في السماء أكثر ممَّن يدعو لهم في الأرض، لا تدعه لخوف من أحد، فمن تركه لخوفٍ رأى من الحسرة ما يتمنَّى أَنَّ قبره كان عنده^(١)، أما تحبُّ أن ترى^(٢) شخصك وسوادك ممَّن يدعو له رسول الله ﷺ؟ أما تحبُّ أن تكون غداً فيمن روي وليس عليه ذنب فيتبع به؟ أما تحبُّ أن تكون غداً فيمن تصافحه الملائكة؟ أما تحبُّ أن تكون غداً فيمن يصافح رسول الله ﷺ؟^(٣)

وبالاسناد عن الحسن بن محبوب، عن داود الرقي، قال: سمعنا أبا عبدالله عليه السلام يقول: ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة، وإنه لينزل من السماء في كلِّ

(١) والمراد: أي يتمنَّى أن يكون قتل لزيارته عليه السلام وقبر عنده.

(٢) في الثواب: أن يرى الله.

(٣) ثواب الأعمال: ١٢٠ ح ٤٤، كامل الزيارات: ١١٦ ح ١ و ٢ و ١١٧ ح ٣ و ١٢٦ ح ٣، بحار الأنوار

١٠١: ٨ - ١٠ ح ٣٠ - ٣٧.

مساء سبعون ألف ملك يطوفون بالبيت ليلتهم حتّى إذا طلع الفجر انصرفوا إلى قبر النبي ﷺ فسلموا عليه، ثمّ يأتون قبر أمير المؤمنين ﷺ فيسلمون عليه، ثمّ يأتون قبر الحسين ﷺ فيسلمون عليه، ثمّ يعرجون إلى السماء قبل أن تطلع الشمس، ثمّ تنزل ملائكة النهار سبعون ألف ملك فيطوفون بالبيت الحرام نهارهم حتّى إذا غابت الشمس انصرفوا إلى قبر رسول الله ﷺ فيسلمون عليه، ثمّ يأتون قبر أمير المؤمنين ﷺ فيسلمون عليه، ثمّ يأتون قبر الحسين ﷺ فيسلمون عليه، ثمّ يعرجون إلى السماء قبل أن تغيب الشمس.^(١)

وبالاسناد: أبي رحمه الله، قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، عن محمد ابن الحسين، عن محمد بن إسماعيل، عن حنّان بن سدير، قال: قال أبو عبدالله ﷺ: زوروه - يعني قبر الحسين ﷺ - ولا تجفوه، فإنّه سيّد الشهداء وسيّد شباب أهل الجنّة.^(٢)

في ذكر فضل كربلاء

زُر خير قبر بالعراق يزَار واعص الحمار^(٣) فمن نهاك حمارُ
لِمَ لا أزورك يا حسين لك الفدا قومي ومن عطفت عليه نزار؟
ولك المودّة في قلوب أولي النهى وعلى عدوك مَقَتّة ودثار^(٤)
بالاسناد عن محمد بن جعفر القرشي الرزّار، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطّاب عن أبي سعيد، عن بعض رجاله، عن أبي الجارود، قال: قال عليّ بن

(١) كامل الزيارات: ١١٤ ح ٢، ثواب الأعمال: ١٢١ ح ٤٦، أمالي الطوسي: ١: ٢١٤ ح ٢٢، بحار الأنوار ٥٩: ١٧٦ ح ٨، وج ١٠٠: ٥٧ ح ١.

(٢) كامل الزيارات: ١٠٩ ح ١، ثواب الأعمال: ١٢٢ ح ٤٨.

(٣) وهو مروان بن محمد الملقّب بـ«الحمار» آخر خلفاء بني أميّة.

(٤) من قصيدة لشاعر أهل البيت دعبل الخزاعي. انظر بحار الأنوار ٤٥: ٢٣٥.

الحسين عليه السلام: اتخذ الله كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يخلق أرض الكعبة ويتخذها حرماً بأربعة وعشرين ألف عام، وأنه إذا زلزل الله تبارك وتعالى الأرض وسيرها رفعت كما هي بتربتها صافية فجعلت في أفضل مسكن في الجنة لا يسكنها إلا النبيون والمرسلون - أو قال: وأولوا العزم من الرسل - وأنها لتزهر بين رياض الجنة كما يزهر الكوكب الدرّي بين الكواكب لأهل الأرض يغشي نورها أصحاب الجنة، وهي تنادي: أنا أرض الله المقدسة الطيبة المباركة التي تضمّنت سيّد الشهداء وسيّد شباب أهل الجنة^(١).

وبالاسناد قال: حدّثنا محمد بن جعفر الرزّاز، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن الحسن بن محبوب، عن إسحاق بن عمّار، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ لموضع قبر الحسين عليه السلام حرمة معروفة، من عرفها واستجار بها أجبر.

قلت: فصف لي موضعها، جعلت فداك.

فقال: امسح من موضع قبره اليوم خمساً وعشرين ذراعاً من ناحية رجله، وخمساً وعشرين ذراعاً ممّا يلي وجهه، وخمساً وعشرين ذراعاً من خلفه، وخمساً وعشرين ذراعاً من ناحية رأسه، وموضع قبره منذ يوم دفن روضة من رياض الجنة، ومنه معراج يعرج فيه بأعمال زوّاره إلى السماء، فليس ملك ولا نبيّ في السماوات ولا في الأرض إلاّ وهم يسألون الله عزّ وجلّ أن يأذن لهم في زيارة قبر الحسين عليه السلام، ففوج ينزل وفوج يعرج^(٢).

(١) كامل الزيارات: ٢٦٨ ح ٥، كتاب عبّاد العصري: ١٧ (ضمن كتاب الأصول الستّة عشر).

(٢) كامل الزيارات: ٢٧٢ ح ٤، مصباح المتجّد: ٧٣١، مصباح الكفعمي: ٥٠٨، الكافي: ٤: ٥٨٨ ح ٦، ثواب الأعمال: ١٢٠ ح ٤٢.

وقال الصادق عليه السلام: حريم قبر الحسين عليه السلام خمس فراسخ من أربعة جوانب القبر. (١)

وروى الحسن بن محبوب، عن الحسين بن بنت أبي حمزة الشمالي قال: خرجت من الكوفة قاصداً زيارة الحسين عليه السلام في آخر زمان بني مروان وقد أقاموا مشايخ من أهل الشام على الطرقات يقتلون من ظفروا به من زوّاره، فأتيت إلى القرية التي عند حائره عليه السلام فأخفيت نفسي إلى الليل، ثم أتيت إلى الحائر الشريف، فخرج منه عليّ رجل فقال: يا هذا، ارجع من حيث أتيت، عافاك الله، فإنّك لا تقدر على الزيارة في هذه الساعة، فرجعت إلى مكاني، فلمّا ذهب من الليل شطره أقبلت لزيارته عليه السلام، فخرج عليّ ذلك الرجل وقال: يا هذا، ألم أقل لك إنّك لا تقدر على زيارة الحسين هذه الليلة؟

فقلت: وما يمنعني من ذلك وأنا قد أقبلت من الكوفة على خوفٍ من أهل الشام أن يقتلوني.

فقال: يا هذا، اعلم أنّ إبراهيم خليل الله وموسى كليم الله ومحمد حبيب الله ﷺ استأذنوا الله في هذه الليلة أن يزوروا قبر الحسين عليه السلام فأذن لهم، فهم عنده من أوّل الليل في جمع من الملائكة لا يحصى عددهم يسبحون الله ويقدّسونه إلى الصباح.

فقلت له: وأنت من تكون، عافاك الله؟

قال: أنا من الملائكة الموكّلين بقبره صلوات الله عليه، فكاد يطير عقلي ممّا دخلني من الرعب، ورجعت إلى مكاني متفكراً في ذلك حتّى انفجر

(١) كامل الزيارات: ٢٧٢ ح ٣، ثواب الأعمال: ١٢٠ ح ٤٣، مصباح المتجّد: ٧٣١.

عمود الصبح فأتيت فلم أر أحداً، فصلّيت وزرت وانصرفت على خوف من أهل الشام.^(١)

وبالاسناد المتقدم عن الحسين بن عبيدالله، عن الحسن بن عليّ بن أبي عثمان، عن عبدالجبار النهاوندي، عن أبي سعيد، عن الحسين بن ثوير بن أبي فاختة، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: يا حسين، من خرج من منزله يريد زيارة الحسين عليه السلام إن كان ماشياً كتبت له بكل خطوة حسنة، وحطّ بها عنه سيئة، حتّى إذا صار في الحائر كتبه الله من المفلحين المنجحين حتّى إذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين، حتّى إذا أراد الانصراف ناداه ملك فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يقرئك السلام ويقول لك: استأنف العمل فقد غفر الله لك ما مضى.^(٢)

وبالاسناد عن الحسن بن عليّ الكوفي، عن عليّ بن حسن الهاشمي، عن عبدالرحمان بن كثير مولى أبي جعفر عليه السلام، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: لو أنّ أحدكم حجّ دهره ثم لم يزر الحسين عليه السلام لكان تاركاً حقّاً من حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله لأنّ حقّ الحسين عليه السلام فريضة من الله واجبة على كلّ مسلم.^(٣)

وبالاسناد عن محمد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن بشير الدهان، عن أبي عبدالله عليه السلام: إنّ الرجل ليخرج إلى قبر الحسين عليه السلام فله إذا خرج من أهله بأوّل خطوة مغفرة ذنوبه، ثم لم يزل يقْدَس بكلّ خطوة حتّى يأتيه، فإذا أتاه ناجاه الله فقال: عدي سلني أعطك، أدعني أجيبك، اطلب مني أعطك، سلني حاجة أقضيها لك.

(١) كامل الزيارات: ١١١ ح ٢ باختلاف.

(٢) كامل الزيارات: ١٣٢ ح ١، ثواب الأعمال: ١١٦ ح ٣١، تهذيب الأحكام: ٦: ٤٣ ح ٨٩.

(٣) كامل الزيارات: ١٢٢ ح ٤، تهذيب الأحكام: ٦: ٤٢ ح ٨٧.

قال أبو عبد الله عليه السلام: وحقّ على الله أن يعطي ما بذل.^(١)

وبالاسناد عن سيف بن عميرة ومنصور بن حازم قالوا: سمعناه صلوات الله عليه يقول: من أتى عليه حول ولم يزر قبر الحسين عليه السلام نقص من عمره حول، ولو قلت: إن أحدكم ليموت قبل أجله بثلاثين سنة لكنت صادقاً، وذلك لأنكم تتركون زيارته عليه السلام، فلا تركوها يمدّ الله في أعماركم وأرزاقكم، فتنافسوا في زيارته ولا تدعوا ذلك، فإنّ الحسين بن عليّ شاهد لكم عند الله وعند رسوله وعند أمير المؤمنين وفاطمة عليها السلام.^(٢)

وبالاسناد عن سلمة بن الخطاب، عن إبراهيم بن محمد، عن عليّ بن المعلّى، عن إسحاق بن زياد^(٣)، قال: أتى رجل أبا عبد الله عليه السلام فقال: إني قد ضربت على كلّ شيء لي ذهباً وفضّة، وبعث ضياعي، فقلت أنزل مكّة. فقال: لا تفعل، فإنّ أهل مكّة يكفرون بالله جهرة.

قال: ففي حرم رسول الله ﷺ؟

قال: هم شرّ منهم.

قال: فأين أنزل؟

قال: عليك بالعراق الكوفة، فإنّ البركة منها على اثني عشر ميلاً هكذا وهكذا^(٤)، وإلى جانبها قبر ما أتاه مكروب قطّ ولا ملهوف إلّا فرّج الله عنه.^(٥)

(١) كامل الزيارات: ١٣٢ ح ٢ و ١٥٢ ح ٢، ثواب الأعمال: ١١٧ ح ٣٢.

(٢) كامل الزيارات: ١٥١ ح ٢، تهذيب الأحكام ٦: ٤٣ ح ٩١، وفيه: سيف بن عميرة، عن منصور بن حازم.

(٣) كذا في الكامل، وفيه: يزداد سـ، وفي الأصل والتهذيب: داود، وفي التهذيب: إبراهيم بن محمد ابن عليّ بن المعلّى.

(٤) قال المجلسي رحمه الله: يحتمل أن يكون عليه السلام أشار إلى جانبي الغريّ وكربلاء لا إلى جميع =

وبالاسناد عن هشام بن الحكم، عن الفضيل بن يسار، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إلى جانبكم لقبراً ما أتاه مكروب إلا نفّس الله كربته، وقضى حاجته^(٦) - يعني قبر الحسين عليه السلام - .^(٧)

فضل إحياء ليلة عاشوراء بالعبادة

قد ورد في بعض الأحاديث التأكيد الشديد في إحياء هذه الليلة بالعبادة، والمحافظة عليها وعدم إغفالها مهما أمكن، وأن لها فضلاً عظيماً قال أحد الأعلام - عليه الرحمة - في حديثه عن أعمال ليلة عاشوراء ويومها من الصلوات والدعوات: إنها - أي الأعمال - ولو كانت واردة أيضاً يمكن أن يُحكم بترجيح الإشتغال بمراسم التعزية، والصلوات له وللمستشهدين بين يديه عليه السلام، ولعن قاتليهم - على الإشتغال بالعبادة - وإن تأكيدها أيضاً ثابت بالروايات^(٨).

ومن الأحاديث الواردة فيها ما يلي:

١ - ما روي في كتاب دستور المذكرين بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: مَنْ أَحْيَا لَيْلَةَ عَاشُورَاءَ فَكَأَنَّمَا عَبْدُ اللَّهِ عِبَادَةَ جَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ، وَأَجْرُ الْعَامِلِ فِيهَا كَأَجْرِ سَبْعِينَ سَنَةً^(٩).

٢ - ما روي عن الحارث بن عبدالله عن علي أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن

= الجوانب، ويحتمل أن يكون أشار إلى جميع الجوانب، وإنما ذكر الراوي مرتين اختصاراً.

(٥) كامل الزيارات: ١٦٩ ح ٩، تهذيب الأحكام ٦: ٤٤ ح ٩٢.

(٦) قال المجلسي رحمه الله: يحتمل أن يكون المراد به قبر أمير المؤمنين عليه السلام.

وعبارة «يعني قبر الحسين عليه السلام» ليست في الكامل والبحار.

(٧) كامل الزيارات: ١٦٧ ح ١.

(٨) المراقبات (أعمال السنة) للملكي التبريزي: ١٥.

(٩) الإقبال لابن طاووس ٣: ٤٥، بحار الأنوار ٩٥: ٣٣٦.

استطعت أن تحافظ على ليلة الفطر ، وليلة النحر ، وأول ليلة من المحرم ، وليلة عاشوراء ، وأول ليلة من رجب ، وليلة النصف من شعبان ، فافعل وأكثر فيهنّ من الدعاء والصلاة وتلاوة القرآن^(١).

قال السيد ابن طاووس - عليه الرحمة - في ذكره فضل إحياء هذه الليلة : اعلم أنّ هذه الليلة أحياءها مولانا الحسين - صلوات الله عليه - وأصحابه بالصلوات والدعوات ، وقد أحاط بهم زنادقة الإسلام ، ليستبيحوا منهم النفوس ، المعظّمات ، وينتهكوا منهم الحرمات ، ويسبوا نساءهم المصونات .

فينبغي لمن أدرك هذه الليلة ، أن يكون مواسياً لبقايا أهل آية المباهلة وآية التطهير ، فيما كانوا عليه في ذلك المقام الكبير ، وعلى قدم الغضب مع الله جلّ جلاله ورسوله صلوات الله عليه ، والمواقفة لهما فيما جرت الحال عليه ، ويتقرب إلى الله جلّ جلاله بالإخلاص من موالاة أوليائه ومعاداة أعدائه^(٢).

وأما أعمال هذه الليلة وما ورد فيها من الصلوات والأدعية فنذكر هنا ما ذكره ابن طاووس - عليه الرحمة - من الأعمال الواردة فيها وقد ذكر - عليه الرحمة - أن اعتماده على مثل هذه الأحاديث هو على ما رواه عن الإمام الصادق عليه السلام أنه : من بلغه شيء من الخير فعمل كان له ذلك ، وإن لم يكن الأمر كما بلغه^(٣). وإليك ما ذكره من الأعمال .

أ - الصلوات الواردة في ليلة عاشوراء

١- ما روي عن محمد بن أبي بكر المديني الحافظ من كتاب دستور

(١) مصباح المتجهّد للطوسي : ٧٨٣ ، وسائل الشيعة ٥ : ٢٤١ ، ١٠ .

(٢) الإقبال لابن طاووس ٣ : ٤٥ .

(٣) الإقبال لابن طاووس ٣ : ٤٧ .

المذكرين بإسناده المتصل عن وهب بن منبه ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ صَلَّى ليلة عاشوراء أربع رَكَعَات من آخر الليل، يقرأ في كلِّ ركعة بفاتحة الكتاب وآية الكرسي - عشر مرّات، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ - عشر مرّات، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ - عشر مرّات، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ - عشر مرّات، فإذا سلّم قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مائة مرّة، بَنَى الله تعالى له في الجنّة مائة ألف ألف مدينة من نور ، في كلِّ مدينة ألف ألف قصر، في كل قصر ألف بيت في كل بيت ألف ألف سرير، في كل سرير ألف ألف فراش، في كل فراش زوجة من الحور العين ، في كلِّ بيت ألف ألف مائدة، في كلِّ مائدة ألف ألف قصعة ، في كلِّ قصعة مائة ألف ألف لون ، ومن الخدم على كلِّ مائدة ألف ألف وصيف، ومائة ألف ألف وصيفة ، على عاتق كلِّ وصيف ووصيفة منديل، قال وهب بن منبه: صمّت أذنائي إن لم أكن سمعت هذا من ابن عباس .

٢ - ما روي أيضاً عن كتاب دستور المذكرين بإسناده المتصل عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : من صلى ليلة عاشوراء مائة ركعة بالحمد مرة و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلاث مرّات، ويسلّم بين كلِّ ركعتين فإذا فرغ من جميع صلاته قال: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ - سبعين مرّة .

قال : قال رسول الله ﷺ : من صَلَّى هذه الصلاة من الرجال والنساء ملأ الله قبره إذا مات مسكاً وعنبراً ، ويدخل إلى قبره في كل يوم نور إلى أن يُنفخ في الصور، وتوضع له مائدة منها نعيم يتناعم به أهل الدنيا منذ يوم خلق إلى أن يُنفخ في الصور ، وليس من الرجال والنساء إذا وضع في قبره إلا يتساقط شعورهم إلا مَنْ

صلى هذه الصلاة ، وليس أحدٌ يخرج من قبره إلا أبيض الشعر إلا من صلى هذه الصلاة .

والذي بعثني بالحقّ إنّ من صلى هذه الصلاة، فإنّ الله عزّ وجلّ ينظر إليه في قبره بمنزلة العروس في حجلته إلى أن يُنفخ في الصور ، فإذا نُفخ في الصور يخرج من قبره كهيئته إلى الجنان كما يُزفُّ العروس إلى زوجها - إلخ .

٣- ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: تصلي ليلة عاشوراء أربع ركعات في كل ركعة الحمد مرّة ، ﴿قل هو الله أحد﴾ خمسون مرّة، فإذا سلّمت من الرابعة فأكثر ذكر الله تعالى ، والصلاة على رسوله ، والعن لأعدائهم ما استطعت .

٤- ما ذكره صاحب المختصر من المنتخب قال :

الدعاء في ليلة عاشوراء أن يصلي عشر ركعات في كل ركعة فاتحة الكتاب مرّة واحدة ، ﴿قل هو الله أحد﴾ مائة مرّة .

وقد روي أن يصلي مائة ركعة يقرأ في كل ركعة الحمد مرّة ﴿قل هو الله أحد﴾ ثلاث مرّات ، فإذا فرغت منهنّ وسلّمت تقول: سُبْحانَ اللهِ والحمدُ لله ولا إله إلا الله والله أكبرُ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله العلي العظيم ، مائة مرّة ، وقد روي سبعين مرّة ، وأستغفرُ الله مائة مرّة ، وقد روي سبعين مرّة، وصلى الله على محمدٍ وآلٍ مُحمّدٍ مائة مرّة ، وقد روي سبعين مرّة^(١) .

ب- المبيت عند الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء

ومن جملة الأعمال في هذه الليلة العظيمة هو المبيت في كربلاء عند قبر

(١) الإقبال لابن طاووس ٣: ٤٦-٤٨، بحار الأنوار ٩٥: ٣٣٦-٣٣٨، وذكرها بتفاوت في وسائل الشيعة ٥: ٢٩٥، ح ٣-٦.

الحسين عليه السلام وله فضل عظيم .

قال ابن قولويه رحمه الله : حدثني أبي وأخي وجماعة مشايخي عن محمد بن يحيى عن محمد بن علي المدائني ، قال : أخبرني محمد بن سعيد البجلي عن قبيصة عن جابر الجعفي ، قال : دخلت علي جعفر بن محمد عليه السلام في يوم عاشوراء فقال لي : هؤلاء زوار الله وحق على المزور أن يكرم الزائر من بات عند قبر الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء لقي الله ملطخاً بدمه يوم القيامة كأنما قتل معه في عرصته^(١) .

وقال : من زار قبر الحسين عليه السلام أي يوم عاشوراء وبات عنده كان كمن استشهد بين يديه^(٢) .

وقال الشيخ المفيد رحمه الله : حدثني أبو القاسم قال : حدثني أبي وأخي وجماعة مشايخي رحمهم الله ، عن محمد بن يحيى عن محمد بن علي المرتضي ، قال : أخبرني محمد بن سعيد البلخي^(٣) عن قبيصة عن جابر الجعفي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من بات عند قبر الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء ، لقي الله يوم القيامة ملطخاً بدمه كأنما قتل معه في عصره^(٤) .

وقال : من زار قبر الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وبات عنده، كان كمن استشهد

(١) العَرَصَةُ بالفتح: كل بقعة بين الدار واسعة ليس فيها بناء، والجمع العراص والعراصات، ومنه: عراصات الجنة، وفي الحديث: رجل اشترى داراً فبقيت عَرَصَةٌ يعني لانياء فيها مجمع البحرين للطريحي: ج ٤، ص ١٧٤ .

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه: ص ١٧٣، وعنه بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ١٠٤، ح ٧٠٤، وسائل الشيعة: ج ١٠، ص ٣٧٢، ح ٤٣٠، مستدرك الوسائل للنوري: ج ١٠، ص ٢٩١، ج ١ .

(٣) في الكامل: البجلي كما مر عليك .

(٤) في الكامل: عَرَصَتُهُ، وفي مصباح المتعجد وإقبال الأعمال: عَرَصَةٌ كربلاء .

بين يديه (١) .

وقال السيد بن طاووس رحمته الله : وقال شيخنا المفيد في كتاب التواريخ الشرعية (٢) : وروى أن من زاره عليه السلام وبات عنده في ليلة عاشوراء حتى يصبح، حشره الله تعالى ملطخاً بدم الحسين عليه السلام في جملة الشهداء معه عليه السلام (٣) .

وقال الشيخ الطوسي رحمته الله : وروى جابر الجعفي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من بات عند قبر الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء لقي الله تعالى يوم القيامة ملطخاً بدمه كأنما قتل معه في عرصة كربلاء .

وقال: من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وبات عنده كان كمن استشهد بين يديه (٤) .

قبر الحسين عليه السلام

فأما قبر الحسين عليه السلام فإنه لم يزل مشهوراً معلماً يقصده الخلائق من الآفاق، وكبار الصحابة قصدوا زيارته والاستشفاء بتربته لما سمعوا في فضله من رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وآلهما، كجابر بن عبدالله ، وغيره، ولقد جهدت بنو أمية على إخفائه، وصدد الناس عنه، وأقاموا مسالح على الطرقات يقتلوا كل من ظفروا به من زواره عليه السلام ، كما رواه الشيخ جعفر بن قولويه، والشيخ الطوسي رحمته الله ، وسأذكر فيما بعد منه نبذة، وظهر من الكرامات له ما لا مزيد عليه من شفاء المرضى، والاستشفاء بتربته، وإجابة الدعاء لديه صلوات الله عليه .

(١) كتاب المزار للمفيد: ص ٥١ - ٥٢ .

(٢) انظر ، مسار الشيعة للمفيد : ص ٤٤ ، ذكره مرسلأ .

(٣) الإقبال لابن طاووس : ج ٣ ، ص ٥٠ .

(٤) مصباح المتهجد للطوسي : ص ٧١٣ ، وعنه الإقبال : ج ٣ ، ص ٥٠ .

ولم يتيسّر لبني أميّة ما أرادوا وكان قد بني عليه مسجد، ولم يزل كذلك بعد بني أميّة، وفي زمن بني العباس، إلّا على زمن الرشيد لعنه الله فإنّه خرّبه وقطع السدرة التي كانت نابتة عنده، وكرب موضع القبر، ثمّ أعيد على زمن المأمون وغيره إلى أن حكم اللعين المتوكّل من بني العباس، وكان سيّء الاعتقاد في آل أبي طالب، شديد الوطأة عليهم، قبيح المعاملة معهم، ووافقه على ذلك وزيره عبدالله بن يحيى لعنه الله، فبلغ من سوء معاملتهم ما لم يبلغه أحد ممّن تقدّم من بني أميّة وبني العباس، فأمر بتخريب قبر الحسين عليه السلام وقبور أصحابه، وكرب مواضعها، وأجرى الماء عليها، ومنع الزوّار عن زيارتها، وأقام الرصد، وشدّد في ذلك حتّى كان يقتل من يوجد زائراً، وولّى ولا تفعل ما أمرتم به في قبر الحسين.

فلما أصبحنا جاءوا يستحثّوني في المسير، فسرت معهم حتّى وافينا كربلاء، وفعلنا ما أمرنا به المتوكّل، فرأيت النبي عليه السلام في المنام، فقال: ألم أمرك ألا تخرج، ولا تفعل فعلهم فلم تقبل حتّى فعلت ما فعلوا؟! ثمّ لطمني، وتفل في وجهي، فصار وجهي مسودّاً، وجسمي كما ترى على حالته الأولى^(١).

وعنه عليه السلام، قال: أخبرنا ابن خشيش، قال: حدّثنا محمد بن عبدالله، قال: حدّثني سعيد بن أحمد العرّاد أبو القاسم الفقيه، قال: حدّثني أبو برزة الفضل بن محمد بن عبدالحميد، قال: دخلت على إبراهيم الديزج -وكنت جاره- أعوده في مرضه الذي مات، فيه فوجدته بحال سوء، وإذا هو كالمدهوش وعنده الطبيب، فسألته عن حاله، وكانت بيني وبينه خلطة وأنس يوجب الثقة بي، والانبساط إليّ، فكأتمني حاله، وأشار إلى الطبيب، فشعر الطبيب بإشارته ولم يعرف عن حاله ما يصف له من الدواء، وما يستعمله، فقام وخرج، وخلا الموضوع، فسألته عن حاله.

(١) أمالي الطوسي: ٣٢٦-٣٢٧ ح ١٠١.

فقال: أخبرك والله، وأستغفر الله، إنَّ المتوكِّل أمرني بالخروج إلى نينوى إلى قبر الحسين عليه السلام، وأمرنا أن نكربه ونطمس أثر القبر، فوافيت الناحية مساء ومعنا الفعلة والروزنكار يَون معهم المساحي والمرور^(١) فتقدَّمت إلى غلماني وأصحابي أن يأخذوا الفعلة بخراب القبر، وخراب^(٢) أرضه، وطرحت نفسي لما نالني من أمر السفر ونمت، وذهب فيَّ النوم فإذا ضوضاء شديدة، وأصوات عالية، وجعل الغلمان ينهوني، فقممت وأنا ذعر، وقلت للغلمان: ما شأنكم؟

قالوا: عجيب شأن.

قلت: وما ذلك؟

قالوا: إنَّ بموضع القبر قوماً قد حالوا بيننا وبين القبر، وهم يرموننا مع ذلك بالنشَّاب، فقممت معهم لأتبيِّن الأمر، فوجدته كما وصفوا، وكان ذلك في أوَّل الليل من الليالي البيض، فقلت: ارموهم، فرموا فعادت سهامنا إلينا، فما سقط منها سهم إلَّا في صاحبه الذي رمى، فقتله، فاستوحشت لذلك، وجزعت وأخذتني الحمى والقشعريرة، ورحلت عن القبر لوقتي، ووطئت نفسي على أن يقتلني المتوكِّل لما لم أبلغ في القبر جميع ما تقدَّم إليَّ به.

ف قيل: كيف ما تحذر من المتوكِّل، قد قتل البارحة، وأعان في قتله ابنه المنتصر، فقال: قد سمعت بذلك، وقد نالني في جسمي ما لا أرجو معه البقاء.

قال أبو برزة: كان هذا أوَّل النهار، فما أمسى الديزج حتَّى مات.

قال ابن خشيش: قال أبو الفضل: إنَّ المنتصر سمع أباه المتوكِّل يسبُّ فاطمة عليها السلام، فسأل رجلاً من الناس عن ذلك، فقال له: قد وجب عليه القتل، إلَّا أنَّه

(١) المُرور: جمع مرٍّ، وهو المسحاة أو ما كان نحوها.

(٢) في الأمالي: وحرث.

من قتل أباه لم يطل له عمر .

قال: ما أبالي إذا أطعت الله بقتله ألا يطول عمري، فقتله وعاش بعده سبعة أشهر^(١).

وعنه، قال: أخبرنا ابن خشيش، عن محمد بن عبدالله، قال: حدّثني علي بن عبدالمنعم بن هارون الخديجي الكبير من شاطيء النيل، قال: حدّثني^(٢) القاسم بن أحمد بن معمر الأسدي الكوفي - وكان له علم بالسير وأيام الناس -، قال: بلغ المتوكّل أنّ أهل السواد يجتمعون بأرض نينوى لزيارة قبر الحسين عليه السلام، فيصير إلى قبره منهم جماعة كثيرة وخلق عظيم، فأنفذ قائداً من قوّاده، وضَمَّ إليه كنفاً^(٣) من الجند كثيراً ليشعّث^(٤) من قبره عليه السلام، ويمنع الناس من زيارته والاجتماع عنده.

فخرج القائد إلى الطّف، وعمل ما أمر به، وذلك في سنة سبع وثلاثين ومائتين، فنار أهل السواد، واجتمعوا عليه، وقالوا: لو قُتلنا عن آخرنا لما أمسك ما بقي منّا عن زيارته، والاجتماع عنده، ورأوا من الدلائل ما حملهم على ما صنعوا، فكتب بالأمر إلى الحضرة، فورد كتاب المتوكّل إلى القائد بالكفّ عنهم، والسير إلى الكوفة مظهراً أنّ مسيره إليها في مصالح أهلها، والانكفاء إلى المصر.

فمضى الأمر على ذلك حتّى كانت سنة سبع وأربعين، فبلغ المتوكّل أيضاً مصير الناس من أهل السواد والكوفة إلى كربلاء لزيارة قبر الحسين عليه السلام، وأنّه قد كثر جمعهم لذلك، وصار لهم سوق عظيم، فأنفذ قائداً في جمع عظيم من الجند،

(١) أمالي الطوسي: ٣٢٧-٣٢٨ ح ١٠٢.

(٢) في الأمالي: حدّثني جدّي.

(٣) أي جانباً، كناية عن الجماعة منهم.

(٤) يقال: شعّث منه تشعيثاً نضح عنه وذبّ ودفع.

وأمر منادياً ينادي ببراءة الذمة ممن زار قبره ﷺ، ونبش القبر وحرثه، وانقطع الناس عن الزيارة، وعمل على تتبّع آل أبي طالب والشيعة، فقتل لعنه الله، ولم يتم ما قدر. (١)

وعنه ﷺ، قال: أخبرنا ابن خشيش، قال: حدّثني أبو الفضل، قال: حدّثني عبدالرزاق بن سليمان بن غالب الأزدي، قال: حدّثني عبدالله بن دانية الطوري، قال: حججت سنة سبع وأربعين ومائتين، فلما صدرت عن الحجّ صرت إلى العراق، فزرت أمير المؤمنين ﷺ على حال خيفة من السلطان وتقيّة، ثمّ توجّهت إلى زيارة الحسين ﷺ، فإذا هو قد حرّث أرضه ومخر فيها الماء، وأرسلت الثيران والعوامل في الأرض، فبعيني وبصري كنت أرى الثيران تأتي في الأرض فتساق لهم فيها حتّى إذا حاذت مكان القبر حادت يميناً وشمالاً، فتضرب بالعصيّ الضرب الشديد فلا ينفع ذلك فيها ولا تطأ القبر بوجه من الوجوه ولا سبب، فما أمكنني الزيارة، فتوجّهت إلى بغداد وأنا أقول:

تالله إن كانت أميّة قد أتت قتل ابن بنت نبيّها مظلوما
فلقد أتاك بنو أبيه بمثلها هذا لعمر ك قبره مهذوما
أسفوا على أن لا يكونوا شايعوا في قتله فتتبعوه رميما
فلما قدمت بغداد سمعت الهائعة (٢)، فقلت: ما الخبر؟

قالوا: وقع الطير بقتل جعفر المتوكل، فعجبت لذلك وقلت: إلهي ليلة بليلة (٣).

وعنه ﷺ، قال: حدّثنا ابن خشيش، عن محمد بن عبدالله، قال: حدّثنا أبو

(١) أمالي الطوسي: ٣٢٨ - ٣٢٩ ح ١٠٣.

(٢) الهائعة: الصوت المفزع.

(٣) أمالي الطوسي: ٣٢٩ ح ١٠٤.

الطيب علي بن محمد الجعفي الدهان بالكوفة، قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مِثْمَ بْنِ أَبِي نَعِيمٍ، قَالَ حَدَّثَنَا: يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْحَمَّانِيُّ أَمْلَاهُ عَلِيٌّ فِي مَنْزِلِهِ، قَالَ: خَرَجْتُ أَيَّامَ وَلَايَةِ مُوسَى بْنِ عِيسَى الْهَاشِمِيِّ فِي الْكُوفَةِ مِنْ مَنْزِلِي فَلَقِينِي أَبُو بَكْرُ بْنُ عِيَّاشٍ، فَقَالَ: امضْ بِنَا يَا يَحْيَى إِلَى هَذَا، فَلَمْ أَدْرِ مَنْ يَعْنِي، وَكُنْتُ أَجَلُّ أَبَا بَكْرٍ عَنْ مَرَاجَعَتِهِ، وَكَانَ رَاكِباً حِمَاراً، فَجَعَلَ يَسِيرُ عَلَيْهِ، وَأَنَا أَمْشِي فِي رِكَابِهِ، فَلَمَّا صَرْنَا عِنْدَ الدَّارِ الَّتِي تَعْرِفُ بَدَارَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَازِمٍ التَّفْتِ إِلَيَّ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْحَمَّانِيِّ، إِنَّمَا جَرَرْتُكَ مَعِيَ وَجَسَّمْتُكَ أَنْ تَمْشِيَ خَلْفِي لِأَسْمَعَكَ مَا أَقُولُ لِهَذَا الطَّاعِيَةِ.

قال: فقلت: من هو، يا أبا بكر؟

قال: هذا الكافر الفاجر موسى بن عيسى، فسكت عنه، فمضى وأنا أتبعه حتَّى إِذَا صَرْنَا إِلَى بَابِ مُوسَى بْنِ عِيسَى، وَبَصُرَ بِهِ الْحَاجِبُ وَتَبَيَّنَتْهُ، وَكَانَ النَّاسُ يَنْزِلُونَ عِنْدَ الرَّحْبَةِ، فَلَمْ يَنْزَلْ أَبُو بَكْرٍ هُنَاكَ، وَكَانَ عَلَيْهِ قَمِيصٌ وَإِزَارٌ، وَهُوَ مُحْلُولُ الْأَزْزَارِ.

قال: فدخل على حمارة وناداني، وقال: تعال يا ابن الحماني، فمنعني الحاجب، فزجره أبو بكر، وقال له: أتمنعه يا فاعل - وهو معي - ؟ فتركني، فما زال يسير على حمارة حتَّى دخل الايوان، فبصر بنا موسى وهو قاعد في صدر الايوان على سريره وبجنيب السرير رجال مسلحون، فلما رآه موسى رحب به وقربه، وأقعده على سريره، ومنعت أنا حين وصلت إلى الايوان، فلما استقرَّ أبو بكر على السرير التفت إليَّ فرآني حيث أنا واقف، فناداني: تعال ويحك، فصرت إليه، ونعلي في رجلي، وعليَّ قميص وإزار، فأجلسني بين يديه، فالتفت إليه موسى فقال: هذا رجل تكلمنا فيه.

قال: لا، ولكنني جئت به شاهداً عليك.

قال: فيماذا؟

قال: إني رأيتك وما صنعت بهذا القبر.

قال: أي قبر؟

قال: قبر الحسين بن عليٍّ عليه السلام، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

وكان موسى قد وجّه إليه من كرب، وكرب جميع أرض الحائر وحرثها وزرعها، فانتفخ موسى حتّى كاد أن ينقذ. ثمّ قال: ما أنت وذاك؟
قال: اسمع حتّى أخبرك.

قال: نعم، إني رأيت في منامي كأنّي خرجت إلى قومي من بني غاضرة، فلمّا صرت إلى قنطرة الكوفة اعترضتني خنازير عشرة تريدني، فأغاثني الله برجل كنت أعرفه من بني أسد فدفعها عني، ومضيت لوجهي، فلمّا صرت إلى شاهي ضللت الطريق ورأيت هناك عجوزاً، فقالت: إلى أين تريد، أيّها الشيخ؟
قلت: أريد الغاضرة.

فقالت: استبطن هذا الوادي، فإنّك إذا أتيت إلى آخره اتّضح لك الطريق.
فمضيت، وفعلت ما قالت، فلمّا صرت إلى نينوى إذا أنا بشيخ كبير جالس هناك، فقلت: من أين أنت، أيّها الشيخ؟
فقال لي: أنا من أهل هذه القرية.
فقلت: كم تعدّ من السنين؟

فقال: ما أحفظ ما مضى من سني عمري، ولكن أبعد ذكرني أنّي رأيت الحسين عليه السلام، ومن كان معه من أهله، ومن تبعه يمنعون الماء الذي نراه، ولا تمنع الكلاب والوحش من شربه، فاستفظعت ذلك، وقلت: أنت ويحك رأيت هذا؟

فقال: إي والذي سمك السماء، قد رأيت هذا أيها الشيخ، وإني وأصحابك لهم الذين يعينون على ما رأينا مما أقرح عيون المسلمين، إن كان في الدنيا مسلم.

قلت: ويحك ما هو؟

قال: حيث لم تنكروا ما أجرى سلطانكم إليه.

فقلت: ويحك ما أجرى إليه؟

قال: أيكرب قبر ابن النبي ﷺ، وتحث أرضه؟

قلت: فأين القبر؟

قال: هو هذا أنت واقف في أرضه، فأما القبر فإنه قد عمي عن أن يعرف موضعه.

قال أبو بكر بن عيَّاش: وما كنت رأيت القبر قبل ذلك الوقت قط، ولا أتيت طول عمري، فقلت: من لي بمعرفته؟ فمضى معي الشيخ حتى أوقفني على باب حائر له باب وآذن، وإذا جماعة كثيرة على الباب فقلت للآذن: أريد الدخول على ابن رسول الله ﷺ.

فقال: لا تقدر على الوصول في هذا الوقت.

فقلت: ولم؟

فقال: هذا وقت زيارة إبراهيم خليل الله، ومحمد رسول الله، ومعهما جبريل وميكائيل في رعييل من الملائكة كثير.

قال أبو بكر بن عيَّاش: فانتبهت، وقد دخلني روع شديد وحزن وكآبة، ومضت بي الأيام حتى كدت أن أنسى المنام، ثم اضطرت إلى الخروج إلى بني غاضرة لدين كان لي على رجل منهم، فخرجت وأنا لا أذكر الحديث حتى إذا

صرت إلى قنطرة الكوفة لقوني عشرة من اللصوص، فحيث رأيتهم ذكرت الحديث، ورعبت من خشيتي، فقالوا: الق ما معك وانج بنفسك، وكانت معي نفقة.

فقلت: ويحكم أنا أبو بكر بن عيَّاش، وإنما خرجت لطلب دين لي، فإله الله لا تقطعوني عن طلب ديني، وتضرّوني في نفقتي، فأني شديد الإضافة^(١)، فنادى رجل منهم: مولاي ورب الكعبة لا تتعرض له، ثم قال لبعض غلمانه: كن معه حتى يصير إلى الطريق الأيمن.

قال أبو بكر: فجعلت أفكر فيما رأيت في المنام، وأتعجب من تأويل الخنازير، فمضيت حتى صرت إلى شاهي ضللت الطريق ورأيت هناك عجوزاً، فقالت: أين تريد، أيها الشيخ؟ قلت: أريد الغاضرية.

فقالت: استبطن هذا الوادي، فإنك إذا أتيت إلى آخره اتضح لك الطريق، فمضيت، وفعلت ما قالت، فلما صرت إلى نينوى رأيت والله الذي لا إله إلا هو الشيخ الذي رأيته في المنام، فحين رأيته ذكرت الأمر والرؤيا، وقلت: لا إله إلا الله ما كانت هذه الرؤيا إلا وحيًا، ورأيت الشيخ، ثم سأله كمسألتي إياه في المنام، فأجابني كما كان أجابني، ثم قال: امض بنا، فمضيت، فوقفت على الموضع المكروب، فلم يفتني شيء من المنام إلا الأذن والحائر فأني لم أر حائراً ولا آذناً، فاتق الله أيها الرجل، فأني آليت على نفسي ألا أدع إذاعة هذا الحديث، ولا زيارة ذلك الموضع وقصده وإعظامه، فإن موضعاً يأتيه إبراهيم ومحمد وجبريل وميكائيل لحقيق أن يرغب في إتيانه وزيارته، فإن أبا حصين حدّثني أن رسول الله ﷺ قال: من رآني في المنام فإياي رأى، فإن الشيطان لا يتشبه بي.

(١) الإضافة: الضيافة.

فقال له موسى: إنما سكنت عن إجابة كلامك لأستوفي هذه الحمقة التي ظهرت منك، وتالله لئن بلغني بعد هذا الوقت أنك تحدث بهذا لأضربن عنقك، وعنق الذي جئت به شاهداً عليّ.

فقال: إذاً يمنعني الله وإياه منك، فإنني ما أردت إلا الله سبحانه بما كلمتك به. فقال: أتراجعني يا ماص، وشتمه.

فقال أبو بكر: اسكت أخزاك الله، وقطع لسانك، فأرعد موسى على سريره، ثم قال: خذوه، فأخذ الشيخ عن السرير، وأخذت أنا، فوالله لقد مرّ بنا من السحب والضرب ما ظننت أنا لا نلبث حيّين، وكان أشدّ ما مرّ بي من ذلك أن رأسي كان يجرّ على الصخر، فكان بعض مواليه يأتيني فينتف لحيّتي، وموسى يقول: اقتلوهما ابني كذا وكذا - بالزاني لا يكتى^(١) -، وأبو بكر يقول: امسك قطع الله لسانك، وانتقم منك، اللهم إياك أردنا، ولولد نبيك غضبنا، وعليك توكلنا.

فصرنا^(٢) جميعاً إلى الحبس، فما لبثنا في الحبس إلا قليلاً، فالتفت إليّ أبو بكر فرأى ثيابي ممزّقة، وقد سالت دمائي على خدي، فقال: يا حماني، قد قضينا لله حقاً، واكتسبنا في يومنا هذا أجراً، ولن يضيع ذلك عند الله، ولا عند رسوله، فما لبثنا في السجن إلا مقدار غدائه ونومه حتّى جاءنا رسوله فأخرجنا إليه، فطلب حمار أبو بكر فلم يوجد، فدخلنا عليه فإذا هو في سرداب يشبه الدور سعة وكبراً، فتعبنا في المشي إليه تعباً شديداً، وكان أبو بكر إذا تعب في المشي جلس يسيراً، ثم يقول: اللهم هذا فيك فلا تنسه، فلما أدخلنا على موسى إذا هو على سرير له، فحين بصر بنا قال: لا حيّا الله، ولا قرّب يا جاهل يا أحمق تتعرّض

(١) أي كان يقول في الشتم ألفاظ صريحة في الزنا ولا يكتفي بالكناية.

(٢) في الأمالي: فصير بنا.

لما تكره، ويلك يا دعيّ ما دخولك فيما بيننا معشر بني هاشم؟

قال أبوبكر: قد سمعت كلامك، والله حسبك.

فقال: اخرج قبحك الله، والله لئن بلغني أنّ هذا الحديث شاع أو ذكر عنك لأضربن عنقك.

ثم التفت إليّ وقال: يا كلب - وشتمني - وقال: إياك أن تظهر هذا، فإنما خُيِّل لهذا الشيخ الأحقق شيطان يلعب به في منامه، اخرجنا عليكما لعنة الله وغضبه، فخرجنا وقد يؤسنا من الحياة، فلما صرنا إلى منزل الشيخ أبي بكر وهو يمشي وقد ذهب حماره، فلما أراد أن يدخل منزله التفت إليّ، وقال: احفظ هذا الحديث وأثبتته عندك، ولا تحدّثن به هؤلاء الرعاع ولكن حدّث به أهل العقول والدين.^(١)

(١) أمالي الطوسي: ٣٢١-٣٢٥ ح ٩٧.

القسم الثاني

قصة الانتقام

قال الإمام الحسين عليه السلام :

اللَّهُمَّ احصهم عدداً

واقتلهم بديداً

ولا تغادر منهم أحداً

الفصل الأول

الشيعة، بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام

من أدعية الإمام الحسين عليه السلام

وظهر بذلك تصديق قول الحسين عليه السلام في الدعاء على أهل الكوفة الذين حاربوه :

«وسلّط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة ، ولا يدع فيهم أحداً إلا قتله، قتلة بقتلة، وضربة بضربة، ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم»^(١).

وقوله عليه السلام لعمر بن سعد : «إنك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة ، ولكأنني برأسك على قصبة قد نصب بالكوفة يتراماه الصبيان ، ويتخذونه غرضاً بينهم»^(٢).
وقوله عليه السلام له أيضاً : «قطع الله رحمك ، وسلّط عليك من يذبحك على فراشك»^(٣).

وقوله عليه السلام : «اللهم احصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً»^(٤).

(١) تيسير المطالب : ٩٥ - ٩٧ ، تحف العقول : ٢٤٢ ، مقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي : ٢ : ٨ - ٧ ، ترجمة الإمام الحسين من تاريخ مدينة دمشق : ٢١٦ - ٢١٨ ح ٢٧٣ ، مثير الأحرار : ٥٥ ، اللهوف : ٤٣ ، إثبات الهداة : ١ : ٣٩٨ .

(٢) تيسير المطالب : ٩٥ - ٩٧ ، مقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي : ٢ : ٨ .

(٣) مقتل الإمام الحسين للخوارزمي : ٢ : ٣٠ ، تسلية المجالس : ٢ : ٣١١ .

(٤) مقتل الإمام الحسين عليه السلام للخوارزمي : ٢ : ٢٨ ، تسلية المجالس : ٢ : ٣٠٥ ، بحار الأنوار : ٤٥ =

الندم

لما قتل الحسين عليه السلام ندم من بالكوفة من الشيعة على تركهم نصرته ، وتلاوموا فيما بينهم ، ورأوا أن قد أخطأوا خطأ كبيراً ، وأنه لا يكفر عنهم الذنب ويفسل العار غير الطلب بثأره .

وكان من جملة من تداخله الندم على ذلك عبيد الله بن الحر الجعفي^(١) ، وكان حين مجيء الحسين عليه السلام إلى العراق خارج الكوفة في موضع يقال له : « قصر بني مقاتل » ، فندبه الحسين عليه السلام إلى الخروج معه فلم يفعل^(٢) ، ثم ندم بعد قتل الحسين عليه السلام ، وجعل يقول :

فِيَالِكِ حَسْرَةٌ مَا دُمْتُ حَيًّا تَرَدَّدُ بَيْنَ حَلْقِي^(٣) وَالتَّرَاقِي
حُسَيْنٍ حِينَ يَطْلُبُ بَذَلَ نَضْرِي عَلَى أَهْلِ الضَّلَالَةِ وَالنِّفَاقِ

= : ٣٦ ، عوالم العلوم ١٧ : ٢٧٩ .

(١) هو عبيد الله بن الحر بن المجمع - أو عمرو - الجعفي ، قال عنه النجاشي في رجاله : ٩ رقم ٦ : الفارس الفاتك ، الشاعر ، له نسخة يرويها عليه السلام عن أمير المؤمنين .

(٢) روى الصدوق في الأمالي : ١٣٢ أن الحسين عليه السلام لما نزل القسطنطينية حين مسيره إلى الكوفة دعا عبيد الله بن الحر الجعفي إلى نصرته ، فامتنع عبيد الله عن الإجابة ! وقدم للحسين عليه السلام فرسه ، فقال الحسين عليه السلام : لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك ، وما كنت متخذ المضلين عضداً .

غير أن المفيد في الإرشاد ٢ : ٨١ أورد ذلك بلفظ آخر ، وذكر أن ما جرى بينه وبين الإمام كان في قصر بني مقاتل .

وانظر أيضاً : وقعة الطف : ١٧٦ و ٢٧٦ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٢٨٧ - حوادث سنة ٦٨ - تاريخ الطبري ٦ : ١٢٨ - حوادث سنة ٦٨ - ، تاريخ ابن خلدون ٣ : ١٤٨ - ١٥٠ ، رغبة الأمل ٨ : ٤٢ ، الأعلام ٤ : ١٩٢ .

(٣) في ذوب النصار : صدي .

عَدَاةٌ يَقُولُ لِي بِالْفَضْرِ قَوْلًا أَتَشْرُكُنَا وَتَزْمَعُ بِالْفِرَاقِ؟
وَلَوْ أَنِّي أُوَاسِيهِ بِنَفْسِي لَنِلْتُ كَرَامَةً يَوْمَ التَّلَاقِ
مَعَ ابْنِ الْمُضْطَفَى نَفْسِي فِدَاهُ تَوَلَّى ثُمَّ وَدَّعَ بِانْطِلَاقِ
فَلَوْ فَلَقَ التَّلَهْفَ قَلْبَ حَيٍّ لَهَمَّ الْيَوْمَ قَلْبِي بِانْفِلَاقِ
فَقَدْ فَازَ الْأُولَى نَصَرُوا حُسَيْنًا وَخَابَ الْآخَرُونَ أُولُوا النِّفَاقِ^(١)

رسالة من السجن

قال الراوي: فلم يزل المختار محبوساً حتى قتل الحسين عليه السلام ، فأرسل المختار رسولاً إلى عبد الله بن عمر يطلب منه أن يكتب إلى يزيد ليكتب إلى ابن زياد بإطلاق المختار ، فلما جاء الرسول إلى عبد الله بن عمر وعلمت زوجته صفية بحبس أخيها بكت وجزعت ، فرق لها عبد الله ، وكتب إلى يزيد يطلب منه أن يكتب إلى ابن زياد بإطلاقه .

فكتب يزيد إلى ابن زياد :

أما بعد :

فخلّ سبيل المختار بن أبي عبيدة حين تنظر في كتابي ، فدعا ابن زياد بالمختار فأخرجه ، ثم قال له : قد آجلك ثلاثاً ، فإن أدركتك بالكوفة بعدها فقد برئت منك الذمة .

فلما كان اليوم الثالث خرج المختار إلى الحجاز فلقه ابن العرق مولى ثقيف وراء واقصة ، فسلم عليه وسأله عن عينه ، فقال : خبطها ابن الزانية بالقضيب

(١) مقتل الإمام الحسين للخوارزمي ١ : ٢٢٦ - ٢٢٨ - روى محادثة الإمام الحسين عليه السلام مع عبيد الله بن الحر الجعفي وأورد الأبيات باختلاف - ، ذوب النضار : ٧٢ .

فصارت كما ترى ، ثم قال : قتلني الله إن لم أقطع أنامله وأعضاءه إرباً إرباً .

ثم قال له : إذا سمعت بمكان قد ظهرت به في عصابة من المسلمين تطلب بدم الشهيد المظلوم المقتول بالطف سيّد المسلمين ، وابن سيّدها ، وابن بنت سيّد المرسلين الحسين بن عليّ ، فوربك لأقتلنّ بقتله عدّة القتلى التي قتلت على دم يحيى بن زكريّا عليه السلام ، فجعل ابن العرق يتعجّب من قوله .

ثم قال له : «والذي انزل القرآن وبين الفرقان وشرع الأديان وكره العصيان ، لأقتلنّ العصاة من أزد عمان ، ومذحج همدان ، ونهد حولان ، وبكر وهزان ، وثعل ونبهان ، وعبس وذبيان ، وقبائل قيس عيلان ، غضباً لابن بنت نبي الرحمن»^(١).

التّوابون

لما قتل الحسين عليه السلام وترك ابن زياد معسكره في النخيلة القريب من الكوفة ، اجتمعت الشيعة إلى خمسة نفر من رؤسائهم ، وهم :

١ - سليمان بن صُرْد الخزاعي^(٢) ، وكانت له صحبة مع النبي صلى الله عليه وآله ، وهو من المهاجرين ، وكان اسمه يساراً فسماه رسول الله صلى الله عليه وآله سليمان ، وكان له سنّ عالية ، وشرف في قومه ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله تحوّل فنزل الكوفة ، وشهد مع أمير المؤمنين عليه السلام الجمل وصفين ، وكان من جملة الذين كتبوا للحسين عليه السلام ، غير أنّه لم يقاتل معه خوفاً من ابن زياد .

(١) مقتل الحسين ٢ : ١٨٠ .

(٢) هو أبو مطرّف سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون عبد العزّي بن منقذ السلويّ الخزاعيّ ، من الزعماء القادة ، انظر في ترجمته : الإصابة ترجمة رقم ٣٤٥ ، تاريخ الإسلام ٣ : ١٧ ، الأعلام ٣ : ١٢٧ .

٢ - المسيّب بن نجبة الفزاريّ ، وكان من أصحاب عليّ عليه السلام .^(١)

٣ - عبد الله بن سعد بن ثعلبة الأزديّ^(٢) .

٤ - عبد الله بن وائل التيميّ .^(٣)

٥ - رفاعه بن شدّاد البجليّ^(٤) .

وكان هؤلاء الخمسة من خيار أصحاب عليّ عليه السلام ، فاجتمعوا في منزل سليمان بن صرد الخزاعيّ^(٥) .

خطبة المسيّب بن نجبة

قال الراوي: فخطبهم المسيّب ، فقال - بعد حمد الله والثناء عليه - :

أما بعد :

فإنّا قد أبتلينا بطول العمر ، والتعرّض لأنواع الفتن ، فترغب إلى ربّنا أن لا يجعلنا ممّن يقول له غداً : ﴿أَوْ لَمْ نُنْعِمْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرُ﴾^(٦) ، فإنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام قال : العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة ، وليس فينا رجل إلّا وقد بلغه ، وقد كنّا مغرمين^(٧) بتزكية أنفسنا ، فوجدنا الله كاذبين في نصر ابن بنت نبيّه ﷺ ، وقد بلغنا قبل ذلك كتبه ورسله وأعذر إلينا فسألنا نصره ، فبخلنا

(١) الكامل في التاريخ ٤ : ٦٨ - ٧١ ، الإصابة ترجمة رقم ٨٤٢٤ ، الأعلام ٧ : ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٢) الكامل في التاريخ ٤ : ٧١ ، الأعلام ٤ : ٨٩ .

(٣) الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٦٦ هـ .

(٤) الأعلام للزركلي ٣ : ٢٩ .

(٥) الكامل في التاريخ ٤ : ١٥٨ .

(٦) فاطر : ٣٧ .

(٧) المغرّم : المولع بالشيء .

عنه بأنفسنا حتى قتل إلى جانبنا ، لا نحن نصرناه بأيدينا ، ولا جادلنا عنه بألسنتنا ، ولا قويناه بأموالنا ، ولا طلبنا له النصر إلى عشائرننا .

فما عذرنا عند ربنا ، وعند لقاء نبيتنا ، وقد قتل فينا ولد حبيبه وذريته ونسله ؟ لا والله لا عذر لنا دون أن تقتلوا قاتله ، أو تُقتلوا في طلب ذلك ، فعسى ربنا أن يرضى عنا عند ذلك . أيها القوم ولّوا عليكم رجلاً منكم ، فإنه لا بدّ لكم من أمير تفرعون إليه ، وراية تحقّون بها .^(١)

خطبة رفاعه بن شداد

وقام رفاعه بن شدّاد ، فقال :

أمّا بعد :

فإنّ الله قد هداك لأصوب القول ، وبدأت بأرشد الأمور بدعائك إلى جهاد الفاسقين ، وإلى التوبة من الذنب العظيم ، فمسموع منك ، مستجاب إلى قولك ، وقلتَ : « ولّوا أمركم رجلاً » ، فإن تكن أنت ذلك الرجل تكن عندنا مرضياً ، وإن رأيتم ولينا هذا الأمر شيخ الشيعة وصاحب رسول الله ﷺ ، وذا السابقة والقدم سليمان بن صرد الخزاعيّ، المحمود في بأسه ودينه ، الموثوق بحزمه .

فقال المسيّب : قد أصبتم ، فولّوا أمركم سليمان بن صرد .^(٢)

خطبة سليمان بن صرد

فخطب سليمان ، وقال في جملة كلامه : إنا كنّا نمدّ أعناقنا إلى قدوم آل بيت

(١) الكامل لابن الأثير ٤ : ١٥٩ .

(٢) ذوب النضار : ٧٥ .

نَبِيَّنَا ﷺ نَمَيْتِهِمُ النَّصْرَةَ ، وَنَحْتَهُمُ عَلَى الْقُدُومِ ، فَلَمَّا قَدَمُوا وَنَبَا وَعَجَزْنَا وَأَذْهَلْنَا حَتَّى قَتَلَ فِينَا وَلَدَ نَبِيَّنَا وَسَلَالَتِهِ ، وَبَضْعَةً مِنْ لَحْمِهِ وَدَمِهِ ، إِذْ جَعَلَ يَسْتَصْرِخُ وَيَسْأَلُ النِّصْفَ فَلَا يُعْطَى ، اتَّخَذَهُ الْفَاسِقُونَ غَرَضًا لِلنَّبْلِ ، وَدَرِيَّةً لِلرَّمَاكِ .

أَلَا انْهَضُوا فَقَدْ سَخَطَ عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ ، وَلَا تَرْجِعُوا إِلَى الْحُلَائِلِ وَالْأَبْنَاءِ حَتَّى يَرْضَى اللَّهُ ، وَاللَّهُ مَا أَظْنُّهُ رَاضِيًّا دُونَ أَنْ تَتَاجَزُوا مَنْ قَتَلَهُ ، أَلَا لَا تَهَابُوا الْمَوْتَ ، فَمَا هَابَهُ أَحَدٌ قَطًّا إِلَّا ذَلَّ ، وَكُونُوا كِبْنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ : ﴿ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ ^(١) ، ففعلوا .

ثُمَّ قَالَ : أَحَدُوا السِّيفَ ، وَرَكَّبُوا الْأَسِنَّةَ ، ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾ ^(٢) حَتَّى تَدْعُوا النَّاسَ وَتَسْتَفْزِوَهُمْ .

وَفِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ قَامَ خَالِدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ نَفِيلٍ ^(٣) وَقَالَ : أَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ لَوْ أَعْلِمْتُ أَنَّهُ يَنْجِينِي مِنْ ذَنْبِي وَيَرْضَى رَبِّي عَنِّي قَتَلَ نَفْسِي لَقَتَلْتُهَا ، وَأَنَا أَشْهَدُ كُلَّ مَنْ حَضَرَ أَنَّ كُلَّ مَا أَمْلَكَهُ سِوَى سِلَاحِي صَدَقَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَقْوِيَهُمْ بِهِ عَلَى قِتَالِ الْفَاسِقِينَ . وَقَالَ غَيْرُهُ مِثْلَ ذَلِكَ .

فَقَالَ لَهُمْ سُلَيْمَانُ بْنُ صَرْدٍ : كُلُّ مَنْ أَرَادَ الْمَعُونَةَ بِشَيْءٍ مِنْ مَالِهِ فَلْيَأْتِ بِهِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَالٍ ، فَإِذَا اجْتَمَعَ ذَلِكَ عِنْدَهُ جَهَّزْنَا بِهِ الْفُقَرَاءَ مِنْ أَصْحَابِنَا . ^(٤)

رسالة الى المدائن

(١) البقرة : ٥٤ .

(٢) الأنفال : ٦٠ .

(٣) وهو خالد بن سعد بن نفيل الأزدي - أزد شنوءة - ، أخو عبد الله بن سعد بن نفيل أحد رؤساء الشيعة في الكوفة ، المتقدم ذكره آنفاً ، انظر ترجمته في أعيان الشيعة ٦ : ٢٨٧ .

(٤) الكامل لابن الأثير ٤ : ١٦٠ .

قال الراوي: وكتب سليمان بن صرد إلى سعد بن حذيفة بن اليمان ومن معه من الشيعة بالمدائن كتاباً مع عبد الله بن مالك الطائي يعلمه بما عزموا عليه ، ويدعوهم إلى مساعدته .

فقرأ سعد كتابه على الشيعة الذين بالمدائن ، فأجابوا إلى ذلك ، فكتب سعد إلى سليمان يعلمه بعزمهم ، فقرأ سليمان كتاب حذيفة على أصحابه ، فسروا بذلك. (١)

رسالة الى أهل البصرة

وكتب سليمان أيضاً إلى المثنى بن مخزومة (٢) العبدى بالبصرة بمثل ذلك وبعث الكتاب مع ظبيان بن عمار التميمي من بني سعد .

فكتب إليه المثنى الجواب يقول :

أما بعد :

فقد قرأت كتابك ، وأقرأته إخوانك ، فحمدوا رأيك ، واستجابوا لك ، ونحن موافقون إن شاء الله تعالى للأجل الذي ضربت ، والسلام .

وكتب في أسفل الكتاب :

تَبَصَّرَ كَأَنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ مُعَلِّماً عَلَى أَتْلَعِ الْهَادِي (٣) أَجَشَّ هَزِيمٍ
طَوِيلِ الْقَرَأِ نَهْدٍ أَحَقَّ مَقْلُصٍ (٤) مُلِحَّ عَلَى فَأْسِ اللَّجَامِ رَوْوَمٍ

(١) ذوب النضار : ٧٥ - ٧٦ .

(٢) في ذوب النضار : مُخَرَّبَةٌ ، وقد ضبطه في الجمهرة : مَخْرَبَةٌ ، وهو من أشرف البصرة وشجعانها ، كان من رجال علي عليه السلام . انظر : جمهرة أنساب العرب : ٢٩٩ ، الأعلام ٥ : ٢٧٦ .

(٣) الهوادي : أول رعييل من الخيل . ويقال : جششت الشيء أي دققته وكسرتة ، وفرس أجش الصوت أي غليظة . والهزيم : بمعنى الهازم ، وهزيم الرعد : صوته .

(٤) القرا : الظهر ، وفرس نهدي أي جسيم مشرف ، ومقلص : أي مشرف مشتمر طويل القوائم .

بَكْلُ فِتًى لَا يَمْلَأُ الرُّوعُ قَلْبَهُ مِحْشٌ^(١) لِنَارِ الْحَرْبِ غَيْرِ سَوْومٍ
أَخِي ثَقَّةٌ يَنْوِي الْإِلَهَ بِسَعِيهِ ضَرْوِبٌ بِنَصْلِ السِّيفِ غَيْرِ أَثِيمٍ^(٢)

هلاک یزید

وكان ابتداء تحرّك الشيعة للأخذ بثأر الحسين عليه السلام في السنة التي قتل فيها الحسين عليه السلام، وهي سنة إحدى وستين من الهجرة، فما زالوا يستعدّون للحرب، ويجمعون السلاح، ويدعون الناس في السرّ إلى الطلب بدم الحسين عليه السلام إلى أن هلك يزيد بن معاوية في سنة أربع وستين، وكان بين قتل الحسين عليه السلام وموت يزيد ثلاث سنين وشهران وأربعة أيّام.

فلما مات يزيد جاء أصحاب سليمان بن صرد إليه، وقالوا له: قد هلك هذا الطاغية وأمر بني أمية ضعيف، فدعنا نظهر الطلب بدم الحسين عليه السلام، ونقتل قاتليه، ندعو الناس إلى أهل هذا البيت المستأثر عليهم، المدفوعين عن حقهم.

فقال لهم سليمان: لا تعجلوا، إنني نظرت فيما ذكرتم فوجدت قتلة الحسين عليه السلام هم أشراف الكوفة وفرسان العرب، ومتى علموا مرادكم كانوا أشدّ الناس عليكم، ونظرت فيمن تبغني منكم فوجدتهم قليلين، فلو خرجوا لم يدركوا ثأرهم، ولم يشفوا نفوسهم، وقتلوا، ولكنّ الرأي أن تبثّوا دعائكم في الناس، وتتنظروا حتى يكثر جمعكم، ففعلوا ما أشار به، واتّبعتهم ناس كثير بعد هلاك يزيد أضعاف من كان اتّبعتهم قبل ذلك.

وقال عبدالله بن الأحمر يحرض على الخروج والقتال:

(١) يقال: حششت النار: أي أوقدتها، والمحشّ: ما تحرّك به النار من حديد، ومنه قيل للرجل الشجاع: نعم محشّ الكتيبة. وفي الطبري: مُحِشٌّ لِعَضِّ الْحَرْبِ غَيْرِ سَوْومٍ.
(٢) تاريخ الطبري ٥: ٥٥٨، الكامل في التاريخ ٤: ١٦١ - ١٦٢، ذوب النصار: ٧٦ - ٧٧.

صحوت وودّعت الصبا والغوانيا	وقلت لأصحابي أجيئوا المناديا
وقولوا له إذ قام يدعو إلى الهدى	وقبل الدعا لبّيك لبّيك داعيا
ألا وانع خير الناس جدّاً ووالدا	حسيناً لأهل الدين إن كنت ناعيا
ليبك حسيناً مرّمل ذو خصاصة	عديم وآيام تشكي المواليا
فأضحى حسين للرماح دريئة	وغودر مسلوباً لدى الطفّ ثاويا
فيا ليتني إذ ذاك كنت شهدته	فضاربت عنه الشائين الأعاديا
سقى الله قبراً ضمن المجد والتقى	بغريّة الطفّ الغمام الغواديا
فيا أمة تاهت وضلّت سفاهة	أنبيوا فارضوا الواحد المتعاليا

بيعة الناس لعبدالله بن الزبير

وكان ابن الزبير قد تولّى على مكّة، وبايعه الناس، فأرسل إلى الكوفة بعبدالله ابن مطيع، فلمّا نهض المختار رضي الله عنه خرج عبدالله وأصحابه منهزمين، وأقام المختار بالكوفة إلى المحرم سنة سبع وستين، ثم عمل على إنفاذ الجيوش إلى ابن زياد، وكان اللعين بأرض الجزيرة، فصير على شرطه أبا عبدالله الجدلي وأبا عمارة كيسان مولى عرينه، وأمر إبراهيم بن مالك الأشتر بالتأهب للمسير إلى ابن زياد، وجعله أميراً على الجند.

المختار يذهب إلى مكّة

عندما اطلق سراح المختار وأجل ثلاثة أيام لم ير بداً من الذهاب إلى الحجاز والاتحاق بعبدالله بن الزبير، وقد كان ابن الزبير قد خلع طاعة بني أمية واعتصم في مكّة، وقد وجد فيه المختار ضالته المنشودة، إن لم يوافقه في المبدأ فإنّه علوي وابن الزبير عثماني، غير ان الظروف قد الجأت إليه.

ثم سار المختار حتى وصل إلى مكة وابن الزبير يدعو إلى نفسه سرّاً ، فكنتم أمره عن المختار ، ففارقه المختار وغاب عنه سنة ، فسأل عنه ابن الزبير ، فقليل له :
إنّه بالطائف .

ثم حضر المختار وباع ابن الزبير على شروط شرطها ، وأقام عنده ، وحارب معه أهل الشام وقاتل قتالاً شديداً ، وكان أشدّ الناس على أهل الشام .^(١)
قال الراوي عندما دخل عليّ عبدالله بن الزبير فرحّب به ووسع له ثم قال له :
حدثني عن حال الناس بالكوفة يا أبا اسحاق .

قال : هم لسلطانهم في العلانية أولياء وفي السر أعداء .

فقال ابن الزبير : هذه صفة عبيد السوء ، إذا رأوا أربابهم خدموهم وأطاعوهم
وإذا غابوا عنهم شتموهم ولعنوهم .^(٢)

ثم حاول ابن الزبير أن يلتف حول المختار لما وجد فيه من شخصية قيادية
تتمتع بمميزات فريدة أملت على ابن الزبير أن يستفيد من هذه الشخصية لتحقيق
مآربه ولو لفترة مرحلية وحسب الوضع الراهن الذي يعيشه .

فكلف عباس بن سهل بن مسرة أن يقنعه بالدخول فيما اجتمع عليه
الأشراف من قريش والأنصار وثقيف ولم تبق قبيلة إلا وأتاه زعيمها فباع له ، إلا أن
المختار ذلك السياسي المحنك الذي ليس من السهل أن يقبل بعرض ابن سهل
بالسرعة التي كان يتوقعها ولا يمكن أن تنطلي عليه ألاعيب وحيل ابن الزبير لكسبه
إلى جانبه من دون أن يأخذ عليه العهود ويشترط عليه الشروط ، فعندما كلمه عباس
ابن سهل قال له : إني أتيتك العام الماضي وكنتم عني خبره فلمّا استغنى عني أحببت

(١) بحار الأنوار ٤٥ : ٣٥٣ .

(٢) الكامل في التاريخ ٤ : ١٧٠ .

أن أريه أنّي مستغن عنه.^(١)

وحاول عباس بن سهل أن يرتب لقاء بين الطرفين وطرح المختار شروطه على ابن الزبير مقابل التعاون معه والبيعة له^(٢) :

١ - أبايعك على أن لا تقضي الأمور دوني .

٢ - أن أكون أول داخل عليك .

٣ - إذا ظهرت استعنت بي على أفضل عملك .

في بداية الأمر رفض ابن الزبير هذه الشروط وقال له : تبايعني على كتاب الله وسنة رسوله ، لكن المختار رفض عرض ابن الزبير وقال له : والله لا أبايعك إلا على ذلك .

وأخيراً وافق ابن الزبير على شروط المختار نتيجة لظروف المرحلة التي تمر بها حركة ابن الزبير ، ولحاجته إلى شخصية طموحة ومغامرة كشخصية المختار .

فبايعه وأقام عنده ، وشهد حصار الكعبة من قبل الحصين بن نمير وقد ابلى بلاءً حسناً^(٣) ، وقد أبدى ابن الزبير إعجابه ببسالة وشجاعة المختار وأصبح مصدر إعجاب وتقدير لكل الذين يقاتلون تحت لواء ابن الزبير .

فأقام مع ابن الزبير حتى هلاك يزيد بن معاوية ، حيث استمرت إقامته مع ابن الزبير خمسة أشهر^(٤) .

فلما رآه لا يستعمله وإن ابن الزبير لا يفي بعهوده قرر مفارقتها ، وجعل لا يفد

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٥٧٤ .

(٢) الكامل في التاريخ ٤ : ١٧٠ .

(٣) الكامل في التاريخ ٤ : ١٧١ .

(٤) تاريخ الطبري ٥ : ٥٧٧ .

عليه احد من اهل الكوفة إلا سألته عن حال الناس فيها . وصادف ان قدم هانيء بن أبي حية الوادعي الى مكة يريد عمرة رمضان فسأله المختار عن حاله وحال الناس بالكوفة فأخبره أنهم بصلاح واتساق امورهم على طاعة ابن الزبير ، لكنه أضاف : «إلا طائفة من الناس عدد أهل المصر لو كان لهم رجل يجمعهم على رأي أكل بهم الأرض الى يوم ما»^(١) ، عند ذلك تفجرت مكامن الغضب والثورة لدى المختار فقال : «أنا أبو اسحاق أنا والله لهم ، أنا أجمعهم على مَرِّ الحق، وأنفي بهم ركبان الباطل ، واقتل بهم كل جبار عنيد» .

حاول هانيء بن أبي حية أن يثنيه عن عزمه فقال له : ليكن صاحبهم غيرك فإن صاحب الفتنة أقرب شيء أجلاً وأسوأ الناس عملاً .
فقال المختار : اني لا أدعو الى الفتنة وإنما أدعو الى الهدى والجماعة .

ابن زياد بعد هلاك يزيد

وأما عبيد الله بن زياد فإنه كان عند موت يزيد والياً على البصرة ، وكان عمرو بن حريث والياً على الكوفة بالنيابة عن ابن زياد ، فجاء الخبر إلى ابن زياد بالبصرة بموت يزيد ، واختلاف الناس بالشام ، فجمع الناس وقام بهم خطيباً ، فقال : «يا أهل البصرة انسبوني فوالله لتجدن مهاجر والدي ومولدي فيكم ، وقد وليتكم وما أحصى ديوان مقاتلتكم إلا سبعين ألف مقاتل ، ولقد أحصى اليوم ديوان مقاتلتكم ثمانين ألف وما أحصى ديوان عمالكم إلا تسعين ألفاً ، ولقد أحصى اليوم مائة وأربعين ألفاً ، وما تركت لكم ذا ظنة أخاف عليكم إلا وهو في سجنكم»^(٢) هذا ، وان أمير المؤمنين يزيد بن معاوية قد توفي وقد اختلف أهل الشام وأنتم اليوم أكثر الناس

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٥٧٨ .

(٢) يقصد به الخوارج الذين زج بهم عبيدالله في السجن .

عدداً واعرضه فناءً واغناه عن الناس وأوسع به بلاداً، فاختراروا رجلاً ترتضونه لدينكم فأتانا أول راض من رضيتموه وتابع، فان اجتمع أهل الشام على رجل ترتضونه دخلتم فيما دخل المسلمون، وان كرهتم ذلك كنتم على جديلتكم حتى يقطعوا حاجتكم فما بكم الى أحد من أهل البلدان حاجة وما يستغني الناس عنكم^(١).

فقامت خطباء اهل البصرة فقالوا: قد سمعنا مقاتلتك أيها الامير وانا والله لا نعلم أحداً أقوى عليها منك منهم فلنبايك!

فقال: لا حاجة لي في ذلك!! فاختراروا لأنفسكم! فأبوا عليه فأبى عليهم حتى كرّروا ذلك عليه ثلاث مرات، فلما أبوا بسط يده فبايعوه، ثم انصرفوا وجعلوا يمسحون أيديهم بالحيطان، وقالوا: أيطنّ ابن مرجانة أننا ننقاد له في جميع الأوقات.

وبدأ سلطان ابن زياد يضعف شيئاً فشيئاً حتى كان يأمر بالشيء فلا ينفذ، ويرى الرأي فيرد عليه، ويأمر بحبس المخطيء فيحال بينه وبين أعوانه وبلغ من استخفافهم به أنه كان إذا صعد المنبر يحصبونه بالحجارة ويسبونونه^(٢).

رسول ابن زياد لأهل الكوفة

قال الراوي: لما بايع أهل البصرة لابن زياد أرسل الى أهل الكوفة مع عمرو ابن مسمع وسعد بن القرهاء التميمي يعلموا أهل الكوفة ما صنع أهل البصرة، ويدعوهم الى البيعة له، فلما وصلا الكوفة وكان والي ابن زياد عليها عمرو بن

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٥٠٤.

(٢) الانتفاضات الشيعية: ٤٣١.

حريث قد جمع الناس وأخبرهم بالأمر .

فقام يزيد بن الحارث بن يزيد الشيباني وهو ابن رؤيم فقال: الحمد لله الذي أراحنا من ابن سمية أنحن نبايعه؟ لا ولا كرامة! وحصبهما أول الناس ثم حصبهما الناس بعده.^(١)

ورجع الرسولان الى البصرة فأعلماه الحال، فقال أهل البصرة: أيخلعه أهل الكوفة ونوليه نحن؟

أحس عبيدالله بن زياد بأن موقفه أخذ بالانحسار شيئاً فشيئاً، فأصبح من الرجل القوي الذي لا يرد طلبه الى رجل ضعيف يأمر بالأمر فلا يقضى، وقد علم بأن الناس الذين بايعوه قد مسحوا أكفهم بالحيطان^(٢).

فأمر فنودي للصلاة جامعة فاجتمع الناس فأنشأ عبيدالله يقص أمره وأمرهم وما كان قد دعاهم الى من يرتضونه فيبايعه معهم، وانكم أبيتم غيري وانه بلغني انكم مسحتم أكفكم بالحيطان وباب الدار، وقتلتم ما قتلتم واني آمر بالأمر فلا ينفذ. ثم ان مسلمة بن ذؤيب يدعو الى الخلاف عليكم ليفرق جماعتكم ويضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف.

وقد استغل ابن الزبير ضعف السلطة في الامصار فأرسل دعائه للترويج لدعوته، وقد صادف ورود مسلمة بن ذؤيب الحنظلي الى البصرة يدعو الناس الى الاجتماع حوله، ويدعوهم الى العائد بالحرم يعني عبدالله بن الزبير، فلاقت دعوته هذه ترحيباً من الناس وجعلوا يصفقون على يديه ويبايعونه^(٣).

(١) تاريخ ابن الاثير ٤: ١٣٢.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٥٠٨.

(٣) ابن الاثير ٤: ١٣٢.

وقد طلب عبيدالله من اشراف البصرة ان يكفوه هذا المغامر الذي دخل الى سلطان عبيدالله بن زياد، فاذا جمعه قد كشف، والفتق قد اتسع، فلما رأوا ذلك قعدوا عن ابن زياد ولم يأتوه.

ثم دعا محاربة السلطان ليحاربوا معه فأبوا ذلك، حتى جاء اليه اخوته فقالوا له: ما من خليفة فنقاتل عنه فان هزمت رجعت اليه فأمدك ولعل الحرب تكون عليك وقد اتخذنا بين هؤلاء القوم اموالاً، فان ظفروا بنا أهلكونا وأهلكوها فلم تبق لك باقية^(١).

عامر بن مسعود

اما الكوفة فلم تكن بحاجة الى التردد، فقد اتخذت قرارها سريعاً وهو طرد عاملها عمرو بن حريث وتولية عامر بن مسعود مكانه، ثم كتب أهلها الى ابن الزبير بشأن ذلك فأقر ابن مسعود في منصبه^(٢).

قال الراوي: عندما طرد أهل الكوفة عمرو بن حريث عامل ابن زياد عنهم، وأرادوا أن ينصبوا لهم أميراً إلى أن ينظروا في أمرهم، أشار بعضهم بعمر بن سعد قاتل الحسين عليه السلام، فأقبلت نساء من همدان وغيرهم حتى دخلن المسجد الجامع صارخات باكيات معولات يندبن الحسين عليه السلام، ويقلن:

أما يرضى عمر بن سعد بقتل الحسين عليه السلام حتى أراد أن يكون أميراً علينا؟ فبكى الناس، وأعرضوا عن عمر، حتى قال أحد الموالين لعمر بن سعد وهو محمد ابن الاشعث: جاء أمر غير ما كنا فيه.

(١) تاريخ الطبري ٥: ٥٠٩.

(٢) الكامل لابن الأثير ٤: ١٤٣.

لذا فإن الفضل في ذلك يعود لنساء همدان ، وهمدان هم الذين يقول فيهم
أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

ثم بعد ذلك اجتمع الناس على عامر بن مسعود، ولما تمت له البيعة كتبوا
بذلك الى عبدالله بن الزبير فأقره عليها، فمكث ثلاثة أشهر، ثم قدم عليهم عبدالله بن
يزيد الخطمي وهو الوالي السياسي للمدينة وإبراهيم بن محمد على الخراج من قبل
ابن الزبير^(١).

الخروج من البصرة

عندما تفاقت الأمور في البصرة وأحس عبيدالله بن زياد بالخطر فيها قرر
الخروج منها الى الشام، وقد كتب له ابن أخيه الحارث بن عباد بن زياد بعد موت
يزيد يحذره من سخط الناس الذين شملهم جور وظلم ابن زياد ويقترح عليه
الالتجاء الى قبيلة الأزد التي أجارت أباه من قبل^(٢) وكتب إليه :

ألا يا عبيدالله قد مات من به ملكت رقاب العالمين يزيدُ

اتثبت للقوم الذين وترتهم وذاك من الرأي البعيد زنيقُ

ومالك غير الأزد جار فانهم أجاروا أباك والبلاد تميد

فتعجب عبيدالله من رأي ابن أخيه، وكان ذا رأي، وفعلاً استجار الى قبيلة
الأزد حيث قام الحارث بن قيس الأزدي بمساعدته على الفرار الى الشام، وبعد
فرار ابن زياد بقي أهل البصرة من غير أمير، فاختلفوا فيمن يأمرهم عليهم ثم

(١) الكامل لابن الاثير ٤: ١٤٤.

(٢) الأخبار الطوال: ٢٨١.

تراضوا بقيس بن السهمي وبالنعمان بن سفيان الراسبي، ليختاروا من يرتضون لهم، وكان رأي قيس في بني أمية، ورأي النعمان في بني هاشم فبعد مداولات بين الطرفين تمت البيعة الى عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب.^(١)

الفرار إلى الشام

قال الراوي: أنه لما استجار ابن زياد بمسعود بن عمرو أجاره، ثم سار ابن زياد إلى الشام وأرسل معه مسعود مائة من الأزد حتى قدموا به إلى الشام، فبينما هو يسير ذات ليلة قال: قد ثقل عليّ ركوب الإبل، فوطئوا لي على ذي حافر، فجعلوا له قطيفةً على حمار، فركبه ثم سار وسكت طويلاً.

قال مسافر بن شريح الإشكري: فقلت في نفسي: لئن كان نائماً لأنغصن عليه نومه، فدنوت منه فقلت: أناائم أنت ؟

قال: لا، كنت أحدث نفسي .

قلت: افلا أحدثك بما كنت تحدث به نفسك ؟

قال: هات .

قلت: كنت تقول: ليتني لم أقتل حسيناً .

قال: وماذا ؟

قلت: تقول: ليتني لم أكن قتلْتُ مَنْ قتلْتُ .

قال: وماذا ؟

قلت: تقول: ليتني لم أكن بنيتُ البيضاء .

قال: وماذا ؟

(١) الكامل لابن الاثير ٤: ١٣٦.

قلت: تقول: ليتني لم أكن استعملت الدهاقين .

قال: وماذا ؟

قلت: تقول: ليتني كنت أسخى مما كنت .

قال: أما قتلي الحسين فإنه أشار إليّ يزيد بقتله أو قتلي فاخترت قتله ، وأما البيضاء فإنني اشتريتها من عبدالله بن عثمان الثقفي، وأرسل إليّ يزيد بألف ألف فأنفقتها عليها، فإن بقيت فلاهلي، وإن هلكت لم آس عليها....^(١)

قال: فقدم الشام ولم يبرموا أمراً، فكأنما كانوا معه صبياناً، وقيل: بل قدم وقد أبرموا فنقض عليهم ما أبرموا.^(٢)

عبدالله بن يزيد و ابراهيم بن محمد

بقي عامر بن مسعود أميراً للكوفة لمدة ثلاثة أشهر، ثم قدم عليهم عبدالله بن يزيد الخطمي والياً جديداً وإبراهيم بن محمد على الخراج من قبل ابن الزبير^(٣)

كان موقف والي ابن الزبير على الكوفة عبدالله بن يزيد يتسم بالتعقل، فقد صرف النظر عن تحركات التوابين، وربما أعلن التأيد لهم كما صرح في مناسبات كثيرة وربما جاء هذا التأيد لغرض صرف سليمان وجماعته لمقاومة الخطر القادم من الشام والذي يهدد سيادة الزبير على الكوفة، وهو يدرك بأنه ليس له طاقة في صد عبيدالله بن زياد والدخول معه في معركة خاسرة، ولا سيما وان سلطة آل الزبير في الكوفة لا تزال في مهدها ولم ترسخ جذورها بعد، لذلك بدأ صريحاً بتأييدهم حينما أخبره يزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم الشيباني، فقال له: ان الناس

(١) الكامل لابن الأثير ٤: ١٤٠-١٤١ .

(٢) الكامل لابن الأثير ٤: ١٤١ .

(٣) الكامل لابن الاثير ٤: ١٤٤ .

يتحدثون ان هذه الشيعة خارجة عليك مع ابن سرد، ومنهم طائفة مع المختار وهي أقل الطائفتين عدداً، والمختار فيما يذكر الناس لا يريد ان يخرج حتى ينظر الى ما يصير اليه أمر سليمان بن سرد، وقد اجتمع له أمره وهو خارج من أيامه هذه، فان رأيت أن نجمع المقاتلة ووجوه الناس ثم تنهض اليهم وننهض معك فإذا دفعت الى منزله فان اجابك فحسبه وان قاتلك قاتلته، وقد جمعت له وعبأت وهو مغتر، فاني أخاف عليك ان هو بدأك وأحرزته حتى يخرج عليك ان تشتد شوكته وان يتفاقم امره.

فقال عبدالله بن يزيد: الله بيننا ان هم قاتلونا قاتلناهم وان تركونا لم نطلبهم! حدثني ما يريد الناس؟

قال: يذكر الناس انهم يطلبون بدم الحسين بن علي.

قال: فأنا قتلت الحسين! لعن الله قاتل الحسين^(١).

فخرج ابن يزيد فصعد المنبر فخطب الناس فقال:

ان قوماً اجتمعوا للطلب بدم الحسين، فرحم الله الحسين، ورحم هؤلاء القوم، والله لقد دلت عليهم وعلى اماكنهم، فأبيت ان اهيجهم، والله ما قتلت الحسين، ولا مالأت على قتله، وما اجبته، فلعن الله قتله، وليظهر هؤلاء القوم آمين ثم ليسيروا الى قاتل الحسين وقاتل خياركم وامثالكم...»^(٢).

وكان عامل ابن الزبير على الخراج هو ابراهيم بن محمد بن طلحة، فقام حين فرغ ابن يزيد من كلامه فقال: ايها الناس لا يغرنكم من السيف والغشم مقالة هذا المداهن الموادع، والله لئن خرج علينا خارج لنقتله، ولئن استقيننا ان قوماً

(١) تاريخ الطبري ٥: ٥٦١.

(٢) أنساب الاشراف ٦: ٣٦٧.

يريدون الخروج علينا لناخذن الوالد بولده والمولود بوالده، ولناخذن الحميم بالحميم والعريف بما في عرافته حتى يدينوا للحق ويدلوا للطاعة^(١).

فوثب اليه المسيب بن نجبة فقطع عليه كلامه ثم قال: يا ابن الناكثين: انت تهددنا بسيفك وغشمك!! انت والله أذلّ من ذلك، انا لا نلومك على بغضنا وقد قتلنا أباك وجدك، والله اني لأرجو أن يخرجك الله من بين ظهرائي أهل هذا المصر حتى يثلثوا بك جدك وأباك.

وانت ايها الامير فقد قلت قولاً سديداً، واني والله لأظن من يريد هذا الامر مستنصحاً لك وقابلاً قولك.

فقال ابراهيم بن طلحة متوعداً ومهدداً عبدالله بن يزيد: أي والله ليقتلن وقد أدهن وقد اغلى.

فقام اليه عبدالله بن وال التميمي فقال له: ما اعتراضك يا أخا تميم بن مرة فيما بيننا وبين أميرنا، فوالله ما أنت علينا بأمر ولا لك علينا سلطان، انما أنت أمير الجزية فأقبل على خراجك فلعمر الله لئن كنت مفسداً، ما أفسد امر هذه الأمة إلا والدك وجدك الناكثان.

فغضب بعض عمال ابراهيم بن محمد بن طلحة ومن كان معه فتشاثموا دونه فشتهم الناس وحصبوهم.

فانتفض الناس ودخل عبدالله بن يزيد منزله، وانطلق ابراهيم بن محمد متوعداً ابن يزيد، وهو يقول: قد داهن عبدالله بن يزيد أهل الكوفة والله لأكتبن بذلك الى عبدالله بن الزبير فأخبره بذلك، فأتى شبت بن ربعي فأخبر عبدالله بن

(١) تاريخ الطبري ٥: ٥٦٤.

يزيد، فركب مع شبيب بن ربعي ويزيد بن الحارث بن رويم حتى دخل على ابراهيم بن محمد بن طلحة، فحلف له بالله ما اردت بالقول الذي سمعت إلا العافية وصلاح ذات البين، إنما أتاني يزيد بن الحارث بكذا وكذا فرأيت أن أقوم فيهم بما سمعت، إرادة ألا تختلف الكلمة ولا تتفرق الأمة وألا يقع بأس هؤلاء القوم بينهم، فعذره وقبل منه (١).

وهكذا انتقلت الحركة من السرية والخفاء الى الظهور والعلن، عندما اعطى لهم الوالي حرية الحركة والعمل وهو يشني عليهم ويتبرأ من قتلة الحسين ويلعنهم على مسمع من القتل انفسهم، ثم أثنى القوم على رأيه السديد وعلى صراحته المعلنة فخرجوا يشترون السلاح ويتجهزون مجاهرين بعملهم ويعدون العدة لملاقاة عدوهم عبيد الله بن زياد.

بداية حركة التوابين

وأما سليمان بن صرد وأصحابه فما زالوا يتجهزون ويشترون السلاح إلى سنة خمس وستين، وبعث سليمان إلى رؤساء أصحابه فأتوه، وخرج في أول ليلة من شهر ربيع الآخر فعسكر بالنخيلة قرب الكوفة، وجعل يدور في عسكره فوجده قليلاً، فأرسل رجلين من أصحابه في خيل إلى الكوفة، وأمرهم أن ينادوا في الكوفة: «يا لثارات الحسين»، وأن ينادوا بذلك في المسجد الأعظم، وكانوا أول من نادى بذلك، فسمع النداء عبد الله بن حازم الأزدي وعنده ابنته وامراته سهلة بنت سبرة، وكانت من أجمل النساء وأحبهن إليه، ولم يكن دخل مع القوم، فوثب إلى ثيابه فلبسها، وإلى سلاحه وفرسه، فقالت له زوجته: ويحك أجننت؟

قال : لا ، ولكنني سمعت داعي الله عزّ وجلّ فأنا مجيبه وطالب بدم هذا الرجل حتى أموت .

فقالت : إلى من تودع بنيك هذا ؟

قال : إلى الله ، اللهمّ إنّي أستودعك ولدي وأهلي ، اللهمّ احفظني فيهم ، وتب عليّ ممّا فرّطت في نصر ابن بنت نبيّك .

وطافت الخيل تلك الليلة بالكوفة ينادون : «ياثارات الحسين» ، ونادوا في المسجد الجامع والناس يصلّون العشاء الآخرة : «ياثارات الحسين» .

وكان في المسجد كرب بن نمران يصليّ ، فقال : «ياثارات الحسين» ، وخرج حتى أتى أهله فلبس سلاحه ، ودعا بفرسه ليركبه .

فقال له ابنته : يا أبت ، مالي أراك تقلّدت سيفك ، ولبست سلاحك ؟

فقال : يابنيّة ، إنّ أباك يفرّ من ذنبه إلى ربّه ، ثمّ خرج فلحق بالقوم .

فلما كان من الغد جاء إلى سليمان من الكوفة بقدر من كان معه حتى صار معه أربعة آلاف ، فنظر في ديوانه وهو الدفتر الذي يكتب فيه أسماء العسكر ، فوجد أنّ الذين بايعوه ستّة عشر ألفاً ، وقيل : ثمانية عشر ألفاً ، فقال : سبحان الله ما وافانا من ستّة عشر ألفاً إلاّ أربعة آلاف .

وأقام بالنخيلة ثلاثة أيّام يبعث إلى من تخلف عنه ، فخرج إليه نحو من ألف رجل ، فصار معه خمسة آلاف .

فقال له المسيّب بن نجبة : إنّ لا ينفعك الكاره للخروج ، ولا يقاتل معك إلاّ من خرج على بصيرة محبّاً للخروج ، فلا تنتظر أحداً .

فقال له سليمان : نعم ما رأيته .

ثمّ خطب سليمان أصحابه وهو متوكّيء على قوس له عربيّة ، فقال :

أيّها الناس ، من كان خرج يريد بخروجه وجه الله والآخرة فذلك منا ونحن منه ، فرحمة الله عليه حيّاً وميتاً ، ومن كان إنّما يريد الدنيا فوالله ما يأتي فيء نأخذه ، ولا غنيمة نغنمها ، ما خلا رضوان الله ، وما معنا من ذهب ولا فضّة ولا متاع إلّا سيوفنا على عواتقنا ، ورماحنا في أكفّنا ، وزاد قدر البلغة ، فمن كان ينوي هذا فلا يصحبنا .

فتنادى أصحابه من كلّ جانب : إنّنا لا نطلب الدنيا ، وليس لها خرجنا ، إنّما خرجنا نطلب التوبة والطلب بدم ابن بنت رسول الله ﷺ .

فلما عزم سليمان على المسير قال له عبد الله بن سعد بن نفيل : إنّنا خرجنا نطلب بدم الحسين ﷺ ، والذين قتلوه كلّهم بالكوفة ، منهم عمر بن سعد وأشرف القبائل ، وليس في الشام سوى عبيد الله .

فقال سليمان : إنّ الذي قتله وعبأ الجنود إليه هذا الفاسق ابن الفاسق ابن مرجانة عبيد الله بن زياد ، فسيروا إليه على بركة الله ، فإن ينصركم الله رجونا أن يكون من بعده أهون علينا منه ، ورجونا أن يطيعكم أهل مصركم - يعني الكوفة - بغير قتال ، فننظرون إلى كلّ من شرك في دم الحسين ﷺ فتقتلونه ، وإن تستشهدوا فما عند الله خير للأبرار ، فاستخبروا الله وسيروا .

وأرسل عبد الله بن يزيد أمير الكوفة وإبراهيم بن محمد بن طلحة أمير خراجها رسولاً إلى سليمان أنّهما يريدان أن يأتيا إليه .

فقال سليمان لرفاعة بن شدّاد : قم فأحسن تعبئة الناس ، ودع رؤساء أصحابه فجلسوا حوله ، وجاء عبد الله وإبراهيم ومعهما أشرف أهل الكوفة سوى من شرك في قتل الحسين ﷺ ، فإنّ عبد الله قال لكلّ من شرك في قتل الحسين ﷺ

من المعروفين أن لا يخرجوا معهم خوفاً من سليمان وأصحابه .

وكان عمر بن سعد في تلك الأيام يبيت في قصر الأمانة خوفاً منهم ، فأشار عبد الله وإبراهيم على سليمان وأصحابه أن يقيموا ولا يستعجلوا ، فإذا علموا أن عبيد الله بن زياد سار إليهم تهيأوا وساروا إليه جميعهم ، وجعلوا لسليمان وأصحابه خراج جوخي إن أقاموا ، فلم يقبلوا ، وقالوا : إنا ليس للدنيا خرجنا .

فقال لهم عبد الله : أقيموا حتى نرسل معكم جيشاً كثيفاً ، فلم يقم سليمان وأصحابه ، ونظروا فإذا شيعتهم من أهل البصرة والمدائن لم يوافقهم لميعادهم ، فجعل بعضهم يلومونهم .

فقال سليمان : لا تلوموهم فإنهم سيلحقونكم قريباً متى بلغهم خبر مسيركم ، وما أراهم تأخروا إلا لقلّة النفقة .

ثم خطبهم سليمان ، فقال في خطبته :

إنّ للدنيا تجاراً ، وللآخرة تجاراً : فأما تاجر الآخرة فساع إليها ، لا يشتري بها ثمناً ، لا يرى إلا قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ، لا يطلب ذهباً ولا فضة ، ولا دنيا ولا لذة . وأما تاجر الدنيا فمكّب عليها راتع فيها ، لا يبتغي بها بدلاً ، فعليكم بطول الصلاة في جوف الليل ، وبذكر الله كثيراً على كلّ حال ، وتقربوا إلى الله بكلّ خير قدرتم عليه حتى تلقوا هذا العدوّ المحلّ القاسط فتجاهدوه ، فإنكم لن تتوسّلوا إلى ربكم بشيء هو أعظم عنده ثواباً من الجهاد والصلاة .

وساروا عشية الجمعة لخمس مضيّن من ربيع الآخر سنة خمس وستين يقدمهم رؤساؤهم المذكورون ، فباتوا بمكان يقال له : «دير الأعور» وقد تخلف عنهم ناس كثير .

فقال سليمان بن صرد : ما أحبّ أن لا يتخلفوا ، ولو خرجوا فيكم ما زادوكم

إلا خبالاً ، إن الله كره انبعاثهم فثبّطهم وخصّكم بالفضل دونهم ، ثم سار فنزل على أقساس بني مالك على شاطئ الفرات ، ثم أصبحوا عند قبر الحسين عليه السلام ، فلما وصلوا صاحوا صيحة واحدة ، وضجّوا بالبكاء والعويل ، فلم ير يوم أكثر باكياً من ذلك اليوم ، وترخّموا على الحسين عليه السلام ، وتابوا عند قبره ، وأقاموا عنده يوماً وليلة يبكون ويتضرّعون ويستغفرون وترخّمون على الحسين عليه السلام وأصحابه .

وكان من قولهم عند ضريحه :

اللهم ارحم حسيناً ، الشهيد ابن الشهيد ، المهديّ ابن المهديّ ، الصديق ابن الصديق .

اللهم إنّنا نشهدك أنّا على دينهم وسيلهم ، وأعداء قاتليهم ، وأولياء محبيهم .
اللهم إنّنا خذلنا ابن بنت نبيّنا صلى الله عليه وآله ، فاغفر لنا ما مضى منّا ، وتب علينا ، وارحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصديقين ، وإنّا نشهدك أنّا على دينهم ، وعلى ما قتلوا عليه وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين ، وزادهم النظر إلى القبر الشريف حنقاً ، ثم ودّعوا القبر الشريف وازدحموا عليه عند الوداع أكثر من الازدحام على الحجر الأسود ، وكان الرجل يعود إلى ضريحه كالمودّع له حتى بقي سليمان في نحو ثلاثين من أصحابه آخر الناس ، فأحاطوا بالقبر .

وقال سليمان : الحمد لله الذي لو شاء أكرمنا بالشهادة مع الحسين عليه السلام . اللهم إذ حرمتها معه فلا تحرمنا فيها بعده .

وتكلّم الرؤساء من أصحاب سليمان فأحسنوا .

وقام في تلك الحال وهب بن زمعة الجعفي باكياً على القبر الشريف ، وأنشد

أبيات عبید الله بن الحرّ الجعفی^(١):

تبيت النشاي من أمية نوماً وبالطف قتل ما ينام حميمها
وما ضيع الاسلام إلا قبيلة تأمر نوكاها ودام نعيمها
وأضحت قناة الدين في كف ظالم إذا عوج منها جانب لا يقيمها
فأقسمت لا تنفك نفسي حزينه وعيني تبكي لا يجف سجومها
حياتي أو تلقى أمية خزية يذل لها حتى الممات قرومها
وكان مع الناس عبد الله بن عوف الأحمر على فرس كبيت يتأكل تأكلًا وهو
يقول :

خرجن يلعن بنا إرسالاً عوابساً يحملنا أبطالاً
نريد أن نلقي بها الأقيالا القاسطين الغدر الضلّالا
وقد رفضنا الأهل والأموالا والخفرات البيض والحجالا
نرجو به التحفة والنوالا لنرضي المهيمن المفضالا
ثم ساروا الى الأنبار ، وكتب إليهم عبد الله بن يزيد والي الكوفة كتاباً يطلب
فيه منهم الرجوع .

فقال سليمان وأصحابه : قد أتانا هذا ونحن في مصرنا ، فحين وطنا أنفسنا
على الجهاد و دنونا من أرض عدونا نرجع ؟! ما هذا برأي.

وكتب إليه سليمان يشكره ويقول : إن القوم قد استبشروا ببيعهم أنفسهم من
ربهم ، وتوجهوا إلى الله ، وتوكلوا عليه ، ورضوا بما قضى الله عليهم .

فقال عبد الله : قد استمات القوم ، والله ليقتلن كراماً مسلمين .

ثم ساروا حتى أتوا هيت ، ثم خرجوا حتى انتهوا إلى قرقيسيا وبها زفر بن

(١) نسبها السيد المرتضى في أماليه إلى أبي دهيل الجمحي عدا البيتين الاخيرين .

الحارث الكلابي، وكان زفر هذا بعد هلاك يزيد بقنسرين من بلاد الشام يبايع لابن الزبير، فلما بويع مروان بن الحكم وتغلب على بلاد الشام هرب زفر من قنسرين، وأتى إلى قرقيسيا وعليها عياض الحرشي كان يزيد ولآه إياها، فطلب منه أن يدخل الحمام، وحلف له بالطلاق والعناق على أنه لما يخرج من الحمام لا يقيم بها، فأذن له فدخلها، وغلب عليها، وتحصن بها، ولم يدخل حمامها.

فتحصن زفر من سليمان وأصحابه، فأرسل سليمان المسيب بن نجبة إلى زفر يطلب إليه أن يخرج لهم سوقاً، فجاء المسيب إلى باب المدينة وطلب الإذن على زفر، فجاء هذيل بن زفر إلى أبيه، وقال: بباب المدينة رجل حسن الهيئة اسمه المسيب بن نجبة يستأذن عليك.

فقال له أبوه: أما تدري - يا بني - من هذا؟ هذا فارس مضر الحمراء كلها، إذا عدّ من أشرفها عشرة كان هو أحدهم، وهو متعبد ناسك له دين، ائذن له، فلما دخل عليه المسيب أجلسه إلى جانبه، وأخبره المسيب بما عزموا عليه.

فقال له زفر: إننا لم نغلق أبواب المدينة إلا لنعلم إيانا تريدون أم غيرنا، وما نحبّ قتالكم، وقد بلغنا عنكم صلاح وسيرة جميلة، وأمر ابنه أن يخرج لهم سوقاً، وأمر للمسيب بألف درهم وفرس، فردّ المال وأخذ الفرس، وقال: لعلّي أحتاج إليه إذا عرج فرسي، وبعث زفر إلى المسيب وسليمان كلّ واحد عشرين جزوراً، وإلى عبد الله بن سعد وعبد الله بن آل ورفاعة كلّ واحد عشرة جزر، وبعث إلى العسكر بخبز كثير وعلف ودقيق وجمال، وقال: انحروا منها ما شئتم حتى استغنى الناس عن السوق إلا أن كان الرجل يشتري سوطاً أو ثوباً.

ثم ارتحلوا من الغد وخرج إليهم زفر يشيّعهم، وقال لسليمان: إنّه خرج خمسة أمراء من الرقة، منهم: عبيد الله بن زياد في عدد كثير مثل الشوك والشجر، وعرض عليهم أن يدخلوا المدينة وتكون يدهم واحدة، فإذا جاء العدو قاتلوهم

جميعاً.

فقال سليمان : قد طلب منا أهل مصرنا ذلك فأيننا .

قال زفر : فاسبقوهم إلى عين الوردة ، وتسمى : «رأس عين» أيضاً ، فاجعلوا المدينة في ظهوركم ، فيكون البلد والماء والمؤن في أيديكم ، وما بيننا وبينكم فأنتم آمنون منه ، فوالله مارأيت جماعة قطّ أكرم منكم ، فاطبوا المنازل فأني أرجو أن تسبقوهم ، ولا تقاتلوهم في فضاء فإنهم أكثر منكم ، ولا آمن أن يحيطوا بكم فيصرعوكم ، ولا تصفوا لهم فأني لا أرى معكم رجالة ومعهم الرجالة ، والفرسان يحمي بعضهم بعضاً ، ولكن القوهم في الكتائب ، ثم بثّوها فيما بين ميمنتهم وميسرتهم ، واجعلوا مع كلّ كتيبة كتيبة أخرى إلى جانبها ، فإن حملوا على إحدى الكتيبتين تقدّمت الأخرى وعاونتها وفرّجت عنها ، ومتى شاءت إحدى الكتائب ارتفعت ومتى شاءت انحطّت ، ولو كنتم صفّاً واحداً فرحفت إليكم الرجالة فدفتكم عن الصفّ انتقض فكانت الهزيمة ، ثم ودّعهم ، ودعا لهم ، ودعوا له ، وأثنوا عليه . ثم ساروا مجذّين فجعلوا يقطعون كلّ مرحلتين في مرحلة حتى وردوا عين الوردة ، فنزلوا غريبتها ، واستراحوا خمسة أيّام ، وأراحوا دوابّهم ، وأقبل عبيد الله بن زياد في عساكر الشام حتى كانوا من عين الوردة على مسيرة يوم وليلة .

فقام سليمان بن صرد خطيباً في أصحابه ، فوعظهم وذكرهم الدار الآخرة ، ورغبهم فيها ، ثم قال :

أمّا بعد :

فقد أتاكم عدوّكم الذي دأبتم إليه في السير آناء الليل والنهار ، فإذا لقيتموهم فاصدقوهم القتال واصبروا إنّ الله مع الصابرين ، ولا يوليّنهم امرؤ دبره إلّا متحرّفاً لقتال أو متحيّزاً إلى فئة ، ولا تقتلوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تقتلوا أسيراً من أهل دعوتكم - أي من المسلمين - إلّا أن يقاتلكم بعد أن تأسروه ، فإنّ

هذه كانت سيرة عليّ عليه السلام في أهل هذه الدعوة .

ثم قال : إن أنا قتلت فأمركم المسيّب بن نجبة ، فإن قتل فالأمير عبد الله بن سعد بن نفيل ، فإن قتل فالأمير عبد الله بن وائل ، فإن قتل فالأمير رفاعه بن شدّاد ، رحم الله امرءاً صدق ما عاهد الله عليه .

ثم بعث المسيّب في أربعمئة فارس ، وقال : سر حتى تلقى أوّل عساكرهم فشنّ الغارة عليهم ، فإن رأيت ما تحبّه من النصر وإلا رجعت ، وإياك أن تنزل أو تترك واحداً من أصحابك أن ينزل ، وآخر ذلك حتى لا تجد منه بداً .

قال حميد بن مسلم : كنت معهم يومئذ فسرنا يومنا كلّه وليلتنا حتى إذا كان وقت السحر نزلنا ونمنا قليلاً ، ثم صلينا الصبح ، وركبنا ، ففرّق المسيّب العسكر وبقي معه مائة فارس ، وأرسل أصحابه في الجهات ليأتوه بمن يلقونه ، فأوا أعرابياً يطرد حمراً ، وهو يقول :

يا مال لا تعجل إلى صحبي واسرح فإنك آمن السرب

فقال عبد الله بن عوف : بشري وربّ الكعبة .

وقال للأعرابي : ممّن أنت ؟

قال : من بني تغلب .

قال : غلبناهم وربّ الكعبة إن شاء الله ، ثم أتوا بالأعرابي إلى المسيّب وأخبروه بما قال ، فسرّ بذلك ، وقال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعجبه الفأل ، ثم قال للأعرابي : كم بيننا وبين أدنى القوم ؟

فقال : ميل ، هذا شراحيل بن ذي الكلاع منك على رأس ميل ومعه أربعة آلاف ، ومن ورائهم الحصين بن نمير في أربعة آلاف ، ومن ورائهم الصلت بن ناجية الغلابي في أربعة آلاف ، وجمهور العسكر مع عبيد الله بن زياد بالرقّة .

وكان ابن زياد توجه من الشام في عسكر عظيم ، فلما وصل إلى الرقة أرسل هؤلاء أمامه مقدمة له .

فسار المسيب ومن معه مسرعين حتى أشرفوا على عسكر أهل الشام وهم آمنون غير مستعدين .

فقال المسيب لأصحابه : كزوا عليهم ، فحملوا في جانب عسكرهم ، فانهزم عسكر أهل الشام ، وقتل المسيب وأصحابه وجرحوا عدداً كبيراً ، وأخذوا الدواب ، وخلق الشاميون معسكرهم وانهزموا ، فغنم منه أصحاب المسيب ما أرادوا ، ثم صاح في أصحابه : الرجعة إنكم قد نصرتم وغنمتم وسلمتم فانصرفوا إلى سليمان موفورين غانمين .

ووصل الخبر إلى عبيد الله بن زياد ، فأرسل إليهم الحصين بن نمير مسرعاً في اثني عشر ألفاً ، وقيل : في عشرين ألفاً ، وعسكر العراق يومئذ ثلاثة آلاف ومائة لا غير ، فتهيأت العساكر للقتال وذلك يوم الأربعاء لأربع ، وقيل : لثمان بقين من جمادى الأولى سنة خمس وستين .

فجعل أهل العراق على ميمنتهم المسيب بن نجبة ، وعلى ميسرتهم عبد الله بن سعد ، وقيل بالعكس ، وعلى الجناح رفاعه بن شداد ، والأمير سليمان بن صرد في القلب .

وجعل أهل الشام على ميمنتهم عبد الله بن الضحّاك بن قيس الفهري ، وقيل : جبلة بن عبد الله ، وعلى ميسرتهم ربيعة بن المخارق الغنوي ، وعلى الجناح شراحيل بن ذي الكلاع ، وفي القلب الحصين بن نمير .

ودنا بعضهم من بعض ، فدعاهم أهل الشام إلى الدخول في طاعة عبد الملك ابن مروان ، وكان مروان قد مات في شهر رمضان من هذه السنة ، وبويع بالخلافة ولده عبد الملك ، وقيل : بل كان مروان حياً ، ودعاهم أصحاب سليمان إلى تسليم

عبيد الله بن زياد إليهم ، والخروج من طاعة عبد الملك وآل الزبير ، وردّ الأمر إلى أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأبى الفريقان ، وحمل بعضهم على بعض ، وجعل سليمان بن صرد يحرضهم على القتال ، ويبشّرهم بكرامة الله ، ثمّ كسر جفن سيفه وتقدّم نحو أهل الشام ، وجعل يرتجز ويقول :

إليك ربّي تبت من ذنوبي وقد علاني في الوري مشيبي
فارحم عبيداً غير ما تكذيب واغفر ذنوبي سيّدي وحوبي

فحملت ميمنة سليمان على ميسرة الحصين ، وميسرته على ميمنته ، وحمل سليمان في القلب على جماعتهم فانهمز أهل الشام إلى معسكرهم ، وظفر بهم أصحاب سليمان ، وما زال الظفر لأصحاب سليمان إلى أن حجز بينهم الليل .

فلما كان الغد وصل إلى الحصين جيش مع ابن ذي الكلاع عدده ثمانية آلاف كان أمّدهم به عبيد الله بن زياد ، فصاروا عشرين ألفاً ، وخرج أصحاب سليمان عند الصباح فقاتلوهم قتالاً لم يكن أشدّ منه ولم ير الشيب والمرد مثله جميع النهار ، ولم يحجز بينهم إلا الصلاة ، فلما أمسوا تجاوزوا وقد كثرت الجراح في الفريقين .

وكان في أصحاب سليمان ثلاثة من القصاص ، وهم الذين يحفظون القصص والأخبار ، منهم : رفاعة بن شدّاد وأبو جويريّة العبدى ، فجعلوا يطوفون على أصحاب سليمان يحرضونهم ، وكان جويريّة يدور فيهم ويقول : ابشروا - عباد الله - بكرامة الله ورضوانه ، فحقّ والله لمن ليس بينه وبين لقاء الأحبة ودخول الجنة إلا فراق هذه النفس الأمّارة بالسوء أن يكون بفراقها سخيّاً ، وبلقاء ربّه مسروراً .

فلما أصبح أهل الشام أتاهم أدهم بن محرز الباهليّ في نحو من عشرة آلاف أمّدهم بهم ابن زياد ، فصاروا ثلاثين ألفاً فاقتتلوا اليوم الثالث ، وهو يوم الجمعة قتالاً شديداً إلى وقت الضحى .

ثمَّ إنّ أهل الشام تكاثروا عليهم وأحاطوا بهم من كلّ جانب ، فلمّا رأى سليمان رحمه الله ذلك نزل ونادى : يا عباد الله ، من أراد البكور إلى ربّه ، والتوبة من ذنبه ، فإلّيتي ، ثمّ كسر جفن سيفه ، ونزل معه ناس كثير ، وكسروا جفون سيوفهم ، ومشوا معه ، فقاتلوا حتى قتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة ، وجرحوا فيهم فأكثر الجراح ، فلمّا رأى الحصين صبرهم وبأسهم بعث الرّجالة ترميهم بالنبل ، فأتت السهام كالشرار المتطائر ، واكتفتهم الخيل والرجال ، فقتل سليمان رحمه الله تعالى رماه يزيد بن الحصين بن نمير بسهم ، فوقع ، ثمّ وثب ، ثمّ وقع ، وكان عمره يوم قتل ثلاثاً وتسعين سنة .

المسيب بن نجبة

فلما قتل سليمان أخذ الراية المسيب بن نجبة ، وكان من وجوه أصحاب عليّ عليه السلام ، وترخّم على سليمان ، ثمّ تقدّم إلى القتال وكثر على القوم ، وجعل يرتجز ويقول :

قد علمت ميّالة الذوائب واضحة الخدين والثرائب
أنّي غداة الروح والتغالب أشجع من ذي لبدة موائب
قصّاع أقران مخوف الجانب

فقاتل بها ساعة ، ثمّ رجع ، ثمّ حمل ، فلم يزل يحمل ويقاقل ثمّ يرجع حتى فعل ذلك مراراً ، وقتل جمعاً كثيراً ، ثمّ تكاثروا عليه فقتل رضي الله عنه ، فلمّا قتل أخذ الراية عبد الله بن سعد بن نفيل وترخّم على سليمان والمسيب ، ثمّ قرأ : ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾^(١) ، ثمّ حمل على القوم ، وجعل يرتجز ويقول :

(١) الأحزاب : ٢٣ .

أرحم إلهي عبدك التّوّابا ولا تؤاخذ هذه فقد أنابا
وفارق الأهلين والأحبابا يرجو بذاك الفوز والشّوابا
وحفّ به من كان معه من الأزد ، فبينما هم في القتال أتاهاهم فرسان ثلاثة ،
وهم : عبد الله بن الخضل الطّائبي ، وكثير بن عمرو المزنيّ ، وسعر بن أبي سعر
الحنفيّ ، وقد أرسلهم سعد بن حذيفة فأخبروا بمسيره من المدائن في سبعين ومائة
من أهل المدائن ، وأخبروا بمسير أهل البصرة مع المثنى بن مخزّمة العبديّ في
ثلاثمائة ، فسرّ الناس بذلك .

فقال عبد الله بن سعد ذلك : لو جاؤنا ونحن أحياء ، فلمّا نظر الرّسل إلى
مصارع إخوانهم ساءهم ذلك واسترجعوا وقاتلوا معهم ، فكان أوّل من استشهد في
ذلك الوقت من الثلاثة كثير بن عمرو المزنيّ ، وطعن الحنفيّ فوق بين القتلى ، ثمّ
برأ بعد ذلك ، وكان الطّائبيّ فارساً شاعراً ، فجعل يقول :

قد علمت ذات القوام الرود أن لست بالواني ولا الرعديد
يوماً ولا بالفرق الحيود

وقاتل قتالاً شديداً ، وطعن فقطع أنفه ، وقاتل عبد الله بن سعد بن نفيل
فاختلف هو وربيعه بن المخارق ضربتين فلم يصنع سيفاهما شيئاً ، واعتنق كلّ
واحد منهم صاحبه فوقعا إلى الأرض ، ثمّ قاما فاضطربا ، وحمل ابن أخ لربيعة على
عبد الله بن سعد فطعنه في ثغرة نحره فقتله ، فحمل عبد الله بن عوف بن الأحمر
على ربيعة فطعنه فصرعه ، ثمّ قام ربيعة فكرّ عليه عبد الله بن عوف في المرّة الثانية
فطعنه أصحاب ربيعة فصرعوه ، ثمّ إنّ أصحابه استنقذوه .

وقال خالد بن سعد بن نفيل : أروني قاتل أخي ، فأرّوه إيّاه ، فحمل عليه
فطعنه بالسيف ، فاعتنقه الآخر فخرّ إلى الأرض ، فحمل أهل الشام فخلّصوه
بكثرتهم وقتلوا خالداً .

رفاعة بن شداد

وبقيت الراية ليس عندها أحد ، فنادوا عبد الله بن وأل فإذا هو يحارب في جانب آخر في عصابة معه ، فحمل رفاعة بن شداد فكشف أهل الشام عنه فأتى وأخذ الراية وقاتل ملياً حتى قطعت يده اليسرى ، ثم استند إلى أصحابه ويده تشخب ، ثم كرّ عليهم وهو يقول :

نفسى فداكم اذكروا الميثاقا وصابروهم واحذروا النفاقا

لا كوفة نبغي ولا عراقا لا بل نريد الموت والعناقا

وفي رواية : ثم قال لأصحابه : من أراد الحياة التي ليس بعدها موت ، والراحة التي ليس بعدها نصب ، والسرور الذي ليس بعده حزن فليتقرب إلى الله بقتال هؤلاء الرواح إلى الجنة وذلك عند العصر ، فحمل هو وأصحابه فقتلوا رجالاً وكشفوهم ، ثم إن أهل الشام تعطفوا عليهم من كل جانب حتى ردّوهم إلى المكان الذي كانوا فيه ، وكان مكانهم لا يؤتى إلا من وجه واحد ، فلما كان المساء تولّى قتالهم أدهم بن محرز الباهلي ، فحمل عليهم في خيله ورجله فوصل إلى ابن وأل وهو يتلو : ﴿ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يرزقون﴾ ، فغاض ذلك أدهم ، فحمل على ابن وأل فضرب يده فأبانها ، ثم تنحّى وقال : إني أظنّك تتمنى أن تكون عند أهلك ؟

قال ابن وأل : بسما ظننت ، والله ما أحبّ أن يدك كانت قد قطعت مكان يدي إلا أن يكون لي من الأجر مثل ما في قطع يدي ، ليعظم وزرك ويعظم أجري ، فغاضه ذلك أيضاً ، فحمل عليه وطعنه ، فقتله وهو مقبل ما يزول .

وكان ابن وأل من الفقهاء العبّاد ، فلما قتل عبد الله بن وأل أتوا إلى رفاعة بن شداد وطلبوا منه أن يأخذ الراية ، فأشار عليهم بالرجوع لما رأى أنّه لا طاقة لهم بأهل الشام ، وقال : لعلّ الله يجمعنا ليوم هو شرّ لهم .

فقال له عبد الله بن عوف بن الأحمر : ليس هذا برأي ، لئن انصرفنا ليتبعونا فلا نسير فرسخاً حتى نقتل عن آخرنا ، وإن نجا منا أحد أخذته العرب يتقرّبون به إليهم فيقتل صبراً ، ولكن هذه الشمس قد قاربت الغروب فنقاتلهم على خيلنا ، فإذا غسق الليل ركبنا خيولنا أوّل الليل وسرنا حتى نصبح ، ونسير على مهل ، ويحمل الرجل صاحبه وجريحه ، ونعرف الجهة التي نتوجّه إليها .

فقال رفاعه : نعم ما رأيت ، وأخذ الراية ، وقاتلهم قتالاً شديداً ، وجعل يرتجز ويقول :

ياربّ إنّي تائب إليك قد اتّكلت سيدي عليك
 قدماً أرجي الخير من يديك فاجعل ثوابي أملي لديك
 ورام أهل الشام استئصالهم قبل الليل فلم يقدرُوا لشدة قتالهم وقوّة بأسهم .

عبدالله بن عزيز الكناني

وتقدّم عبد الله بن عزيز الكناني فقاتل أهل الشام ، ومعه ولده محمد ، وهو صغير ، فنادى بني كنانة من أهل الشام وسلّم ولده إليهم ليوصلوه إلى الكوفة ، فعرضوا عليه الأمان ، فأبى وأخذ ابنه يبكي في أثر أبيه ، وبكى الشاميون رقة له ولابنه .

فقال : يا بنيّ ، لو كان شيء آثر عندي من طاعة ربّي لكنت أنت ، ثمّ اعتزل ذلك الجانب وقاتل حتى قتل .

ولمّا علم كريب بن زيد الحميري ما عزم عليه رفاعه من الرجوع جمع إليه رجالاً من حمير وهمدان ، وقال : عباد الله ، روحوا إلى ربكم ، والله ما في شيء من الدنيا خلف من رضا الله ، وقد بلغني أنّ طائفة منكم يريدون الرجوع ، فأما أنا فوالله لا أوّلِي هذا العدوّ ظهري حتى أردّ مورد إخواني .

فأجابوه وقالوا : رأينا مثل رأيك .

فتقدّم عند المساء في مائة من أصحابه فقاتلهم أشدّ القتال ، فعرض ابن ذي الكلاع الحميري عليه وعلى أصحابه الأمان .

فقال : قد كنّا آمنين في الدنيا ، وإنّما خرجنا نطلب أمان الآخرة ، فقاتلوهم حتى قتلوا .

وتقدّم صخر بن حذيفة بن هلال المزنيّ في ثلاثين من مزينة ، فقال لهم : لا تهابوا الموت في الله ، فإنّه لا يقيكم ، ولا ترجعوا إلى الدنيا التي خرجتم منها إلى الله فإنّها لا تبقى لكم ، ولا تزهّدوا فيما رغبتم فيه من ثواب الله ، فإنّ ما عند الله خير لكم ، ثمّ مضوا فقاتلوا حتى قتلوا .

فلما أمسوا رجع أهل الشام إلى معسكرهم ، ونظر رفاعه إلى كلّ رجل قد عقر به فرسه أو جرح فدفعه إلى قومه ، ثمّ سار بالناس ليلته كلّها ، وجعل لا يمرّ بجسر إلّا قطعه خوفاً أن يلحقهم الطلّب ، وجعل وراءهم أبا الجويريّة العبديّ في سبعين فارساً ، فإذا مرّوا برجل قد سقط حمله أعانوه ، أو وجدوا متاعاً قد سقط قبضوه حتى يوصلوه إلى صاحبه .

وأصبح الحصين وأصحابه فلم يجدوهم ، فتركهم الحصين ولم يبعث أحداً في أثرهم ، فلما ساروا وأصبحوا إذا عبد الله بن غزية في نحو من عشرين رجلاً قد أرادوا الرجوع إلى العدوّ مستقتلين ، فجاء رفاعه وأصحابه وناشدوهم الله أن يفعلوا ، فلم يزلوا يناشدوهم حتى ردّوهم إلّا رجل من مزينة يسمّى عبيدة بن سفيان ، فإنّه انسلّ من بين الناس ورجع بدون أن يعلم به أحد حتى لقي أهل الشام فشدّ عليهم بسيفه يضاربهم حتى عقر فرسه ، فجعل يقاتل راجلاً وهو يقول :

إنّي من الله إلى الله أفّر رضوانك اللّهم أبدي وأسرّ

فقليل له : من أنت ؟

قال : من بني آدم ، لا أحبّ أن أعرفكم ولا أن تعرفوني ، يا مخزّبي البيت الحرام ، فبرز إليه سليمان بن عمرو الأزديّ ، وكان من أشجع الناس ، وحمل كلّ منهما على صاحبه ، وكلاهما أثخن صاحبه وأصابه ، وشدّ الناس عليه من كلّ جانب فقتلوه .

قال الراويّ : فوالله ما رأيت أحداً قطّ هو أشدّ منه .

قرقيسيا

وساروا حتى أتوا قرقيسيا ، فعرض عليهم زفر الاقامة ، فأقاموا ثلاثة أيّام ، فأضافهم وأرسل إليهم الأطباء ، ثمّ زوّدهم وساروا إلى الكوفة .

العون

ثمّ أقبل سعد بن حذيفة بن اليمان في أهل المدائن حتى بلغ هيت ، فأتاه الخبر فيها ، فرجع فلقي المثنى بن مخزّمة العبديّ في أهل البصرة بصندوداء^(١) ، فأخبره الخبر ، فأقاموا حتى أتاهاهم رفاة فاستقبلوه وبكى بعضهم إلى بعض وأقاموا يوماً وليلة ، ثمّ تفرّقوا فسارت كلّ طائفة منهم إلى بلدهم .

وقطع أصحاب ابن زياد رأس المسيّب بن نجبة وسليمان بن صرد ، فبعث بهما ابن زياد إلى مروان بن الحكم ، أو إلى ولده عبد الملك في الشام .

وقال أعشى همدان يذكر الواقعة ، ويرثي من قتل من التّوّابين من قصيدة انتخبنا منها هذه الأبيات :

ألّمّ خيال منك يا أمّ غالب فحييت عنّا من حبيب مجانب
فما أنسى لا أنس انتقالك في الضحى إلينا مع البيض الحسان الخراعب

(١) صندوداء : موضع بالشام . « القاموس المحيط » .

ترأت لنا هيفاء مهضومة الحشا
فتلك الهوى وهي الجوى لي والمنى
ولا يبعد الله الشباب وذكره
فإنّي وإن لم أنسهنّ لذاكر
توسّل بالتقوى إلى الله صادقاً
وخلّى عن الدنيا فلم يلتبس بها
تخلّى عن الدنيا وقال أطرحتها
وما أنا فيما يكره الناس ففقه
توجّه من دون الثويّة سائراً
بقوم هم أهل النقيّة والنهى
مضوا تاركي رأي ابن طلحة حسبة
فساروا وهم ما بين ملتمس التقى
فلاقوا بعين الوردة الجيش فاصلاً
يمانيّة تذري الأكفّ وتارة
فجاءهم جمع من الشام بعده
فما برحوا حتى أبيدت سراتهم
وغودر أهل الصبر صرعى فأصبحوا
وأضحى الخزاعيّ الرئيس^(١) مجدّلاً
ورأس بني شمش^(٢) وفارس قومه

لطيفة طيّ الكشح ربّا الحقائق
فأحبب بها من خلّة لم تصاقب
وحبّ تصافي المعصرات الكواعب
رزئة مخبات كريم المناصب
وتقوى الإله خير تكساب كاسب
وتساب إلى الله الرفيع المراتب
فلست إليها ما حييت بآتب
ويسعى له الساعون فيها براغب
إلى ابن زياد في الجموع الكتائب
مصاليّت أنجاد سراة مناجب
ولم يستجيبوا للأمير المخاطب
وآخر ممّا جر بالأمس تائب
إليهم فحيّوهم ببيض قواضب
بخيل عتاق مقربات سلاهب
جموع كموج البحر من كلّ جانب
فلم ينج منهم ثمّ غير عصائب
تعاورهم ربح الصبا والجنائب
كأن لم يقاتل مرّة ويحارب
شنوأة^(٣) والتمي^(٤) هادي الكتائب

(١) هو سليمان بن سرد رحمه الله تعالى .

(٢) هو المسيّب بن نجبة الفزاري .

(٣) هو عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي أزد شنوأة .

(٤) هو عبد الله بن وأل بن تيم اللات بن ثعلبة .

وعمر بن بشر والوليد^(١) وخالد^(٢) وزيد بن بكر والحليس بن غالب
وضارب من همدان كلّ مشيع إذا شدّ لم ينكل كريم المكاسب
ومن كلّ قوم قد أصيب زعيمهم وذو حسب في ذروة المجد ثاقب
أبوا غير ضرب يفلق الهام وقعه وطعن بأطراف الأسنة صائب
فيا خير جيش للعراق وأهله سقيتم روايا كلّ أسحم ساكب
فلا تبعدنّ فرساننا وحماتنا إذا البيض أبدت عن خدام الكواعب
فإن تقتلوا فالقتل أكرم ميتة وكلّ فتى يوماً لإحدى النوائب

لماذا اخفقت حركة التوابين ؟

- ١ - عدم التكافؤ بين قوات الطرفين .
- ٢ - إن المفهوم العام الذي انطلقت منه حركة التوابين هو الشعور بالذنب ومحاولة التكفير عنه ، ولا يمكن غسل هذا الذنب إلا بالقتل أو القتل فيه . لذلك يمكن ان نعتبر هذه الحركة حركة انتحارية مما ادى الى انسحاب الكثير ممن سجلوا اسماءهم في ديوان سليمان بن صرد .
- ٣ - كانت مجرد حركة تكفيرية التزمت بهدف اساسي هو التوبة ، وهي لم تتضمن برنامج إصلاح سياسي كان ام إجتماعي .
- ٤ - التكتلات الشيعية في الكوفة كانت ثقيلة على الزبيريين والأمويين ، والفريقان كانا يحذران من اتساع قوتها ونفوذها ، فليس من البعيد ان يكون لهم ضلع في تحذير الناس من الانضمام الى تلك الحركة .
- ٥ - عدم التخطيط والاستعداد الذي يتناسب مع ضخامة المعركة وشراسة العدو .

(١) هو الوليد بن عصور الكناني .

(٢) هو خالد بن سعد بن نفيل أخو عبد الله .

٦ - خطوط الإمداد أصبحت بعيدة عن ارض المعركة ، حيث أصبحت المسافة بين الكوفة وعين الوردية التي شهدت المعارك بعيدة جداً ، ولو كانت الكوفة قريبة من ساحة المعركة لربما اختلفت الصورة ، حيث كان بالامكان التحاق متطوعين جدد ، علاوة على المؤن والسلاح ومداواة الجرحى وغير ذلك .

يقول المرحوم هاشم معروف الحسني في حديثه عن بداية حركة التّوّابين :
 «لقد تنفس الشيعة بهلاك يزيد بن معاوية ومواقف ابنه معاوية من الخلافة وإدائته الصريحة الفاضحة لاييه وجده وبكائه على مصيرهما السيء جزاء لما اقترفته ايديهما كما أكدت ذلك جميع المصادر التي وصفت حاله عندما وقف فوق منبر الشام ليعلم بأن الخلافة ليست له ولا لاسرته. وكان العراق الذي يمثل الشيعة غالبية سكانه بعد ان هزته مجزرة كربلاء قد مال الى ابن الزبير بصفته اقوى المعارضين لحكم الامويين والتجأ ابن زياد الى البصرة لكثرة من فيها ممن بقي ملتزماً ببيعة الامويين، ولكن موت يزيد وخليفته معاوية كانا صدمة عنيفة له فخفت قبضته ولانت سطوته وأصبح الموقف فيها مضطرباً كغيرها من الاقطار ، ومع ذلك فقد ظل فيها اميراً لفترة قصيرة ثم أخذ سلطانه في الضعف فكان يأمر بالشيء ولا يقضى ويرى الرأي فيرد عليه ويأمر بحبس المخطيء فيحال بين أعوانه وبينه، وبلغ من استخفافهم به أنه كان إذا صعد المنبر يحصبونه بالحجارة ويسبّونه^(١) ، ولم يجمع رأي أهل البصرة إلا على نبذ طاعة ابن الزبير، ورأت عامة الناس ان في بقاء حكم ابن زياد الضعيف ما يهددهم بخطر الخوارج .

وقصدت الشيعة الى الأحنف بن قيس لينهض بهم فأبى عليهم ، فقالوا: انت سيدنا ، فقال: لست بسيدكم فان سيدكم الشيطان ، وكان ابن زياد قد عيّن عمر بن سعد أميراً على الكوفة ، فوقفت الكوفة في الطريق وخرج نساؤها باكيات نائحات

(١) الامامة والسياسة لابن قتيبة ٢ : ١٦ .

يندبن الحسين ومن قتل معه في كربلاء فألهب بكأؤهن شعور أهل الكوفة فأسرعوا الى طرده من القصر وقالوا بلسان واحد: لا حاجة لنا في بني أمية ولا في اماره ابن مرجانة واختاروا أميراً على الكوفة عامر بن مسعود وكتبوا بذلك الى ابن الزبير فأقرهم على اختيارهم وظل ابن مسعود أميراً عليها حتى عزله ابن الزبير وولى مكانه عبد الله بن يزيد.

وكانت الحركة الزبيرية تتلمس قيام اي حركة تهدف الى مناوأة الامويين، وقد شاء الله لها ان تجد أمنيته في حركة التوابين وكان الشيعة قد أحسوا بالخطأ الفادح بخذلانهم الحسين عليه السلام ورأوا ان هذا الخذلان لا يغسله إلا قتل من قتله أو القتل في سبيله وأكثروا من البكاء على الحسين وسمّوا أنفسهم التوابين، وكان الندم قد سيطر عليهم منذ دخل موكب الرؤوس والسبايا الى الكوفة وشاهدوا رأس الحسين ورؤوس اخوته وأنصاره على الرماح وزينب وأخواتها ناديات صائحات وزين العابدين عليه السلام مكبلاً بالحديد وصمّموا يومذاك على الثورة والانتقام ممّن قتله وساعد عليه، ولما أحس ابن زياد بذلك وقف على منبر الكوفة يتحداهم ويصف الحسين بصفات لا تليق إلا به وبمن استعمله وسلّطه على المسلمين، فوقف عبدالله بن عفيف الأسدي من بين تلك الجموع وقال له: الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك ومن استعملك وأبوه يا عدو الله، تقتلون النبيين وأبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين، فأمر ابن مرجانة باعتقاله وقلته»^(١).

ويضيف الحسنی واصفاً نهاية هذه الحركة الثورية ضد الحكم الأموي :

«..وأسدل الستار على هذا الفصل من جهاد الشيعة، وكان من المفروض على قادة الحركة أن يعملوا برأي عبد الله بن سعيد بن نفيل الذي أشار عليهم بملاحقة قتلة الحسين في داخل الكوفة الذين باشروا معركة الطف ومارسوا جميع فصولها،

(١) الانتفاضات الشيعية: ٤٣١ - ٤٣٣.

ولو فعلوا ذلك وانتظروا الوقت المناسب لمهاجمة اهل الشام لكان أجدى لهم من الخروج بهذا العدد اليسير لمقابلة جيش مجهّز بكل ما تحتاجه الحرب من اجهزة وأعتدة وأموال ووراءه دولة كانت على استعداد لأن تمده بعشرات الالوف من المقاتلين وبكل أنواع الاعتدة .

لقد كانت حركة التوابين كما يبدو من ظروفها وملابساتها حركة عاطفية أدت بهم الى الانتحار بدافع التكفير عن تخاذلهم ووقوفهم مكتوفي الأيدي من تلك المجزرة الرهيبة فى كربلاء على يد أهل الكوفة أنفسهم، ومما يرجح ان التوابين لم يضعوا في حسابهم غير الموت لاعتقادهم بأنه هو الطريق الوحيد للتكفير عن موقفهم المتخاذل من أهل بيت نبيهم ﷺ هو ذلك العدد القليل الذي استجاب لهم من أصل ١٦٠٠٠ كانوا قد أظهروا استعدادهم للانضمام إليهم، ذلك لأن الأعمال الانتحارية لا يقدم عليها إلا القليلون في كل زمان ومكان.

وكما يمكن أن يعزى فشل تلك الحركة الى عدم التخطيط والاستعداد الذي يتناسب مع ضخامة المعركة وشراسة العدو بالاضافة الى تغلب النواحي العاطفية على قادتها ومديرها مما جعلهم يجازفون بحياتهم وحياة أنصارهم ويقاثلون بأربعة آلاف مقاتل ثلاثين ألفاً ووراءهم عشرات الالوف من جند الشام، ويجب أن لا ننسى كذلك ان التكتلات الشيعية كانت ثقيلة على الزبيريين وأنصار الامويين في داخل الكوفة، والفريقان كانا يحاذران من قوتها واتساعها، فليس من البعيد أن يكون لهما ضلع في تخدير الجماهير عن الانضمام لتلك الحركة لأن الزبيريين لا يرون الشيعة أقل خطراً على ابن الزبير من الأمويين ويعلمون بأنهم لا يرون للعلويين بديلاً وأنصار الأمويين في الكوفة كانوا يرون نجاح حركة التوابين من أشد الاخطار عليهم لانهم اشتركوا مع الامويين فى جورهم ومطاردتهم للشيعة منذ أن تأسست دولة الامويين وحتى مجزرة كربلاء التي قامت على سواعد أنصارهم من أهل الكوفة، فليس بغريب ولا ببعيد على أنصار الأمويين والزبيريين في العراق

أن يتغلغلوا في أوساط الشيعة لبعث روح التخاذل وتحذيرهم عن المضي فيما كان يخطط له قادة التوابين.

ولا أحسب أنّ للمختار الثقفي صلة فيما انتهى إليه مصير تلك الحركة ولا في بعث روح التخاذل بين أنصارها كما يرى بعض الباحثين من العرب والمستشرقين...»^(١).

الدروس المستنبطة

- ١ - بروز الشيعة في الكوفة كقوة لا يستهان بها .
- ٢ - عمّقت روح التحدي والإقدام لدى الشيعة .
- ٣ - اشاعة الذعر والخوف في اوساط المتهمين بقتل الامام الحسين عليه السلام .
- ٤ - ازدادت قناعة الزبيريين والأمويين بان جذوة الشيعة لن تنتهي بقتل الامام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه ، وإنهم سيواجهون في المستقبل ثورات ومعارك شرسة سوف تقضّ مضاجعهم وتهدهم بالخطر .

(١) الانتفاضات الشيعية : ٤٣٨ - ٤٣٩ .

الفصل الثاني

قيام المختار

ولما دعا المختار للثأر اقبلت كتائب من أشيع آل محمد
وقد لبسوا فوق الدروع قلوبهم وخاضوا بحار الموت في كل مشهد
هم نصروا سبط النبي ورهطه ودانوا بأخذ الثأر من كل ملحد
ففازوا بجنات النعيم وطبيها وذلك خيرٌ من لجين وعسجد^(١)

نبذة عن المختار الثقفي

مولده ونشأته

هو المختار بن ابي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عوف بن عبيدة بن عوف بن
ثقيف الثقفي^(٢)، ولد عام الهجرة بالطائف ، وكُنِيَ ابو اسحاق احد اولاده ، وهو من

(١) ذوب النضار : ١٠٤ .

(٢) ذكر ابن سعد عن الواقدي بأسانيده ، أنَّ أبا عبيدة والد المختار قدم من الطائف في زمن
عمر ، فندب الناس الى العراق فخرج ابو عبيدة فاستشهد يوم الجسر . الاصابة في تمييز
الصحابه : ٢٧٧ .

وذكر ابن عبد البر قال : أنَّ أبا عبيد هو والد صفية بنت ابو عبيد ، وصاحب يوم الجسر
المعروف بجسر ابي عبيد ، وذلك إنه لما ولي عمر بن الخطاب الخلافة عزل خالد بن الوليد
عن العراق والأعنة وولى ابا عبيدة بن مسعود الثقفي وذلك سنة ١٣ هـ ، فلقي أبا عبيد جابان
بين الحيرة والقادسية ففض جمعه وقتل أصحابه واسره ، ففدى جابان نفسه ، ثم جمع يز دجر
جموعاً عظيمة ووجههم إلى أبي عبيدة ، فالتقوا بعد ان عبر ابو عبيدة الجسر فاقتتلوا قتالاً =

الأحلاف ، وإن مسعود جده عظيم القريتين . فولد سعداً وأبا عبيدة ، فكان سعد عامل الامام علي عليه السلام على المدائن ، وكان له عقب بالكوفة ، واما ابو عبيد والد المختار فكان يتنوق في طلب النساء ، فذكر له نساء قومه فأبى ان يتزوج منهن ، فأتاه آت في منامه فقال له : تزوج دومة الحسنة الحومة فما تسمع فيها للائم لومة ، فأخبر اهله فقالوا له : قد أمرت فتزوج دومة بنت وهب بن عمر بن متعب فلما حملت بالمختار قالت : رايت في النوم قائلاً يقول^(١) :

ابشري بالولد اشبه شيء بالأسد
إذا الرجال في كبد تقاتلوا على بلد
كان له حظ الأسد

فولدت له المختار ، وانجبت له جبراً وأسيداً وصفية وأبا جبر وأبا الحكم وأبا أمية .

وحضر مع أبيه معركة قس الناطف، وهو ابن ثلاث عشر سنة وكان يتفقت للقتال فيمنعه سعد بن مسعود عمه .

وكان يلقب بكيسان ، وسببه كما يحدث به الأصمغ بن نباتة : انّ أباه جاء به الى علي عليه السلام وهو صغير فأجلسه على فخذه وقال له وهو يمسخ على رأسه : يا كيس يا كيس^(٢) .

كما إنه يروي عن الامام علي عليه السلام إنه قال : كما إنّ بعض بني اسرائيل اطاعوا

= شديداً ، وقتل ابو عبيدة في آخر شهر رمضان واستشهد يومئذ من المسلمين الف وثلاث مائة . الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤ : ١٧٠٩

(١) بحار الأنوار ٤٥ : ٣٥٠

(٢) رجال الكشي : ١٢٧ .

فأكرموا وبعضهم عصوا فعذبوا ، فكذلك تكونون انتم ، قالوا: فمن العصاة يا امير المؤمنين ؟

قال : الذين أمروا بتعظيمنا أهل البيت وتعظيم حقوقنا ، فخانوا وخالفوا ذلك وجحدوا حقوقنا واستخفوا بها ، وقتلوا أولادنا أولاد رسول الله ﷺ ، الذين أمروا بإكرامهم ومحبتهم ، قالوا : يا امير المؤمنين إن ذلك لكائن ؟ قال : بلى خبراً حقاً وامراً كائناً سيقتلون ولدي الحسن والحسين .

ثم قال امير المؤمنين عليه السلام : وسيصيب الذين ظلموا رجزاً في الدنيا بسيفوف من يسلط الله عليهم للانتقام بما كانوا يفسقون كما أصاب بني اسرائيل الرجز ، قيل : ومن هو ؟ قال : غلام من ثقيف يقال له المختار بن أبي عبيد^(١) .

كانت هذه شهادة من إمام معصوم بحق المختار فهي بشارة وكشف عن مغيبات مستقبله ، وكان يعتقد ان لذلك مغزى في حياته فكان يحدث بها كل من يلتقي به :

١ - إن المختار لقي معبد الجدلي (جديلة قيس) فقال له : يا معبد ان اهل الكتب ذكروا انهم يجدون رجلاً من ثقيف يقتل الجبارين وينصر المظلومين ويأخذ بثأر المستضعفين ، ووصفوا صفته فلم يذكروا صفة رجل إلا وهي في غير خصلتين ، إنه شاب وقد جاوزت الستين وإنه رديء البصر وأنا أبصر من عقاب .

فقال معبد : أما السن فإن ابن الستين والسبعين عند أهل ذلك الزمان شاب ، وأما بصرك فما تدري ما يحدث الله فيه ولعله يكمل ، قال : عسى ذلك .

٢ - إن ابن زياد حبس المختار ، وميثم التمار ، وعبدالله بن الحارث بن نوفل

ابن الحارث بن عبدالمطلب ، فطلب عبدالله حديدة يزيل بها شعر بدنه وقال : لا آمن من ابن زياد القتل فأكون قد القيت ما على بدني من الشعر ، فقال المختار : والله لا يقتلك ولا يقتلني ولا يأتي عليك إلا القليل فتلي البصرة . وميثم التمار يسمعهما فقال للمختار : وانت تخرج نائراً بدم الحسين فتقتل هذا الذي يريد قتلنا وتطأ بقدميك على وجنتيه ، فكان الأمر كما قال ولي عبدالله البصرة وخرج المختار طالباً بثأر الحسين عليه السلام .

٣- سائر المختار المغيرة بن شعبة^(١) ايام ولايته على الكوفة من قبل معاوية ، فمر بالسوق فالتفت المغيرة يخاطب المختار ويقول : يا لها غارة ويا لها جمعا ، اني لأعلم لو نعق لها ولا ناعق لها لاتبعوه ، ولا سيما الأعاجم الذين إذا القي اليهم الشيء قبلوه .

فقال له المختار : وما هي يا عم ؟ قال : يستأدون آل محمد عليهم السلام ، فأعضى عليها المختار^(٢) ، ولم تزل هذه الكلمة تردد في نفسه حتى اصاب لها موقعا ، فأنه بعد قتل الحسين عليه السلام اخذ ينشر فضل آل محمد يتوجع لما اصابهم (وكان على يقين من تحقق تلك البشائر ، معتقداً إن المولى سبحانه وتعالى سيوليه تلك المكرمة مؤيداً بنصره ، وعندما يرفرف على راسه طائر الظفر ويخفق امامه علم الفتح)^(٣) .

(١) وفي سنة ٤٩ هـ كان الطاعون بالكوفة فهرب منها المغيرة بن شعبة وكان واليها (لمعاوية بن ابي سفيان) ثم عاد اليها فظعن فمات فمر اعرابي عليه وهو يدفن فقال :

ارسم داراً للمغيرة تعرفُ عليها دويّ الأتس والجن تعزفُ
فأن كنت قد لاقيت هامان بعدنا وفرعون فأعلم ان ذي العرش منصفُ

مروج الذهب : ٣ : ٢٤

(٢) بحار الأنوار : ٤٥ : ٣٥٢ .

(٣) تنزيه المختار : ٦ .

لذلك نجده يصرح معلناً بأنه هو الذي يقتل المحلين والجبارين ، وينتقم من اعداء الدين اعداء رسول الله ﷺ ، وبعد استشهاده الامام الحسين عليه السلام يصرح بأنه هو الذي يقتل قتلة الحسين عليه السلام ، وكان متيقناً واثقاً من نفسه .

وقد نشأ المختار شريفاً في نفسه عالي الهمة كريماً ، مقداماً ، شجاعاً لا يتقي شيئاً ، وتعاطى معالي الأمور . وكان ذا عقل وافر وجواب حاضر ، وظلال مأثورة ، نفس بالسخاء موفورة ، وفطرة تدرك الأشياء بفراستها ، وهمة تعلو على الفراقد بنفاستها ، وحدث مصيب ، وكف في الحروب مجيب ، ومارس التجارب وحنكته ، ولابس الخطوب فهذبته^(١) ، وكان ذا عقل وافر ، ورأي مصيب ، قوي النفس ، شديداً على الأعداء ، وبه خبت نار وجد سيد المرسلين ، وقرّة عين زين العابدين ، وقد نهض نهوض الملك المطاع ، ومدّ الى الأعداء يداً طويلة الباع ، فهشم عظاماً تغذت بالفجور ، وقطع أعضاء نشأت على الخمر ، حاز الى فضيلة لم يرق الى شعاف فضلها عربي ولا اعجمي ، واحرز منقبة لم يسبقه اليها هاشمي ، ولا غرابة في ذلك لمن تفرع من تلك الشجرة «العظيمة في القريتين»^(٢) وتربى كبيراً من كبراء المسلمين .

انقطاعه الى بني هاشم

انقطع الى بني هاشم ولازم اهل البيت فاستفاد منهم ادباً جمّاً وأخلاقاً فاضلة ، وولى الامام علي عليه السلام عمه المدائن عاملاً والمختار معه ، وعندما ولى

(١) بحار الأنوار ٤٥ : ٣٤٩

(٢) عن علي بن ابراهيم ، عن أبي عمير ، عن أبي سفيان ، عن أبي عبدالله عليه السلام : «إنه عروة بن مسعود الثقفي ، وكان عاقلاً لبياً ، وهو الذي انزل الله تعالى فيه «وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجلٍ من القريتين عظيم» . البرهان في تفسير القرآن «سورة الزخرف» : ٨٥٧ .

المغيرة بن شعبة الكوفة من قبل معاوية انقطع المختار إلى محمد بن الحنفية وكان يجالسه ويأخذ عنه الأحاديث ، فصار محباً وموالياً ونصيراً لأهل البيت عليهم السلام ، فلما عاد إلى الكوفة جعل ينشر فضل أهل البيت ويتكلم بمناقب علي والحسن والحسين عليهم السلام ويرى أنهم أحق بالأمر من كل أحد بعد رسول الله ، ويتوجع لهم مما نزل بهم .

المختار ومسلم بن عقيل

لما بعث الامام الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل إلى الكوفة ، نزل دار المختار بن ابي عبيد ، فبايعه المختار فيمن بايعه من أهل الكوفة وناصح له ودعا إليه من اطاعه حتى خرج مسلم بن عقيل والمختار في قرية له تدعى لققاً^(١) ، فجاءه خبر ابن عقيل عند الظهر إنه قد خرج بالكوفة ، ولم يكن خروجه يوم خرج علي ميعاد من اصحابه ، إنما خرج حين قيل له إن هانيء بن عروة المرادي قد ضرب وحُبس^(٢) . فجاء بمواليه إلى الكوفة وهو يحمل راية خضراء ومعه عبدالله بن الحارث رافعاً لواءاً احمر^(٣) ، فانتهى إلى باب الفيل ووضح لديهما قتل مسلم وهانيء ، وقد عقد عبيدالله بن زياد لعمر بن حريث راية على جميع الناس ، وامر ان يقصد لهم في المسجد ، فلما كان المختار واقفاً على باب الفيل مرَّ به هانيء بن ابي حية الوادعي ، فقال للمختار ما وقوفك هاهنا؟! لا انت مع الناس ولا انت في رحلك ، قال : اصبح رأيي مرتجاً لعظم خطيئتكُم !! فقال له : اظنك والله قاتل نفسك . فلما علم به عمرو بن حريث ارسل في طلبه وقال له : ان لا تجعل على نفسك سبيلاً ،

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٥٦٩ .

(٢) الكامل في التاريخ ٤ : ٣٠ .

(٣) تاريخ الطبري ٥ : ٥٧٠ .

فوثب اليه زائدة بن قدامة بن مسعود ، فقال له : يأتيك عليّ إنه آمن ، فقال : أمّا مني فهو آمن ، وان رُقي الى الأمير عبيدالله بن زياد شيء من أمره اقمْتُ له بمحضر الشهادة وشفعت له أحسن الشفاعة .

فخرج زائدة الى المختار اخبره بمقالة ابن حريث وناشده الله ان لا يجعل عليّ نفسه سبيلا حتى اقنعه وجاء به الى ابن حريث ، وجلس تحت رايته حتى وشي به عمارة بن عقبة بن ابي معيط الى عبيدالله بن زياد ، فذكر له ما كان من امر المختار ، فدعاه عبيدالله بن زياد وقال له : (انت المقبل في الجموع لنصر ابن عقيل ، فقال له : لم افعل ولكن اقبلت ونزلت تحت راية عمرو بن حريث ، وبثُ معه واصبحت فقال له عمرو: صدق والله اصلحك الله، فرفع عبيدالله القضيبي فاعترض به وجه المختار فخبط به عينه فشرها ، وقال : والله لولا شهادة عمرو لك لضربت عنقك ، انطلقوا به الى السجن فحبس فلم يزل في السجن حتى قتل الحسين عليه السلام ^(١) .

الرجوع الى الكوفة

لقد اتخذ المختار قراراً بمفارقة ابن الزبير والرجوع الى الكوفة بعدما اصبحا ضدان لا يلتقيان سواءً بالعقيدة او بالطموح السياسي ، وقد وجد المختار ان ابن الزبير شخصية لا تختلف عن سابقتها من رموز بني امية ، وقد وجد فيه كثير من نقاط الالتقاء مع آل امية لا سيما بعداوتهما المشتركة لآل الرسول عليه السلام لكن الاختلاف فيما بينهما ان بنو امية يصدرون اوامرهم بالقتل والتعذيب وهم في احضان الغايات والجواري ومن بين اقداح الخمرة ، أمّا الثاني فيصدر الأوامر نفسها ولكن من جوار الكعبة وعندما يكون متعلقاً بأستارها ، لذلك اصبح المختار مقتنعاً بعدم جدوى البقاء والاستمرار مع ابن الزبير فقرر الرحيل والعودة الى الكوفة وفي

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٥٧١ .

اعتقاده لا تزال هناك بارقة أمل في استقطاب الشيعة بكل فصائلهم وتعبئتهم لخوض معركة الانتقام للحسين واهل بيته ، لا سيما وان غياب عدد من الشخصيات القيادية ادى الى فراغ في الزعامة القادرة على تسجيل مواقف سياسية ذات اهمية .

فلما وصل الى القادسية عدل عنها الى كربلاء الثورة .. كربلاء الدم ، ثم اغتسل ولبس ثياب الزيارة ، حتى إذا دنا من القبر انكب عليه معتقاً له وباكياً مجدداً له عهد الوفاء والانتقام وقتل من قتلهم وسفك دماءهم فقال : (يا سيدي آليت بجذك المصطفى ، وابيك المرتضى ، وامك الزهراء ، واخيك المجتبى ، ومن قتل من اهل بيتك وشيعتك في كربلاء ، لا اكلت اطيب الطعام ، ولا شربت لذيذ الشراب ، ولا نمت على وطىء المهاد وخلعت عن جسدي هذه الأبراد ، حتى انتقم لك ممن قتلك او اقتل كما قتلت فقبح الله العيش بعدك)^(١). ثم ودّع القبر وسار يريد الكوفة فدخلها نهاراً ، فجعل يمر بمجالس القوم فيسلم ويقول : (ابشروا بالفرج ، فقد جئتمكم بما تحبون فأنا المسلط على الفاسقين ، والطالب بدماء الطاهرين).

ثم جاء الى المسجد الجامع وصلى فيه ركعتين والناس يستشرفونه ويقولون : (هذا المختار وماقدم والله إلا لأمر عظيم)^(٢) ، ثم جلس وصلى الظهر وعليه ثياب رثة . لقد توسمت جماعة الشيعة بالمختار خيراً والتي كانت لا تزال تتفجر بالنقمة والغضب ، وهي تقوم بممارسة نشاطات وتحركات مختلفة للتعبير عن الندامة والشعور بالاثم لا سيما حركة التوايين بزعامة سليمان بن صرد الخزاعي ، وعلى الرغم من ذلك كانت الشيعة لا تزال ممزقة وتعاني من فراغ القيادة السياسية ، فليس من الغريب ان تتشرب اليه الأعناق ويشار له بالبنان ، وهو يصرح مرة تلو الأخرى بأن بشائر النصر قريبة ، وإن ظلال الانتقام ستخيم على رؤوس القتلة والمجرمين ،

(١) مقتل الحسين ٢ : ١٨٧ .

(٢) مقتل الحسين ٢ : ١٨٦ .

فمر على حلقة همدان وعليه ثياب السفر فقال : (ابشروا فأني قدمت عليكم بما يسركم)^(١) ، ومضى حتى نزل داره .

اختلاف الشيعة على المختار

حاول المختار استقطاب الشيعة عن طريق شعار الثأر للحسين ، وهو نفس الشعار الذي رفعه التوابون وتبعته الشيعة في الكوفة من اجل ذلك . لكن المختار اختلف عنهم بأنه ذهب الى ابعد من الانتقام والتكفير عن الذنب بل الى السعي لاستلام مقاليد الحكم ، هو امر لم يسع وراءه التوابون .

ولكن محاولات المختار لاستدراج شيعة الكوفة تحت قيادته لم تلاق ما كان يتوقع من نجاح ، لأن فئة قليلة استهوتها شخصية المختار واقتنعت بدعوته في بادئ الأمر ، بينما ظلت الأغلبية على تأييدها لابن صُرد .

وقد حاول ان يطرح برنامج سياسي لكسب تأييد اكثر من الشيعة والذي يختلف عن برنامج سليمان بن صُرد . (إن سليمان ليس له بصيرة بالحروب ، ولا تجربة بالأمور ، وإنما يريد ان يخرجكم فيقتلكم ويقتل نفسه ، وأنا اعمل على مثال قد مثل لي ، وامر قد بين لي فيه عز وليكم وقتل عدوكم ، وشفاء صدوركم ، فاسمعوا قولي ، واطيعوا امري ثم ابشروا وتباشروا فاني لكم بكل ما تأمرون خير زعيم)^(٢) .

فقالوا له : (انت موضع ذلك واهله غير ان الناس قد بايعوا سلمان بن صرد وهو شيخ الشيعة اليوم فلا تعجل في امرك) فسكت المختار وجعل ينتظر ما يكون من امر سليمان^(٣) .

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٥٧٩ .

(٢) تاريخ الطبري ٥ : ٥٨٠ .

(٣) بحار الأنوار ٤٥ : ٣٥٧ .

المختار يودع السجن مرّة أخرى

اجتمع لابن صرد يومئذ أمره وهو يريد الخروج والمختار لا يريد ان يتحرك ولا ان يهيج امرأ حتى ينظر الى ما يصير اليه من امر سليمان ، لكن السلطة الزيرية في الكوفة كثرت مخاوفها من تحركات المختار واختلاف الناس اليه ، حتى ان زبانية السلطة التي انتقل ولاؤها من النظام الأموي الى النظام الزيري اصبح وجود المختار عليهم ثقيلاً ، لا سيما المتورطين في قتل الإمام الحسين عليه السلام .

فلما خرج سليمان بن صُرد واصحابه ومضى نحو الجزيرة قال عمر بن سعد ، وشبث بن ربعي ، ويزيد بن الحارث بن رويم ، لعبدالله بن يزيد الخطمي ، والي الكوفة من قبل عبدالله بن الزبير والي إبراهيم بن طلحة مسؤول الخراج في الكوفة : (إن المختار اشد عليكم من سليمان بن صُرد ، ان سليمان إنما خرج يريد ان يقاتل عدوكم ويذلهم لكم وقد خرج من بلادكم ، وان المختار إنما يريد ان يشب عليكم في مصركم فسيروا اليه فأوثقوه بالحديد وخذلوه في السجن ، حتى يستقيم امر الناس ، فخرجوا اليه فما شعر حتى احاطوا بداره واستخرجوه)^(١) فلما رأى جماعتهم قال لهم : ما بالكم فوالله بعدما ظفرت أكفكم .

وكان إبراهيم بن محمد بن طلحة اشد عليه واقسى ، وقد طلب من عبدالله بن يزيد قائلاً له : (شده كتافاً ومشيه حافياً ، فقال عبدالله بن يزيد : سبحان الله ما كنت لأمشيه ولا لأحفيه ولا كنت لأفعل هذا برجل لم يظهر لنا عداوة ولا حرباً وإنما اخذناه على الظن ، فقال له إبراهيم بن محمد : ما انت وما يبلغنا عنك يا ابن ابي عبيد ؟ فقال : ما الذي بلغك عني إلا باطل ، واعوذ بالله من غش كغش ابيك وجدك !

فقال إبراهيم لعبدالله بن يزيد : ألا تشد عليه القيود ؟ فقال : كفى له بالسجن قيداً^(١).

وهكذا انتهى امر المختار سجيناً في الكوفة وهو ينظر الى ما تؤول اليه حركة سليمان وإنه كان يتوقع لها الفشل حتى تخلو له الساحة ليتزعم حركة الشيعة في الكوفة ، فهو لا يتورع ان يرّد على مسامع زائريه وهو في السجن ، إنه لن يتخلى عما يسعى اليه وجاء من اجله ، او يتوقف في المضي في حملته الانتقامية في معاقبة المسؤولين عن قتل الامام الحسين عليه السلام اينما كانوا وفي اي ارض ذهبوا (أما ورب البحار ، والنخيل والاشجار ، والمهامة والقفار ، والملائكة الأبرار ، والمصطفين الأخيار ، لأقتلن كل جبار بكل لدن خطّار ، ومهند بتّار ، في جموع من الأنصار ، ليس بميل ولا اغمار ، ولا بُعزل أشرار ، حتى إذا اقامت عمود الدين ، ورابت صدع المسلمين ، وادركت ثأر النبيين ، لم يكبر عليّ زوال الدنيا ، ولم احفل بالموت إذا أتى^(٢)).

وعندما تابعت بقايا التوابين رحلة العودة الى الكوفة ، وكانت اخبار معاركهم الانتحارية والبطولات الخارقة التي سجلت في عين الورد قد سبقتهم الى الكوفة ، فهزتهم إعجاباً كما إن البعض آلمه ان تنهاوى هذه النخبة وتضيع جهودها هباءً في حرب غير متكافئة ، وعند وصولهم اتصل بهم المختار معزياً ومشجعاً ومشيداً بالدور البطولي الذي سطره التوابون في مسيرتهم النضالية ومبشراً بالنصر القريب ومعهداً على إكمال المسيرة التي بداها سليمان واصحابه : (اما بعد فإن الله عظم لكم الأجر واحبط عنكم الوزر بمفارقة القاسطين ، وجهاد المحلين ، إنكم لم تنفقوا نفقة ولم تقطعوا عقبة ولم تخطوا خطوة إلا رفع الله لكم بها الأجر وكتب لكم بها

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٥٨١ .

(٢) بحار الأنوار ٤٥ : ٣٥٧ .

حسنة إلى ما لا يحصيه الله من التضعيف ، فأبشروا فاني لو قد خرجت عليكم قد جرّدت فيما بين المشرق والمغرب في عدوكم السيف بإذن الله فجعلتهم بإذن الله ركاباً وقتلتهم فذاً وتوأمأ ، فرحّب الله بمن قارب منكم واهتدى ، ولا يبعد الله إلا من عصي وأبى ، والسلام يا اهل الهدى^(١).

فأتى بالكتاب رفاعه بن شدّاد والمثنى بن مخربة العبدى وسعد بن حذيفة بن اليمان ويزيد بن انس واحمر بن شميّط الأحمسي وعبدالله بن شداد البجلي وعبدالله ابن كامل ، فقرأ عليهم الكتاب فبعثوا إليه عبدالله بن كامل وقالوا له : قل له قد قرأنا الكتاب ونحن حيث يسرك فأن شئت نأتيك حتى نخرجك فعلنا ، فأتاه فأخبره بما أرسل إليه به فسر باجتماع الشيعة له ، وقال لهم : لا تريدوا هذا فأنى اخرج في أيامي هذه^(٢).

اطلاق سراح المختار

كان المختار قد بعث إلى عبدالله بن عمر وهو في الحبس : (اما بعد فاني حبست مظلوماً وظنّ بي الولاة ظنوناً كاذبة ، فأكتب فيّ رحمك الله إلى هذين الظالمين وهما عبدالله بن يزيد وابراهيم بن محمد كتاباً ، عسى الله ان يخلصني من ايديهما بلطفك ومنك والسلام)^(٣).

فكتب اليهما ابن عمر : (اما بعد فقد علمتما الذي بيني وبين المختار من الصهر والذي بيني وبينكما من الود فأقسمت عليكما لما خليتما سبيله حين تتظران

(١) تاريخ الطبري ٦ : ٧.

(٢) تاريخ الطبري ٦ : ٨.

(٣) بحار الأنوار ٤٥ : ٣٦٣.

في كتابي هذا والسلام عليكما ورحمة الله وبركاته^(١).

فلما وصلهما كتاب ابن عمر دعوا للمختار بكفلاء يضمنونه بنفسه ، فأتاه ناس من اصحابه كثير ثم دعا به عبدالله بن يزيد وإبراهيم بن محمد فحلفاه بالله الذي لا اله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، الرحمن الرحيم ، لا يبغيهما غائلة ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان ، فإن فعل فعليه الف بدنة ينحرها لدى رتاج الكعبة ، ومما ليكه كلهم ذكرهم واثمهم احرار ، فحلف بذلك ثم خرج^(٢).

لكن المختار لم يكن بأية حال يلتزم بعهود من هذا النوع وهو السياسي المحنك وقد عاهد الحسين عليه السلام عند القبر ان لا يأكل طيب الطعام ولا يشرب لذيق الشراب ولا ينام على وطئ المهاد ولا يخلع عن جسده هذا البراد حتى ينتقم من القتلة او القتل دونه ، كيف يفي بتلك العهود وقتلة الحسين لا يزالون بين ظهرانهم ؟ لقد سخر من هذه العهود وعجب لسذاجة الذين اعتقدوا انه سيلتزم بها لقد اجاب على ذلك بقوله : (قاتلهم الله ما اجهلهم واحمقهم حيث يرون افي لهم بأيمانهم هذه ، أما حلفي بالله فانه ينبغي إذا حلفت يمينا ورأيت أولى منها ان اتركها واعمل الأولى واكفر عن يميني وخروجي خير من كفي عنهم ، واما هدي الف بدنة فهو اهون علي من بصقة ، وما يهولني ثمن الف بدنة ، واما عتق ممالكي فوالله لو ددت إنه استتب لي امري من اخذ الثأر ثم لم املك مملوكاً ابداً)^(٣).

وشاءت الصدف ان يتحرر المختار من عهوده مع عبدالله بن يزيد بدون ان يكفر عن يمينه ، ولا بهدي الف بدنة ، ولا عتق مماليكه ، حيث امر عبدالله بن الزبير

(١) تاريخ الطبري ٦ : ٨.

(٢) تاريخ الطبري ٦ : ٨.

(٣) بحار الأنوار ٤٥ : ٣٦٤.

بعزل عبدالله بن يزيد لما وجد فيه من التهاون لا يتناسب والمرحلة الراهنة ، ثم تولية عبدالله بن مطيع مكانه الذي لا يربطه بالمختار شيئاً من الموائيق .

وعندما اطلق سراح المختار من السجن وتحرر من القيود التي فرضها عليه والوالي السابق عبدالله بن يزيد ، اتيح له المجال بأن يتحرك بمرونة اكثر ، لا سيما وإنه الزعيم الذي اصبح مهيباً بعد خلوّ الساحة من زعماء منافسين له ، كسليمان بن صرد واصحابه الذين استشهدوا في عين الوردة .

فأصبح محط انظار الشيعة لا سيما المتحمسين للاسراع بالانتقام من المتورطين بدم الشهيد الحسين عليه السلام . فاختلفت اليه الشيعة واجتمعت عليه واتفقت رايها على الرضا به وكان الذي يبايع له وهو في السجن خمسة أشخاص هم : السائب بن مالك بن الأشعري ويزيد بن انس واحمر بن شميظ ورفاعة بن شداد الفتياي وعبدالله بن شداد الجشمي ، فلم يزل اصحابه يكثرون وامره يشتد ويقوى^(١).

المختار ومواجهة الأحداث المصيرية

كان على المختار أن يواجه الأحداث المصيرية والخطرة المتصاعدة بشيء من اليقظة والحذر ، فبعد عزل عبدالله بن يزيد الذي ربما كان متساهلاً بعض الشيء معه ووصول عامل جديد للكوفة من قبل ابن الزبير هو عبدالله بن مطيع العدوي الذي كان اشد المؤيدين لأبن الزبير فعليه ان لا يتردد في إتخاذ الموقف المناسب قبل ان ترصد شرطة والي الجديد تحركاته ، وإعادته الى السجن مرة اخرى .

فقد وصل ابن مطيع الى الكوفة في ٢٥ من رمضان سنة ٦٥ هـ واراد ان يعلن

عن برنامجہ الاصلاحی ، فصعد المنبر فخطبہم وقال : (اما بعد فإن امیر المؤمنین بعثني الى مصرکم وثورکم ، وامرني بجباية فيئکم ، وأن لا احمل فضل فيئکم عنکم إلا برضا منکم ، وإن اتبع وصية عمر بن الخطاب الذي اوصى بها عند وفاته ، وسيرة عثمان بن عفان ، فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا وخذوا على ايدي سفهائکم وإن لم تفعلوا فلوموا انفسکم ولا تلوموني لأوقعن بالسقيم العصي ولأقيم درء الأصغر المرتاب)^(١).

فالتفت المختار الى من كان حوله من الشيعة واراد ان يستجلي ما هم عليهم فقال لهم : (إنه قد تكلم بما سمعتم فقوموا فردوا عليه ولا تمهلوه ، فوثب له السائب ابن مالك الأشعري فقال : إيها الأمير انا قد سمعنا كلامك ، إن امیر المؤمنین أمرک أن لا تحمل عنا ونحن نشهدک ان لا نرضی ان تحمل علينا فيئنا ، ولكن يكون ذلك في فقرائنا ، وأما ما ذكرت من سيرة امیر المؤمنین عمر بن الخطاب ، وسيرة عثمان بن عفان فلسنا ان نقول في القوم إلا خيراً ، غير إنا نحب ان تسير فينا سيرة امیر المؤمنین علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) ، فليس علي عندنا بدون عمر ولا عثمان وان فعلت ذلك ، وإلا فلست لنا بأمر لا نحن لك برعية والسلام)^(٢).

وتكلم عامة الناس بما تكلم به السائب بن مالك الأشعري ، وقالوا : (احسنت يا سائب فلا يعدمك المسلمون ، فقال عبدالله بن مطيع : يا هؤلاء اسكتوا ! فوالله ما نسیر فيکم إلا بما تحبون).

عادت العقبات تواجه المختار من جديد ، حيث يعتبر اشراف الكوفة ان خطورة المختار لا تقل عن خطورة التوابين ، لا بل اكثر خطورة ، وإن ما قاله السائب بوجه عبدالله بن مطيع ما كان إلا بتحريض من المختار ولا بد ان يضعوا حلاً

(١) الكامل في التاريخ ٤ : ٢١٢ .

(٢) الفتوح مج ٣ : ٢٤٨ .

لتصرفات المختار .

تهيء المختار

كانت الأحداث تمرّ سراعاً ، وكان على المختار ان يعالج الأمور بكثير من الحنكة والتدبر ، وكان على اتصال دائم بأصحابه والتشاور معهم حول دراسة الموقف والترتيبات اللازمة التي يجب اتخاذها في حالة بروز بعض العوائق امامهم سواء من السلطة الحاكمة او من الأشراف الذين اصبحوا اكثر قلقاً على حياتهم ايام تحرك التوايين ، ثم ان المختار شاور اصحابه بالوثوب في الكوفة في شهر محرم لكن برزت بعض الأمور التي لم تكن بالحسبان وكادت تقضي على حركة المختار .

اللقاء مع محمد بن الحنفية

فخرج هؤلاء يقدمهم عبدالرحمن بن شريح حتى اتوا الى محمد بن الحنفية فدخلوا عليه وتكلم عبدالرحمن بن شريح فحمد الله واثنى عليه ثم قال :
أما بعد ؛ فانكم أهل بيت قد خصكم الله بالفضيلة ، وشرّفكم بالنبوة ، وعظّم حقكم على هذه الأمة ، فلا يجهل حقكم إلا مغبون الرأي ، مخسوس النصيب ، قد أصبتم بحسين رحمة الله عليه عظمت مصيبة اختصصتم بها ، بعد ما عم بها المسلمون ، وقدم علينا المختار بن ابي عبيد بزعم لنا إنه قد جاء من تلقائكم ، وقد دعانا الى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ والطلب بدماء اهل البيت ، والدفع عن الضعفاء ، فبايعناه على ذلك ، ثم إنّنا رأينا ان نأتيك فنذكر لك مادعانا اليه وندبنا له ، فإن امرتنا باتباعه اتبعناه وإن نهيتنا اجتنبناه . ثمّ تكلموا جميعاً بنحو ذلك .^(١)

(١) تاريخ الطبري ٦ : ١٣ .

خطبة محمد بن الحنفية

ثم تكلم محمد بن الحنفية فحمد الله واثني عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال:

أما بعد ، فأما ما ذكرتم مما خصنا الله به من فضل ، وإن الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، فللّه الحمد ، وأما ما ذكرتم من مصيبتنا بحسين فإن ذلك كان في الذكر الحكيم ، وهي ملحمة كتبت عليه وكرامة اهداها الله له ، رفع بما كان منها درجات ، وأما ما ذكرتم في دعاء من دعاكم الى الطلب بدمائنا ، فوالله لوددت ان الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه.

فخرجوا من عنده وهم يقولون : قد أذن لنا ، وقد قال لوددت ان الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ولو كره لقال : لا تفعلوا.

وقد بلغ المختار خروج هؤلاء النفر فشق عليه ذلك ، وخشي ان يأتونه بأمر يخذل الشيعة عنه ، فكانت ايام عصيبة تمر على المختار من حين علم بسفر الوفد الى محمد بن الحنفية ورجوعه الى الكوفة الذي دام شهراً ، فكان خلاله يبت المرارة والالم ، وكان يقول : إن نفراً منكم ارتابوا وغيروا وخابوا ، فإن هم اصابوا اقبلوا وأنابوا ، وإن هم كبوا وهابوا واعترضوا وانجابوا فقد خسروا وخابوا^(١).

ثم عاد الوفد بعد مقابلته للزعيم العلوي وهو لم يمانع في مباركة ما يقوم به المختار ، على الرغم من التحفظ الذي ابداه محمد بن الحنفية ، وذلك لأسباب عديدة أهمها خوفه من ابن الزبير الذي وضع ابن الحنفية تحت المراقبة الشديدة .

فجاء تأييد محمد بن الحنفية للمختار الى نجاح مهمته ، وفرض نفسه زعيماً

قوياً للشيعة في الكوفة بلا منازع . فعند دخول الوفد عليه قال لهم : ما وراءكم ؟ قد فتنتم ، وارتبتم !

فقالوا له : قد أمرنا بنصرتك .

فقال : الله أكبر ! أنا أبو إسحاق ، اجمعوا لي الشيعة^(١) !!

الاستئذان من الإمام السجّاد عليه السلام

قال ابن نما رحمه الله تعالى : وقد رويت عن والدي أنّ ابن الحنفية قال لهم : قوموا بنا إلى إمامي وإمامكم عليّ بن الحسين عليه السلام .

فلما دخلوا عليه وأخبره الخبر قال : يا عمّ ، لو أنّ عبداً زنجياً تعصّب لنا - أهل البيت - لوجب على الناس مؤازرته ، وقد وليتك هذا الأمر ، فاصنع ما شئت .

فخرجوا وهم يقولون : أذن لنا زين العابدين ومحمد بن الحنفية^(٢) .

هكذا أصبح المختار امام مسؤولية كبرى ، فعليه ان يكثف الجهود لنجاح مهمته التي تحقّقها المخاطر ، لا سيما من داخل الكوفة وهي تعجّ بالأشراف وفيهم قسم كبير من قتلة الحسين عليه السلام انصار بني امية ، اضافة إلى انصار آل الزبير ، هذا إذا تجاوز مثل تلك الصعاب وحاول مسك زمام الأمور في الكوفة ، فتكون مهمته اكثر مشقة وخطورة ، سواء من الشام حيث الأمويون ، او من البصرة والحجاز حيث آل الزبير وجميع تلك الأطراف ، تسعى لبسط نفوذها على العراق جميعاً ، باعتباره مفتاح الدخول الى نحو الشرق الى بلاد فارس وارااضي ما وراء النهر .

ثم امر المختار ان تجمع له الشيعة فجمعت فقام فيهم خطيباً فقال :

(إنّ نفرأً قد احبوا ان يعلموا مصداق ما جئت به ، فرحلوا الى الإمام المهدي

(١) بحار الأنوار ٤٥ : ٣٦٥ .

(٢) بحار الأنوار ٤٥ : ٣٦٥ .

فسألوه عما قدمت به عليكم ، فنبأهم اني وزيره وظهيره ورسوله ، وأمركم باتباعي وطاعتي فيما دعوتكم اليه من قتل المحلّين ، والطلب بدماء اهل بيت نبيكم المصطفين^(١).

ثم طلب من عبدالرحمن بن شريح أن يكلم الناس بما جاء به من محمد بن الحنفية ، فقام واخبرهم بحالهم ومسيرهم ، وإن ابن الحنفية امرهم بمظاهرتة ومؤازرتة ، وقال لهم : ليبلغ الشاهد الغائب واستعدوا وتأهبوا.^(٢)

عبد الرحمن بن شريح

قال الراوي: بعد خطاب المختار، أعلن عبد الرحمن بن شريح عن تأييده للمختار ، حيث التقى عبدالرحمن بن شريح وكان شريفاً في قومه في جماعة من الشيعة وهم سعيد بن منقذ الثوري وسعر بن ابي سعر الحنفي والأسود بن جراد الكندي وقدامة بن مالك الجشمي بمنزل سعر الحنفي^(٣) ، وقد تدارسوا قضية الخروج مع المختار وهل هي بدعوة من ابن الحنفية ام لا فقال لهم سعر :

إن المختار يريد ان يخرج بنا وقد بايعناه ولا ندرى ارسله الينا ابن الحنفية أم لا ، فانهضوا بنا الى ابن الحنفية فلنخبره بما قدم علينا به وما دعانا اليه ، فإن رخص لنا في اتباعه اتبعناه ، وان نهانا عنه اجتنبناه ، والله ما ينبغي ان يكون شيء من امر الدنيا آثر عندنا من سلامة ديننا .

فقال له : ارشدك الله لقد اصبحت ووفقت ، اخرج بنا إذا شئت.^(٤)

(١) الكامل في التاريخ ٤ : ٢١٤ .

(٢) بحار الأنوار ٤٥ : ٣٦٥ .

(٣) الكامل في التاريخ ٤ : ٢١٤ .

(٤) تاريخ الطبري ٦ : ١٢ .

دعوة إبراهيم بن مالك الأشتر

قال جماعة للمختار : إنّ أشراف أهل الكوفة مجتمعون على قتالك مع ابن مطيع ، فإن أجابنا إلى أمرنا إبراهيم بن مالك الأشتر رجونا القوة على عدونا ، فإنه فتى رئيس ، وابن رجل شريف ، له عشيرة ذات عزّ وعدد .

فقال لهم المختار : فالفقه فادعوه وأعلموه الذي أمرنا به من الطلب بدم الحسين عليه السلام وأهل بيته .

فخرجوا إليه ومعهم الشعبي ، فأتوه وأعلموه عزمهم على الطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام ، وسألوه مساعدتهم على ذلك ، وذكروا له ما كان أبوه عليه من ولاء علي عليه السلام وأهل بيته .

فقال لهم : إنّني قد أحببتكم إلى الطلب بدم الحسين عليه السلام وأهل بيته على أن تولوني الأمر .

فقالوا له : أنت أهل لذلك ، ولكن ليس إلى ذلك سبيل ، هذا المختار قد جاءنا من قبل إمام الهدى ومن نائبه محمد بن الحنفية ، وهو المأمور بالقتال ، وقد أمرنا بطاعته .

فسكت إبراهيم ولم يجبههم ، فانصرفوا عنه ، وأخبروا المختار ، فمكث المختار ثلاثاً ، ثم دعا جماعة من أصحابه ، فدخلوا عليه ويده صحيفة مختومة بالرصاص فدفعها إلى الشعبي ، وقال لأصحابه: انطلقوا بنا إلى إبراهيم بن الأشتر ، فسار في وجوه أصحابه وفيهم الشعبي وأبوه ، فدخلوا على إبراهيم ، فألقى لهم الوسائد ، فجلسوا عليها ، وجلس المختار معه على فراشه .

فقال له المختار : إنّ الله أكرمك وأكرم أباك من قبلك بموالاة بني هاشم ونصرتهم ، ومعرفة فضلهم ، وما أوجب الله من حقهم . وهذا كتاب محمد بن علي أمير المؤمنين ، وهو خير أهل الأرض اليوم ، وابن خير أهل الأرض كلّها قبل اليوم

بعد أنبياء الله ورسله يأمرك أن تنصرونا وتوازرنا ، فإن فعلت اغتبطت ، وإن امتنعت فهذا الكتاب حجة عليك ، وسيغني الله محمداً وأهل بيته عنك ، ثم قال للشعبي : ادفع الكتاب إليه ، فدفعه إليه الشعبي ، فدعا بالمصباح وفضّ خاتمه وقرأه ، فإذا فيه :
بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد المهديّ إلى ابراهيم بن مالك الأشتر
سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو .
أمّا بعد :

فإني قد بعثت إليكم وزيري ، وأميني الذي ارتضيته لنفسي ، وقد أمرته بقتال عدوي ، والطلب بدماء أهل بيتي ، فانهض معه بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك ، فإنك إن نصررتي وأجبت دعوتي كانت لك بذلك عندي فضيلة ، ولك أعنة الخيل ، وكلّ جيش غاز ، وكلّ مصر ومنبر وثغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد الشام .

فلما فرغ ابراهيم من قراءة الكتاب قال : قد كتب إليّ ابن الحنفية قبل اليوم وكتبت إليه فلم يكتب إليّ إلاّ باسمه واسم أبيه .
قال المختار : ذلك زمان وهذا زمان .

قال ابراهيم : فمن يعلم أنّ هذا كتابه؟ فشهد جماعة ممّن معه بذلك ، منهم : يزيد بن أنس ، وأحمر بن شميطة ، وعبد الله بن كامل ، وسكت الشعبي وأبوه .

بيعة ابراهيم للمختار

قال الشعبي : فتأخّر ابراهيم عند ذلك عن صدر الفراش وأجلس المختار عليه ، وباعه ابراهيم .

فقال المختار : أتأتينا أو نأتيك في أمرنا ؟

فقال إبراهيم : بل أنا آتيك كلّ يوم ، ودعا بفاكهة وشراب من عسل ، فأكلوا وشربوا وخرجوا ، فخرج معهم ابن الأستر وركب مع المختار ، ثمّ رجع إبراهيم ومعه الشعبيّ إلى دار إبراهيم ، فقال له : إني قد رأيتك لم تشهد أنت ولا أبوك ، أفترى هؤلاء شهدوا على حقّ ؟

قال له الشعبيّ : قد شهدوا على ما رأيت ، وهم سادة القراء ، ومشيوخة المصر ، وفرسان العرب ، ولا أرى مثل هؤلاء يقولون إلّا حقّاً .

قال الشعبيّ : قلت له هذه المقالة وأنا والله لهم على شهادتهم متّهم غير أنّه يعجبني الخروج ، وأنا أرى رأي القوم ، وأحبّ تمام ذلك الأمر ، فلم أطلعه على ما في نفسي .

ثمّ كتب إبراهيم أسماءهم وتركها عنده .^(١)

خروج المختار

قال المدائني: وقد خرج المختار بن أبي عبيدة في الكوفة ليلة الأربعاء لاربعة عشر يوماً بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٦٦ هجري، وقد بايعه الناس على أربعة أشياء :

١ - كتاب الله .

٢ - سنّة رسول الله ﷺ .

٣ - المطالبة بدماء الحسين عليه السلام ودماء أهل البيت عليهم السلام .

٤ - الدفاع عن الضعفاء .

ولمّا دعا المختار جنّنا لنصره على الخيل تردى من كميّة وأشقرا

(١) تجارب الأمم ٢: ١٢٤ .

دعا يالثارات الحسين فأقبلت تعادى بفرسان الصباح لتثأراً^(١)

وشاية اياس بن مضارب

ودخل اياس بن مضارب العجلي وهو صاحب شرطة عبدالله بن مطيع على والي الكوفة وقال له : أصلح الله الأمير : إن هذا الذي اعترض عليك في المسجد هو من رؤساء أصحاب المختار ، ولست آمن المختار ان يخرج عليك في عملك هذا ، ولكن ابعث اليه الساعة فإذا جاءك فاحبسه في سجنك حتى يستقيم امر الناس ، فإنه غير مأمون على بليته ومعهم قوم من اهل مصرك هذا قد بايعوه سرّاً ، وكأنني به قد خرج عليك ليلاً او نهراً فخذ حذرك منه^(٢).

فلم يتردد عبدالله بن مطيع حتى بعث اليه زائدة بن قدامة و حسين بن عبدالله البرسمي من همدان ، فدخلوا عليه فقالا له : اجب الأمير : فدعا بشيابه واراد الخروج معهما ، فقرأ زائدة بن قدامة قوله تعالى : ﴿وَيَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يَخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكَرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٣) ، ففهمها المختار وقال : (القوا عليّ القطيفة ما اراني قد وعكت اني لأجد قفقه شديدة)^(٤) ثم تمثل بقول عبدالعزيز بن ضهل الأزدي :

إذا ما معشر تركوا نداهم ولم يأتوا الكريهة لم يهابوا

ثم قال لهما : ارجعا إلى ابن مطيع فأعلماه حالي التي انا عليها . فقال له زائدة ابن قدامة : اما انا ففاعل يا ابا إسحاق ، فقال المختار : وانت يا اخا همدان فأعذرني

(١) بحار الأنوار ٤٥ : ٣٣٣ .

(٢) مقتل الحسين ٢ : ٢٠٤ .

(٣) الأنفال : ٣٠ .

(٤) تاريخ الطبري ٦ : ١١ .

عنده فانه خير لك عندي . فقال الهمداني : افعل ذلك ولا اخبر الأمير عنك إلا بما تحب ، ثم أقبلوا واخبرا عبدالله بن مطيع بعله المختار فصدقهما .^(١)

قال الراوي: وكان إبراهيم رحمه الله تعالى ظاهر الشجاعة ، مشمراً في محبة أهل البيت عليهم السلام عن ساقيه ، متلقياً غاية النصح لهم بكلتا يديه ، فجمع عشيرته وإخوانه ومن أطاعه ، وأقبل يختلف إلى المختار كلّ عشية عند المساء في نفر من مواليه وخدمه يدبرون أمورهم فيبقون عامة الليل .

وكان حميد بن مسلم الأسدي صديقاً لإبراهيم بن الأشتر ، فكان يذهب به معه إلى المختار ، واجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة بقيت من ربيع الأوّل - وقيل : الآخر - سنة ستّ وستين ، فلمّا كانت ليلة الثلاثاء - وقيل : الأربعاء - عند المغرب قام إبراهيم فأذن وصلى المغرب بأصحابه ، ثمّ خرج يريد المختار وعليه وعلى أصحابه السلاح ، وكان إياس بن مضارب صاحب شرطة عبدالله بن مطيع أمير الكوفة ، فأتاه فقال له : إنّ المختار خارج عليك في إحدى هاتين الليلتين فخذ حذرك منه .

ثمّ خرج إياس فبعث ابنه راشداً إلى الكناسة ، وأقبل يسير حول السوق في الشرطة ، ثمّ دخل على ابن مطيع ، فقال له : إنّني قد بعثت ابني إلى الكناسة فلو بعثت في كلّ جبّانة عظيمة بالكوفة رجلاً من أصحابك في جماعة من أهل الطاعة لهاب المختار وأصحابه الخروج عليك ، فبعث ابن مطيع إلى الجبّانات من شحنها بالرجال ، وأوصى كلّاً منهم أن يحفظ الجهة التي هو فيها .

فبعث شبت بن ربعي إلى السبخة ، وقال : إذا سمعت صوت القوم فوجّه نحوهم ، وكان ذلك يوم الاثنين .

(١) تاريخ الطبري ٦ : ١١ .

وخرج إبراهيم بن الأشتر يريد المختار ليلة الثلاثاء ، وقد بلغه أنّ الجبّانات قد ملئت رجالاً ، وإنّ إياس بن مضارب في الشرطة قد أحاطوا بالسوق والقصر ، فأخذ معه من أصحابه نحواً من مائة رجل عليهم الدروع ، وقد لبسوا عليها الأقبية وتقلّدوا بالسيوف ، وقال له أصحابه : تجنّب الطريق .

فقال : والله لأمرّن وسط السوق بجانب القصر ، ولأرعبنّ به عدوّنا ، ولأرينّهم هوانهم علينا . فسار على باب الفيل ، ثمّ على دار عمرو بن حريث ، فلقيهم إياس ابن مضارب في الشرطة مظهرين السلاح ، فقال لهم : من أنتم ؟ فقال له إبراهيم : أنا إبراهيم بن الأشتر .

فقال إياس : ما هذا الجمع الذي معك ؟ وما تريد ؟ والله إنّ أمرك لمريب ، وقد بلغني أنّك تمرّ كلّ عشية من هاهنا ، وما أنا بتاركك حتى آتي بك الأمير فيرى فيك رأيه .

فقال إبراهيم : خلّ سبيلنا .

فقال : لا أفعل .

وكان مع إياس بن مضارب رجل من همدان يقال له : « أبو قطن » وكان يصحب أمراء الشرطة ، فهم يكرمونه ، وكان صديقاً لابن الأشتر ومن عشيرته ، فقال له ابن الأشتر : ادن منّي ، يا أبا قطن ، فظنّ أنّه يريد أن يطلب منه أن يشفع له عند إياس ، فدنا منه ، وكان مع أبي قطن رمح طويل ، فتناوله منه ابن الأشتر ، وهو يقول : إنّ رمحك هذا الطويل ، وحمل به على إياس فطعنه في ثغرة نحره ، فصرعه ، وأمر رجلاً من قومه فاحتزّ رأسه ، وانهزم أصحاب إياس ورجعوا إلى ابن مطيع فأخبروه ، فبعث راشد بن إياس مكان أبيه على الشرطة ، وبعث مكان راشد سويداً المنقري إلى الكناسة .

وأقبل ابن الأشتر إلى المختار ، وقال له : إِنَّا اتَّعَدْنَا الْخُرُوجَ فِي اللَّيْلَةِ الْقَابِلَةِ
وقد عرض أمر لابدّ معه من الخروج الليلة .

قال : ما هو ؟

قال : عرض لي إياس في الطريق فقتلته ، وهذا رأسه مع أصحابي على
الباب ، فاستبشر المختار بذلك ، وتفاءل بالنصر والظفر ، وقال : هذا أوّل الفتح إن
شاء الله تعالى .^(١)

الأمر بالثورة

قال الراوي: ثمّ قال المختار : قم يا سعيد بن منقذ واشعل النار في القصب ،
ثمّ ارفعها للمسلمين ، وأمر مناديه أن ينادي : «يا لثارات الحسين» ، ثمّ دعا بدرعه
وسلاحه فلبسه ، وهو يقول :

قد علمت بيضاء حسناء الطلل واضحة الخدين عجزاء الكفل

أنّي غداة الروح مقدم بطل لا عاجز فيها ولا وغد فشل

ثمّ قال له إبراهيم : إنّ هؤلاء الذين في الجباين يمنعون أصحابنا من إتياننا
فلو سرت إلي قومي بمن معي فيأتيني كلّ من بايعني من قومي ، وسرت بهم في
نواحي الكوفة ، ودعوت بشعارنا لخرج إلينا من أراد الخروج ، فمن أتاك أبقيته
عندك ، فإن جاءك عدوّ كان معك من تمتنع به ، فإذا فرغت أنا عجّلت الرجوع
إليك؟

فقال له المختار : افعّل وعجّل ، وإيّاك أن تسير إلى أميرهم تقاتله ، ولا تقاتل
أحدًا إذا أمكنك أن لا تقاتله إلّا أن يبدأك أحد بقتال .

(١) تجارب الأمم ٢: ١٢٥ .

الهجوم على حرس زجر بن قيس

فخرج إبراهيم في الكتيبة التي جاء بها حتى أتى قومه واجتمع إليه جلّ من كان أجابه ، فسار بهم في سكك الكوفة طويلاً من الليل وهو يتجنّب المواضع التي فيها الأمراء الذين بعثهم ابن مطيع ، فلما وصل إلى مسجد السكون أتاه جماعة من خيل زجر بن قيس ليس عليهم أمير ، فحمل عليهم إبراهيم فكشفهم حتى أدخلهم جبّانة كندة ، فقال إبراهيم : من صاحب الخيل في جبّانة كندة ؟

فقال له : زجر بن قيس ، فشذّ إبراهيم وأصحابه عليهم وهو يقول : اللهم إنك تعلم أنا غضبنا لأهل بيت نبيك ، وثرنا لهم ، فانصرنا على هؤلاء ، وتمّم لنا دعوتنا ، حتى انتهى إليهم هو وأصحابه ، فكشفوهم ، وركب بعضهم بعضاً كلّما لقيهم زقاق دخل منهم طائفة .

سويد بن عبد الرحمن

ثم قال إبراهيم لأصحابه : انصرفوا بنا عنهم ، وسار إبراهيم حتى أتى جبّانة أثير فوقف فيها ، وتنادى أصحابه بشعارهم ، فأتاه سويد بن عبد الرحمن المنقريّ ورجا أن يصيبهم فيحظى بذلك عند ابن مطيع ، فلم يشعر إبراهيم إلّا وهم معه ، فقال إبراهيم لأصحابه : يا شرطة الله ، انزلوا ، فإنكم أولى بالنصر من هؤلاء الفساق الذين خاضوا في دماء أهل بيت نبيكم ، فنزلوا ، ثم حمل عليهم إبراهيم حتى أخرجهم إلى الصحراء ، وولّوا منهزمين يركب بعضهم بعضاً ، وهم يتلاومون ، فقال قائل منهم : إنّ هذا لأمر يراد ما يلقون لنا جماعة إلّا هزموهم .

فلم يزل إبراهيم يهزمهم حتى أدخلهم الكناسة ، فقال له أصحابه : اتّبعهم فاغتنم ما دخلهم من الرعب .

فقال : ولكن نأتي صاحبنا - أي المختار - يؤمن الله بنا وحشته ، ويعلم ما كان من نصرنا له ، فيزداد هو وأصحابه قوّة ، ولا آمن أن يكون جاءه أعداؤه ، فسار

إبراهيم حتى أتى باب المختار ، فسمع الأصوات عالية والقوم يقتتلون ، وكان قد جاء شبت بن ربعي من قبل السبخة فعباً له المختار يزيد بن أنس ، وجاء حجار بن أبجر فجعل المختار في وجهه أحمر بن شميظ ، فبينما الناس يقتتلون إذ جاء إبراهيم من قبل القصر ، فبلغ حجاراً وأصحابه أن إبراهيم قد جاءهم من ورائهم فتفرقوا في الأزقة قبل أن يأتيتهم إبراهيم ، وجاء رجل من أصحاب المختار اسمه قيس بن طهفة النهدي في قريب من مائة رجل من بني نهد ، فحمل على شبت وهو يقاتل يزيد بن أنس فخلّى لهم شبت الطريق حتى اجتمعوا جميعاً ، وجاء عبد الله بن الحرّ الجعفيّ في قومه لنصرة المختار ، ثم إن شبتاً ترك لهم السكة وأقبل إلى ابن مطيع ، فقال له : اجمع الأمراء الذين في الجبايين وجميع الناس ، ثم اخرج إلى هؤلاء القوم فقاتلهم فإن أمرهم قد قوي ، وقد خرج المختار وظهر وقوي أمره ، فلما بلغ المختار قوله خرج في جماعة من أصحابه حتى نزل في ظهر «دير هند» قرب «بستان زائدة» في السبخة .

أبو عثمان النهدي وبني شاكر

وخرج أبو عثمان النهدي من أصحاب المختار فنادى في بني شاكر وهم مجتمعون في دورهم يخافون أن يظهروا لقرب كعب بن أبي كعب الخثعمي منهم ، وهو من أصحاب إياس ، وكان قد أخذ عليهم أفواه السكك ، فلما أتاهم أبو عثمان في جماعة من أصحابه نادى : «يا لثارات الحسين ، يا منصور أمت» ، يا أيها الحيّ المهتدون إن أمين آل محمد ووزيرهم قد خرج فنزل دير هند ، وبعثني إليكم داعياً ومبشراً ، فاخرجوا رحمكم الله .

فخرجوا ينادون : «يا لثارات الحسين» وقاتلوا كعباً حتى خلّوا لهم الطريق ، فأقبلوا إلى المختار فتزلوا معه .^(١)

(١) الكامل في التاريخ ٤: ٢١٨ .

بني خثعم

وخرج عبد الله بن قُراد الخثعمي في نحو من مائتين من قبيلة خثعم ، فنزلوا مع المختار وكان قد تعرّض لهم كعب ، فلما عرف أنّهم من قومه خلّى عنهم ، وخرجت شبام وهم حيّ من همدان من آخر ليلتهم ، فبلغ خبرهم عبد الرحمن بن سعيد الهمدانيّ ، فأرسل إليهم : إن كنتم تريدون المختار فلا تمرّوا من ناحيتنا ، فلتحقوا بالمختار حتى اجتمع عنده ثلاثة آلاف وثمانمائة قبل الفجر ، وكان قد بايعه اثنا عشر ألفاً^(١).

الاجتماع في المسجد

وكان ممّن خرج معه حميد بن مسلم ، فأصبح المختار وقد فرغ من تعبئة جيشه ، فصلّى بأصحابه في الغلس ، وأرسل عبدالله بن مطيع إلى من بالجبايين أن يأتوا المسجد ، وأمر راشداً بن إياس صاحب شرطته فنأدى في الناس : برئت الذمّة من رجل لم يأت المسجد الليلة ، فاجتمعوا ، فبعث ابن مطيع شبت بن ربيعي في نحو ثلاثة آلاف إلى المختار ، وبعث راشداً أيضاً في أربعة آلاف من الشرطة^(٢) .

وتتابع العساكر إلى نحو من عشرين ألفاً ، فلما صلّى المختار الغداة سمعوا أصواتاً مرتفعة ، فقال المختار : من يأتينا بخير هؤلاء ؟

فقال له رجل : أنا أصلحك الله .

قال المختار : فألق سلاحك ، واذهب حتى تدخل فيهم كأنك متفرّج ، واثنا بخبرهم .

(١) تجارب الأمم ٢ : ١٢٩ .

(٢) هكذا ذكر الطبريّ وغيره ، وزاد ابن نما رحمه الله : أنّه بعث حجار بن أبجر في ثلاثة آلاف وثلاثة آخرين في ثلاثة آلاف .

قال الرجل : فلما دنوت منهم إذا مؤذّنهم يقيم ، وإذا شبت بن ربي ومعه خيل عظيمة ، فصلّى بهم ، فقرأ : ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ فقلت في نفسي : أما والله إنني لأرجو أن يزلزل الله بكم ، ثم قرأ : ﴿ والعاديات ضبحاً ﴾ .

فقال له أناس من أصحابه : لو كنت قرأت أطول من هاتين السورتين شيئاً ؟ فقال : ترون الديلم قد نزلت بساحتكم وأنتم تقولون : لو قرأت سورة البقرة وآل عمران ممّا دلّ على وقوع الرعب في قلبه ، فأقبل الرجل إلى المختار وأخبره بخبر شبت وأصحابه ، وأتاه أيضاً سعر الحنفي يركض - وكان ممّن بايع المختار - فلم يقدر على الخروج معه ليلة خرج خوفاً من الحرس ، فلما أصبح أقبل على فرسه ، فاعترضه راشد بن إياس وأصحابه ، فركض على فرسه ، وأفلت منهم حتى أتى المختار فأخبره بخبرهم .

محاصرة المختار

فبعث المختار إبراهيم بن الأشتر إلى راشد بن إياس في تسعمائة ، وقيل : في ستمائة فارس وستمائة راجل ، وبعث نعيم بن هبيرة - أخا مصقلة بن هبيرة - إلى شبت بن ربي في ثلاثمائة فارس وستمائة راجل وأمرهما بتعجيل القتال ، وأن لا يقفا مقابلة عدوّهما لأنّه أكثر منهما ، وقال : لا ترجعا حتى تظهرا أو تقتلا .

فتوجّه إبراهيم إلى راشد ، وتوجّه نعيم بن هبيرة إلى شبت ، وقدّم المختار أمامه يزيد بن أنس في تسعمائة ، فأما نعيم فجعل سعر الحنفي على الخيل ومشى هو في الرّجالة ، وقاتل شبتاً قتالاً شديداً حتى أشرقت الشمس وانبسطت ، وضربهم أصحاب نعيم حتى أدخلوهم البيوت منهزمين ، فناداهم شبت وحرّضهم ، فرجع إليه منهم جماعة فحملوا على أصحاب نعيم وقد تفرّقوا ، فانهزم أصحاب نعيم وصبر هو فقتل ، وأسر سعر ومعه رجلان أحدهما مولى فقتله

شبت وأطلق الآخرين ، فأتيا المختار فاغتَم أصحاب المختار لذلك غمّاً شديداً وأخبره أحد الرجلين بما كان من أمره ، فقال له : اسكت فليس هذا بمكان الحديث .

وجاء شبت حتى أحاط بالمختار ويزيد بن أنس وبعث ابن مطيع يزيد بن الحارث بن رويم في ألفين ، فوقفوا في أفواه السكك ، وولّى المختار يزيد بن أنس على الخيل ، وخرج هو في الرّجالة ، فحملت عليهم خيل شبت حملتين فلم يبرحوا من مكانهم .

خطبة يزيد بن أنس

فقال لهم يزيد بن أنس :

يا معشر الشيعة ، قد كنتم تقتلون ، وتقطع أيديكم وأرجلكم ، وتسمل أعينكم ، وترفعون على جذوع النخل في حبّ أهل بيت نبيّكم وأنتم مقيمون في بيوتكم ، مطيعون لعدوّكم ، فما ظنّكم بهؤلاء القوم إن ظهروا عليكم اليوم ؟ إذاً والله لا يدعون منكم عينا تطرف ، وليقتلنكم صبراً ، ولتروّن منهم في أولادكم وأزواجكم وأموالكم ماالموت خير منه ، والله لا ينجيكم منهم إلاّ الصدق والصبر والطعن الصائب في أعينهم والضرب الدارك على هامهم ، فتيسّروا للشدة ، وتهيّأوا للحملة ، فإذا حرّكت رايتي مرّتين فاحملوا وتهيّأوا ، واجثوا على الركب ، وانتظروا أمره .^(١)

مقتل راشد بن أبياس

وأما إبراهيم بن الأشتر فإنه أقبل نحو راشد بن أبياس ، فإذا معه أربعة آلاف ،

(١) تجارب الأمم ٢: ١٣٢ .

فقال إبراهيم لأصحابه : لا يهولنكم كثرة هؤلاء ، فوالله لربّ رجل خير من عشرة ، ولربّ فئة قليلة قد غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين .

ثمّ قال لخزيمة بن نصر : سر إليهم في الخيل ، وأخذ هو يمشي في الرّجالة ، ويقول لصاحب رايته : تقدّم برايتك ، امض بها قدماً قدماً ، واقتل الناس قتالاً شديداً ، وحمل خزيمة بن نصر العبيسيّ على راشد فطعنه فقتله ، ثمّ نادى : قتلت راشداً وربّ الكعبة ، وانهزم أصحاب راشد ، وأقبل إبراهيم بن الأشتر وخزيمة بن نصر ومن معهما بعد قتل راشد نحو المختار ، وأرسل البشير إلى المختار بقتل راشد ، فكبر هو وأصحابه ، وقويت نفوسهم ، ودخل أصحاب ابن مطيع الفشل .

حسّان بن قائد العبيسي

وأرسل عبدالله بن مطيع حسّاناً العبيسيّ في نحو من ألفين ليعترض إبراهيم بن الأشتر فتقدّم إليهم إبراهيم فانهزموا من غير قتال ، وأقبل إبراهيم نحو المختار وشبّ بن ربيعي محيط به ، فلما رآه يزيد بن الحارث الذي كان على أفواه السكك مقبلاً نحو شبّ أقبل نحوه ليردّه عن شبّ وأصحابه ، فبعث إبراهيم إليه طائفة من أصحابه مع خزيمة بن نصر ، وسار هو نحو شبّ فيمن بقي معه ، فلما أقبل إبراهيم نحو شبّ جعل شبّ وأصحابه ينكصون إلى الورا قليلاً قليلاً ، فلما دنا منهم إبراهيم حمل عليهم ، وأمر يزيد بن أنس أن يحمل عليهم ، ففعل فانهزموا حتى وصلوا إلى بيوت الكوفة ، وحمل خزيمة بن نصر على يزيد بن الحارث فهزمه وأصحابه ، وازدحموا على أفواه السكك ، وكان يزيد بن الحارث قد وضع الرماة على أفواه السكك فوق البيوت .

وأقبل المختار ، فلما انتهى إلى أفواه السكك رمت الرماة بالنبل ، فصدّوه عن دخول الكوفة من ذلك الوجه ، ورجع الناس منهزمين إلى ابن مطيع ، وجاءه قتل

راشد بن إياس فسقط في يده^(١) .

رأي عمرو بن الحجاج

فقال عمرو بن الحجاج لعبدالله بن مطيع : أيها الرجل ، لا تلق بيدك ، واخرج إلى الناس واندبهم إلى عدوك ، فإنّ الناس كثير وكلهم معك إلا هذه الطائفة التي خرجت والله يخزيها ، وأنا أول منتدب فانتدب معي طائفة ومع غيري طائفة .

فخرج ابن مطيع ، فقام في الناس ووبّخهم على هزيمتهم ، وأمرهم بالخروج إلى المختار وأصحابه .

محاصرة ابن مطيع

وأما المختار فإنه لما منعه الرماة من دخول الكوفة عدل إلى بيوت مزينة وأحمس وبارق وبيوتهم منفردة ، فاستقبلوه بالماء ، فشرب أصحابه ولم يشرب هو ، لأنه كان صائماً ، فقال أحمر بن شميظ لابن كامل : أترى الأمير صائماً؟ قال : نعم.

قال : لو أفطر كان أقوى له .

قال : هو أعلم بما يصنع .

قال : صدقت أستغفر الله .

فقال المختار : نعم المكان للقتال هذا .

فقال له إبراهيم : قد هزمهم الله وفلّهم ، وأدخل الرعب في قلوبهم ، وتنزل هاهنا ، سر بنا فوالله ما دون القصر مانع ، فترك المختار هناك كلّ شيخ ضعيف وكلّ

(١) أي بهت و تحير .

ذي علة ، وثقلهم واستخلف عليهم أبا عثمان النهدي ، وقدم إبراهيم أمامه ، وبعث ابن مطيع عمرو بن الحجاج في ألفين ، فخرج عليهم ، فبعث المختار إلى إبراهيم : أن اطوه ولا تقم عليه ، فطواه إبراهيم .

الدخول الى الكوفة

وأمر المختار يزيد بن أنس أن يصمد لعمرو بن الحجاج ، فمضى نحوه ، وسار المختار خلف إبراهيم ، ثم وقف المختار في موضع مصلى خالد بن عبدالله ، وأمر إبراهيم أن يمضي على وجهه حتى يدخل الكوفة من جهة الكناسة ، فمضى . فخرج إليه شمر بن ذي الجوشن في ألفين ، فسرح إليه المختار سعيد بن منقذ الهمداني فواقعه ، وأعطى إبراهيم أوامره بمحاصرة قصر الامارة^(١) .

نوفل بن مساحق

وأرسل إلى إبراهيم : أن اطوه وامض على وجهك ، فمضى حتى انتهى إلى سكة شبت ، فإذا نوفل بن مساحق في ألفين ، وقيل : خمسة آلاف .

وكان ابن مطيع أمر منادياً فنادى في الناس : أن الحقوا بابن مساحق ، وخرج ابن مطيع فوقف بالكناسة ، واستخلف شبت بن ربعي على القصر ، فدنا ابن الأشتر من ابن مطيع فأمر أصحابه بالنزول ، فنزلوا ، فقال : قربوا خيولكم بعضها من بعض ، ثم امشوا إليهم مصلتين بالسيوف ، ولا يهولتكم أن يقال : جاء آل فلان ، وآل فلان ، وسمى بيوتات أهل الكوفة ، ثم قال : إن هؤلاء لو وجدوا حرّ السيوف لانهزموا عن ابن مطيع انهزام المعزى من الذئب ، ففعلوا ذلك وأخذ ابن الأشتر أسفل قبائه فأدخله في منطقته ، وكان قد لبس القباء فوق الدرع ، ثم قال لأصحابه : شدّوا

(١) البداية والنهاية ٨ : ٢٩٣ .

عليهم فدى لكم عمي وخالي ، فلم يلبثوا أن انهزموا يركب بعضهم بعضاً على أفواه السكك وازدحموا ، وانتهى ابن الأشتر إلى ابن مساحق فأخذ بلجام دابته ، ورفع السيف ليقتله فسأله أن يعفو عنه ، فخلّى سبيله ، وقال : اذكرها لي ، فكان يذكرها له .

محاصرة قصر الامارة

ودخلوا الكناسة في آثارهم حتى دخلوا السوق والمسجد ، وحصروا عبدالله ابن مطيع ومعه الأشراف غير عمرو بن حريث فإنه خرج إلى البرّ ، وجاء المختار حتى نزل جانب السوق ، وولى إبراهيم بن الأشتر حصار القصر ومعه يزيد بن أنس وأحمر بن شميظ ، فحصروا القصر من ثلاث جهات ثلاثة أيام ، وأشرف رجل من أصحاب ابن مطيع عشية على أصحاب المختار ، فجعل يشتمهم ، فرماه رجل منهم بسهم فأصاب حلقه ، فقطع الجلد فوق ثم برأ بعد ذلك ، وجعل ابن مطيع يفرّق على أصحابه الدقيق وهو محصور ، واشتدّ عليهم الحصار ، وأقبلت همدان حتى تسلّقوا القصر بالحبال ، فلما رأى ابن مطيع وأصحابه ذلك أشار عليه شبت أن يأخذ لنفسه أماناً ، فكره ذلك ، فأشار عليه أن يخرج خفية إلى دار من دور الكوفة ، ثم يلحق بابن الزبير ، فقبل وخرج ليلاً فدخل دار أبي موسى ، وخلّى القصر ففتح أصحابه الباب .

اعطاء الأمان للأشراف

وجاء ابن الأشتر فطلب من بالقصر منه الأمان فأمّنهم ، فخرجوا فبايعوا المختار ، وجاء المختار حتى دخل القصر فبات فيه ، وأصبح الأشراف في المسجد

وعلى باب القصر. (١)

خطبة المختار

وخرج المختار فصعد المنبر وخطب الناس ، وقال : الحمد لله الذي وعد وليّه النصر ، وعدّوه الخسر ، وجعلهُ فيه الى اخر الدهر وعداً مفعولاً وقضاءً مقضياً وقد خاب من افترى .

ايّها الناس .. إنه رفعت لنا راية ومدّت لنا غاية ، فقليل لنا في الراية ان ارفعوها ولا تضعوها ، وفي الغاية آجرو اليها ولا تعدّوها ، فسمعنا دعوة الداعي ، ومقالة الواعي ، فكم من ناعي وناعية لقتلى في الراعية ! وبعداً لمن طغى وادبر وعصى وكذب وتولى ، ألا فادخلوا .

ايها الناس فبايعوا بيعة هدى ، فلا والذي جعل السماء سقفاً مكفوفاً ، والأرض فجاجاً سبلاً ، ما بايعتم بيعة علي بن أبي طالب وآل علي أهدي منها. (٢)

ثمّ قعد على المنبر ووثب قائماً وقال : أما والذي جعلني بصيراً ونور قلبي تنويراً ، لأحرق بالمصر دوراً ، ولأنبشّن بها قبوراً ، لأشفينّ بها صدوراً ، ولأقتلن جباراً كفوراً ملعوناً وغدوراً ، وكفى بالله هادياً ونصيراً ، وعن قليل ورب الحرم والبيت المحرّم والركن المكرّم والمسجد المعظم وحق النون والقلم ليرفعنّ لي العلم من الكوفة الى أضم الى أكناف ذي سلم من العرب والعجم ، ثم لأتخذن من بني تميم أكثر الخدم. (٣)

(١) بحار الأنوار ٤٥ : ٣٦٩ .

(٢) تاريخ الطبري ٦ : ٣٢ .

(٣) الفتوح ٣ : ٢٦٦ .

البيعة للمختار

ثم نزل فدخل عليه أشراف الكوفة فبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ،
والطلب بدماء أهل البيت ، وجهاد المحلّين ، والدفع عن الضعفاء ، وقتال من قاتلنا ،
وسلم من سالمنا ، وأحسن المختار السيرة جهده ، وفي ذلك يقول الشاعر :

ولمّا دعا المختار جئنا لنصره على الخيل تردى من كميّ وأشقرا
دعا يالثرارات الحسين فأقبلت تعادى بفرسان الصياح لتثأرا
وبلغه أنّ ابن مطيع في دار أبي موسى ، فأرسل إليه مائة ألف درهم ، وقال :
تجهّز بها ، وكان بينهما صداقة ، فأخذها ومضى إلى البصرة .

تقسيم بيت المال

ووجد المختار في بيت المال تسعة آلاف ألف درهم ، فأعطى أصحابه الذين
قاتل بهم حين حصر عبدالله بن مطيع في القصر وهم ثلاثة آلاف وخمسمائة لكل
رجل منهم خمسمائة درهم واعطى ستة آلاف من أصحابه الذين أتوه بعد ما أحاط
بالقصر واقاموا معه تلك الأيام الثلاثة مائتين مائتين^(١).

قال الراوي: ووقف أبا عمرة (صاحب حرس المختار) يوماً بالقرب منه وهو
مشغول يتحدث إلى الاشراف فقال له : بعض الموالي قالوا لي : أما ترى أبا إسحاق
قد أقبل على العرب ما ينظر إلينا ، فأنتبه له المختار وقال لكيسان : ما يقول لك
اولئك الذين يكلمونك ، فقال له واسرّ اليه : شقّ عليهم اصلحك الله صرفك وجهك
عنهم الى العرب ، فقال له : قل لهم : لا يشقنّ ذلك عليكم ، فأنتم مني وانا منكم ، ثم
سكت طويلاً ثم قرا: ﴿ إِنَّا مِنَ الْمَجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾ فلَمَّا سمعها الموالي عنه قال

(١) الكامل في التاريخ ٤ : ٢٢٧ .

بعضهم لبعض : ابشروا كأنكم والله به قد قتلهم .

كما عفا عن كثير ممن اشترك مع ابن مطيع في قتاله وسار في الناس سيرة حسنة وقد سمع صوتاً عالياً يناديه^(١) :

امنن عليه اليوم يا خير معد وخير من حل بسحرٍ والجند
وخير من زكى وصلى وسجد بعد الرسول والوصي المعتمد
فسأل عنه فقالوا من السجن ، فأحضره ، فإذا هو سراقة بن مرداس وقد قاتل قتالاً شديداً مع ابن مطيع فأسر وحبس فلما مثل بين يديه انشده شعراً^(٢) :

الا ابلغ ابا اسحاق إنا	نزوناً نزوة كانت علينا
خرجنا لا نرى الضعفاء شيئاً	فكان خروجنا بطراً وحيناً
لقينا منهم ضرباً طلحفياً ^(٣)	وطعناً مكبداً حتى انثنينا
نصرت على عدوك كل يوم	بكل كتيبة تنعى حسينا
فأسجح اذ ملكت فلو ملكنا	لجرنا في الحكومة واعتدينا
تقبل توبة مني فائي	سأشكر إذ جعلت النقد دينا
فعفا عنه واطلق سراحه .	

وسراقة هذا الذي قال للمختار : رأيت الملائكة يقاتلون معك ، فقال له المختار : كذبت يا عدو الله أخرج من الكوفة إلى أي بلد شئت ولا تساكنتني الكوفة فخرج إلى البصرة .^(٤)

(١) مقتل الامام الحسين ٢ : ٢١٦ .

(٢) مقتل الحسين ٢ : ٢١٦ .

(٣) الطلحفي : الضرب الشديد ..

(٤) مقتل الحسين ٢ : ٢١٦ .

ارسال العمال الى الأمصار

لما استتب الأمر للمختار استعمل على شرطه عبدالله بن كامل الشاكري وعلى حرسه كيسان ابا عمرة مولى عُرينة^(١)، ثم وجّه ولاته الى الأمصار فأرسل عبدالله بن الحارث على ارمينية ، وبعث محمد بن عمير بن عطار على اذربيجان ، وبعث عبدالرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل ، وإسحاق بن مسعود على المدائن وارض جوخي ، وقدامة بن ابي عيسى بن ربيعة النظري على بهقباذ الأعلى، وبعث محمد بن كعب بن قرصة على بهقباذ الأسفل ، وبعث سعد بن حذيفة بن اليمان على حلوان ، وعمر بن السائب على الري وهمدان ، وفرق العمال على البلاد ، وصار يجلس للقضاء بين الناس ، ثم أقام شريعاً للقضاء ، وكانوا يقولون : إنه عثمانى ، وأنه ممن شهد على حجر بن عديّ ، وأنه لم يبلغ عن هانئ بن عروة ما أرسله به ، وإنّ عليّاً عليه السلام عزله عن القضاء ، فأراد المختار عزله ، فتمارض فعزله ، وولّى عبدالله بن عتبة بن مسعود فمرض فجعل مكانه عبدالله بن مالك^(٢).

هلاك مروان بن الحكم

وفي تلك الأثناء هلك مروان بن الحكم وولّى بعده ابنه عبدالملك ، فأقرّ ابن زياد على ما كان ابوه ولّاه وامره بالجدّ في امره^(٣).

رسالة الى المختار

وكتب عبدالرحمن بن سعيد بن قيس الى المختار قائلاً :

(١) تاريخ الطبري ٦ : ٣٣ .

(٢) بحار الأنوار ٤٥ : ٣٧٠ .

(٣) الكامل لابن الأثير ٤ : ٢٢٨ .

أما بعد ، فإنني أخبرك أيها الأمير ، ان عبيدالله بن زياد قد دخل ارض الموصل وقد وجّه قبلي خيله ورجاله وإني إنحزت الى تكرّيت حتى يأتيك رأيك وأمرك والسلام .

جواب المختار

فكتب إليه المختار : أما بعد ، فقد بلغني كتابك وفهمت كل ما ذكرت فيه فقد أصبت بإنحيازك الى تكرّيت ، ولا تبرحن مكانك الذي انت فيه حتى يأتيك أمري إن شاء الله والسلام.^(١)

ثم دعا المختار برجل من سادات الكوفة وشجعانهم ، هو يزيد بن انس الأسدي فقال له : يا يزيد إنك قد علمت ان العاقل ليس كالجاهل ، وإن الحق ليس كالباطل ، واني اخبرك خبر لم يكذب ولم يُكذّب ، ولم يُخالف ولم يُرتب ، إننا نحن المؤمنون الميامين المعاليم العالمون ، وإنك صاحب الخيل العتاق وفارس اهل العراق ، وستورد خيلك حياض المنون ومنابت الزيتون ، غائرة عيونها لاحقة بطونها ، وهذا ابن زياد قد أقبل في المحلّين وابناء الفاسقين فسر اليه في المؤمنين واطلب بدم ابن بنت نبي ربّ العالمين .

فقال له يزيد ابن انس :

أيها الأمير ! اضمم اليّ ثلاثة آلاف فارس ممن انتخبهم أنا وخليّني والوجهة الذي توجهني ، فإذا احتجت الى مدد فإنني سأكتب اليك بذلك إن شاء الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(١) تاريخ الطبري ٦ : ٣٨ .

فقال له المختار : اخرج فانتخب من احببت من الناس ^(١) .

ووقع القتال بينهما في ذي الحجة يوم عرفة سنة ٦٦ هـ ، قبل شروق الشمس الى ارتفاع النهار ^(٢) .

مقتل قادة الشام

قال الراوي: كان مروان بن الحكم بعد أن بويع له بالشام أرسل عبيد الله بن زياد في جيش إلى الجزيرة ، فإذا فرغ منها سار إلى العراق ، وجعل له كل ما غلب عليه ، وأمره أن ينهب الكوفة إن ظفر بأهلها ثلاثاً ، ثم كان من أمره مع التوأمين ما تقدّم ذكره ، وكان زفر بن الحارث الكلبيّ ومعه قبيلة تسمى قيس عيلان بالجزيرة على طاعة ابن الزبير ، فلم يزل ابن زياد مشتغلاً بهم عن العراق نحو سنة فهلك مروان وولّي بعده ابنه عبد الملك فأقرّ ابن زياد على ما كان أبوه ولّاه .

فلما عجز ابن زياد عن زفر ومن معه بالجزيرة أقبل إلى الموصل وهي للمختار ، فتنحّى عامل المختار إلى تكريت ، وكتب إلى المختار يخبره بذلك ، فكتب إليه المختار يصوّب رأيه ، ويأمره أن لا يفارق مكانه حتى يأتيه أمره ، وأرسل المختار يزيد بن أنس الأسديّ وانتخب معه ثلاثة آلاف فارس ووعدّه المدد متى احتاج ، وشيّعهُ وقال : إذا لقيت عدوك فلا تناظرهم ، وإذا أمكنتك الفرصة فلا تؤخّرهما ، وليكن خبرك كلّ يوم عندي .

وكتب إلى عامل الموصل أن يخلّي بينه وبين البلاد ، فسار حتى أتى أرض الموصل فبلغ خبره ابن زياد ، فقال : لأبعثنّ إلى كلّ ألف ألفين ، فأرسل إليه ستّة

(١) الفتوح مج ٣ : ٢٨٤ .

(٢) انساب الأشراف ٦ : ٣٩٧ .

آلاف : ثلاثة مع ربيعة الغنوي ، وثلاثة مع عبد الله بن جملة الخثعمي ، فصار ربيعة قبل عبد الله بيوم حتى لقي يزيد بن أنس فخرج يزيد بن أنس وهو مريض شديد المرض راكب على حمار يمسكه الرجال ، فوقف على أصحابه وعبأهم وحثهم على القتال ، ثم وضع بين الرجال على سرير ، وقال : قاتلوا عن أميركم إن شئتم ، أو فزوا عنه ، وجعل يأمر الناس بما يفعلونه ، ثم يغمى عليه ، ثم يفيق ، واقتتل الناس عند فلق الصبح يوم عرفة فاشتد القتال إلى ارتفاع الضحى ، فانهزم أهل الشام وأخذ عسكرهم ، ووصل أهل العراق إلى أميرهم ربيعة ، وقد انهزم عنه أصحابه وهو يناديهم ويحرضهم على القتال ، ويقول : إنما تقاتلون من خرج من الاسلام ، فاجتمع إليه جماعة فقاتلوا معه ، واشتد القتال ، وخرج رجل من أهل العراق يعترض الناس بسيفه ، وهو يقول :

برئت من دين المحكمينا وذاك فينا شر دين دينا

ثم انهزم أهل الشام ، وقتل أميرهم ربيعة ، فصار المنهزمون ساعة فلقهم عبد الله الخثعمي الأمير الثاني لأهل الشام في ثلاثة آلاف ، فردّ معه المنهزمين وجاء إلى الموضع الذي فيه أصحاب المختار ، فباتوا ليلتهم يتحارسون ، فلما أصبحوا يوم عيد الأضحى خرجوا إلى القتال ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم نزلوا فصلوا الظهر ، ثم عادوا إلى القتال فانهزم أهل الشام هزيمة قبيحة ، وقتلوا قتلاً ذريعاً ، وحوى أهل العراق عسكرهم حتى انتهوا إلى أميرهم عبد الله فقتلوه ، وأسروا منهم ثلاثمائة أسير ، فأمر يزيد بن أنس بقتلهم وهو في آخر رمق ، فقتلوا^(١).

وفاة قائد جيش المختار

وفي عصر اليوم الأول من عيد الأضحى توفي يزيد بن أنس أمير جيش

(١) تاريخ الطبري ٦ : ٤٠ .

المختار، فصلّى عليه ورقاء بن عازب ودفنه .

عندما توفي يزيد بن أنس ورأى أصحابه ذلك سقط في أيديهم ، فقال لهم ورقاء : يا قوم ماذا ترون ؟ إنه قد بلغني ان عبيدالله بن زياد قد اقبل علينا في ثمانين الف من اهل الشام^(١) .

فجعل قسم من أصحابه يتسللون ويرجعون ، وقد وجد نفسه ليس له طاقة بهذا العدد الهائل من جند الشام ، وفضل ما يقوم به هو الانسحاب ، ولا سيّما ان بعض اصحابه اخذوا بالتسلل والانصراف .

ثم أعاد القول على أصحابه : ماذا ترون فيما اخبرتكم ؟ إنما انا رجل منكم ولست بأفضلكم رايًا فأشيروا عليّ ! فإن ابن زياد قد جاءكم بجند اهل الشام وبخيلهم وفرسانهم واشرافهم ، ولا أرى لنا ولكم طاقة على هذه الحال ، وقد هلك يزيد بن انس أميرنا ، وتفرقت طائفة منا فلوا انصرفنا اليوم من تلقاء انفسنا قبل ان نلقاهم ، وقبل ان نبلغهم فيعلموا أننا انما ردّنا عنهم هلاك صاحبنا ، فلا يزالوا لنا هائبين لقتلنا منهم أميرهم . وإنما نعتلّ لانصرفنا موت صاحبنا ، وإنا إن لقيناهم اليوم كنا مخاطرين فإن هزمنا اليوم لم تنفعنا هزيمتنا إياهم قبل اليوم .

قتال المتمردين

فقالوا : نعم ما رأيت ، فانصرفوا ، فبلغ ذلك المختار وأهل الكوفة ، فأرجف الناس بالمختار ، وقالوا : إن يزيد قتل ولم يصدّقوا أنه مات ، فأرسل المختار إلى عامله بالمدائن يسأله عن ذلك ، فأخبره بموته ، وأنّ العسكر انصرف من غير هزيمة ولا كسرة ، فطاب قلب المختار ، فدعا إبراهيم بن الأشتر وأرسله ، وقال : إذا لقيت

(١) تاريخ الطبري ٦ : ٤٢ .

جيش يزيد بن أنس فأنت الأمير عليهم فارددهم معك حتى تلقى ابن زياد وأصحابه فتقاتلهم ، ثم ودّعه وانصرف ، فخرج إبراهيم ، فلما سار اجتمع أشرف الكوفة عند شبت بن ربعي ، وقالوا : إن المختار تأمر علينا بغير رضئ منا ، ولقد أدنى موالينا فحملهم على الدواب ، وأعطاهم فيأنا.

فقال لهم شبت : دعوني حتى ألقاه ، فذهب إليه فلم يدع شيئاً أنكره إلا ذكره له والمختار يقول : أنا أرضيهم وأفعل كلّمأ أحبوا ، ولم يكن أصعب عليهم من مشاركة الموالى لهم في الفياء .

فقال المختار : إن أنا تركت موالىكم وجعلت فيأكم لكم تقاتلون معي بني أمية وابن الزبير ، وتعطوني العهد على ذلك .

فقال شبت : حتى أرجع إلى أصحابي فأخبرهم ، فخرج ولم يرجع إلى المختار ، فأجمع رأيهم على قتاله ، وكان بقي مع المختار أربعة آلاف .

فقال عبد الرحمن الأسدي لأهل الكوفة : لا تخرجوا على المختار فإنني أخاف أن تختلفوا وتتفرّقوا ومع الرجل شجعانكم وموالىكم وكلمتهم واحدة ، فانتظروا قليلاً يكفيكم ذلك أهل الشام وأهل البصرة ، فلم يقبلوا ، وخرجوا على المختار بعد مسير إبراهيم بالجنانات كلّ رئيس بجبّانة ، وجأهروا بالعصيان ، ولم يبق أحد ممّن شرك في قتل الحسين عليه السلام وكان مختفياً إلا ظهر ، فلما بلغ ذلك المختار أرسل رسولاً مجدداً إلى إبراهيم ، فلحقه وهو بساباط المدائن قريب بغداد ، وكتب إليه المختار : أن لا تضع كتابي من يدك حتى تقبل إليّ بجميع من معك ، وبعث إليهم المختار : أن أخبروني ما تريدون فإنني أصنع كلّأ أحببتم .

قالوا : نريد أن تعتزلنا ، فإنك زعمت أن محمد بن الحنفية بعثك ولم يبعثك . قال : فأرسلوا إليه وفداً من قبلكم ، وأرسل إليه أنا وفداً - وهو يريد أن يطاولهم حتى يقدم عليه إبراهيم - وأمر أصحابه أن يكفوا أيديهم ، وقد أخذ عليهم

أهل الكوفة بأفواه السكك ، فليس يصل إليهم من الماء إلا القليل ، ولما سار رسول المختار وصل إلى ابن الأشتر في عشية ذلك اليوم ، فرجع ابن الأشتر بقيّة عشيته تلك ، ثم نزل عند المساء فتعشى أصحابه ، وأراحوا دوابهم قليلاً ، ثم سار ليلته كلها واليوم الثاني حتى وصل إلى الكوفة عند العصر ، وبات في المسجد ومعه من أصحابه أهل القوة والجلد ، ثم إن المختار عبأ أصحابه ، وأرسل ابن الأشتر إلى مضر وخشي أن يرسله إلى أهل اليمن فلا يبالغ في قتالهم لأنهم قومه ، وسار المختار إلى أهل اليمن ، وقدم بين يديه أحمر بن شميظ وعبد الله بن كامل ، وأمر كلاً بلزوم طريق مخصوص ، وأسرّ إليهما أن شاباً قد أرسلوا إليه يخبرونه أنهم يأتون القوم من ورائهم ، فمضيا إلى أهل اليمن واقتتلوا أشد قتال رآه الناس ، ثم انهزم أصحاب أحمر وأصحاب ابن كامل ، ووصلوا إلى المختار فردّهم ، وأقبل بهم نحو القوم ، ثم أرسل عبد الله بن قراد الخثعمي في أربعمئة إلى ابن كامل ، وقال له : إن كان قد هلك فأنت مكانه فقاتل القوم ، وإن كان حيّاً فترك عنده ثلاثمئة وامض في مائة حتى تأتي جبّانة السبيع ، فمضى فوجد ابن كامل يقاتلهم في جماعة قد صبروا معه ، فترك عنده ثلاثمئة وسار في مائة .

مالك بن عمرو

وبعث المختار مالك بن عمرو النهدي - وكان شجاعاً - وعبد الله بن شريك النهدي في أربعمئة إلى أحمر بن شميظ ، فوصلوا إليه وقد غلبه القوم ، فاشتد قتالهم عند ذلك .

وأما ابن الأشتر فإنه مضى إلى مضر فلقي شبت بن ربيعي ومن معه ، فقال لهم : ويحكم ، انصرفوا فما أحب أن يصاب من مضر على يدي أحد ، فلا تهلكوا أنفسكم ، فأبوا ، فقاتلهم إبراهيم فهزمهم ، وأرسل إلى المختار يبشّره بذلك ، فأرسل المختار إلى أحمر بن شميظ وابن كامل يبشّرهما ، فاشتد أمرهما .

أبو القلوص

واجتمعت شبام ليأتوا اليمن من ورائهم كما أرسلوا إلى المختار ورأسوا عليهم أبا القلوص ، فقال بعضهم : لو جعلتم جدكم علي مضر وربيعه لكان أصوب . فقال أبو القلوص : قال الله تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ ^(١) ، فسار نحو أهل اليمن ، فلقبهم الأعسر الشاكري فقتلوه ، ونادوا : «يا لثارات الحسين» .

مقتل رفاعه بن شداد

عندما سمع المتمردون شعار أصحاب المختار «يا لثارات الحسين» ، نادى يزيد بن عمير : «يا لثارات عثمان» .

فقال لهم رفاعه بن شداد البجلي - وكان معهم على المختار - : لا أقاتل مع قوم يبيعون دم عثمان ، ثم رجع عنهم فقاتل مع المختار ، وهو يقول :

أنا ابن شداد على دين علي لست لعثمان بن أروى بولي
لأصلين اليوم فيمن يصطلي بحر نار الحرب غير مؤ تلي
فقاتل حتى قتل ^(٢).

القضاء على المتمردين

وانهزم أهل اليمن شر هزيمة ، واستخرج من دور الوداعيّين خمسمائة أسير فأتي بهم إلى المختار مكتفين .

فقال : أعرضوهم عليّ ، وانظروا كلّ من شهد قتل الحسين عليه السلام فأعلموني به .

(١) التوبة: ١٢٣ .

(٢) الكامل في التاريخ ٤: ٢٣٤ .

فقتل كل من شهد قتل الحسين عليه السلام ، وقتل منهم مائتين وثمانية وأربعين رجلاً في مجلس واحد ، وأطلق الباقي ، ونادى منادي المختار : من أغلق بابه فهو آمن إلا رجلاً شرك في دم آل محمد صلى عليه وآله .

هدم دور من شرك في قتل الحسين عليه السلام

وأمر المختار صاحب شرطته أبا عمرة أن يجمع ألف رجل من الفعلة بالمعاول ، ويتبع دور من خرج إلى قتال الحسين عليه السلام فيهدمها ، وكان أبو عمرة بذلك عارفاً فجعل يدور بالكوفة على دورهم فيهدم الدار في لحظة فمن خرج إليه منها قتله حتى هدم دوراً كثيرة ، وقتل أناس كثيراً من قتلة الحسين عليه السلام ، منهم عبدالله بن أسيد ومالك بن نسير وحمل بن مالك .

وجعل يطلب ويستقصي فمن ظفر به منهم قتله ، وجعل ماله وعطاءه لرجل من أبناء العجم الذين كانوا معه .

وتجرّد المختار لقتلة الحسين عليه السلام ، وقال : ما من ديننا أن نترك قتلة الحسين عليه السلام أحياء ، بس ناصر آل محمد ﷺ أنا ، أنا إذا الكذاب كما سمّوني ، وإني أستعين بالله عليهم ، فسّمّوهم لي ، ثم اتبعوهم حتى تقتلوهم ، فإنه لا يسوغ لي الطعام ولا الشراب حتى أظهر الأرض منهم .

قتل عمرو بن الحجاج الذي كان موكلاً بالمشركة

وكان عمرو بن الحجاج الزبيدي ممّن شهد قتل الحسين عليه السلام ، فركب راحلته ، وأخذ طريق واقصة فلم يعلم له خبر حتى الساعة .

وقيل : أدركه أصحاب المختار وقد سقط من شدة العطش ، فذبحوه وأخذوا رأسه .

وقيل : إنه هرب يريد البصرة ، وكان من رؤساء قتلة الحسين عليه السلام ، فخاف الشمامسة فعدل إلى شراف .

فقال له أهل الماء : ارحل عنا فإننا لا نأمن المختار ، فارتحل عنهم ، فتلاوموا وقالوا : قد أسأنا ، فركب جماعة منهم ليردّوه ، فلما رأهم ظنّ أنهم من أصحاب المختار فسلك الرمل بمكان يدعى «البيضة» ، وذلك في أشدّ ما يكون من حرارة القيظ فيما بين بلاد كلب وبلاد طيء ، فقال فيها فأهلكه ومن معه العطش ، وعمر بن الحجاج هذا هو الذي كان على المشرعة يمنع الحسين عليه السلام من الماء ، فأهلكه الله تعالى عطشاً في الدنيا ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى .

عبدالله بن مطيع

لما انهزم عبدالله بن مطيع جمع الأشراف الذين معه فقال لهم : جزاكم الله عن الطاعة خيراً ، أما إني سأعلم أمير المؤمنين بما كان من محاماتكم وجدّكم واجتهادكم . فقال شبت : جزاك الله من أمير فقد عففت عن أموالنا ، وأكرمت أشرافنا ونصحت لإمامك الذي عليك وما كنا نفارقك إلا بإذن منك .

ثم قال لهم : فليذهب كل امرئ منكم حيث أحب ، ثم احتال ابن مطيع في الخروج من القصر ليلاً فخرج من ناحية دروب الرومين^(١) ، حتى أتى دار أبي موسى الأشعري ، وقيل خرج بزي امرأة ليلاً^(٢) .

ذكر الذين هربوا من المختار فهدم دورهم من قتلة الحسين عليه السلام

١ - محمد بن الأشعث بن قيس الكندي : وكان محمد بن الأشعث في قرية له

(١) تاريخ الطبري ٦ : ٣٢ .

(٢) بحار الأنوار ٤٠ : ٣٦٩ .

إلى جنب القادسيّة ، فبعث المختار إليه حوشباً البرسمي في مائة ، فخرج حتى أتى قصره ، فأحاط به ، وهرب محمد من القصر ، وهم لا يعلمون به ، فلحق بمصعب ، ثمّ دخلوا القصر فوجدوه قد هرب ، فرجعوا إلى المختار فأخبروه فأمر بهدم داره وقصره ، وأخذ ما فيها ، وبنى بلبن داره وطينها دار حجر بن عديّ الكنديّ ، وكان زياد بن سميّة قد هدمها .^(١)

٢ - عبدالله بن عروة الخثعمي: وطلب المختار أيضاً عبد الله بن عروة الخثعمي الذي كان يقول : رميت فيهم - يعني في أصحاب الحسين عليه السلام - باثني عشر سهماً ، فهرب ولحق بمصعب بن الزبير ، فهدم المختار داره .^(٢)

٣ - أسماء بن خارجة: وكان أسماء بن خارجة الفزاريّ ممّن سعى في قتل مسلم بن عقيل .

فقال المختار يوماً : أما وربّ السماء ، وربّ الضياء ، لتنزلن نار من السماء ، دهماً حراء سحماً ، تحرق دار أسماء ، فبلغ ذلك أسماء ، فقال : سجع بي أبو إسحاق ، ليس هاهنا مقام بعد هذا ، وكان المختار يستعمل السجع في كلامه يذهب في ذلك مذهب الكهان ، وخرج أسماء من داره هارباً إلى البادية ، فهدم داره ، ودور بني عمّه .

٤ - عبد الله بن عقبة الغنويّ: وطلب المختار عبد الله بن عقبة الغنويّ قاتل أبي بكر بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فوجده قد هرب إلى الجزيرة ، فهدم داره .

٥ - شبت بن ربيعي: وبلغ المختار أنّ شبت بن ربيعيّ في أناس من أشراف

(١) أنساب الأشراف ٦ : ٤١٠

(٢) أنساب الأشراف ٦ : ٤١٠

الكوفة قد أخذوا طريق البصرة ، فأرسل خيلاً في طلبهم ، فقاتلوها ، ثم انهزموا .
وهرب أشرف أهل الكوفة والوجوه فلقوا بمصعب بن الزبير بالبصرة .^(١)

قتلة الحسين عليه السلام

ودلّ المختار على عبد الله بن أسيد الجهني ، ومالك بن النسر البدائي ، وحمل
بن مالك المحاربي ، فبعث إليهم المختار مالك بن عمرو النهدي - وكان من رؤساء
أصحابه - ، فأتاهم وهم بالقادسية ، فأخذهم وأقبل بهم حتى أدخلهم على المختار
عشاء .

فقال لهم المختار : يا أعداء الله ، وأعداء كتابه ، وأعداء رسوله وأهل رسوله ،
أين الحسين بن علي؟ أدوا إليّ الحسين ؟ قتلتم من أمرتم بالصلاة عليه في الصلاة .
فقالوا : بعثنا ونحن كارهون ، فامنن علينا واستبقنا .

فقال : فهلاً مننتم على الحسين بن بنت نبيكم ، واستبقيتموه وسقيتموه ؟

ثم قال لمالك بن النسر : أنت صاحب برنس الحسين ؟

فقال له ابن كامل : نعم ، هو ، هو .

فأمر بقطع يديه ورجليه ، وتركه يضطرب ، فلم يزل ينزف الدم حتى هلك ،
وأمر بالرجلين الآخرين فقتلا ، وعجل الله بأرواحهم إلى النار.^(٢)

قتل الذين رضوا جسد الحسين عليه السلام

فأول من بدأ به المختار الذين رضوا جسد الحسين عليه السلام بخيولهم ، فأخذهم ،
وطرحهم على ظهورهم ، وضرب سكك الحديد في أيديهم وأرجلهم ، وأجرى

(١) الكامل لابن الأثير ٤: ٢٤٣ .

(٢) تجارب الأمم ٢: ١٤٩ .

الخيـل عليهم حتى قطعـتهم ، ثم أـحرقهم بالنار .

وهؤلاء هم :

١ - اسحاق بن حوية الحضرمي الذي سلب قميص الحسين .

٢ - الأخنس بن مرثد بن علقمة الحضرمي .

٣ - حكيم بن الطفيل السنبسي الطائي .

٤ - عمرو بن صبيح الصيداوي المذحجي .

٥ - رجاء بن منقذ العبدي .

٦ - سالم بن خيثمة الجعفي .

٧ - واحظ بن ناعم .

٨ - صالح بن وهب الجعفي .

٩ - هاني بن ثبيت الحضرمي .

١٠ - أسيد بن مالك^(١) .

قتل الذين نهبوا الورس من رحل الحسين ﷺ

وبعث المختار أصحابه فأتوه بجماعة من الذين كانوا نهبوا من الورس الذي كان مع الحسين ﷺ ، وهم : زياد بن مالك الضبيعي ، وعمر بن خالد العنزّي ، وعبد الرحمن بن أبي خشكارة البجلي ، وعبد الله بن قيس الخولاني ، فجاءوه بهم حتى أدخلوهم عليه .

فقال لهم : يا قتلة الصالحين ، وقتلة سيّد شباب أهل الجنّة ، ألا ترون الله قد أقاد منكم اليوم ، لقد جاءكم الورس بيوم نحس ، ثم أمر بهم فأخرجوا إلى السوق ، وضربت أعناقهم .

(١) بحار الأنوار ٤٥ : ٥٩ .

وأرسل المختار خيلاً فأتوه بعبد الله وعبد الرحمن ابني صلخت ، وحמיד بن مسلم ، وعبد الله بن وهب ابن عمّ أعشى همدان ، فقبضوا عليهم إلّا حميد بن مسلم فإنه هرب وجي بهم إلى المختار ، فأمر بهم فقتلوا في السوق .^(١)

قتل خوّلّي بن يزيد الذي جاء برأس الحسين عليه السلام

وبعث المختار أبا عمرة فأحاط بدار خوّلّي بن يزيد الأصبحي الذي حمل رأس الحسين عليه السلام إلى ابن زياد ، فاختماً في بيت الخلاء ، ووضع على رأسه قوصرة - وهي ما يصنع من ورق النخل ليوضع فيه التمر - ، فدخلوا الدار ليفتشوا عليه فخرجت امرأته إليهم - وهي العيوف بنت مالك ، وقيل : اسمها النوار ، وكانت محبة لأهل البيت عليه السلام ، وكانت قد نصبت له العداوة من يوم جاء برأس الحسين عليه السلام ، فقالت : ما تريدون ؟

فقالوا لها : أين زوجك ؟

فقالت : لا أدري أين هو - وأشارت بيدها إلى بيت الخلاء - ، فدخلوا ، فوجدوه وقد وضع على رأسه القوصرة فأخرجوه ، وكان المختار يسير في الكوفة ، فجاء في أثرهم ، فأرسلوا إليه يخبرونه ، فردّه حتى قتله إلى جانب أهله ، ثم أحرقه بالنار ولم يبرح من مكانه حتى عاد رماداً .

قتل عمر بن سعد لعنه الله

وكان عمر قد اختفى حين ظهور أمر المختار ، وكان عبد الله بن جعدة بن هبيرة ابن أخت أمير المؤمنين علي عليه السلام أكرم الناس على المختار لقربته من أمير المؤمنين علي عليه السلام ، فطلب عمر بن سعد من عبد الله بن جعدة أن يأخذ له أماناً من

المختار ، ففعل ، وكتب له المختار أماناً ، وشرط فيه أن لا يحدث حدثاً .

قال الطبري ، وغيره : فكان أبو جعفر محمد بن عليّ الباقر يقول : إنما أراد المختار بقوله : «الآن يحدث حدثاً» هو أن يدخل بيت الخلاء ويعمد ، فلمّا كتب المختار الأمان لابن سعد ظهر ابن سعد ، فكان المختار يدينه ويكرمه ، ويجلسه معه على سريره .

وأتى يزيد بن شراحيل الأنصاريّ محمد بن الحنفية عليه السلام فجرى ذكر المختار ، فقال محمد : يزعم أنه لنا شيعة ، وقتله الحسين عليه السلام عنده على الكراسي يحدثونه ، فلمّا قدم يزيد الكوفة أخبر المختار بذلك ، فعزم على قتل عمر بن سعد . وكان أمير المؤمنين عليه السلام في جملة إخباره بالمغيّبات قد أخبر أنّ عمر بن سعد سيقتل الحسين عليه السلام .

قال ابن الأثير في تاريخه : قال عبد الله بن شريك : أدركت أصحاب الأردية المعلمة ، وأصحاب البرانس السود من أصحاب السواريّ إذا مرّ بهم عمر بن سعد قالوا : هذا قاتل الحسين عليه السلام ، وذلك قبل أن يقتله .

وقال ابن سيرين : قال عليّ عليه السلام لعمر بن سعد : كيف أنت إذا قمت مقاماً تخير فيه بين الجنة والنار فتختار النار ؟

ثم إن المختار قال يوماً لأصحابه : لأقتلنّ غداً رجلاً عظيماً القدمين ، غائر العينين ، مشرف الحاجبين ، يهزم الأرض برجله ، يسرّ قتله المؤمنين والملائكة المقرّبين ، وكان عنده الهيثم النخعيّ فوق في نفسه أنّه يريد عمر بن سعد ، فبعث ولده العريان إلى ابن سعد يعرفه ذلك .

فقال ابن سعد : جزى الله أباك خيراً ، كيف يقتلني بعد العهود والمواثيق ؟

ثم إنَّ عمر بن سعد خرج ليلاً فأتى حمامه^(١)، وأخبر مولى له بما كان من أمانه، وبما بلغه عن المختار.

فقال له مولاؤه: وأيِّ حدث أعظم ممَّا صنعت؟ تركت أهلَكَ ورَحْلَكَ وأتيت إلى هنا، ارجع، ولا تجعل للرجل عليك سبيلاً، فرجع إلى منزله.

وجاء الخبر إلى المختار بخروجه، فقال: كلاً إنَّ في عنقه سلسلة سترده.

وقال المرزبانِي: إنَّ ابن سعد لمَّا بلغه قول المختار عزم على الخروج من الكوفة، فأحضر رجلاً من بني تيم اللات اسمه «مالك» وكان شجاعاً، فأعطاه أربعمئة ديناراً، وقال: هذه معك لحوائجنا وخرجنا، فلمَّا كانا عند حِثَّام عمر أو نهر عبد الرحمان وقف عمر وقال: أتدري لم خرجت؟

قال: لا.

قال: خفت المختار.

قال: هو أذلُّ من أن يقتلك، وإن هربت هدم دارك، وانتهب عيالك ومالك، وخرَّب ضياعك، وأنت أعزُّ العرب، فاعترَّ بكلامه ودخل الكوفة مع الغداة.

وقيل: إنَّ عمر نام على الناقة فرجعت به وهو لا يدري حتى رُدَّته إلى الكوفة، فأرسل عمر عند الصبح ابنه حفصاً إلى المختار ليجدَّ له الأمان.

فقال له المختار: أين أبوك؟

(١) قال السيد محسن الأمين رحمه الله: كذا وجدناه في بعض الكتب: فلمَّا كان عند حِثَّام عمر، والظاهر أنَّه اسم موضع، والذي كتب: «حِثَّام» ظنَّ أنَّ المراد بعمر في قولهم: «حِثَّام عمر» هو عمر بن سعد فأضاف «حِثَّام» إلى ضميره، ولكنَّا لم نجد مكاناً يسمَّى «حِثَّام عمر»، ويمكن كونه «حِثَّام أعين» بالكوفة، ذكره في الاخبار مشهور منسوب إلى أعين مولى سعد بن أبي وقاص.

فقال : في المنزل - ولم يكن عمر بن سعد وابنه حفص يجتمعان عند المختار - فإذا حضر أحدهما غاب الآخر خوفاً أن يجتمعا فيقتلها .

فقال حفص : أبي يقول : أتفي لنا بالأمان ؟

قال : اجلس ، وطلب المختار أبا عمرة كيسان ، فأقبل رجل قصير يتخشخش في السلاح ، فأسرّ إليه المختار أن يقتل عمر بن سعد ، وبعث معه رجلين آخرين ، وقال له : إذا دخلت ورأيتَه يقول : « يا غلام ، عليّ بطيلسانيّ » فإنه يريد السيف ، فبادره واقتله .

فذهب أبو عمرة إلى ابن سعد ، وقال له : أجب الأمير .

فقام عمر فعرّ في جبّة له ، فضربه أبو عمرة بسيفه فقتله وقطع رأسه ، وحمله في طرف قبائه حتى وضعه بين يدي المختار ، وظهر بذلك تصديق قول الحسين عليه السلام لابن سعد : « وسلّط الله عليك من يذبحك بعدي على فراشك » .

فقال المختار لابنه حفص : أتعرف هذا الرأس ؟

فاسترجع ، وقال : نعم ، ولا خير في العيش بعده .

فقال له المختار : صدقت ، وأنك لا تعيش بعده ، فأمر به فقتل ، وإذا رأسه مع رأس أبيه ، وقال المختار : هذا بالحسين ، وهذا بعليّ بن الحسين ولا سواء ، والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملة من أنامله .^(١)

ارسلال الرؤوس إلى المدينة

ثم بعث المختار برأسي عمر بن سعد وابنه إلى محمد بن الحنفية مع مسافر

ابن سعد الهمداني وظيفيان بن عمارة التميمي ، فدخل على محمد بن الحنفية وخبراه الخبر فخرّ ساجداً وبسط كفيه وقال : اللهم لا تنسى هذا اليوم للمختار واجزه عن اهل بيت نبيك محمد ﷺ خير الجزاء فوالله ما على المختار بعد هذا من عتب.^(١)

وقد كتب معهما المختار كتاباً جاء فيه :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد: فإن الله بعثني نعمة على أعدائك ، فهم بين قتيل وطريد وشريد ، فالحمد لله الذي قتل قاتليكم ، ونصر مؤازريكم ، وقد بعثت اليك براس عمر بن سعد وابنه ، وقد قتلنا من شرك في دم الحسين وأهل بيته ، رحمة الله عليهم كل من قدرنا عليه ، ولن يعجز الله من بقي ، ولست بمنجم عنهم حتى لا يبلغني إن على أديم الأرض ارمياً»^(٢).

قتل شمر لعنه الله

وكان شمر لعنه الله قد هرب من الكوفة ومعه جماعة ممن شرك في قتل الحسين ﷺ على خيول لهم مضمرة ، فأرسل إليه المختار عبداً له أسود يقال له : «زربي» ، وكان شجاعاً ؛ وقيل : إنه مولى بجيلة ، ومعه مائة فارس على الخيل العتاق ، فجعل يجدد السير حتى انقطع عن أصحابه إلا عشرة فوارس .

فقال شمر لعنه الله لأصحابه : تباعدوا عني لعل العبد يطمع في ، فتباعدوا

(١) الكامل لابن الأثير ٤ : ٢٤١ .

(٢) تاريخ الطبري ٦ : ٦٢ .

قال المجلسي رحمه الله: كان الامام محمد الباقر ﷺ يقول : أما أمان المختار لعمر بن سعد ، إلا أن يحدث حدثاً ، فإنه كان يريد به إذا دخل الخلاء فأحدث ! وقيل للمختار : آمنتته على أن لا يحدث حدثاً ولم يحدث ؟ قال : سبحان الله ! ألم يدخل الخلاء منذ آمنتته !! انظر: بحار الأنوار ٤٥ : ٣٧٨ .

عنه ، ولحقه العبد ، حتى إذا انقطع عن أصحابه حمل شمر لعنه الله فقتله ، وانهزم أصحابه العشرة حتى لحق بهم الباقيون .

ثم مضى شمر لعنه الله وأصحابه حتى نزلوا قرية يقال لها : «الكلتانية» قريباً من البصرة على شاطئ نهر إلى جانب تلّ ، ثم أخذ شمر علجاً من القرية ودفع إليه كتاباً ، وقال : عجل به إلى مصعب بن الزبير بالبصرة ، وكتب عنوانه : للأمير مصعب من شمر بن ذي الجوشن . فمضى العلج حتى دخل قرية فيها أبو عمرة صاحب المختار ، وكان قد أرسله المختار إلى تلك القرية في خمسمائة فارس ليكون مسلحة بينه وبين أهل البصرة ، فلقي ذلك العلج علجاً آخر من تلك القرية ، فجعل يشكو إليه ما لقي من شمر ، فبينما هو يكلمه إذ مرّ به رجل من أصحاب أبي عمرة ، فرأى الكتاب مع العلج وعنوانه : « إلى مصعب من شمر » ، فسألوا العلج عن مكان شمر ، فأخبرهم ، فإذا ليس بينه وبينهم إلا ثلاثة فراسخ ، فأقبلوا يسرون إليه ، وكان أصحاب شمر قالوا له تلك الليلة : لو ارتحلت بنا من هذه القرية فإننا نتخوّف منها .

فقال : كلّ هذا فرعاً من الكذاب - يعني المختار - ، والله لا أتحوّل منها ثلاثة أيام ملأ الله قلوبكم رعباً ، فبينما شمر وأصحابه نيام إذ سمع رجل من أصحابه كان بين النائم واليقظان وقع حوافر الخيل ، فقال في نفسه : هذا صوت الدبى - وهو الجراد الصغير - ، وكان بذلك المكان دبى كثير ، ثم سمعه أشدّ من ذلك ، فانتبه ومسح عينيه ، وقال : والله ما هذا بالدبى ، وذهب ليقوم فإذا بالخيل قد أشرفت عليهم من التلّ ، فكبروا وأحاطوا بالبيوت ، فهرب أصحاب شمر وتركوا خيلهم ، وقام شمر وهو عريان مثتزر بأزار ، وكان أبرص وبرصه يبدو من تحت الأزار ، وأعجلوه عن لبس ثيابه وسلاحه ، فجعل يقاتلهم بالرمح ، ثم ألقاه وأخذ السيف ، وجعل يقاتلهم به ، فلما بعد عنه أصحابه سمعوا التكبير وقائلاً يقول : قتل الله

الخيث ، وقتله عبد الرحمان بن أبي الكنود ، وهو الذي وجد الكتاب مع العليج ، ذبحه ذبحاً كما ذبح الحسين عليه السلام ، وأوطأوا الخيل صدر شمر وظهره ، ثم ألقيت جثته للكلاب ، وباء في الدنيا قبل الآخرة بالذلّ وسوء العذاب ، وقطعوا رأسه وأرسلوه إلى المختار ، فأرسله المختار إلى محمد بن الحنفية بالمدينة .

وقيل : جاءه من أصحاب المختار خمسون فارساً وأمامهم نبطيّ يدلّهم على الطريق ، وذلك في ليلة مقمرة ، فلما أحسّ بهم شمر دعا بفرسه فركبه ، وركب من كان معه ليهربوا ، فأدركهم القوم فقاتلوهم ، فقتل شمر وجميع من كان معه ، واحتزّوا رؤوسهم ، وأتوا بها أميرهم فأرسلها إلى المختار ، فنصبها المختار في رحبة الحدّائين حذاء الجامع .

وفي البحار عن أمالي الشيخ قدس سرّه : أنّ المختار لما طلب شمرًا هرب إلى البادية ، فخرج إليه أبو عمرة في نفر من أصحابه فقاتلهم قتالاً شديداً ، وأثخنه الجراحة ، فأخذه أبو عمرة أسيراً ، وبعث به إلى المختار ، فضرب عنقه ، وأغلى له دهناً في قدر فقفذه فيها ، وفتسّخ ، ووطئ مولى لآل حارثة بن المضرب وجهه ورأسه .^(١)

قتل سنان بن أنس النخعي

وطلب المختار سنان بن أنس النخعي فوجده قد هرب إلى البصرة ، فهدم داره ، ثمّ خرج من البصرة نحو القادسية ، وكان عليه عيون فأخبروا المختار ، فأرسل إليه فأخذه بين العذيب والقادسية ، فقطع أنامله ، ثمّ قطع يديه ورجليه ، وأغلى له زيتاً في قدر ورماء فيها.^(٢)

(١) البداية والنهاية ٨: ٢٩٧ .

(٢) بحار الأنوار ٤٥: ٣٧٥ .

وقد روى ابن الأثير في تاريخه: أنَّ سنان كان ضمن الذين فرّوا من الكوفة فهدم المختار داره. (١)

حميد بن مسلم

كان حميد بن مسلم من ضمن جيش عمر بن سعد، وقد نقل الكثير من وقائع كربلاء.

قالت فاطمة بنت الحسين: لما دخلت العامة علينا بالنهب دخل رجل وأنا صغيرة وفي رجلي خلخالان فتزعهما من رجلي وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: وكيف لا أبكي وأنا أسلب ابنة رسول الله؟! فقلت: لا تسلبني.

فقال: أخاف أن يأخذه غيري.

وقال حميد بن مسلم: انتهيت إلى علي بن الحسين عليه السلام وهو مضطجع على فراش له وهو مريض، وإذا شمر معه رجل يقول: ألا نقتل هذا الصبي؟ فقلت: سبحان الله! ما معنى قتل الصبيان؟ فما زال دأبي كذلك أدفع عنه حتى جاء عمر بن سعد، فقال: لا يدخلن أحد بيوت هذه النسوة، ولا يتعرّض لهذا الغلام أحد، ومن أخذ من متاعهم شيئاً فليردّه، فوالله ما ردّ أحد شيئاً غير أنهم كفّوا. فقال لي علي بن الحسين عليه السلام: جزيت خيراً فقد دفع الله عنا - بمقاتلتك - أشرار الناس. (٢)

(١) الكامل لابن الأثير ٤: ٢٤٣.

(٢) تاريخ الطبري ٧: ٣٦٧.

وقد يكون هذا الموقف من حميد هو السبب لنجاته من القتل، وعند تمكن سائب بن مالك من القاء القبض عليه عندما أرسله المختار لهذه المهمة.^(١)

قتل حرملة بن كاهل عليه اللعنة

قال المنهال بن عمرو، قال: دخلت على عليّ بن الحسين عليه السلام في مكة، فقال لي: يا منهال، ما فعل حرملة بن كاهلة الأسدي؟
فقلت: تركته حياً بالكوفة.

قال: فرفع يديه جميعاً، ثم قال: اللهم أذقه حرّ الحديد، اللهم أذقه حرّ الحديد، اللهم أذقه حرّ النار، اللهم أذقه حرّ النار.

قال المنهال: تقدمت الكوفة وقد ظهر المختار بن أبي عبيد، وكان لي صديقاً، قال: فكنت في منزلي أياماً حتى انقطع الناس عني، ثم ركبته إليه فلقيته خارجاً من داره فقال: يا منهال، لم تأتني في ولايتنا هذه، ولم تهنأ بها، ولم تشركنا فيها؟ فأعلمته أنني كنت بمكة، وأنني قد جئت الآن، وسأيرته ونحن نتحدث حتى أتى الكناس، فوقف وقوفاً كأنه منتظر لشيء، وقد كان أخبر بمكان حرملة بن كاهلة لعنه الله، فوجه في طلبه، فلم نلبث أن جاء قوم يركضون وقوم يشدون حتى قالوا: أيها الأمير، البشارة، قد أخذ حرملة بن كاهلة، فما لبثنا أن جيء به، فلما نظر إليه المختار قال لحرملة: الحمد لله الذي مكّني منك، ثم قال: الجزار الجزار، فأتي بجزار، فقال له: اقطع يديه، فقطعتا، ثم قال: اقطع رجليه، فقطعتا، ثم قال: النار، فأتي بنار وقصب فألقي عليه فاشتعلت فيه النار.

فقلت: سبحان الله! سبحان الله!

(١) تاريخ الطبري ٨: ٦٧٨.

فقال: يا منهال، إن التسبيح لحسن، فقيم سبحت؟

فقلت: أيها الأمير، دخلت في سفرتي هذه منصرفي من مكة على علي بن الحسين عليه السلام، فقال: يا منهال، ما فعل حرمله بن كاهلة؟ قلت: تركته حياً بالكوفة، فرفع يديه جميعاً وقال: اللهم أذقه حرّ الحديد، اللهم أذقه حرّ الحديد، اللهم أذقه حرّ النار، اللهم أذقه حرّ النار.

فقال المختار: أسمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول هذا؟

فقلت: والله لقد سمعته يقول هذا، فنزل عن دابته وصلى ركعتين وأطال السجود، ثم قام وركب، وقد احترق حرمله، وركبت معه وسرنا، فحاذيت داري، فقلت: أيها الأمير، إن رأيت أن تشرفني وتكرمني وتنزل عندي وتحرم بطعامي.

فقال: يا منهال، تعلمني أن علي بن الحسين عليه السلام دعا بأربع دعوات فأجابها الله على يدي، ثم تأمرني أن آكل! هذا يوم صوم شكراً لله على ما فعلته بتوفيقه، وحرمله هو الذي حمل رأس الحسين عليه السلام إلى يزيد، وهو الذي رمى عبدالله بن الحسين الرضيع بسهم فذبحه.^(١)

جرائم حرمله

١ - قتل عبدالله الرضيع ابن الإمام الحسين عليه السلام، فقد رماه حرمله بسهم فقتله في حجر الحسين عليه السلام.

٢ - قتل عبيد الله الأصغر بن الإمام الحسن عليه السلام وهو في حجر عمه الحسين عليه السلام حيث رماه حرمله بن كاهل الأسدي بسهم فقتله.

وقال آخرون: ان حرمله ضربه بالسيف فقطع يده وهو في حجر عمه

(١) أمالي الطوسي: ٢٣٨ - ٢٣٩ ح ١٥.

الحسين ، وقد قُتِلَ هناك ^(١) .

٣ - نقل القاسم بن الأصبغ المجاشعي: عندما جاؤا برؤوس الشهداء الى الكوفة رأيت بين الرؤوس رأس شاب جميل كأنّ وجهه فلقّة القمر في ليلة البدر، وعندما قرب حامل الرأس مني سألته: هذا رأس أي مظلوم، فقال: هذا رأس العباس بن علي .

فقلت: من أنت ؟

قال: حرمة بن كاهل الأسدي .

قال القاسم: ولم تمر إلّا ايام قليلة حتى رأيت وجه حرمة قد اسودّ ^(٢) .

قتل حكيم بن الطفيل الطائي

وبعث المختار عبد الله بن كامل إلى حكيم بن الطفيل ، وهو الذي سلب العباس عليه السلام ثيابه ، ورمى الحسين عليه السلام بسهم ، فكان يقول : تعلّق سهمي بسرباله ولم يضرّه ، فأثاه ابن كامل فأخذه ، فذهب أهله إلى عديّ بن حاتم ليشفع فيه فلحقهم في الطريق ، فقالوا : ليس أمره إلينا إنّما أمره إلى المختار ، فمضى إلى المختار ، وكان المختار قد شفّعه في جماعة من قومه أسروا يوم قتال المختار مع أهل الكوفة لم يكونوا نطقوا بشي من أمر الحسين وأهل بيته عليهم السلام .

فقال أصحاب ابن كامل له : إنّنا نخاف أن يشفعه الأمير في هذا الخبيث وله من الذنب ما قد علمت ، فدعنا نقتله .

قال : نعم .

(١) بحار الانوار ٤٥ : ٥٤ .

(٢) الملهوف: ٥١ ، تذكرة الخواص: ٢٨١ ، بحار الانوار ٤٥ : ٣٣٢ .

فأتوا به وهو مكتوف ، وقالوا له : سلبت ابن عليّ ثيابه ، والله لنسلبنك ثيابك وأنت حيّ تنظر ، فنزعوا ثيابه ، وقالوا له : رميت الحسين عليه السلام واتخذته غرضاً لنبلك ، وقلت : تعلّق سهمي بسرياله ولم يضرّه ، والله ل نرميتك كما رميته بنبال ما تعلّق بك منها أجزأك ، فجعلوه غرضاً للنبل ورموه رشقاً واحداً حتى صار كالقنفذ فخرّ ميّناً .

ودخل عديّ على المختار فشفع فيه ، فقال له المختار : أتستحلّ أن تشفع في قتلة الحسين عليه السلام ؟

فقال : إنّه مكذوب عليه .

قال : إذاً ندعه لك .

فدخل ابن كامل فأخبر المختار بقتله ، فأظهر لومهم على ذلك ، ولكنّه سرّ بقتله .

فقال ابن كامل : غلبتني عليه الشيعة .

فقال عديّ : كذبت ، ولكنك ظننت أنّ من هو خير منك سيشقّقني فيه ، فقتلته ، فسبّه ابن كامل ، فنهاه المختار .

جرائم حكيم بن الطفيل

١ - رمى الإمام الحسين عليه السلام بسهم .

٢ - سرق لباس وسلاح العباس عليه السلام .

٣ - رمى العباس عليه السلام بسهم .

٤ - كمن للعبّاس من وراء نخلةٍ وضربه على شماله ، فقطعها من الزند .^(١)

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٤ : ١٠٨ ، نفس المهموم : ٥٩٩ ، بحار الأنوار ٤٥ : ٣٧٥ .

ما جرى لمرة بن منقذ قاتل علي بن الحسين عليه السلام

وبعث المختار عبد الله بن كامل إلى مرة بن منقذ قاتل علي بن الحسين عليه السلام - وكان شجاعاً - ، فأتاه ابن كامل بخيله فأحاط بداره ، فخرج إليهم وبيده الرمح ، وهو على فرس جواد ، فطعن رجلاً من أصحاب المختار فصرعه ولم يضره ، وضربه ابن كامل بالسيف فاتقاه بیده اليسرى فأسرع السيف فيها ، وعدا به الفرس ، فأفلت وهرب إلى البصرة إلى مصعب بن الزبير ، وشلت يده بعد ذلك .

قتل زيد بن رقاد قاتل عبد الله بن مسلم

وبعث المختار عبد الله بن كامل إلى زيد بن رقاد قاتل عبد الله بن مسلم بن عقيل - الذي رماه بسهم وهو واضح كفه على جبهته ، فسرها فلم يستطع تحريكها ، ثم رماه بسهم فقتله ، وجاءه وهو ميت فنزع السهم من جوفه وجعل ينضض السهم الذي في جبهته حتى نزعه ، وبقي النصل في جبهته لم يقدر على نزعه - ، فأحاط ابن كامل بداره ، واقتحم الرجال عليه الدار ، فخرج إليهم بالسيف - وكان شجاعاً - . فقال ابن كامل : لا تضربوه بسيف ، ولا تطعنوه برمح ، ولكن ارموه بالنبل ، وارجموه بالحجارة ، ففعلوا ذلك به فسقط ، فأحرقوه حيّاً .

ابو الحتوف الجعفي

وهو من الذين رموا الإمام الحسين بالحجارة،^(١) وقد أحضره للمختار فقتله؛ وقال آخرون: بأنه رمى جيش الإمام الحسين بالسهام.^(٢)

(١) فرسان الهيجاء ٢: ٢٢٧ .

(٢) بحار الأنوار ٤٥: ٥٤ .

أبجر بن كعب

وهو الذي حاول قتل الإمام الحسين عليه السلام عندما سقط الإمام مشخناً بالجراح فأهوى عليه بالسيف ليضربه ، فصاح عبدالله بن الإمام الحسن به: ويلك يا بن الخبيثة، أتقتل عمي؟

فضربه أبجر بالسيف، فأتقأها الغلام بيده، فأطأها إلى الجلد، فإذا هي معلقة، فصاح الغلام: يا عمّاه!!

وقد قتل أبجر هذا آخرون من أنصار الحسين عليه السلام، وكذلك جرّد الإمام من ثيابه بعد قتله، وترك جسد الحسين عارياً على رمضاء كربلاء وقد يست يدا هذا الشخص فيما بعد حتّى أصبحنا كالخشبتين^(١).

وجاء في خبر آخر أنّه أصيب بعد ارتداء السروال بشلل في رجله ألقده عن الحركة تماماً^(٢).

وقد جلبوه الى المختار مع مجموعة أخرى من جيش ابن زياد وهم أبو ايوب الغنوي، ونصر بن خرشة وعمر بن خليفة الجعفي وعثمان بن خالد وعبدالله وعبدالرحمن ابنا صخلت، وقد أمر المختار بقتلهم وحرقتهم، وبالتالي فقد تحققت دعوة الإمام الحسين عليه السلام عليهم حين قال :

«اللهم اشهد على هؤلاء، فقد برز اليهم أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسولك محمد صلى الله عليه وآله وكنا اذا اشتقنا إلى رؤية نبيك نظرنا إليه اللهم أمنعهم بركات الأرض، وفرّقهم تفريقاً، ومزّقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قديماً، ولا تُرض الولاة عنهم أبداً، فانهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا يُقاتلوننا».

(١) أثبات الهداة ٥ : ٢٠١ ، عوالم الإمام الحسين : ٢٩٧ .

(٢) بحار الانوار ٤٥ : ٥٧ .

قتل بجدل بن سليم الكلبّي الذي أخذ خاتم الحسين عليه السلام

وأُتي المختار ببجدل بن سليم الكلبّي ، وعرفوه أنّه أخذ خاتم الحسين عليه السلام وقطع إصبعه ، فأمر بقطع يديه ورجليه ، فلم يزل ينزف الدم حتى مات .

قتل عمرو بن صبيح

وطلب المختار عمرو بن صبيح ، وكان يقول : لقد طعنت فيهم - يعني في أصحاب الحسين عليه السلام - وجرحت ، وما قتلت منهم أحداً ، فأتوه ليلاً وهو على سطحه بعد ما هدأت العيون وسيفه تحت رأسه ، فأخذوه ، وأخذوا سيفه ، فجاء به إلى المختار فحبسه ، فلما أصبح أذن للناس ، فدخلوا وجيء به وهو مقيد . فقال المختار : عليّ بالرماح ، فأُتي بها .

فقال : أطعنوه حتى يموت ، فطعن بالرماح حتى مات .

قتل من اشترك في قتل عبد الرحمان بن عقيل

وبعث المختار عبد الله بن كامل في خيل إلى عثمان بن خالد الدهمانيّ وبشر ابن سوط - وكانا ممن شهد قتل الحسين عليه السلام ، واشتركا في دم عبد الرحمان بن عقيل بن أبي طالب وسلبه - ، فأحاط عبد الله بن كامل عند العصر بمسجد بني دهمان ، وأقسم أن يضرب أعناقهم عن آخرهم إن لم يأتوه بعثمان بن خالد .

فقالوا : أمهلنا حتى نطلبه ، فخرجوا مع الخيل في طلبه ، فوجدوه هو وبشر ابن سوط جالسين في الجبّانة ، وكانا يريدان أن يهربا إلى الجزيرة فأُتي بهما عبد الله بن كامل ، فقال : الحمد لله الذي كفى المؤمنين القتال ، لو لم يجدوا هذا مع هذا لأتعبنا بالذهاب إلى منزله في طلبه ، فالحمد لله الذي أمكن منك ، فخرج بهما وضرب أعناقهما في الطريق ، ورجع فأخبر المختار ، فأمره أن يرجع إليهما ويحرقهما بالنار ، وقال : لا يدفنان حتى يحرقا ، فأحرقهما .

قتل الذين أكلوا من لحوم إبل الحسين عليه السلام

وكان شمر بن ذي الجوشن لعنه الله نهب من الإبل التي كانت مع الحسين عليه السلام ، فلما قدم الكوفة نحرها ، وقسم لحومها على قوم من أهل الكوفة ، فأمر المختار فأحصوا كل دار دخلها ذلك اللحم ، فقتل أهلها وهدمها .

ولم يزل المختار يتتبع قتلة الحسين عليه السلام حتى قتل منهم خلقاً كثيراً ، وقتلت العبيد موالها الذين شركوا في قتل الحسين عليه السلام ، وجاءوا إلى المختار فأعتقهم ، وكان العبد يسعى بمولاه أنه ممن شرك في قتل الحسين عليه السلام فيقتله المختار ، حتى أن العبد كان يقول لسيده : « احملني على عنقك » فيحمله ويدلي رجله على صدره إهانة له لخوفه من سعائته به إلى المختار بأنه من قتلة الحسين عليه السلام .

قتل قيس بن الأشعث بن قيس الذي أخذ قطيفة الحسين عليه السلام

قال أبو حنيفة الدينوري في كتاب الأخبار الطوال : إن قيس بن الأشعث الذي أخذ قطيفة الحسين عليه السلام حين قتل ، فكان يسمى : « قيس القطيفة » أنف من أن يأتي البصرة فيشمت به أهلها ، فأتى الكوفة واستجار بعبد الله بن كامل ، وهو من أخص أصحاب المختار ، فأقبل ابن كامل إلى المختار وأخبره بأنه استجار به وأجاره ، فسكت المختار ، وشغله بالحديث ، ثم قال : أرني خاتمك ، فناوله إياه ، فجعله في إصبعه ، ثم دعا أبا عمرة فدفع إليه الخاتم ، وقال له سرّاً أن ينطلق إلى امرأة عبد الله بن كامل فيقول لها : هذا خاتم بعلك علامة لتدخليني إلى قيس بن الأشعث فأني أريد مناظرته فيما فيه خلاصه من المختار ، فأدخلته إليه ، فانتضى سيفه فضرب عنقه ، وأخذ رأسه فأتى به المختار ، فألقاه بين يديه .

فقال المختار : هذا بقطيفة الحسين عليه السلام .

فاسترجع ابن كامل ، وقال للمختار : قتلت جاري .

فقال له المختار : لله أبوك ، اسكت ، أتستحل أن تجير قتلة ابن بنت نبيك؟! .

قتل عبيد الله بن زياد لعنهما الله

ولما فرغ المختار من قتال الذين خالفوه من أهل الكوفة بعد رجوع إبراهيم ابن الأشتر بقي إبراهيم بعد ذلك يومين ، ثم وجهه المختار لقتال عبيد الله بن زياد وأهل الشام ، فسار إبراهيم لثمان بقين من ذي الحجة سنة ست وستين ، وبعث معه المختار وجوه أصحابه وفرسانهم ، وذوي البصائر منهم ، ممن قد شهد الحروب وجربها .

قال الشيخ رحمه الله في الأمالي : أنه خرج في تسعة آلاف .

وقيل : في اثني عشر ألفاً . انتهى .

وقال ابن نما : إنه كان في أقل من عشرين ألفاً .

وخرج المختار مع إبراهيم يشيعه ، وأنشأ المختار يقول :

أما وربّ المرسلات عرفاً لنقتلن من بعد صفّ صفّاً
وبعد ألف قاسطين ألفاً

وقال ابن نما رحمه الله تعالى : إن إبراهيم جعل يرتجز ويقول :

إنّا وحقّ المرسلات عرفاً حقّاً وحقّ العاصفات عصفاً
لنعسفن من بغانا عسفاً حتى نسوم القوم منا خسفاً
زحفاً إليهم لا نملّ الزحفاً حتى نلاقي بعد صفّ صفّاً
وبعد ألف قاسطين ألفاً نكشفهم لدى الهيجاء كشفاً

ثم إن المختار ودّع إبراهيم ، وقال له : خذ عني ثلاثاً : خف الله عزّ وجلّ في

سرّ أمرك وعلايتك ، وعجل السير ، وإذا لقيت عدوك فعجل القتال ساعة تلقاهم ليلاً كان أو نهاراً.

ثم رجع المختار ، وسار إبراهيم يحدّ السير ليلقى ابن زياد قبل أن يدخل أرض العراق ، وكان ابن زياد قد سار في عسكر عظيم من الشام حتى وصل إلى الموصل وملكها فسار إبراهيم حتى وصل إلى أرض الموصل ، وجعل لا يسير إلا على تعبئة حتى وصل إلى نهر الخازر ، فنزل قرية يقال لها: « باريثا » بينها وبين الموصل خمسة فراسخ ، وجاء ابن زياد حتى نزل قريباً منهم على شاطئ نهر الخازر في ثلاثين ألفاً - على رواية سبط ابن الجوزي - ، وعلى رواية ابن نما : أنهم كانوا ثلاثة وثمانين ألفاً.

وأرسل رجل من رؤساء أصحاب ابن زياد يسمّى « عمير السلمي » إلى ابن الأشتر : إنّي أريد ملاقاتك الليلة ، وكانت عشيرة عمير هذا حاقدة على بني مروان من أجل بعض الوقائع ، فأتى عمير إلى ابن الأشتر ومعه رجل يسمّى « فرات بن سالم » وكانا يمرّان بمسالح أهل الشام فيقولون لهما : ما أنتما ؟ فيقولان : طليعة للأمير الحصين بن نمير ، فأتيا إبراهيم وقد أوقد النيران وهو قائم يعبّئ أصحابه ، وعليه قميص أصفر هروي ، وملاء موزّدة ، متوشّحاً بها ، متقلّداً سيفه ، فدنا منه عمير فصار خلفه ، واحتضنه من ورائه ، فلم يعبأ به إبراهيم ، ولا تحلحل عن موضعه ، غير أنّه أمال رأسه وقال : من هذا ؟

قال : أنا عمير .

فقال : اجلس حتى أفرغ ، فجلس .

فقال عمير لصاحبه : هل رأيت رجلاً أربط جأشاً ، وأشدّ قلباً منه ؟ تراه تحلحل من مكانه أو اكثرث بي وأنا محتضنه من خلفه .

فقال صاحبه : ما رأيت مثله ، ثمّ بايعه عمير ، وأخبره أنّه على ميسرة ابن

زياد ، ووعده أن ينهزم بالناس عند الحرب بعد أن اختبره إبراهيم وعرف نصحه ، ثم انصرف عمير ، وبث ابن الأشتر الحرس تلك الليلة ولم يدخل عينه النوم ، فلما كان وقت السحر الأول عبأ أصحابه ، وكتب كتابه ، وأمر أمراءه ، فلما انفجر الفجر صلى بأصحابه صلاة الصبح وقت الغلس ، ثم خرج بهم فصقهم ، وألحق كل أمير بمكانه ، ونزل هو يمشي ، وقال للناس : ازحفوا ، فزحفوا ، وجعل يحرضهم ويمنيهم الظفر ، وسار بهم رويداً حتى أشرف على تلّ عظيم مشرف على أهل الشام ، وإذا هم لم يتحرك منهم أحد بعد ، فأرسل إبراهيم فارساً من أصحابه يأتيه بخبرهم ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى عاد إليه ، وقال له : قد خرج القوم على دهش وفشل لقيني رجل منهم وليس له كلام إلا : يا شيعة أبي تراب ، يا شيعة المختار الكذاب ، فقلت : ما بيننا وبينكم أجل من الشتم ، ودعا ابن الأشتر بفرس له فركبه ، ثم مرّ بأصحاب الرايات كلّها ، فكلّم مرّ على راية وقف عليها ، ثم قال : يا أنصار الدين وشيعة الحقّ ، هذا عبيد الله بن مرجانة قاتل الحسين بن عليّ ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ حال بينه وبين بناته ونسائه وشيعته وبين ماء الفرات أن يشربوا منه وهم ينظرون إليه ، ومنعه من الذهاب في الأرض العريضة حتى قتله وقتل أهل بيته ، فوالله ما عمل فرعون بنجباء بني إسرائيل ما عمل ابن مرجانة بأهل بيت رسول الله ﷺ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، فوالله إنّي لأرجو أن يشفي الله صدوركم بسفك دمه على أيديكم ، فقد علم الله أنّكم خرجتم غضباً لأهل بيت نبيكم ، فسار فيما بين الميمنة والميسرة ، وسار في الناس كلّهم يرغبهم في الجهاد ، ويحرضهم على القتال ، ثمّ رجع إلى موضعه ، وتقابل الجمعان فخرج من عسكر ابن زياد رجل يقال له : « ابن ضبعان الكلبي » ونادى : يا شيعة المختار الكذاب ، يا شيعة ابن الأشتر المرتاب ، وجعل يرتجز ويقول :

أنا ابن ضبعان الكريم المفضل من عصبة يبرون من دين علي

كذاك كانوا في الزمان الأوّل

فخرج إليه الأحوص بن شدّاد الهمدانيّ ، وهو يقول :

أنا ابن شدّاد على دين علي لست لعثمان بن أروى بولي
لأصليّن اليوم فيمن يصطلي بحرّ نار الحرب حتى تنجلي
فقال للشاميّ : ما اسمك ؟

فقال : منازل الأبطال .

قال له الأحوص : وأنا مقرب الآجال ، ثمّ حمل الأحوص عليه ،
وضربه فسقط قتيلًا ، ثمّ نادى : هل من مبارز ؟ فخرج إليه داود الدمشقيّ ، وهو
يقول :

أنا ابن من قاتل في صفّينا قتال قرن لم يكن غيبنا
بل كان فيها بطلاً حرونا مجرباً لدى الوغا مكينا
فأجابه الأحوص يقول :

يا ابن الذي قاتل في صفّينا ولم يكن في دينه غيبنا
كذبت قد كنت بها مغبونا مذبذباً في أمره مفتونا
لا يعرف الحقّ ولا اليقيننا بؤساً له لقد قضى ملعونا

ثمّ التقيا فضربه الأحوص فقتله ، ثمّ عاد إلى صفّه ، وزحف ابن زياد إلى ابن
الأشتر ، فلمّا تدانى الصفّان حمل الحصين بن نمير في ميمنة أهل الشام على ميسرة
إبراهيم وعليها عليّ بن مالك الجشميّ ، فثبت له هو بنفسه ، فقتل فأخذ رايته ولده
قرّة بن عليّ ، فقتل في رجال من أهل البأس ، وانهزمت ميسرة إبراهيم ، فأخذ
الراية عبد الله بن ورقاء ، فاستقبل أهل الميسرة حين انهزموا ، فقال : إليّ ، يا شرطة
الله ، فأقبل إليه أكثرهم ، فقال : هذا أميركم يقاتل ابن زياد ، ارجعوا بنا إليه ، فرجعوا
فإذا إبراهيم كاشف عن رأسه ينادي : إليّ ، يا شرطة الله ، أنا ابن الأشتر إنّ خير

فراركم كراكم ليس مسيئاً من أعتب ، فرجع إليه أصحابه ، وحملت ميمنة إبراهيم على ميسرة ابن زياد وهم يرجون أن ينهزم عمير صاحب ميسرة ابن زياد كما وعدهم ، فقاتلهم عمير قتالاً شديداً وأنف من الفرار ، فلما رأى ذلك إبراهيم قال لأصحابه : اقصدوا هذا السواد الأعظم ، فوالله لئن هزمناه لانجفل من ترونه يمينه ويسرة انجفال الطير إذا ذعرت ، فمشى أصحابه إليهم فتطاعنوا بالرماح ، ثم تضاربوا بالسيوف والعمد ، وكان يسمع ضرب الحديد على الحديد كأصوات القصّار ، وجعل إبراهيم يحمل على عسكر ابن زياد ويضرب فيهم بسيفه وهو يقول :

قد علمت مذحج علماً لا خطل أني إذا القرن لقيني لا وكل
ولا جزوع عندها ولا نكل أروع مقدماً إذا النكس فشل
أضرب في القوم إذا جاء الأجل وأعتلي رأس الطرمّاح البطل

بالذكر البتار حتى ينجدل

وكان إبراهيم يقول لصاحب رايته : انغمس برايتك فيهم ، فيقول : لا أقدر على التقدّم ، فيقول له إبراهيم : بلى ، فيتقدّم فإذا تقدّم شدّ إبراهيم عليهم بسيفه فلا يضرب رجلاً إلّا صرعه ، وجعل إبراهيم يطرد الرجال بين يديه كالمعزى ، وحمل أصحابه حملة رجل واحد ، واشتدّ القتال حتى صلّوا صلاة الظهر بالتكبير والاياء ، وقتل من الفريقين قتلى كثيرة ، وانهمز أصحاب ابن زياد.

وكان أوّل من انهزم عمير الذي وعد إبراهيم أن ينهزم - كما تقدّم - وإنّما قاتل أولاً حتى يكون معذوراً ، وحمل إبراهيم على عبيد الله بن زياد وهو لا يعرفه ، فضربه إبراهيم ضربة قدّه بها نصفين ، وذهبت رجلاه في المشرق ويداه في المغرب ، وعجل الله بروحه إلي النار .

فلما انهزم أصحاب ابن زياد قال إبراهيم : إنّي قتلت رجلاً تحت راية منفردة على شاطئ نهر الخازر فالتمسوه فإنّي شممت منه رائحة المسك ، شرقت يداه

وغربت رجلاه ، فطلبوه فإذا هو ابن زياد قتيلاً بضربة إبراهيم ، فقد قدّته نصفين ، فذهبت رجلاه في المشرق ويده في المغرب كما قال إبراهيم ، فاحتزّوا رأسه وأخذوه وأحرقوا جثته ، وكانوا قد احتفظوا بجسده طول الليل ، فلما أصبحوا عرفه مهران مولى زياد ، فلما رآه إبراهيم قال : الحمد لله الذي أجرى قتله على يدي .
وفي رواية : إنّ إبراهيم رحمه الله صلبه منكوساً .

مقتل الحسين بن نمير

وحمل شريك التغلبيّ على الحسين بن نمير وهو يظنّه عبيد الله بن زياد ، فاعتنق كلّ واحد منهما صاحبه ، فنادى التغلبيّ : اقتلوني وابن الزانية ، فقتلوا الحسين ، وكان من قتلة الحسين عليه السلام .

وقيل : إنّ الحسين خرج وهو يقول :

يا قادة الكوفة أهل المنكر وشيعة المختار وابن الأستر
هل فيكم قرم كريم العنصر مهذب في قومه بمفخر
يبرز نحوي قاصداً لا يمتري

فخرج إليه شريك التغلبيّ ، وهو يقول :

يا قاتل الشيخ الكريم الأزهر بكربلاء يوم التقاء العسكر
أعني حسيناً ذا الثنا والمفخر وابن النبي الطاهر المطهر
وابن عليّ البطل المظفر هذا فخذها من هزبر قسور

ضربة قرم ربعيّ مضرّي

فالتقيا بضربتين وجندله التغلبيّ صريعاً ، وقتل شرحبيل بن ذي الكلاع الحميريّ - من رؤساء أهل الشام - .

ولما انهزم أصحاب ابن زياد تبعهم أصحاب إبراهيم فكان من غرق منهم أكثر

ممن قتل ، وانتهبوا عسكرهم ، وكان فيه من كل شيء ، وأرسل إبراهيم البشارة إلى المختار وهو بالمدائن ، فكاد المختار يطير فرحاً .

وكانت الواقعة يوم عاشوراء سنة سبع وستين في اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام ، ولم يقتل من أهل الشام بعد صفين مثلما قتل في هذه الواقعة .

قال ابن نما رحمه الله : وجعلوا يعدّون القتلى بالقصب ، يضعون عند كل قتيل قصة فكانوا سبعين ألفاً .

وفرق إبراهيم عمّاله على بلاد الموصل ، وأقام هو بالموصل .

وقال سراقه بن مرداس البارقي يمدح إبراهيم بن الأشتر وأصحابه في قتلهم لعبيد الله بن زياد :

أتاكم غلام من عرانيين مذحج	جريّ على الأعداء غير نكول
فيا ابن زياد بوّ بأعظم هالك	وذق حدّ ماضي الشفرتين صقيل
ضربناك بالعضب الحسام بحدة	إذا ما أبانا قاتلاً بقتيل
جزى الله خيراً شرطة الله أنّهم	شفوا من عبيد الله أمس غليلي

وقال أبو السقّاح الزبيديّ في ذلك أيضاً^(١) :

أتاكم غلام من عرانيين مذحج	جريّ على الأعداء غير نكول
أتاه عبيد الله في شرّ عصبه	من الشام لمّا أن رضوا بقليل
فلما التقى الجمعان في حومة الوغى	وللموت فيهم ثمّ جرّ ذيول
فأصبحت قد ودّعت هنداً وأصبحت	مولهه ما وجدها بقليل

(١) هكذا ذكره ابن نما رحمه الله تعالى ، ولا يخفى أنّ فيها بعض أبيات سراقه ، ولعلّه توهّم من الرواة .

وأخلق بهند أن تساق سبيّة لها من أبي إسحاق شرّ حليل
تولّى عبيد الله خوفاً من الردى وخشية ماضي الشفرتين صقيل
جزى الله خيراً شرطة الله أنّهم شفوا بعبيد الله كلّ غليل
يعني بقوله هند بنت أسماء بن خارجة زوجة عبيد الله بن زياد ، وكانت معه ،
فلما قتل حملها عتبة أخوها إلى الكوفة ، وأبو إسحاق هو المختار .
وقال عبيد الله بن الزبير الأسديّ ؛ وقيل : عبد الله بن عمرو الساعديّ يمدح
إبراهيم أيضاً ، ويذكر هذه الواقعة :

الله أعطاك المهابة والتقى وأحلّ بيتك في العديد الأكثر
وأقرّ عينك يوم وقعة خازر والخيّل تعثر بالقتنا المتكسر
من ظالمين كفتهم آثامهم تركوا لعافية وطير حسر
ما كان أجراهم جزاهم ربهم شرّ الجزاء على ارتكاب المنكر
وقال يزيد بن المفرغ في قتل ابن زياد :

إنّ المنايا إذا ما زرن طاغية هتكن أستار حجاب وأبواب
أقول بعداً وسحقاً عند مصرعه لابن الخبيثة وابن الكودن^(١) الكابي
لا تقبل الأرض موتاهم إذا قبروا وكيف تقبل رجساً بين أثواب
إنّ الذي عاش غداراً بذمته ومات هزلاً قتيل الله بالزباب
ما شقّ جيب ولا ناحتك نائحة ولا بكتك جياذ عند اسلاب
وقال عمير السلميّ الذي كان على ميسرة ابن زياد يذمّ جيش ابن زياد :
وما كان جيش يجمع الخمر والزنا محلاً إذا لاقى العدو لينصرا

(١) الكودن : الفرس الهجين ، أي غير العتيق .

رأس ابن زياد في قصر الامارة

وأنفذ إبراهيم برأس عبيد الله بن زياد ورؤوس قواده وفيها رأس الحصين بن نمير إلى المختار وفي آذانهم رقاع فيها أسماؤهم ، فقدموا عليه وهو يتغذى ، فحمد الله على الظفر ، فلما فرغ من الغداء قام فوطىء وجه ابن زياد بنعله ، ثم رمى بها إلى غلامه ، وقال : اغسلها فإني وضعتها على وجه نجس كافر ، وألقيت الرؤوس في القصر بين يديه ، فألقاها في المكان الذي وضع فيه رأس الحسين عليه السلام ورؤوس أصحابه ، ونصب المختار رأس ابن زياد في المكان الذي نصب فيه رأس الحسين عليه السلام ، ثم ألقاه في اليوم الثاني في الرحبة مع الرؤوس ، ولما وضع رأس ابن زياد أمام المختار جاءت حية دقيقة فتخللت الرؤوس حتى دخلت في فم عبيد الله ابن زياد ، ثم خرجت من منخره ودخلت في منخره وخرجت من فيه ، فعلت هذا مراراً ، فقال المختار : دعوها دعوها .

قال ابن الأثير : أخرج هذا الترمذي في جامعه .

وعن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، قال : وضعت الرؤوس عند السدة بالكوفة عليها ثوب أبيض فكشفنا عنها الثوب وحية تتغلغل في رأس عبيد الله ، ونصبت الرؤوس في الرحبة .

قال عامر : ورأيت الحية تدخل في منافذ رأسه وهو مصلوب مراراً .

قال سبط ابن الجوزي : وفي رواية : فعلت ذلك ثلاثة أيام ^(١) .

ارسال رأس ابن زياد الى محمد بن الحنفية

ثم إن المختار بعث برأس عبيد الله بن زياد ، ورأس الحصين بن نمير ، ورأس شرحبيل بن ذي الكلاع إلى مكة إلى محمد بن الحنفية ومعها ثلاثون ألف

(١) أنساب الأشراف ٦ : ٤٢٦

دينار ، وكتب إليه : إني بعثت أنصاركم وشيعتكم إلى عدوكم فخرجوا محتسبين
أسفين فقتلوهم .

فالحمد لله الذي أدرك لكم الثأر ، وأهلكهم في كل فج عميق ، وشفى الله
صدور قوم مؤمنين ، فلما قدمت عليه خرّ ساجداً لله ، ودعا للمختار ، وقال : جزاء
الله خير الجزاء ، فقد أدرك لنا ثأرنا ، ووجب حقّه على كل من ولده عبد المطلب بن
هاشم ، ودعا لابن الأشر أيضاً ، وبعث برأس عبيد الله بن زياد ورأس آخر معه إلى
عليّ بن الحسين عليه السلام - وكان يومئذ بمكة - ، فأدخل عليه وهو يتغذى ، فسجد شكراً
لله ، وقال : الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من عدوي ، وجزى الله المختار خيراً ،
أدخلت على عبيد الله بن زياد وهو يتغذى ورأس أبي بين يديه ، فقلت : اللهم لا
تمتني حتى تريني رأس ابن زياد .

قال اليعقوبي في تاريخه^(١) : ثم وجّه برأس عبيد الله بن زياد الى علي بن
الحسين مع رجل من قومه ، وقال له : قف بباب علي بن الحسين ، فإذا رايت ابوابه
قد فتحت ودخل الناس فذاك الوقت الذي يوضع فيه طعامه فادخل اليه ، فجاء
الرسول الى باب علي بن الحسين عليه السلام فلما فتح ابوابه ودخل الناس للطعام نادى
بأعلى صوته : يا اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الملائكة ومنزل الوحي ، أنا
رسول المختار ابن ابي عبيد معي رأس عبيد الله بن زياد ، فلم تبّق في دور بني
هاشم امرأة إلا صرخت ، ودخل الرسول وأخرج الرأس فلما رآه علي بن الحسين
عليه السلام قال : أبعد الله الى النار .

ثم قال : أدخلت على ابن زياد لعنه الله وهو يتغذى ورأس ابي بين يديه ،
فقلت اللهم لا تمتني حتى تريني رأس ابن زياد وأنا أتغدى ، فالحمد لله الذي أجاب

دعوتي. (١)

ثم أمر فرمي به فحمل الى ابن الزبير فوضعه ابن الزبير على قصبة فحركتها الريح فسقط ، فخرجت الحية فأزمت بأنفه ففعل ذلك ثلاث مرات ، فأمر ابن الزبير فألقي في بعض شعاب مكة .

ويروي بعضهم ان علي بن الحسين عليه السلام لم ير ضاحكاً يوماً قط منذ قتل ابوه إلا في ذلك اليوم ، وإنه كان له إبل تحمل الفاكهة من الشام فلما اتى برأس عبيد الله بن زياد امر بتلك الفاكهة ففرقت في اهل المدينة ، وامتشطت نساء آل الرسول واختضبنّ وما امتشطت إمراة ولا اختضبت منذ قتل الحسين بن علي عليه السلام . ولما علم ابن عباس بذلك قال : جزاه الله عنا وعن رسول الله خير جزاء المحسنين ، لقد اخذ بثأرنا وادرك وترنا . (٢)

وعن الصادق عليه السلام أنه قال : ما اكتحلت هاشميّة ، ولا اختضبت ، ولا روي في دار هاشميّ دخان خمس سنين حتى قتل عبيد الله بن زياد . وعن فاطمة بنت عليّ أمير المؤمنين عليه السلام أنها قالت : ما تحنّأت امرأة منا ، ولا أجالت في عينها مروداً ، ولا امتشطت ، حتى بعث المختار برأس عبيد الله بن زياد .

ووردت أخبار في ذمّ المختار ، والله أعلم بحقيقة أمره ، وعلى كلّ حال فقد شفى النفوس ، وأدرك الثأر ، وانتقم الله به من الطغاة الفجّار . وروي أنه قتل في أيام ولايته وهي ثمانية عشر شهراً ثمانية عشر ألفاً ممن شرك في قتل الحسين عليه السلام .

(١) بحار الأنوار ٤٥ : ٣٣٦ .

(٢) تاريخ يعقوبي ٢ : ٢٥٩ .

حملة مصعب بن الزبير على الكوفة

ظَلَّتْ الأمور تتأزم بين المختار وعبدالله بن الزبير ، الذي كان يشكل خطراً على المختار من الطرف الآخر من عاصمته الكوفة ، بعد الهزيمة المنكرة التي مني بها الجيش الأموي ، ومقتل قائده عبيدالله بن زياد بعد معارك عنيفة بين الطرفين ، والذي أبدى خلالها ابن الزبير ارتياحاً ، وهذا ما يتمناه من ضعف الجيشين وخصوصاً الجيش الأموي ، الذي يهدد كيانه وبالتالي يسهل القضاء على أي منهما ، لا سيما وأنه لا يزال يحتفظ بقوّته .

عند ذلك رأى أن يرسل والياً قوياً إلى البصرة لتوطيد الأمور فيها ، وبعدها يتّجه إلى الكوفة لانتزاعها من يد المختار ، فولّى اخاه مصعب بن الزبير سنة ٦٧هـ^(١) ، وقد سبقه إليها قسم من المظلومين من قتلة الحسين عليه السلام وانصار آل الزبير ، فلما ورد مصعب إلى البصرة قام فيها خطيباً :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون - إلى قوله - : من المفسدين ﴾ وأشار بيده نحو الشام .
﴿ ونريد أن نمنّ على الذين استظفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾ وأشار نحو الحجاز . ﴿ وترى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾^(٢) وأشار نحو الكوفة ، ثم قال : يا أهل البصرة بلغني إنكم تلقبون أمراءكم ، وقد لُقبْت نفسي بالجزار ، وقد التحق بمصعب في البصرة من هرب من المختار ، فقد جاءه شبت بن ربعي على بغلة وقد قطع ذنبها وطرفي أذنيها وشقّ قباؤه وهو ينادي : يا غوثاه يا غوثاه .

(١) الكامل في التاريخ ٤ : ٢٦٦ .

(٢) القصص : الآيات ٣ ، ٥ ، ٦ .

فدخل على مصعب بن الزبير ، وأتاه أشراف الكوفة فدخلوا عليه وسألوه النصرة لهم والمسير الى المختار معهم ، كما استحثه محمد بن الأشعث فقال : لست فاعلاً حتى يقدم المهلب علي^(١).

حركة المهلب بن أبي صفرة

وكان المهلب بفارس فكتب اليه يأمره بالقدوم ، فقدم عليه واستخلف المغيرة ابنه ، ثم امر الناس بالتعسكر عند الجسر الأكبر .

عبد الرحمن بن مخنف

فكلّف عبد الرحمن بن مخنف بالسير الى الكوفة سراً ودعوتهم الى بيعة ابن الزبير وخذلان المختار فانسل من عنده حتى جلس في بيته .
وبلغ المختار ما أزمع مصعب من مهاجمة الكوفة ، قام في أصحابه خطيباً وقال : يا أهل الكوفة ، يا أهل الدين وأعوان الحق ، وأنصار الضعيف وشيعة الرسول وآل الرسول ، إن فزاركم الذين بغوا عليكم أتوا أشباههم من الفاسقين ، فاستغوهم عليكم ليمصح الحق وينتفش الباطل ، ويقتل اولياء الله ، والله لو تهلكون ما عبد في الأرض إلا بالقرى على الله واللعن لأهل بيت نبيه ، انتدبوا مع أحمر بن شميظ فإنكم لو قد لقيتموهم لقد قتلتموهم إن شاء الله قتل عاد وثمود^(٢).

اشتباها أم خيانة ؟

فخرج أحمر بن شميظ فعسكر بحمام أعين ، ودعا المختار رؤوس الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر فبعثهم مع أحمر بن شميظ ، وقد فارقوا ابن الأشتر لأنهم

(١) تاريخ الطبري ٦ : ٩٩ ، أنساب الأشراف ٦ : ٤٠٨ .

(٢) تاريخ الطبري ٦ : ٩٥ .

وجدوا فيه تهاوناً بأمر المختار فانصرفوا عنه ، فسار ابن شميظ وعلى مقدمته عبدالله بن كامل الشاكري ، فوصلوا المذار ، وأتى مصعباً فحسب قريبا منه ، وعبأ كل طرف منهم جنده وجعل ابن شميظ على ميمنته ابن كامل ، وعلى ميسرته عبدالله ابن وهيب الجشمي ، وجعل أبا عمرة على الموالي ^(١).

بداية المعركة

دنا القوم بعضهم من بعض ، وتقدم عبّاد بن الحصين الحبطي من معسكر ابن الزبير حتى وقف بين الجمعين ، ثم نادى بأعلى صوته :

ألا يا شيعة المختار إننا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ ، والى بيعة امير المؤمنين عبدالله بن الزبير . فقال عبدالله بن كامل الهمداني : ونحن أيضاً ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه والى بيعة المختار بن ابي عبيد ، والى أن نجعل هذا الأمر شورى في آل الرسول فمن زعم انه احق بهذا الأمر برئنا منه في الدنيا والآخرة وجاهدناه حق الجهاد ^(٢).

فمن غير المعقول ان يتنازل اي منهما لطلب الآخر ، وهذا معناه إيداناً بقرع طبول الحرب ، ولم تكن هناك فرصة تفاوضية لرفع فتيل الحرب ، وأصبح الطرفان على أهبة الاستعداد القصوى ، وكل طرف يحاذر الطرف الآخر ، ويتوسم فيه نقاط ضعفه ، حتى اعلنت شرارة الحرب فهجم أهل البصرة على أهل الكوفة حتى كادوا ان يلحقوا الهزيمة بهم ^(٣) ، وسرعان ما استعاد الموالي والشيعة نشاطهم ودب فيهم الحماس حتى اعيد الموقف لصالح قوات المختار وكادت الهزيمة أن تلحق بأهل البصرة ، لكن سرعان ما دارت الدائرة على أهل الكوفة حيث استجمع ابن الزبير

(١) الكامل في التاريخ ٤ : ٢٦٨ .

(٢) الفتوح مج ٣ : ٣١٩ .

(٣) الفتوح مج ٣ : ٣١٩ .

فلول قواته اضافة الى الفارّين من أهل الكوفة ، وقد قاتلوا بضراوة شديدة فنادى محمد بن الأشعث وقال : يا أهل العراق الى متى وحتى متى ، نكون مشرّدين مطرودين عن أهلنا وأولادنا ، كرّوا عليهم كرّة صادقة فإنّهم مغلوبون إن شاء الله^(١). فاضطرب القوم وتصادموا وحنق بعضهم على بعض حتى وقعت الهزيمة بأصحاب المختار ، وقتل قائد الجيش أحمر بن شميّط ، وانكشفوا وولّوا الأدبار واخذهم السيف فأما الرّجاله فقد أثخن فيهم القتل ، وأما الخيالة فما انفلت منهم إلا الجواد فدخل الى الكوفة بأشر حاله ، واخبروا المختار خبر الهزيمة ومن قتل من أصحابه فقال : ما من الموت بُد وما من ميتة أموتها أحب الي من ميتة ابن شميّط^(٢).

الانكسار

نزل بالمختار أمرٌ عظيم من قتل أصحابه ، وأيقن بالهلكة ولم يجد بداً من التشجيع وكتب الى إبراهيم بن الأشتر كتاباً بعد كتاب يسأله المسير اليه فلم يفعل ، ولما بلغه ان مصعب قد أتى اليه في البر والبحر وسار حتى وصل السليحين ، ونظر الى مجتمع الأنهار فيها نهر الحيرة ونهر السليحين ونهر القادسية ونهر يوسف ، فأمر بتجفيف هذه الأنهار لعاقة السفن التي تحمل أهل البصرة بالدخول الى الكوفة من جانب إنهار ، فأمر فسكّر الفرات^(٣) ، وذهب ماء هذه الأنهار وبقيت سفن اهل البصرة على الطين ، فلما رأوا ذلك تركوا السفن واقبلوا حتى كسروا السد الذي اقامه المختار^(٤) ، فلما رأى المختار ذلك أقبل اليهم حتى نزل حروراء وحال بينهم وبين الكوفة ، وكان قد حصّن القصر والمسجد وأدخل عدّة الحصار فيهما ، وقد استعمل على الكوفة عبدالله بن شداد ، فدنا القوم بعضهم من بعض فقال المختار : يا

(١) الفتوح مج ٣ : ٣١٩ .

(٢) الكامل في التاريخ ٤ : ٤٧٠ .

(٤) تاريخ الطبري ٦ : ٩٩ .

له من يوم لو حضرنى فيه ابن الأشر ، ولكنه قعد عني وخذلني ووالله ما من الموت بد^(١).

ثم حمل المهلب وحمل معه القوم فحطّموا أصحاب المختار وكشفوهم فصاح المختار بأصحابه : لا بأس عليكم أنا أبو إسحاق ، أنا جزّار القاسطين ، أين أصحاب الصبر واليقين اليّ اليّ رحمكم الله، فثاب اليه خمسمائة من أصحابه، وقاتلوا بين يديه قتالاً شديداً ثم ان المهلب حمل على أصحاب المختار فحطّموهم وكشفوهم .

فقال عبدالله بن عمرو النهدي وكان ممّن شهد صفّين :

اللهمّ إني على ما كنت عليه بصفين ، اللهمّ أبرأ اليك من فعل هؤلاء - لأصحابه حين انهزموا - وأبرأ اليك من أنفس هؤلاء - يعني أصحاب مصعب - ، فجالد بسيفه حتى قتل .

وانتصف اصحاب المختار كأنهم أجمة قصب فيها نار^(٢).

وحمل مالك بن عمرو النهدي وهو على الرجالة ومعه نحو خمسين رجلاً وذلك عند المساء على أصحاب محمد بن الأشعث حملة منكرة فقتل ابن الأشعث وعامة أصحابه^(٣).

التقدّم نحو الكوفة

وأصبحت قوأت ابن الزبير في تقدم نحو الكوفة ، وقوأت المختار في تراجع حتى صار قريباً من حيطان الكوفة ، فنزل مصعب عن فرسه ونزل معه أشداء

(١) الفتوح ٣ : ٣٢٠ .

(٢) الكامل في التاريخ ٤ : ٣٧١ .

(٣) تاريخ الطبري ٦ : ١٧١ .

أصحابه ، وحدث قتالاً ضارياً في شوارع الكوفة من المغرب وحتى الصباح^(١) .
 فأخذ أصحاب المختار يتفرون عنه ويدخلون منازلهم ، فقال له بعض
 أصحابه : أيها الأمير قد ذهب القوم فانصرف إلى منزلك القصر .
 فقال المختار : أما والله ما نزلت وأنا أريد أن آتي القصر فأما إذا انصرفوا
 فأركبوا بنا على اسم الله^(٢) .

فجاء حتى دخل القصر وجاءت خيل ابن الزبير فأحدثت بالقصر فحاصروا
 المختار ومن فيه حصاراً شديداً ، حتى مضى العطش فكانوا ينبذون لجلب الماء
 الدينار والدينارين والثلاثة ، وكانت النساء في أول الأمر يدخلن في القصر إلى
 أقاربهن بالطعام والماء وكانوا يمزجون ماء البئر بالعسل والدوشاب والتمر
 ويشربونه . وجعل أصحاب مصعب ينادون المختار من خارج القصر : يا ابن دومة !
 كيف ترى ما أنت عليه من الحصار ؟ هذا جزاء من خالف أمير المؤمنين عبدالله بن
 الزبير وطلب الإمرة لغيره .

فأشرف عليهم المختار من أعلى القصر فقال لهم : يا جند المرأة ! يا أعوان
 البهيمة يا بقايا السيف !! أتعيرونني بأمي دومة حسناء الحومة التي لا تسمع فيها
 للائم لومة ، أما والله لو كان من يعيرني بدومة من الفريقين عظيماً ما عيرني به أحد ،
 ولكن إن كنتم رجالاً فاثبتوا لي قليلاً فوالله لأقاتلكم قتال مستقل قد آيس من
 الحياة .

ثم نزل عن حائط القصر وصب عليه سلاحه واستوى على فرسه وجعل
 يتمثل بقول قيس عيلان بن مسلمة بن متعب الثقفي :
 ولو يراني أبو غيلان إذ حسرت عني الهموم بأمر ماله طبق

(١) الفتوح مج ٣ : ٢٢١

(٢) تاريخ الطبري ٦ : ١٠١

لقال رعباً ورهباً يجمعان معاً غم الحياة وهول النفس والشفق
والموت احمد شيء بالكريم إذا ما قلّه الدهر والآجال تخترق
ثم امر بباب القصر ففتح وخرج في نحو من مائتي رجل ممن يثق بهم فكرّ
على أصحاب مصعب فهزمهم حتى ركب بعضهم بعضاً ، وحملت الكتائب على
المختار من كل جانب فجعل يحاربهم ويرجع الى ورائه حتى دخل القصر .
وكان المختار قد عانى من أهل الكوفة في مدة حصاره ، فعندما يخرج
بجماعة من أصحابه لقتال أصحاب ابن الزبير يرمونهم بالحجارة من فوق البيوت
ويصبون عليهم الماء القذر^(١) .

اقتراح المختار

فلما رأى أن الحصار لا يزيدهم إلا ضعفاً وقد آيس من نجدة ابن الأشتر له
جمع اصحابه وقال لهم : ويحكم إن الحصار لا يزيدكم إلا ضعفاً ، فانزلوا بنا نقاتل
حتى نقتل كراماً إن نحن قتلنا فوالله ما أنا بآيس إن صدقتموهم ان ينصركم الله !
فضعفوا ولم يفعلوا .

فقال لهم : أما أنا فوالله لا أعطي بيدي ولا احكمهم في نفسي ، وإذا خرجت
فقتلت لم تردادوا إلا ضعفاً وذللاً ، فأن نزلتم على حكمهم وثبت اعداءكم فقتلوكم
وبعضكم ينظر بعضاً ، فتقولون يا ليتنا أطعنا المختار ، ولو أنكم حاربتم معي كنتم إن
أخطأتم الظفر متم كراماً .

هذا وقد جعل أصحاب المختار بعضهم يلوذ ببعض وقد أصابهم الرعب
وجلهم من الموالي ولم تعد صيحات المختار تؤثر بهم لرفع معنوياتهم القتالية
المنهارة ، فقد أمتوا أنفسهم بالسلامة حينما أعطوا الأمان من قبل ابن الزبير ، قد

(١) تاريخ الطبري ٦ : ١٠٥ .

فاتهم ما فعله ابن الزبير بمحمد بن الحنفية وأصحابه وحصارهم بجمرة زمزم لغرض إحراقهم فيها . ثم ان أصحابه المخلصين قد هربوا أثناء حصارهم في القصر ، فهذا عبدالله بن جعدة بن هبيرة لما عرف ما عزم عليه المختار تدلّى من القصر فلحق بناس من إخوانه واختفى عندهم سرّاً^(١) .

المختار وسائب بن مالك

اشتدّ الحصار على المختار وأصحابه ، فتمثل السائب بن مالك الأشعري بقول عبدالله بن حذّاق :

هل للفتى من بنات الدهر من واقي	ام هل له من حمام الموات من راقٍ
كأنتي قد رماني الدهر عن عرضٍ	بنا فذات بلا ريش و افواقٍ
وغمّضوني ولم يألوا بنغيهم	وقال قائلهم اودي ابن حذّاقٍ
وقد دعوا لي اقواماً وقد غسلوا	بالماء والسدر جثماني واعلاقي
ورجّلوني وما رجّلت من شعبي	والبسوني ثياباً غير اخلاقي
ورمّقوني وقالوا أيّما رجل	حامي الحقيقة قد وافى بميثاقٍ
وارسلوا فتية من خيرهم نسباً	ليدخلوني ضريحاً بين اطباقٍ
هوّن عليك ولا تولع باشفاقٍ	فإنّما مالنا للوارث الباقي

فسمع المختار هذه الأبيات من السائب فقال :

لله در عبدالله بن حذّاق ما أجود هذه الأبيات ، أما والله لولا ما نحن فيه لأحببت أن أحفظها ، والله يا سائب لو كان لي عشرة من مثلك لقهرت مصعب وأصحابه^(٢) .

(١) الكامل في التاريخ ٤ : ٢٧٢ .

(٢) مقتل الحسين ٢ : ٢٤٧ .

استشهاد المختار

ثمَّ انَّ المختار تطيَّب وتحنَّط وقد انتدب من معه لخوض المعركة الفاصلة مع نفر من أصحابه ، وفيهم السائب بن مالك الأشعري . فقال للسائب : ما ترى ؟ قال : ما ترى أنت ؟

قال : ويحك يا أحمق إنما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير قد وثب بالحجاز ، ورأيت ابن نجدة وثب باليمامة ، ومروان بالشام ، وكنت فيها كأحدهم إلا أنني طلبت بثأر أهل البيت، إذ نامت عنه العرب فقاتل على حسبك إن لم يكن لك نيّة .

فقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ما كنت أصنع أن أقاتل على حسبي . ثم فتح باب القصر وخرج والسيف في يمينه وفي يساره الترس ، وهو يهدر كما يهدر البعير البصير ويقول :

إن تقتلونني تقتلوا مشمراً رحب الذراعين شديداً حذرا
محمد قتلتة وعمرأ والأبرص القيسي لما ادبرا
أخا لجم إذ طفى واستكبرا من كل حيّ قد قضيت وطرا
ثم تقدم المختار وقاتل قتالاً شديداً حتى قتل^(١) رحمه الله ، قتله رجلان من حنيقة أخوان هم طرفة وطراف أبنا عبدالله بن دجاجة .

وهكذا انطوت هذه الصفحة من الإباء والشموخ والتحدي ، والتي كانت من أبرز صفحات النضال الشيعي بعد واقعة الطف ، باجتثاث جذور القتل والمحلّين وإدخال السرور على نفوس آل الرسول ﷺ ، وقد ذهب المختار رحمه الله الى ربه مطمئناً ، حيث كان يقول : وقد والله شفيت نفسي من أعدائهم وممن شرك في

(١) الكامل في التاريخ ٤ : ٢٧٣ .

دمائهم، ولستُ أبالي بعد هذا كيف أتاني الموت .

فجزى الله المختار عن أهل بيت نبيه ﷺ جزاء المحسنين الصالحين .
وتحصّن أصحابه بالقصر وهم سبعة آلاف رجل ، فأعطاهم مصعب الأمان
وكتب لهم كتاباً بأغلظ العهود وأشدّ المواثيق ، فخرجوا على ذلك فقدّمهم رجلاً
رجلاً فضرب أعناقهم (١).

وكان ممن أدركه الاحصاء من قتله مصعب مع المختار سبعة آلاف رجل كل
هؤلاء يطالبون بدم الحسين بن علي عليه السلام ، وقتله أعدائه فقتلهم مصعب وسماهم
الخشبية وتتبع مصعب الشيعة بالقتل في الكوفة وغيرها .

بجير بن عبدالله

كان من الموالي، وقد جيء به مع جمع كثير من أصحابه الى مصعب فقال
له: إنّ الله ابتلانا بالأسر وابتلاك بالعفو والمغفرة، ففي احدهما رضا الله وفي
الثانية غضب الله، فالذي يعفو، ينال العفو من الله، والذي يعاقب ينال القصاص
من الله .

ثم قال: يا ابن الزبير، نحن من أهل قبلتكم، وعلى دينكم، ولسنا من
الترك والديلم، وقد اختلفنا مع أهل مدينتنا، فأمّا نحن مخطئون أو هم، ونحن
مثل باقي المسلمين الذين تقاتلوا مع بعضهم ثم أدركهم الصلح، فاتحدوا فيما
بينهم، فاغفر لنا واصفح عنا، وعندما سمع مصعب كلامه قرر اخراجهم من
الأسر (٢).

(١) تاريخ يعقوبي ٢ : ٢٦٤ .

(٢) تجارب الأمم ٢ : ١٧٥ .

عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث^(١)

ثمّ قام عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث مخاطباً مصعب: إذا كنت تريد اخراجهم من الأسر، فانفض يديك منّا، فأمّا نحن أو هم، وليس هناك صلح بيننا وبينهم .

ثمّ قام عبد الرحمن بن سعيد وقال نفس الكلام، وكذلك بقيّة اصحابه، فأمر مصعب بن الزبير بقتلهم، فصاحوا كلّهم: لا تقتلنا يا ابن الزبير، واجعلنا من جنّدك الذين ستقاتل بهم أهل الشام، وسوف تتدم على قتلنا، ولكنه قدّمهم رجلاً رجلاً ف ضرب أعناقهم .

وقال بجير بن عبدالله: اقتلني بمعزل عنهم لأنّهم عصوني عندما طلبت منهم عدم الاستسلام .^(٢)

مسافر بن سعيد

وقال مسافر بن سعيد مخاطباً مصعب: ماذا ستقول في المحكمة الإلهية بقتلك هؤلاء، وكان الحقّ أن لا تقتل أحد منهم إلّا عند القصاص، وإذا قتلنا منكم عدّة فعليكم القتل منّا بالمثل، والعفو عن البقية، لأنّ البعض منّا لم يشترك في الحرب، وكانوا يأمنون الطريق فقط ويجمعوا الأموال .

ولكن مصعب وأصحابه لم يصغوا لهذا الكلام أيضاً .

ثمّ قال مسافر: اللهمّ قبح من لم يطعننا من أصحابنا عندما قلنا لهم تعالوا نهجم من طريق آخر، وبالتالي فرّقوا جمعنا، وجعلونا نموت مثل العبيد .

(١) كان أمير سجستان من قبر الحجاج، ولما حكم الحجاج بالجوهر والظلم، أعلن عبد الرحمن مع مجموعة من العلماء الحرب على الحجاج. (انظر سير اعلام النبلاء ٤: ١٨٣).

(٢) الكامل لابن الأثير ٤: ٢٧٤، تاريخ يعقوبي ٢: ٢٦٤.

ثم قال لمصعب: لا اريد أن يختلط دمي مع دمهم، فسحب مسافر إلى مكان آخر وقتل .

وكان عدد الذين تحصنوا بالقصر وجلبوا إلى مصعب فقتلهم ستة آلاف شخص^(١)؛ وقيل: سبعة آلاف رجل^(٢).

توبيخ عبدالله بن عمر لمصعب

فقد لقي عبدالله بن عمر مصعباً فقال له : أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة غير ما بدا لك ؟
فقال مصعب : إنهم كانوا كفرة فجرة .

فقال ابن عمر : والله لو قتلت عدّتهم غنماً من تراث أبيك لكان ذلك سرفاً^(٣).
كما قتل مصعب ابنين لحجر بن عدي الكندي وابناً لحذيفة بن اليمان قتلهم صبراً بعد قتل المختار .

وأول من حملت الرؤوس إليه في مدينة رسول الله ﷺ عبدالله بن الزبير ، ولم يحمل الى رسول الله ﷺ رأس قط ولا يوم بدر ، وحمل الى أبي بكر رأس فكره ذلك^(٤).

دعوة حرم المختار للبراءة منه

أتي مصعب بحرم المختار فدعاهن الى البراءة منه ففعلن^(٥)، إلا حرمتين له :

(١) تجارب الأمم ٢: ١٧٥ .

(٢) تاريخ يعقوبي ٢: ٢٦٤ .

(٣) الكامل في التاريخ ٣: ١٩ .

(٤) تاريخ الخلفاء : ١٧١ .

(٥) مروج الذهب ٣: ٣٠٠ .

أحدهما بنت سمرة بن جندب الفزاري ، والثانية بنت النعمان بن بشير الأنصاري وقالتا : كيف نتبرأ من رجل يقول ربّي الله ، صائم نهاره ، قائم ليله ، وقد بذل دمه لله ولرسوله في طلب قتلة ابن بنت رسول الله ﷺ ، وأهله وشيعته ، فأمكنه الله منهم حتى شفى النفوس ، وكتب مصعب الى أخيه عبدالله بخبرهما فكتب اليه :

إن هما رجعتا عمّا عليه وتبرأتا منه وإلا قتلتهما !! فعرضهما مصعب على السيف فرجعت بنت سمرة ولعنته وتبرأت منه، وقالت : لو دعوتني الى الكفر مع السيف لكفرت .

وأبت ابنة النعمان بن بشير وقالت : شهادة أرزقها فأتركها ! كلا إنها موتة ثم الجنة والقدوم على الرسول وأهل بيته ، والله لا يكون أبي مع ابن هند ويترك ابن أبي طالب فأتبعه ، اللهم فاشهد أنّي متبعة لنبيك وابن عمه وأهل بيته وشيعته .

ثم قدمها فقتلت صبراً بين الكوفة والحيرة^(١).

فقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي^(٢) :

إن من أعجب العجائب عندي قتل بيضاء حرّة عطبول
قتلوها بغير جرم أتته إن الله درّها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جرّ الذبول

جسد المختار

وقد أمر مصعب بتعليق جسد المختار رحمه الله على حائط المسجد، حيث بقي الى زمن الحجاج الثقفي، حيث أمر بانزاله ودفنه .

(١) الكامل في التاريخ ٣ : ١٩ .

(٢) الكامل في التاريخ ٤ : ٢٠٥ .

مدّة حكم المختار في الكوفة

مدّة حكم المختار على الكوفة بلغت سنة ونصف .

وقد استشهد عن ٦٧ عاماً ، وذلك يوم الرابع عشر من رمضان سنة ٦٧ .^(١)

عروة بن الزبير

وقد تألم ابن عباس من قتل المختار ونعته بالكذاب ، فقد لقيه عروة بن الزبير ، وقال له : قد قتل المختار الكذاب ، وهذا رأسه .

فقال ابن عباس : قد بقيت لكم عقبة كؤود فأن حصتموها فأنتم وأنتم وإلا فلا .^(٢)

عبدالله بن الزبير

وأما المحاورة بين عبدالله بن الزبير وابن عباس ، فتكشف لنا كم كان ابن عباس متوجعاً للمختار ، ورافضاً تسميته بالكذاب :

لقي عبدالله بن الزبير عبدالله بن عباس وقال له : ألم يبلغك قتل الكذاب ؟

قال ابن عباس : ومن الكذاب ؟

فقال ابن الزبير : ابن أبي عبيد .

قال ابن عباس : قد بلغني قتل المختار !

قال ابن الزبير : كأنك نكرت تسميته كذاباً ومتوجع له ؟

قال ابن عباس : بالكذب والكفر .^(٣)

(١) الكامل لابن الأثير ٤ : ٢٧٨ .

(٢) الكامل في التاريخ ٤ : ١٨ .

(٣) الكامل في التاريخ ٤ : ١٨ .

قبر المختار

قال المجلسي في بحار الأنوار : وما زال السلف يتباعدون عن زيارته ويتقاعدون عن إظهار فضيلته .

يتصل قبر المختار رحمه الله بالحائط الشرقي لمسجد الكوفة ، وهو مجاور لقبر مسلم بن عقيل ، والدخول لقبره يكون من داخل المسجد .^(١)
وقال عبد الله بن همام يذكر المختار وأصحابه ويمدحهم :

وفي ليلة المختار ما يذهل الفتى	ويلهيه عن رءود الشباب شموع
دعا يا لشارات الحسين فأقبلت	كتائب من همدان بعد هزيع
ومن مذحج جاء الرئيس ابن مالك	يقود جموعاً أردفت بجموع
ومن أسد وافى يزيد لنصره	بكل فتى حامي الذمار منيع
وجاء نعيم خير شيان كلها	يأمر لدى الهيجا أحد جميع
وما ابن شميظ إذ يحرض قومه	هناك بمخدول ولا بمضيع
وسار أبو النعمان لله سعيه	إلى ابن إياس مصحراً لوقوع
بخيل عليها يوم هيجاء دروعها	وأخرى حسوراً غير ذات دروع
فكر الخيول كربة ثقفتهم	وشد بأولاها على ابن مطيع
فولّى بضرب يشدخ الهام وقعه	وطعن غداة السكتين وجيع
فحوصر في دار الأمانة بائياً	بذل وإرغام له وخضوع
فمن وزير ابن الوصي عليهم	وكان لهم في الناس خير شفيع
وآب الهدى حقاً إلى مستقره	بخير إياب آبه ورجوع
إلى الهاشمي المهتدي المهتدى به	فنحن له من سامع ومطيع ^(٢)

(١) تاريخ النجف والحيرة: ١٤٤ .

(٢) تاريخ الكوفة للبراق: ٨٥ .

مصادر التحقيق

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- إِبصار العين في أنصار الحسين : للشيخ محمد السماوي ، مكتبة بصيرتي قم .
- ٣- اثبات الوصية : للمسعودي ، منشورات الرضي ، قم .
- ٤- الاحتجاج : للطبرسي ، انتشارات اسوة ، قم .
- ٥- الأخبار الطوال : للدينوري ، القاهرة .
- ٦- الاختصاص : لمحمد بن محمد بن النعمان المفيد ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت .
- ٧- اختيار معرفة الرجال : لمحمد بن الحسن الطوسي ، مطبعة البعثة ، قم .
- ٨- أدب الطف : للسيد جواد شبر ، دار المرتضى ، بيروت .
- ٩- الإرشاد : للشيخ المفيد ، مؤسسة أهل البيت ، قم .
- ١٠- إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري : للقسطلاني .
- ١١- الاستيعاب - في هامش الاصابة - : لعبدالله بن محمد بن البر ، دار صادر ، بيروت .
- ١٢- أسد الغابة : لمحمد عبدالكريم الجزري ، المطبعة الاسلامية ، طهران .
- ١٣- الاصابة في معرفة الصحابة : لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار صادر ، بيروت .
- ١٤- الأعلام : لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت .
- ١٥- اعلام الوري : للفضل بن الحسن الطبرسي ، دار المعرفة ، بيروت .
- ١٦- اعيان الشيعة : للسيد محسن الأمين ، دار التعارف ، بيروت .
- ١٧- الأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني ، مصر .
- ١٨- الأمالي : لمحمد بن علي بن الحسين الصدوق ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت .
- ١٩- الأمالي : لمحمد بن الحسن الطوسي ، مكتبة الداوري ، قم .
- ٢٠- الامام الحسين وأصحابه : لفضل علي القزويني ، قم .
- ٢١- الامامة والسياسة : لابن قتيبة ، دار المعرفة ، بيروت .
- ٢٢- أنساب الاشراف : للبلاذري ، دار التعارف ، بيروت .
- ٢٣- بحار الأنوار : لمحمد باقر المجلسي ، دارالكتب الاسلامية ، طهران .
- ٢٤- البدء والتاريخ : لأحمد بن سهل البلخي ، مكتبة الاسدي ، طهران .
- ٢٥- البداية والنهاية : لاسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، دار الفكر ، بيروت .

- ٢٦- تراث كربلاء: لسلمان هادي طعمة ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت .
- ٢٧- تاريخ الاسلام: للذهبي ، مصر .
- ٢٨- تاريخ الأمم والملوك: لمحمد بن جرير الطبري ، دار سويدان، بيروت .
- ٢٩- تاريخ الخلفاء: للسيوطي ، مصر .
- ٣٠- تاريخ دمشق: لابن عساكر الدمشقي .
- ٣١- تاريخ النجف والحيرة: للسيد عبد الحجة البلاغي ، طهران .
- ٣٢- تنمة المنتهى: للشيخ عباس القمي ، انتشارات داوري ، قم .
- ٣٣- تجارب الامم: لمسكويه الرازي ، انتشارات سروش ، طهران .
- ٣٤- تذكرة الحفاظ: لمحمد بن احمد الذهبي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .
- ٣٥- تذكرة الخواص: لسبط ابن الجوزي يوسف بن فرغلي مؤسسة أهل البيت، بيروت .
- ٣٦- تظلم الزهراء: لرضي القزويني ، منشورات الرضي ، قم .
- ٣٧- تفسير جامع البيان: لمحمد بن جرير الطبري ، دار المعرفة ، بيروت .
- ٣٨- تفسير القمي: لعلي بن ابراهيم القمي ، مطبعة النجف ، أفست مؤسسة دار الكتب ، قم .
- ٣٩- التفسير الكبير: للفخر الرازي .
- ٤٠- تفسير مجمع البيان: للفضل بن الحسن الطبرسي ، مطبعة العرفان ، صيدا .
- ٤١- تنقيح المقال : لعبدالله بن محمد المامقاني ، دار الكتب الاسلامية ، طهران .
- ٤٢- تهذيب الأحكام: لمحمد بن الحسن الطوسي ، دار الكتب الاسلامية ، طهران .
- ٤٣- توضيح المقاصد: لبهاء الدين العاملي ، مكتبة بصيرتي ، قم .
- ٤٤- تهذيب التهذيب: لاحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار الفكر ، بيروت .
- ٤٥- الجرح والتعديل : لعبد الرحمن بن ادريس الرازي ، دار احياء التراث العربي، بيروت .
- ٤٦- جلاء العيون: للسيد عبدالله شبر ، مكتبة بصيرتي ، قم .
- ٤٧- جواهر الكلام: للشيخ محمد حسن النجفي ، دار الكتب الاسلامية ، قم .
- ٤٨- الخرائج والجرائح: للقطب الراوندي ، مؤسسة الامام المهدي ، قم .
- ٤٩- خصائص الأئمة: للشريف الرضي ، الاستانة الرضوية ، مشهد .

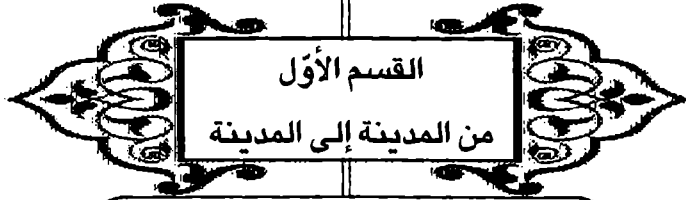
- ٥٠- الخصال: لمحمد بن علي بن بابويه ، جماعة المدرسين ، قم .
- ٥١- حلية الابرار: للسيد هاشم البحراني ، مؤسسة المعارف الاسلامية ، قم .
- ٥٢- حياة الامام الحسين عليه السلام: لباقر شريف القرشي ، دار الكتب العلمية ، قم .
- ٥٣- الدر المنثور: لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، دارالفكر ، بيروت .
- ٥٤- دلائل الامامة: لمحمد بن جرير الطبري ، المكتبة العربية ، حلب .
- ٥٥- دلائل النبوة: لاحمد بن عبدالله الاصبهاني ، المكتبة العربية ، حلب .
- ٥٦- دلائل النبوة: لاحمد بن الحسين البيهقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٥٧- الدمعة الساكبة: لمحمد باقر البهبهاني ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت .
- ٥٨- ذخائر العقبي: لمحبد الدين الطبري ، القاهرة .
- ٥٩- رجال النجاشي: لاحمد بن علي بن احمد النجاشي .
- ٦٠- رياض الاحزان: لمحمد حسن القزويني .
- ٦١- سفينة البحار: للشيخ عباس القمي ، مكتبة سنائي ، طهران .
- ٦٢- سنن الترمذي: لمحمد بن عيسى بن سورة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .
- ٦٣- سنن الدارقطني: لعلي بن عمر الدارقطني دار المحاسن ، القاهرة .
- ٦٤- السنن الكبرى: لاحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، دار الفكر ، بيروت .
- ٦٥- سنن ابن ماجه: لمحمد بن يزيد القزويني ، دار الفكر ، بيروت .
- ٦٦- السيرة النبوية: لعبد الملك بن هشام ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .
- ٦٧- شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد المعتزلي ، دار احياء الكتب العربية ، بيروت .
- ٦٨- الشرف المؤبد لآل محمد: للنبهاني ، مصر .
- ٦٩- الصحاح: لاسماعيل بن حماد الجوهري ، دار العلم للملايين ، بيروت .
- ٧٠- صحيح البخاري: لمحمد بن اسماعيل بن ابراهيم ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .
- ٧١- صفة الصفوة: لعبد الرحمن بن الجوزي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٧٢- الصواعق المحرقة: لاحمد بن حجر الهيتمي ، مصر .
- ٧٣- ضياء العينين في تذكرة أصحاب الحسين: لمحمد حسن السبزواري ، مشهد .

- ٧٤- طبقات الحفاظ: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٧٥- الطبقات الكبرى: لمحمد بن سعد ، دار صادر بيروت .
- ٧٦- الطرائف: لابن طاووس .
- ٧٧- العقد الفريد: لابن عبد ربّه ، مصر .
- ٧٨- عوالم العلوم: البحراني ، مؤسسة الامام المهدي ، قم .
- ٧٩- عيون الأخبار: لعبدالله مسلم بن قتيبة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة .
- ٨٠- عيون اخبار الرضا عليه السلام: لمحمد بن علي بن الحسين بن بابويه ، طهران .
- ٨١- الغدير: لعبد الحسين بن احمد الاميني . مطبعة الحيدرية ، طهران .
- ٨٢- فرائد السمطين: لابراهيم بن محمد بن المؤيد ، مؤسسة المحمودي ، بيروت .
- ٨٣- فرحة الغري: لعبدالكريم بن طاووس ، المطبعة الحيدرية ، النجف .
- ٨٤- الفصول المهمة: لابن الصبّاغ المالكي ، مطبعة العدل ، النجف .
- ٨٥- الفهرست: لمحمد بن الحسن الطوسي ، المكتبة المرتضوية ، النجف .
- ٨٦- القاموس المحيط: لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي دار الفكر ، بيروت .
- ٨٧- قرب الاسناد: لعبدالله بن جعفر الحميري ، مكتبة نينوى الحديثة ، طهران .
- ٨٨- قمقام زخار: لفرهاد الميرزا ، انتشارات اسلامية ، طهران .
- ٨٩- الكامل في التاريخ: لابن الاثير ، علي بن محمد . دار صادر ، بيروت .
- ٩٠- كشف الغمة: لعلي بن عيسى الاربلي ، المطبعة العلمية ، قم .
- ٩١- كفاية الطالب: لمحمد بن يوسف الشافعي ، مطبعة الفارابي ، طهران .
- ٩٢- كنز الفوائد: لمحمد بن علي الكراجكي ، دار الاضواء ، بيروت .
- ٩٣- لسان العرب: لابن منظور (ت ٧١١ هـ) . نشر أدب الحوزة ، قم .
- ٩٤- اللهوف: للسيد ابن طاووس ، منشورات الشريف الرضي ، قم .
- ٩٥- مثير الاحزان: لابن نما الحلّي ، مؤسسة الامام المهدي ، قم .
- ٩٦- مجمع البحرين: للطريحي ، انتشارات مرتضوي ، طهران .
- ٩٧- مجمع الزوائد: لعلي بن أبي بكر الهيتمي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

- ٩٨- مرآة الاطلاع: لعبد المؤمن عبدالخالق البغدادي ، دار المعرفة، بيروت .
- ٩٩- مروج الذهب: لعلي بن الحسين المسعودي ، مطبعة الصدر، قم .
- ١٠٠- مسار الشيعة: للشيخ المفيد، مكتبة بصيرتي، قم .
- ١٠١- المستدرك على الصحيحين: للحاكم النيسابوري ، دار الفكر، بيروت .
- ١٠٢- مسند أحمد: لأحمد بن محمد بن حنبل ، دار الفكر، بيروت .
- ١٠٣- مسند الطيالسي: لسليمان بن داود بن الجارود، دار المعرفة، بيروت .
- ١٠٤- مسند يعلى الموصلي: لأحمد بن علي بن المثنى التميمي، بيروت .
- ١٠٥- معاني الاخبار: لمحمد بن علي بن الحسين بن بابويه ، دار المعرفة، بيروت .
- ١٠٦- معجم البلدان: لياقوت الحموي ، دار احياء التراث العربي، بيروت .
- ١٠٧- مقاتل الطالبين: لأبي الفرج الأصفهاني ، دار المعرفة، بيروت .
- ١٠٨- مقتل الحسين: لأبي مخنف لوط بن يحيى ، المطبعة العلمية، قم .
- ١٠٩- مقتل الحسين: للموفق بن أحمد الخوارزمي ، منشورات مكتبة المفيد، قم .
- ١١٠- مقتل الحسين: للسيد عبد الرزاق الموسوي المقرّم ، دار الكتاب الاسلامي، بيروت .
- ١١١- المناقب: لأبن شهر آشوب ، انتشارات مصطفى طهران .
- ١١٢- منتخب كنز العمال: للمتقي الهندي في هامش مسند أحمد بن حنبل ، بيروت .
- ١١٣- ميزان الاعتدال: لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، دار المعرفة، بيروت .
- ١١٤- ناسخ التواريخ: سبهر ، انتشارات اسلامية ، طهران .
- ١١٥- نثر الدر: لمنصور بن الحسين الآبي ، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة .
- ١١٦- نظم درر السمطين: للزرندي .
- ١١٧- نفس المهموم: للشيخ عباس القمي، مكتبة بصيرتي، قم .
- ١١٨- نور الأبصار: للشلبنجي، مصر .
- ١١٩- النهاية: لابن الاثير ، المبارك بن محمد الجزري ، المكتبة الاسلامية .
- ١٢٠- وسيلة الدارين: للموسوي ، مؤسسة الاعلمي، بيروت .
- ١٢١- وقعة صفين: لنصر بن مزاحم، مكتبة بصيرتي، قم .
- ١٢٢- ينابيع المودة: للقندوزي ، اسلامبول .

المحتويات

١٦	رسول الله ﷺ وولادة الحسين ﷺ	٥	شذرات من رسالته ﷺ إلى شيعته
١٦	مراسم الولادة والتسمية	٧	بين يدي الكتاب
١٧	ملاحه ﷺ	٩	اسلوب البحث
١٨	شخصيته ﷺ	١٠	خصائص هذا البحث
١٩	١- شمائل الحسين ﷺ في القرآن	١١	اسم الكتاب
٢٢	٢- شمائل الحسين ﷺ في الروايات	١٢	ملاحظة ضرورية
		١٣	المقدمة



الفصل الأول: في المدينة

٤٦	الاحنف بن قيس	٢٩	تبرّم شيعة العراق من معاوية
٤٦	رسالة معاوية الى حاكم المدينة	٣٢	تحرك الشيعة بعد وفاة الحسن ﷺ
٤٨	رحلة معاوية الأولى إلى المدينة	٣٤	شهادة حجر بن عدي الكندي
٤٩	معاوية يجتمع بالمعارضين للبيعة	٣٥	انتقاد معاوية
٥١	معاوية يدعو الحسين للاجتماع	٣٦	استشهاد عمرو بن الحمق الخزاعي
٥٣	الحسين يجيب على كلام معاوية	٣٦	مكر معاوية
٥٥	لقاء معاوية بعائشة	٣٧	تغيير شكل الحكومة
٥٦	معاوية يبائع ليزيد قهراً	٣٩	رسالة معاوية الى الإمام الحسين ﷺ
٥٦	مشادة الحسين لمعاوية في البيعة	٣٩	رسالة الامام الحسين ﷺ الى معاوية
٥٧	الرحلة الثانية لمعاوية إلى المدينة	٤٣	الاجتماع في مكة
٥٨	سفر معاوية الى مكة	٤٥	الوفود عند معاوية

٧٥	الحسين يخرج من مجلس الوليد	٦٠	معاوية يهدد المعارضين
٧٦	الحسين يلتقي بمروان	٦١	أهل الكوفة يكاتبون الحسين
٧٧	الحسين يودع قبر جدّه رسول الله	٦٢	الخدري يواجه الحسين برأيه
٧٩	الحسين يودع قبر أمه وأخيه	٦٣	هلاك معاوية ووصيته ليزيد
٧٩	الحسين مع أخيه ابن الحنفية	٦٤	رسالة معاوية الى يزيد
٨٠	وصية الحسين لأخيه محمد	٦٨	يزيد يتولى الخلافة ويخطب في الناس
٨١	الهاشميات يبكين الحسين	٦٨	تعزية الناس ليزيد بوفاة معاوية
٨٢	دخول جملة من الرجال عليه للاشارة	٦٩	رؤيا يزيد
٨٣	إبائوه عن الصلح والمصالمة	٧١	رسالة يزيد إلى الوليد والي المدينة
٨٤	أخبار من الشهادة	٧٣	الوليد يطلب الحسين وأصحابه
		٧٤	الحسين يدخل على الوليد

الفصل الثاني : من المدينة إلى مكة

٨٩	لقاءات الحسين في الطريق	٨٧	خروج الحسين إلى مكة
----	-------------------------	----	---------------------

الفصل الثالث : في مكة

١٠٩	سفر مسلم بن عقيل الى الكوفة	٩٣	دخول الحسين مكة
١٠٩	رسالة مسلم الى الامام	٩٤	أقبال الناس على الحسين في مكة
١١٢	مسلم في بيت المختار	٩٥	زيارة قبر خديجة
١١٣	ماذا حدث في بيعة مسلم ؟	٩٥	الحسين يكتب إلى أشراف البصرة
١١٤	مسلم يكتب إلى الحسين	٩٦	رد فعل المنذر بن الجارود
١١٤	خطاب والي الكوفة	٩٦	جواب الأحنف بن قيس
١١٦	سرجون مولى معاوية	٩٧	رد يزيد بن مسعود النهشلي
١١٦	رسالة يزيد الى عبيدالله	٩٩	يزيد بن نبيط
١١٧	خطبة عبيدالله بن زياد في البصرة	١٠٠	الحسين يكتب من مكة إلى بني هاشم
١١٨	ابن زياد يتوجه إلى الكوفة	١٠١	يزيد يرأس ابن عباس
١١٩	دخول ابن زياد الكوفة	١٠٣	شعبة الكوفة يكاتبون الحسين
١١٩	خطبة ابن زياد في الكوفة	١٠٨	رسالة الحسين إلى أهل الكوفة

١٢٠	رعب وتهديد	١٤٠	مسلم في ميدان الحرب
١٢١	جواسيس ابن زياد	١٤٢	ابن الاشعث يستمد القوة من ابن زياد
١٢١	مسلم في دار هاني	١٤٢	يحتالون على مسلم باعطائه الامان
١٢٢	شريك بن الأعور في الكوفة	١٤٣	مسلم يقع أسيراً في أيدي القوم
١٢٢	ابن زياد يعود شريكاً في دار هاني	١٤٤	مسلم بن عمرو الباهلي
١٢٣	مهران مولى عبيدالله	١٤٥	مسلم في مجلس ابن زياد
١٢٣	سبب انصراف مسلم عن قتل ابن زياد	١٤٦	وصية مسلم
١٢٤	وفاة شريك بن الأعور	١٤٧	شهادة مسلم
١٢٥	معقل ، جاسوس عبيدالله	١٤٨	شهادة هاني بن عروة
١٢٦	مؤامرة على هاني بن عروة	١٤٩	رسالة ابن زياد الى يزيد
١٢٧	اعتقال هاني بن عروة	١٥٠	جواب يزيد
١٢٩	هاني ومسلم بن عمرو الباهلي	١٥١	خلاصة حول عائلة مسلم بن عقيل
١٣٠	ابن زياد يضرب هاني ويأمر بحبسه	١٥١	خطبة الحسين عليه السلام في مكة
١٣٠	جموع مذبح تطوَّق القصر	١٥٢	حفظ قداسة الحرم
١٣١	استخبار مسلم بمصير هاني	١٥٤	لماذا انتخب الامام عليه السلام العراق؟
١٣٢	مسلم يطوَّق قصر الامارة	١٥٩	الاعراض عن الحجاز
١٣٣	خطة ابن زياد لكسر الحصار	١٦٠	الامام عليه السلام ومحمد بن الحنفية
١٣٤	تخاذل أهالي الكوفة	١٦١	الحسين عليه السلام وعمر بن عبد الرحمن
١٣٤	اعتقال الناس	١٦٢	المِسُور بن مخزمة
١٣٥	بداية غربة وحيرة مسلم	١٦٢	عبدالله بن عباس
١٣٦	الصعوبات التي واجهت محمد بن كثير	١٦٥	ابن عباس وعبدالله بن الزبير
١٣٦	مسلم في دار طوعة	١٦٦	عبدالله بن عمر
١٣٧	خطبة عبيدالله في مسجد الكوفة	١٦٦	جابر بن عبدالله الأنصاري
١٣٨	صدور أوامر جديدة	١٦٦	رسالة عبدالله بن جعفر
١٣٩	رؤيا مسلم	١٦٧	جواب الإمام عليه السلام
١٣٩	بلال بن طوعة	١٦٨	رسالة عمرو بن سعيد

الفصل الرابع : من مكة إلى كربلاء

١٧١	مطاردة الامام عليه السلام	١٧٣	رسالة عمرو بن سعيد الى يزيد
١٧٢	رسالة الوليد بن عتبة	١٧٤	المنازل بين مكة الى كربلاء
١٧٢	محاصرة الطرق	١٧٤	١- الأبطح

١٨٨	١٣- التعلية	١٧٤	٢- التنعيم
١٨٩	أبو هرة الأزدي	١٧٥	٣- الصفاح
١٩٠	نصراني يدخل في الاسلام	١٧٦	٤- وادي العقيق
١٩٠	١٤- زباله	١٧٧	٥- وادي الصفراء
١٩١	١٥- القاع	١٧٧	٦- ذات عرق
١٩٢	١٦- بطن العقبة	١٧٨	٤- الحاجر من بطن الرمة
١٩٣	١٧- شراف	١٧٩	ابن زياد يقتل رسول الحسين
١٩٤	التقاءه بالحر الرياحي	١٨٠	٨- قيد
١٩٤	١٨- ذو حُسم	١٨٠	٩- الأجر
١٩٩	١٩- البيضة	١٨١	١٠- الخزيمية
٢٠٠	٢٠- الرهيمة	١٨١	١١- الشقوق
٢٠١	٢١- عذيب الهجانا	١٨٢	١٢- زُرود
٢٠٣	٢٢- القططانية	١٨٣	زهير يزلف إلى الحسين
٢٠٤	٢٣- قصر بني مقاتل	١٨٤	خبر شهادة مسلم بن عقيل
٢٠٦	٢٤- نينوى	١٨٦	حميدة بنت مسلم

الفصل الخامس : في كربلاء

٢٢٥	اليوم السابع من محرّم	٢٠٩	نزول الحسين ﷺ في كربلاء
٢٢٦	اليوم الثامن من محرّم	٢١٠	يوم الثاني من محرّم
٢٢٧	يزيد بن الحصين وعمر بن سعد	٢١٠	خطبة الإمام ﷺ
٢٢٨	جلب ماء الفرات	٢١٣	يوم الثالث من محرّم
٢٢٩	الحسين وابن سعد	٢١٥	رسالة عبيد الله بن زياد
٢٣٠	ابن سعد يفترى على الحسين	٢١٧	شراء الأراضي
٢٣١	ابن زياد يجيب على كتاب ابن سعد	٢١٩	رسالة عمر بن سعد
٢٣٣	ابن سعد يزحف بجيشه يوم التاسع	٢٢٠	اليوم الرابع من محرّم
٢٣٤	خطبة الحسين ﷺ ليلة عاشوراء	٢٢١	اليوم الخامس من محرّم
٢٣٦	جواب أهل بيته وأصحابه	٢٢٢	عدد الجيش المحارب للحسين
٢٣٩	الحسين يأذن للحضرمي بالانصراف	٢٢٣	اليوم السادس من محرّم
٢٤١	الحسين ينهى أهل بيته وأصحابه	٢٢٣	الوضع النفسي لجيش ابن زياد
٢٤٢	طعم الموت أحلى من العسل	٢٢٤	رسالة الامام ﷺ إلى ابن الحنفية
٢٤٣	صمود حتى الشهادة	٢٢٤	بني أسد ونصرة الامام

٢٠٢	مبارة عبد الله بن عمير الكلبي	٢٤٤	حفر خندق في أطراف المخيم
٢٠٣	عمرو بن الحجاج يحمل ويؤلب الناس	٢٤٤	رؤية الأصحاب منازلهم في الجنة
٢٠٤	مصرع مسلم بن عوسجة	٢٤٥	الحسين ينعي نفسه وزينب تسمعه
٢٠٥	مصرع الكلبي وزوجته	٢٤٨	صبر العقيلة زينب ؓ
٢٠٥	وهب الكلبي	٢٤٨	هداية بعد ضلال
٢٠٦	أبو الشعثاء الكندي	٢٤٩	بربر وأبو حرب السبيعي
٢٠٧	شمر يدعو لحرق فسطاط الحسين	٢٥٠	الحسين وأصحابه يقتسلون
٢٠٨	مصرع حبيب	٢٥٢	الحسين ؓ يتفقد المعسكر
٢٠٩	مصرع الحر الرياحي	٢٥٨	رؤيا الإمام الحسين ؓ
٢١٠	الصلاة الأخيرة	٢٥٩	يوم عاشوراء
٢١١	مصرع سعيد الحنفي	٢٦٠	عدد أصحاب الإمام ؓ
٢١١	الحسين يستحث أصحابه على الشهادة	٢٦٠	تعبئة الجيش الحسيني
٢١٢	بقية الأصحاب يتهافتون على الموت	٢٦٠	الخطبة الأولى للحسين ؓ
٢١٣	شوذب مولى شاكر	٢٦١	تعبئة الجيش الأموي
٢١٣	عابس بن شبيب الشاكري	٢٦١	خطبة زهير بن القين
٢١٤	زهير بن القين	٢٦٢	خطبة بربر بن خضير
٢١٥	عمرو بن قرظة الأنصاري	٢٦٤	الخطبة الثانية للحسين ؓ
٢١٥	نافع بن هلال الجملي	٢٦٥	خطبته الثالثة
٢١٦	الغفاريان	٢٦٦	حوار الحسين ؓ مع شمر
٢١٦	الجابريان	٢٦٨	عبدالله بن حوزة
٢١٧	جون مولى أبي ذر	٢٦٨	مسروق بن وائل
٢١٨	أنس بن الحرث الكاهلي	٢٦٩	ابن أبي جويرية وتميم بن الحصين
٢١٩	عمرو بن جنادة	٢٧٠	خطبة الحسين الرابعة
٢٢٠	الحجاج الجعفي	٢٧٣	الحسين يستدعي ابن سعد ويؤنبه
٢٢٠	الغلام التركي	٢٧٤	توبة الحر
٢٢١	شهداء بني هاشم	٢٧٤	خطبة الحر
٢٢٢	أول الشهداء من بني هاشم علي الأكبر	٢٧٦	سكينة تصف ليلة العاشر
٢٢٥	علي الأكبر يتقدم إلى الميدان	٢٧٧	شهادة أصحاب الإمام ؓ
٢٢٨	مصرع علي الأكبر	٢٧٩	ابن سعد أول من رمى معسكر الحسين
٢٢٩	الحسين يندب ولده	٢٧٩	خمسون شهيداً في الحملة الأولى
٢٣٠	زينب والعيال يندبن علي الأكبر	٢٩١	أسماء بقية الشهداء
٢٣١	عائلة عقيل بن أبي طالب	٣٠١	المبارزة بين الفريقين

٣٨٤	الشمر يحاول إحراق فسطاط الحسين	٣٣٣	عائلة جعفر بن أبي طالب
٣٨٥	مصرع عبدالله بن الحسن	٣٣٧	أبناء الإمام الحسن عليه السلام
٣٨٦	الحسين على وجه الأرض	٣٤١	أبناء أمير المؤمنين عليه السلام
٣٨٧	هلال بن نافع	٣٤٥	العباس بن علي عليه السلام
٣٨٨	من هو قاتل الحسين عليه السلام ؟	٣٥٤	العباس يستأذن الحسين في البراز
٣٩٠	الشهيد الأخير	٣٥٥	العباس يتحدر إلى الميدان
٣٩٠	فرس الحسين «ذو الجناح»	٣٥٥	وقاؤه لعطش أخيه
٣٩١	بنات الرسالة يهرعن إلى مصرع الحسين	٣٥٨	الحسين يقف على مصرع العباس
٣٩٣	تغير العالم العلوي بعد مقتله	٣٥٩	الحسين يترك العباس في مكانه
٤٠٦	سلب الحسين عليه السلام	٣٦٠	الحسين يستغيث بعد مقتل العباس
٤٠٧	جراحات بدنه الشريف	٣٦٢	أم البنين ترثي أولادها
٤٠٧	من شعر الإمام الحسين عليه السلام	٣٦٤	مصرع الحق
٤٠٨	حرق الخيام ونهب المتاع وسلب النساء	٣٦٨	الحسين يستغيث ويطلب الناصر
٤٠٩	محاولة قتل الامام زين العابدين عليه السلام	٣٧٠	الوداع الأول
٤١٠	عيال الحسين يصرخن في وجه ابن سعد	٣٧١	الامام زين العابدين يحاول القتال
٤١١	عقبة والضحاك ينجون من القتل	٣٧٢	عبد الله الرضيع
٤١٢	قمة المأساة	٣٧٣	الوداع الثاني
٤١٣	اللحظات الأخيرة	٣٧٣	الحسين يتقدم إلى الحرب
٤١٧	قطع الرؤوس	٣٧٦	يطلب شربة من الماء فلا يجدها
٤١٨	خسائر ابن سعد	٣٧٦	الحسين دريئة للسهام
٤١٩	احصاء عن ثورة كربلاء	٣٧٧	فرس الحسين يواسي الامام
٤٢٨	طفلا مسلم	٣٧٨	الخطبة الأخيرة
٤٢٨	رأس الإمام الحسين عليه السلام	٣٧٨	الوداع الثالث
٤٣٠	ارتحال عائلة الحسين سبايا	٣٧٩	الحسين يصل كالليث الغضبان
٤٣٣	مرور السبايا على مصارع القتلى	٣٨٠	السهام في جبهته المقدسة
٤٣٨	سبايا آل محمد إلى الكوفة	٣٨٢	دعاء الإمام عليه السلام
٤٣٨	دفن الأجساد الطاهرة	٣٨٣	مالك بن النسر يضربه على رأسه
٤٤٣	مدفن الرأس الشريف	٣٨٤	الحسين عليه السلام وحيداً في الميدان

الفصل السادس : في الكوفة

٤٤٨	أول رأس حمل على القناة	٤٤٧	زينب في صراع مع المصائب في الكوفة
-----	------------------------	-----	-----------------------------------

٤٦٢	أحداث الكوفة بعد وصول الأسرى	٤٤٩	الجمال العارية
٤٦٣	عبدالله بن عفيف الأزدي	٤٥٠	خطب ملتبهة في الكوفة
٤٦٦	جندب بن عبدالله	٤٥٠	خطبة زينب ؑ
٤٦٦	ندم ابن سعد	٤٥٢	خطبة فاطمة الصغرى
٤٦٧	أهل المدينة وخبر الشهادة	٤٥٥	خطبة أم كلثوم
٤٦٨	خطاب الكفر على لسان عمرو بن سعيد	٤٥٦	خطبة زين العابدين ؑ التاريخية
٤٦٩	انتشار خبر الشهادة في مكة	٤٥٨	قصر الامارة
٤٧٠	الربيع بن خثيم	٤٥٩	أوامر قتل الإمام السجاد ؑ
٤٧١	البصرة والحسن البصري	٤٦٠	ابن زياد ورأس الإمام الحسين ؑ
٤٧١	نداء الغيب	٤٦١	كتاب عبيدالله الى يزيد

الفصل السابع : من الكوفة إلى الشام

٤٨١	١٠- دعوات	٤٧٣	حمل السبايا إلى الشام
٤٨١	١١- حلب	٤٧٥	المنازل بين الكوفة والشام
٤٨٢	١٢- قنسرين	٤٧٥	١- المنزل الأول
٤٨٣	١٣- معزة النعمان	٤٧٦	٢- تكريت
٤٨٣	١٤- شيزر	٤٧٧	٣- مشهد النقطة
٤٨٤	١٥- كفر طالب	٤٧٧	٤- وادي النخلة
٤٨٤	١٦- سيبور	٤٧٧	٥- الموصل
٤٨٤	١٧- حماة	٤٧٩	٦- نصيبين
٤٨٥	١٨- حمص	٤٨٠	٧- عين الوردة
٤٨٥	١٩- بعلبك	٤٨٠	٨- الرقة
٤٨٧	٢٠- دمشق	٤٨٠	٩- الجوسق

الفصل الثامن : في الشام

٥٠٠	سفير ملك الروم ومجلس يزيد	٤٨٩	الوضع الفكري عند أهل الشام
٥٠٢	خطبة زينب الكبرى ؑ	٤٩١	سهل بن سعد الساعدي
٥٠٤	خطبة الامام السجاد ؑ	٤٩٣	شعر الإمام السجاد ؑ
٥٠٩	انعكاسات خطبة الامام السجاد ؑ	٤٩٤	مجلس يزيد
٥١٠	آل رسول الله في خربة الشام	٤٩٨	فاطمة بنت الحسين ؑ

رقية بنت الحسين في الخربة ٥١٠ العزاء في الشام ٥١٣

الفصل التاسع : من الشام إلى المدينة

الأربعين ٥١٦ العودة إلى المدينة ٥٢٥
الأربعين واختلاف الأقوال ٥٢٢ هدية الرسول الذي صحب القافلة ٥٢٦
المسير من كربلاء ٥٢٤

الفصل العاشر : في المدينة

مصيبة دخول السبايا إلى المدينة ٥٢٧ مرثية بنت عقيل ٥٣٣
استقبال قافلة كربلاء ٥٣٠ بكاء الإمام السجاد عليه السلام ٥٣٤
خطبة الإمام السجاد عليه السلام ٥٣١ لوعة الهاشميين ٥٣٥
صوحان بن صعصعة ٥٣٢ حزن العقيلة عليه السلام ٥٣٥
رباب زوجة الإمام الحسين عليه السلام ٥٣٢ مكافأة ابن مرجانة ٥٣٥

الفصل الحادي عشر : فضيلة زيارة الحسين عليه السلام

الزيارة مستحبة أم واجبة ٥٤٢ أ- الصلوات الواردة في ليلة عاشوراء ٥٥٨
في ذكر فضل كربلاء ٥٥٢ ب- المبيت عند الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء ٥٦٠
فضل إحياء ليلة عاشوراء بالعبادة ٥٥٧ قبر الحسين عليه السلام ٥٦٢

القسم الثاني

قصة الانتقام

الفصل الأول : الشيعة بعد شهادة الحسين عليه السلام

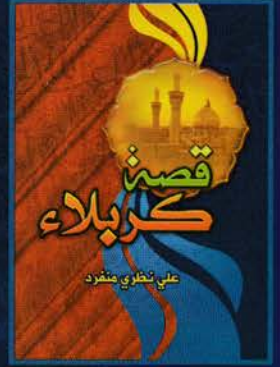
من أدعية الإمام الحسين عليه السلام ٥٧٥ التوابون ٥٧٨
الندم ٥٧٦ خطبة المنبئ بن نجبة ٥٧٩
رسالة من السجن ٥٧٧ خطبة رفاعة بن شداد ٥٨٠

٥٩٢.....	الفرار إلى الشام	٥٨٠.....	خطبة سليمان بن صرد
٥٩٣.....	عبدالله بن يزيد وابراهيم بن محمد	٥٨١.....	رسالة الى المدائن
٥٩٦.....	بداية حركة التوابين	٥٨٢.....	رسالة الى أهل البصرة
٦٠٧.....	المسيب بن نجبة	٥٨٣.....	هلاك يزيد
٦٠٩.....	رفاعة بن شداد	٥٨٤.....	بيعة الناس لعبدالله بن الزبير
٦١٠.....	عبدالله بن عزيز الكناني	٥٨٤.....	المختار يذهب إلى مكة
٦١٢.....	قرقيسيا	٥٨٧.....	ابن زياد بعد هلاك يزيد
٦١٢.....	العون	٥٨٨.....	رسول ابن زياد لأهل الكوفة
٦١٤.....	لماذا اخفقت حركة التوابين ؟	٥٩٠.....	عامر بن مسعود
٦١٨.....	الدروس المستنبطة	٥٩٠.....	الخروج من البصرة

الفصل الثاني : قيام المختار

٦٤٥.....	الهجوم على حرس زجر بن قيس	٦١٩.....	نبذة عن المختار الثقفي
٦٤٥.....	سويد بن عبد الرحمن	٦١٩.....	مولده ونشأته
٦٤٦.....	أبو عثمان النهدي وبني شاكر	٦٢٣.....	انقطاعه الى بني هاشم
٦٤٧.....	بني خثعم	٦٢٤.....	المختار ومسلم بن عقيل
٦٤٧.....	الاجتماع في المسجد	٦٢٥.....	الرجوع الى الكوفة
٦٤٨.....	محاصرة المختار	٦٢٧.....	اختلاف الشيعة على المختار
٦٤٩.....	خطبة يزيد بن أنس	٦٢٨.....	المختار يودع السجن مرة أخرى
٦٤٩.....	مقتل راشد بن أبياس	٦٣٠.....	اطلاق سراح المختار
٦٥٠.....	حسن بن قائد العبسي	٦٣٢.....	المختار ومواجهة الأحداث المصيرية
٦٥١.....	رأي عمرو بن الحجاج	٦٣٤.....	تهيء المختار
٦٥١.....	محاصرة ابن مطيع	٦٣٤.....	اللقاء مع محمد بن الحنفية
٦٥٢.....	الدخول الى الكوفة	٦٣٥.....	خطبة محمد بن الحنفية
٦٥٢.....	نوفل بن مساحق	٦٣٦.....	الاستئذان من الإمام السجاد عليه السلام
٦٥٣.....	محاصرة قصر الامارة	٦٣٧.....	عبد الرحمن بن شريح
٦٥٣.....	اعطاء الأمان للأشراف	٦٣٨.....	دعوة ابراهيم بن مالك الأشتر
٦٥٤.....	خطبة المختار	٦٣٩.....	بيعة ابراهيم للمختار
٦٥٥.....	البيعة للمختار	٦٤٠.....	خروج المختار
٦٥٥.....	تقسيم بيت المال	٦٤١.....	وشاية اياس بن مضارب
٦٥٧.....	ارسال العمال الى الأمصار	٦٤٤.....	الأمر بالثورة

٦٨٣	أبحر بن كعب	٦٥٧	هلاك مروان بن الحكم
٦٨٤	قتل بجدل بن سليم الكلبى	٦٥٧	رسالة الى المختار
٦٨٤	قتل عمرو بن صبيح	٦٥٨	جواب المختار
٦٨٤	قتل قتلة عبد الرحمن بن عقيل	٦٥٩	مقتل قادة الشام
٦٨٥	قتل الذين أكلوا من لحوم إيل الحسين	٦٦٠	وفاة قائد جيش المختار
٦٨٥	قتل قيس بن الأشعث	٦٦١	قتال المتمردين
٦٨٦	قتل عبيد الله بن زياد	٦٦٣	مالك بن عمرو
٦٩١	مقتل الحصين بن نمير	٦٦٤	أبو القلوص
٦٩٤	رأس ابن زياد في قصر الامارة	٦٦٤	مقتل رفاعه بن شداد
٦٩٤	ارسال رأس ابن زياد الى ابن الحنفية	٦٦٤	القضاء على المتمردين
٦٩٧	حملة مصعب ابن الزبير على الكوفة	٦٦٥	هدم دور من شرك في قتل الحسين
٦٩٨	حركة المهلب بن أبي صفرة	٦٦٥	قتل عمرو بن الحجاج
٦٩٨	عبد الرحمن بن مخنف	٦٦٦	عبد الله بن مطيع
٦٩٨	اشتباه أم خيانة ؟	٦٦٦	ذكر الذين هربوا من المختار
٦٩٩	بداية المعركة	٦٦٨	قتلة الحسين
٧٠٠	الانكسار	٦٦٨	قتل الذين رضوا جسد الحسين
٧٠١	التقدم نحو الكوفة	٦٦٩	قتل الذين نهبوا الورس
٧٠٣	اقتراح المختار	٦٧٠	قتل خولى بن يزيد
٧٠٤	المختار وسائب بن مالك	٦٧٠	قتل عمر بن سعد لعنه الله
٧٠٥	استشهاد المختار	٦٧٣	ارسال الرؤوس إلى المدينة
٧٠٦	بجير بن عبد الله	٦٧٤	قتل شمر لعنه الله
٧٠٧	عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث	٦٧٦	قتل سنان بن أنس النخعي
٧٠٧	مسافر بن سعيد	٦٧٧	حميد بن مسلم
٧٠٨	توبيخ عبد الله بن عمر لمصعب	٦٧٨	قتل حرمة بن كاهل
٧٠٩	دعوة حرم المختار للبراءة منه	٦٧٩	جرائم حرمة
٧٠٩	جسد المختار	٦٨٠	قتل حكيم بن الطفيل الطائي
٧١٠	مدّة حكم المختار في الكوفة	٦٨١	جرائم حكيم بن الطفيل
٧١٠	عروة بن الزبير	٦٨٢	ما جرى لمرة بن منقذ
٧١٠	عبد الله بن الزبير	٦٨٢	قتل زيد بن رقاد
٧١١	قبر المختار	٦٨٢	ابو الحتوف الجعفي



توزيع

منشورات

كفوى بالقوى

ایران - قم - سوق القدس - هاتف: +۹۸ ۲۵۱ ۷۷۴۴۶۶۳

النجف الأشرف - سوق الحويش - النقال: ۷۸۰۱۰۰۳۵۷۲

البصرة - العشار - دار الزهراء - محمول: ۷۸۰۱۰۴۶۲۱۳

FUTURE
DESIGN